

القس منسى يوحنا



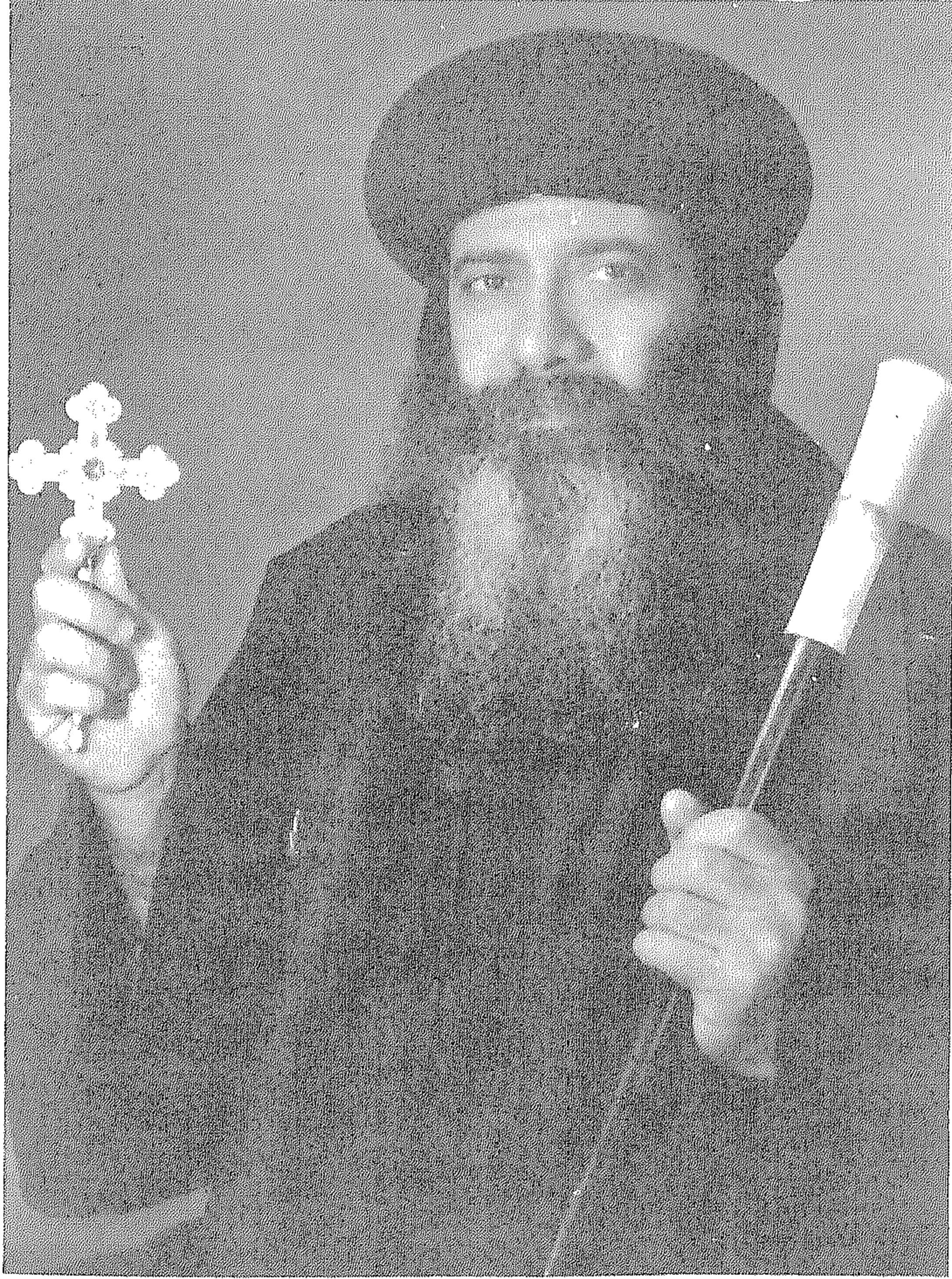
تاريخ الكنيسة القبطية

مكتبة المكية

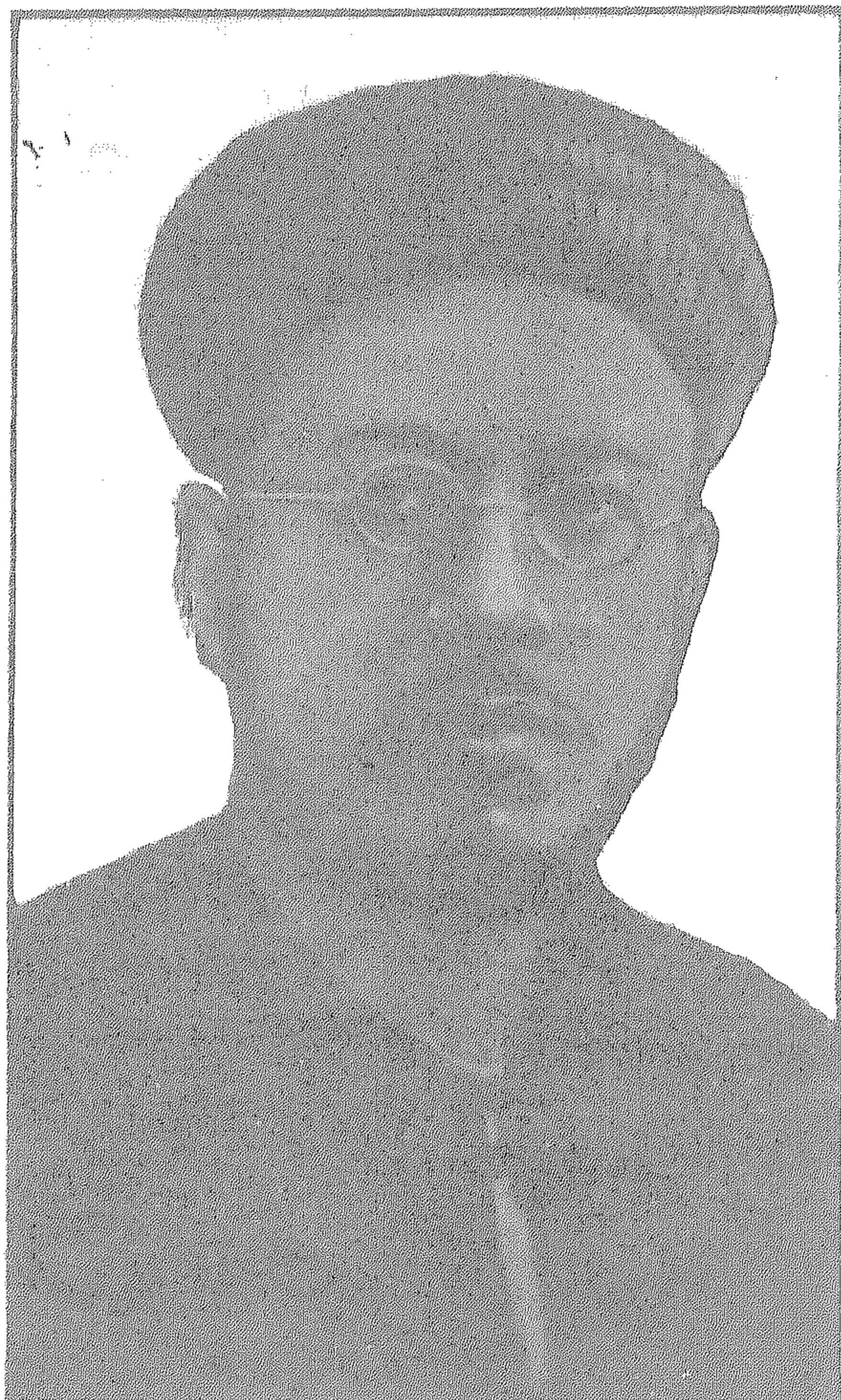
تاريخ الكنيسة القبطية

تأليف
المتنج القس منسى يوحنا





قداسة البابا المعظم الأنبا شنودة الثالث



المتنيح القس منسى يوحنا

فهرس كتاب
« تاريخ الكنيسة القبطية »

القسم الاول	القسم الثانى	القسم الثالث	القسم الرابع	
اسم القرن	تاريخ البطاركة	مشاهير الكنيسة	المملكة والكنيسة	البدع والانشقاقات
القرن الاول	٦	١١	١٨	١٩
القرن الثانى	٢٠	٢٤	٤٩	٥٣
القرن الثالث	٦٠	٧١	٨٦	٩٣
القرن الرابع	١٠٦	١٥٢	١٧٧	١٩١
القرن الخامس	٢١٤	٢٤٦	٢٥٣	٢٥٦
القرن السادس	٢٦٣	٢٧٣	٢٧٦	٢٨٠
القرن السابع	٢٨٧	٣٠٢	٣٠٣	٣١١
القرن الثامن	٣١٣	٣٢٧	٣٢٩	٣٣٩
القرن التاسع	٣٤٣	٣٦٣		
القرن العاشر	٣٧١	٣٧٩	٣٨١	
القرن الحادى عشر	٣٨٥	٣٩٨	٣٩٩	
القرن الثانى عشر	٤٠٥	٤١٢	٤١٣	٤١٩
القرن الثالث عشر	٤٢١	٤٣٠	٤٣٤	
القرن الرابع عشر	٤٤١	٤٤٦	٤٤٧	
القرن الخامس عشر	٤٥٨		٤٦٠	
القرن السادس عشر	٤٦٢		٤٦٦	
القرن السابع عشر	٤٦٧	٤٧٢	٤٧٣	
القرن الثامن عشر	٤٧٥	٤٨٣	٤٩١	
القرن التاسع عشر	٤٩٧	٥٢٨	٥٤٣	٥٤٧
الخاتمة	بين الماضى والحاضر			٥٥٠

رد على انتقاد الاب لويس شيخو
اليسوعى لكتاب تاريخ الكنيسة القبطية

ملحق

كلمة عن المؤلف نيح الله نفسه

ولد الفقيد العزيز سنة ١٨٩٩ بناحية هور مركز ملوى من أبوين مسيحيين تقيين كريمي
المحتد عريقى النسب ، ومات أبوه وهو فى سن الطفولة فعنيت أمه بتربيته تحت رعاية جده الوقور
ونظرا لما كانت عليه رحمها الله من الصلاح والورع والحكمة وكرم النفس والبر بالفقراء والمساكين
والعطف على الارامل واليتامى والمجربين فقد تشرب الفقيد منها هذه السجايا الحميدة وترعرع فى
كنفها ونما فى أحضان الفضل والتقى وخصه الله فوق ذلك بذكاء حاد وعقل راجح وفكر ثاقب .

وكان حبه لكنيسته الارثوذكسية غريزة متأصلة فى نفسه وبلغت شدة تعلقه بها أنه الم
بالكثير مما يتلى فيها وهو طالب بالمدارس الابتدائية ولم يكن قد تجاوز الثانية عشرة من العمر . ثم
دفعته غيرته على تقدم الكنيسة ونماؤها على ان يكرس حياته لخدمتها فالتحق بالمدرسة الاكليريكية
وهو فى السادسة عشرة من عمره بعد تردد مديرها فى قبوله لصغر سنه وللزعم بانه وهو فى هذه السن
لا يقوى على تحمل أعباء الدراسة بها . ولكن ما ان مرت بضعة شهور على وجوده بالمدرسة المذكورة
حتى أصبح موضع أعجاب مديرها واساتذتها لما اظهره من النبوغ الفائق واستمر كل سنى الدراسة
فيها متفوقا على اقرانه مضرب المثل بينهم فى نبل الاخلاق وعلو الهمة وقوة الارادة وشدة العزيمة
واصالة الرأى . ولم يكن يكتفى بما يتلقاه فى المدرسة من الدروس المقررة بل كان يحصل على كل
مفيد من الكتب الكنسية ومن مؤلفات العلماء اللاهوتيين والمؤرخين ويدرستها بعناية تامة فاتسعت
بذلك مداركه وكثرت معلوماته وعظمت ثقافته .

ولما أن تخرج من المدرسة الاكليريكية عين واعظا لكنيسة ملوى القبطية فقبول فيها بادية
ذى بدء مقابلة شاب فى العشرين من عمره ولكن سرعان ما وجد فيه شعبا واعظا تقيا قديرا ومعلما
فاضلا حكيما ومرشدا صالحا أمينا فأحبه جميع أفراد الشعب حبا جما وأنزلوه أحسن منزلة فى
نفوسهم . وأن أنس لا أنسى موقفهم الرائع حينما قرأوا فى احدى الصحف أن الطيب الذكر نيافة
مطران المنيا السابق قرر نقله من كنيستهم الى كنيسة سمالوط فلقد ثارت عند ذلك ثائرتهم وقاموا
قومة رجل واحد معترضين على نقله والفوا من بينهم وفدا قابل نيافة المطران ففضل نيافته وهذا
خواطرهم بنفيه اشاعة نقله نفيًا باتا وأبلغهم ان واعظهم عندما زار كنيسة سمالوط تلبية لدعوة
اعضاؤها تعلق به أهلها وأخذوا يهدون السبيل لتعيينه فى كنيستهم ولكن نيافته لم يوافقهم على ذلك
لما يعلمه من شدة محبة شعب ملوى له ودرجه تمسكهم بوجوده بينهم .

واذكر هذه المناسبة أن اثنين من أصحاب النيافة والمطارنة عرضا عليه الخدمة معها نظير مرتب كبير يغرى ولكنه فضل البقاء بكنيسة ملوى نظرا لما وجدته في أهلها من المحبة والاخلاص والوفاء غير ناظر الى الماديات الفانية لانه لم يكن يرغب سوى خدمة الكنيسة والعمل على تقدمها .

وقد رسم كاهنا لكنيسة ملوى في يناير سنة ١٩٢٥ بناء على تركيه اجماعية من شعبها وكان يوم رسامته يوما مشهودا اشترك في الاحتفال به جميع أهل المدينة على اختلاف مذاهبهم ونزعاتهم وكان الكل يهنئون بعضهم بعضا .

وكانت حياة الفقيد نوح الله نفسه سلسلة جهاد متواصلة الحلقات فانه علاوة على اضطلاعة بمسئوليات الخدمة بالكنيسة وافتقاد الرعية والقيام بالوعظ والتعليم كان يدأب على الاطلاع والبحث والتأليف والنشر ، ولقد تمكن في غضون تسع سنوات من تأليف خمسة عشر مؤلفا قما من بينها كتاب تاريخ الكنيسة القبطية ، هذا فضلا عما كان ينشره في الصحف والمجلات من البحوث الروحية والادبية وعن تحمله أعباء ادارة وتحرير مجلة الفردوس .

ولقد برز الفقيد أبان الحركة الوطنية فكان فيها خطيب ملوى الذى يشار اليه بالبنان يدعو دائما الى الاتحاد والاخاء والجهاد فى سبيل أسعاد الوطن العزيز .

واليه يرجع الكثير من الفضل فى حمل أهالى ملوى على الاكتفاء باقامة المآتم لمدة ثلاثة أيام وكان من عادة البعض اقامتها لمدة اسبوع والبعض الاخر لمدة خمسة عشر يوما .

وظل الفقيد مع ما كان يقوم به من الخدمات العامة السالفة الذكر نشطا فى خدمة الكنيسة عاملا قويا فى سبيل نهضتها وقد ألف اتحادا من حضرات زملائه قساوسة ووعاظ كنائس البلاد المجاورة وأخذ يعمل معهم على انعاش هذه الكنائس باقامة مجامع بها يتبادلون الوعظ فيها وكان لهذه المجامع بعون الله أثرها الفعال ومع ما بلغه الفقيد من سمو المكانة فى النفوس بسعة علمه وغزارة فضله وعلو همته فانه كان بعيدا كل البعد عن الزهو والخيلاء مثالا للتواضع وأنكار الذات .

ولقد حلت به فى سنى حياته القصيرة تجارب متنوعة فتحملها بالصبر مقدما عنها لله خالص الشكر . جرب فى ابنائه فكان كلما رزق أبنا أختطفه الموت منه ، وجرب كثيرا فى صحته . ثم فجع فى اليوم الثانى من ديسمبر سنة ١٩٢٨ بوفاة المرحومة والدته العزيزة فخسر بوفاتها أعز من فى الوجود اليه وأكثرهم حنوا وعطفيا عليه وكان حزنه عليها شديدا لدرجة أنه كان يصلى بالالحن الحزينة . مناجيا روحها الطاهرة وبالرغم من شدة وقع هذه المصائب فى نفسه فانها لم تنل من عزيمته أو تضعف من مجهوداته الجبارة فى خدمة كنيسته وامته تلك الخدمة التى كرس حياته لاجلها والتى ظل يؤديها بكل أمانه ونشاط حتى أقعده المرض عنها مرغما .

وفى يوم الجمعة ١٦ مايو سنة ١٩٣٠ تحدث الى من كانوا فى زيارته للاستفسار عن صحته قائلا لهم «سأمت الليلة فأرجو أن تصلوا على فى ملوى وتدفنوني فى هور» فكان شأنه فى ذلك شأن غيره من الابرار القديسين الذين يشعرون بدنو الاجل وقرب الساعة وما وافت الساعة الثانية عشر من مساء اليوم المذكور الا وفاضت روحه الطاهرة الى بارئها فلاقى وجه ربه راضيا مرضيا .

وفى صبيحة اليوم السابع عشر من شهر مايو سنة ١٩٣٠ سرى نعيه بسرعة البرق فى جميع أنحاء ملوى وهور والبلاد المجاورة فاضطربت النفوس وخفقت القلوب وسالت العبرات .

وأقبل القوم على داره ووجوههم واجمة وقلوبهم دامية : كل يريد أن يلثم يديه متبركا منه ومودعا له قبل أن يلف فى كفنه ويدرج فى نعشه . واكتظت شوارع المدينة بالاهلين من جميع الطبقات والمذاهب والملل وظلوا واقفين وكأن على رؤوسهم الطير منتظرين تشييع جنازته حتى اذا ما أطل عليهم نعشه محمولا على الأعناق صرخوا صرخة الحزن من الاعماق وتزاحوا حواليه وخلفه باكين مولولين وكان اخواننا المسلمين يتهافتون على حمل نعشه قائلين للمسيحيين «دعونا نقوم بواجب الوفاء له . فلقد أخلص فى حياته الود لنا بمثل ما أخلص لكم وخدمنا كما خدمكم وليس حزننا عليه باخف من حزنكم» وسار موكب جنازته تلازمه الروعة ويحدوه الجلال حتى وصل الى الكنيسة القبطية حيث صلى على الفقيد لفيف من الكهنة وابنه كثير من الخطباء ثم أستأنفت الجنازة بعد ذلك سيرها حتى خرج به القوم من ملوى الى مدفنه ببلده هور، خرجوا به من المدينة التى تفانى فى خدمة كنيستها وفى حب شعبها .

خرجوا به ولكل باك حوله
حتى أتوا جدثا كأن ضريحه
صفقات موسى يوم ذك الطور
فى كل قلب موجد محفور

وبعد أن ورى الفقيد التراب انصرف الجمع وهم يبكون شبابه الغض و يترحمون عليه
و يذكرون فضائله و يعددون مآثره

لقد جاهد فقيد الكنيسة الشاب جهاد الابطال ورقد فى الرب فنال اكليل الحياة . جعل
الله من سيرته العاطرة خير مثال يحتذيه العاملون المخلصون .

بعد حمد الله
الى القارئ القبطى

فى هذا الكتاب نقف على تاريخ آبائك الابطال وأجدادك العظام الذين تمسكوا
بالمسيحية ودافعوا عنها دفاعاً مجيداً رفع شأنها وعظم اسمها وخلد لهم ذكراً حسناً انتشر اريجهم وذاع فى
الانام خبره . فلك ان تقارن بين غيرتهم الوقادة على حفظ كرامة دينهم وبين فتورك المتناهى فى أمر
ذلك الدين . وبين سعيهم المتواصل لوضع كنيستهم فى الشأوالاعلى وبين تأخرهم المعيب فى هذا
الميدان . فلعلك تتخذ من ذلك درساً يحملك على التعهد بالسير فى السبيل الذى يمكنك من استعادة
ذلك المجد الغابر

* * *

« كفاكم قعود في هذا الجبل » (تث ١ : ٦)

« هلم فنبنى سور أورشليم ولا نكون بعد عارا » (نح ٢ : ١٧)

« أنت الذى أرىتنا ضيقات كثيرة وردية تعود فتحينا ومن أعماق الارض تعود
فتصعدنا » (مز ٧١ : ٢٠)

القرن الأول الميلادى

فجر المسيحية فى مصر

القسم الأول

مجيء السيد المسيح الى مصر

ان الله تعالى أظهر غيظه فى كثير من الاوقات على مصر فضرها مرة بالضربات العشر وبعد ذلك توعددها على السنة أنبيائه بأنواع عقوبات شديدة غير انه سبحانه لم يشأ أن يغلق باب رحمته فى وجوه المصريين فجهز لهم بركات عظمت وثمرتها وأنبأ بفم هوشع نبيه قائلًا « من مصر دعوت ابني » (هو ١١ : ١) ومع أن هذا القول كان أولا إشارة الى اخراج شعب اسرائيل من مصر ولكنه صار إشارة رمزية الى السيد المسيح لما هرب من وجه هيرودس ملتجئًا الى مصر كما أشار الانجيلى متى (٢ : ١٥) وكان بقاء ذلك الشعب مدة فى مصر رمزا الى مكث المسيح هناك . الا أن الارض التى كانت لليهود أرض تنهد وعبودية صارت للملك اليهود المولود جديدا أرض ملجأ وراحة .

ان الله قد أراد أن يهرب ابنه الى مصر ليعطى المصريين عربون المصالحة العتيدة بعد ان انزل بهم الضربات العديدة . وكانت مصر ملجأ لاعظم رجال الله كابراهيم و يعقوب و يوسف وارميا مرارا كثيرة . ولئن كانت قد ضربت باللعة الا انها تقدرست بوطنى قدمى المسيح .

ويقول البعض بأن مجيئ المخلص الى مصر كان اتماما لما جاء (باش ١٩ : ١) حيث قيل « هوذا الرب راكب على سحابة سريعة وقادم الى مصر فترتجف أوثان مصر من وجهه و يذوب قلب مصر داخلها » . وقد أنبأ الله فى خاتمة ذلك الاصحاح برجوع المصريين اليه بقوله « و يضرب الرب مصر ضاربا فشافيا فيرجعون الى الرب فيستجيب لهم و يشفيهم » (عد ٢٢) وقد تم هذا القول . فقد كانت مصر مملكة مسيحية من القرن الثالث الى السابع ولم يزل فيها بعض المسيحيين من أبناء الكنيسة القديمة الى الآن ونحن بنعمة الله منهم .

ولانعلم كم كان عمر السيد المسيح حين قدومه الى مصر وبعضهم يرتأى انه كان ابن سنتين استنادا على أمر هيرودس بقتل الاطفال من ابن سنتين فما دون حسب الزمان الذى تحققه عن الصبى من المجوس (مت ٢ : ١٦) ولكن الزمان الذى تحققه من المجوس لا ينسب الى قوله ابن سنتين بل الى قوله « ما دون » لان هيرودس أمر بقتل الاطفال من ابن سنتين لمزيد الاحتراس على قتل المخلص كما زاد على مدينة بيت لحم « كل تخومها » حتى لا ينجو المسيح بطريقة من الطرق

ولكن الأرجح بل المعلوم لنا ان المسيح لم يكن عمره اذ ذاك يزيد عن الثلاثة أشهر لان المسيح ولد سنة ٣٤٩ لبناء مدينة رومية حسب رأى أفضل المحققين وهيرودس كما دون يوسفوس المؤرخ مات سنة ٣٥٠ لبناء رومية فتكون المدة بين ولادة المسيح وموت هيرودس سنة واحدة ويكون المسيح قد هرب الى مصر وسنه ثلاثة أشهر واستمر بها سبعة أشهر وفى نهايتها بلغه موت هيرودس ولا يمكن أن يكون المخلص قد ذهب الى مصر قبل مرور ثلاثة أشهر على ميلاده أو عقب ولادته بقليل كما ذهب البعض بدليل عدم خوف يوسف البار والسيدة العذراء من الذهاب الى اورشليم وتقدمة الرب علانية فى الهيكل بعد مولده باربعين يوما . ولو كان سجود المجوس وتخبيرهم لهيرودس على أثر ميلاده لقتله هيرودس ولم يجسرا أن يذهبا به الى الهيكل (راجع لو ٢ : ٢٢ و ٢٣ ولا ١٢ : ١)

أما العائلة المقدسة فأثت من بيت لحم الى مصر عن طريق الصحراء باجتياز القنطرة . ولا نعلم أيضا كيف تمكنت العائلة المقدسة من استحضار النفقة اللازمة للسفر والاقامة فى مصر ولكن يفهم انه كان عندهم الذهب الذى أهدها المجوس اليهم . وان يوسف كان نجارا ماهرا مجتهدا وكان يستطيع أن يدأب فى صناعته لتقديم حاجات العائلة ويؤخذ من التوارىخ الكنسية أن السيد جاء الى مصر مع والدته و يوسف النجار وسالومة عن طريق صحراء سيناء . ودخلوها من جهة الفرمة (الجهة الواقعة بين بورسعيد والعريش) ومنها أتوا الى مدينة بسطة (١) فلم يقبلهم أهلها فنزلوا بظاهرها أياما ثم ساروا منها الى مدينة سمند ومن هناك عبروا النيل الى اقليم الغربية واجتازوا غربا بجبل النطرون بيرية شيهات (٢) فباركته أم النور . ثم ساروا الى مدينة الاشمونين (٣)

(١) الآن تل قديم هو بقايا المدينة ويعرف بتل بسطة بجوار الزقازيق

(٢) سمى كذلك لوجود النطرون والبردى فيه بكثرة وشبهات كلمة قبطية معناها « ميزان القلوب » وهى مركبة من شى ميزان أو كيل و (هيت) قلب . ويسمى أيضا اسقيط وبالقبطية (أياسكيطيس) ومعناه دار النساك . و يطلق عليه أيضا لقب وادى هيب وهو شيخ قبيلة عربية نزلت وسكنت فى ذلك الوادى

(٣) بالقبطى اشمون الرمان كما يسميها العرب تماما

وذخلوها وهم لا يعلمون لهم مأوى فاقاموا فيها أياما . قال بعضهم « ظهرت على يد المخلص فى الاشمونين آية وهى ان خمسة جمال زاحمتهم فى مرورهم فصرخ فيهم المسيح فصاروا حجارة » . ثم انهم ساروا من الاشمونين واقاموا بقرب قرية تسمى منليس أياما ثم مضوا الى القوصية فطردتهم أهلها فمضوا الى قرية ميرة (الآن مير) غربى القوصية ومنها قصدوا جبل قسقام الكائن به دير السيدة العذراء الشهير بالحرق . وحينئذ مات هيرودس بالشام فظهر ملائكة الرب ليوسف فعاد بمن معه من ميرة الى مصر ونزل فى بابليون فى المغارة الكائنة بدير القديس سرجيوس (أبوسرجة) بمصر القديمة ثم رحلت الاسرة المقدسة الى المطرية واغتسل أفرادها هناك من عين ماء فتباركت وتقدسست من تلك الساعة . قيل ان العذراء قد غسلت من ذلك الماء ثياب المسيح وكانت قد اتسخت وصبت غسالتها بتلك الاراضى فأثبتت بلسانها وكان لذلك الوقت لا ينبت البلسان الا بأرض فلسطين فانقطع من هناك وبقي فى هذا المكان وكثر الماء بالبر التي هناك حيث سال عليها الماء الذى غسلت منه العذراء . وبشجرة البلسم الموجودة الى اليوم يقال انها نبتت بقرب العين ومن دهنها كانوا يصنعون الميرون المقدس و يكرسون الكنائس وأوانيها

والمحقق من كل ذلك قدومه الى مدينة بابيلون بالقرب من هليوبوليس (عين شمس) وقال المؤرخون ان الاسرى البابليين الذين أسرههم رمسيس الاكبر من آسيا احتلوا قلعة (هانين) على شاطئ النيل تجاه مدينة منف (١) وبنوا هناك مدينة دعوها (البابليون) أو بابل على اسم عاصمة بلادهم . وسبب قدوم المخلص الى هذا المكان معلوم وهو انه كان فيه فى ذلك الوقت هيكل مشهور لليهود اسمه هيكل (يانوس) شبيه بهيكل اورشليم بنى نحو سنة ١٦٠ ق . م وكان حوله كثير من اليهود . وباعتبار أن المخلص أتى أولا لاجل اليهود ليرد خراف بيت اسرائيل الضالة اختار مقره فى مصر الموضع الذى يكثر فيه بنو جنسه ولعل السبب ان يوسف كان له أقارب أو اصحاب ببابليون فسكن حيث كانوا

وقد روت التواريخ قصصا غريبة عما حدث حيث دخل المسيح الى مصر أهمها أن أبويه لجأ به الى هيكل فيه أصنام للآله فلما دخل يسوع سقطت الاصنام كلها أمامه وهذا رمز الى فاعلية قوة ابن الله .
ومن أهم آثار زيارة المسيح لمصر الباقية للآن :
١ - المغارة التى نزلت بها السيدة العذراء مع ابنها وخطيبها وهى الآن بكنيسة ابى سرجه بمصر القديمة (٢)

(١) هى الآن خربة وكانت قائمة خلف الجيزة

(٢) كنيسة ابى سرجة قيل انها بنيت فى عهد الرسل وهى أقدم الكنائس المصرية أما الكنيسة التى تعلوها فطلب اذنا بينائها من عهد العزيز والى موفى عهد الدولة الاموية اثناس كبير القبط حينئذ فبنى بقصر الشمع « اسم يطلقه العرب على بابليون » كنيسة ابى سرجة وابى كير فى اول القرن الثامن لما تهدمتا فجا بعد رمهما ابن السرور يوحنا بن يوسف المعروف بابن الابح كاتب سر الخليفة المستنصر الفاطمى سنة ٧٨٩ ش

- ٢ — النبع الموجود بقرب المطرية الى جنوبى اطلال عين شمس القديمة
٣ — الشجرة المشهورة باسم شجرة العذراء بالمطرية التى يعتقد فيها الوطنيون والاجانب معا

وهذه الحقائق ليست من معتقدات الكنيسة القبطية فقط بل يوجد عند الغربيين ما يؤيدها فيوجد لليوم فى المتحف البريطانى بلندن صورة معروفة بسنة الرب تمثل احتفالا كبيرا كان يقيمة المصريون لآلهتهم حتى السنة الاولى للميلاد وكان ذلك شائعا فى مصر شيوعا كبيرا وترتيبه أن يسير المغنون فالضاربون على الاعواد وبينهم فتيات حسنات الوجوه يضربن بالطبول والدفوف و يتقدم هذا الموكب الآله ايزيس محمولة على أكف الشرف والفخار حاملة ابنها هوروس على ركبتيها وحين مرور الآلهة يأتى الناس بمرضاهم على جانبى الطريق اعتقادا بنيلهم الشفاء

وفى وسط الصورة الممثله لذلك يرى الناظر ركبا حقيرا قد انزوى جانبا ليفتح الطريق الآله المذكورة . وهذا الركب مؤلف من امرأة متواضعة فقيرة وطفلها راكبين حمارا أنهكه التعب وخلفه رجل ريفى يسير راجلا وقد أضناه الكلال وطول الشقة

ومعلوم أن المصور قصد ايضاح الفرق بين الركبين فى ظاهرهما وخافيهما لانه بينما نرى أن أبهة الاول قد بادت بانقراض عبادة الاصنام فى مصر وزالت عظمة الملك بقى اسم الطفل وبقى الى الابد فى مصر وغيرها من الامصار

أما مدة بقاء المسيح فى مصر فالمحقق عندنا انه استمر سبعة أشهر لغاية موت هيرودوس اما اذا كان قد بقى بعد موت هيرودوس بمصر فهذا لا نعلمه . والمقول فى هذا الشأن كثير فبعضهم يظنون انه مكث سنتين وغيرهم أربعة وآخرون ستة والله أعلم

فلننظر ونتعجب لان مصر الوثنية حمت المسيح والارض المكروهة منه صارت له ملجأ . ولا ريب ان مجىء السيد المسيح الى مصر كان فاتحة سعادة لهذه البلاد لان المكان الذى يتشرف بحلول ابن الله فيه يمتلئ خيرا وبركة ولنعلم ان رحلة السيد المسيح الى مصر قد أعدت قلوب المصريين وهياتها للاذعان لكلمة الله فى القريب للبشارة على يد مار مرقس الانجيلي والرسول وقبول شريعة الكمال رسميا . ولا يبعد أن تكون الالسنه قد تناقلت آيات السيد المسيح المقدسة وعجائبه الخارقة للطبيعة خصوصا وان تجاور القطرين المصرى والسورى وسهولة المواصلات التجارية بينهما مما يحملنا على الاعتقاد بأن اخبار السيد المسيح كانت قد وصلت آذان المصريين وقوت فيهم قابلية الاستعداد للخلاص

وقد ذهب الى أن الدين المسيحى دخل الثغر الاسكندرى قبل أن يكرز به مرقس الرسول :
اولا : بداعى قرب المكان من بلاد فلسطين وقد كان يوجد فيه أحياء لليهود وعلاقتهم متصلة دائما مع يهود بيت المقدس

ثانيا : بدليل أن لوقا الإنجيلي كتب انجيله الى أحد أشراف الاسكندرية المدعو ثاوفيلس

ثالثا : لان بعض الذين آمنوا بواسطة كرازة بطرس يوم الخميس كانوا من مصر (١ ع ٢ : ١٠) وعلى كل حال فلم تقم للمسيحية قائمة ولم تعرف جيدا بمصر الا بعد أن وافى الرسول مرقس اليها . ومن ذلك الوقت أصبحت مصر ملكا لابن الله محمية من كل خطر برعايته فهو يكلأها بعينه التي لا تنام الى ما شاء الله ولا يتخلى عنها الى الأبد . ولا بد أن ينجز مواعيده فتصبح مصر بأسرها للرب

القسم الثانى تاريخ البطارقة

(١) مرقس الرسول
(٢) انيانوس
(٣) ميلیوس
(٤) كرزونوس

(١) مارمرقس الرسول :

ولد هذا القديس من أبوين يهودى الاصل استوطنا فى بلدة تسمى (اير يانولوس) بأقاليم المدن الخمس الغربية (بنتابوليس) من شمالى قارة افريقيا (١) و يدعى أبوه أرسطوبولوس قيل انه ابن عم زوجة بطرس وأخوتوما الرسولين وقيل انه كان لاوياً وكاهناً ولكن هذا لم يثبت وامه مريم كانت أخت برنابا الرسول كما هو واضح من (كو ٤ : ١٠) وكان أبواه على جانب عظيم من التقوى والورع متمسكين بشريعة آبائهما وأجدادهما . و يقال انها كانا من ذوى اليسار فسقطت عليها بعض قبائل البدو الرحل ونهبت أموالهما وامتعتهما حتى أصبحتا معدمتين وأصابهما الفقر المدقع واضطرهما ذلك الى هجر المدينة فقصدا فلسطين موطن آبائهما واقاما زمانا بالقرب من اورشليم وكان هذا الرحيل قبيل ولادة مارمرقس أو بعد ولادته بقليل

نشأ مارمرقس فى فلسطين مركز اعلان بشاره خلاص العالم . ويرجح انه آمن بالمسيح على يد بطرس الرسول لانه كان يدعو ابنه (١ بط ٥ : ١٣) ولما كان بطرس الرسول قريباً لمارمرقس كما سلف اقتدى هذا به على أثر ايمان ذاك بالخلص . وكان مارمرقس مماثلاً لماربطرس فى الغيرة والحمية على مجد الرب وخلاص النفوس وكان أول ثمر تعبته فى خدمة فاديه جذب والده الى الايمان لانه كان يهودياً غير مؤمن بالمسيح وذلك انه بينما كان وأبوه سائرين فى طريقهما الى جهة الاردن اذ قابلهما أسد ولبوءة يزاران بصوت مخيف . فخالج قلب ابيه الخوف ولم يشأ حنوه الابوى الا أن يوعز اليه أن يلوذ بالفرار وينجوب نفسه مستعداً لتقديم ذاته الى الوحشين رغبة فى خلاص ابنه .

(١) الخمس المدن الغربية واقعة فى الجزء الشرقى من طرابلس الغرب المتاخم الآن لمصر . وتسمى باليونانية . بنتابوليس . وقد تأسست سنة ٦٣٠ ق . م بواسطة جماعة التريان وهى :

« ١ » قيروان وهى الآن خربة وتبعد ١٥ كيلومترا عن مرسى سون

« ٢ » برنيقة والآن بنى غازى على خليج سدره

« ٣ » سوزوسا وكان اسمها ابولونى والآن اسمها مرسى سوزوسا

« ٤ » درنه وكان اسمها ارسينو

« ٥ » بطولمايس وتسمى الآن طوليت بقرب اطلال برقة . ويذكرها ابن كبر المؤرخ القبطى فى كتابه « السلم الكبير » هكذا

« برقة . تونس . طرابلس . القيروان افريقية »

الا أن القديس طمأن والده وهو موقن بأن السيد المسيح سيخلصهما من هذه الضيقة . ثم رفع عينيه نحو السماء وصرخ بجرارة الى السيد المسيح قائلاً له « يا ابن الله الحى الذى نؤمن به نجنا من هذه البلية وانقذنا من شر هذين الوحشين الكاسرين » وما لبث أن التفت حوله فوجد الاسدين وقد انطرحا على الارض لا حراك فيهما . فشكر الرب على هذه العناية ورجع اباه الى جانب المسيح لانه عندما رأى فاعلية ايمان ابنه آمن بالمخلص ومجد اسمه القدوس

ولما اختار السيد المسيح سبعين رسولا ليرسلهم أمام وجهه الى كل موضع حيث كان هو مزمعا أن يأتى انتخب بينهم مارمرقس وكان يلقب (بالثاؤفوريوس) أى حامل الاله . وكان لهذا الرسول اسمان فسمى « يوحنا » وهو اسمه اليهودى وسمى « مرقس » وهو اسمه اليونانى . وكان منزل والدته محط رحال التلاميذ ومقر اجتماعهم للعبادة وفيه كانوا يصلون لاجل خلاص الرسول بطرس من السجن ولما أطلق أتى اليه (أع ١٢ : ١٢ و ٢٥) و يظن أن بيته كان معروفا فى زمن السيد المسيح أيضا . والبعض يقولون ان المخلص لما أرسل اثنين من تلاميذه وقال لهما اذهبا الى المدينة فيلاقيكما انسان حامل جرة ماء فاتبعاه (مر ١٤ : ١٣) كان يقصد مارمرقس . وقالوا انه هو الشاب الذى كان لابسا ازارا على عريه ليلة موت المخلص ولما تبعه وأمسكه الشبان ترك الازار وهرب منهم عريانا (مر ١٤ : ٥١) وقد رجحوا ذلك لانفراده بكتابة هذين الخبرين ولم يكتب حادثه الجرة الا لوقا ويظهر انه سمعها منه . وقال الانبا ساويرس المؤرخ أسقف الاشمونين « انه كان من جملة الخدام الذين استقوا الماء الذى صيره سيدنا خمر فى عرس قانا الجليل » أهـ . وكان هذا الرسول أيضا يأوى التلاميذ فى بيته فى زمان آلام المسيح وبعد قيامته من الاموات حيث دخل عليهم والابواب مغلقة .

وفى خدمة التبشير كان هذا الرسول رفيقا لبولس وبرنابا (أع ١٢ : ٢٥) ولكنه تركهما فى برجة ورجع (أع ١٣ : ١٣) ولما أراد برنابا أن يأخذه معها فى السفر الثانى للتبشير لم يستحسن بولس ذلك لانه تركهما فى برجة فى السفر الاول فاختلفا فى أمره وانتهى الامر بانفصالهما فأخذ برنابا مرقس معه الى قبرص سنة ٤٩ م

وبعد هذا التاريخ بثلاث عشرة سنة أظهر بولس لاهل كولوسى رضاه عنه وتحقق امانته حيث قال لهم « ومرقس ابن اخت برنابا الذى أخذتم لاجله وصايا ان أتى اليكم فاقبلوه » (كو ٤ : ١٠) وفى هذه الآية اشارة الى عزم مرقس على الذهاب الى كولوسى وحده للكرازه . ويتضح من رسالة فليمون انه فى ذلك الوقت كان شريكا للرسول بولس فى اتعابه برومية (فل ٢٤) وكان مع تيموثاوس فى أفسس حين كتب بولس الى تيموثاوس رسالته الثانية بين سنة (٦٧ و ٦٨) ورغب أن يأتى به اليه بدليل قوله « خذ مرقس واحضره معك لانه نافع لى للخدمة » (٢ تى ٤ : ١١)

أما علاقته ببطرس الرسول فلم يرو عنها خبر صحيح الا ما كتبه هذا الرسول في رسالته الاولى بين سنة ٦٣ و ٦٧ م وهو قوله « تسلم عليكم التى فى بابل المختارة معكم ومرقس ابني » (١ بط ٥ : ١٣) وقد اختلف المفسرون فى أى بابل يعنى الرسول . فقال قوم وهم الغربيون انه يقصد بابل رومية لكى يثبتوا ادعاءهم أن بطرس كان أسقفا على رومية ودليلهم اطلاق صاحب الرؤيا لقب بابل على رومية (رؤ ١٤ : ٨) لانها كانت تشبه بابل القديمة فى فسادها ولكن لا دليل على أن رومية كانت تعرف وقتئذ بهذا الاسم المجازى لان سفر الرؤيا كتب بعد موت الرسول بطرس بثلاثين سنة وقيل أيضا أن المشار اليها هى بابل اشور ولكنها كانت حينئذ قرية صغيرة ضاع مجدها السابق فليس هناك ما يلجىء بطرس الى الذهاب اليها وجعلها مركزا يكتب منه رسائله ولكن الصحيح انها كانت « بابليون » مصر القريية من عين شمس لانها كانت فى ذلك الوقت بلدة أهلة بالسكان فضلا عن انه كان فيها هيكل اليهود المشهور وعدد عظيم منهم وباعتبار أن بطرس كان رسولا للختان لاسيا بين المتشنتين لا بد له من تبشير يهود ذلك المكان . ومما يزيد المسألة ايضاحا ذكره لمرقس الرسول عقب ذكره لبابل (عد ١٣) ومعلوم لنا أن مصر كانت مركزا لمارمرقس فيكون بطرس فى ذلك الحين مقيا هناك حيث كتب رسالته

أما الغربيون فيدعون بأن مرقس ذهب الى رومية وهناك رسمه بطرس اسقفا وارسله للتبشير فى اكويلا من أعمال البندقية بايطاليا ولما رجع الى رومية لم يجد الرسول بطرس فطلب اليه المؤمنون ان يدون لهم أخبار السيد المسيح كما سمعوها من فم الرسول بطرس فدون انجيله باللاتينية ولما حضر الرسول بطرس الى رومية اطلع عليه وأعجب به وامره أن يذهب الى مصر سنة ٥٨ م فنقل انجيله الى اللغة اليونانية لينشره بين المصريين .

والخلط ظاهر فى هذا الكلام لانه يتضح لمن يطالع العهد الجديد أن علاقة مرقس كانت متصلة ببولس أكثر منها ببطرس . أما وجود بطرس ومرقس فى بابل مصر فسيببه أن مرقس بعد أن بشر فى انطاكية وقبرص ورمية واكويلا وخدم هناك خدمات جليلة ييم نحو افريقيا فجاء أولا الى مسقط رأسه فى الخمس المدن قصدا فى اجتذاب أهلها الى الايمان ومن ثم قصد الديار المصرية سنة ٥٥ م لنشر بشارة الخلاص فى انحاءها وهناك كتب انجيله فى سنة ٦١ م . قال القديس يوحنا فم الذهب « أن انجيل القديس مرقس قد كتب فى مصر (١)

واتفق أن بطرس الرسول أتى مصر لتبشير اليهود المتشنتين فيها كما هى خدمته فتقابل معه مرقس فى مدينة بابليون التى فيها حرر رسالته الاولى وذكر مرقس لوجوده معه فى ذلك الحين . وسبب تسميته بابنه ليس أنه كان خاضعا له فى الكرازة بل هو انه عرف المسيح بواسطته كما ذكر آنفا راجع (١ كو ٤ : ١٥ و ١٦)

قالوا أن مرقس كتب انجيله بمناظرة بطرس وارشاده واستدلوا على ذلك بأمرين (١) لانه لا يستطيع أن يستقى هذه الاخبار الا من أحد الرسل الاثنى عشر (٢) لان الانجيل خال من كل ما من شأنه أن يعود بالتعظيم على بطرس أما من جهة الامر الاول فان مرقس كما تعلم كان من السبعين تلميذا وكانت له علاقة بأغلب الرسل المقربين فلا شك انه أخذ هذه الاخبار عنهم كما أخذ عنهم لوقا أيضا فضلا عما هو معلوم من أن بيته كان مقرا لكثير من أعمال المسيح ورسله . وأما عن الامر الثانى فلا يبعد أن بطرس حينما قابل مرقس بمصر أطلعه على انجيله فأشار عليه من باب التواضع أن يرفع منه كل ما يعود عليه بالتمجيد فأجابه مرقس الى طلبه لما رأى فيه من الصواب

جاء مرقس الى الديار المصرية فى مدة او ثون قيصر فى وقت كانت فيه مشحونه بالاهالى عامرة بالسكان يبلغ عدد من فيها من النفوس اثنى عشر مليونا وقليل بل عشرين مليونا

واتخذ مار مرقس الاسكندرية مقرا لخدمته لانها كانت حينئذ تجميع اجناسا مختلفة من مصريين وحبش ونوبيين ويهود ويونانيين وغيرهم وكانت قصبة ولاية مصر ومركزا مهما للتجارة ومكانا أهلا بالعلم والعرفان وكانت تعتبر المدينة الثانية بعد رومية وكان فيها حيان لليهود من خمسة أحياء . وقبل أن يدخل الرسول المدينة صلى الى الله لكى يدرعه بالاسلحة الروحية اللازمة لمثل ذلك الجهاد الذى كان مزمعا أن يدخل فى ميدانه

ولما دخل المدينة جعل يطوف فى جميع شوارعها ليتفتقد أحوالها حتى تقطع حذاؤه وكان ذلك فاتحة خير لأعماله المجيدة ودبرت العناية الالهية أن يعرج على اسكافى بالسوق يدعى « انيانوس » ليرتق له الحذاء . وبينما كان الاسكافى يشتغل اذ دخل المخراز فى يده فأدماها ولشدة الألم صاح قائلا « ايوس ثاؤس » الذى تأويله « الاله الواحد » وهذا دليل على تمسك المصريين بعبادة الاله الواحد من قديم الزمان . فسأله القديس كيف يعرف الله فلم يجرب جوابا يؤيد ادراكه لما فاه به فطلب الرسول من أجله بجمرة وتفل على الارض وأخذ جزءا من الطين ووضع على الجرح وقال « بسم الآب والابن والروح القدس الى الابد أن تشفى يد هذا الانسان » فالتأم الجرح فى الحال

ثم ابتدأ الرسول يكرز للاسكافى بشارة الخلاص وكانت كيفية شفائه جعلته يصغى جيدا لكل كلمة يقوها الرسول ويخضع لها . ثم دعاه الى منزله فقبل الرسول هذه الدعوة بسرور وهناك فى تلك الدار اعترف الرجل وأهل بيته بيسوع مخلص العالم . ومن ثم أخذت كلمة الله تنمو وتمتد بسرعة حتى انه فى وقت وجيز تتلمذ للرسول كثيرون من المصريين رجالا ونساء فعمدهم ولكى يرشدهم الى حقائق الخلاص العميمة كتب لهم انجيله المقدس باللغتين اليونانية والقبطية وفى ذلك الحين

تقابل مع الرسول بطرس بينما كان يطوف البلاد وكان موضع المقابلة بابيليون كما سبق معنا وكان ذلك بين سنة ٥٨ و ٦٢ م ولما رحل الرسول بطرس عن مصر رجع مارمرقس من الطواف الى مدينة الاسكندرية وكان المؤمنون قد كثروا فساء هذا كهنة المصريين وأهل العلم بمدينة الاسكندرية ووقعت بين الفريقين مناظرات ومجادلات دينية أياما طويلا كان الظفر فيها لمرقس واصحابه فتآمر عليه الوثنيون فرسم انيانوس اسقفا للمؤمنين ومعه ثلاثة قسوس وسبعة شمامسة وخرج من عندهم وحضر الى برقة أو بالحرى الى الخمس المدن الغربية وأقام بها سنتين يبشرو ويرسم كهنة

ويظهر أنه فى ذلك الحين طلبه الرسول بولس اليه لمهام تبشيرية بينما كان مأسورا برومية أول مرة كما يتضح من (كو ٤ : ١٠) فلبى نداء بولس وذهب اليه فى رومية حيث اشترك معه فى اتعاب كثيرة كما يظهر من (فل ٢٤) فترى هنا أن مارمرقس الرسول قضى وقتا فى تدبير ورعاية كنيسة رومية ولكن لا تحت اشراف بطرس بل بموجب طلب بولس وتحت ارشاده . ولا بد أن يكون كاروز الديار المصرية قد زایل رومية بعد ذلك وذهب لزيارة شريكه فى العمل تيموثاوس بأفسس . ولما علم الرسول بولس ذلك ارسل لتيموثاوس رسالته الثانية بين سنة ٦٧ و ٦٨ يقول له « خذ مرقس واحضره معك لانه نافع لى للخدمة » (٢ تى ٤ : ١١) فانطلق مع تيموثاوس الى رومية ولم يتركها هذه المرة الا بعد استشهاد الرسولين بطرس وبولس بين سنتى ٦٥ و ٦٨ م ثم عاد الى الكنيسة الاسكندرية غرس يده وزرع يمينه ليفتقد أحوالها ويتبين شؤونها

ولما قدم الاسكندرية للمرة الثانية ربما فى أواخر سنة ٦٧ م أو أوائل سنة ٦٨ م وجد أن أثماره قد ازهرت والمسيحية آخذة فى الازدياد المطرد حتى ابتنى المؤمنون لهم كنيسة فى موضع يسمى « بوكاليا » أى مرعى البقر (١) وقيل انه فى ذلك الوقت أنشأ مارمرقس المدرسة اللاهوتية وأقام يسطس رئيسا عليها . ثم أخذ يحول فى جميع الاماكن التى يوجد فيها المؤمنون مثبتا اياهم على ايمانهم الاقدس

وقد حدث فى يوم ٢٩ برمودة (٢٦ أبريل) بينما كان المسيحيون يحتفلون بعيد الفصح والوثنيون بعيد الههم سيرابيس اخذ الرسول مرقس يقبح عبادة المخلوق دون الخالق ونهى سامعيه عن هذا الضلال وارشدهم الى طريق النور والحق والحياة . وكان الوثنيون يبغضونه بغضا شديدا كما رأوا نجاح عمله واتباع الوثنيين له . ولما سمعوا منه هذه الاقوال استنكروها للغاية وهاجوا فى المدينة طالبين مرقس الرسول لتجديفه على آلهتهم فتربصوا له والقوا عليه الايدى وربطوا حبلا فى عنقه

(١) كان مقرها شرقى الاسكندرية على شاطئ البحر بالقرب من الوادى الذى كان يضم الاضرحة والمقابر وقيل انها سميت

كذلك لانها كانت حظيرة للثيران التى كان الوثنيون يقرّبونها لاصنامهم

وأخذوا يطوفون به فى شوارع المدينة طول النهار ويجرونه فوق الصخور حتى تمزق لحمه وتهشمت عظامه وسال دمه البرىء وهو محتمل اهانات شديدة وتحقيرا كثيرا حتى أتى الليل فطرحوه فى السجن حيث ظهر له ملاك الرب فى رؤيا وشدد عزمته

ولما أصبح النهار عاد الوثنيون الى تمثيلهم الفظيع به وهم يزأرون و يصيحون قائلين « جروا الثور الى بوكاليا » وكان الرسول فى اثناء ذلك يسبح الله ويشكره حتى فارقت روحه الطاهرة جسده البار مستشهدا فى ٣٠ برمودة سنة ٦٨ م . واراد جماعة الوثنيين بعد ذلك حرق جسده فاوقدوا النار وأشعلوا جذوتها ولكن شاءت ارادة الله ان توقفهم عند هذا الحد السيء فهبت ريح شديدة وأمطرت السماء غزيرا فاطفئت نيران ايديهم ولبثت نيران قلوبهم تلتهب غيظا . وقد فر المسيحيون بجسد القديس ودفنوه بكنيسة بوكاليا . وقد حفظ فى كنيسة الاسكندرية الى الجيل السادس أوموفور يون القديس نفسه أو وشاحه الكنسى وجميع البطاركة الذين جلسوا على كرسى البطريركية بعده كان يلتزم كل منهم بعد انتخابه أن يضع فى عنقه الوشاح المشار اليه

وقد اظهر الرب على ايدى الرسول اثناء اقامته بالبلاد المصرية آيات كثيرة وعجائب متعددة تأسس بواسطتها ملكوت الله وتأييد انجيله . وقيل فى وصف الرسول انه كان معتدل القوام أبيض الشعر ناصعه يكلل هامته كالتاج . انفه طويل ورفيع . وتقاطيع وجهه جميلة متناسبة . حواجبه مائله الى الجهة الداخلة مقوسة . لحيته طويلة وكثيفة والرأس صلعاء . واصطلاح أن يرسم بجانب صورة القديس صورة اسد رمزا الى افتتاحه انجيله بالصراخ الاسدى صراخ يوحنا المعمدان فى البرية حيث قال « انا هو الصوت الصارخ فى البرية » وقيل ان ذلك من عمل أهالى البندقية الذين سرقوا جسده فى القرن التاسع حيث كانت علامة وطنهم المميزة لهم شكل أسد ذى اجنحة . أما الكلام على بقايا جسده فسيذكر فى حينه

(٢) انيانوس :

هو البطريرك الثانى من بطاركة الكرسى الاسكندرى سيم أسقفا سنة ٦٢ م فى شهر بشنس مدة حكم وسبانيوس قيصر بيدمار مرقس وذلك حينما برح هذا الرسول الاسكندرية لأول مرة فأقامه لينوب عنه فى تدبير الكنيسة مدة غيابه . وبعد انتهاء القديس جلس بعده على كرسى البطريركية وقد مربنا كيفية اهتدائه للمسيح وعقب ذلك ترك جميع مهامه العالمية واشغاله الدنياوية واشتغل فى خدمة حقل المسيح الجديد فى مصر وحول بيته الى كنيسة قال ابن بطريق المؤرخ « أن مرقس الرسول صير مع حنانيا (انيانوس) اثنى عشر قسيسا وأمرهم اذا مات البطريرك ان يختاروا واحدا من الاثنى عشر قسيسا و يضع الاحد عشر قسيسا ايديهم على راسه و يصلحونه بطريركا و يباركونه ثم يختارون رجلا فاضلا و يصيرونه مكان ذلك القسيس ليكونوا اثنى عشر ابدا

فلم يزل القسوس بمدينة الاسكندرية بطاركة الاسكندرية من الاثنى عشر قسيسا الى وقت الاكسندروس بطريك الاسكندرية الذين كان فى مجمع الثلاثمائة وثمانية عشر (نيقية الاول المسكونى) وانه منع من أن يصلح القسوس البطريرك وانقطع ذلك الرسم وأمر أن لا يصلح البطاركة الا الاساقفة « أهـ

غير أن أغلب المؤرخين يتفقون مع الانبا ساويرس بأن الرسول مرقس رسم مع انيانوس فقط ثلاثة قسوس وسبعة شمامسة جعلهم يخدمون و يثبتون الأخوة وقد شهد المؤرخون للبابا أنيانوس بالصلاح والتقوى وقال عنه اوسابيوس المؤرخ « انه كان محبوبا من الله مقبولا عنده » وقال آخر « كان قلبه ينظر قلب الله يعرف مشيئته و يتممها » أهـ

وفى عهد البابا انيانوس نجحت التعاليم المسيحية واتسع نطاقها وتمذهب بها الكثيرون من أرباب المناصب العالية والاكابر والاعيان وبعض رجال الدولة وكثر المؤمنون فرسم منهم كهنة وخداما واقام اثنتين وعشرين سنة وتنيح فى العشرين من شهر هاتور سنة ٨٤ م وقد تولى أثناء جلوسه على الكرسي سبعة قياصرة هم نيرون وجلبا واوثون وفيتيلوس وسباسيان وتيطس ودومتيان

(٣) ميلوس :

وهو ثالث بطاركة الاسكندرية انتخب للبطريركية بعد وفاة البابا انيانوس فى شهر كيهك سنة ٨٤ م وفى عهد دوميتيانوس قيصر باجماع آراء الشعب . وكان هذا البابا مشهورا بالعفاف متصفا بالتقوى والغيرة على رعية المسيح فأخذ يثبت الشعب فى الايمان حتى نما عدده بمصر والخمس المدن وافريقية وشرق المصريين يحتقرون الاعتقاد بعبادة الاوثان و يتهافتون على الانضمام لحضن المسيحية أفواجا وسادت فى أيامه السكينة وكانت الكنيسة متمتعة بالسلام الكلى

وقد روى بعض المؤرخين أن دوميتيانوس قيصر طرد البابا ميلوس من الكرسي الاسكندري وأقام عوضه غير أن هذه الرواية لم يقم دليل على صحتها ولم تتناقلها أقلام المؤرخين ورقد هذا البابا فى أول توت سنة ٩٦ م

(٤) كرزونوس :

البطريرك الرابع . وما علم الكهنة والاساقفة الذين كانوا يباشرون الخدمة فى البلاد بأن البطريرك تنيح حتى حزنوا واجتمعوا فى مدينة الاسكندرية وتشاوروا مع الشعب المسيحى الذين فيها وطرحوا القرعة لكى يعرفوا من يستحق الجلوس على كرسي الاسكندرية فاتفق رايهم بتأييد الله على انتخاب رجل فاضل اسمه كرزونوس قيل انه ممن عمدهم الرسول مرقس فرسم بطريركا فى

شهر بابة سنة ٩٦ م فى عهد تراجان قيصر وكان عفيفا متصفا بكل الصفات الصالحة فرعى كنيسة باجتهاد وأمانه مدة عشرين سنة وستة أشهر وعشرة أيام

وقبض عليه واستشهد فى الاضطهاد الذى اثاره تراجان قيصر. قيل ان سبب القبض عليه هو ان واليا رومانيا قال له «لماذا لا تشاركون الهتنا بالهكم وتبقون على عبادته» فأجابه «لأننا لا نسجد لآخر» وكان استشهاده فى ٢١ بؤونه سنة ١٠٦ م وقد خلا الكرسي بعده ثلاث سنوات نظرا لشدة الاضطهاد وعدم تمكن الشعب المسيحى من انتخاب خليفة له

القسم الثالث المملكة والكنيسة

(١) اضطهاد الوثنيين (٢) اضطهاد تراجان

(١) اضطهاد الوثنيين :

فى زمن ظهور الديانة المسيحية بمصر كان زمام الحكم فيها بيد المملكة الرومانية . ولم تكن الحكومة تعنى بالمسيحيين فى مصر فى القرن الاول لقلة عددهم غير أن اشرار الوثنيين كانوا يضايقونهم ويتحرشون بهم فى الطرقات ويهجمون عليهم فى مجتمعاتهم وراح ضحية تلك التعديات مارمرقس الرسول وفى يوم استشهاده تتبعوا النصارى وامعنوا فى قتلهم والتنكيل بهم فلأوا بجثثهم أكثر الطرقات وكان ذلك اليوم يوما مشهودا

(٢) اضطهاد تراجان :

وفى آخر هذا القرن نما عدد المسيحيين بالاسكندرية فامتد اليهم لهاب اضطهاد القيصر تراجان الذى تولى سنة ٩٨ م واشتد عليهم واستشهد فى ذلك الاضطهاد البابا كرزونوس البطريرك الرابع وكان فى بدء ظهور النصرانية ينظر اليها كشعبة يهودية خطيرة ولما اشتعلت ثورات اليهود على المملكة الرومانية اضطهدت الحكومة المسيحيين مع اليهود لظنهم انهم قسم منهم فنال المؤمنون فى الاسكندرية شداثد عظيمة

القسم الرابع البدع

(١) كرنثيوس (٢) الغنوسطيون

(١) كرنثيوس :

هو يهودى المولد تعلم الفلسفة بالاسكندرية و بث ضلاله سنة ٧٣ م وحاول فى حياة يوحنا الرسول أن ينشئ ديانة جديدة يؤلفها من تعاليم المسيح ومبادئه ومن تعاليم الكنوسسيين (١) واليهود . فأخذ من الكنوسسيين خرافات البليروما (أى العالم الاعلى) والايون (أى الاشخاص السماوية الخالدة بنو الارواح) ودميورج (أى خالق العالم الذى يختلف عن الاله الاعظم) ولكنه أظهر مبادئه بصورة لا ينفر منها اليهود فعلم أن الذى سن الشريعة لليهود هو خالق هذا العالم وهو ذو مناقب حميدة وصفات شريفة مكتسبة من الاله الحق غير أن هذه الفضائل لم تلبث حتى تدنست فأراد الله أن يلاشى سلطان مشترع اليهود بواسطة ايون مقدس يدعى المسيح . وكان رجل يهودى اسمه يسوع كامل وقدوس وابن بالطبيعة ليوسف ومريم فهذا حل فيه المسيح بنزوله عليه بهيئة حمامة عند عماده من يوحنا بنهر الاردن . وحال اتحاد المسيح بيسوع قاوم هذا بشجاعة اله اليهود خالق العالم فحرض هذا عليه اليهود فقبضوا عليه ليصلبوه فلما رأى المسيح انهم قبضوا على يسوع طار الى السما وترك يسوع فصلب وحده

ولهذا أوصى كرنثيوس اشياعة باحترام الاله الاعظم ابى المسيح و باحترام المسيح وأمرهم بعدم اعتبار مشترع اليهود و برفض مبادئ الناموس الموسوى واوصاهم بالسير على نظام المسيح معلما اياهم بأنه سيعود ثانية و يتحد بالانسان يسوع الذى حل فيه قبلا ويملك مع تابعيه على فلسطين الف سنة . ثم وعدهم بقيامة أجسادهم وتمتعها بافراح سامية فى مدة ملك المسيح الف سنة وبعد ذلك يدومون فى حياة سعيدة فى العالم السماوى

(١) الكنوسسيون هم قوم زعموا بأنهم قادرون أن يردوا للبشر ما فقدوه من معرفة (أى كنوسس) الاله الاعظم ونادوا بانقلاب المملكة التى شيدها خالق العالم واصحابه وكان أول ظهورهم بعد موت الرسل

(٢) الغنوسطيون :

ان الغنوسطية أى مذهب التوليد انشئت فى فلسطين أو فى سورية عند ظهور الدين المسيحى . ولم يكن مذهب الغنوسطيين الا موقفا بين الدين المسيحى الجديد والاديان القديمة وأقيم له فى الاسكندرية مدرسة فى أوائل القرن الثانى للميلاد واعتنقه بعض المصريين . الا أن الغنوسطية المصرية كانت تختلف عن الاسيوية فاعتقد المصريون ان المادة ابدية وحيوية أيضا واعتبروا غالبا المسيح مخلصنا انه شخصان الانسان يسوع وابن الله او المسيح . فالمسيح الشخص الالهى زعموا انه دخل فى يسوع الانسان حين اعتمد من يوحنا وتركه حين قبض عليه اليهود . ثم انهم نسبوا للمسيح جسدا حقيقيا لا وهما مع انهم لم يتفقوا على ذلك . كما أنهم وضعوا لا تباعهم شرائع تبيح بفساد أميال البشر . وظل علماء المسيحيين الافاضل يقاومون كل البدع التى كانت تنشأ من هذه الفلسفة مدة طويلة وانقرضت آخر شيعة لاهل هذه الهرطقة فى أواخر القرن السادس

القرن الثانى

القسم الاول تاريخ البطاركة

(١) بريموس	(٢) يسطس	(٣) اومانوس
(٤) مركيانوس	(٥) كلاديانوس	(٦) اغرينيوس
(٧) يوليانوس	(٨) ديمتريوس (١)	

(١) بريموس :

البطريرك الخامس : ولد بمدينة الاسكندرية وقيل انه ممن عمدهم الرسول مرقس . وقال عنه الانبا ساويرس المؤرخ انه كان عفيفا كالملائكة و يفعل افعالا حسنة بنسك فاجعت كلمة المؤمنين على انتخابه بطريركا . ولما ارتقى الكرسي المرقسى فى شهر ابيب سنة ١٠٩ م فى عهد ادرينانوس قيصر ازداد تمسكا بالفضائل وأضاف اليها الاجتهاد المتواصل فى سبيل تقدم المسيحية فى عهده ولهذا لم يكن يفتأ يقوم بنفسه بالوعظ والارشاد بدون كلل ولأجل هذه الغاية كان يتخير الرجال الاكفاء و يقيمهم أساقفة وقسوسا ووعاظا ليهذبوا الرعية بالآداب المسيحية وقد لبث يشتغل فى توسيع نطاق الكنيسة ١٢ سنة وساعده على تقدم العمل أن الكنيسة فى ايامه كانت فى سلام تام وطمأنينة كاملة . وكانت وفاته فى ٣ مسرى سنة ١٢١ م

(٢) يسطس — البطريك السادس :

وحالما توفي الاب بريموس وقع اختيار الشعب على هذا الآب الفاضل الحكيم فرسم بطريكاً في شهر توت سنة ١٢١ م في عهد ادر يانوس وهو مولود بالاسكندرية ولما أسس الرسول مرقس المدرسة اللاهوتية اقامه رئيساً عليها . فلبث يعلم في تلك المدرسة حتى اقيم بطريكاً فترك وظيفته الاولى الى أومانيوس وأخذ هويته بمسئولية وظيفته الجديدة فخدم فيها بكل أمانه .

وجعل أهم أغراضه تبشير الوثنيين وجذبهم الى المسيحية فنجح في عمله وتنصر منهم عدد عظيم . واستمر قائماً بوظيفته عشر سنين وعشرة اشهر وخمسة عشر يوماً وتنيح في ١٢ بؤونه سنة ١٣١ م

(٣) أومانيوس البطريك السابع :

وعقب البابا يسطس أومانيوس احد أفاضل مسيحي الاسكندرية . وقع الاختيار عليه في شهر أبيب سنة ١٣١ في عهد ادر يانوس لما كان معروفاً عنه من العفة والنزاهة لأنه كان بتولا طاهراً . كان قبلاً مديراً للمدرسة اللاهوتية ومن اشهر أعماله في مدة البطريكية رسامة أساقفة للكراسة المرقسية فاقام منهم عدداً كبيراً أرسلهم الى كل جهات القطر المصري والنوبة والخمس مدن الغربية لنشر بشري الخلاص

وفى عهد هذا البابا البار اشتد الاضطهاد على المسيحيين فنال الشهداء كثيرون من الاقباط وأقام البابا اومانيوس على كرسي الاسكندرية ثلاث عشرة سنة برضى الله والشعب وتنيح في ٩ بابه سنة ١٤٤ م

(٤) مركيانوس — البطريك الثامن :

ارتقى السدة المرقسية في شهر هاتور سنة ١٤٤ م في عهد انطونيوس بيوس قيصراً وهو مولود بالاسكندرية وكان مديراً للمدرسة اللاهوتية واستحق أن يرقى الى البطريكية لفضائله واخلاقه الحميدة وقد حقق آمال من انتخبوه فاخذ بعد تنصيبه ينهج على آثار اسلافه الافاضل وينسج على منوالهم في هداية النفوس وتهذيب الاخلاق رغم الاضطهاد الذي كان مشتداً على المسيحيين وقتئذ . ولبث في جهاده هذا مثابراً مدة تسع سنين وشهرين و٢٦ يوماً الى أن رقد بالرب في ٦ طوبة سنة ١٥٤ م

(٥) كلاديانوس — البطريك التاسع :

انتخبه شعب واساقفة الاسكندرية بطريكاً ورسم على الكرسي الرسولي في شهر امشير سنة ١٥٤ م في عهد انطونيوس بيوس وكان محبوباً من الجميع وهو مولود بالاسكندرية وكان باراً حكيماً . ولما قبض على زمام الرئاسة اخذ يتعهد الزرع الذي تركه له أسلافه وكانت أيامه هادئة لم

يحصل فيها للنصرانية ما يكدر صفوها . ولبت مواظبا على عمله مدة أربع عشرة سنة وستة أشهر وثلاثة أيام وتوفى فى ٩ أبيب سنة ١٦٧ م

(٦) اغريبيوس — البطريرك العاشر :

ولد بالاسكندرية ورسم قسا بها وعرف بالصلاح والتقوى ونال رضا الشعب والاساقفة بعد وفاة سلفه فجلس على كرسیه فى شهر مسرى سنة ١٦٧ م فى عهد مرقس أوريليوس قيصر وبدأ يرشد و يعلم حتى تقدم فى عهده العمل الروحى وانتشرت كلمة الخلاص وزاد عدد المنضمين الى دين المسيح . وقضى على الكرسي اربع عشرة سنة وسبعة أشهر وتوفى فى ٥ أمشير سنة ١٧٨ م

(٧) يوليانوس — البطريرك الحادى عشر :

ولد بالاسكندرية وقيل انه كان تلميذا بالمدرسة اللاهوتية تحت ادارة الفيلسوف القبطى بنتينوس ففاق أترابه فى العلم وظهر عليهم بتقواه واستحق أن يرسم قسا . وبعد ذلك اختير بطريركا فى شهر برمهاث ١٧٨ م فى عهد مرقس أوريليوس وعقب رسامته اشتغل بوضع ميامر (١) لاسلافه البطاركه تخليدا لذكورهم وفائدة لخلفائهم

وكان هذا البابا الفاضل متقربا من الهه حتى أعلن له قبيل وفاته عن الشخص الذى سيلحقه فى البطريركية وذلك انه قد ظهر له ملاك الرب فى احدى الليالى قائلا « ان من يأتيك غدا بعنقود عنب هو الذى يكون بعدك على الكرسي المرقسى » واتفق فى ذلك الصباح أن رجلا كراما عاميا لا يدرى القراءة ولا الكتابة من أصل قبطى مسيحي يدعى ديمتر يوس بينما كان يشذب أشجاره عثر بها على عنقود فى غير أوانه ففكر أن يهديه للبطريرك

وكان البابا يوليانوس حينئذ فى أوقاته الاخيرة واجتمع حوله كبار الشعب وعظمائه يستفهمون منه عمن يجدر به أن يكون خلفا له . فاخبرهم انه هو الذى يأتى الينا و يقدم عنقود عنب ، فظنوا متحيرين أن البطريرك لا يعى ما يقول اذ لا يمكن أن يوجد عنب فى الشتاء وبينما هم كذلك اذا بديمتر يوس قد دخل وعنقود العنب بيده وقدمه للآب البطريرك فدهش الحاضرون وتناول البطريرك الهدية بسرور وأعلمهم بخبر ظهور الملاك له واوصاهم بانتخاب من عينه روح الله فاطاعوا وصيته وفعلوا بحسب اشارته

وكانت مدة بطريركية البابا يوليانوس عشر سنين وتوفى فى ٨ برمهاث سنة ١٩٠ م وقال الانبا ساويرس فى خاتمة ترجمة هذا البابا « ومن بعد هذا البطريرك لم يقم أسقف الاسكندرية فيها بل صار يخرج سرا ويوسم كهنة فى كل مكان كمار مرقس الانجيلى » أه

(١) ميمر كلمة سريانية معناها سيرة

(٨) ديمتريوس ١ - البطريرك الثانى عشر :

ولما قيل لهذا البابا انه انتخب ليكون بطريركا توسل بضراعة ملتصقا أن يعفى من هذه المسئولية الهائلة محتجا بعدم علمه وزواجه اذ كانت العادة ان البطريرك ينبغي أن يكون بتولا . فلم يلتفت الى طلبه وتمت رسامته رغما عنه فى ١٨ برمهات سنة ١٩١ م فى عهد كومودوس قيصر فلما رأى ذلك أخذ للحال فى اجهاد جميع قواه توصلا الى استدراك ما فاتته من العلوم والمعارف ففتح الله عليه بشيء كثير من العلم والحكمة حتى أصبح فى مقدمة علماء ذلك الزمان

روى انه استحضر لديه معلما ليعلمه فكان يجلس هو على الكرسي ويجلس المعلم تحت موطىء قدميه فلم يكن يفهم شيئا فذات ليلة ظهرت له السيدة العذراء وقدمت له دواة ملائمة ماء فشرها ولما أصبح الصباح طلب من معلمه أن يجلس على الكرسي ويجلس هو تحته ففتح الله ذهنه وصار يفقه كل ما يلقى عليه من الدروس حالا

وكان هذا البابا على جانب عظيم من التقوى حتى انه لم يباشر زوجته مباشرة زواج البتة وقد حدث أن البعض تقمقموا عليه بسبب زواجه ولم يرق فى نظرهم أن يكون البطريرك ذا زوجة كباقي الناس فعلم بهذا الامر وانتهاز الفرصة فى يوم الصلاة وبعد تأدية الخدمة الدينية استحضر زوجته ووضع فى مئزرها بعضا من جمر نار المبخرة ووضع كذلك فى جيبته وطاف على هذه الحال هو وهى بين الشعب وأمامهما نفر من الشماسية ينشدون التراتيل الروحية حتى انتهوا من دورتهم دون أن يحدث للمئزر والجبّة أى شيء من تأثير النار فاندھش المنتقدون واقتنعوا بواسطة ما شاهدوه بطهارة معاشرته لامراته وطلبوا منه الصّبح والغفران . وقيل انه كان فى مبدأ أمره ممتنعا عن الزواج فاجبره والده على الزواج من ابنة عمه وبعد اقترانه من امرأة صالحة كانت قد نذرت البتولية وأجبرت على الزواج نظيره كاشفا بعضهما بما فى عزمهما واتفقا على المعيشة معا بطهارة تامة فعاشا كذلك ٤٨ سنة ، قيل وكان ملاك الله يظللها أثناء نومهما . وبعد هذه الحادثة أمر زوجته بأن تعيش مع العذارى اللواتى نذرن العفة وانفردن للعبادة

ولعظم تقوى هذا البابا كان مطلعا بالروح على أعمال الخطاة القبيحة . فكان يكثر من توبيخهم وتبكيهم وعندما كان أحدهم يتقدم الى تناول الاسرار المقدسة وهو متعلق بأية خطية كان يمنعه من الاشتراك ويوضح له خطيته حتى يخجل و يقر بذنبه و يتوب توبة حقيقية

ولبث مواظبا على عمله حتى شاخ وكبر فكان يحمل الى البيعة فى محفة وهو لا يفتر عن التعليم من الغداة الى الليل والاخوة يتوافدون اليه للاستفادة من تعاليمه والاستفهام منه عما اشكل عليهم اذ اركه مع أن قواه لم تكن تساعد على الفحص فى العلوم والكتب الاخرى . وكان بطريرك الاسكندرية هو الاسقف الوحيد فى مصر لحد ذلك العهد فرأى هذا البطريرك انه من الضرورى أن يعين ثلاثة اساقفة آخرين للاقاليم البعيدة عن مركز البطريركية ليتمكنوا من رعاية قطيع المؤمنين

وفى سنة ٢٠٢ م رقى هذا البابا العلامة اوريجانوس رئيسا للمدرسة اللاهوتية خلفا لاكليندس الاسكندرى . وفى سنة ٢٣١ م ساء البطريرك الظن باوريجانوس ووقع بينها نفور ادى البطريرك الى عقد مجمع حرم فيه اوريجانوس ونفاه وعين مكانه ياروكلاس أحد تلاميذ اوريجانوس

ويقول المؤرخون أن هذه هى الغلطة الوحيدة التى شطب بها البابا ديمترى يوسف عن سبيل الصواب وذلك لانهم يذكرون لاوريجانوس دفاعا المجيد عن المسيحية وكان يجدر ببطريرك تقى كهذا أن لا ينسى ماض اوريجانوس الذى يدل على غيرته وفضله لاجل غلطة صغيرة ارتكبها كما سيأتى بنا فى ترجمة ذلك العلامة

وفى أيام هذا البابا كان هياج بمدينة الاسكندرية وثار الاضطهاد على المؤمنين فسطا لينوس والى مصر الرومانى على البطريركية ونهب أمتعتها وسلب أواني الكنيسة وقبض على البطريرك نفسه ونفاه الى اوسيم (١) حيث بقى فيها الى أن هدأت نيران الاضطهاد ولبث على الكرسي ٤٢ سنة ثم توفى فى ١٢ بابه سنة ٢٣٢ م وله من العمر ١٠٥ سنة

القسم الثانى مشاهير الكنيسة

- (١) المدرسة اللاهوتية (٢) بنتينوس
(٣) اكليندس الاسكندرى (٤) اوريجانوس

(١) المدرسة اللاهوتية :

قيل أن مؤسسها هو مرقس الرسول سنة ٦٨ م وكانت تسمى المدرسة الكاتشيس (أى تعليم قواعد الايمان بالسؤال والجواب) وكان الغرض من انشائها تعزيد الديانة المسيحية لان الدين المسيحى لقى فى الاسكندرية مصاعب لم يلق مثلها فى غيرها وكان لابد له من التغلب عليها . وسببها أن الشعب كان يكره دين اليهود الذى هو أساس المسيحية وكان علماء الموز يوم الذى كانت فى ايديهم ادارة الشعب أقل استعدادا لقبول تعاليم مصدرها كمصدر الدين المسيحى . فرأى المسيحيون فى الحال انه لابد من اصلاح تعليمهم اصلاحا خصوصيا فى مدينة خاصة بالفلاسفة والمحققين فأنشأوا تلك المدرسة للذين كانوا يريدون أن يتضلّعوا فى معرفة أصول الديانة

(١) كانت هذه المدينة فى العصر المسيحى مركزا دينيا مهما بها أكثر من ٣٦٠ كنيسة ولكن العرب بعد دخولهم الى مصر أضعفوا شأنها حتى صارت فى أوائل القرن التاسع عشر بلدة صغيرة على مسيرة ساعتين للراكب من كوبرى امبابه

وفى أواخر القرن الثانى انحاز بنطينوس أحد الرواقين القدماء الى تلك المدرسة التى كانت تناظر الموزيوم فى العلوم الادبية والدينية وجعل مديرا لها : ثم اعتنق الفيلسوف اثناغورس الاثينى الدين الجديد واستلم ادارة مدرسة خلفه فيها قوم أعظم منه . وفى عهد اكلميندس واوريغانوس بلغت تلك المدرسة اسمى درجات المجد وفاقت كل المدارس النصرانية التى انشئت فى القرون الاولى للميلاد فكان يدرس فيها فوق اللاهوت والفلسفة المنطق والطبيعة والرياضة والفلك والموسيقى لان العلوم كانت لها ضربة لازمة لوجودها فى وسط ديانة يهودية مستندة الى الفلسفة ومدارس يونانية أو مصرية مستندة الى النظمات العمومية وهرطقة اريوس وهى دقيقة تميل اليها القلوب ومقاومين اشداء اقلقوا الكنيسة فى أزمانها الاولى وهم الغنوسطيون المشار اليهم آنفا

واعتنى علماء تلك المدرسة بأن يعرضوا الدين المسيحى على الناس عرضا تعمقوا فى البحث عنه وذلك ما سماه القديس اكلميندس الاسكندرى « الغنوسطية الحقيقية » المضادة للغنوسطية الهرطوقية التى انتحلت هذا الاسم زورا وبعد أن عرضوا الايمان المسيحى على هذا المنوال ألفوا تأليف شتى لتفسير التوراة ونبذات خصوصية فى قواعد الاعتقاد والقانون الوجيز المكمل المنسوب الى القديس اثناسيوس وكل الارتقات المشهورة ولا سيما ارتقات الالفين وسابيليوس وار يوس ونسطورس واوطيخا صادفت مقاومين اشداء فى المدرسة المسيحية

هذه هى المدرسة اللاهوتية التى امتد فضلها الى كل الاصقاع وانتشر نورها فى كل مكان وكفاهها فخرا أن تخرج منها فطاحل بابوات الاسكندرية وحماة البيعة المقدسة . ومع انها أصيبت بمحن شديدة واضطهدت فى أيام ساويرس سبتيموس وديوكلتيانوس القيصرين الا انها رجعت الى رونقها بعد وفاة المضطهدين ومن دلائل عظم شأنها أن منصب رئيسها لاهيته كان يلى المنصب البطريركى فى الرتبة وجل البطارقة انتخبوا من رؤسائها

وظلت زاهرة بالعلوم ويفد اليها طلاب من كل أصقاع المسكونة حتى قام رودن آخر رئيس تولاهما ونقلها من مكانها الى بلدة سيد فى اقليم بامفيليا بدون سبب يدعو لذلك فأضر بها هذا النقل ضررا عظيما وتناقص عدد طلابها . ولما حدث ذلك الانشقاق المحزن الذى سببه مجمع خلكيدون فى اواسط القرن الخامس اندكت معالم تلك المدرسة واصبحنا لا نعرف عنها الا أنها كانت مقر العلم ومقصد العلماء

واليك أسماء الذين تعاقبوا على رآسة هذه المدرسة :

(١) يسطس — أول من صار رئيسا على تلك المدرسة عينه مارمرقس الرسول وظل متواليا رئاستها فى أواخر سنى حياة الرسول وفى عهد البطارقة الاربعة الذين خلفوه وكان للبابا انيانوس البطريرك الثانى عناية خاصة بتلك المدرسة وتعلم من مارمرقس كيف يهذبهم وكانوا جميعهم كما

أخبرنا المؤرخون المسيحيون وفيليون اليهودي أيضا زاهدين في الدنيا لا يكثرثون بشيء من حطامها وإنما كانوا يهتمون بالله فقط . ومن ثم كانوا جميعهم متحدين بمحبة صافية وفائزين بسلام الارواح السماوية ولم يكن بينهم فقير ولا غني لان الاغنياء منهم كانوا قد اعطوا أموالهم للفقراء لكي يفكر كل واحد فيما يجعل الانسان غنيا بالله . ولم يكونوا يتناولون مأكلا سوى مرة واحدة كل يوم وذلك بعد غروب الشمس وبعضهم كانوا يصومون ثلاثة أيام أو خمسة من دون أن يأكلوا شيئا . وكان مأكلمهم الخبز ومشرهم الماء لا غير . وذلك كان للرجال والنساء على حد سوى

(٢) اومانيوس : في مدة بطريركية يسطس

(٣) مركيانوس : في مدة بطريركية اومانيوس

(٤) بنتينوس

(٥) اكلمندس في بطريركية ديمتريوس

(٦) أوريجانوس

(٧) ياروكلاس

(٨) ديونوسيوس

(٩) ثاوغست في بطريركية ثاؤنا

(١٠) بيروس (١)

(١١) ارشلاوس

(١٢) بطرس : في بطريركية ارشلاوس

(١٣) سيرابيون (٢)

(١٤) مقارالسياسي في بطريركية اثناسيوس

(١٥) ديديموس الضريير

(١٦) رودن : في بطريركية كيرلس الاول

(١) كان كاهنا تقيا ورعا اشتهر بالتزهد والتنسك وعرف بطلاقة اللسان وفصاحة المنطق حتى لقبه البابا بطرس البطريرك السابع عشر «اوريجانوس الصغير» وقد تتلمذ له كثيرون اشتهرهم بمفيلوس البيروتي . وحوالي سنة ٢٨٢ م استشهد بيروس على ما يظن في الاضطهاد الذي احدثه فاليريان قيصر

(٢) كان عالما متضلعا وكاتبا ماهرا وصديقا وفيا للبابا اثناسيوس الرسولي ولذلك ارسله مع من أرسلهم الى القيصر قسطنطين الكبير

(٢) بنتينوس :

ولد بالاسكندرية فى أوائل القرن الثانى وهو من أصل قبطى (٢) قيل انه كان قبل تنصره من فلاسفة الرواقين (٣) والظاهر انه كان هو ومعاصره اكلمندس الاسكندرى تلميذين لاثناغورس الفيلسوف (٤) وكانا كباقي مسيحي مصر متضلعين فى علوم القدماء وحكمتهم ، كتضلعهم فى كل الحقائق والمبادئ المسيحية

تولى بنتينوس رئاسة المدرسة اللاهوتية حوالى سنة ١٨١ م واستمر فى وظيفته حتى أتت رسالة من بلاد الهند الى البابا ديمتر يوس البطريرك يلتمس فيها أهلها أن يرسل اليهم عالما تقيا يعلمهم الايمان فوق اختيار البطريرك على هذا العلامة وعرض عليه الامر فقبله بكل سرور وتخلّى عن رئاسة المدرسة سنة ١٩٠ م بعد أن سلم مقاليدها الى زميله اكلمندس حتى يعود اليها . ومن ثم توجه الى بلاد الهند واذاغ فيها بشرى الخلاص . قيل انه وجد عند الهنود نسخة من انجيل متى باللغة العبرانية مكتوبة بخط الانجيلي نفسه وكانت موضوع اجلالهم واكرامهم فسألهم عن أتى بها اليهم فاجابوه انه الرسول برثولماوس . وبعد أن صرف فى بلاد الهند مدة لا نعلم مقدارها رجع الى الاسكندرية واتى بهذه النسخة اليها

وفى ذلك الحين شعرت الكنيسة بضرورة الشروع فى ترجمة حياة السيد المسيح الى اللغة المصرية فأخذ بنتينوس على عاتقه القيام بهذا العمل غير انه رأى أن اللغة الهيروغليفية لا تصلح للنطق ببعض مقاطع ولهجات اضاف عليها ستة حروف من الابجدية الهيروغليفية ومن ثم بدأ فى العمل بمساعدة تلاميذه حتى انجزه واستطاع أن يخرج الكتاب المقدس للمصريين بلغتهم ليتعلموه فى بيوتهم وكنائسهم . ومن ذلك الحين أهملت الكتابة بالاقلام الهيروغليفية واعتاضت عنها الكتابة اليونانية

(٢) يميل بعض الغربيين الى القول بأن أغلب الكنيسة القبطية كانوا من أصل يونانى و يكفيها فى دفع افتراء هؤلاء القوم الذين يحاولون تجريد الكنيسة القبطية من كل ميزة حتى من علمائها ما جاء فى كتاب « برهان الكنيسة الشرقية » الذى طبعه تلاميذ مدرسة اليونان بمدينة رومية سنة ١٧٠٢ م حيث قيل « انما دعى الاباء الشرقيون يونانيين لانهم كتبوا تأليفهم باللغة اليونانية » (٣) الرواقية فلسفة قديمة تجددت قبل الميلاد بسنتين وقد قال أصحابها ان الخير الاعظم فى الفضيلة وغرضهم كان اتحاد الدين بالفلسفة وقد اقرروا بوجود الله ولكنهم قالوا بأنه حال فى كل شىء وبأنه توجد آلهة صغرى اتفقت مع آلهة الديانة المقبولة عند الجمهور .

(٤) هو من الاسكندرية ويسمى الفيلسوف الاثينوى كان مشغلا بوظيفة عالية مهمة فى متحف تلك المدينة واعتبر من أساطين الديانة الوثنية . وكان كثيره من الفلاسفة الافلاطونيين يكرهون الديانة المسيحية ورغبة فى مقاومتها اجهد نفسه فى درس تعاليمها جيدا وواظب على ذلك بهمة لا تعرف الملك فكانت النتيجة ان قوة تأثير الديانة المسيحية والحق المؤسسة عليه قد فعلا فيه فعلا حسنا فتغيرت أفكاره وآمن بالمسيح سنة ١٧٦ م وأصبح من أعظم انصار الديانة المسيحية وأكبر المدافعين عنها . ومما كتبه لهذا الغرض رسالة عنوانها « الى مرقس اور يليوس وكمودس » و يظن أن تاريخها بين سنتى ١٧٦ و ١٧٧ م دافع فيها عن التنازم التى كان اعداء المسيحية يوجهونها اليها

وعاش هذا الفيلسوف بعد أن تولى إدارة المدرسة اللاهوتية مرة ثانية مدة وجيزة ثم توفي سنة ١٩٠ م وقد ألف هذا العلامة تفاسير كثيرة على الاسفار الالهية حتى قال عنه تلميذه وخليفته أنه كان موعبا من روح الكتاب . غير أن جميع كتاباته مفقودة

(٣) اكليمندس الاسكندري

هو تيطس فلافيون ذهب بعضهم الى انه ولد بالاسكندرية فنسب اليها . وقيل انه لقب بالاسكندري تمييزا له عن سمية اكليمندس الروماني . وقال آخرون انه ولد في اثينا نحو اواسط القرن الثاني ثم تفرغ منذ حداثة لدرس الفلسفة فتضلّع في الفلسفتين الرواقية والافلاطونية (١) واذا لم يجد فيها ما كانت تصبو اليه نفسه سعى يطلب الحقيقة فزار بلاد اليونان وايطاليا وآسيا الصغرى ومصر وخالط المعلمين النصارى فأثر فيه ما سمعه من القديس بنتينوس مدير المدرسة اللاهوتية فاهتدى الى النصرانية وصار من المساعدين لمعلمه في المدرسة واشتهر في معرفة الاسفار الالهية . ذهب بعضهم الى انه خلفه في ادارتها نحو سنة ١٩٠ م وبقيت ادارة مدرسة الاسكندرية منوطة به الى سنة ٢٠٢ م وفيها حدث الاضطهاد الذي قام به ساويرس قيصر فاضطره الامر الى الفرار الى فلسطين فزار اورشليم وانطاكية

وذكر في بعض الروايات انه كان في اورشليم سنة ٢١٠ و ٢١١ م لان اوسابيوس أسقف قيصرية (٣١٥ م) الملقب بابي التاريخ الكنسي ذكر في ذلك التاريخ انه كان حاملا رفيا من أسقف اورشليم الى كنيسة انطاكية وأقام أولا في اورشليم حيث وجد الاسكندر اسقفها مسجوناً ثم قصد مدينة انطاكية واجتمع باسكيلابيادس أسقفها ولم يعلم عنه شيء في السنين الاخيرة من حياته

وقال الباحثون أن هذا القديس يمتاز بين آباء الكنيسة بتضلعه في الفلسفة اليونانية ومحبة لها وكان يعتبر الفلسفة علما الهيا والفلاسفة أنبياء الوثنية . وكانت تعاليمهم عنده تمهيدا لطريق المسيح بين الوثنيين كما كان ناموس موسى تمهيدا لها بين العبرانيين ولم يكن يثبت احدى المدارس الفلسفية ولا خطر له قصد منتسق لجهة اللاهوت المسيحي . وكل الجهد الذي بذله في التأليف بين الفلسفة والدين كان منحصرا في تفاسير رمزية للكتاب المقدس وراء يظهر لمن أمعن فيها النظر انها جديرة ببعض أصحاب العلم الالهى أكثر مما هي حقيقية بمسيحي غير انه بمقابلته بين الآراء المسيحية والآراء اليونانية حصل له نفوذ فيهم في عصره وساعد على انتشار الفلسفة المسيحية

(١) تعلم هذه الفلسفة بأن العالم يسوسه اله مستقل قدير عاقل . وكان افلاطون يعلم الناس ما يجب أن يخافوه وما يجب أن يرجوه بعد الموت وتعاليمه من جهة الارواح وانفس البشر عبارة عن خرافات محضة

وللقديس اكليميندس ثلاثة مصنفات لا تزال موجوده عنوان الاول « تحريرىض الامم » وفيه يحرضهم على الرجوع من عبادة الاوثان الى خدمة الاله الحق وكلمته . والثانى « المرشد » فى ثلاثة أجزاء ومضمونه تثقيف المؤمنين الحديثين وتهذيبهم فى معرفة الانجيل . والثالث « المتنوعات » فى ثمانية مجلدات وهويتضمن مقالات عديدة فى مواضيع فلسفية وحقائق انجيلية وذكر بعض التعاليم الباطلة ودحضها غير أن المجلد الثامن منه مفقود . ولنا منه رساله عنوانها « من يخلص الاغنياء » مؤلفه على طريقه المقالة . وهناك أيضا اجزاء مؤلفات له مواضيعها « عيه الفصح . الصوم . النعمة . القوانين الكنسية . اغلاط المشهورين » . ومن مؤلفاته المفقودة كتاب « المقتطفات » فى ثمانية أجزاء وهويتضمن ملخص حوادث الكتاب المقدس . وقد اقتبس أوسابيوس شواهد كثيرة من هذا الكتاب وذكر رسالة أخرى لا كليميندس عنوانها « الحث على الصبر » خاطب بها المعتمدين جديدا وكذلك تنسب اليه ترنيمة المخلص

غير أن كتابه فى شرح الاسفار المقدسة بالاختصار يحتوى على اغلاط وحكايات منقولة عن الفلسفة الوثنية وهرطقة الغنوسطين . ولما كان أوسابيوس وايرينيموس قد ذكرا الكتاب دون أن يذكر الاغلاط الفظيعة التى ذكرها فوتيوس كان يظن أن الاغلاط المذكورة قد أدخلها فيه الهراطقه بعد ذلك اذ كان من دأبهم أن يفسدوا تأليف أشهر آباء الكنيسة

قال أحد الكتاب « قلما ترى فى تأليف آباء الكنيسة القدماء أشياء ألد من الأشياء المشتملة عليها تأليفه فان فيها حوادث كثيرة متعلقة بتاريخ العالم فضلا عن انها تحتوى على قطع كثيرة منقولة عن مؤلفين لم يبق لتأليفهم أثر » واحسن طبعة من تأليفه هى التى طبعها الاسقف بوتسر باللغة اليونانية واللغة اللاتينية

(٤) اوريجانوس :

ولد هذا العلامة العظيم فريد عصره بمدينة الاسكندرية سنة ١٨٥ م من والدين مسيحيين تقيين وكان أبوه يدعى ليونيدس وله سبعة أولاد أكبرهم اوريجانوس قيل ان ابا اوريجانوس كان من معلمى الفصاحة فرباه باعظم اهتمام ولم يكتف بأن يروضه فى العلوم والقوى العقلية والرياضية بل فقهه أيضا فى الكتب المقدسة وكان يختبر ذكاءه فيأمره بأن يحفظ كل يوم بعض آيات منها حتى حفظ أغلب نصوص الكتاب المقدس غيبا وكان أبوه يتعجب من بركات النعمة التى تشمله أكثر من حذاقة عقله فكان يدنومه وهونائمه ويكشف عن صدره و يقبله باحترام كأنه هيكل الروح القدس

ولما استكمل قواد وضعه فى المدرسة اللاهوتية فتتلمذ للعلامة اكليميندس وقرأ عليه الكتاب المقدس وتوسع فى درس مؤلفات افلاطون والرواقيين . وحالا تحقق حسن ظن أبيه به فبرز

أوريجانوس على جميع أترابه ونشأ وقلبه مفعم بحب الدين والغيرة عليه وبه وجد وهيام الى نيل اكليل الشهادة حبا بالمسيح حتى عرض نفسه مرات ليكون في عداد الشهداء

وفي سنة ٢٠٢ م لما أثار ساويرس قيصر الاضطهاد قبض على ليونيدس واودع السجن دون أن يعلم أوريجانوس اذ كان خارج البيت وقت القبض عليه ولما رجع فى المساء وجد امه التعيسة واخوته غارقين فى بحار الاحزان واذا علم الخبر أعلن ميله ورغبته فى اللحاق بابيه ليشاركه فى نوال اكليل الشهادة . فتوسلت اليه امه بدموع غزيرة والتمست منه أن يبقى الى الصباح فأوى أوريجانوس الى مضجعه بعد أن أخذت أمه ثيابه واخفتها عنه فلم يتمكن فى الصباح من الخروج ولم تطلقه أمه الا بعد أن تأكدت منه انه لا يتركها الا اذا اضطر اضطرارا شديدا

واذ ضاق به الامر أرسل لابيه خطاب تعزية يشجعه فيه على احتمال الخطوب و يطلب منه أن لا يشتغل بهم بقوله « حذار أن يغير العذاب رأيك فى دعوانا لا تهتم بأولادك فان الله سبحانه وتعالى يعتنى بنا » وقيل أن أوريجانوس كان معتادا أن يرسل أمثال هذا الخطاب لتشجيع المؤمنين الذين كانوا واقعين تحت طائلة عذاب الاضطهاد (١)

أما ليونيدس فقطعت رأسه سنة ٢٠٣ م وتبعاً لقوانين الاضطهاد حينئذ ضمت أملاكه الى الحكومة فباتت أرملته وأولاده فى فقر مدقع وأصبح أوريجانوس مكلفاً بالقيام بأودهم وكان عمره وقتئذ سبع عشرة سنة . ولم يكد يشعر بضيق الحال حتى سخرت له العناية الالهية امرأة غنية فاضلة كانت ملجأ لكثيرين من المنكوبين فى ابان الاضطهاد فرقت لحال أوريجانوس وآوته فى بيتها ولبت عندها طول مدة الاضطهاد وهى تنفق على تعليمه فى مدرسة اكليمنديس . وكان فى بيتها رجل هرطوقى تبنته اسمه بولس من انطاكية فأفرغ أوريجانوس قصارى جهده ليرده عن ضلاله فلم يقلع عنه ولما لم يطاوع أوريجانوس و يشترك معه فى الصلاة ترك هذا دار المحسنه اليه

وخرج أوريجانوس من ذلك المأوى وهو عازم على الظهور أمام العالم بمظهر الجندى الباسل ليدافع عن بيضة المسيحية وكان يزاول مهنة التعليم ليقوم بنفقة نفسه وفى أثناء ذلك كان يذهب يفتقد من كان باقيا من المسيحيين فى السجون ويطفق يعزيهم بكلمات روحية ويشجعهم على شرب كأس الموت بصبر . وكان يرافق الكثيرين منهم الى الحاكم وحتى الى منقع العذاب و يشدد عزائمهم على الثبات فى الايمان تارة بالاشارات وتارة بالخطب البليغة ومرارا شتى عرض حياته للخطر وهو يباشر أفعال الغيرة هذه . فاشتهر بعمله هذا واستحق اعجاب الجميع ولا سميا البابا

(١) قد جمع اوسابيوس المؤرخ مجموعة تحتوى على أكثر من مائة مكتوب رقتها يد أوريجانوس فى مثل تلك الظروف المخرجه ولم يبق منها شيء للآن بل ذهبت طعاما للنار التى أحرقت المكاتب فى الاسكندرية وفلسطين . واوسابيوس هو أول من اعتنى بكتابة تاريخ أوريجانوس آخذا بعضه عن رسائله وبعضه عن تلامذته الذين بقوا احياء الى أيام اوسابيوس فى القرن الثالث .

ديمتريوس الذى قرب به اليه وأظهر له سروره من سعيه المبارك وزاد ابتهاجه به عندما رآه فضلا عن تعبته فى تخفيف ويلات المتضايقين منكبا على الدرس ومواصلا المطالعة فشجعه على الاستمرار فى جهاده المبرور

وكانت المدرسة اللاهوتية حينئذ مغلقة بسبب هروب أساتذتها من وجه الاضطهاد فجذب البطريرك حتى جمع بعض الطلبة فى تلك الاوقات الخفية وكلف اوريجانوس بتعليمهم فشرع يعلم مبادئ الآداب اليونانية ثم تعاطى تفسير الدين المسيحى للموعظين . وكانت للتلاميذ مرتبات من الاموال المخصصة للفقراء

ولم يكف اوريجانوس ينجح فى عمله حتى قبض اكيولا والى مصر بأمر كار كلا قيصر على خمسة من تلاميذه وبعد أن عذبوا عذابا شديدا حكم عليهم بالموت المريع لانهم أبوا أن ينكروا ايمانهم . وكان بين الخمسة اثنان باسم ساويرس أحدهما حرق والاخر قطعت رأسه بعد أن عذب طويلا . وهيراكليس وهرون قطعت رأسهما أيضا . أما الخامس وهوياروكلاس فكان صديقا حميلا لاوريجانوس فلم يتركه عند القبض عليه بل رافقه الى موضع الاعدام . ولما شاهد الجنود يقتربون من ياروكلاس تقدم اليه بشجاعة وقبله قبله الوداع على مشهد من الجميع فاغتاز منه الرعاع وهموا برجه ولكنه أسرع بالهروب ويظهر أن مطاردتهم له مكنت ياروكلاس من الفرار بطريقة ما وعاش حتى صار رئيسا للمدرسة اللاهوتية فبطريركا للكراسة المرقسية . الا أن التعليم فى تلك المدرسة أبطل من ذلك الحين وطرده اوريجانوس من المدينة ولما سمح له بالرجوع استأنف التعليم

وبعد سنتين عينه البابا ديمتريوس رئيسا رسميا للمدرسة اللاهوتية وهو فى الثامنة عشرة من عمره فتقاطر عليه الكثيرون للاستفادة من تعاليمه حتى ان الوثنيين أيضا أخذوا بفصاحته فكانوا يقبلون اليه وأهدى كثيرين منهم الى الايمان حتى أوغرت عليه صدور الوثنيين وصاروا يمتقونه مقنا شديدا رغما عن احترامهم له بالنسبة لفضيلته . وكانوا يتمنون أن يتمكنوا من القبض عليه ليوردوه موارد الهلاك . ولما رأى البابا ديمتريوس سخط الوثنيين على اوريجانوس يتزايد كل يوم اضطر أن يضع حوله حراسا أقوياء لينعوا الاذى عنه

قال اوسابيوس المؤرخ « ان عوامل الاضطهاد كانت تزداد ضده كل يوم وحنق القوم عليه أصبح شديدا حتى أن أهالى الاسكندرية عن بكرة ابيهم لم يستطيعوا احتماله ولا الصبر على انتقاله من منزل لآخر وجولاته فى كل ناحية مرشدا ومشجعا الجمل الغفير الذين هداهم الى الايمان الصحيح » أه . وروى ابيفانيوس أن رعاع الوثنيين أمسكوه يوما بينما كان سائرا فى الطريق وحملوه بضجيج شديد الى هيكل سيرابيوم الشاهق وحلقوا له رأسه ووضعوا عليها قلنسوة والبسوه حلة بيضاء على طريقه كهنتهم رغما عنه ومن ثم أخرجه خارج الهيكل وأصعدوه على القمة الكبرى التى

كانت فى أعلى السلم واعطوه سعف النخل وأمروه بأن يوزعه على عبدة الاوثان الذين كانوا مجتمعين حوله وهم يسخرون به و يصفقون له . فاسرع اوريجانوس ولوح بالاغصان ونشرها على المتجمعين وهو يقول لهم بصوت عظيم « هلموا خذوا هذه الاغصان لكن ليس برسم الاوثان بل باسم يسوع المسيح خالق الانسان » فصروا بأسنانهم عليه وهموا بقتله ولكن الرب انقذه هذه المرة أيضا من أيديهم

ويظهر أن انعكافه الزائد وسعيه المتواصل لنوال أسمى درجة فى العلم والفضيلة قد جعله زاهدا فى الحياة لدرجة متناهية فرفض جميع ما كان يقدم له جزاء لا تعابه وتقضى على جسده فكان يقتات فقط بما يدرأ عنه ألم الجوع ولا يشرب شيئا من المشروبات وكان ينام على الارض دون فراش ويلبس ثوبا واحدا ويمشى دون حذاء . يصرف كل النهار فى التعليم والاشغال المتعبة ويقضى أكثر الليل فى الدرس والمطالعة . وفى تلك المدة تخلى عن مكتبته التى جمعها من مؤلفات الفلاسفة والتى كتبها بيده من مكتبة الاسكندرية لرجل وثنى مقابل راتب يومية قدره أربع بارات (أى ثمانية مليمات تقريبا) وحسب ذلك كافيا لسد حاجته . ولهذا لقبه المؤلفون القدماء بادميتيوس (الالماسى) ليله الى النسك ونشاطه الذى لا يخامره ملل . ومع هذه الصرامة التى عامل بها نفسه كان مجملا بوداعة تسبى قلوب الجميع فرقة طباعه وحذاقة عقله جعلتا كثيرين من الاسكندرية يلتفون حوله . ولما كان ينتصب للخطابة كان الرجال والنساء من كل رتبة يسارعون لسماع تعاليمه

وكان اوريجانوس حريصا على عفته وطهارة ذيله ويخشى أن يرشقه حساده وخصماؤه بنبال اغتيابهم . وكان يشعر بأنه مضطرا الى التردد على بيوت المؤمنين لتعليم العائلات أصول الدين ورأى كثيرات من التلميذات يتبعنه وفيما كان سنة ١٠٦ م يطالع فى الاصحاح التاسع عشر فى انجيل متى انتبه للآية الثانية عشر وأخذها على ظاهر معناها فخصى نفسه لكى يمنع عنه التجربة ولم يكشف بأمره الا البابا ديمترىوس . وبسبب كل هذا التقشف الزائد أصيب جسمه بالنحول والضعف . قيل ان هذا ما كان يرومه اوريجانوس كى لا يكون أهلا لنوال درجة الكهنوت

ولم يكتف اوريجانوس بما حصله من العلوم الكثيرة فى المدرسة اللاهوتية فعكف على درس العلوم الطبيعية والادبية فى المدرسة الوثنية التى كان يديرها أمونيوس السقاى غير انه لما رأى نمو عدد تلاميذه تركها نظرا لعدم ملائمة تلك الدروس لما كتبه الوحي الالهى . غير انه لبث يطالع ما سطره الاقدمون من الاقوال المفيدة ولما عاب عليه البعض ذلك كتب يقول « لما كنت قد كرسيت نفسى لخدمة كلمة الخلاص وكان قد ذاع صيتى فى الآفاق نظرا لبراعتى واقتدارى وكثيرا ما كنت معضدا للهراطقة وأهل البدع الذين يجيئون لزيارتى والبحث معى وكنت مرموقا بجماعة من المغرمين بالعلوم اليونانية خصوصا المتعمقة فى الفلسفة — قصدت أن فحص أفكار الهراطقة وأمتحن

تأليف الفلاسفة الذين أحيانا ينطقون بحقائق مهمة وقد اتبعت فى هذا خطوات بنتينوس الذى أفاد الكثيرين قبل أن أوجد أنا ولم تكن معارفه قاصره على هذا الحد كما اننى قفوت آثار هاراكلامى الذى كان عضوا فى مجمع الاسكندرية وقد علمت انه واطب مدة خمس سنوات يحضر عند معلم الفلسفة قبل أن ابتدئ أنا فى استيعاب هذه العلوم « أهـ

فانكسب أوريجانوس على درس الفلسفة على مذهب بيتاغورس وأفلاطون ليستعين بذلك على رد مزاعم أهل البدع وعلى تفسير الكتاب ولهذا كان أيضا صديقا لامينوس السقاص

وفى سنة ٢١١ م زار مدينة رومية فقبول فيها بكل اجلال كما يليق بعالم فاضل مثله وتقابل بزفرينوس أسقف تلك المدينة بعد فكتور. فثبت هناك فى ما عزم عليه من عمل شىء يكون له نفع عظيم لعلماء التوراه واذ صرف فى الامر غايته لم يربدا من أن يشرك معه فى تدبير المدرسة اللاهوتية ياروكلاس أحد تلاميذه المتقدمين . ثم انصب على درس اللغة العبرانية فلم يلبث أن برع فيها وكان غرضه أن يستقصى معانى آيات الكتاب المقدس الحقيقية ليضع لها تفسيرا وافيا وليؤهل نفسه الى ترجمة الكتب المقدسة الى ست لغات وهو عمل يعد من أعظم الاعمال التى قام بها أوريجانوس فى حياته ولو ان هذه الترجمة لم تنشر الا بعد وفاته بسنين قليلة

وكان صيته حينئذ قد قرع كل الاسماع ودوى فى جميع الاماكن فتوافد عليه الكثيرون طلبا للاستفادة من معلوماته . وكان من أجل خدماته قيامه بثلاث رحلات الى بلاد العرب أولها كان بين سنة ٢١٢ و ٢١٣ م وسبب ذهابه هو ان حاكم بلاد العرب أرسل بعد هدوء الاضطهاد الى والى مصر وبطريك الاسكندرية يطلب منها ارسال الرجل المسيحى المسمى أوريجانوس بدون تأخير وذلك لكى يشرح له تعاليم الديانة المسيحية و يرشده الى طريق الخلاص فترك أوريجانوس فى مكانه ياروكلاس وذهب لا تمام هذه المهمة ولم يستمر فيها طويلا لان البطريك عين شخصا اسمه بيرلوس أسقفا على البصرة لهداية بلاد العرب . والمرة الثانية كانت ليحضر مجمعا انعقد بسبب سقوط بيرلوس أسقف بصرى المتقدم ذكره فى الهرطقة فتمكن أوريجانوس من ارجاعة الى حضن الكنيسة . والثالثة كانت لدحض بدعة انتشرت هناك ومؤداها ان اللاهوت مات مع الناسوت وقام معه ثانية فى وقت واحد .

وفى سنة ٢١٢ م تعرف أوريجانوس برجل من أرباب الثروة والنفوذ يدعى امبروسىوس وكان تابعا لضلال فالنتينوس فهده أوريجانوس الى الايمان وصار له صديقا حميا وتمكن بواسطته من توسيع دائرة تعليمه وجعل درس جميع الفلسفة المعروفة تمهيدا لدرس اللاهوت المسيحى . ولم يكتف امبروسىوس بمساعدته على التعليم بل حثه على وضع أكثر الكتب التى ألفها ونسخها على مصاريفه الخصوصية . فاشترى واستأجر سبعة نساخ وكان يملئ عليهم أوريجانوس متعاقبين (لا

يلقنهم معا كما توهم البعض) فنشر في الاسكندرية تفسيره لسفر التكوين والمزامير ومراثى ارميا والاقسام الخمسة الاولى من كتابه في انجيل يوحنا ورسالة في القيامة ورسالة عنوانها (ستروماتا أى مجموع فوائد) وتأليفه المعنون «بالمبادئ» وقد روى بعض الكتاب أنه كتب بعد ذلك الى فابيانوس أسقف رومية أن امبروسيوس نشر المؤلف الاخير خلافا لارادته لان في ذلك الكتاب المذكور خلط المبادئ المسيحية بالفلسفة الافلاطونية فجعل لمضاديه في زمن نال سبيلا الى رجمه بتهمة قوية. ولكن أفضل المحققين يصرحون بأن كتاب المبادئ كان خاليا من كل عيب بشهادة البابا اثناسيوس الرسولى الذى رفع شأن هذا الكتاب ودفع عنه كل تهمة وحكم بقصر نظر من يرون فيه ضلالاً ولقد أشار القديس اثناسيوس على من يطالع هذا الكتاب بأن يفرق بين آراء أوريجانوس وبين الآراء المناقضة التى أوردها ذلك العلامة للرد عليها (١) وقال العلامة ديديموس الضرير «ان كتاب المبادئ هو ارثوذكسى المبنى والمعنى. أما الذين يرون فيه هرطقة فقاصرون عن ادراك مكنون اسراره» (٢)

وفى سنة ٢١٥ م اشتد الاضطهاد فى الاسكندرية فى عهد كاركلا قيصر فهرب أوريجانوس الى قيصرية فى فلسطين حيث لقى كل اعتبار واکرام. ومع أن وظيفة الوعظ كانت حينئذ خاصة برجال الكهنوت ولم يكن أوريجانوس قد نال رتبة كهنوتية مع توافر علمه وتقواه بسبب زهده فى الرتب والوظائف الا أن اسكندر أسقف اورشليم رفيقه فى التلمذة وثيوسيتوس أسقف قيصرية طلبا منه أن يشرح الاسفار المقدسة جهارا لفائدة الجمهور بحضورهما ولما سمعاه أطلقا عليه لقب «سيد مفسرى الكتاب المقدس» وكان ميليانوس أسقف قيصرية الكبادوك ينتظر حضور أوريجانوس بفروغ صبر ولما استبطأه أسرع الى فلسطين ليتلقى العلوم ممن كان يفتخر بأن يدعو استاذة

فلما وصلت أخبار أوريجانوس الى مسامع البابا ديمتريوس اعترض على أولئك الاساقفة لسماحهم لاوريجانوس بمزاولة مهنة خاصة بالكهنة فجأوه به الاساقفة بما يدل على احترامهم له ودافعا عن أنفسهما بأنها سارا على منوال السالف الصالح الا أن البابا ديمتريوس لم يقتنع فأرسل رسائل لأوريجانوس مع بعض الشماسة يأمره بعدم القيام بأية خدمة وبخبرة بهدوء الاضطهاد ليحضر ويمارس أعماله فرجع أوريجانوس بسرعة الى الاسكندرية واستلم زمام أعماله.

ولم يمض الا القليل بعد ذلك حتى أتيح لأوريجانوس زيارة العربية حيث اجتمع بهيبوليتوس أحد فلاسفة المسيحية وقتئذ وقد وضع هذا كتاب عنوانه (Philosophumena) نسب الجزء الاول منه الى أوريجانوس وسنة ٢١٩ م استدعته ماميا أم الملك اسكندر محب المسيحيين الى

(١) قرارات مجمع نيقية رقم ٢٧

(٢) سقراط ك ٣ ف ٢٣

انطاكية لتسمع وعظه واستمر مدة كان فيها موضوع الاجلال والاكرام . وكان لمعارفه وادابه تاثير عظيم وبسببه خف الاضطهاد الذى كان واقعا على المسحيين أو انثذ

وفى سنة ٢٢٨ م أرسله البابا ديمتر يوس الى اخائيه ببلاد اليونان ليقاوم الهرطقة الذين أقلقوا راحة الكنيسة هناك فزار فى طريقه فلسطين وكان فى كل مدينة أو قرية نزلها يدعى الى الوعظ فى الكنائس ولما مر بفلسطين عند رجوعه خاطبه اسقفها ثوسيستوس بالاشتراك مع اسكندر أسقف اورشليم بأنه لا يجوز باستاذ الكهنة والاساقفة أن يكون مجردا من كل الكهنوت . ويظهر ان أوريجانوس كان بسيط القلب فاقنع بكلامها وارتضى أن يقبل منها درجة القسوسية وهو فى السنة الثالثة والاربعين من العمر

غير ان ديمتر يوس البابا الاسكندري اعتبر هذه السيامة تعديا على حقوقه . ومن ذلك الحين بدأ سوء التفاهم يجد مكانا بين أوريجانوس والبطريرك الذى قام الحجة على ذينك الاسقفين لرسامتهما شخصا خاضعا له فجاءوا به بأن احترامهما لمركزه عظيم . قال اورينموس « ان الحسد هو الذى حمل ديمتر يوس على هذا كله » غير انه لم يأت ببرهان على صحة ذلك والحقيقة كما يروها المدققون ان البطريرك الاسكندري امتنع عن ترقية أوريجانوس لدرجة كهنوتية لسببين أولهما لأنه خصى نفسه الأمر الذى أخفاه أوريجانوس عن اسقفى فلسطين وأورشليم . ثانيهما نحول جسمه وضعفه وقد قلنا ان أوريجانوس كان يسعى وراء انحطاط القوى ليكون حائلا بينه وبين الرتب الكهنوتية التى كان راغبا عنها كأغلب أتقياء العصور الأولى

ولما رجع أوريجانوس الى الاسكندرية بعد رسامته رأى البطريرك حاقدا عليه ووجد مركزه قد سقط فحصل بينه وبين البطريرك نزاع عقد بسببه هذا مجمعا بالاسكندرية سنة ٢٣١ م حكم فيه بنفى أوريجانوس وبجرمه لانه رسم من أسقفين غير تابعين للكراسة المرقسية ولانه خصى نفسه الامر الذى بالغ أوريجانوس فى كتمانته وساعده البطريرك على ذلك ولكنه اضطر الى اشهاره رغما عنه ثم أرسل خطابات الى جميع الكنائس يعلمها بحكمه على أوريجانوس

أما أوريجانوس فع كونه عرف ان هذا الحكم فى غاية القساوة الا انه تدارك الامر بحكمته ولم يشأ أن يمكث فى الاسكندرية ليوسع هذا الخلاف بل تركها تركا لا رجوع بعده . وكان قد أكمل القسم الخامس من كتابه فى انجيل القديس يوحنا ففرع الى قيصرية . وفى تلك الاثناء عقد مجمع آخر فى الاسكندرية وفحص كتاب « المبادئ » وحكم بأنه هرطوقى وحرّم مؤلفه

ولما وصل أوريجانوس الى فلسطين استقبل فيها استقبال القائد المنتصر فاستاء البابا ديمتر يوس من كثرة تعدى أساقفة تلك الجهة على حقوقه . ولحق باوريجانوس امبروسيوس وعائلته

وتبعه كثيرون من طلاب العلم ولهذا عزم على فتح مدرسة في قيصرية فلسطين يعلم فيها تفسر الكتاب المقدس وكمل في تلك المدينة المذكورة تفسيره لانجيل يوحنا

وقد كتب حينئذ عما كان يجول بصدرة قائلا « وحدث بعد هذه الامور أن الله أخرجني من أرض مصر بيت العبودية كما خلص شعبه منها قديما . ثم قام عدوى (يعنى البطريك) وأقام في وجهى حربا عوانا بواسطة مكاتيبه التافهة التى تغاير مبادئ الانجيل تماما وحرك ضدى ربحا صرصرا فرأيت من الصواب أن أقاوم جهد استطاعتي مدافعا عن المبدأ المهم الذى اختطيته لنفسى وسرت عليه وهو الافادة والاستفادة وكنت أخشى من أن هذه المباحكات العقيمة يستفحل شرها فتثير ثائرة النفس الأمارة فتضعف الذاكرة حينئذ وأعجز عن اتمام شرح الكتاب المقدس الذى بدأت به قبل أن ينطمس ذهنى خصوصا وأن ابتعادى عن النساخ الذين كانوا يكتبون الخط المختل منعنى من تملية ما يخطر على بالى من الافكار . أما الآن وقد بعدت عن كل عوامل التأثير وقدر الله جل وعلا ان تخيب تلك السهام النارية التى صوبت نحوى وتذهب فى الهواء الفت نفسى حينئذ وقوع الملمات التى كانت تصيبني بسبب التبشير بكلمة الانجيل واضطرت هذه النفس أن تتحمل بطيب خاطر جميع المصائب التى انتابتني فهدأ روعى وسكن جأشى لجودة الهواء وحسن الطقس فعقدت النية على عدم تأجيل نسخ وتملية المؤلفات المطلوب منى اتمامها » أهـ

وفى ذلك الحين كان أساقفة الكنائس الشرقية يطعنون فى سيامة أوريجانوس و يظهرون هرطقته . أما اساقفة فلسطين وفينيقية فكانوا يعضدونه ويدفعون عنه الملامة . أما مدرسة قيصرية فاستمرت تزهو وتزهر ونبغ من تلاميذ أوريجانوس جماعة مشهورون فنشروا صيته وأذاعوا مبادئه فى التفسير وكان منهم كثيرون هداهم الى الايمان وصاروا فيما بعد قديسين منهم اغريغور يوس ثاڤثاورغوس (صانع العجائب) الذى سقف فيما بعد على قيصرية الجديدة من أعمال تيطس وأخوه اثينودوروس الذى صار أسقفا أيضا على تلك البلاد . أما أوريجانوس فلم يعدل عن مشروعاته الادبية بل زاد همة ونشاطا وحمية والى رسالة فى فائدة الصلاة وأخرى فى تفسير الهللا الربانية وكان يرسل كثيرا أشهر اساقفة آسيا ودعى الى كثير من المجمع الكنسية

ومع انه مدح كثيرا لتجلده الذى أظهره ازاء ما أصابه الا انه لم يسلم من الغلطات التى يرتكبها كثيرون ممن يكونون فى حال كحاله . فقيل انه وجه لخصمه البطريك كثيرا من الانتقادات وتحرك أحيانا للانتقام منه لولا تبكيت ضميره وصفاته المسيحية . وحدث انه كان يعظ يوما بأورشليم على الآية القائلة « وللشريك قال الله مالك تحدث بفرائضى وتحمل عهدي على فك » (مز : ٥٠ : ١٦) ولم ينته من قراءة هذه الآية حتى وبخته حواسه وخشى أن يفهم السامعون انه يقصد توجيه الكلام لديتر يوس وانهالت الدموع على خديه بغزارة وارتفع صوته بالبكاء حتى لم يقو على التفوه بكلمة واحدة فشاركه السامعون فى التأثر والبكاء . وعقب ذلك تنيح البابا ديتر يوس

وخلفه ياروكلاس تلميذ أوريجانوس و يظهر انه كان موافقا لسلفه على اجراءاته ضد أوريجانوس فلم يفكر فى اثناء رئاسته أن يدعو ليعود الى الاسكندرية

وفى ابان الاضطهاد الذى قام به مكسيمينوس قيصر سنة ٢٣٦ م سجن امبروسيوس صديق أوريجانوس و بروتكتستيتوس احد قسوس فيصرية وعملا بمزيد القساوة فالف لتعزيتها رسالة فى الاستشهاد وقبض أيضا على كثيرين من اتباعه واكره هونفسه على الفرار من قيصرية فالتجأ الى فرميتيانوس أسقف قيصرية فى كبدوكية أحد أصدقائه المعجبين به كثيرا . ولما حدث الاضطهاد هناك أختبأ مدة سنتين فى بيت يوليانه امرأة غنية فاضلة وأذنت له فى استعمال مكتبة ابتاعتها من سيماخوس أحد علماء الايونيين (١) الذى ترجم العهد القديم الى اليونانية فانكب أوريجانوس على مطالعة ما فى هذه المكتبة من الصحف وكمل فيه مقابلة النسخة العبرانية والنسخة اليونانية من التوراة وتهيأ بذلك لعمله العظيم بوضع كتاب « المسدسات » اى وضع آيات الكتاب المقدس فى ستة حقول ليظهر للعالم الكتاب المقدس منشورا فى ست لغات كما سيأتى ذكره

وفى سنة ٢٣٨ م رجع الى قيصرية فى فلسطين واستأنف اعماله ولم يلبث أن دعى الى أثينا وتمم هناك تفسير سفر حزقيال وبدأ بتفسير سفر نشيد الانشاد ولما جلس فيليب الملك العربى على تخت الامبراطورية الرومانية راسل أوريجانوس عائلته . وفى ذلك العربى الوقت اشتهرت رسالة ضد الديانة المسيحية وعم انتشارها جدا وضعها كلسوس الفيلسوف الوثنى الافلاطونى قانبرى العلامة أوريجانوس لتفنيدها وألف رسالة ضدها دافع فيها عن الدين المسيحى دفاعا مجيدا . ثم وضع حينئذ أيضا تفسير انجيل القديس متى ورسائل اخرى

وفى السنة الستين من عمره أى سنة ٢٤٥ م سمح للستينوغرافيين (اى الذين يكتبون بخط مختصر) أن ينقلوا خطبه وكان بين هذه الجماعة عدد من الفتيات اتخذن هذه الصناعة مهنة لهن للافادة والاستفادة . وكانت المجامع تستشيرهن فى المسائل الصعبة وتنتهى اليه فى عظيم المشاكل

وفى الاضطهاد الذى قام به ديسيوس قيصر نظر الى أوريجانوس كأكبر مدافع عن حقائق الديانة المسيحية فقبض عليه وطرح فى السجن وعذب عذابا شديدا وكتب فى السجن رسالة تتضمن النصيحة والتشجيع لمشاركيه فى العذاب الا أن صحته اعتلت لما حل به من الآلام وقد كتب يوسيبوس عما عاناه أوريجانوس فى سياق كلامه عن استشهاد القديسين اسكندر أسقف اورشليم وبيسلسيوس أسقف انطاكية يقول « يصعب على الكاتب الماهر وصف ما قاساه أوريجانوس واحتمله بصبر وفرح من العذاب الشديد والآلام القاسى اثناء هذا الاضطهاد اذ وضعوه فى مقطرة من حديد وزجوه فى اعماق السجن حيث ظل بضعة ايام مطروحا على خشبة وهو مشدود

(١) كانوا يعتقدون بحفظ ناموس موسى وبأن المسيح خاص باليهود ورفضوا رسائل بولس لانها توجب الخلاص للامم

بأربعة وثلاثين لا يستطيع معها الحراك وهم يشعلون النار من حوله تهديدا له وتخويفا وغير ذلك من مرائر شرحها يطول ووصفها يهول ذاقها هذا المسيحي من أعدائه العديدين ولكنه لم يبد ضجرا ولا أظهر مللا ولم يقل يا أزمة انفرجى . وعندما انتهى القوم من تجريع أوريجانوس كل أصناف العذاب قدموه للحكم عليه بالموت فسعى القاضى الموكل بالحكم جهده فى تأخير مدته ليس لينجى أوريجانوس منه بل ليطيل عذابه باطالة أيام حياته . فالذى تم لأوريجانوس من آلام وعذاب يجدر بأن يكون عبرة لم يعتبر وذكرى لمن يذكر وتعزية للذى وقع فى مصاب أو اصابة شر وتجربة وعلى من يرغب شرحا وافيا عن ذلك عليه بمراجعة رسائل أوريجانوس التى بقيت بعده فيجد فيها أخبار يوثق بصحتها وتفصيلا وافيا اصابه وأصاب غيره من قبله « أه (١) »

الا أن أوريجانوس مع كل ذلك لم يحكم عليه القاضى بالقتل وفيما بعد أطلق سراحه ولا يعلم كيف أطلق من السجن الا من رواية ايفانيوس أسقف قبرص المتوفى فى أواخر سنة ٤٠٢ م حيث قال « بأن الوالى أتى أوريجانوس يوما فى السجن وعرض عليه أحد أمرين اما ان يرتكب رغما عنه امرا مخلا بقانون العفة أو يقدم بخورا فى مجمرة كانت معه باسم الاوثان . ولشده حرص أوريجانوس على عفته أثر أن يلقى البخور فى المجمرة على اقتراح المنكر وبذلك أطلق سراحه » أه وقال بعض المؤرخين ان ذلك لم يكن فى اضطهاد ديسيوس بل كان فى اضطهاد ساويرس اذ كان أوريجانوس فى الاسكندرية ولما كان ايفانيوس من اكبر خصوم أوريجانوس انكر اكثر المؤرخين هذه السقطة وقال غيرهم ان أعداء أوريجانوس زادوا هذه الحكاية على كتاب ايفانيوس وأنه لو صح ذلك لما اهتم ذكره برفيروس عدو المسيحيين الاله الذى نقب عن زلات كثيرين من علمائهم . وهكذا يوجد بعض المؤرخين يدافعون عن صحة هذا الخبر وكثيرون منهم يكذبون وبراہين هؤلاء أظهر وأقوى

والذين مالوا الى تصديق الخبر استندوا على قطعة رثاء وجدت لأوريجانوس رثى بها نفسه بقوله « أيها البرج الشامخ الا انك سقطت الى الخضيض بغته . ويا أيها الشجرة الغضة المثمرة الا انك على الفور يبست ويا أيها النور المتوقد الا انك اظلمت وشيكا ويا أيها الينبوع الجارى الا انك نضبت . ويلي فانى كنت مشتملا بمواهب ونعم وقد عريت عنها الان جميعها . فرقوا لحالى يا أحبائى فانى دست خاتم اقرارى واتحدت مع الشيطان واشفقوا على يا خلانى فانى رذلت وطرحمت امام وجه الله . أين ذاك الراعى راعى النفوس الصالح واين من نزل الى اورشليم الى اريحا وعنى بأمر جريح اللصوص فانجذنى يارب انا الذى وقعت من أعلى اورشليم ونقضت النذر الذى أخذته على فى المعمودية وغيرها وأغثنى أيها الروح القدس وهب لى من لدنك نعمة لا توب . رب انى ابتهل اليك لان تردنى فقد سلكت للهلاك اعظم مسلك . انعم على الروح القدس المرشد والمهذب

(١) لم يبق من هذه الرسائل التى أشار اليها يوسيبوس سوى رسالتين لم يذكر فيها شيء عن حوادث اضطهاد ديسيوس و يظهر ان ذلك واضح فى رسائل أوريجانوس المفقودة

الصالح لثلا أمسى مأوى للشيطان ولكن أدوسه كما داسنى وأقوى على حيله فأعود الى التمتع بخلاصك . رب انى اخر امام عرش مراحمك فكن لى رحوما انا النائح هذا النواح لتسد ما أسأت به . ان معاشر المسيحيين القديسين يتوسطون عندك من اجلى انا العبد الساقط رب اظهر رحمتك لخروفك الثناء الدليل للذنب المفترس ونجنى من فمه وانزع عنى ملابس حدادى والبسنى منطقة الفرح والسرور واقبلنى أيضا فى فرح الهى واجعلنى ان أكون أهلا للملكوته بواسطة خالص صلوات الكنيسة عنى التى تحزن على وتواضع نفسها من أجلى يسوع المسيح الذى له مع الاب والروح القدس كل شرف وكرامة الآن والى ابد الابدین ، آمین » أهـ

والمعلوم انه لم يفرج عن أوريجانوس الا بعد موت ديسيوس قيصر وأمسى بعد ما عاناه من التعذيب اكسح من قبل الجراح التى انزلتها القيود فى رجله فلبث مدة بعد خروجه من السجن يتجرع الاما مبرحة و يتقلب على فراش الضنى والنحول وهو يقترب بسرعة الى حافة الموت . ولكن انتعش حينئذ عندما وصله كتاب من البابا ديونسيوس البطريرك الاسكندرى الذى خلف ياروكلاس يشجعه فيه على احتمال المشقات و يظهر له حزنه العميق على حالته التعيسة . غير ان حياة اوريجانوس لم تطل بعد خروجه الا أربع سنوات على قول بعضهم كان فيها غير منكف من جهده فى التأليف والمكاتبات والخطب وعلى قول آخرين لم يعيش سوى سنة واحدة وعلى كل حال فقد اثر عليه ما عوقب به من الالام المبرحة التى انهكت جسمه وسحقته فمات سنة ٢٥٤ م فى مدينة صور وله من العمر ٦٩ سنة ويحق لنا ان ندعوه شهيدا ودفن فى المكان الذى مات فيه بصورة وظل قبره معروفا حتى شيدت فوقه كنيسة وذكر كثيرون من أصدقائه انه مات تحت العذاب سنة ٢٥٤ م وحفظ ضريحه مدة قرون عديدة بقرب المذبح فى كنيسة صور الاسقفية واستمر قبره مزارا لكثيرين حتى القرن السادس . قال مؤرخ « واذا سألت أهل صور عن مكان قبره لشاروا لك الى اطلال كنيسة قديمة بنيت عليها أكواخهم وقالوا لك هنا قبر (أورسنيوس) يريدون أوريجانوس مدفون فى قباب تلك الكنيسة وهو الآن تحت الأرض » أهـ

فرجل مسيحى فاضل كهذا كيف يتهمونه بالهرطقة وقد كانت حياته كلها بريئة من كل ما يشين وأجمع الكل على طهارة ثيابه ونزاهة نفسه حتى قال عنه يوسابيوس « ان حياة هذا الرجل أفضل مفسر لعظاته » وقال موسهم المؤرخ « ان بيانه الساحر وعلمه الكثير وطبعه المحبوب وصيته الحسن فى التقوى الحارة الخالصة أعطته سطوة عظيمة . ولا سيما بين العلماء وذوى المراتب الاولى فى الهيئة الاجتماعية . ولم يقم أحد منذ زمن الرسل أكثر منه مناضلة واجتهادا فى اذاعة المعرفة وتفقية المسيحيين وتنويرهم واتحادهم وتوقيرهم فى عيون البشر » أهـ

أما ما ينسب الى أوريجانوس من الضلال فلم ينبه في حياته الا عن القليل منه ولما طرق مسامعه خبر هذه الاشاعات الكاذبة قال في ميمره الخامس والعشرين على انجيل القديس لوقا « أن من دواعى سرور أعدائي ان يسبوا الى آراء لم أتصورها ولم تدربخلدى » وجل ما اشيع عنه من الضلالات جمع بعد موته . ويغلب على الظن ان الذين نسبوا اليه الهرطقة هم اناس قرأوا مؤلفاته بدون أن يفهموها جيدا فتوهموا من ظاهرها ما يلصق به تلك التهمة . ويقال ان بعض الهرطقة في ذلك الحين كانوا يجتهدون بأن

يدسوا في كتب المؤلفين انواع هرطقاتهم ليوصلوها الى عقول الجمهور من هذا السبيل فلا يبعد أن يكونوا عملوا ذلك بمؤلفات أوريجانوس كما عملوا بمؤلفات اكليمندس قبله وكما شرع كثيرون منهم بكتابة أناجيل ورسائل ونسبوها للرسل وضمنوها ما يعتقدون من البدع والأضاليل ولكن جميعها نبذت

- أما الاضاليل التي نسبت الى أوريجانوس وجمعها خصومه وأذاعوه فهي :
- (١) ان النفس خلقت قبل أجسادها وحبست فيها لمعاص ارتكبتها (١)
 - (٢) ان نفس المسيح خلقت واتحدت باللاهوت وذلك قبل زمن التجسد
 - (٣) ان الشياطين والهاالكين يخلصون
 - (٤) ان الاجساد الحقيقية لا تقوم في يوم النشور وسيعاض عنها بأجساد أخرى
 - (٥) ان الارواح تتقمص
 - (٦) ان عوالم كثيرة خلقت قبل هذا العالم وستخلق كذلك عوالم أخرى بعده . أهـ

ويقول الواقفون على الحقيقة ان هذه هرطقات لا اثر لها في مؤلفات أوريجانوس ولم تظهر الا في الترجمات اللاتينية التي وضعها من بعده روفينوس الاكويلى القائل في مقدمة كتابه « انى لم أتصد الث اصلاح بعض عبارات أوريجانوس الا بقصد تهذيبها » أهـ

ولما كانت بعض عبارات أوريجانوس بعيدة الفهم اجتهد ان يصلحها فكان عدم فهمه اياها سببا لانه يرقم ما اعتبره الخصوم ضلالا لاوريجانوس حتى ان انسطاسيوس أسقف رومية سنة ٣٩٨ م فى رسالته الى يوحنا أسقف اورشليم أحد أنصار أوريجانوس أوقع الحرم على ترجمة روفينوس لا على الاصل اليونانى .

(١) يقصد خصوم أوريجانوس ان يجعلوه يعتقد بأن النفوس البشرية خلقت مع الملائكة فى مكان واحد وزمان واحد ثم ارتكبت بعض المعاصى فانحدرت بسبب ذلك الى الارض واتحدت بأجساد كثيفة عقابا لها

ومعظم تلك الاضاليل المذكورة مأخوذة عن اعتقادات وثنية ولا يعقل ان أوريجانوس نصير المسيحية الوحيد حينئذ ضد الوثنية ينقل تلك الآراء السخيفة وقد قال اغريغور يوس ثاثيرغوس تلميذ أوريجانوس في دفاعه عنه « انه كان يحذرني من الاستناد فيما يختص بالدين على الفلسفة البشرية » وقد قرر أوريجانوس نفسه في مقدمة كتابة المبادئ رقم ٢ ضرورة نبذ أكثر ما يقوله فلاسفة اليونان لان اكثره يحسب ضلالا . ولئن كان أوريجانوس يجهد ذاته في فهم تلك الفلسفة فذلك ليستعين بها على رد هجمات أهلها على المسيحية وليتمكن من أن يستخرج لهم من ديانتهم ما يؤيد به ديانتهم وقد اشار الى ذلك في رسالة لاغريغور يوس المذكور حيث قال « كما أن العبرانيين قد صنعوا بذهب المصريين وفضتهم تابوت العهد والكاروبين وأواني المذبح كذلك يجب علينا نحن المسيحيين أن نصنع بفلسفة اليونان فلننقل الى هيكل الحكمة الالهية هذه الزينات التي يسىء أربابها استعمالها . فلنأخذ عن اللغة اليونانية التي طالما استعملت لمدح الضلال والرديلة عدويتها وطلاوتها لنزين حقيقتنا الناصعة بالزينة التي طالما البسوها بطلهم وبهتانهم . فلنجعل اله الشر قوة للخير . ولكن حذار من الترهات التي تكسوها هذه الزينات حذار من أن ننقل شيئا منها الى دين الحق لئلا ننضل ونكون مثل يربعام الذي تزوج بابنة ملك مصر وعاد مع عروسه الى اسرائيل فأبدل عبادة الاله الحقيقي بعبادة أصنام المصريين » أهـ

وقد انبرى كثيرون من المؤرخين الصادقين خصوصا في الايام المتأخرة للذب عن اوريجانوس وتبرئته مما نسب اليه وخير ما وقفنا عليه في هذا الشأن دفاع صاحب كتاب « مختصر تاريخ الامة القبطية » (ص ٣٨٤ — ٣٩٠) ننقل ملخصه لفائدته التامة هذا على اننا أيضا اخذنا عن ذلك الكتاب أفضل الآراء التي دافعنا بها عن اوريجانوس : —

التهمة الأولى — هي المختصة بخلق النفوس قبل أجسادها . خالفها اوريجانوس في كتاب المبادئ ك ٢ ف ٨ وغيره من مؤلفاته بقوله « ان النفس البشرية خلقت في اليوم السادس عندما نفخ الله في آدم وكان ذلك بعد خلق الملائكة » . أهـ وانحذار النفوس الذي تكلم عنه خصومه لم يكن غير انحذار الملائكة الذين سقطوا (المبادئ ك ٣ ف ٥)

التهمة الثانية — هي المختصة بخلق نفس المسيح قبل تجسده . وبمقارنتها بقوله في كتابه المبادئ ك ٤ ف ٣١ « ان الكلمة أخذ جسدا بنفس ناطقة وذلك عند التجسد لا قبله ولا بعده » يتضح بطلانها

التهمة الثالثة — هي المختصة بخلاص الشياطين والهاالكين . وقد ادعوا بها لسوء فهمهم أقوال ذلك الفيلسوف وهذه هي « ان الملائكة قسم أطاع فخلص خلاصا أبديا وقسم سقط فهلك هلاكا أبديا . وأما الجنس البشري فرغما عن سقوطه في خطيئة ادم الاصلية يمكنه ان يخرج من الهوة التي وقع فيها و يتحد بالله وبملائكته الابرار . غير ان الذين يسترسلون في ضلالهم يصبحون

عبيدا للشيطان فيهبطون فى الهاوية الابدية » (المبادئ ك ١ ف ٦ : ٢ و ٣) اى ان الذين يؤمنون بالمسيح يخلصون من العقاب الاول وبعكس ذلك الذين لا يؤمنون

التهمة الرابعة — هى المختصة بعدم قيامة الاجساد نفسها . و يناقضاها ما قرره فى تفسيره للمزمور الاول وفى كتابة المبادئ ك ٢ ف ٢ : ٢ « ان عدل الله يقتضى ان يتوج الاجساد نفسها التى سفكت دماء أصحابها فى سبيل المسيح » أهـ

وقد ادعى أورينموس عدو أوريجانوس بأنه اعتقد بتغير شكل الاجساد عند قيامة بأن تأخذ اشكالا كروية كالشمس والنجوم وسائر الكواكب . ولكن أوريجانوس لم يشبه اجساد الناس بالكواكب الا فى الهاء حسب قول بولس الرسول فى (١ كو ١٥ : ٤٠ و ٤١) ونفى هذا القول فى كتابه الثانى على القيامة

التهمة الخامسة — هى المختصة بتقمص الارواح . وقد انتشرت فى حياة أوريجانوس ففندها فى ميمره ١٦ على سفر ارميا ١٦ : ١ وفى رسالة بعث بها لتلاميذه بالاسكندرية يقول « ان هذا رأى لا يخطر لمجنون فى منامه » أهـ

التهمة السادسة — هى المختصة بخلق عوالم كثيرة . وفى كتابة المبادئ ك ٢ ف ٣ : ٦ و ك ٣ ف ٥ : ٣ لم يذكر سوى ثلاثة عوالم :

(١) عالم الملائكة

(٢) العالم البشرى

(٣) العالم الذى يتكون بعد البعث من اتحاد العالمين المتقدمين

ومن يطالع أقوال آباء الكنيسة بشأن أوريجانوس لا يستطيع أن يحكم عما اذا كان شخص أوريجانوس محروما ام غير محروم فقط نعلم ان الكنيسة شجبت تلك الضلالات التى اذاعها الخصوم . وتاريخ الكنيسة مشحون بأخبار الانشقاقات التى قامت بين الالباء بسبب أوريجانوس فمنهم من كانوا يعتبرونه هرطوقيا ومنهم من كانوا يعتبرونه من معصى البيعة الافاضل فن خصومه :

(١) البابا ديمتريوس كما ذكر

(٢) متيوديوس أسقف اولبيا . وضع ضده ثلاثة كتب غير انه فى آخر حياته ادرك خطأه وذكر أوريجانوس بكل احترام

(٣) ابيفانيوس أسقف قبرص . هو اول من اذاع البدع عن أوريجانوس وعنه اخذ الآخرون . وقد كان بسيطا سريع التصديق لما يسمع فكتب عن أوريجانوس ما كتب بسلام ضمير

(٤) ثوفيلس بابا الاسكندرية . وسيعرف القارىء فى تاريخه سبب هذه العداوة

(٥) ايرونيسيموس أحد علماء سور يا فى القرن الرابع كان فى مبدأ الامر من انصار أوريجانوس ولكنه بسبب منازعاته مع روفينوس المذكور انه نقل كتب أوريجانوس للاثينية صار من الدأخصامه الا انه كتب عنه قبل ان يكون خصمه قائلاً « لم يكن أوريجانوس مجرد كاتب عذب المشرب يرتاح اليه امراء الكتاب أو مجرد مؤلف فاق نظراءه بمؤلفاته الدانية القطوف بل كان بلا جدال المعلم الاول لجميع الكنائس بعد الرسل ولا مشاحة فى أن اراءه تعبر عن الارثوذكسية التي لم يشبها ضلال اما الذين استوقد الحسد ضلوعهم فاتهموه بالهرطقة فان هم الا كلاب كلبة » أه ولما أصبح يقاوم الاوريجانيين شديد المقاومة قال لهم « وافقونا على ان أوريجانوس انخدع فى بعض المسائل فلا يبقى لى ما اقول وان اعترضنا من يحسدونه على فخره ببعض اغلاط له فليعلموا ان الخطأ من شيم كبار الرجال فلا نتشبهن بزلات من لا نستطيع مباراته فى فضائله » أه

ومن محبى أوريجانوس والمدافعين عنه :

(١) البابا ديونوسيوس الاسكندرى البطريرك الرابع عشر

(٢) ثيوسيستوس أسقف فلسطين

(٣) غريغور يوس العجايبى

(٤) اخوه ثينودوروس

(٥ و ٦) غريغور يوس النزينزى وباسيليوس الكبير . درسا العلم عن مؤلفات أوريجانوس ولخصا منها رسائل عرفت باسم فيلو كالى (محب الجمال) لتعليم الناشئة المسيحية واطلق عليها هذا الاسم ليل أوريجانوس الى كل مبدأ سام

(٧) غريغور يوس أسقف نيصص بالكبادوك . كان كثير المطالعة لمؤلفات أوريجانوس حتى حفظ أغلبها وسار على منواله فى ما كتبه من الكتب وكان يلقب أوريجانوس بزعيم فلاسفة المسيحيين

(٨) بمفيلبيوس البيروتى تلميذ بيروس مدير المدرسة اللاهوتية نسخ معظم مؤلفات أوريجانوس بيده وشغف بمطالعتها وكتب عنه وهو سجين يقول « ان لخصوم هذا الفيلسوف عقولا قاصرة عن الخوض فى عباب مباحثه الواسعة وعاجزة عن ادراك سمو المعانى التى يرمى اليها من كان معلماً للكنيسة بعد رسل الرب » أه

(٩) ديديموس الضرير مدير المدرسة اللاهوتية مدح كتاب المبادئ

(١٠) البابا اثناسيوس الرسولى البطريرك العشرون دافع عن كتاب المبادئ

(١١) القديس يوحنا فم الذهب . مات منفياً فى سبيل الدفاع عن مبادئ أوريجانوس التى كان كلفاً بمطالعتها كما يتضح من تاريخ البابا ثاوفيلس البطريرك الثالث والعشرون

(١٢) توتيم أسقف سیتی . اعترض على ابيفانيوس عندما قاوم القديس يوحنا فم الذهب لغرامه بكتب أوريجانوس بقوله « اعلم يا ابيفانيوس انه لا يمكننا أن نسيء الى الذى مات تقياً

وليس فى استطاعتنا ان نحرم اسفارنا اعتبرها آباؤنا ارثوذكسية فضلا عن أننا لم نجد فيها اثرا للهرطقة « أهـ

(١٣) ايسيدوروس مدير مدرسه الاسكندرية والاخوة الطوال القامة . دافعوا عن اوريجانوس دفاع الابطال وطردهوا من الاسكندرية وصادفوا الالهوال فى سبيل التمسك باحترامه وقد اقسم هو والاخوة المذكورون على أن اوريجانوس برىء من كل هرطقة

(١٤) يوحنا ٢ أسقف اورشليم . هام بكتب اوريجانوس وحاول ابيفانيوس وايرنيموس ان يجعلاه ينكف عن مدح اوريجانوس برسالة بعث بها اليه الاول ولكنه لم يفعل بل كتب محاماة عن اوريجانوس رسالة أرسلها الى البابا ثوفيلس البطريرك الاسكندرى حينما كان يجلس اوريجانوس . فيظهر لنا أن اصدقاء اوريجانوس أكثرنا اعتبارا فى نظر الكنيسة من خصومه فلو كان اوريجانوس هرطوقيا لما دافع عنه أولئك وبالتالي كانوا يعتبرون مثله محرومين لغرامهم بمطالعة كتبه واجلاله لشخصه العظيم

والآن نأخذ فى ايضاح مذهب اوريجانوس فى التفسير . قال عنه موسيم المؤرخ « ان هذا المتوقد الذهن رأى ان لا طريقة سهلة بها يناضل عن كل ما قيل فى الكتب المقدسة ضد اشراك الهراطقة واعداء المسيحية لو سرفغة الكتاب المقدس حرفيا فصمم عزمه على تفسير الكتاب المقدس كما اعتاد الافلاطونيون على أن يفسروا توار يخ آلهتهم . فعلم ان الكلمات فى اماكن كثيرة من الكتاب المقدس لا معنى لها وفى بعض الاماكن حيث اعترف بأن لها معنى ما اعتقد بأنه يراد بالعبارة المذكورة معنى سرى مكتوم يجب أن يفضل عن معنى الكلمات الظاهر . وهذا المعنى المكتوم هو الذى يفتش عنه فى شروحاته بانتباه لكنه معوج وغالبا يتغافل بالكلية ويزدرى بالمعنى الظاهر . ويقسم هذا المعنى البعيد أيضا الى معنى ادبى ومعنى سرى أو روحى . المعنى الاول يعلمنا ما يتعلق بحال النفس الداخلى وبأعمالنا الخارجية . والمعنى الثانى يعلمنا حقيقة تاريخ العالم السرى أو الروحانى وشرائعه . وتخيل أيضا أن هذا العالم السرى مزدوج بعضه سام أو سماوى وبعضه دون أو ارضى أى الكنيسة . فلهذا قسم معنى الكتب المقدسة السرى الى ارضى أو تشبهي والى سموى أو روحانى . وطريقة تفسير الكتب المقدسة هذه التى استصوبتها اليهود كانت دارجة عند المسيحيين قبل اوريجانوس لكن لانه حدد لها قوانين ورتبها على هيئة نظام يعتبر غالبا كمبتدعها « أهـ

وقال صاحب « تاريخ الكنيسة » المطبوع فى اورشليم سنة ١٨٩٢ م « والغريب أن اوريجانوس بعد ما كان يتشبه ببساطة وايمان بمفهوم آيات الكتاب الحرفى مجريا بالفعل ما ورد فى

مت ١٠ : ١٠ فلم يقتن شيئا لذاته ومت ١٩ : ١٢ فخصى نفسه فصار يتخيل فى كل آية بسيطة من كتاب الله معنى أدبيا مشفوعا بسر غامض يلمع الى حوادث سموية « أهـ

ومع أن اوريجانوس تطرف كثيرا فى تفسير كل آيات الكتاب المقدس تفسيراً مجازياً وفى الاكثار من الاستعارات وجعله المحل الثانى للمحل الحرفى الا أن اغلب الكتاب المسيحيين يغتفرون له هذا التفنن لعلمهم بأنه سار عليه فى سبيل الذود عن حقائق ديانته المسيحية وقد ارتكب هذا الخطأ سهواً لانه حسبه أنسب طريقة لرد هجمات أعداء المسيحية بل كتب ما كتب بدافع الغيرة الدينية وهو مسيحى مخلص سليم الاعتقاد وأحد الذين عددوا غلطاته فى تفسيره قال « و يلوح لنا ان اوريجانوس كان تقيا ورعا وانه بنى بعض تعاليم الديانة المسيحية على مبادئ صحيحة مقررّة غير ان تفننه المطلق نكب بكثيرين من ذوى العقول الضعيفة عن سواء السبيل » أهـ (١)

أما أكثر مؤلفات هذا المفضل فقد وصلت اليها فى ترجمات غير صحيحة بقلم ايرونيوس وروفينوس وكثيرون من العلماء القدماء اقتبسوا منها . واشهر مصنفاته التى وصلت اليها فى اللغة الاصلية هى :

- (١) كتاب عنوانه « الرد على كلوسوس » كتبه فى ثمانية اجزاء
- (٢) مجموع مقالات فى « الصلاة الربانية » وهو الكتاب الثانى الذى وصل اليها بتمامه فى اللغة الاصلية
- (٣) كتابه فى « الشهداء »
- (٤) فى « الرئاسات » وهو كتاب بالغ الخصوم فى انتقاده وأجزاؤه اربعة :
 - ١ — يبحث عن الاقانىم فى الثالوث الاقدس وعن السقوط وعن الطبيعة العاقلة وعن المخلوقات المادية والروحية وعن الملائكة
 - ٢ — يبحث عن العالم وما فيه و يثبت ان اله العهد القديم واله العهد الجديد واحد و يفصح عن التجسد والقيامة وعقاب الصالحين
 - ٣ — يبحث عن حرية الارادة وعن الشيطان وعن تجربة الانسان وعن أصل العالم ونهايته
 - ٤ — يبحث عن الاسفار المقدسة وأصلها الالهى وعن كيفية مطالعتها ودرسها . و يوجد الآن من هذا الكتاب قطع كبيرة فى اللغة الاصلية ولا سيما من الجزء الثالث والرابع ولنا أيضا اللغة اللاتينية لروفينوس واجزاء أخرى لارونيوس
- (٥) شرح الكتاب المقدس فى ثلاثة أجزاء :

- ١ — يتضمن تفسير بعض الاسفار المقدسة كسفر التكوين والخروج وحزقيال النخ وانجيل متى ويوحنا والرسالة الى أهل رومية النخ ولم يبق من هذا الجزء سوى أوراق قليلة
- ٢ — يتضمن ملاحظات على آيات غامضة من الكتاب وهو لا يعرف الا من الماع المعلمين الاولين اليه واقتباسهم منه
- ٣ — يتضمن مواعظ ومقالات قدمها في قيصرية أو ارتجلها بعد ان اتى عليه من العمر ستون سنة بعضها موجود الان في اللغة الاصلية ولكن اكثرها مترجم الى اللغة اللاتينية بنقلهم ايرونييموس وروفيوس .
- (٦) كتاب موسوم « بالمتنوعات » في عشرة اجزاء الفه اقتداء باكليميندس استاذ غير ان هذا الكتاب فقد ولم تبق منه سوى فصول قليلة استشهد بها ايرونييموس في مصنفاته
- (٧) كتاب عنوانه « القيامة » لم يبق منه الا اجزاء قليلة
- (٨) رسائل عديدة دون منها يوسيبوس مائة رسالة غير انها فقدت ما خلا القليل منها
- (٩) كتاب عناه « بالمسدسات » وضع فيه آيات الكتاب المقدس في ستة حقول متوازية :

- ١ — يتضمن المتن في اللغة العبرانية . بحروف عبرانية
- ٢ — آيات الكتاب المقدس في اللغة العبرانية بأحرف يونانية
- ٣ — الترجمة اليونانية التي وضعها اكو يلا الدخيل اليهودي في أوائل القرن الثاني
- ٤ — الترجمة اليونانية لسماخوس الابيوني السامري الذي نبغ في القرن الثالث
- ٥ — الترجمة السبعينية التي نشأت في الاسكندرية في القرن الثالث قبل المسيح
- ٦ — الترجمة اليونانية التي وضعها ثيودتيون الدخيل اليهودي بعد اكو يلا بزمن قليل

وقد وضع اوريجانوس في بعض كتبه ترجمة خامسة وسادسة وسابعة للكتاب المقدس وكان قصارى مرغوبة تنقيح الترجمة السبعينية بمعارضتها بسائر الترجمات فكان يدل على الآيات غير الواردة في الاصل العبراني بهذه العلامة x ويدخل الآيات المحذوفة في الترجمة السبعينية واضعاً قبالتها هذه العلامة * وقد كانت نسخة هذا الكتاب الاصلية محفوظة في مكتبة قيصرية التي انشأها بامفيلوس الشهير المناضل عن اوريجانوس والارجح ان الاسلام احرقوها مع سائر النسخ النفيسة عند افتتاحهم هذه المدينة سنة ٦٥٣ م ولم تكن نسخة اخرى مثلها وقتئذ كانت الترجمة السبعينية المنقحة متواترة وحدها ولا يبعد أن اوريجانوس الف كتباً أخرى عديدة على الاسفار الالهية وكتب رسائل جمة ضد بعض البدع ولما كان جدول مؤلفاته التي وضعه يوسيبوس وايرونييموس مفقودا عزيت اليه رسائل لم يكن يعرفها مطلقا . كما انه اول من كتب كتباً لتعليم الديانة للمبتدئين ويعتبر كتاب « ستروماتا » وكتبه الاربعة المبادئ شرح اكثر لتعليم المسيحية

وقد جد العلماء فى طبع مؤلفات اوريجانوس لاسيا ترجمات الكتاب المقدس وأهتموا باعادة ما فقد منها وجعلوها على نسق القطع الموجودة وطبع الجميع عدة طبعات اشهرها طبعة منتفوكون وهى فى مجلدين طبعا فى باريس سنة ١٧١٣ م وطبع كتب المبادئ حسب ترجمة روفينوس اللاتينية مع نقصه وتغييره وتحريفه طبعه ردينينغ فى ليبسيك سنة ١٨٣٦ م وطبعة ثنيتسر فى ستغارت وطبع رسالة فى الاستشهاد وتستين فى بازل سنة ١٦٧٤ . وطبعت تأليفه كلها فى باريس بين سنة ١٧٣٣ و ١٧٥٩ فجاءت فى اربعة مجلدات ضخمة

الا ان افضل الكتب التى وضعها تلك الثمانية كتب التى دافع بها عن النصرانية ردا لمزاعم كلسوس عدوها وايضا حا لقيمة هذا الكتاب ولفضل اوريجانوس ننقل عنه النبذ الاتية قال : (١) « ربما كان الاليق بنا ان نقتفى بأثر يسوع المسيح الذى كان صامتا امام قضائه ولم يجب على الافتراء المنزل فيه من اعدائه الا بقداسة سيرته وبشهرة آياته . هكذا قد يعتبر بلا فائدة دحض الوشائيات التى لم تزل الانام الاشرار تنزلها فيه لانه يبرأ نفسه منها تبرئه كاقية بفضيلة تلاميذه الحقيقين التى تخزى شهرتها جميع الاكاذيب فلا اكتب اذا لاجل تأبيد المؤمنين الحقيقيين لان المحاماة عنهم خارجة عن حكم اللزوم بل اكتب لأجل الغير المؤمنين الذين يمكنهم ان ينالوا فائدة من هذا التعليم

فبعد أن دحض اعتراضات كلسوس الخصوصية ايد صحة الدين المسيحى ببيانات لا رد عليها بالنبوات التى انذرت بيسوع المسيح وبآياته وسيرة تلاميذه فقال : نظرا الى النبوات ينبغى بالعدل ان تصدق كتب اليهود وكتب باقى الامم ولا يجب ان يقع الريب فى قدميتها اذا اعتبرت الحجج التى أتى بها يوسفوس وتاسيانوس المصدق قولها والمعول على روايتها : ثم أتى أوريجانوس بذكر النبوات التى أنذرت جليا بميلاد يسوع المسيح وآلامه وموته وجميع لواحق مجيئه . وبين ان اليهود منذ أتى يسوع المسيح لم يعد لهم لا نبوات ولا معجزات ولا ادنى علامة تدل على أن الوقاية الالهية عندهم كما يرى عند المسيحيين . فنظرا الى المعجزات لم ينكر كلسوس أن يسوع المسيح أتى بمعجزات لكنه كان ينسبها الى صنعة السحر فرد عليها أوريجانوس بأنه توجد وسائط أكيدة يميز بها سحر ابليس من المعجزات الحقيقية التى هى عمل البارى تعالى وهذه الوسائط تقوم بالفحص عن آداب صانعها وتعليمهم والمفاعيل التى تبرزها هذه المعجزات فوسى والانبياء و يسوع المسيح وتلاميذه لم يعلموا الا ما كان مطابقا كل المطابقة للصواب وجزيل الفائدة للاداب الصالحة للجمهور فهم أول من وضعوا بالعمل ما عملوه وكان التأثير عظيما ومستديما أما موسى فهذب أمه برمتها وساسها بنواميس مقدسة و يسوع المسيح ضم جميع الامم الى معرفة الاله الحقيقى ولا لسحرهم ومكرهم نتائج صالحة

(١) عن خلاصة تاريخ الكنيسة للعالم الفاضل لومند الافرنسى ج ١ ص ١٠٤ — ١٠٩

فانبعاث يسوع المسيح من الموت الآية العظيمة وأساسا الدين المسيحي لا يمكن قط أن تشبه بمكر لان يسوع المسيح مات مشتهرا معلقا على صليب تجاه كامل الشعب اليهودى ودفن وبقى فى القبر ثلاثة ايام وكان القبر مختوما والجنود تحرسه فظهر مدة اربعين يوما لبطرس ولباقى الرسل ثم خمسمائة تلميذ كانوا مجتمعين معا . فللم يشاهدوه منبعثا ولولم يتيقنوا الوهيته لما كانوا قط عرضوا بنفوسهم للعذاب والموت ليندروا فى كل مكان التعليم الذى اخذوه عنه كما أمرهم بل لكان موته المحجل مما محامى عقولهم ذكره ولكانوا عدوا نفوسهم مخدوعين ومن ثم لكانوا أول من شجبوه وردلوه . فوجب أن يكونوا شاهدوا أمرا خارق العادة حتى اعتنقوا تعاليمه وجعلوا غيرهم يعتنقونها ولم يبالوا لذلك لإبراحتهم ولا بحريتهم ولا بحياتهم فكيف يمكن أن اناسا جهلاء وأمينين يقدمون على تغيير العالم بأسره ان لم يكونوا مؤيدين بقوة الهية وكيف يمكن ان الشعوب ينبدون عوائدهم القديمة بانذارهم و يتبعون تعاليم مغايرا لولم يكونوا انبدلوا بقوة خارقة العادة وبمعجزات باهرة

ثم أثبت اوريجانوس الوهية الدين المسيحي بالانقلاب العجيب الذى يبرزه فى من يعتنقونه فقال : ان المفعول الصادر عن الانذار بالانجيل هو اصلاح الاداب فلو شفى أحد مائة انسان من رذيلة الدنس يستصعب الظن بأن ليس فيه شىء فائق الطبيعة . فان كان ذلك ما القول فى جمهور واقر من مسيحيين قد انقلبوا عما كانوا عليه منذ قبلوا هذا التعليم فاصبحوا معتنقين العفة الكاملة فى جميع امصار المملكة فان قواعد آداب المسيحيين ترفعهم كثيرا فوق غير المسيحيين فيردع المسيحي آلامه الشديدة ليرضى الله سبحانه أما الوثنيون فيتمردون فى حماة الشهوات القبيحة ولا يستحون بها ويزعمون انهم يراعون الفضل والصلاح بينما هم متورطون فى اعماق الفساد . فأقل المسيحيين تفقها احسن استنارة فى شرف العفاف وعظمته من فلاسفة الوثنيين وبتولاتهم وكهنتهم الافضل آدابا . فليس أحد بيننا مدنسا بهذه القباحات وان وجد أحد فليس هو من عدد الحاضرين اجتماعاتنا ولا هو مسيحي فبالحقيقة كانوا يطردون من الكنيسة من سقط فى اثم لا سيما فى اثم الدنس فكانوا يندبون حالهم كأنهم موتى عن الله ومتى عادوا تائبين كانوا يفرضون عليهم قوانين ويمتحنونهم امتحانات اصرم من تلك التى كانوا يجرونها عليهم لاجل العماد فلم يعد يسوع لهم أن يباشروا أدنى خدمة فى الكنيسة . ثم قال اوريجانوس ان المسيحيين يراعون زمام الامانة نحو ملكهم حق المراعاة فهم بعيدون عن انشاء أدنى سجنس بعدا هذا حده حتى انهم بمقتضى امر سيدهم وواضع ناموسهم لا يستعملون اسلحة ضد اعدائهم الا الصلاة والصبر لان يسوع اراد ان يسلحوا نفوسهم للذبح كالخراف ولا يبادروا الى ادنى مقاومة قهرا فان الله سبحانه هو المكلف بمصالحهم وبالحماية عنهم فيربحون بهذه الوداعة أكثر مما يربحونه بالمقاومة فضلا عن ان الظالمين لم يستطيعوا ان يستأصلوا المسيحيين نرى موت الشهداء لم يزل يزيدهم عددا فان القساوة التى كانوا يجرونها على المسيحيين لم تخمد قط حرارة غيرتهم على ترجيع غير المؤمنين فكان منهم أناس لم يكن لهم عمل الا الانذار بالانجيل فى المدن والقرى ولئلا يظن بهم أنهم يصنعون ذلك رغبة فى ربح لم يكونوا يقبلون شيئا كليا حتى ولا ما كان لازما لمعاشهم واذا اضطروهم الاحتياج الى قبول شىء فكانوا يكتفون بما هو

ضرورى فقط و يأبون أخذ ما زاد على ذلك ولو قدم لهم طوعا : ثم يردف أوريجانوس كلامه بقوله : أما الآن حيث يوجد بين جمهور المسيحيين أغنياء وأصحاب مقامات ونساء شريفات فرما يظن بأن الانذار بتعليمنا شرفا ولكن هذا الظن لا حامل له فى البداية والان أيضا ما نناله من الكرامة من بعض خاصتنا لا يوازي الامتهان والاهانات التى تلتحق بنا من قبل الوثنيين : ثم اشار أوريجانوس الى أن المسيحيين مع ما كانوا عليه من اضطرام الغيرة على ترجيع غير المؤمنين للإيمان لم يكونوا يهملون اجراء الامتحان بقدر الامكان على الذين يرومون لعنناقه فكانوا يهبطونهم خاصة بالمواعظ قبل ان يقبلوهم فى الاجتماع وعندما كانوا يشاهدونهم فى عزم شديد مخلص على ان يسلكوا سلوكا جيدا فكانوا يدخلونهم فى الجمعيات مميزينهم أيضا الى مصافين أى مصاف المبتدئين ومصاف المتقدمين وكانوا يخولون أناسا مخصوصين بالسهر على سيرتهم لكي يبعدوا عن الاجتماع من لم يكن سلوكهم مطابقا للدين المسيحى و يرشدوا غيرهم فى سبيل التقوى والفضيلة » أهـ

القسم الثالث الحكومة والكنيسة

(الفصل الاول (حوادث الاضطهاد)

(٢) اضطهاد ساو يرس سبتموس

(١) اضطهاد ادر يانوس

(١) اضطهاد ادر يانوس :

ان سوء الظن الذى كان سائدا على الافهام من جهة المسيحيين حينئذ جعل الكثيرين ولا سيما ذوى الشأن ينظرون اليهم بعين البغض والكراهة . وفى عهد تملك ادر يانوس قيصر من سنة ١١٧ م كانت الاشاعات الباطلة عن المسيحيين قد بلغت حدها حتى انه لما أتى هذا القيصر الى الاسكندرية وأخذ يتجول فى أنحائها كتب لصاحب له اسمه سر يانوس من عظماء الرومانيين عن احوال مصر يقول « قد استقصيت أحوال مصر واستقرت عوائدها واطلعت عليها اطلاعا كليا وكنت فى بادىء أمرى اصفها بالمدح وأتخشى ذمها فتبين لى بعد التأمل والنظر انها عبرة لمن اعتبر فى طائشة لا تدوم على حال ولا تنكف عن المشاغبة والمنافرة لا سيما فى أمور الدين وما يتولد منها على أن من لم يعبد الشمس والعجل أبيس عد نصرانيا مع انه ليس كذلك بل الذين يحترمون الشمس والعجل ولا فرق فى ذلك بين الاسنف وحاخام اليهود وكل قسيس أو راهب أو عامى له فى الشمس أو فى العجل احترام . و يغلب على فكرى انه لو أتى بطريرك النصارى الخارجين عن

ديار مصر ودخل مصر لشارك أهلها فى التمسك بهذه الاحترامات الدينية وربما اعتقدوا أن العجل والشمس والمسيح انما هم أسماء مترادفة وانها فى الحقيقة شىء واحد» أهـ

ويظهر ان الذى حمل ادريانوس على أن يرتكب هذا الخطأ فى الحكم هو انه وجد بين علماء المدرسة اللاهوتية المسيحية وعلماء المدرسة الوثنية الاولى (١) علاقات اتحاد متينة العرى . واستمر ادريانوس متشبثا بخطأه من جهة المسيحيين حتى انه لما اضطهد اليهود فى مصر اشتد على المسيحيين فيها أيضا فقتل منهم خلقا كثيرا حتى خيل للناظر انه أفناهم جميعا ولاجلهم أمر بتعميم عبادة الاوثان وارغام المسيحيين بنوع خاص على السجود لها

(٢) ساويرس سبتيموس :

وبعد ادريانوس توالى جملة قياصرة لم يكن لهم اهتمام يذكر بمسيحي مصر حتى استولى على العرش ساويرس سبتيموس سنة ١٩٣ م . ولما استتب له الملك وفد على مصر وأخذ يتجول فى أنحائها حتى وصل الى مدينة طيبة وقد هاله ما شاهده فى سياحته من الانتشار السريع الذى أحرزته الديانة المسيحية وأوجس خيفة من تمدن أهلها وكثرة عددهم وخشى منهم على المملكة الرومانية نفسها فأصدر أوامره لليتوس والى مصر الرومانى بمحو آثار ذلك الدين

وقد كانت أوامر القيصر هكذا صارمة وقد بذل الوالى جهده لجعل الاضطهاد قاسيا طبقا لرغائبه حتى عم جميع أنحاء القطر المصرى الا أن الضغط الشديد كان على مدينة الاسكندرية بنوع خاص لأنهم كانوا يعتبرونها مركز الديانة المسيحية . ومن شدة هول الاضطهاد الذى دام طول مدة بقاء القيصر بمصر ولم يكف الا بعد تركه اياها قفلت المدرسة اللاهوتية وتشتت شمل تلاميذها ولازموا بيوتهم وفراساتهم الى خارج البلاد ليفوزوا بحياتهم

وكان اضطهاد ساويرس دون باقى القياصرة منحصر بالأنخص على العالم المسيحى فى مصر وافريقيا لانه لم يكن يخشى من المسيحيين سوى الاقباط وذلك لمعرفته بوفرة ثروتهم وكثرة علومهم ومعارفهم . ولما كان لا ينقص أهل مصر فى ذلك الحين للتخلص من نير الرومانيين غير الاتحاد والوثام وكان الدين المسيحى هو العامل على لم شعثهم ونظم عقدهم حاول القيصر أن

(١) أنشأها بطليموس الاول ولبثت تخرج العلماء المجتهدين مدة ٩ أجيال من سنة ٣٢٣ ق . م الى ٦٤٠ ب . م وكانت تشتمل فضلا عن الفلسفة فى الطب والكيمياء والطبيعة والحساب والهندسة والفلك والجغرافية والموسيقى والتاريخ واللغة النح . وكان مصر أبحاثها :

(١) المكتبة الكبرى كان فيها ٧٠٠ ألف مجلد واحترقت عند دخول بوليوس قيصر مصر

(٢) المكتبة الصغرى وتحتوى على ٣٠٠ ألف مجلد باد معظمها أثناء اضطهاد الوثنيين للمسيحيين

(٣) الرواق وفيه كانوا يتمرنون على درس العلوم . ومن مآثر هذه المدرسة ترجمة التوراة من العربية الى اليونانية وهى الترجمة المعروفة بالسبعينية

يلاشى ذلك الدين من مصر غير مكترث بمسيحي باقى الاقطار لما كان عليه أهلها من الفقر والضعف

وقد استشهد من الاقباط فى ذلك الاضطهاد كثيرون ولشدة الاضطهاد ظن المسيحيون ان المسيح الدجال قد ظهر . وقد شهد اكليمندس الاسكندري انه كان عدد عظيم من المسيحيين يستشهدون يوميا مقاسين انواع العذاب وقال ان كثيرين منهم كانوا يصلبون أو تقطع رؤوسهم أو يحرقون امام أعيننا

واستمر الوالى الرومانى بمصر يعذب المسيحيين سبع سنوات و يوقع بهم صنوف البلى فكان يهجم على الرجال والنساء فى بيوتهم فجأة و يقبض عليهم ويجرهم الى مكان القتل وهناك تقطع رؤوسهم بعد ان يذوقوا أمر عذاب . وبعضهم يلقون فى السجون و يبقون بها حتى تفتك بهم الامراض . وكانوا أحيانا يعاملونهم بمنتهى القساوة كما يرغب المشرفون عليهم وأحيانا يرفق بهم فيسمح لهم بمشاهدة أهلهم وأصدقائهم والتكلم معهم مما يخفف عنهم آلام السجن نوعا

وكان المسيحيون يقابلون بعضهم بعضا فى الطرقات وكل منهم يظهر للآخر انه ينتظر اليوم الذى يقبض فيه عليه ولم يكونوا يستطيعوا التكلم عن المسجونين الا همسا فى الآذان فكان الواحد منهم يقول لصاحبه «أتاك الخبر أن فلانا قبض عليه وسجن ولا يمكن ان يطلق ثانية» وكقول بعضهم «واسفاه على حالتنا التعيسة . ما العمل» ولم يزل الامر كذلك حتى ضاقت بهم رحبات السجون وسالت دماؤهم على الارض فخصبتها . وقد بلغت قساوة المضطهدين مبلغا جعلت النساء فى هذه الاضطهادات يعذبن عذابا اليما بخلاف الرجال الذين كانت تقطع رؤوسهم بدون تعذيب .

ولشدة الاهوال التى لاقاها المسيحيون انتشرت الاخبار بينهم حينئذ بأن المسيحيين قتلوا فى كل العالم أجمع وعملت السيوف فى النصارى فلم ينج منهم الا من لجأ الى الجبال واختفى فى المغائر

الفصل الثانى مشاهير الشهداء

(١) بوتامينا الفتاة العفيفة وأمها مارسلا وباسيليدس الجندى

(٢) صوفيا

(١) بوتامينا الفتاة العفيفة وأمها مارسلا وباسيليدس الجندى :

كانت بوتامينا هذه أمة حسنة وقد ربته أمها مارسلا على قواعد الايمان . ووضعتها تحت

ارشاد العلامة أوريجانوس فتمم تهذيبها . ولما كانت بوتامينا فتاة بارعة الجمال أغرم بها مولاها الذى كانت تخدمه وحاول مرارا ان يغريها تارة بالوعد وطورا بالوعيد ليتمكن من افساد بكارتها ولكنها قاومت اغراءه بعزم وثبات . فلما خاب امله منها احتدم غيظا عليها وعمد الى اهلاكها فشكاها الى والى الاسكندرية ووعدته بمبلغ وافر من المال ان استمالها الى رغباته القبيحة وطلب اليه ان لا يحكم عليها بالعذاب الا ان استمرت مصرة فى ابائها

فأحضرها والى الى المحكمة واستعمل معها جميع الوسائط الممكنة لاغرائها ولكنه لما رأى ان اجتهاداته المتكررة لم تنجح مطلقا وان بوتامينا ثابتة على عزمها رغم ما هدها به من العذاب حكم عليها أخيرا بأن تطرح فى قدر مملوء من الزيت المغلى اذا اصررت على عصيان مولاها . فأجابت القديسة والى قائلة . « استحلفك بحياة الملك الذى تجله أن لا تسمح بنزع أثوابى كى لا اظهر عريانه وعوضا من هذه النعمة التى تقتضيها منى فضيلة الاحتشام ارضى ان انزل رويدا رويدا فى القدر بأثوابى لكى تدرك مقدار الصبر الذى يمنحه لى مخلصى يسوع وانت لا تدريه » فقبل والى طلبها وسلمها للجلادين وبينما كانوا سائرين بها الى موضع العذاب تعرض لها اراذل الناس بالكلمات الدنسة فزجرهم أحد الذين كانوا مكلفين بحراستها و يدعى باسيليدس وحافظ عليها حتى وصلت الى المكان فلما شاهدت منه ذلك قالت له « تشجع فانى سأصلى من أجلك حينما أكون فى دار سعادتى بعد الموت »

وحالما فرغت من كلامها وضعت رجلها فى الزيت المغلى وأجرى عليها الجلادون نكالا بطيئا استقام ثلاث ساعات وهى تظهر صبرا مدهشا حتى تيقنوا أنفسهم بأن نعمة يسوع المسيح ترفع خدامه فوق اطول عذاب واشده وما وصل الزيت الى قمة راسها حتى اسلمت روحها فى يد القدير . وماتت امها مارسلا ايضا حريقا فى ذلك الوقت نفسه .

أما باسيليدس الجندى فقد اثرت عليه احوال تلك الفتاة التعيسة ولا سيما سجاياها الحميدة واحتمالها العجيب فأمن بمخلصها وقد انجزت القديسة وعددها له عندما طلب من أحد الجنود رفيقائه ان يحلف له بالآله فامتنع قائلا « أنا مسيحي » فظنوه يمزح أولا لكنهم لما رأوه ثابتا على الاعتراف بالايان قبضوا عليه وأتوا به الى القاضى فطرحه فى السجن فأتى المؤمنون يفتقدونه ومنحوه سر العماد ولما سألوه عن كيفية قبوله الايمان أجاب « أن القديسة بوتامينا ظهرت له فى رؤيا بعد موتها بثلاثة ايام وبيدها اكليل وضعته على راسى وهى تقول لى « ستكون معى بعد قليل » وفى اليوم الثانى قطع راسه بعد ما اعترف بيسوع المسيح اعترافا مجيدا

وروى ترتوليانوس واوريجانوس ان عددا عظيما من الوثنيين غير هذا الجندى تنصر حينئذ بواسطة مابدا من الصفات الحسنة من القديسة بوتامينا ومنهم ارنوبيوس أحد علماء البلاغة المشهورين بين كتاب الاجيال الاولى الذى شاهد القديسة بمجد فى حلم . وقيل انها ظهرت لكثيرين فأمنوا بالمسيح

(٢) صوفيا :

وفى ايام البابا أومانيوس البطريك السابع اشتد الاضطهاد على القبط فاستشهد منهم كثيرون . أشهرهم القديسة صوفيا من منف . وهذه القديسة هى التى نقل القيصرقسطنطين الكبير جسدها الطاهر الى القسطنطينية وشاد لها الكنيسة الشهيرة باسم (اجيا صوفيا) أى « القديسة صوفيا »

القسم الرابع البدع والانشقاقات

(١) المدرسة الوثنية الفلسفية

(٢) تطرف بعض طلبة المدرسة اللاهوتية فى التفنن

(٣) امونيوس السقاى (٤) باسيليدس

(٥) كركراتس (٦) فالنتينوس

(٧) الخلاف على تعييد الفصح

(١) المدرسة الوثنية الفلسفية :

لما ازدهرت المدرسة اللاهوتية ونمت النصرانية بفضل جهاد أولئك العلماء الافاضل الذين انجبتهم تلك المدرسة وكانوا ركنا متينا لدين المسيح دبت الغيرة فى قلوب الوثنيين فعملوا على مباراة المسيحيين وأنشأ رئيس فلاسفتهم أمونيوس السقاى الذى يظن بأنه احد مبتدعى المسيحيين المدرسة الوثنية الفلسفية وخصصها لتعليم الفلسفة الافلاطونية الجديدة وهى خلاصة مذهبى افلاطون وارسطو وفتحت لهذه المدرسة خزائن مكتبة الاسكندرية المملوءة بالمصنفات الموضوعة من علماء المصريين واليونان واخذوا يجهدون أنفسهم فى توسيع دائرة علومها فاشتغلوا فى تكثير المجلدات وزيادة التأليف فخصص قسم من النساخ لتدوين ما يمليه عليه المؤلفون المعاصرون واهتم قسم آخر بنسخ ما يتفنون عليه من كتب فلاسفة الوثنية القدماء ارادة زيادة انتشاره ليسهل على الجميع الاطلاع

وظهرت حينئذ كتب عديدة جدا ضد الديانة المسيحية غير أنها لم تأت بشمرة لاصحابها لان المسيحية كانت آخذة فى التغلب رغم كل مقاومة

وقد عظم شأن تلك المدرسة فى مدة مؤسسها وخليفته بلوتينوس و برفيروس ثم جاء جامليك فأخذ يقاوم تعاليم المدرسة المسيحية فابتدأت من ذلك الحين تتحول من تعليم الفلسفة الراقية

الى اعمال السحر والشعوذة وكان ذلك فى أيام القيصر يوليانيوس الجاحد من سنة ٣٦١ م - ٣٦٣ م الذى انهضها بعد سقوطها . ثم أخذت فى الانحطاط حتى اندثرت فى حكم القيصر يوستنيانوس سنة ٥٢٩ م ولم يراسها بعد جامليك سوى نيروكلوس وداماسوس

(٢) تطرف بعض طلبة المدرسة اللاهوتية فى التفنن :

قد ظهر فى مصر فى هذا القرن كثيرون من المبتدعين الذين كانوا يدرسون بمدرسة الاسكندرية وجرحهم الى الضلال تفننهم وقتئذ فى الباس القواعد الدينية ثوب المجاز والرمز ومحاولتهم مزج أسرار الديانة الوثنية المصرية وغوامض رموزها بقواعد الايمان المسيحى البسيطة مجتهدين فى اذاعة تعليمهم ومذهبهم فى الاسكندرية فكانوا يرغبون أن يكونوا مسيحيين و يتوشحوا بثوب الفلاسفة ورتبتهم واسمهم . وكانوا يعتقدون ان الفلسفة الحقيقية موهبة الله العظمى الشافية منتشرة فيما بين كل شيع الفلاسفة ويجب على كل عاقل ولا سيما المعلم المسيحى ان يجمع هذا النثر من كل الجهات ويحامي بها عن الديانة

وهؤلاء الاشخاص لقبوا بالاكلكتكتكيين « المنتخبين » واستخاروا تعاليم افلاطون واعتقدوا بأكثر تعاليمه عن الله والنفس والانسانية والعالم . الا ان اكثر هؤلاء ضلوا فى تعاليمهم ضلالا مبينا ومنهم :

(٣) أمونيوس السقاص :

يقال انه ولد وتهدب مسيحيا ويحتمل انه فقط كان مدعيا بالمسيحية كل حياته . وكان يرغب أن يضم جميع الاديان بما فيها الدين المسيحى الى ديانة واحدة ليعتنقها الجميع وحاول أن يجعل قواعد هذه الديانة مرضية لكل أهل الاديان المختلفة فحول كل تاريخ الآلهة الوثنية الى تشابه واستعارات مثبتا أن ما يكرمه العامة والكهنة بالقاب آلهة انما هم خدام الله الذين يليق بنا ويجب علينا ان نقدم لهم الخشوع حتى لا يبعدوا عن الخشوع الاعظم اللائق بالله تعالى . وسلم أيضا بأن المسيح كان انسانا خارق العادة وحبيب الله وعارفاً بعمل الله بنوع مدهش وانكر أن المسيح أخذ فى ملاشاة عباده الارواح خدام العناية الالهية (آلهة الوثنيين) بل أراد أن يزىل ما تلطخت به الاديان القديمة وتلاميذه أفسدوا ودنسوا مبادئ معلمهم

(٤) باسيليدس :

وهو أشهر الغنوسطيين كان من الاسكندرية ونشر ضلاله فيها آخذاً عن سيمون الساحر ومنشدر الهرطوقى واخترع خرافات أكثر سخافة من غيرها مدعيا أن ابراساس (الآب) خلق نوس (الفهم) وهذا خلق لوغوس (الكلمة) وهذا خلق فرونايس (الفطنة) وهى برأت صوفيا وديناميس (الحكمة والقدرة) اللتين فطرتا الملائكة وهم خلقوا السماء الاولى وبعض ملائكة

آخرين وهؤلاء خلقوا أيضا سماء ثانية وعلى هذا النسق اتصلوا الى انهم صاروا ٣٦٥ سماء أيام السنة ومقدار مجموع حروف كلمة ابراكساس اليونانية

وكان يقول أن اله اليهود كان رئيس ملائكة من الرتبة الثانية . ولما كان يرغب فى الاستيلاء على جميع القبائل ثار عليه جميع الرؤساء فأرسل الله نوس ابنه البكر لينقذ الناس من الملائكة الذين خلقوا العالم . وقال عن نوس هذا الذى هو يسوع المسيح انه قوة غير هيولية وكان يتشع ما شاء من الهيئات ولهذا لما أراد اليهود أن يصلبوا اتخذ صوره سمعان القروى واعطاه صورته فصلب سمعان لا يسوع الذى كان يسخر باليهود . ثم عاد غير منظور وصعد الى السماء

وروى ابن العبرى المؤرخ انه قال باكرام الحية وتعظيمها لانها المشيرة على حواء بالمجاعة ولولاها لما تناسل الناس . قيل وكان باسيليدس يفر من الاستشهاد و ينكب على مباشرة السحر و ينغمس فى كل نوع من الشبق . وكان يدعى بأنه أخذ تعليمه عن متى الرسول وغلوسيوس تلميذ بطرس الرسول . وعرض مذهبه على الناس بوجه سرى مبهم فتبعه قوم كثيرون واستمر مذهبه هذا الى أواخر القرن الرابع

(٥) كربوكراتس :

و يسمى اتباعه نيوستيثيين اعنى معلمين ومستنيرين وكان يزعم أولا أن يسوع المسيح كان ابن يوسف ومولودا منه كعامة الناس ومتميزا عنهم بقوته فقط وان الملائكة خلقوا العالم وأنه يلزم من أثر البلوغ الى الله أن يتمم جميع أفعال الشهوة المتمردة التى يجب أن تطاع فى كل شىء مجدفا بقوله انها ذاك العدو الذى يأمر الانجيل بأن نصطليح معه (مت ٥ : ٢٥) وكان يقول انه باحتقار شرائع الملائكة الاشرار كافة على هذا الاسلوب تتحصل قبة الكمال . وان النفس تنتقل الى أجساد مختلفة الى أن ترتكب جميع الافعال الاكثر شناعة . وكان يسلم بوجود نفسين وان الاولى منها دون الثانية تكون خاضعة للملائكة المتمردين . واتباع هذا الهرطوقى كانوا يدعون مسيحيين ويميزون أنفسهم عن غيرهم بوسمهم طرف أذنهم الادنى بالنار أو الحديد وكانوا يسجدون لصور تلاميذ فيثاغورس أو أفلاطون أو غيرهما من الفلاسفة مع صور المسيح سواء .

(٦) فالنتينوس :

لما لم يحصل على درجة الاسقفية التى كان هائما بها انشق من الكنيسة وقد أنكر تجسد المسيح من السيدة العذراء وزعم انه أتى بجسده من السماء ومر بجسد مريم كما يجرى الماء من القناة وعلم بتأثير متصل للارواح بالانسان فتى ازدادت الارواح فى جسده جعلت جميع أدناس الحواس جائزة وكان يقسم الناس الى ثلاث مراتب لحميين وحيوانيين وروحيين ويقول انه هو واتباعه من الروحيين ولذا كان بمعزل عن الاضطرار الى الافعال الصالحة لكونهم دون ريب فى قبة الكمال ولأنهم متأكدون نوال السعادة الابدية وكان يزعم ان اللحميين ممنوعون من الخلاص ومنتخبون للجحيم

وتتلخص تعاليم هذا الضال بأن البليروما (اسم غنوسطى لمسكن الله) فيه ٣٠ ايونا نصفهم ذكور ونصفهم أناث وغيرهم اربعة غير ممتزجين هم اورس (حارس حدود مسكن الله) والمسيح والروح القدس و يسوع . ثم أن صوفيا (الحكمة) أصغر الايونيين بينما هى مشتاقة لادراك طبيعة اللاهوت الاعظم ولدت بنتا اسمها حكيموث (العلوم) التى طردت من مسكن الله الى حكام المادة الضخمة الغير المنتظمة فبمساعدة يسوع ولدت ديميارغوس (صانع) بانى كل الاشياء وهذا افرز المادة اللطيفة الحيوية من المادة الكثيفة فصنع من الاولى السموات ومن الثانية الارض ومزج البشر من نوعى المادة وأمه حكيموث اضافت لهما جوهرًا ثالثًا سماويًا روحانيًا

الا أن ديميارغوس داخلته الكبرياء ورام أن يحسبه البشر الها وأرسل لليهود أنبياء ليظهروا لهم اولوهيته وتبعه كثيرون من الملائكة الذين تسلطوا على اجزاء العالم المخلوق وادعوا ادعاءه . فارسل المسيح وهو مركب من جوهر حيوى روحى ليبطل تمردهم آخذًا جسداً أثرياً من السماء ومر به من جسد العذراء كما تجرى المياه من القناة وبه اتحد يسوع اعظم الايونيين وقت عماده . فلما رأى ديميارغوس أن يسوع يسعى فى تقويض سلطانه أمر بصلبه غير انه لما قبض عليه تركه المسيح ونفسه العاقلة وعلق على الصليب نفسه الحاسة وجسده الأثيرى

(٧) الخلاف على تعييد عيد الفصح :

كان يسمى يوم تذكار موت المسيح وتكفير الشعب « الفصح » وسمى كذلك لأن المسيح صلب يوم حفظ اليهود فصحتهم . ولم يكن يعيد سنوياً فقط بل كان يعيد ذلك التذكار الخلاصى كل أحد . فكان يوم الاحد يعتبر أيضاً من جميع المسيحيين يوم فرح وهجة فيقضونه بالصلاة وقوفاً وبلا صوم . غير ان الفصح السنوى كانت له شعائر خصوصية فى قلوب المؤمنين وكان يحتفل فيه بتذكار الآلام والقيامة معا .

غير ان فى ذلك الحين قام خلاف شديد بشأنه بين مسيحي آسيا الصغرى وكيلىكيا وسوريا وبين النهرين وبين غيرهم من المسيحيين . فكلاهما صام الاسبوع المسمى الآلام الذى مات فيه المسيح وفيه حفظوا عيداً مقدساً أو أكلوا خروفاً كما كانت تفعل اليهود تذكاراً لعشاء مخلصنا الأخير . غير ان مسيحي آسيا وما يجاورها كانوا يحفظون الفصح فى اليوم الرابع عشر من شهر نيسان العبرى فى الوقت الذى اكل اليهود فصحتهم فيه . وفى اليوم السادس عشر حفظوا تذكار قيامة المسيح فى اى يوم من الاسبوع اتفقاً اعنى من دون مراعاة يومى الاحد والجمعة . فكانت تعتبر أهمية اليومين فى عددتهما الشهرى ١٤ و ١٦ نيسان اللذين فيها بالتمام تألم وقام لا فى غيرهما . وقالوا انهم أخذوا هذه القاعدة من الرسولين يوحنا وفيلبس وعضدوها أيضاً بمثال المسيح ذاته الذى عمل فصحه مع اليهود . وكانوا يعتبرون يوم الآلام من وجه عقائدى يوم تحرير من العبودية وخلاص فكان يعد عندهم يوم فرح وينعون بعد انقضائه الحزن والصوم معا

ولكن الكنيسة المصرية لم تعتبر الالهية فى عدد اليوم من الشهر بل فى اسمه الاسبوعى
أعنى الجمعة والاحد . فكانت ترى من الضرورى ان يكون تذكار الآلام يوم الجمعة وتذكار القيامة
يوم الاحد . ولهذا السبب كانت فى السنين التى لا يتفق ان يكون اليوم الرابع عشر من نيسان يوم
جمعة تعيد الآلام أول يوم جمعة بعده ثم القيامة يوم الاحد واسندوا هذه القاعدة الى بطرس وبولس
الرسولين قائلين انها أصلها . وكانوا يعتبرون اليوم على وجه تاريخى يوم حزن ولم يسمح عندهم بحل
الصوم قبل تذكار القيامة وقد وافق اساقفة رومية وانطاكية واورشليم اذ ذاك على أن يتبعوا ما اتبعه
مسيحو الاسكندرية بناء على ما كتبه اليهم البابا ديمتر يوس فى ذلك

فكانت الكنائس متفقة على ضرورة تعييد الفصح ولكنها اختلفت فى تعيين اليوم الذى
يعيد فيه حتى كان بعضها يعيد بعد الآخر باسبوع أحيانا . وبين سنة ١٦٠ و ١٦٣ م سافر القديس
بوليكربوس أسقف ازمر الى رومية لينهى بعض مسائل من جملتها مسألة الفصح آملا باقناع أسقف
رومية نيشيوس العاشر فى اساقفتها فى ان تعيد كنيسة الفصح مثل كنائس آسيا . وبعد جدال
طويل لم يتمكن أحدهما من اقناع الآخر . غير ان هذا الخلاف لم يكن مكذرا لسلامة المسيح بل
كانت المحبة مستقرة فى القلوب حتى أن نيشيوس تنحى للقديس بوليكربوس ليجرى تقديس
القرايين

ونحو ختام هذا القرن ارتأى فيكتور اسقف رومية انه يجب الزام المسيحيين الذين فى آسيا
بالشريعة والاوامر لكى يتبعوا قانون اكثر العالم المسيحى . وكان وقتئذ البابا ديمتر يوس على
الكرسى الاسكندرى وناركيسس فى اورشليم وباكشيلس فى كورنثوس وبوليكراتس فى افسس .
فعقدت حينئذ مجامع كثيرة مكانية اجتمعت فى قيصرية واورشليم والبنطس وغلاطية وكورنثوس
ورومية وبين النهرين وغيرها وجميعها قررت رأيا واحدا وهوان تراعى عادة تعييد الفصح اقتداء
بالكنيسة الاسكندرية أى القيامة يوم الاحد وان لا يحل الصوم الا فيه لان اعظم المسيحيين استحرم
حفظ يوم آخر من ايام الاسبوع غير يوم الرب تذكارا لقيامه المسيح . وارسلت القرارات الى جميع
الكنائس

غير أن كنائس آسيا وفى مقدمتها كنيسة ازمر واسقفها بوليكراتس لم ترض بأن تغير عاداتها
القديمة وأجابوا اسقف رومية بجدة بأنهم لا يعدلون عن وضع سلفائهم المقدس . فاذا تهيج فكتور من
هذا العزم منعهم من شركته وشركة كنيسة وليس من شركة الكنيسة الجامعة لأنه لم يكن قادرا
على ذلك اى انه قال انهم ليسوا مستحقين ان يسموا اخوته . ولكن بوليكراتس جمع مجمعا مؤلفا من
خمين اسقفيا كانت نتيجة محاوراته رفض طلب فكتور واعتبر عمله تعديا . ثم كتب بوليكراتس
لفيكتور رسالة سنة ١٩٧ م استشهد فيها على صحة عقيدتهم بفيلبس الرسول وابنتيه ويوحنا الحبيب
وبعض الشهداء والقديسين وختمها بقوله « ان الذى يقضى سبعين سنة فى مطالعة الكتب المقدسة

والذى رأى بعينه رسل الرب المشتتين فى البلدان للتبشير. لا يبالى بالتهديد ولا بالوعيد وهو يعلم انه يجب ان يطاع الله اكثر من الناس » أه

وما استلم فكتور هذه الرسالة حتى اخذ منه الحق كل مأخذ فوق الحرم على بوليكراتس ونادى بهرطقة كنائس اسيا وبضلاها ثم كتب بذلك الى جميع الكنائس المسيحية . غير ان الاساقفة الذين لم يكونوا حتى هذا التاريخ قد رأوا مثل هذا التهور فى كنيسة الله كنيسة الصلح والسلام حملوا حملة شعواء على فيكتور بأن ارسلوا له رسائل مرة يوبخونه فيها على سوء صنيعه ومن اشهر هذه الرسائل رسالة ايريناوس التى خاطبه فيها بقوله « ان الاختلاف فى يوم تعيين الفصح امر قديم فى الكنيسة وليس بجديد كما تظن . بل هو قائم فى عهد اسلافنا الكرام الذين لم يقطعوا لذلك اسباب المودة والاخاء . واعلم ان الاساقفة الذين تولوا قبلك زمام الكنيسة الرومانية كانوا يشتركون فى الصلاة مع الكنائس الاخرى التى كانت تخالفهم فى ليلة العيد دون ان يحصل نزاع مطلقا ودون ان يفصموا مثلك رباط الالف والمودة » أه

وهكذا تمكن ايريناوس بواسطة مكاتيب محكمة أرسلها الى فكتور وغيره من الاساقفة الذين لم يقطعوا علاقاتهم مع شركة الكنائس الاسيوية ان يخمد نار الخلاف و يوقف سيره وامتداده واضطر فكتور ان يرضخ لحكم الاساقفة واذعن لصوت الكنيسة العام وعاد الى شركته مع كنائس آسيا مع مخالفتها له فى موضوع الفصح

وكتب اساقفة آسيا رسالة مستطيلة يبررون انفسهم فيها وهكذا استمر كل من الفثنين على عادته المختصة به الى ان ابطل عادة مسيحي آسيا المجمع النيقاوى فى القرن الرابع بأن اناط بالاساقفة الاسكندريين تحديد يوم عيد الفصح فظلوا يعينونه لجميع الكنائس المسيحية قرونا طويلة وترتب من ذلك الحين ان يصدر بابوات الاسكندرية رسالة فى كل عيد فصح يرسلونها لجميع الكنائس المسيحية وعموما والمصرية خصوصا فى اليوم الذى يقع فيه عيد القيامة من كل سنة . وكانت لهذه الرسائل اهمية عظيمة حتى عند غير المسيحيين لما تضمنته من الحساب الفلكى الدقيق الذى جرى عليه المصريون القدماء بالضبط ولذلك عهد بكتابتها الى بطريرك الكنيسة القبطية المصرية وحده لعلمه بهذا الحساب التاريخى علما تاما وكانت فاتحة هذه الرسائل موعظة بليغة تقرأ فى الكنيسة جهارا . ولا تزال الكنيسة القبطية سائرة على تلك القواعد التى وضعها رؤساؤها لكنائس العالم اجمع . وقيل ان الذى وضع ذلك الحساب المشهور بالابقطى (١) هو بطليموس الفلكى الفرماوى صاحب كتاب المجسطى فى عهد البابا ديمتريوس فنسب اليه ودعى بحساب الكرمه

(١) الابقطى هو عمر القمر فى أول توت من كل سنة

فلو كانت كل الكنائس اعتقدت فى القرن الاول ما تعتقد به الكنيسة الرومانية الان من
رياسة باباواتها وعصمتهم لما انتظرت حكم المجمع المسكونى الاول لتخضع له وتعمل بأوامره بل
لخضعت للبابا الرومانى المعصوم صاحب السلطان المطلق

ولبثت الكنائس سائرة على هذا الترتيب حتى سنة ١٥٨٢ م حين وضع اغريغور يوس ال
١٣ أسقف رومية تقويمه الغورى الذى ادخل به اصلاحا على التقويم اليوليانى ولذلك صارت
الطوائف الغربية التى سارت على التقويم الغورى تعيد الفصح بعد اكتمال البدر الذى يلى
الاعتدال الربيعى مباشرة بدون نظر الى تاريخ ذبح الخروف اما الطوائف الشرقية فظلت باقية على
العادة الاولى الى اليوم

ففى بعض السنين يتفق ان يكتمل اول بدر عيد الاعتدال الربيعى فى الوقت الذى يأتى
فيه ذبح الخروف فتعيد جميع الطوائف المسيحية فى يوم واحد . ولكن فى سنين اخرى يكون اكتمال
البدر قبل ذبح الخروف فيأتى عيد الفصح عند الغربيين متقدما على الشرقيين . ومدة هذا التقدم
تتراوح بين اسبوع على الاقل وخمسة اسابيع على الاكثر ولا يأتى عيد الشرقيين قبل عيد الغربيين
مطلقا

فالغرض من حساب الابقطى . انما هو تعيين يوم ذبح الخروف عند اليهود . ومنه يمكن
تعيين عيد الفصح والاعياد المرتبطة به كعيد الصعود وعيد العنصرة وذلك لانه بين السنة التوتية
القبطية والسنة اليهودية فرقا نشأ من أن السنة الاولى شمسية والسنة الثانية ذات اشهر قريه ولكى
يقع الفصح اليهودى دائما بعد الاعتدال الربيعى يضيف اليهود شهرا على سنتهم كل سنتين أى انها
فى السنتين الاوليين ١٢ شهراً وفى الثالثة ١٣ شهراً وبذلك جعلوها سنة شمسية ولو أن شهورها
قريه (١)

القرن الثالث

القسم الأول

تاريخ البطارقة

- | | |
|----------------|-----------------|
| (١) ياروكلاس | (٣) ديونيسيوس |
| (٢) مكسيموس | (٤) ثاؤنا |

(١) ياروكلاس — البطريك الثالث عشر :

ولد فى الاسكندرية من أبوين وثنيين صارا فيما بعد مسيحيين وادخلا ابنهما ياروكلاس فى المدرسة اللاهوتية ليدرس العلوم بها فتعلمذ للعلامة اوريجانوس وأظهر مهارة فائقة ونبوغا عظيمة حتى خصه البابا ديمترىوس بعناية ورسمه شماسا فقسا ثم عينه مديرا لتلك المدرسة وسلمه مقاليدها بعد طرد اوريجانوس منها . وقد أوكل اليه القيام بالوعظ فوق منبر الكنيسة المرقسية بالاسكندرية فاجتذب برقة أسلوبه وحسن سلوكه عددا غير قليل من شبان الوثنيين . وعقب وفاة البطريك ديمترىوس كان قد حاز صيتا بعيدا فى العلم والعمل فاجمع الكل على توليته منصب البطريكية ورسموه فى شهر بابه سنة ٢٣٢ م فى عهد ساويرس قيصر

مكسيمينوس ضد المسيحيين . ولم يرجع اليها الا بعد أن هدأت القلاقل ونامت الفتن وتقوت المسيحية وكثر عدد المنضمين اليها وأوجد عدة ابروشيات جديدة حتى أقام عشرين أسقفا على معظم مدن القطر المصرى واستمر فى جهاده مدة ١٦ سنة وشهرا واحدا و٢٦ يوما وتوفى فى ٨ كيهك سنة ٢٤٧ م

وبالنسبة لشدة اعتبار الكهنة والشعب لهذا البطريك ومحبتهم له دعوه (بابا) أى (جد) الاسم الذى لم يسم به أحد قبله من بطارقة المسيحيين . ولا ندرى كيف يتججح الغربيون ويفوهون بدون خجل بأن هذا اللقب هو خاص بأسقفهم دون غيره وشهادة التاريخ تنقض مدعاهم . قال صاحب « تاريخ الانشقاق » ج ١ ص ٢٩ — ٣١ « وأما أساقفه عاصمات الولايات والاقاليم أعنى الاولين فى المطارنة فكانوا يسمون (أكثر خوسة الولايات) أو أساقفة أولين . غير أنه كانت لبعضهم أسماء خاصة أيضا منذ القديم . فكان أسقف انطاكيا يسمى « بطريركا » . وأسقف

اسكندرية «بابا» وأسقف رومية «أسقفا» أو أسقف المدينة (أى رومية) أو حبرا (وهو اسم مأخوذ عن استعمال قديم للكهنة الوثنيين فى رومية) وأحيانا كان يسمى «بابا» أما كلمة «بابا» فمن الواضح انها ليست كلمة لاتينية ولا غربية بل هى شرقية محضة . وأول من سمي بها أسقف اسكندرية من أبناء أبروشيته فى القطر المصرى وفى اسكندرية عينها «أه

وقال افتيشيوخ بطريرك الملكيين باسكندرية (وهو سعيد بن بطريق من رجال القرن العاشر) فى تاريخه طبعة سنة ١٦٦١ «أن كلمة «بابا» مركبة من «أب آبا» ثم أدرجت الى «أبابا» وتخففت الى «بابا» وانتقل الاسم «بابا» من كرسى اسكندرية على كرسى رومى «أه وقال المقرئزى المؤرخ المسلم فى كتابه «دخول قبط مصر فى النصرانية» «وكان بطرك الاسكندرية يقال له البابا من عهد حنانيا هذا أول بطاركة الاسكندرية الى أن أقيم ديمترى يوسف وهو الثانى عشر من بطاركة الاسكندرية . وصار الاساقفة يسمون البطرك الاب . والقسوس وسائر النصارى يسمون الاسقف الاب ويجعلون لفظة «البابا» تختص ببطرك الاسكندرية ومعناها «أب الآباء» ثم انتقل هذا الاسم من كرسى الاسكندرية الى كرسى رومه «أه (مجانى الأدب للجزويت ج ١ ص ٢٠٢ و ٢٠٣)

ولقد يدعى الغربيون أن تسمية أسقف اسكندرية «بابا» منحت من اسقفهم كليتنوس للقديس كيرلس فى المجمع الثالث المسكونى اكراما له ومن ذلك العصر أخذ بطاركة اسكندرية يلقبون باباوات . وفساد هذا الادعاء ظاهر لأن التاريخ يشهد بأن بطاركة الاسكندرية كانوا يسمون باباوات لاقبل المجمع الثالث والثانى فقط بل قبل الاول أيضا فان هذا اللقب أطلق على ياروكلاس الذى كان قبل كيرلس بـ ١٨٢ سنة وأطلق على اثناسيوس الذى كان قبل كيرلس أيضا بـ ٨٤ سنة . وقد امتد لقب بابا الى قرطجنة قبل رومية بدليل أن كرنيليوس أسقف رومية القديمة صدر معظم رسائله التى بعث بها الى قبريانوس أسقف قرطجنة فى اوائل القرن الثالث بقوله «السلام من كرنيليوس الى البابا قبريانوس» ومن ثم امتد ذلك اللقب الى أسقف رومية فى القرن الخامس بشهادة البابوين أنفسهم كما جاء بـ ٣٤ من كتاب «تاريخ الكنيسة الاسكندرية» للبطريرك كيرلس مقار ما نصه «أن الكنيسة منذ القرن الخامس قد جعلت لقب «بابا» خاصا بأسقف رومية» أه

والحقيقة ان أسقف رومية لم يدع حق ملكية لقب «بابا» الا فى القرن الحادى عشر حيث عقيد غريغوريوس السابع أسقف رومية مجمعا مكانيا حرم فيه كل أسقف يطلق على نفسه أو على غيره ذلك اللقب . وأما قبل هذا التاريخ فلم يتجاسر أسقف رومانى بحصره فى شخصه بدليل

انه فى القرن السادس كتب فرتوناتوس أسقف بواتيه بفرنسا الى كل من فيلكس أسقف نانت وافروتيسوس أسقف ثور (وكلاهما بفرنسا أيضا) رسالة لقبها فيها «بالبابويين الطاهرين» وفى القرن السابع ورد اسم قورش (دخيل على الكرسي الاسكندري) مسبقا بلفظة بابا وذلك من ضمن أعمال المجمع المنعقد بالقسطنطينية سنة ٦٨٠ م

قال مؤلف كتاب مختصر تاريخ الامة القبطية ص ٦٠ «أما اذا كان حبر رومية المذكور (غريغوريوس السابع) قوى فيما بعد على أن ينتزع لقب «بابا» من اخواته الغربيين ويحصره فى شخصه فانه لم يقولن يقوى على انتزاعه من حبرنا الاسكندري . ونظرة واحدة الى جميع الخولاجيات القبطية (سواء كانت بين أيدي الارثوذكس أو بين أيدي اخوانهم الكاثوليك) تكفى لتبرهن لنا على أن اسم الحبر الاسكندري لا يذكر حتى اليوم الا مشفوعا بلقب بابا متبوعا باللقاب ثلاثة . ففي الثلاثة القداسات وفى صلوات بخورى عشية وباكر بل فى جميع طقوس البيعة القبطية ينبه الشماس الشعب عند «أوشية الآباء» قائلا «صلوا من أجل رئيس كهنتنا أنبا فلان بابا وبطريك وسيد ورئيس أساقفة مدينة الاسكندرية العظمى» أهـ (١)

ولا نظن الكاثوليك فيما بعد يتجاسرون على سلب ألقاب غيرهم . ولكن اذا كنا نراهم قد سلبوا لقب الرب يسوع الاساس الوحيد والرأس الفريد للكنيسة وجعلوا هذا اللقب وقفا على أسقفهم فلا عجب اذا تهجموا أيضا على ألقاب سواهم من رؤساء المسيحية

(٢) ديونيسيوس :

البطريك الرابع عشر . ولد بالاسكندرية فى أواخر القرن الثانى وكان عابدا للأوثان على رأى مذهب الصابئة (٢) وكان مقداما وحكيما فبينما هو جالس فى بعض الايام أذمرت به عجوز أرملة ومعها كراسة مكتوبة من رسائل بولس الرسول تريد بيعها . فاشترها منها وأخذ يتأمل فيها . ولما فهمها جيدا أعجب بها للغاية ووقعت عنده موقعا حسنا واعتبرها أفضل من كل ما قرأه من كتب الفلاسفة . ثم طلب من المرأة أن تأتية بمثل هذه الكراسة وهو يدفع لها ما تطلب من الثمن لانه رأى انه قد بقى من الكتاب شىء آخر . فذهبت المرأة وأحضرت له ثلاث رسائل أخرى وقدمتها اليه فأخذها وبدأ يطالعها وهو مندهش ومسرور جدا لجلال اللفظ وسمو المعنى

(١) ان اول من اطلق لقب بطرك على باباوات الاسكندرية هو القديس اثناسيوس الكبير حيث كتب عن اسكندر بابا الاسكندرية وسماه بطريركاً

(٢) عبادة الكواكب والنجوم

فشعرت المرأة بأن نعمة الله عملت في قلبه فقالت له اذا شئت أيها الفيلسوف ان تطلع على كثير من مثل هذه الاقوال فعليك بالذهاب الى الكنيسة حيث تجد من يعطيها لك مجاناً . فمضى لساعته الى الكنيسة وتواجه مع شماس يدعى اغسطين فدفع له رسائل بولس كاملة فقرأها وحفظها من قوة ذكائه ومضى الى البطريرك ديمتر يوس ونال منه سر المعمودية ثم انخرط في سلك المدرسة اللاهوتية وتعلمد لاوريغانوس العلامة . وفي وقت وجيز نبغ في العلوم المسيحية كما كان ماهراً في العلوم الفلسفية . وكان له تلاميذ كثيرون يتعلمون منه الفلسفة الوثنية فأثر عليهم بأقواله وجعلهم يتبعون ديانتة الجديدة و يدرسون عليه العلم المسيحي الحقيقي

وقال الانبا ساو يرس المؤرخ « انه جعل بيته بيعة ولبثت مدة طويلة تدعى باسمه » . وقال هذا المؤرخ أيضاً انه كان أسماً تلاميذه تاودورس واغريغور يوس واثناسورس هؤلاء أقاموا معه خمس سنين بعد تقدمته ثم نالوا رتبة الكهنوت وكان له تلميذ آخر اسمه افر يفتوس كتب خمسة كتب وتعب فيها فلما سمع بحكمة ياروكلاس البطريرك مضى الى الاسكندرية ليتعلم منه وكان ديونيسيوس يقول له « اعلم ان كل انسان لا يأكل الطعام الروحاني فهو هالك وقد كنت أنا مشغولاً بالطعام الفاني وغافلاً عن خبز الحياة الباقي حتى هداني الرب » واجتذب التلميذ بهذا الكلام الى التعليم السمائي حتى ان من فضله عرف صحة نسبتي المسيح في انجيلي متى ولوقا ولم يجد فيها خلافاً بالكلية

وكان لديونيسيوس بعد قبوله سر المعمودية نشاط وغيرة عظيمين فأحبه البابا ديمتر يوس ورقاه الى رتبة الشموسية وبعد وفاته رفع البابا ياروكلاس درجته الى وظيفة قس ثم قلده فيما بعد رئاسة المدرسة اللاهوتية ومناظرة بعض الشئون الرعوية فاستمر في عمله لا يكف عن أن يعلم ويعظ و يعمد المرتشدين حتى توفي البابا ياروكلاس فاجمعت كلمة المسيحيين على أن يخلفه ديونيسيوس فساموه بطريركا في شهر كيهك سنة ٢٤٧ م في عهد فيليب قيصر بعد أن ترك في رئاسة المدرسة اللاهوتية بيروس

ولما اضطهد ديسيوس قيصر المسيحيين كان همه موجهها بالاختصاص الى رؤسائهم فشدد على نوابه بأن يقبضوا على رؤساء المسيحيين في العالم أجمع فحاول نائب القيصر في مصر القبض على الباب ديونيسيوس فلم يفلح وتمكن البطريرك من الهروب الامر الذي لاه عليه جرمانوس أحد أساقفه الاقاليم فأرسل اليه الباب ديونيسيوس الرسالة الآتية يدافع فيها عن سبب هروبه و يوضح الحوادث التي مرت به حيث قال :

الى جرمانوس سلام .

« وبعد فأنى أتكلم أمام الله وأشهد على نفسى اننى لا أكذب فيما أقول بأن هروبى لم يكن طبقا لارادتى كما لا ادعى اننى أتيت بناء على الهام من الله بل الواقع انه قبل أن يبتدىء الاضطهاد الذى أثاره ديسيوس قيصر جاء رجل اسمه فرومنتار يوس من قبل حابينوس لبحث عني وكنت قد مكثت فى منزلى نحو أربعة أيام أنتظر مجيئ فرومنتار يوس الذى لم يأت الى توا بل ذهب ينقب فى كل مكان فى الشوارع والحقول وبقرب الانهر حيثما ظن اننى أختبئ هناك وكأنه ضرب بالعمى فلم يستطع العثور على منزلى لانه لم يخطر بباله قط اننى أبقى فى البيت وقت الاضطهاد . فمرت الاربعة الايام على هذه الحالة الى أن أذن لى الله أن أترك كمينى وفتح لى طريقا سلكت فيه بكيفية عجيبة جدا فخرجت من المنزل ومعى اتباعى وكثيرون من الاخوة المسيحيين وكان ذلك بتدبير من الله وعناية منه ظهرت لنا فى كل الذى تم معنا بعد ذلك وبدونها لم نكن نذكر بشيء أو نفيد شيئا

وعندما أذنت الشمس بالمغيب كنا قد قربنا من مدينة تدعى « أطابوز يرس » (١) أمسكنى العساكر أنا ورفقائى وقادونا الى سجن المدينة ولكن تيموثاوس لم يكن موجودا ولم يلق القبض عليه وذلك بعناية الهية فانه لما دخل البيت وجده قفرا وليس فيه سوى خدام يحرسونه . أما نحن فصرنا عبيدا أرقاء . وقد اتفق ان رجلا من الارياف رأى تيموثاوس راكضا تلوح عليه دلائل الخوف والجزع فسأله الرجل عن سبب جريه فأوضح له تيموثاوس جلية الخبر . وبعد أن سمع الرجل هذا الامر ذهب فى طريقه وكان قاصدا وليمة عرس فلما استقر به الجلوس فى المجلس قص هذا الخبر على آذان المدعوين . لهذه الوليمة فلم يكن الا كالمح البصر حتى نهضوا جميعهم نهضة رجل واحد كأنهم كانوا على اتفاق سواء وجاءوا مسرعين كالسيل الجارف واندفعوا علينا كالنور وأخذوا يصرخون ويضجون بأصوات كالرعد القاصف فلما رأى العساكر الذين كانوا يحرسوننا ما جرى ولوا الادبار واركبوا الى الفرار فانقض أولئك علينا انقضاض البواشق بينما كنا نياما على أسرة ليس عليها شيء من الفراش . ويعلم الله انى ظننتهم فى بادىء الامر جماعة من اللصوص جاءوا قاصدين السلب والنهب ولذلك ظللت نائما دون أن ابدىء حراكا وليس على شيء من الملبوس سوى قميص من الكتان أتدثر به وأما باقى ثيابى فكانت مطروحة بجانبى فقدمتها لهم عندما اقتربوا منى . أما هم فلم يكونوا يقصدون النهب ولا يبتغون الثياب بل أمرونى أن أقوم من مكاني وأسير معهم مسرعا الى حيث يريدون . فلما أدركت قصدهم من المجيء إلينا أخذت فى البكاء والعويل وتوسلت اليهم متضرعا أن ينصرفوا عنا و يتركونا وشأننا وقلت لهم انهم اذا شاءوا أن يعملوا معنا جيلا فليستأذنوا

(١) مدينة صغيرة فى مريوط غربى الاسكندرية

الذين أدخلوني في هذا المكان ومن ثم يقطعون رأسي . فلما صحت عليهم هكذا كما يشهد بذلك رفاقي والذين اشتركوا معي في الضيقات اجتهد أولئك القوم أن يأخذوني قصراً رغماً مني ولذلك ألقيت بنفسي على الارض مطروحاً على ظهري ولكنهم لم يشفقوا على بل أمسكوا يدي ورجلي وجروني خارجاً وتبعني الذين شاهدوا هذه الحادثة وهم كايوس وفسطس وبطرس وبولس فأخرجوني خارج المدينة وأركبوني حماراً غير مسرج « أهـ

وأرسل الباب ديونيسيوس برسالة أخرى الى بطريرك انطاكية يشرح فيها بأسلوب مؤثر شدة ما قاساه المؤمنون من العذاب في ذلك الاضطهاد وسذكرها في الكلام على اضطهادات هذا القرن وكان قصده من ارسال تلك الرسالة لذلك البطريرك أن يستنهض همته حتى لا يجزع من الضيقات ولا يخاف من الموت بل يثبت على محبة الفادي الى النهاية

ولما مات القيصر ديسيوس سنة ٢٥١ م هدأت قليلاً ثور الاضطهاد فكتب ديونيسيوس الى القيصر غالوس يذكره بما جناه أبوه على المسيحيين فأثر ذلك في نفس القيصر تأثيراً حسناً . ولكن داء الدفتر يا الذي تفشى فيما بعد في أنحاء المملكة كان وبالاً على المسيحيين لان كهنة الاوثان أقنعوا القيصر بأنه نتيجة غضب الآلهة من انتشار المسيحية . فنشأ عن ذلك اضطهاد هذا القيصر للمسيحيين اضطهاداً مريعاً للغاية الى أن مات سنة ٢٥٣ م وتولى مكانه فاليريان الذي سالم المسيحيين في مبدأ الامر حتى تسنى للبابا ديونيسيوس أن يطوف في أنحاء القطر المصري مفتقدا رعيته التي كادت تتمزق من أهوال الاضطهادات . وقد ساء في سياحته شمامسة وقسوسا وودشن كنائس عديدة وبذل جهده في تعزية شعبه ومواساته في مصائبه كما هوشأن الراعي الصالح ولما وصل في سياحته الى ابروشية (١) ارسينو (٢) في الفيوم وقف على بدعة ابتدعها أسقفها في مسأله ملك المسيح الالف سنة فقضى عليه في مجمع عقده هناك كما سيأتى ذكره في بابا البدع

وفي ذلك الحين مات فابيانوس أسقف رومية وأقيم كرنيليوس خلفاً له فاستولى روح الحسد على نوفاسيانوس أحد كهنة رومية وأسكر أسقفين وجعلهما يوسمانه أسقفاً على كرسي روميه . وما بلغ أمنيته حتى نشر بدعة جديدة مؤداها رفض توبة الذين يجحدون الايمان أو يقعون في اثم كبير وبوجوب اعادة العمد الذي يتم على أيدي الهراطقة وكذلك عماد الارثوذكسيين الذين يتساهلون في قبول الهراطقة التائبين . ولما علم نوفاسيانوس أن كرنيليوس احتج عليه لدى الاساقفة أرسل للبابا ديونيسيوس البطريرك الاسكندري يقول له « ان الشعب أرغمني على قبول الاسقفية » فأرسل اليه البابا ديونيسيوس رسالة يقول فيها :

(١) ابروشية (بفتح الباء وسكون الراء) لفظة يونانية معناها مقاطعة

(٢) ارسينو هي الآن كيما ن فارس المتخربة بحرى مدينة الفيوم الحالية .

ديونيسيوس يهدى سلامه الى أخيه نوفاسيانوس

«وبعد . فاذا صح ما قلته وصدق اعتذارك فى أنك قبلت الوظيفة بطريقة غير قانونية ضد رغبتك فعليك أن تبرهن ذلك بأن تترك هذه الوظيفة برغبتك وتعزلها بارادتك لان الواجب علينا أن نحتمل كل شىء ونذوق كل هوان وعذاب لا أن نسيء اساءة تؤثر فى كنيسة المسيح التى افتداها بدمه . واعلم هداك الله أن المجد الاسمى والشرف الاعظم يكونان لنا كاملين اذا نحن متنا شهداء لاجل الكنيسة من أن نسهل لابنائنا تقديم الذبائح للاوثان وانكار الايمان . ومن رأى ان الذى يموت شهيدا لاجل ايمانه انما يريح نفسه وينال المجد والثواب لشخصه فقط ولكن الذى يموت لاجل الكنيسة فهو يفيد الكنيسة ونفسه أيضا . والنتيجة انك اذا أقنعت اخوانك وحملتهم على اتمام مبادئ الاتفاق والوثام فتكون حسناتك قد زادت عن سيئاتك والا ان لم تستطع التأثير عليهم وخالفوا وساطتك فاعمل على الاقل لخلاص نفسك وأربأ لها . وفى الختام أهديك تحيتى وسلامى على أمل انك راغب فى السلام عامل على توطيد دعائه باسم ربنا يسوع المسيح » أهـ

ثم كتب هذا البابا الى جميع الكراسى المسيحية لكى يقطعوا الشركة مع نوفاسيانوس وحظر على اكليروس كنيسة رومية معاملته وأوصاهم بالتمسك بكرنيليوس أسقفهم الشرعى حتى كانت نتيجة سعية أن اعتزل نوفاسيانوس الكرسي الرومانى وتركه لكرنيليوس الذى عقد مجمعا حرم فيه خصمه والبدعة التى جاهر بها

وفى سنة ٢٥٧ م ثار اضطهاد القيصر فالريان فألقى والى مصر القبض على البابا ديونيسيوس بعد أن قتل كثيرين من المسيحيين وجلد البابا ديونيسيوس وطلب منه أن يسجد للاوثان فأجابه نحن لا نسجد الا للسيد المسيح خالق السماء والارض فكلمه الوالى بالحسنى لكى يذعن فأبى فأخذ جماعة من المسيحيين وقتلهم أمامه ولما رآه مصرا ألقاه فى السجن ثم أعيد ليحكم عليه بالموت واتهمه الوالى بأنفراده مع أصحابه للصلاة معهم فقال له القديس نحن لا نكف عن مخاطبة الله ولكن الوالى عدل عن قتله ونفاه فى ناحية خفرو بليبيه وقد تلقى حينئذ رسالة من جرمانوس الاسقف المار ذكره يلومه فيها على ابطال الاجتماعات العمومية فرد عليه البابا ديونيسيوس بكتاب يصف فيه كيفية القبض عليه فقال :

«ولما حللنا سيفرد (١) التف حولنا جم غفير من الاخوة الذين جاءوا معنا من الاسكندرية ومن الذين وفدوا الينا من مصر بعد وصولنا الى هنا وهكذا مهد الله سبيلا لكلمته فى هذه الجهة كما فى كل الاماكن الاخرى . صحيح ان أعداءنا فى بادىء الامر اضطهدونا ورشقونا

(١) شمالى القطر المصدء

بالاحجار ولكن أخيراً ترك كثيرون من الوثنيين أصنامهم ونبذوها ظهر يا وأقبلوا الى الله بقلوبهم لان كلمته غرست فى أفئدتهم كما يغرس البذار فى أرض ذات زرع وكانوا لم يسمعوا عنها من ذى قبل . وكأن الله جل وعلا أراد أن يأتى بنا الى هذا المنفى لنذيع بشارة الخلاص فيه فلما تم ذلك وأفلحنا شاءت مشيئته أن ننقل الى مكان آخر لهذه الغاية عينها وذلك أن ايمليانوس ابن الامبراطور قصد أن ينقلنا الى أماكن أشد ضرراً وأكثر تعبا مشحونة بالمخاوف والمخاطر . ثم أمر سكان إقليم مريوط أن يلتثموا فى مكان واحد خصصه لهم وعين لهم قرى معروفة يقيمون فيها فيما بعد أما نحن الذين تبعونا فأوصوا أن نبقى مطروحين فى الطريق بلا مأوى ولا ملجأ لانه لم يكن شك فى اننا اناس لا نركن الى الفرار ولا نميل الى الهرب بل وثق انه متى أراد يسهل عليه القبض علينا بدون مشقة ولا أخفى أننى عندما صدر لى الامر بالارتحال الى سيفرد هذه لم أكن أعلم الى أين أسير ولا أعرف شيئاً عن المكان الذى أنفى اليه بل كنت بالكاد أعرف اسمه من قبل ولكننى كنت فرحاً جداً لعلمى أن هكذا ارادة الله . الا أنه لما أمرونى بالانتقال الى مكان اسمه كولونيوس تأثرت تأثيراً شديداً الحاضرين لاننى علمت أن هذا المكان سيكون كسجن لى لا أستطيع فيه أن أتمم العمل المطلوب منى ولذلك تضايقت أولاً بالنسبة لهذا الخبر وثقل سماعه على أذنى مع اننى كنت عالماً بهذا الاقليم وأكثر خبرة به من غيرى ولكن قيل لى انه خال من الاخوة المسيحيين وليس فيه أحد من أفاضل الرجال الذين تتلذذ النفس لمعاشرتهم فضلاً عن أنه عرضة لوقاحة المسافرين وردائهم ويمكن للصومس وقطاع الطرق الا أن بعض الاخوة واسونى اذ أخبرونى انه قريب من مدينة الاسكندرية . ومما يسر القلب أن سيفرد التى نفينا اليها جمعنا بكثيرين من الاخوة المسيحيين . الذين لم نكن لنراهم لولاها وبواسطة اجتماعنا وارتباطنا تمكنا من نشر كلمة الله واذاعة خبر الخلاص بطريقة لم نكن لنحصل عليها لولا هذا المنفى . واذ كانت الاسكندرية قريبة من هذا المكان الذى كنا نقيم فيه تمتعنا كثيراً بمشاهدة الذين نحبه ونميل اليهم وقد كانوا يحيئون لزيارتنا دائماً ويمكثون معنا طويلاً ولذلك كنا نمثل جمعية عظيمة كانت تلتئم فى أقصى مكان فى الاسكندرية ولم تزل هذه الجمعيات توالى انعقادها لسماع كلمة الله حتى بعد أن تركناها ورجعنا الى مدينتنا « أهـ . والذى أعاده الى كرسيه ابن فالريان لشافته عليه وظهور براءته أمامه بل زوده بكتاب منه يبيع له عقد الاجتماعات ومباشرة خدمته بدون أن يعارضه أحد

ولم يكذب البابا ديونيسيوس يستريح قليلاً بعد كفا الاضطهاد ورجوعه الى كرسيه حتى اضطر أن يوالى جهاده ضد المبتدعين الذين كانوا يكذبون صفو الكنيسة ببدعهم فعمل على حسم النزاع الذى نشأ فى الكنيسة بسبب عماد الهراطقة وقاوم جميع المبتدعين كما سيأتى ذلك فى باب البدع

وحدث أن رجلاً يدعى سابليوس جاء الى مصر من روميه ونشر فيها هرطقة « مؤلى الاب » الذين يعتقدون أن الله نفسه لا أحد أقانيمه هو الذى كفر عن خطايا البشر . وقد أضل

سابليوس ببدعته هذه كثيرين من المؤمنين وبعض الاساقفة فوقف أمامهم البابا ديونيسيوس وقفة البطل الباسل وقاوم ضلالهم فى منشور أرسله الى الاسقفين أمونيوس وافراندرو. ولما لم يتمكن من إرجاع سابليوس حرمه فى مجمع عقده بالاسكندرية سنة ٢٦١ م بعد أن فند فى رسالة كل تعاليمه الفاسدة فرأى أنصار سابليوس انهم فى حاجة الى من يشد أزرهم فأغراهم بعض الدخلاء من الرومانيين على الشر والشقاق فكتبوا الى ديونيسيوس أسقف رومية كتابا فيه يرمون بطريركهم بالهرطقة والبدعة. وكان الاسقف الرومانى شابا قليل الخبرة والمعرفة بالنسبة للبطريرك الاسكندرى الذى كان واسع الاطلاع شديد الاختبار. فسار ديونيسيوس الرومانى سيرا لاعتساف وارتكب متن الشطط وعقد مجمعا حرم فيه ديونيسيوس البطريرك المصرى وأرسل يعلمه بالحكم ويسأله عما اذا كان عنده شىء يدافع به عن نفسه الامر الذى عده البطريرك المصرى جسارة من أسقف رومية واهانة له غير انه لعظم تقواه وتمسكه بأوامر الديانة المسيحية لم يرض أن يقابل الشر بالشر بل عمد الى قلمه وأرسل اليه رسالة يوضح له فيها العبارات التى اشكل عليه فهمها فكانت تلك الرسالة حدا فاصلا للنزاع الذى يسميه المؤرخون « نزاع الديونيسييين » واقتنع الاسقف الرومانى بأنه تسرع وأخطأ فى عمله واحترم البابا الاسكندرى ووقف بجانبه فى دحض بدعة بولس السيماساطى أسقف انطاكية التى لاجلها انعقد مجمع فى انطاكية سنة ٢٦٤ م استدعى فيه القديس ديونيسيوس الاسكندرى غير انه نظرا لشيخوخته اكتفى بأن بعث رسالتين احدهما الى المجمع والاخرى الى السيماساطى حل فيها الاسئلة العشرة التى كان يوجهها بولس الى كل من يناقشه

وقبل أن يبت المجمع المذكور حكما فى قضية بولس هذا نام البطريرك العظيم فى الرب واستراح من أتعاب جمة فى ١٧ برمهات سنة ٢٦٥ م وكانت مدة اقامته على الكرسي الاسكندرى سبعة عشر سنة ولهذا القديس رسائل عديدة فى أهم قضايا الايمان وفى وصف ما وقع عليه وعلى كنيسة من الاضطهاد وقد استقى منها أوسابيوس المؤرخ معظم أخبار ذلك الزمان. ولم يزل معظم تلك الرسائل محفوظة فى مكتبته « جالان » اليونانية واللاتينية بمدينة البندقية ومنها مقالة فى الفصح وأخرى فى السبت وما سبقت الاشارة اليه فى ترجمته

(٣) مكسيموس :

البطريرك الخامس عشر. ولد بالاسكندرية من أبوين مسيحيين وكان قسا بها وتم تكريسه بطريركا فى شهر برمهات سنة ٢٦٥ م فى عهد غالينوس قيصر ولما حكم مجمع انطاكية بحرم بولس السيماساطى أرسل حكمه الى هذا البطريرك يتضمن الاسباب التى دعت الى تجريد بولس من رتبته الكهنوتية واقامة دمنوس عوضا عنه وبعد اطلاعه على الحكم بادر حالا بكتابة رسالتين واحدة للمجمع يشكر فيها مساعيه وأتعابه لخدمة الكنيسة والاخرى الى دمنوس تهنئه له بوظيفته الجديدة. ثم حرر منشورا الى جميع الكراسى الاسقفية يحذرهم فيه من تعاليم بولس وشرح

لهم التعاليم المستقيمة التي ينبغي التمسك بها وبعد ذلك ظهرت بدعة ماني الخبيثة فكان لهذا البابا اليد الطولى فى دحضها وجاهد فى مقاومتها بكتابة رسائل متعددة والقاء الخطب . واستمريرعى رعية الله التي اقتناها بدمه مدة ثمانى عشرة سنة ثم تنيح بسلام فى ١٤ برمودة سنة ٢٨٢ م

(٤) ثاؤنا :

البطريك السادس عشر . روى الانبا يونس مطران دمياط فى مجموعته لتاريخ البطارقة أن الالباء الاساقفة نصبوا بطريكاً قبل ثاؤنا هذا اسمه بينوده جلس على الكرسي المرقسى ستة شهور فى نهايتها اجتمع الاساقفة ضده وقرروا تجريده من رتبته لانه قد خصى نفسه وأقاموا بدله البابا ثاؤنا فى شهر كيهك سنة ٢٨٢ م فى عهد بروفس وهذا البطريك كان من قسوس الاسكندرية المشهورين بالعلم والوداعة وقد انتهز فرصة سكون الاضطرابات وجمع من المؤمنين الاغنياء اموالا وبنى بيعة حسنة على اسم السيدة العذراء وهو أول من بنى الكنائس بالاسكندرية وكانت النصرارى قبله تصلى بالاسكندرية فى المغارات والسراديب خوفا من القتل وسفك الدماء فلاطف البابا ثاؤنا جماعة الروم وبالع فى ملاطفهم وأهدى اليهم تحفا جليلة حتى بنى كنيسة العذراء المذكورة وهى أول كنيسة بنيت صلى فيها القبط جهارا

ولما تولى القيصر ديوكليتيانوس عرش رومية أدخل فى معيته عددا كثيرا من الاقباط المسيحيين فأرسل اليهم هذا البطريك رسائل يأمرهم فيها أن يقوموا بواجبهم وان يميزوا أنفسهم كمسيحيين عن الموظفين الوثنيين بأعمالهم الصالحة وسيرتهم الطيبة فمن ذلك رسالة الى لوسيان ناظر بيت الملك وهو موظف مسيحى ارتقى الى رتبته بعد تملك ديوكليتيانوس بقليل يقول له « ان الراحة التى تتمتع بها الكنيسة الآن تعزى الى سبب واحد فقط هو سلوك المسيحيين الحسن وأعمالهم الممدوحة التى تضىء كالشمس فى رابعة النهار ينعكس ضؤوها أمام أعين الكفرة والملحدون فتبهر أبصارهم وبذلك يتمجد أبونا الذى فى السموات . أما غرضنا الذى نرمى اليه والغاية القصوى التى نسعى خلفها هى أن نكون مسيحيين فعلا لا بالاسم فقط وأن نعمل أعمال المسيحيين الحقيقيين لانه اذا كنا نطلب مجد أنفسنا الذاتى فنكون كمن يطلب شيئا تافها لا فائدة منه . فاذا يجب على كل مسيحى أن يهتم بمجد الله الآب وبمجد الله الابن الذى سمر لاجلنا على خشبة الصليب وفدانا بدمه فداء أبديا لا يقوم بذهب أو بفضة . فلذلك أيها العزيز لوسيان أريد أن يعرف عنك التباهى والفخر لانك أهديت كثيرين من خدمة البلاط الملوكى الى معرفة الحق وأدخلتهم فى حظيرة المسيح بل الاخرى بك أن تشكر الله الذى اختارك آله نافعة للبنيان وجعلك واسطة خير لنفع الآخرين وأعطاك نعمة فى عينى مولاك لحد تمكنت فيه من نشر كلمة الخلاص واذاعة معرفة فادى المسيحيين وذلك لمجد اسمه وخلاص الكثيرين » أهـ

وأوصى كافة أمناء بيت الملك المسيحيين فقال « ان الله ينهاكم عن أن تبيعوا للآخرين شيئاً من متعلقات القصر خلصة أو تأخذوا رشوة ولا تقولوا للامبراطور كلاماً ضد الحق ابتعدوا عن الطمع والجشع اللذين يتمسك بهما الوثنيون لا المسيحيون واعلموا أن الربح القبيح والغش هما صفتان لا تلائمان من قبل المسيح . فعولوا على الاقتداء به ذاك الذى كان فقيراً ومعدماً . لا تتكلموا بشر فيما بينكم ولا تخرج كلمة قبيحة من أفواهكم بل لتكن كل أعمالكم مقرونة باللطف والتأدب مع العدل والحق بذلك يتمجد اسم ربنا والهنا يسوع المسيح فيكم وفى أعمالكم . تمموا واجباتكم التى اسندت اليكم بخوف من الله وبمحبة للامبراطور وبغاية الدقة والاجتهاد واعتبروا أن الاوامر التى تصدر لكم من مولايكم الذى لم يسىء الى أحد من رجال الله كأنها صادرة من الله نفسه لانه مقام منه ولم يتقلد السيف باطلا . وأخيراً يا أبنائى الاعزاء البسوا الصبر كرداء وتمنطقوا بالفضيلة وامتلئوا بالرجاء والايمان والمحبة » أهـ

ثم أرسل لأمين الخزانة الخاصة يأمره بأن يتحلى بالامانة و يصرف بدقة حساب وكتب لامين الملابس يوصيه بملاحظة الترتيب والنظام وختم كلامه بقوله « وعلى الامين أن يفعل كل هذا بتواضع وطول أناة لكى يتمجد اسم المسيح حتى فى مثل هذه الاعمال القليلة الالهية » أهـ .
وأوصى أمين المكتبة بأن يحسن تنظيمها ويجد فى نسخ ما بها من الكتب الهامة وأن لا يفتأ يذكر أمام القيصر عظيم قدر الترجمة السبعينية للكتاب المقدس وأن يمزج كلامه مع القيصر بشواهد من سيرة المسيح

وكان فى عهد هذا البطريك كاهن قديس لم يرزق بنسل يدعى ثيودوسيوس وحدث أن مرأته صوفية شاهدة بالكنيسة يوم عيد الرسولين بطرس وبولس أولاد المسيحيين يقدمون الى المعمودية فانكسر قلبها ورجعت الى البيت حزينة النفس وطلبت من الله بلجاجة أن يمن عليها بنسل . وفى ليلة ذلك اليوم شاهدت رؤيا فى نومها واذا بشخصين وقف بها وأخبراها أن طلبتها أجيبست وسترزق ولداً وأمرها أن تذهب باكراً الى البطريك وتخبره بذلك . فلما أصبح الصباح أخبرت زوجها بالأمر وانطلقت الى البابا ثاؤنا وأعلمته بما جرى فباركها وصرفها بسلام . وما أتت السنة حتى رزقت ولداً أتت به الى البطريك ليعمده فدعاه بطرس ولما كبرت تلمذ له وأدخله المدرسة اللاهوتية فبرع براءة غريبة جذبت اليه أنظار جميع الشعب

ولما حضرت البطريك الوفاة جاء اليه جميع الكهنة والشعب باكين قائلين « أتركنا يا أبانا مثل الايتام » فقال لهم « لستم أيتاماً بل هذا بطرس أبوكم وهو البطريك بعدى » وقدمه البطريك قبل أن يتنيح ثم رقد فى الرب فى ٢ طوبه سنة ١٧ للشهداء و ٣٠٠ م

وفى أواخر حبرية هذا البابا ثار اضطهاد ديوكليانوس قيصر فجعلت الكنيسة القبطية السنة الاولى لملك هذا الطاغية مبدأ لتاريخ سنيها وهو المعروف بتاريخ الشهداء

القسم الثانى منشأ الرهبنة ومؤسسوها

(١) منشأ الرهبنة . (٢) بولا . (٣) انطونيوس
(٤) امونيوس . (٥) بفنوتيوس .

(١) منشأ الرهبنة :

ان أولى الامم المسيحية التى تنشأ عندها نظام الرهبنة هى الامم المصرية وقد ظهرت الرهبنة بمصر حال دخول الديانة المسيحية فيها وقيل ان الرسول مرقس هو الذى علمها لمسيحي مصر . قال اوسابيوس المؤرخ « لما كان مرقس الرسول متحليا بالطهر والعفاف وبث روح الفضيلة فى قلوب كثيرين من المصريين فاعتزلوا الخلق ولجأوا الى الكهوف والمغائر عاكفين على تسبيح الخالق والتغنى بذكره الاقدس فتحولت القفار القاحلة الى رياض يانعة تنبت النفوس وتثمر الكمال » أهـ

الا أنه التبتل والانفراد للتعبد كانا معروفين من قبل المصريين عند اليهود فقد روى فيلومن العبرى بأنه كان فى ضواحي الاسكندرية قوم من اليهود عرفوا بالتأملين فى الالهيات تركوا كل ما يملكون من متاع الدنيا وأووا رجالا ونساء الى التلال المجاورة يقيمون فيها الصلوات ويسبحون الله بالمزامير والتراتيم . وقال كاسيانوس وهو كاتب كنسى « ان التقليد القديم يشهد بأن رهبان وادى النطرون متناسلون من المتأملين فى الالهيات » أهـ

وقيل أن أول دير مسيحي تأسس كان فى سنة ١٥١ م حيث عزم فرونتينوس على ترك العالم زهدا فى الدنيا وفلاذها فجمع اليه جماعة من الاخوة وسار بهم الى وادى النطرون فى مديرية الجيزة وهناك قضى بقية حياتهم بالنسك والتعبد فى بعض الكهوف الصخرية . الا أن الرهبنة لم تعرف جيدا فى مصر الا فى عهد القديسين بولا وأنطونيوس وكانت تسير على نظام التوحد والانفراد حيث ينفرد الراهب فى مغارة يقضى حياته فيها منعزلا عن البشر . ولكنها فى عهد أمونيوس ومكارىوس تطورت فصار الرهبان يشتركون ويتعاونون معا . ثم فى عهد باخوميوس وشنودة جتمعوا جماعات منظمة ووضعوا لانفسهم قوانين خاصة يسرون عليها . غير أن كثيرين استمر

بعضهم يسير على نظام بولا وأنطونيوس وغيرهم على منوال آخر . وكان رهبان مصر الثلاثة أنواع النساك وهم الذين يسكنون الاديرة جماعات وفيئات . والزهاد وهم الذين يعيشون فى الخلوات والصوامع . والمتبتلون وهم الذين يجتمع اثنان أو ثلاثة منهم فى المدن بدون زواج

(٢) بولا :

روى القديس أنطونيوس كاتب سيرة هذا الاب قال :— فى سن السبعين خالجنى فكر من العجرفة والكبرياء فقلت فى نفسى أظن انه لا يوجد ورائى أحد فى البرية أقام فى الفيافى سالكا سبيل النسك والفضيلة مثلى . وفى الليلة التى كنت أتأمل فيها فى هذه الامور أوحى الى من قبل الله انه يوجد خلفى رجل أفضل منى وحضنى على أن أسعى لاراه فلما أتى الصباح أخذت جريدة النخل التى كنت أتكىء عليها وأخذت أتمشى فى البرية كما كان يهدينى عقلى لانى لم أكن أعرف الطريق . ولبثت سائرا الى الظهر وكان الحر شديدا فشرعت أحدث نفسى قائلا انى لمتكل على الله الذى لا يتخلى عنى أن يرينى عبده الذى أوحى الى عنه

ولم يتم قوله حتى رأى وحشا كان نصفه شكل انسان ونصفه الاخر شبه حصان وهو ما يسميه الشعراء بالقنطورس . فرسم القديس على جبهته علامة الصليب وقال له أين هو عبد الله فأراه الوحش المكان مشيرا بأصبعه راكضا الى الغاب فاستمر القديس فى سفره باحثا على الطريق واذا هو يتعجب من هذا الامر من أمامه هذا الحيوان كأنه ذاهب الى ميدان فسيح وما هذا الا الشيطان اتخذ تلك الصورة ليزعج القديس فاستغرب مشابته الشكل الذى رآه فى الحيوان وبعد أن ابتعد قليلا رأى وحشا آخر كانسان قصير القامة له ساقان وقرنان كقرنى التيس فسأله من أنت فأجابه اننى أحد سكان البرارى الذى يعبدهم الوثنيون كأنهم آلهة وقد أرسلتنى طائفتى لاطلب منك نيابة عنهم أن تتضرع لاجلنا الى المسيح الهنا الذى عرفنا أنه أتى لأجل خلاص العالم وبعد أن تكلم الحيوان هذا الكلام جدد الشيخ أنطونيوس المسير وسالت دموعه على الارض لكنه سر لمجد المسيح ولأبادة الشيطان وضرب بعكازه على الارض وقال و يل للاسكندرية و يل لمدينة الوثنيين التى اجتمع فيها جميع شياطين الخليقة (١)

وكان قد توغل فى البرية ومرت عليه وقت لم يرفيه انسانا أو حيوانا فصرف يومين بليتين فى الصلاة راجيا من الله أن لا يهمله . وفى اليوم التالى لاحظ ذئبا صاعدا الى الجبل فاقتفى أثره ولما صعد الى الجبل وقع نظره على مغارة كانت هناك وشاهد الذئب يدخل اليها ولكنه لم يميز شيئا لشدة الظلام وقد حاول الخوف أن يدخل قلبه ولكن المحبة الكاملة تطرح الخوف الى خارج فدنا من

(١) خبر هذين الوحشين وجد فى الترجمة المشهور ان البابا أناسيوس الرسولى كتبها للقديس أنطونيوس وقد اثبتناه هنا وان وجد مخالفا لعقيدة المصريين حفظا للاصل .

المغارة فلاح له فيها ضوء سراج فأسرع، فى سيره لفرط سروره فعثرت رجله بحجر غير أن القديس بولا حال سماعه بوقع أقدامه دحرج الحجر وأغلق باب المغارة

فارتضى القديس انطونيوس أمام باب المغارة على وجهه وتوسل الى القديس بولا ليفتح له الباب قائلاً له أنا وحدى . فأجاب القديس بولا لم أتيت فقال انطونيوس انى لوائق بانك تعلم من أنا ومن أين ولماذا أتيت وبما أنك تقبل وحوش البرية فلم تكره بنى البشر؟ لقد طلبتك ووجدتك وقرعت الباب بثقة فافتحه لى والا فسأمت هنا واذا ما رايت جثتى فادفنها وسمع القديس بولا صوت بكائه فأجابه قائلاً « ما من أحد يطلب أحسانا بانتهاز ولا يفتر باكيا متنهدا فان كنت أتيت الى لكى تموت فلماذا تتعجب من أنى لا أقبلك . قال هذا وفتح له الباب فالتقيا وتعانقا وقبلا بعضهما بالقبلات المقدسة وسلم الواحد على الآخر باسمه كأنهما كان يعرفان بعضهما قبلا ثم شكرا الله على احسانه اليهما وجلسا للمخاطبة

فقال القديس بولا — لم احتملت كل هذا الضيق ومشقة البحث عن شيخ وهن جسمه وهزل وسترى بعد قليل انه يصير ترابا . غير أن المحبة تحتمل كل شىء فجعلتك تتعب كثيرا فى الاستقصاء عنى . فأخبرونى الآن ما حال العالم ومن يدبره وهل يوجد بعد من يسجد للاصنام ويعبدهم وهل بنو البشر مستمرون فى بناء البيوت فى المدن القديمة . ولا يزال يوجد ملوك وحكام فى العالم ؟ فأجابه القديس انطونيوس عن أجوبته ثم أخذ يسأل القديس بولا عن السبب الذى من أجله أتى الى البرية وكم عاما أتى عليه فيها وكم سنة حياته وماذا أكل وكيف عاش

فأجابه القديس بولا — انى ولدت نحو سنة ٢٢٨ م فى الصعيد الاسفل بمدينة طيبة من أبوين مثرين ولما صار لى من العمر ١٢ سنة مات والداى فدخلت مدارس الفلاسفة واطقنت فيها اللغة اليونانية فضلا عن اللغة المصرية وأقت بمنزل زوج أختى (وقيل أخوه) ولم يكن مسيحيا . ولما بلغت العشرين من عمرى أثار ديسىوس قيصر اضطهاد سنة ٢٤٩ م على النصارى وامتد الى الصعيد وصدر الامر بالتفتيش على المسيحيين لتعذيبهم ان كانوا لا ينكرون مسيحهم . فهربت الى منزل كان لى بين مزارعى . ولم أمكث فى هذا المكان المنفرد قليلا حتى انذرتنى أختى بأن زوجها عازم على اخبار الحكومة بحقيقة حالى لكى يقبض على و يتمتع هو بمالى وعقارى الذى يصير اليه بعدى بحق الارث . فخطر على بالى حينئذ قول السيد المسيح « من لا يترك جميع أمواله لا يقدر أن يكون لى تلميذا » (لو ١٤ : ٣٣) فوهبت أختى وزوجها كل ما أمتلك من حطام الدنيا وودعت العالم الوداع الاخير وقصدت البرية الداخلة بجبل القلزم (١) حيث وجدت مغارة (٢) مغلق بابها

(١) هو شمالى الشرقية (الصحراء العربية) التى بين النيل والبحر الاحمر.

(٢) قيل ان مزيفى النقود فى زمان كليوباتره كانوا يختفون فى هذه المغائر.

بمحجر كبير فدحرجته ودخلت اليها ورأيت بقرها نخلة تثمر وعين ماء فأقت بها وصرت أقتات من ثمر النخلة وأستقى من عين الماء وأكتسى بخوص النخلة مجدولا

وكننت فى أول سكنائى فى البرية أقصد أن أعود الى بلدتى بعد زوال الاضطهاد ولكنى لما ذقت لذة الوحدة وعذوبة الانفراد والاختلاء مع الله أدركت ان الضرورة قد هيأت لى طريق الفضيلة فأثرت هجر العالم بتاتا وهكذا عشت حتى الآن منفردا كل الانفراد مثابرا على الصلاة والتأملات الروحية مدة ستين سنة

وبينما هما يتخاطبان التفت كلاهما فنظر غرابا على غصن شجرة وللوقت وقف بكل هدوء على الفرع وكان فى منقاره رغيف من الخبز فأتى وألقاه فيما بينهما وطار وهما ينظران ويتعجبان فقال القديس بولا لضيفه مبارك الرب الذى أرسل لنا مأكلا فاعلم ياخى انطونيوس انه منذ أتيت هنا وهذا الغراب يأتينى كل يوم بنصف رغيف واليوم من أجلك أتى برغيف كامل وبعد أن شكرا الرب جلسا للاكل وتنازعا فى من منها يجب أن يكسر الخبز فاتفقا أخيرا على أن يكسراه معا فكسراه باسم الرب وبعد أن أكلاه وقفا يصليان طول ليلهما

ولما أتى الصباح قال القديس بولا لضيفه لقد عرفت من مدة طويلة انك تسكن هذه البرارى وكان الله قد وعدنى بزيارتك فجئتنى فى الوقت المناسب اذ حان وقت راحتى وسيحل لى الامر الذى اشتيته يعنى الانتقال من هذا العالم والسكنى مع سيدى يسوع المسيح حيث قد أعد لى أكلیل البر. فلهذا أرسلك لكى تدفن هذا الجسد الشقى وترد التراب الى التراب. وبينما كان القديس بولا ينطق بهذا الكلام كانت دموع القديس انطونيوس تنهل بغزارة وأظهر أسفه متنهدا وطلب من القديس بولا ألا يفارقه أو يأخذه معه الى الوطن السعيد. فأجاب بولا الطوباوى وقال له لا يليق بك أن تطلب الخير لنفسك بل لجيرانك ولذا أرجوك يا حبيبى اذا لم يكن فى الامر مشقة أن نذهب بسرعة الى ديرك وتأتينى بالرداء الذى أعطاه لك القديس اثناسيوس الرسولى البطريرك لتكفنى به وتدفعنى (١) ولم يكن فى حاجة الى ثياب ولكنه أراد أن تفارق روحه جسده فى غياب القديس انطونيوس

وكان القديس انطونيوس يسمع كلامه بتعجب زائد وأدرك أن الله كشف للانبا بولا أشياء كثيرة وشكر الرب سرا ثم خر أمامه وصلى واقترب اليه وقبل عينيه ويديه وأسرع فى الخروج ليذهب الى دير. وبعد أن سافر ووصل الى الدير التقى به اثنان من تلاميذه ظللا يبحثان عنه طويلا وقالوا له أين كنت يا أبانا فى هذه الايام؟ فأجاب وقال لهما. ويل لى أنا الخاطيء فان اسم «مسيحي» الذى أدعنى به هو مستعار ولست مستحقا ان ادعى راهبا لانى رأيت ايليا ويوحنا

(١) قال القديس انطونيوس فى ترجمة الانبا بولا «ان هذا الرداء كان قد أهدها القيصر قسطنطين الكبير الى البابا اثناسيوس وهو أهدها الى «أه»

المعمدان فى البرية ورأيت بولا فى السماء وهويتكلم معهما . ثم ضرب بيده على صدره وأخذ الرداء وفارق تلميذه ولم يشأ أن يعبر لهما عن معنى كلامه بل قال لهما للكلام وقت وللصمت وقت .

ثم جد فى السير لأنه كان يشتهى أن يراه قبل انتقاله فسافر فى اليوم الاول ولكنه فى اليوم الثانى فى الساعة التاسعة أبصر جهورا من الملائكة يصعدون الى السماء وروح القديس بولا معهم وهى تضىء كالشمس فجثا على الارض واضعا التراب على رأسه وقال بقلب آسف . يا خائف الله لماذا تركتني هكذا بدون أن تودعني على ما عانيت من مشقة السفر الذى كنت أسابق فيه الطيور . ثم استمر فى سيره حتى دنا من باب المغارة فوجد جسد الشيخ الميت واقفا جاثيا على ركبتيه ورأسه مستقيما و يديه مرتفعتين فظن انه حى بعد فجثا خلفه يصلى . غير أنه لما رأى الشيخ لا يتهد كعادته فى الصلاة تفرس فيه جيدا متحقق انه توفى فوثب على جسده زارفا الدموع ومقبلا يديه ورجليه ثم لفه بالرداء وحمله على كتفيه وهويرتل المزامير غير انه حزن عندما رأى نفسه أهمل استحضر آلة معه يحفر بها القبر وفيما هو مفكر فى أمره متحيرا اذا بأسدين جاءا معا راكضين فلما نظرهما ارتعد واذا رفع فكره الى الله وجدد نظره اليها ظهرا له كحمامتين وديعتين تطيران فى الهواء فاقترب الاسدان وانطرحا بجانب جسد الاب بولا مظهرين اكرامهما له ثم هذا ذيلهما لانطونيوس المبارك ورقدا أمامه بوداعة تامة وحكا أسنانها ببعض وقرا بصوت عال كأنها يظهران أسفهما . ثم حفرا فى الارض قبرا كاملا وبعد ما فرغا من العمل تقدما الى الأب انطونيوس وخفضا ذنبهما وسجدا أمامه ولحسا يديه وقدميه كمن يطلب بركة فبارك عليهما قائلا «أيها الرب الاله الذى بدون أمره لا تسقط ورقة واحدة على الارض وبدون مشيئته لا يسقط عصفورا واحد فى الفخ باركنا جميعا» ثم أطلق الاسدين بإشارة يده وصلى على جثة القديس بولا ودفنها وبعد أن أتم الدفن رجع الى دير حاملا ثوب القديس بولا المصنوع من الخوص معتبرا آياه كنزا ثميناً . وكان يلبس هذا الثوب فى يومين من كل سنة وهما عيد الفصح وعيد العنصرة وكانت وفاة القديس بولا فى اليوم العاشر من كانون الثانى ٣٤٣ م الموافق ١٢ أمشير سنة ٥٩ ش .

و يلى بنا أن نأتى فى خاتمة هذا الخبر بما قاله أحد الكتاب «انى أسأل الآن الاغنياء والذين لا يعرفون كمية ثروتهم لزيادتها والذين يسكنون المنازل الفسيحة المزينة بالزخارف والنقوش ما الذى أعوز هذا الشيخ القديس المتعري من كل غش فأنتم تشربون فى كؤوس من فضة وذهب وهذا بولا لا يطفى عطشه بكف يده . أنتم تلبسون البرفير هذا كان مرتديا بثوب من نخل . غير انه لا يكون الامر هكذا دائما وهذه الحال تنقلب الى حالة أخرى فها ان السموات انفتحت لبولا المسكين وأنتم ستهبطون الى جهنم مع جميع كنوزهم . وهو قبر فى لحد ليقدم للمجد وأنتم تدفنون فى قبور من الرخام والمرمر لتحترقوا الى الأبد» أهـ

(٣) انطونيوس :

كاتب سيرة هذا الاب الطوباوى كما سيأتى معنا هو القديس البابا اثناسيوس الرسولى البطريرك العشرون الذى كان يفتخر بكونه عرف القديس انطونيوس منذ حداثته وانه استقى له الماء مرارا كثيرة قال ما خلاصته : — ولد القديس انطونيوس سنة ٢٥١ م فى مدينة تدعى كوما (١) من والدين مسيحيين اشتهرا بالغنى فى المال والفضيلة فرباه على مبادئ الدين والتقوى فنشأ هادئا وقورا محبا للعزلة والانفراد كثير القناعة فى جميع مقتضيات المعيشة . ومع أن والديه لم ينظماء فى سلك التعليم باحدى المدارس الا أنها هذباه بعلومها ومعارفها كما تدل كتابات القديس انطونيوس الباقية الى الان التى تدل على مقدرته وتشهد له بالتضلع .

ولم يبلغ الثامنة عشرة من عمره حتى فقد أبويه فالتزم أن يعتنى بتربية أخته الصغيرة ويدر حركة أملاكه الواسعة التى كان ينفق منها كثيرا لاغاثة البائسين غير أن الافكار المقدسة كانت متملكة عليه وكثيرا ما كان يعجب من شهامة الالباء الرسل الذين تركوا على شىء وتجنّدوا لخدمة الكلمة وكيف كان كل مؤمن بواسطتهم يبيع أملاكه ويضع ثمنها تحت اقدامهم . واتفق ذات يوم انه ذهب الى الكنيسة كعادته هو واخوته وهذه الافكار تشغل خاطره واذا بفصل الانجيل يقرأ فسمع السيد المسيح يقول لاحد شبان اليهود الاغنياء « أن أردت أن تكون كاملا اذهب بع كل ما لك وأعطه للفقراء وتعال اتبعنى » (مت ١٩ : ٢١) فحالما سمع هذه العبارة حسبها صوتا الهيا يناديه من السماء فرضخ لهذه المشورة وعزم على تنفيذها

ولما عاد الى منزله شرع فى العمل بهذا الكلام فأعطى أخته نصيبها ثم توجه بها الى دور العذارى التى كانت فى عصره قد اتسع نطاقها وأوصى بها رئيستهن لكى تراعيها كأبنة لها . أما هو فأخذ يبيع كل أملاكه و يوزع منها على الفقراء حتى لم يبق لنفسه شيئا وعاش بعد ذلك من كد يديه حيث كان يصنع قففا وحصرا ويقتات بثمنها . ثم انصرف همه نحو ترويض جسده على النمو فى الفضيلة والعيشة بالقداسة والتقوى

ولم تكن الاديرة معروفة وقتئذ بل كان الاتفباء الهائمون بحب العزلة يجتهدون بكل طاقتهم فى الانفراد عن العالم والابتعاد عن معاشرة الناس فيتخذون لانفسهم مغائر لا تبعد قليلا عن المدن والقرى وهناك ينكفون على العبادة . فاجتمع انطونيوس ببعض هؤلاء وجعل يمر عليهم ويتعلم منهم الفضائل فكان كالنحلة التى تؤلف شهداء من متنوع الازهار فتعلم من واحد فضيلة الصبر ومن آخر التواضع ومن غيره الصمت ومن آخر الطاعة وهكذا الى أن وصل وكان يزاول العبادة نظيرهم واتخذ من بينهم شيخا معلما له . وكانت ذاكرته القوية تمكنه من حفظ فصل الانجيل من قراءته مرة

(١) كوما قمن الآن قرب بنى سويف ومدينه هرقلية قديماً التى كانت مشهورة بين مدن الصعيد

واحدة حتى أعجب به المتوحدون وكانوا يجلون قدره و يقفون عند قدومه ويحيون قائلين « تعال يا حبيب الله »

غير أن الشيطان لم يرق له أن يرى شابا كهذا متمسكا بعري القداسة فجمع قواه ضده وشرع فى الهجوم عليه بواسطة الافكار الرديئة فكان مرة يدفعه ليأسف على توزيع ثروته ويقول له كان يمكنك أن تبيعها وتتصرف بها حسنا وتعيش فى رضاء الله . وأخرى يقوده الى الندم على تركه واهماله أمر أخته الوحيدة بلا عناية فى العالم وتارة يمثل له مشقات الطريق الذى كان سائرا فيه وفوق ذلك كان يملأ مخيلته من الاشباح والصور الجميلة التى تسوقه الى الفساد آملا أن يخلب قلبه ويتغلب عليه

أما القديس انطونيوس فقد تسليح تلقاء هذه الهجمات بسلاح اله الكامل فأخذ يردد فى ذهنه فردوس النعيم البهيج وعذاب جهنم المؤلم وتفانى فى قمع جسده وتذليله فكان ينقطع عن الاكل اليوم بالليل مرة وأحيانا ثلاثة أيام وكان يلبس المسح ويرقد على الارض أو على حصير . ولما عجز الشيطان عن أن يوقعه من طريق محبة العالم أتاه من طريق آخر محاولا ان يجربه بالفخر والتباهى موساسا له انه أفضل الناس قداسة وأقدسهم سيرة ولكنه لم يكن يسمح لهذه الافكار اللذيذة أن تستمر مترددة على خاطره بل كان يطردها حالا فى بدء هجومها وبذلك كان يتخلص من التجربة قبل استيلائها عليه

وفى احد الايام بينما كان سائرا عثرت رجلاه ببعض الكنوز المصرية القديمة التى أنهار عليها التراب والرمل فظن فى مبدأ الامر انها خيالات وصور كيفها له الشيطان بمنظر الذهب والحجارة ولكنه لما تحققها أدرك أن الشيطان يريد أن يجربه لكى يسهل له السبيل للرجوع الى العالم ففر هاربا عنها وعزم ان لا يمر من تلك الجهة مرة ثانية . ثم لجأ الى احدى المقابر التى كان يعتنى القدماء بتشيدتها لتصير صالحة لسكنى وهى لا تبعد عن ناحية الميمون (١) ومن هناك كان يرسل أحد أصحابه بما يصنعه من السلال لبيعها ويحضر له بثمانها ما يحتاجه من القوت الذى كان قاصرا على الخبز والملح والماء و يروى انه عاش عمره كله بدون أن يتناول لحما أو يشرب خمر

وفى ذلك الاوان كان القديس قد بلغ من العمر ٣٥ سنة فعزم على أن يتوغل فى البرية ورغب أن يصحب معه شيخه ومرشده فلما عرض عليه الامر اعتذر لكبر سنه فتركه وتوجه الى القفر شرقى النيل وتعمق فى البرية وهولا يدرى أين يلقى عصا ترحاله حتى عثر على قصر قديم عظيم البناية بنته أيدي ملوك مصر الفراعنة منذ زمن مديد فى أبان هجوم الاعداء على حدود مصر وجعلوه

(١) هى بلدة على ضفة النيل بمديرية بنى سويف وبها دير للقديس انطونيوس .

كنقطة من النقط العسكرية . فأصلح القديس له فيه مكانا ورتبه بقدر الامكان وكان قد استعد بمؤنة تكفى لمدة ستة شهور وسرجدا بهذا الانفراد وبعده عن العالم حيث لا تحلوه تلك العيشة

وحينئذ كان خبر قداسته قد شاع فى كل مكان فصار الناس يبادرون اليه بعضهم لسماع تعاليمه وبعضهم لنوال الشفاء من أمراضهم . أما هو فلم يكن يرغب فى الخروج من قصره فاستمروا يطلبونه وهو يمتنع حتى كادوا يكسرون عليه الباب . فلشدة لجاجتهم تعود الخروج اليهم أحيانا ليصلى على المرضى ويلقى العظات على المسترشدين الذين كانوا يبعثون سماع نصائحه الروحية فتتلمذ له منهم كثيرون فقبلهم وسن لهم قوانين وأقام منهم مئات حول قصره وذلك سنة ٣٠٥ م ولم يكن يظهر لهم الا فى النادر الى أن مضى نحو عشرين سنة وفى نهايتها اضطر الى الخروج والتجلى للذين أرادوا السبر على منواله

وكان القديس قد بلغ من العمر الخامسة والخمسين حينما امتلأت البقاع الموجودة حوله بعدد كبير من الراغبين فى عيشة العزلة منهم الاغنياء والفقراء وما هو الا وقت قصير حتى قامت الاديرة بجوار ممفيس وارسينو وبابل وافروديت وأماكن كثيرة وامتلأت من الرهبان الذين عاشوا تحت اشراف وتدير القديس انطونيوس الذى كان ينتقل من مكان الى مكان آخر مرشدا وواعظا ومما نصحهم به قوله :

« يجب عليكم أن تقررُوا فى اذهانكم ان الواحد منكم يحتسب ذاته كل يوم انه ابتداء جديدا حتى لا يكسل ولا يتراخى فالانسان يستطيع أن يجد نعيما فى أى مكان طالما هو متعلق بالله فى قلبه والشياطين يفرعون جدا من الصلوات والصوم والسهر والتقشفات لاسيا من احتقار العالم والفقير الاختيارى وكسر حدة الغضب لان هذه الفضائل تسحق رأس ابليس كما أن اسلحة محاربتنا لاعدائنا هى الايمان الحى والسيرة النقية . والذى تعبد لله وهجر العالم وان كان ترك كل شىء حتى مجد الملوك وكنوزهم ينبغى أن يحتسب كل ذلك كالعدم بالنسبة الى السماء . وان الذى تركه يجب عليه تركه بعد قليل لانه ليس بأحد دائم على الارض وان ترك الانسان ما لا يقدر ان يأخذه معه بعد الموت فليس أمرا كبيرا . وكما أن العبد الامين اذا أمره سيده بشىء لا يستعفى من عمله لاجل خدمته الماضية كذلك الرجل المتعبد لله لا ينظر ما قد فعله وانما يلتفت الى ما بقى مما يجب عليه لربه وانه لا يجازى ولا ينال الا كليل على البداية بل على النهاية الحسنة . فاكتساب الفضيلة ليس أمرا صعبا كما يتصوره الناس بل يجب ان نلقى كل اتكالنا على ربنا يسوع المسيح وان ابليس لا يستطيع أن يضرنا ما لم نسلم له أنفسنا »

ومما قاله ايضا لرهبانه « ان السلوك فى سبيل الفضيلة هو أفضل من فعل المعجزات وان الانسان يقدر ان ينتصر بسهولة على الشيطان اذا اخلص العبادة لله من كل قلبه بسرور باطنى روحى مستحضرا الله فى ذهنه كل حين لان هذا النور يمزق ذلك الظلام ويزيل تجارب العدو

سريعا . وما يفيدنا في ذلك النظر الى سيرة القديسين واقتفاء آثارهم فإن فيها تحريضا على الاقتداء بهم » أهـ

ولبت القديس انطونيوس عائشا بين رهبانه كملاك أرضى بحب اليهم الفضيلة بسيرته والقداسة بقصدوته حتى سنة ٣١١ م ففيها طرق سمعه خبر ثورة الاضطهاد الذي اضره مكسيميان قيصر فاسرع بنفر من رهبانه الى الثغر الاسكندري وطفق يزور السجون ويعظ الحبساء فيها ويشوق اليهم سفك الدم من أجل فاديهم القدوس وكان يشترك معهم في الترتيل والصلاة وبذلك يحول سجنهم المظلم الى مكان شهى ويختم خدمته بينهم بتوضيح زوال هذا العالم وبطلان جميع أمجاده . وكان يقصد المحكوم عليهم بالاشغال الشاقة ويخفف بكلامه الروحي أتعابهم . وبجراحة تامة كان يتوجه الى المحاكم ويحضر جلساتها ويأخذ في المحاماة عن المسيحيين جهارا ويفند دعاوى أعدائهم . ولما كانت الغاية من الاضطهاد حينئذ ليس هلاك المسيحيين بل حلهم على نكران مخلصهم فكان يطلب الانفراد بالمتهمين ويثبت لهم ايمانهم ويصف لهم السعادة الابدية المعدة لجميع الصابرين على الضيقات

ولما علم الحاكم المضطهد حينئذ ان الرهبان لهم يد طويلة في تشجيع المسيحيين على قبول الموت المريع أمر بمنعهم من المثول بالمحاكم . أما القديس انطونيوس فعزم على متابعة خطته ولو أدت به الى الاستشهاد فلبس ثوبا أبيض واعتلى رابية كان الحاكم مزمعا أن يمر بها . وجعل يطلب من الرب بحرارة أن يؤهله لنيل اكليل الشهادة . غير ان الحاكم حالما وقع نظره عليه اعجب بشهامته ونظر اليه نظره احترام . ومن ذلك الحين هدأت الاضطهادات فعاد القديس الى ديره واستأنف عبادته بجد ونشاط كأنه لم يتعبد فيما مضى

وكان يحب الاختلاء لكي يتأمل في بهاء وعظمة الحضرة الالهية واعتاد أن يصرف الليل كله في الصلاة راكعا غير متحرك . فعند ابتداء صلاته كانت الشمس تغرب من ورائه ولما كانت تشرق صباحا أمامه كان يشكو منها قائلا « أيتها الشمس لماذا تعدميني بنورك أشعة النور الالهى » وبالنسبة لكثرة تقشفاته صار جسده نحيفا كأنه غير مركب من لحم وعظام ومع ذلك كان أنيسا حلما وديعا وكان كلامه ووجهه يبديان الهشاشة والبشاشة ولم تتغير حاله هذه بتغير الامور الزمنية

ولبت الجموع تتوافد عليه من كل حدب وصوب وبالنظر لكثرتهم زرع من أجلهم حشائش وبقولا فلما نمت دخل بستانه وحوش الغاب فأتلفته وذات يوم امسك واحدا منها وقال له « لماذا تضربى أنا الذى لم أضرك بشيء اخرج من ههنا ولا تعد » قيل فلم تعد الوحوش الى مزرعته ثانية . وفى ذات يوم اظهر له الله ما سيصيب مسيحي الاسكندرية من شرور الاريسيين فجثا القديس والصق وجهه فى الارض وطلب من سيدنا يسوع المسيح بعبرات هامية أن يبادر الى تخليص المؤمنين من هذا الشقاء فعزاه الله بأن أراه كيف تنتصر الكنيسة عليهم

وما مر وقت طويل حتى اشتد اضطهاد الار يوسيين على الارثوذكسيين فأرسل اليه البابا اثناسيوس الرسولى يطلب منه أن ياتى و يناصب معه الار يوسيين . وحدث قبل هذا الوقت أن قسطنطين الملك وأولاده حرروا لهذا القديس خطابا وطلبوا اليه بخضوع أن يتنازل للرد على رسائلهم فتعجب الرهبان من تواضع الملك وأظهروا استغرابهم الزائد فجمعهم القديس وقال لهم « لا تتعجبوا لان ملوك الارض كتبوا الينا ولا يجب على المسيحى أن يستعظم هذا الامر ويندهش منه أما الامر العجيب والمذهل للعقول فهو ان الله كتب شريعته من أجل البشر وأرسلها على أيدي أصفيايهم وفى آخر الايام خاطبنا فى ابنه الوحيد الذى يسمو بما لا يقاس كل كل الملوك والسلاطين » أه ولما رأى الرهبان عدم اهتمامه بالرد على رسالة الملك أقنعوه بضرورة الرد لا لانه ملك بل لانه مسيحى قصد الاستفادة فلا ينبغى أن تمنع عنه . فحرره من ثم الرد هكذا بعدا للديباجة « انى أسر معكم من انكم تعبدون يسوع المسيح وأحرضكم على التفكير فى خلاصكم وعلى احتقار الاشياء الارضية بدون أن تغفلوا لحظة عن الدينونة الاخيرة وأن تتأملوا بأن يسوع المسيح هو الملك الحقيقى والابدى الوحيد وان تتخذوا الفطنة دستورا لعمالكم فى ادارة شئون المملكة وتسيروا فى الرعية بالحلم والعدالة وتساعدوا الفقراء كمساعدتكم لأخوتكم » أه . فلما قرأ الملك وأولاده وكبار دولته هذه الرسالة اثرت عليهم تأثيرا عظيما وأدركوا الفرق بين كتابات الارثوذكسيين وكتابات الار يوسيين المملوءة من روح الرياء والنفاق . واحتفظ الملك برسالة القديس كأنها كنز عظيم

وبناء على طلب البابا اثناسيوس عزم القديس انطونيوس على التوجه الى الاسكندرية ولكنه قبل أن يقوم منها بلغه أن البطريرك قد نفى فرجع بناء على طلب وجهاء الاسكندرية خطابا الى الملك قسطنطين يحتج فيه على مقاومته للارثوذكسيين . ولم يكتف بذلك بل لما علم أن الار يوسيين قد بلغت بهم الجسارة أن أشاعوا بأن القديس انطونيوس موافق على رأيهم رجع الى الاسكندرية مع بعض رهبانه وخطب فى المستقيمي رأى قائلا « ان كنت قد جئت مرة ثانية من خلوتى لاظهر بينكم فذلك لكى اؤدى شهادة جليلة لحقيقة ايماننا المقدس . انهم قد تجاسروا على الطعن بالوهية مخلصنا وقالوا انه كان خليفه بسيطة كلا ان ابن الله ليس هو خليفه ولم ينشأ من العدم بل كان منذ الازل لانه كان كلمة وحكمة الاب ولهذا لا تشركوا قط مع الار يوسيين المنافقين لانه لا يمكن أن يكون اتحاد بين النور والظلام انه لكفر أن يقال بأنه وجد وقت لم يكن فيه الكلمة لان الكلمة كان دائما مع الاب

« انكم مسيحيون لانكم فى التقوى الحقيقية وفى الايمان الحقيقى واما الار يوسيون فانهم حينما يقولون ان كلمة الاب ابن الله مخلوق فانهم لا يختلفون بشيء عن الوثنيين الذين يعبدون الخليفة عوضا عن الخالق . فصدقوا اذن أن كل الخلائق تقف ضدهم لانهم يجعلون فى عداد المخلوقات رب وسيد كل الاشياء التى هى كافة من صنع يديه فاهربوا اذن من مخالطتهم كهربكم من الحيات والعقارب فمن لا يحب يسوع المسيح فليكن محروما . الرب سيجيء » أه .

وقد كتب الى رجل أر يوسى كان يضطهد الارثوذكسين بقساوة عظيمة مانصه « ان الله قد وضع فى قوس عدله سهام غضبه عليك وانه سيرشقها على هيامتك اذا لم تتب سر يعا » أما الهرطوقى فلما قرأ الرسالة ضحك منها مستهزئاً وألقاها على الارض وتفل عليها وتوطأها برجليه . قيل انه بعد ثلاثة أيام ضربه الرب فمات ولكثرة العجائب التى صنعها الله على يدى القديس بالاسكندرية وصل خبر قداسته للوثنيين فصاروا يفدون اليه و يتبركون بلمس جبته ولما ازدحموا عليه حاول تلاميذه أن يمنعوهم فأنتهرهم وأمرهم أن يتركوا الحرية لكل من يأتى اليه فتمكن من تنصير عدد عظيم من الوثنيين حتى قال أحد المؤرخين « ان الذين تنصروا على يده حينئذ أكثر من الذين تنصروا فى مدة سنة . »

ولما رأى الايمان قد انتعش عزم على الرجوع الى الدير فحزن الشعب على فراقه وطلبوا اليه أن يبقى معهم مدة غياب راعيهم فأجابهم « ان الشمع يذوب اذا اقترب من النار هكذا تضمحل فضيلة الناسك اذا دنا من العالم » ثم أخذ يثبتهم فى الايمان ويعزهم على فراق راعيهم الجليل وتنبأ لهم بعودته منتصرا

ورجع القديس الى ديريه واهتم بارسال محررات أكثرها الى الرهبان وقال بعضهم انها عشرون رسالة وآخرون انها سبع فقط . ولم يكن القديس يعرف شيئاً من اللغات ولا العلوم بل كان يعرف القراءة والكتابة بلغته المصرية وجاء عنه ان أحد الفلاسفة الحكماء سأله ذات يوم اذا كان لا يضجر اذا لا سبيل له الى السلوى التى يدركها الآخرون بالقراءة فى الكتب فأجابه « ان لى فى الطبيعة كتاباً » وذات يوم آخر جاءه فيلسوفان ليختبرا علمه فقال لهما لماذا تتعبان نفسيكما لز يارة أحق مثلى فأجاباه أنا جئنا اليك لاعتقادنا انك رجل حكيم . فقال لهما اذا كنت حكيماً فكونا اذا مثلى لان الاقتداء بالحكماء واجب فانا مسيحي فكونا كذلك فصمتا متحيرين ثم تركاه . وقصده غير هولاء ممتحنون كثيرون من العلماء فسألهم عما اذا كان العقل أفضل أم العلم فأجابوا العقل فقال لهما اذا من كان عقله سليماً لا يحتاج الى العلم . ثم ناقشهم فى أى الديانات أفضل وبعد مباحثة طويلة اقترح عليهم اخراج الارواح النجسة من مجانين كانوا حاضرين وقتئذ ولما عجزوا تقدم هو ورسم عليهم علامة الصليب فخرجت منهم الشياطين

ولما أمتلأ العالم من عرف طهارته وعجائبه شعر وهو فى السنة المئة والخامسة من العمر بدنو أجله فجعل يطوف على أديرة الرهبان و يزود تلاميذه بالنصائح ويحثهم على القيام بواجباتهم المقدسة المفروضة عليهم ومما قاله لهم بعد وعظ كثير « سأفارقكم يا أولادى لكنى لا أنفك عن محبتكم وانما أرجو ان تدوموا بكل غيرة ممارسين اعمالكم المقدسة ولا تتراخوا أبدا اياكم ان يخمد نشاطكم فى تميم واجباتكم . اجعلوا الموت كل يوم نصب أعينكم واجتهدوا بعناء كلى فى أن تحفظوا أنفسكم طاهرة وخالية من الافكار الرديئة ابدلوا الجهد فى اقتفاء آثار القديسين واتبعوا

بكل شجاعة طريق الحق وحذار من أن تشتركوا مع شيع الهراطقة الذين تعرفون رداءتهم واعمالهم الذميمة واهربوا كما تهربون من الطاعون من الار يوسيين المعروف كفرهم عند كل الناس وان كان حكام الولايات يساعدونهم و يناضلون عن تعليمهم فلا تتعجبوا قط لان هذه السلطة الوهميه التى اختلسوها لابد ان تتلاشى بل فليكن ذلك محرضا لكم بزياة على أن لا يكون لكم أقل علاقة معهم حافظوا بكل تقوى على تقليدات آبائكم واثبتوا بالاخص فى ايمان سيدنا يسوع المسيح له المجد الذى تعلمناه من الكتب المقدسة والذى فسرته لكم مرارا « أهـ

ولم ينته من هذا الكلام حتى اسرع بالذهاب الى صومعته لشعوره بمرض اصابه ودعا تلميذه مكار يوس (أبو مقار الكبير المصرى) وأماناس وخاطبها قائلا « انى أرى يا ولدى ان الله يدعونى اليه وانى مززع كما هو مكتوب أن أسلك طريق كل أحد . فداوما اذا على البر حسب عادتكما ولا تفقدا ثمرة أعمالكما المقدسة التى مارستها منذ سنوات عديدة ولكن اجتهدا كأنكما بادئان فى ان تحفظا وتزيدا فى ارتقاء حرارتكما . وأنتما تعلمان مكائد الشيطان وقساوته ولا تجهلان ضعفه فلا تخافاه قط بل آمننا بيسوع المسيح ولا تكن لكما رغبة الا فى خدمته

عيشا كأنكما مزمعان أن تموتا كل يوم واسهرا دون انقطاع على نفسيكما وتذكرا التعاليم التى ارشدتكما اليها غالبا ولا تشتركا قط مع المنشقين ولا مع الهراطقة الار يوسيين لانكما تعلمان جيدا كيف كنت دائما محتقرا لهم بسبب هرطقتهم المزدولة لانهم يجسرون على محاربة يسوع المسيح وتعاليمه . ابذلا الجهد والجد لتتحدأ أولا معه ثم مع القديسين لكى يقبلوكما كأصدقاء وأصفياء فى الملكوت السماوى . اطبعا هذه الاشياء على صفحات قلوبكما . وان شئتما أن تبهنا على محبتكما لى وانكما تتذكرانى كأبيكما فلا تسمحا أن ينقل جسدى الى مصر خوفا من أن يحفظه أهلها فى بيوتهم وهذا هو السبب الذى حملنى على الفرار لأموت فوق هذا الجبل . فادفنانى اذا تحت الارض ولا تقرا لاحد عن موضع لحدى اذا جاء يوم القيامة اقتبل هذا الجسد من يد يسوع المسيح بكر القيامة خاليا من الفساد

أما ثيابى فوزعاها هكذا : اعطيا للاسقف اثناسيوس أحد جلود الغنم والرداء الذى استلمته منه جديدا رداه له باليا . اعطيا للاسقف سيرا بيوس جلد الغنم الآخر واحفظنا لكما مسحى . استودعكما الله يا ولدى العزيزين . ان النطونيوس يغادركما ويتخلف عنكما « أهـ

وبعد أن لفظ هذه الكلمات اقترب تلميذاه وعانقاه وهما يبكيان وللحال أمتد على سريره منتظرا الموت بسرور ولم يكن نظره قد كل بعد ولا سقط سن من أسنانه وبدا وجهه للناظرين كأنه يسطع نورا وبهاء . ثم اسلم الروح بيد مخلصه فى اليوم الثانى والعش ين من شهر طوبه سنة ٣٦٥ م فقام تلميذاه بتكفينه وأخفيا قبره حسب اشارته ووزعا متروكاته كما أوصى فكان من ناله شىء منها يعتبره ائمن من اللائىء

وقد دفن جسد القديس الطاهر أمام باب الهيكل القبلى بالكنيسة التى بناها فى حياته باسم السيدة العذراء وسميت بعد ذلك باسمه ولم تزل حتى اليوم تضم ذلك الجسد الكريم داخل دير عظيم شيد فى ايام الانبا انطونيوس بجوار مغارته بجبل العربيه

(٤) امونيوس :

ولد سنة ٢٩٤ م بجوار مريوط وهو كزيميله انطونيوس كان من أسرة مسيحية تقية موسرة وفقد ابويه وهو فى سن الحداثة فبات تحت وصاية عمه وكانت كل آماله متوجهة الى عيشة التبتل والقداسة . غير ان عمه خطب له فتاة غنية رغما عنه وعلى غير ارادته . ولما لم يكن فى قدرته مخالفة امر عمه أخذ فى مخاطبة الفتاة التى خطبت له بالاقوال الروحية وقد استطاع بسيرته المقدسة أن يؤثر عليها تأثيرا حسنا فحبب اليها عيشة الطهارة وغرس بفؤادها الميل الى تكريس النفس لتكون عروسا محفوظا للعريس الحقيقى يسوع المسيح . ومن ثم اتفق الاثنان على أن يقبلا عقد الزواج وهما مصممان على ان يعيشا معا كأخ وأخت لا كزوج وزوجة

ولبثا على هذا الحال مدة طويلة وهما يحافظان كل المحافظة على شروط العفة والامانة حتى مرت سبع عشرة سنة على زواجهما وبعدها ماتت الزوجة فرأى أمونيوس أن المجال قد اتسع امامه ليقضى مآربه الروحية فهجر مسقط راسه ومضى الى القديس انطونيوس وتعلمذ له ودرس عليه قوانين الرهبنة المقدسة . وبعد ذلك أوفده القديس انطونيوس الى وادى النطرون ليؤسس أديرة هناك فتبعه جمهور عظيم من ناذرى العفة فنظم لهم الاحوال ورتب لهم معيشتهم واستمر مدة يسوسهم بالفضيلة والتقوى

ولم تمض على هذا الحال ثمانون سنة حتى أصبح وادى النطرون يحتوى على خمسين ديورا . ومن مبادئ هذا القديس « انه من العيب ان يتفرس الرجل التقى فى جسمه وهو عار من الملابس » وكانت وفاته فى ٢ بشنس سنة ٧٣ ش

(٥) بفنوتيوس :

ولد بمدينة مصر بعد نصف الجيل الثالث ونما مفعما بالبركات السماوية والنعم الالهية الغير الاعتيادية . واذ تأمل جيدا فى حسن ذلك السبيل الذى سلكه المتوحدون فى برارى مصر وطيبة الذين زهدوا الدنيا واعتزلوا فى القفر شغف به وتاق الى اقتقاء أثرهم وبعد قليل ترك العالم بعد أن عاف كل أمجاده وطلب سعادة السماء واتجه نحو تلك الاماكن قائلا فى نفسه « انه اذا كانت السماء تستحق أن تفضل على الارض وان الفردوس العلوى هو وطنى الحقيقى بينا الارض تحسب كمنفى لى فلماذا اذا لا أوجه كل رغائى نحو السماء وأهرب بكل جهدى من الارض وأنفر منها »

واذ ادرك ان سكناه مع النساك القرييين من وطنه بمصر يجعل اقرباءه يحولون دون قصده ويعوقونه عن متابعة سيره ابتعد ومضى الى الدير المدعوييسار في آخر حدود الاقليم المصرى الاعلى فى طيبة الخارجية حيث كان القديس انطونيوس يدبر أحوال الرهبان و يقبل اليه كل يوم عددا عظيما من الذين أخذوا بحسن صيته وأرادوا السير على خطته . فعرض بفنوتيوس نفسه على القديس وأخبره بميله الى المعيشة النسكية فثبته القديس ووضع بين تلاميذه

فبدأ القديس بفنوتيوس يمارس الفرائض النسكية التى يرشده اليها معلمه بنشاط كلى وأخذ يميت حواسه بالتقشفات الصارمة حتى انه أخضع جسده لروحه اخضاعا تاما . فكان يقضى أوقاته فى التأملات الروحية و يتلقى من الارشاد الالهى الاوامر المقدسة حتى أصبحت نفسه مستودع الحكمة الالهية وظهرت ثمار فضائله فى مدة سنين قليلة وصار معتبرا فى نظر الجميع ليس فى مصاف المبتدئين بل كأحد الآباء معلمى السيرة الروحية . وقد شهد القديس انطونيوس مرات كثيرة لعظم فضائله ومزيد فطنته وجزيل محبته فوافاه كثيرون طالبين منه أن يرشدهم الى كيفية السير فى طريق الكمال

وحدث يوما ان بعض النساك اشتكوا أحدهم بذنوب كان هو ينكره بتاتا وهم يكررون عليه شكايتهم فقال لهم القديس بفنوتيوس « اننى قد رأيت على شاطئ النهر رجلا مغروسا فى الوحل ثم نظرت واذا ببعض الرجال قد أتوا لانقاذه ولكنهم عوضا عن أن ينتشلوه الى الخارج اسقطوه فيه الى عنقه » واراد القديس بهذا القول أن يفهمهم انه يمكن معالجة المذنب بالكلمات اللينة لا بالقساوة التى تجدد فيه زلات جديدة كالنكران والكذب والاصرار على الاثم ولما سمع القديس انطونيوس ما خاطب به البار بفنوتيوس المشتكين قال لهم « هذا هو الرجل الذى يعرف ان يحكم بموجب الحق على الاشياء و يستطيع ان يفهم الافكار العميقة »

وشاء الرب بعد ذلك ان يجعل القديس بفنوتيوس بركة لاهل مدينة من مدن اقليم طيبة فاختير اسقفا لها ولكنه تألم من هذا الاختيار كثيرا وحاول التخلص منه غير انه تحقق بعد الصلوات العديدة ان الله هو الذى اصطفاه لهذا المركز فقبل السيامة وترك البرية وأقام فى ابروشيته

ولم يلبث فى دار اسقفيته طويلا حتى انتشر خبر سيرته الطاهرة فى كل مكان فصارت له فى عيون الناس منزلة سامية أما هو فشرع يدبر رعيته بالحكمة التى اكتسبها من القديس انطونيوس فطفق يعظهم ويرشدهم الى الحق ساهرا على تصرفاتهم جميعا . ثم اعتنى بوضع قوانين كنسية وتعاليم انجيله فنمت ابروشيته وتقدم أهلها فى كل الصفات الحسنة

ولما ثار اضطهاد ديوكليتيانوس ومكسيميانوس القيصرين على مسيحى مصر وقعت على هذا القديس وعلى رعيته مصائب جسيمة وأخيرا قبض عليه سنة ٣٠٨ م وعذب اعذبة شديدة

وقاسية من أجل اعترافه بالمسيح . ومنها انه حكم عليه بقلع عينه اليمنى وبقطع مفاصل ركبته اليسرى و بربطه بالسلاسل و بأخذه الى امكنه جفر المعادن ومقالع الرخام . وقد ابوا ان يمتوه ليطيلوا زمن عذابه وليذيبوه الموت فى كل لحظة واضحت حياته على هذه الصورة بسلسلة استشهادات ولولم يستشهد . ومع انه كان يشتكى قبلا من تركه للبرية واقامته بالعالم الا انه عندما وقع تحت طائلة العذاب اظهر سروره لانه لولا وجوده بالعالم لما استحق أن يتألم من أجل مخلصه الاخير الذى يعتبره شرفا عظيما

وكان وقتئذ كثيرون من المعترفين باسم المسيح فى برارى مصر فى المكان المسمى برفيرييتوس لوجود الرخام فيه فكانوا يلزمونهم باستخراجه وأخذوا سبعة عشر شخصا ما عدا النساء والصبيان وأتوا بهم الى بلاد فلسطين حيث اعترفوا جهرا بالايمان المقدس قدام فرميليانوس الوالى فأمر هذا بأن تحرق أعصاب الرجل اليسرى لكل منهم وتقلع العين اليمنى كذلك . ثم ارسلهم الى معادن تلك البلاد (١) ليفنيهم هناك بالتعب الشديد فكان القديس بفنوتيوس من أولئك المعترفين الذين ارسلوا من مصر الى فلسطين كما روى اوسابيوس وكان عددهم مائة وثلاثين شخصا فبقى القديس فى تلك المعادن مع سائر المعترفين الى نحو سنة ٣١١ م التى التزم فيها الملك غاليريوس المعتصب ان يأمر بازالة الاضطهاد عن المسيحيين لاجل مرض اعتراه فرجع أكثر المعترفين الى وطنهم ورجع القديس بفنوتيوس الى مصر واقام فى ابروشيته وأخذ يجاهد فى سبيل انهاضها بما بقى له من القوة التى كادت تنسحق تحت شديد العذاب

وعند ظهور الشيعة الار يوسية اشتدت غيرة هذا القديس فى المحاماة عن الايمان المستقيم . وحينما اجتمع مجمع نيقية المسكونى الاول سنة ٣٢٥ م ذهب اليه هذا الآب وكان من اعضائه المحترمين الذين تجلت غيرتهم وظهرت فضائلهم حتى اكتسب مقاما ساميا لدى الملك قسطنطين فكان يدعوه مرارا كثيرة و يتفاوض معه على وضع التدابير اللازمة لراحة الكنيسة وتأيد الايمان وقطع دابر هرطقة اريوس . ولم يكن قسطنطين يسمح له بالخروج من ديوانه قبل أن يقبل عينه اليمنى المقلوعة من اجل اعترافه بالمسيح

وكان هذا القديس أحد الآباء الذين وضعوا قانون الايمان الارثوذكسى فى المجمع المذكور . وبعد انحلال المجمع رجع الاساقفة الى ابروشياتهم وعاد القديس الى كرسيه وبعد ذلك كان متحدا بالالفة والوداد مع البابا اثناسيوس الرسولى ورافقه مع القديس بوتامون الذى من هراكلية وسبعة واربعين أسقفيا الى المجمع الذى التأم بصور سنة ٣٥٣ م وكان أكثر اعضاء هذا المجمع يعتقدون

(١) مكانت المعادن المذكورة فى نصف المسافة بين بحيرة لوط الى بحر اباكا وقد وجد حديثا آثار معبد قديم كان أولئك المعترفون قد بنوه زمان اقامتهم هناك وبعد الاضطهاد أصبح هذا المعبد كنيسة اسقفية فى أيام الملوك المسيحيين

اعتقاد اريوس . أما القديس فلما تحقق ذلك ورأى بينهم مكسيموس اسقف اورشليم اخذ بيده وقال له لا يليق أن يكون في مجمع الاشرار أسقف ارثوذكسى اعترف بالمسيح في الاضطهاد الاخير وكيف يحتمل أن رجلا نظيرك مشهورا بالغيرة في المناضلة عن الايمان يعرض نفسه لان يضلّه و يغره الهراطقة الذين قصدوا ان يهلكوا القديس اثناسيوس الذى هو اشجع محام عن هذه القضية الاساسية من قانون الايمان . ثم اعلمه بتعصب الارويسيين الذى كان يجهله مكسيموس لهذا الوقت . وتمكن من ان يفصله من حزبه ويثبته في شركة الكنيسة الاسكندرية

ولما رجع هذا القديس الى كرسيه ثالثا قضى بقية حياته مجتهدا في المحافظة على الايمان ومقاوما بكل قوته بدعة اريوس وبعد ان خدم مخلصه مدة سنين طويلة انتقل الى فردوس النعيم بشيخوخة صالحة في سنة لا نعلمها ولكننا نعلم انه جاهد الجهاد الحسن ونال الاكليل المجيد

القسم الثالث المملكة والكنيسة

- (١) اضطهاد كاركلا (٢) اضطهاد مكسيمينوس الثراكى
(٣) اضطهاد ديسيوس (٤) اضطهاد فاليريان
(٥) ضيق بسبب الحرب وماثر المسيحيين في تخفيفه

(١) اضطهاد كاركلا :

وتوالى بعد ساويرس سبتيوس جملة قياصرة لم يكن لهم شأن يذكر مع مسيحي مصر حتى ملك كاركلا سنة ٢١١ م فخطر له ان يزيد دخله فضاغف الجزية التى كان يدفعها له مسيحيو مصر وسن قانونا يقضى على المسيحي الذى يعرف عنه انه قاوم الحكومة فى امر ما بالصلب أو بطرحه للوحوش الضارية فتمزقه اربا هذا وان كان عبدا ذليلا فيكتفى بعبوديته وذله

ولما تناول ظلم هذا القيصر جميع طبقات المصريين ضج الكل منه ونقموا عليه ورموه بقوارص الكلام واطلقوا عليه القاب السخرية فأراد أن ينتقم منهم وعول على تدبير مكيدة لهم فأعلن عزمه على اختيار كتيبة من المصريين ليكونوا جنودا ضمن حرسه الخصوصى . فسر شبان الاسكندرية بهذا العطف . وفى اليوم المعين للانتخاب خرج جميع أهالى الاسكندرية لمشاهدة الاختيار فى مكان عينه القيصر خارج المدينة فلم يكادوا يجتمعون حتى اشار الى عساكره فجردوا اسلحتهم وقضوا على جميع المشاهدين بأساليب وحشية ولم ينج منهم الا القليل

وقد انتقم الله من كار كلا جزاء فظائفة فاعتاله مكر ينوس وحصلت منازعة على من يخلفه فانتهر وثنيو الاسكندرية تلك الفرصة للاعتداء على المسيحيين فكنت تراهم يوقعون بهم فى الطرقات والشوارع

(٢) اضطهاد مكسيمينوس الثراكى :

نالت الكنيسة راحة فى عهد الملك اسكندرساويرس الذى ملك سنة ٢٢٢ م ولكن خليفته مكسيمينوس حال تملكه سنة ٢٣٥ م اشتد عليهم شدة عظيمة ووجه نظره الى مسيحيى مصر فضايقهم حتى اضطر البطريرك ياروكلاس ان يترك الاسكندرية فرارا من وجهه . غير ان كثيرين من المؤمنين تجرعوا الموت بعد أن ذاقوا انواع آلام شديدة . وقد قصف الله عمر مكسيمينوس بعد ثلاث سنوات لملكه وخلفه غورديان فانتشر السلام فى مصر مدة ملكه ونمت المسيحية نموا يذكر . وعقب غورديان فيليب العربى سنة ٢٤٤ م الذى كدر صفو سلام مسيحيى مصر فأوقع بهم بلايا واصابتهم منه اضطهادات

(٣) اضطهاد ديسيوس :

ان اشد الاضطهادات التى وقعت على المسيحيين المصريين تلك التى اصابتهم من ديسيوس قيصر الذى جلس على كرسى السلطنة الرومانية سنة ٢٤٩ م فكان اضطهاده بالغاً منتهى القسوة والشدة حتى زل كثير من المسيحيين اثناء الاضطهاد وذبحوا للاوثان اجابة لطلب معذبيهم . ويكفيينا فى وصف تلك الفظائع ما سطره يراع البابا ديونيسيوس الاول البطريرك الاسكندرى وبعث به الى فابيان اسقف انطاكية وفيه وصف الاضطهاد المذكورة وهو :

« ان الاضطهاد الذى اصابنا لم يحدث بناء على أمر من الحكومة بل ان ناره كانت مخبوءة تحت رماده مدة سنة كاملة فالتظت عندما اثارها يد التعصب . وتفصيل ذلك ان شاعرا يدعى النبوة وفد على الاسكندرية وكان مجيئه شؤما عليها اذ جال فيها يهيج سخط الوثنيين ضدنا ويحرضهم على الدفاع عن خرافاتهم وأباطيلهم التافهة فتم لهم ذلك وأثار ثائرة الوثنيين نحونا وساعدتهم على عملهم ما أباحتهم الحكومة من اجراء أى شر وضرر يرغبونها لنا كما انهم ظنوا ان منتهى التقوى والقداسة تنحصر فى عبادة أوثانهم وشياطينهم وهذه العبادة تتم بذبحنا وتقديم اجسادنا قربانا لاصنامهم

« وكان اول شر ارتكبه أن أمسكوا رجلا هرما يدعى « مترا » وطلبوا منه أن يجدف وهزى بكلام بذيء . فرفض الرجل طلبهم بتاتا وحينئذ انقضوا عليه كالوخوش وأخذوا يضربونه بالعصى وينخزون وجهه وعينييه بمناحس وهو ثابت القلب ساكن الجأش . فلما يئسوا منه أخرجوه خارج المدينة ورجموه بالحجارة حتى مات . ثم اتفقوا جميعهم وساروا مندفعين الى منازل المسيحيين فكانوا يدخلونها بقوة غير مراعين حرمة الجيرة ولا شروط المروءة ويخرجون السكان منها ثم يتلفون كل ما وصلت اليهم أيديهم الاثيمة فيأخذون الاشياء الثمينة القيمة أما الاثاث والامتعة البيتية فيجعلونها

طعاما للنار اذ يحرقونها على قارعة الطريق حتى اذا رآهم أحد وهم يركضون و يسلبون ويحرقون ظنهم جيشا ظفر بمدينة ففعل بها فعل الغالب المنتصر

« أما المسيحيون فلم يبدوا أدنى مقاومة بل وقفوا يراقبون خراب بيوتهم وهم سكوت صامتون . فكانوا مثل اخوتهم الذين اشار اليهم بولس الرسول فى انهم كانوا ينظرون سلب أموالهم بفرح . ولست اعرف سوى رجل واحد فقط من الذين وقعوا فى أيديهم أنكر ايمانه ولكن بعد عناء شديد وعذاب قاس . واعرف أيضا منهم القوا القبض على عذراء عفيفة فاضلة اسمها « ابولونيا » وكانت قد هرمت وشابت ناصيتها وأخذوا يضربونها على فكها حتى حطموا أسنانها تحطيا . ثم أشعلوا نارا خارج المدينة وهددوها بالحرق حية ان لم تنطق بكلمات التجديف والسخراتى كانوا يلقنونها اياها . فأصابتها فى أول الامر قشعريره شديدة من شدة الآلام ولكنها عادت فتجلدت وثبتت فلما رأى معذبوها عدم فائدة هذا العذاب طرحوها فى النار حتى صارت رمادا

« وقد امسكوا أيضا رجلا آخر اسمه « سراييون » بينما كان فى بيته وأذاقوه اعذبه يقصر القلم عن وصفها و يرق الحجر الصلد من تأثيرها حتى كسروا جميع اضلاعه وسحقوها سحقا وأخيرا طرحوه على أم راسه من فوق علو شاهق

« وكان اذا سار الانسان ليلا أو نهارا فى الشوارع والازقة لا يسمع سوى صراخ وضجيج قوم يهددون و يعذبون كل من رفض أن يجحد ايمانه و ينكر مسيحه ولا يشاهد المرء غير أناس أتقياء يجرمهم الاشرار على وجوههم ثم يطرحونهم فى النار المتقدة فيحرقونهم كالهشيم . وقد بقيت هذه الخطوب متفاقمة مدة من الزمن الى أن ظهر هياج سياسى أعقبه حرب أهلية جرفت فى سبيلها كل شرير أثيم ولذلك استرحنا قليلا اذ انصرف شرمهم عنا الى بعضهم البعض ولم نكد نتنفس الصعداء حتى حاق بنا الخوف وحفنا الخطر عندما ابدل ذلك الملك الذى كان أرق جانبا وأقل شرا من غيره بملك آخر قد لا يجلس على كرسي المملكة الا و يوجه أنظاره نحونا فيعمل على اضطهادنا . وقد بدأ حدسنا يصدق وظننا يتحقق حالما صدر أمر شديد الوطأة مثلما أنبأ بذلك مخلصنا له المجد متضمننا عبارات تصطك منها الركب حتى أوشك المختارون على السقوط والعتاروعم الخوف الجميع وأركن كثيرون من المشاهير الى الفرار ورفت كل مسيحي فى خدمة الحكومة كيفما كان ذكاؤه ونباهته وكان كل وثنى يعرف أحد المسيحيين و يرشد عنه كان يؤتى به على عجل و يدعون الواحد باسمه حتى يتقدم الى هيكل الاوثان فيطلب منه تقديم الذبيحة الوثنية وكان عقاب من يرفض تقديم الذبيحة للصنم أن يكون هو نفسه ذبيحه للصنم بعد أن يجتهدوا فى اقناعه بذلك بكل وسائل التخويف والارهاب بينما كان يوجد جمهور من الوثنيين التأم هنالك وهويها ويسخر بكل مسيحي يكون حظه أما نكران الايمان وتقديم الذبائح للاوثان وأما الموت الذى هو نهاية كل انسان ولكن بعض ضعيفى الايمان انكر ايمانه وهو واقف أمام المذبح الوثنى وأثبت انه لم يكن مسيحيا قط فثل

هذا يصدق عليهم قول المخلص المجيد انهم بالجهد يخلصون وكان البعض يقتدون بهذا الجاحد والبعض يتمسكون باذيال الفرار وغيرهم قبض عليهم وطرحوا فى السجون مكبلين بالقيود والاغلال ومنهم من انكر الديانة المسيحية بعد ان سجن قليلا ولم يحاكم وكثيرون بقوا متمسكين بالدين المسيحى معترفين به مع صعوبة الاعذبة التى ذاقوها مدة طويلة وكثيرون قواهم الله وأرسل لهم معونة ومن لدنه فبقوا مرتبطين بوحدانية الايمان الصحيح ولم يميلوا عنه يمنة أو يسرة وكان من أمرهم ان صاروا اركاناً متينة فى بيت الرب وعليهم بنيت الكنيسة المصرية كما انهم دعوا شهودا امناء على مجد ملكوت ابن الله وكان فى مقدمة هؤلاء الاتقياء رجل اسمه يوليانوس اصيب بالنقرس (داء المفاصل) فلم تكن له مقدرة على السير أو القيام من مكانه فساقوه الى المحاكمة يحمله رجلان على كتفها ولما تقدم هذان الرجلان أمام المحكمة أنكر أحدهما ايمانه بلا اهمال واما الثانى واسمه كرونيون ولقبه اينوس فاعترف بايمانه اعترافا صريحا كما اعترف يوليانوس أيضا ولذلك حملوها على جملين وطاقوا بهما فى جميع أنحاء الاسكندرية — وهى كما تعلم واسعة الاطراف — وكانوا يجلدونها بالسياط جلدا عنيفا وأخيرا طرحوها فى هيب يتقد بالنيران فصارا رمادا بينما كان مضطهدوهما وقوفا يتفرجون عليها كأنه من المناظر التى تسرها النفوس » أهـ (١)

وقد حرر البابا ديونيسيوس رسالة اخرى اشار فيها الى كيفية استشهاد بعض المؤمنين وهاك مضمونها :

« وحدث ان ستة رجال وأربع نساء فيهم شاب فى ريعان عمره اسمه ديوسقوروس قبض عليهم وبعد ان جلد أولئك الاتقياء بالسياط طرحوا فى أتون النار المتقد . أما ديوسقوروس فاعطاه القاضى مهلة يتدبر فيها نتيجة اصراره على التمسك بايمانه عساه يعود فيجحد اشفاقا على نضارة شبابه وخصوصا لما آنسه فيه من العقل والرصانة عندما كان يجيب على الاسئلة التى سالوه اياها . وها انا أخط هذه السطور وديسقوروس قائم بجانبى يطفر من الفرح الروحى منتظرا عذابا مريعا وألما موجعا قد يصيبه الآن » أهـ

فيتضح من خطاب البابا ديونيسيوس هذا ان سبب الاضطهاد هو غيرة الوثنيين من نمو الديانة المسيحية . فقام المقدمون منهم ودعوا الى احياء الدين القديم واجهدوا النفس وبالغوا فى الدأب واستمالوا الكثيرين من اهالى البلاد الى ترك الديانة المسيحية والرجوع للوثنية فاستفحل الامر واستحكم الخلاف بين النصارى والوثنيين وقامت قائمة الفتنة فخرج الوثنيون على المسيحيين ونهبوا بيوتهم وكثر السلب بمدينة الاسكندرية وكان نظامها قد اختل قبل عهد ديوسيوس قيصر . وظلت الفتنة تتعاضم الى أن صار اراقة دماء المسيحيين من الواجبات الدينية وتبعوا أثرهم وكثر الفحص عنهم فخرجوا على وجوههم فى صحارى الصعيد الاعلى وانزروا فى أقطارها وانكمشوا أياما

(١) من رسائل البابا ديونيسيوس التى نقلها أوسابيوس المؤرخ ونقلناه عن « تاريخ الامة القبطية » وكنيستها لمدام بوتش

وكان لليهود يد فى اثاره هذه الفتنة على المسيحيين وايقاد نار التعصب ضدهم وكانت الحكومة الرومانية تسر جدا باستمرار الشقاق بين صنوف الالهالى بمصر وتأكيد العداوة بين أهل الاديان لتدوم شوكتها وتتأيد دولتها فعملت على النكاية بالمسيحيين وهم القسم الاضعف لتوغ صدور الوثنيين عليهم من جهة ولتكسب رضاهم من جهة اخرى

وقد كانت عبادة الشمس والقمر الى ذلك الحين شديدة الانتشار ولم يعترها ضعف ولا وهن ولا سيما فى عهد غورديان وفيليب ومن بعدهما . وكان التمسك بها لم يذهب من هياكل مصر والنوبة وذلك من أكبر الاسباب التى دعت الى هياج الوثنيين على كل من خالف دينهم وبالاخص على المسيحيين

(٤) اضطهاد فاليريان :

وجاء بعد ديسيوس قياصرة لا يهمننا ذكرهم حتى ملك فاليريان سنة ٢٥٤ م فأظهر للمسيحيين مزيد الاناسة وكان يستدعيهم الى قصره ويجالسهم وساءه أذيتهم ولكن بعد قليل انقلبت محبة فاليريان الى البغضة وصار من الد اعداء لهم . وكان السبب فى ذلك ان فاليريان كان مغرما بحكمة المصريين القدماء وأخذ له مشيرا واحدا من كهنة المصريين بمصر يدعى مكر يانوس كان يدعى السحر ومعرفة الامور المستقبلية . فهذا لما رأى ميل الامبراطور للمسيحيين خاف ان ذلك التودد يكسبهم نفوذا عليه فتتخفص قيمته ولا يعود يقدر أن يبلغ من القيصر مأربا ولا أن يستجلبه لعبادة الاوثان فأخذ يوشى على المسيحيين وأظهر له ان الذبائح التى كان يقدمها للآلهة لاجل حفظ الملك وسلامته لم تعد مقبولة لسبب تقربه منهم وانه من اللازم مقاصتهم . فصدق فاليريان كذب مكر يانوس وأمر بتقصاصهم فكان اضطهاد شديد عليهم يضاهى الاضطهاد الذى حصل فى أيام ديسيوس قتل فيه كثيرون من الشيوخ والاساقفة وغيرهم وكان المضطهدون يهجمون على الآمنين فى بيوتهم ويجرونهم الى منافع العذاب حتى اضطر كثيرون من المسيحيين الى هجر دورهم وأخذوا الجبال والمغائر مخابىء لهم

وقد صادف البابا ديونيسيوس البطريرك فى ذلك الاضطهاد أهوالا مريعة وأخيرا نفى . وقد روى بعد رجوعه من منفاه الى الاسكندرية انه لم يجد من شمامسة الكنيسة سوى ثلاثة فقط وهم فوستوس ويوساب وكويرمولى مع انه ترك عددا وافر منهم ظلوا محتبئين فى مكانهم وكانوا ينتهزون الفرص ليعطوا الاخوة و يبشروهم ولكنهم ماتوا جميعا بداء الدفتر يا وغير هؤلاء قتل كثيرون واستشهدوا واشتدت القساوة على المسيحيين للغاية حتى انهم كانوا يشقون بطون أطفالهم و يأخذون مصارينهم و يلفونها على أنابيب القصب و يلقونها للاوثان . وآخرون خيروا بين أن يسجدوا للاوثان أو يعذبوا الى الممات فأثروا الهلاك فهلك منهم عدد لا يحصى . واستمر اضطهاد فاليريان ثلاث سنين ونصف وانتهى فى سنة ٢٦٠ م

(٥) ضيق بسبب الحرب ومآثر المسيحيين في تخفيفه :

تبوأ غاليانوس العرش بعد أبيه فاليريان ولكنه انهمك في الملاذ فرأى مكر يانوس الساحر الوثني أن يكون ملكا على مصر فأبى المسيحيون الخضوع له فعاداهم معاداة عظيمة حتى قام ايمليانوس الوالى وأخذ منه التاج وحكم مصر حكما جائرا . وبعد ذلك أتاه تبودتس قائد جيش غاليانوس وحاصره ودامت الحرب بينهما سجالا مدة من الزمن أصيبت البلاد فيها بنكبات عديدة وتحمل المسيحيون منها العبء الثقيل لقيامهم بمساعدة المنكوبين وتخفيف آلامهم . وقد كتب البابا ديونيسيوس رسالة في عيد الفصح سنة ٢٦٤ م يصف فيها هول الحرب وكيف كان المسيحيون سببا في تخفيفها قال :

« ان الوقت الحاضر أصبح كغيره في الاوقات الغابرة اذ يعسر فيه على الكثيرون من المسيحيين أن يؤدوا فريضة عيد الفصح وسيان عندنا أوقات الحزن والغم وأيام الفرح والسرور التى لا يكاد يراها أحد ولو فى المنام لكثرة توالى المصائب وتتابع النكبات حتى أصبح الانسان لا يقع نظره الا على عيون تدمع وقلوب تفجع ومآق تسيل على الحدود بدل الدمع السخين الذى تنشق له الاعين حزنا على أناس أتقياء كثيرين ماتوا ودرجوا الى العالم الباقي واذا مررت الآن فى المدينة لسمعت التهنيدات والزفرات يكاد القلب يتقطر منها أسفا على أقوام مشرفين على الهلاك ينظرون أبواب القبور مفتوحة أمامهم تكاد تبتلعهم قبلما تفارق أرواحهم الاجساد حتى أصبحنا فى زمن أشبه بالزمن الذى مات فيه كل بكر فى أرض مصر على يد موسى فلم يخل بيت من البكاء والعيول لانه يوجد ميت على الاقل فى كل منزل وكنت أتمنى لو أن يكون هذا كل البلاء ويقف المصاب عند هذا الحد مع ما يسبقه من أهوال تشيب لها النواصنى وتصطك منها الركاب بل زادوا فى أنهم طردونا . طردوا وأقصونا الى أماكن بعيدة ثم أخذوا يضطهدون حتى أماتوا أكثرنا ومع ذلك فلا نزال نعيد العيد بكل احتفاء واحتفال وكلما كان اضطهادنا شديدا كلما كان عيدنا بهيجا وكان المكان الذى نذوق فيه أشد الاعذبة لا بد وأن نقيم فيه أهم الحفلات الدينية ولم نترك حقلا ولا مغارة ولا سفينة ولا خانا ولا سجنا الا وعملنا فيه جمعية يذكر فيها اسم الرب و ينادى بكلمته جهارا . أما أهم الأعياد وأكثرهم مجلبة للفرح والسرور فهو العيد الذى يحتفل به جماعة الشهداء الابرار الآن فى السماء حيث يرأس حفلتهم الرب يسوع نفسه حيث لا ألم ولا تعب ولا جوع ولا شىء من مصائب هذه الحياة و بلاياها

« وقد أعقب هذه النكبات حرب تلاها جوع وسغب أصابنا نحن والوثنيين على السواء ولكن الضرر الاكثر لحق بالفقراء المساكين الذين أثر فينا حالهم تأثيرا شديدا فكنا نواسيهم ونشاطر كل من انتابته مصيبة فى بلاياهم ونرثى لامرهم ونعطف عليهم عطفا ينتج من قلوب رقيقة واحساسات مسيحية شريفة تتأثر لمصاب بنى البشر الذين هم اخوتنا فى الانسانية . ثم جاءت بعد كل هذه هدنة قصيرة منحها لنا الرب يسوع المسيح تمتعنا فيها بشىء من الراحة والفرح ولم نلبث طويلا على هذه الحالة حتى داهمنا وباء فتاك مسنا مسا ولكنه فتك بالوثنيين فتكا ذريعا

« فلما قدم هذا الداء الوبيل بخيله ورجله ظهرت احساسات الاخوة المسيحيين نحو القوم المصابين و بانئت نواياهم الحسنة وعواطفهم الحبية مع كل مريض مدنف حتى انهم لم يخشوا شر الداء ولم يخافوا على أنفسهم من الهلاك بل عمدوا الى تمرير مرض الضعفاء وسد حاجات المعوزين بهمة شماء ومروعة علياء وهى أعمال كانت تضىء فى هذه الايام السوداء. كما يضىء مصباح لامع فى حالك الظلام وديجوره فكانوا يداونون المرضى بالادوية الروحية أولا حتى اذا فارقوا هذه الحياة الدنيا انطلقوا الى الابدية وفى قلوبهم رجاء لا يفنى بالحياة الآتية . وكان كثيرون من هؤلاء الاخوة الذين يخدمون المرضى يموتون معهم بعد أن يصابوا بعدوى أمراضهم . نعم كانوا يموتون فرحين مسرورين لموت هورقاد مؤقت تعقبه حياة أبدية سعيدة . وكانت العدوى تنتقل من المصاب الى الصحيح لان هذا كان يستخرج مصل الداء من ذاك بواسطة مصه كأنهم يحملون أعباء الامراض من على أعناق الآخرين ولذلك مات الكثير من المسيحيين فداء لآخوانهم المرضى وهو عمل يظهر منه الفرق الكبير بين المسيحى الحقيقى الذى يضع نفسه عن الآخرين كما فعل سيده قبله وبين أولئك الذين يظهرون فى مظهر المحبين المخلصين بواسطة احساس غير حساس يبدوونه فى آداب باطلة وتحيات فارغة ومودة عقيمة ولكن اذا جاء وقت الشدة فرعوا من أصدقائهم وابتعدوا عنهم أو قدموهم قربانا لاغراضهم اذا كان فى تقديمتهم ما يجلب بعض النفع او يزيل شيئا من الضرر . وفى زمن هذا الوباء انتقل الكثيرون من خيرة الاخوة وأفاضل الامة وذهبوا الى الدار الباقية شهداء الخدمة المسيحية وكان فيهم القسوس ومشائخ الكنيسة وشمامستها وغيرهم من الشعب الذين اشتهروا بحسن السيرة وطيب السمعة فالموت بهذه الكيفية وما اقترن به من شفقة عميقة وإيمان حار وغيره قوينة ومحبة مخلصنة لا يقل فى الاهمية عن الاستشهاد الذى يحدث فى زمن الاضطهادات والذين يموتون بالطريقة المار ذكرها كانوا يكرمون ويحتفل بموتهم احتفالا باهرا اذ كانوا يحملون على الاكف ويضعون فوق الرؤوس بعد أن تنظف عيونهم وتكفكف كل دمة منها ذرفت ساعة الحشجة وتقفل أفواههم ويكفونهم بأحسن الاكفان وأثمنها ومن ثم يدفنوهم باجلال وأكرام وهكذا يودع الواحد منهم أخاه و يعود فلا يلبث طويلا حتى يودعه غيره على الطريقة التى اتبعها هو مع سابقه أما الوثنيون فكانوا على الضد من ذلك ولا عجب فى هذا ولا غرابة ما دامت الاحساسات المسيحية والعواطف التقوية لم تجد لها طريقا للقلب ولم تعمل فيه عملها المعروف فكان أولئك الوثنيون عندما يشعرون بأن أحدهم مريض يبتعدون عنه و يتنحون حتى عن أعز أصدقائهم ومحبيهم وقد بلغت بهم القساوة مبلغا عظيما حتى كانوا يطرحون مرضاهم فى الازقة والشوارع وهم بين حى وميت فاذا فارق المريض هذه الدار رموا به فى عرض الفلا دون أن يواروه التراب ومن غير ان يظهر على سماتهم أدنى المظاهر التى تدل على التأثير والاحساس ولو احتاطت بهم كل العوامل المؤثرة الفعالة « أهـ

القسم الرابع البدع والانشقاقات

- (١) سابلْيوس
- (٢) نيبوس صاحب بدعة الالف سنة
- (٣) بيرلس أسقف بصره
- (٤) بولس السيمساطي
- (٥) ماني
- (٦) هيراكس
- (٧) الخلاف على عماد الهرطقة والجاحدين

(١) سابلْيوس :

أحد أساقفة بطلومائيس بالخمس المدن الغربية كان قد تربى في مدينة رومية وتعلم لنوثيتوس الهرطوقي وأخذ عنه تعاليمه التي تنحصر في أن الله أقنوم واحد أعطى الناموس لبني اسرائيل بصفته الأب وصار انسانا في العهد الجديد بصفته الابن وحل على الرسل في عليّة صهيون بصفته الروح القدس ومن اعتقاد نوثيتوس سمي تابعوه «مؤلى الآب» (١) الا أن سابلْيوس فصل ما تعلمه الكتب عن الآب والابن والروح بنوع يختلف عن نوثيتوس . فأعتقد أن جزءا من الطبيعة الالهية انفرد من الله الآب وكون الابن بالاتحاد مع الانسان يسوع المسيح وان جزءا آخر انفصل عنه فكون الروح القدس .

وكان أول من اعتنق بدعة نوثيتوس وسابلْيوس زفير ينوس أسقف رومية وكاليسطوس خليفته وساعدا المبتدعين على نشر بدعتها حتى انتشرت تلك الاراجيف وعمت أنحاء الغرب . وما زاد الطين بلة ان كاليسطوس سام أساقفة وقسوسا وشمامسة من الذين تزوجوا ثانية وثالثة ثم أباح العماد لمغفرة الخطايا وادعى بأن الاسقف لا يقطع من الكهنوت مهما جنى من الاثام . ولما لم يوافق سابلْيوس على ذلك حرّمه فجاء الى مصر سنة ٢٥٧ م وأخذ ينشر فيها بدعة «مؤلى الآب» فجذب اليه كثيرين ولما اتصل أمره بالبابا ديونيسيوس قاومه بشدة كما مر بنا في تاريخ حياة هذا القديس وانتهى الامر أخيرا بحرم سابلْيوس في مجمع عقد سنة ٢٦١ م

(١) ان أول من نشر بدعة «مؤلى الآب» هو ابراكسياس الذى وفد على رومية من آسيا الصغرى وفتح مدرسة بث فيها ضلاله واستطاع أن يجذب الى هرطقته زفير ينوس أسقف رومية وكاليسطوس خليفته وقام بعد ابراكسياس تلميذه نوثيتوس ينشر بدعته فلما علم البابا ديونيسيوس ان هذه البدعة أخذت تسلط على عقول الرومانيين كتب لنوثيتوس رسالة طويلة شرح فيها التعليم الصحيح وفند بدعته . فليعتبر الباباويون الذين ينادون بعصمة باباواتهم ويقفوا عند حدهم معترفين لباباوات الاسكندرية بالفضل فلولا غيرتهم الدينية لاصبحت الكنيسة الرومانية الآن مجموعة هرطقات فضلا عما هي عليه بفضل تساهل باباواتهم الاكرمين الذين لم يكن يهمهم سوى اتساع سلطتهم وازدياد نفوذهم

(٢) نيبوس صاحب بدعة الالف سنة . كان أسقفا لابروشية ارسينو في اليوم عرف بين رعيته بصفات حميدة جعلتهم يحترمونه احتراما زائدا . هذا الاسقف أخذ يعلم شعبه تعليما جديدا ذهب فيه الى تأكيد اقتراب الوقت الذي يملك فيه المسيح ألف سنة على الارض كأحد ملوك العالم مفسرا ما قيل في سفر الرؤيا عن ذلك تفسيراً حرفياً . ووضع كتابا سماه «مضادة المتغزلين كما لقبه مزدريا بمضادى الالف سنة . اعترض فيه على من يقولون بأن أقوال سفر الرؤيا تدخل تحت باب المجاز . وقد أجهد نفسه في اقناع رعيته بذلك المبدأ فقبلوه بدون فحص

وكان هذا الاعتقاد قد عرف في عهد العلامة أوريجانوس فقاومه بشدة وأفناه بالمرّة مفسرا الآيات المصرحة بملك المسيح ألف سنة انها تشير الى الافراح الروحية المناسبة لطبيعة الارواح التي تقوم كاملة وذلك لا يكون في هذا العالم بل في العالم الآتى . الا ان نيبوس قصد أحياء هذا الاعتقاد مرة أخرى بعد اضمحلاله وبعد موت نيبوس أخذ رجل اسمه كراسيون مركزه في اذاعة تلك البدعة وهو رجل خير ذو شرف وسطوة

ولما اتفق للبابا ديونيسيوس أن يفتقد رعيته سنة ٢٥٥ م وقف على هذه البدعة وعرض عليه تابعوها أن يحكم فيها فاستعمل الحكمة المتناهية وجذبهم اليه باللطف والرفقة وعقد مجمعا هناك ظل ثلاثة أيام تليت فيه احتجاجات نيبوس وبعدها كتب البابا ديونيسيوس رسالة ووضع نبذة في «الموايد الالهية» دخص فيها تلك الافكار

ولم يكتف البابا ديونيسيوس بذلك بل وضع شرحا لسفر الرؤيا قاعدته انه يجب أن لا ينظر لعبارات هذا السفر نظرا حرفيا اذ هو عبارة عن رموز ونبوات بعضها تم وبعضها سيتم في وقته «أهـ ويقول بعض المؤرخين ان هذا البابا ارتأى أن يوحنا الرسول ليس هو الذى كتب سفر الرؤيا بل وضعه يوحنا آخر غرانه اعترف بأنه سفر موحى من الله يجب قراءته مع الحذر الكلى

(٣) بيرلس اسقف بصره :

علم ان السيد المسيح قبل ولادته من العذراء لم يكن له لاهوت متميز بل انما كان له لاهوت الآب اى أن المسيح لم يكن له وجود قبل ولادته من مريم وانه فى ولادته دخلت واتحدت بالانسان النفس الانسانية التى أصلها من الله وهى بلا ريب فائقة كل النفوس البشرية لانها منبثقة من الطبيعة الالهية . ولما أنتشرت هذه البدعة وبلغت مسامع العلامة أوريجانوس قام لبلاد العرب ودحض تعليم بيرلس فى مجمع انعقد ببصره سنة ٢٤٤ م وتمكن أوريجانوس من أن يرد بيرلس الى الحق وفى هذا لذلك العلامة وأصبح بعد ذلك من أكبر أصدقائه وأشد المدافعين عنه

(٤) بولس السيمساطى :

ولد فى سيمساط (مدينة صغيرة فيما بين النهرين) عن والدين فقيرين ولكن حاز على غنى طائل بوسائل محرمة . ولا يعلم بأى واسطة توصل الى أن يكون بطريركا على الكرسي الانطاكي . ولما أثرى بعد الفقر المدقع انهمك بالملاذ وكان يصطحب معه أين قام أو رحل امرأتين جميلتين يقضى معها أكثر أوقاته . وكان مغرما بالرفاهية والفخفة بحيث لم يكن يسير فى الطرقات الا ومائة من الخدم يتقدمونه ومائة يتبعونه . وابدل تراتيل الكنيسة بنشائد مجده كلف بنشيدها النساء . واذا خطب كان يجعل الناس أن تصفق له آخر كل مرة

وكانت له حظوة كبرى عند زينب ملكة تدمر حتى وكلت اليه جباية الخراج وبذلك تقلد وظيفة دوسنار يوس (أى والى من الدرجة الاولى له مرتب سنوى ٢٨٠ سترشيا أى ٣٥٩٦٠ فرنكا) وكان حرصه على القيام بوظيفته المدنية أشد منه على اتمام فروضه الدينية لانه كان يتخذها سلاحا ضد اكليروسه ورعيته خوفا من مقاومتهم له

وقد استمر فى طغيانه وتجبره حتى سقط فى هرطقة فظيعة زعم فيها ان ابن الله لم يكن من الازل بل ولد انسانا حل فيه كلمة الله وحكمته عندما ولد من العذراء وان هذه الحكمة التى مكنته من أن يعلم ويعمل العجائب فارقتة حين قدم على الالام . وبسبب اتحاد الكلمة الالهية هذا بالانسان يسوع القول ان المسيح هو الله وليس بمعناها الحقيقى . ونشأ عن ذلك ضلاله الاخر وهو انه كان فى المسيح اقنومان وابنان لله أحدهما بالطبيعة والاخر بالتبنى . وبذلك شايع سابليوس فى انكار الثالوث الاقدس بقوله يوجد اله واحد تحسبه الكتب المقدسة بالاب وان حكمته وكلمته ليست اقنوما بل انها فى العقل الالهى بمقام الفهم فى العقل الانسانى

ولما بلغت القديس ديونيسيوس البطريرك الاسكندرى أخبار هذا الهرطوقى أرسل اليه رسائل عديدة و بين له فيها مخالفة غواياته لنصوص الكتاب وشهادة الآباء . وقد جاوب بولس على بعض هذه الرسائل مواربا ومواريا ضلاله . ولأجله عقد مجمع فى انطاكية تكرر انعقاده مرارا . وكان المتقدمون فيه فرميليانوس أسقف قيصرية واغريغور يوس أسقف قيصرية الجديدة وأخاه ايشنودورس وايلينوس أسقف طرسوس وايمانائوس أسقف اورشليم وغيرهم كثيرون . أما القديس ديونيسيوس فلم يتمكن من أجابة دعوة المجمع لداعى شيخوخته واكتفى بما أرسل من الرسائل للمجمع وبولس مفندا ضلاله كما مربنا

وكان بولس السيمساطى حينما يحضر المجمع يراوغ كثيرا فى أقواله فن جهة لا يبوح بحقيقة اعتقاده ومن جهة أخرى يسلم للمجمع بما يطلب منه التصريح به . ولما لم يذعن للحق كتب أعضاء المجمع رسالة الى البابا مكسيموس البطريرك الاسكندرى وديونيسيوس أسقف رومية يبينون فيها معائب السيمساطى واصراره على ضلاله

اما بولس فما فتىء مستمرا على ضلاله مستعملا المراوغة فى جميع أقواله فكان تارة يستغيث من قساوة الاساقفة عليه وطورا ينكر ما عزى اليه من الضلال حتى عقد بشأنه مجمع آخر حضره أساقفة أكثر عددا وخلعوه من بطريركية الكرسي الانطاكي وأقاموا عوضا عنه دمنوس غير أنه لم يرضخ للحكم بل استعصى بالدار البطريركية مستعينا بقوة تدمير فعرض الاساقفة أمره الى القيصر الرومانى أورليان فحكم بأن تعطى الاسقفية لمن انتخبه المجمع

(٥) مانى :

ولد سنة ٢٣٩ م وهو من الذين قاومهم البابا مكسيموس البطريرك الاسكندرى . كان أبا للمانيين ودعى كذلك لانه نسب الى ذاته لقب البارقليط وكان أسيرا فى بلاد فارس فلما عتق من هناك تبنى لعجوز أنفقت على تعليمه بين المجوس فدرس علومهم وفنونهم فكان فلكيا (ولوانه غير متعمق) ومصورا وطيبيا وفيلسوبا ولكنه لم يضع حدا لمخيلته فتوسع فى تصوراته للغاية

وبعد أن تنصر أراد أن يقرن مبادئ المجوس والمسيحيين معا وطفق يبت ضلاله سنة ٢٦٨ م واتمما لغرضه شرع يذيع بأن المسيح ترك عمل الخلاص ناقصا وانه هو البارقليط . وكان فى أول أمره يتباهى بكونه مسيحيا و يفسر الاسفار المقدسة ويجادل اليهود والوثنيين . وبعد سقوطه فى خطية الهرطقة اتخذ لنفسه اثنى عشر تلميذا واثنين وسبعين أسقفا ممثلا للمسيح وتحت كل اسقف قسوس وشمامسة وأرسلهم الى بلاد المشرق بأسرها حتى الهند والصين ليذيعوا تعاليمه فأتخدع كثيرون بغوايته وتعلم له عدد عظيم

ثم انكب على السحر خاصة ولكى يكتسب شهرة أخذ يعالج ابن ملك الفرس الذى كان الاطباء قد عجزوا عن شفائه فمات الصبى تحت يده ولذلك القى فى السجن وحكم عليه بالموت ولكنه رشى الحراس فكنوه من الفرار وذهب الى فلسطين حيث قاومه أحد الاساقفة وأنكر عليه تعليمه وطرده خوفا من أن يضل الشعب فذهب الى العربية فشعر به ملك الفرس وأرسل وقبض عليه وسلخ جلده حيا برؤوس القصب ثم سلم جسده للوحوش وحشا جلده تبنا وعلقه على باب المدينة

وبعد موته تهييج تابعوه عوضا عن أن يخافوا فطاف أقدرهم وأفصحهم فى سوريا وفارس ومصر وأفريقيا وأكثر أماكن العالم وبصرامة آدابهم وبساطة ديانتهم تلمذوا فى كل مكان تلاميذ ومع كل الاضطهاد الذى ألم بهم نسلهم باق للآن فى الجبال بين فارس والهند

أما غوايات مانى فيوضحها أحسن ايضاح موسهيم المؤرخ (١) فروى انها كانت مؤلفة من تعاليم المسيحية وفلسفة الفرس القديمة التى تلقنها فى مدارسهم وهو صغير . وما تكلم به الفرس عن

ملكهم ميثراس تكلم به مانى عن المسيح فعلم بأنه يوجد لكل شىء مادتان الواحدة نور والاخرى ظلمة وللاثنين ربان رب النورسمى الله ورب الظلمةسمى الشيطان وكلاهما متضادان فى الطبيعة والاميال ولان اله النور سعيد فهو رحوم محسن ولان اله الظلمة شقى يسعى ليجعل الغير أشقياء وكل واحد منها أوجد طائفة كبيرة من نسله على شكله ووزعها فى مملكته

واستمر اله الظلمة مدة طويلة لا يعلم بوجود نور أو اله له ولكنه شعر بذلك من حرب حدثت فى مملكته فحاول أن يستولى على اله النور فعارضه هذا بجنوده غير أن قائدهم المدعو الانسان الاول لم ينجح وتمكن جنود الظلمة من أخذ جانب عظيم من العناصر السموية ومن النور ذاته الذى هو مادة حيوية فزجوها بالمادة الفاسدة فقام من جنود النور قائد آخر يسمى بالروح الحى ومع انه نجح كثيرا الا انه لم يتمكن من تحرير مادة النور التى مزجت بالعناصر الرديئة

وبعد ذلك أوجد اله الظلمة آدم وحواء فكل مولود من هذا المزيج قائم بجسد من المادة الفاسدة وبنفسين احدهما شهوانية من اله الظلمة والاخرى عقلية خالدة لانها من النور الالهى ولما صنع رئيس الظلمة الناس من عقول غطاها بالاجساد خلق اله النور بواسطة الروح الحى أرضنا هذه من المادة الرديئة وجعلها مسكنا للجنس البشرى ووسيلة لتمهيد طريق تخليص النفوس تدريجيا من أجسادها وافراز الجيد من الردى

ثم أخرج الله بعد ذلك من نفسه كائنين عظيمين وهما المسيح والروح القدس لأعالة النفوس المغشاة بالاجساد فالمسيح هو الشخص الذى يدعوه الفرس ميثراس وهو مادة سامية جدا من أنقى نور الله واجبة الوجود حيوية فائقة الحكمة مسكنها الشمس . وكذلك الروح القدس مادة حيوية براقية منتشرة فى كل الجلد المحيط بأرضنا يدفىء نفوس البشر ويهيجها ويجعل الارض مثمرة ويخرج منها تدريجا نطفات النار الالهية المنتشرة وينهضها حتى ترجع الى عالمها التى أتت منه

و بعد أن أنذر الله طويلا النفوس المحبوسة فى الاجساد بواسطة ملائكة وأناس علمهم مشيئته أرسل أخيرا المسيح ابنه وأنزله من الشمس الى عالمنا هذا لكى يسرع برجوع الناس الى وطنهم السموى . فظهر المسيح بين اليهود لابسا صورة وظل جسد انسانى لا جسدا حقيقيا وأعلن لهم الوسيلة الوحيدة لخلاص النفوس من أجسادها وبرهن على لاهوته بعجائبه . ولكن اله الظلمة أغوى اليهود ليصلبوه . ولما لم يكن له جسد لم تؤثر عليه الآلام ولكن اليهود حسبوه صلب فرجع المسيح الى الشمس مسكنه الاول بعد أن ترك تلاميذه لتعليم الناس ديانته ووعدهم بارسال رسول أعظم يفصح عن حقائق أسمى وهو البارقليط الذى كان يدعى مانى بانه هو

والذين يؤمنون بألوهية المسيح ينبغى أن لا يعبدوا اله اليهود وهو اله الظلمة وأن يطيعوا شرائع المسيح التى أوضحها مانى ويقاومون بثبات شهوات النفس الشريرة وهكذا يتخلصون شيئا

فشيئا من مادة رئيس الظلمة الفاسدة . غير أن كمال التطهير لا يفوز به الانسان فى هذه الحياة بل بعد الموت يحصل للنفس تطهيران الاول بالماء المقدس الموجود فى القمر و يلبثون فيه خمسة عشر يوما والثانى بالنار المقدسة الموجودة بالشمس وهذه تطهرهم تماما أما الاجساد فتتحلل الى عنصرها الاصلى

أما النفوس التى لم تهتم بالتطهير فتسكن بعد الموت أجساد البهائم والبشر حتى تطهر . والاكثر انحطاطا يسلمون للارواح الشريرة المقيمة فى جلدنا ليعذبوا زمانا ما . وحين تتحرر أكثر النفوس وترجع الى عالم النور فحينئذ يأمر الله فتخرج نار جهنم من مقرها وتحرق وتلاشى هذا العالم . وبعد ذلك يرغم رئيس الظلمة وجنوده على الرجوع الى مقرهم الاصلى و يدومون فيه فى حال الشقاوة ومحاطون بحرس قوى من النفوس التى يثت من خلاصها حتى لا يقووا على محاربة اله النور ثانية

ولكى يجعل مانى سبيلا لقبول مبادئه رفض أكثر العهد الجديد معتقدا بأنه حرف عن أصله ولا سميا العهد القديم الذى كان يعتبره من انشاء اله الظلمة الذى يعبد اله اليهود ووضع انجيلا دعاه (ارتن) مجاهرا بأنه موحى به اليه من الله . ثم وضع لتابعيه عيشة صارمة فأمرهم بممارسة كل ما يضعف الجسد الذى هو عمل رئيس الظلمة . وقسم تابعيه الى قسمين المختارين الذين ينبغى أن يتمتعوا من اللحم والبيض والحليب والسمك والخمر وكل انواع المسكرات والزواج وكل تمتع ناتج من مخالطة الذكور الاناث والسامعين وقد صرح لهم بامتلاك البيوت وبأكل قليل من اللحم والزواج بنساء . ويغلب ان المختارين هم الاساقفة والقسوس والشمامسة والعلمانيين هم السامعون

و يقول الآباء أن مانى هو الذى كان يتنبأ عنه الرسول بولس بقوله « ولكن الروح يقول صريحا انه فى الازمنة الاخيرة يرتد قوم عن الايمان تابعين أرواحا مضلة وتعاليم شياطين . مانعين عن الزواج وأمرين أن يمتنع عن أطعمة قد خلقها الله لتتناول بالشكر » (١ تى ٤ : ١ — ٣)

(٦) هيراكس :

أصله من ليونتوبوليس كانت صناعته عمل الكتب وأشتهر بالعلم والتقوى ومع انه شارك مانى فى بعض الآراء الا انه خالفه فى أمور كثيرة فعلم ان عمل المسيح العظيم أن يسن شريعة جديدة أكمل وادق من شريعة موسى . ولهذا جزم بأن المسيح منع تابعيه عن الزواج واللحم والخمر وكلما تتلذذ به الحواس أو الجسد من الاشياء التى سمح بها موسى ثم منع ان يدخل الاطفال ملكوت السموات التى لا يستحقها الا الذين قاوموا الجسد وشهواته واعتقد أيضا ان ملكى صادق ملك سالم الذى بارك ابراهيم هو الروح القدس . وانكر قيامة الاجساد وفسر الكتاب المقدس ولا سيما الاسفار التاريخية تفسيراً تشبيهاً

(٧) الخلاف على عماد الهرطقة والجاحدين :

كان من أهم المباحث في الكنيسة في هذا القرن المبحث في ما اذا كان تعميد الهرطقة صحيحا أم باطلا واذا رجع أحدهم الى الكنيسة أيعاد تعميده أم يحسب معمدا . ففي هذا الموضوع اختلفت آراء الكنائس قديما . فكنائس آسيا الصغرى والكبادوك وكيلىكية وغلاطية وسورية ومصر وافر يقية كانت تعتقد أن المعمودية لا تعتبر صحيحة ذات قوة فعالة ما لم تكن بيد رؤساء الكنيسة الاثوذكسية التي تجرى كل الاسرار على وجه صحيح ولذلك كانوا يعيدون معمودية من يرجع الى حضن الكنيسة من الهرطقة . غير أن رومية والكنائس الغربية كانت تقول بأن كل معمودية تتم باسم الثالوث الاقدس هي مقبولة ولهذا لم يكونوا يعمدون التائبين من الهرطقة وكانوا يكتبون بوضع الايدى والصلاة على من اهتدى منهم . ولجل ذلك اجتمع مجمع فى ايقونية ومجمع فى سنادا سنة ٢٣٠ م برئاسة فرميليانوس أسقف قيصرية تقرر فيها عدم صحة معمودية الهرطقة . وفعل مثل ذلك اغريبنوس أسقف قرطجنة بعقده مجمعا فيها سنة ٢١٧ — ٢٢٣ م وقرر القرار عينه

والذى ساعد على اشعال نار هذا النزاع ظهور بدعتين فى هذا الشأن الاولى بدعة نوفاسيانوس أسقف رومية الدخيل وتقضى برفض توبة الذين يجحدون الايمان أو يقعون فى اثم كبير وبوجوب اعادة العماد الذى يتم على ايدى الهرطقة وكذلك عماد الارثوذكسين الذين يتساهلون فى قبول الهرطقة الثانية . واعتنق مذهب نوفاسيانوس عدد كبير من الكنيسة الرومانية غير انهم ما لبثوا أن أدركوا خطأهم وعزموا على العودة الى حضن الكنيسة ولما كانت عادة كنيسة رومية ان لا تعتمد الهرطقة توقف الكهنة عن قبولهم ريثما يتفقون على رأى بشأن الراجعين من هرطقة نوفاسيانوس . فكتبوا الى القديس كبريانوس أسقف قرطجنة يسألونه رأيه فأجابهم برسالة جاء فيها « أن المعمدين من ايدى الهرطقة هم وحدهم الذين يجب اعادة عمادهم . أما الذين قبلوا العماد من الكنيسة الارثوذكسية فعمادهم صحيح » أه ولما كان كبريانوس يفهم ان كثيرين من المسيحيين التابعين لكنائس متعددة قد جحدوا الدين أثر الاضطهادات التى أثارها الملوك الوثنيون قال للكهنة الرومانيين فى الرسالة عينها « أما مسألة الجاحدين التائبين فلا تتعلق بكنيسة رومية منفردة ولذلك يجب أن تحكم فيها الكنائس مجتمعة » (١) ولقد استصوب الكهنة الرومانيون هذا الرأى كما يثبت ذلك من رسالتهم الثانية الى كبريانوس التى جاء فيها « ان القضايا العامة لا يجب أن تنفرد كنيسة بالفصل فيها لان فى ذلك خطأ عظيما واهانة كبرى لمجموع الكنائس المسيحية فضلا عن أن الكنيسة التى تتعرض لاصدار حكم فى قضية عامة يصبح حكمها ملغى ولا يعول عليه » أه (٢)

(١) كبريانوس فى رسالة رقم ١٩

(٢) رسالة كبريانوس رقم ٣١

والبدعة الاخرى بدعة فيلكسيموس الذى كان يعلم هو وأتباعه بوجوب الصفح عن الذين جحدوا الايمان بمجرد الشفاعة التى يتحصلون عليها من المؤمنين الموجودين فى السجون . والذى دعا الى نشر هذه البدعة هو انه بسبب اضطهاد ديسيوس قيصر للمسيحيين زل كثيرون منهم وقدموا الذبائح للاوثان اجابة لطلب معذبيهم ثم ارادوا بعد ذلك أن يرجعوا الى شركة الكنيسة بدون ان يخضعوا للتأديب الصارم حسب قوانينها . ولكى يحصلوا على الغفران بأكثر سهولة التجأوا الى شفاعته الشهداء المحكوم عليهم بالموت وأخذوا منهم مكاتيب توصية بها يعلن الشهداء المشرفون على الموت انهم حسبوا هؤلاء الاشخاص مستحقين لشركتهم وطلبوا أن يقبلوا و يعاملوا كاخوة فبعض الاساقفة والكهنة قبلوا حالا الجاحدين الذين قدموا مكاتيب كهذه لكن كبريانوس وغيره من ذوى الحزم والغيرة مع انه لم يرد ابدا أن يبطل كرامة الشهداء قاوم هذا الارتخاء الزائد وأراد أن يضع حدا لفعل مكاتيب التوصية هذه

وفى سنة ٢٥٣ م قام على كرسى رومية الاسقف استفانوس واتباعا لعادة كنيسة شدد بمنع معمودية الهراطقة ولم يكتف بذلك بل خاطب فرميليانوس أسقف قيصرية وطلب منه الامتناع عن تعميد الهراطقة . غير أن فرميليانوس أهمل كتابه فعقد استفانوس مجمعا سنة ٢٥٤ م حكم فيه بقطع فرميليانوس ومن وافقه من اساقفة كيليكية وغلاطية . ولما كان القديس كبريانوس مشتركا مع هؤلاء فى المعتقد تهدده استفانوس بحرمه ان لم يقلع عن هذا الاعتقاد فلم يعبأ كبريانوس بهذا التهديد وقابله بمجمع عقده فى قرطجنة سنة ٢٥٥ م وبعد مباحثات طويلة حكم بضرورة اعادة عماد الهراطقة ومن تعمد على يدهم ممن يرجعون الى الكنيسة . وأما الذين كانوا معتمدين فى الكنيسة وسقطوا فى كفر أو هرطقة فحكموا بعدم اعادة معمديتهم نفيا لبدعة نوفاسيانوس أسقف رومية الدخيل

وأرسل المجمع قراره لاستفانوس أسقف رومية ومن جملة ما قيل له هذا الكلام « ان كل رئيس روحى حرقى سياسة كنيسته . لانه سيقدم حسابا عن أعماله للرب » (١) غير ان استفانوس رفض هذا القرار وكتب الى أساقفة افريقيه يحثهم على الاقتداء به فى رفض قرار كبريانوس وجاوب أعضاء مجمع قرطجنة بقوله « يجب عليكم أن لا تحدثوا شيئا بل أن تجروا على التسليم وتقبلوا بوضع الايدى فقط الذى يأتى اليكم من أية هرطقة كانت . لان الهراطقة أنفسهم لا يعمدون الذين ينتقلون من هرطقة الى اخرى . بل يقبلونهم قبولا بسيطا فى شركتهم » (٢) ثم هددهم بالقطع ان لم يدعوا لادارته

(١) رسالة ٧٢ لكبريانوس

(٢) رسالة ٧٤ لكبريانوس

أما كبر يانوس فاستغرب منه هذا العناد وأنكر عليه خضوع كنيسة افر يقية لاستبداده وكتب رسالة الى بومبيوس أحد أساقفة افر يقية ضد استفانوس جاء فيها قوله « اننا لا نجد مثل هذا القرار (أى قرار استفانوس) لا فى الانجيل ولا فى الرسائل ولا فى اعمال الرسل . وباطلا يقاومنا بعض مستندين على العادة وهم مغلوبون من البراهين العقلية . كأن العادة تعلو على الحقيقة أو كأنه لا يجب أن نجري فى الروحيات على ما أعلن من الروح القدس انه الافضل » أه (٣)

ثم أرسل أساقفة افر يقية أيضا رسالة أخوية الى استفانوس يدعونه الى الاتحاد معهم فلم يشأ أن يقابل حملة الرسالة ولم يسمح لهم حتى ولا بأوى وجاوبهم بخشونة بخطاب لقب فيه كبر يانوس بالرسول الغاش والنبي الكذاب (٤) وما علم كبر يانوس بذلك حتى كتب الى اخوته اساقفة افر يقية يحذرهم من الوقوع فى ضلال استفانوس ولقد جاء فى رسالته الى بومبيوس « انه (أى استفانوس) صديق الهراطقة وعدو المسيحيين يقول بأنه يقدم كرامة لله و يظن بأنه حرم كهنة الله المحافظين على حقيقة دين المسيح واتحاد الكنيسة . فان كانت الكرامة لله تقدم على هذا الوجه وان كان خوف الله والشىء القانونى يحفظ من عباده وكهنته على هذه الصورة فلنرم سلاحنا ولنمد أيدينا الى السبى » ثم قال له « ان هذا الاسقف الضال استفانوس قد دل برسالته على جهله وغباوته » أه (١)

وقال فى رسالته الى كينتوس « ان بطرس الرسول (الذى يدعى استفانوس انه خليفته) لم يقل قط بتقدمه على سائر الرسل ولم يطلب ممن أتوا بعده فى الرسالة أن يقدموا له فروض الخضوع والطاعة ولم يدع انهم دونه فى الرتبة » أه (٢) ولم يكتف كبر يانوس بهذه الرسائل بل عقد مجمعا ثانيا فى قرطجونة أبدى فيه كل من الاساقفة رأيه الخاص فقال الاسقف الثالث والعشرون فى ترتيب جلوس الاساقفة فى المجمع « انه جحد ايمان الكنيسة ويجب ان لا يكون جحوده سببا فى اضطراب مجموع الاساقفة » وقال الاسقف الحادى والستون « انه يهوذا الاسخريوطى الذى باع عروس المسيح لاعدائها » (٣)

وكان فرميليانوس أسقف قيصرية قد أرسل هو أيضا وفدا الى رومية فقبول هناك أسوأ مقابلة كوفد كبر يانوس ولم يسمح له بسقف يبيت تحته ومن ثم تبادل فرميليانوس وكبر يانوس الرسائل ضد استفانوس وكان فرميليانوس قد تلقى رسالة من كبر يانوس فرد عليها برسالة طويلة

(٢) رسالة ٧٢

(٣) رسالة ٧٣ (٤) رسالة ٧٥ (١) رسالة ٧٣

(٣) اعمال مجمع قرطجونة الذى عقده كبر يانوس

جاء فيها قوله « لقد أبى استفانوس أن يقبل نوابك وأمر الرومانيين أن لا يقبلوهم فدل بذلك على توحشه وهمجيته على اننا مدينون لهذا المتوحش لان قسوته وغطرسته كانتا سببا في ان عرفنا حكمتك وايمانك . غير انه لا فضل له في ذلك كما انه لا فضل ليهوذا الاسخر يوطى في خيانتة سيده . تلك الخيانة التي نتج عنها خلاص الجنس البشرى . ولكن دعنا من هذا الحديث الذى يذكرنا بوقاحة استفانوس وجسارته بل بشغفه بالانفصال عن وحدة المحبة والتغرب عن الاخوة والتمرد على الحق الخ » (٤) ولم يكتف فرميليانوس بذلك بل كتب لاستفانوس رأسا رسالة منها قوله « لقد جسمت خطيبتك بنفسك التي زينت لك الانفصال عن الكنيسة الواحدة . لا تنخدع يا استفانوس فانك قطعت نفسك بنفسك . لان الذى يمجّد شركة الوحدة الكنسية يصبح وحده منشقا عنها . وهكذا نراك منفصلا عن الكنائس المسيحية في الوقت الذى تظن فيه انك تفصل تلك الكنائس عنك » (١)

ومع كل هذه المساعي الحميدة استمر الشقاق مضطربا وكاد يستفحل امره لولا مداخلة البابا القديس ديونيسيوس البطريك الاسكندري التي جعلت النزاع يقف عند حده فكتب الى استفانوس يقول له « اعلم الآن أيها الاخ ان جميع الكنائس المنشقة قبلا في الشرق وما بعده قد اتحدت . وجميع الرؤساء في كل مكان متفقون في الرأى وهم فرحون بالسلام الذى صار على غير انتظار منهم ديميتريانوس في انطاكية وثاوكتيستوس في قيصرية ومازبان في اليه (أورشليم) ومارينوس في صور بعد رقاد اسكندر وايليوذوروس في اللاذقية بعد وفاة ثيليميدرس وايلينوس في طرسوس وسائر كنائس كيليكية وفرميليانوس وسائر الكبادوكية . وقد ذكرت أشهر الاساقفة فقط لكى لا أطيل الرسالة ولا أثقل الكلام . أما سورية كلها والعربية الذين تكفونهم دائما والذين أرسلتم اليهم الآن وبين النهرين والبنطس وبشثينية وبالأجمال الجميع في كل مكان يبتهجون بالاتحاد والمحبة الاخوية ممجدين الله » أه (٢)

على أن استفانوس الذى كان يشتهى أن يرى نفسه يوما رئيسا عاما للكنيسة المسيحية نظير معظم باباوات رومية لم يدع لنصيحة زميل له يفوقه قداسة وعلمًا بل لبث مصرا على عناده حتى مات سنة ٢٥٧ م وخلفه سكستوس فكتب له البابا الاسكندري رسالة جاء فيها قوله « فانه (أى استفانوس) كان قد كتب قبلا في ايلينوس وفرميليانوس وسائر أساقفة كيليكية وغلاطية والشعوب المجاورة لهم قائلًا بأنه لا يشترك معهم لهذه العلة عينها أى لانهم يعيدون على زعمه معمودية الهرطقة . وحقا انها تقرر كما أعلم في اعظم مجامع الاساقفة عقائد بأن الآتين من هرطقة يوعظون أولا ثم يغسلون ويطهرون من دنس الخميرة العتيقة . وقد أرسلت اليه ورجوته في هؤلاء جميعهم »

أهـ (٣) وأعقب هذه الرسائل برسائل أخرى ظاهرها الاستشارة وباطنها الفات نظره الى وجوب التدقيق لمعرفة صحة عماد الهرطقة من عدم صحته . وكان يروم من وراء جميع رسائله حفظ كيان اتحاد الكنيسة ومنع كل شقاق وتحزب شأن الراعى الصالح حتى تمكن من اقناعه بروح المحبة والسلام أفضل من استعمال الشدة والعنف وله رسالة فى هذا الموضوع لفليمون أحد كهنة الكنيسة الرومانية قال فيها « ان فساد العماد الذى يتم على يد الهرطقة أصبح أمراً ثابتاً بعد أن قررته عدة مجامع انعقدت فى ايكونيوم وغيرها . فهل يليق قلب هذه القرارات وتحريض الاخوة على المنازعات والمشاغبات . أما أنا فلا يمكننى أن آتى ذلك لانه مكتوب « لا تنقل التحم القديم الذى وضعه اباؤك » أهـ (١)

وحدث حينئذ أن ثار اضطهاد فالريان قيصر وشدّد النكير على رؤساء المسيحية فشغل كل من الاساقفة عن مسألة عماد الهرطقة بالنظر فى شئون رعيته وفى هذا الاضطهاد استشهد القديس كبريانوس والقديس سكستوس وشماسه لافيرنديوس

واتفق حينئذ انه كان فى كنيسة الاسكندرية مؤمن تعمد بيد أحد الهرطقة ولاجل ذلك ارتاب ولبث مدة طويلة فى الكنيسة وضميره يوبخه حتى جاء الى البابا ديونيسيوس ملتجئاً منه بدموع ولجاجة أن يعيد له عماده فلم يجب ديونيسيوس طلبه ولكنه طيب خاطره واحترافاً فى أمره بالنسبة لالحاح الرجل عليه . فبينما كان يخاطب زميله سكستوس أسقف رومية برسالة فى بعض الشئون (٢) خطر له أن يقف على رايه فى هذا الامر فأضاف الى رسالته قوله :

« انى بالحقيقة أيها الاخ أطلب النصيحة واستمد الرأى منك فى هذا الامر المهم الذى ورد على خوفاً من أن أكون غلطاً . فان مؤمننا من الاخوة المجتمعين يظن أنه قديم فى الكنيسة أقدم من زمان شرطونيتى وأظن انه مشترك فى الكنيسة قبل اقامة المطوب الذكرى روكلاس (سلفه) وقد اتفق أن يكون من المعمدين تعميدها على قفا اليد . فلما سمع السؤالات والاجوبة عندنا تقدم الى

(٣) أوسابيوس ٧ : ٥

(١) أوسابيوس ٧ : ٥

(٢) يتوهم البابا يون أن استشارة البابا ديونيسيوس لسكستوس تؤيد رئاسته المزعومة مع العلم أن بولس الرسول استشار الرسل فى أمور (غل ٢ : ٢) ولم يكونوا رؤساء عليه وكيرلس البابا الاسكندرى كتب ينصح نسطور فهل يعتبر رئيساً عليه . والقيصر ثيودوسيوس كلف القديس سمعان العمودى أن ينصح البابا كيرلس ويوحنا الانطاكى وكان مرؤوساً لهما . أما ظنهم أن قوله « خوفاً من أن أكون غلطاً » يؤيد عصمة البابا فينقضه أن باباوين فى أيامه كانا من رؤساء الهرطقة وهما زفيرينوس وكاليسطوس وآخر ايضاً بعدهما بقليل ذبح للاصنام فى اضطهاد ديوكليانوس وأقر وهو بابا بأن الصنم اله وهو مركلينوس ولئن كان تاب فيما بعد واستشهد . أما استشارة البابا ديونيسيوس لاسقف رومية فكانت من قبيل الوقوف على الرأى وخوفه من غلظه ما هو الا عن تواضع ولطف أخلاق وسمو آداب وتأكيده الحقيقة بأن كل ابن آدم يغلط كما أن البابا ديونيسيوس تصرف فى كثير من المسائل الاهم دون أن يستشير أسقف رومية أو حتى يقف على رأيه

با كيا ونادبا نفسه وكان يقع أمام رجلى معترفا ومنكرا باقسام المعمودية التى تعمد بها عند الهراطقة بانها ليست مثل هذه ولا شركة لها معها لأنها مملوءة كفرا وتجاديف وقائلا ان نفسه قد تحشعت الآن تحشعا عظيما وليست له دالة ان يرفع عينيه الى الله ما دامت بداءته من تلك الاقوال والاعمال الشريرة . ومن ثم طلب أن يحصل على هذا التطهير والقبول والنعمة الصحيحة الخاصة . الامر الذى أنال لم أجسر أن أعمله قائلا أن اشتراكه زمانا كثيرا يكفى لذلك . فأنى . . بعد انه سمع الشكر وقال معنا « آمين » وحضر المائدة ومد يديه لتقبل الغذاء المقدس وناله أيضا واشترك زمانا كافيا بجسد ودم يسوع المسيح . لا أستطيع أن أجسر واعيد بناءه مرة ثانية من الاول . وقد أمرته أن يتشجع ويتقدم بايمان ثابت وضمير صالح الى الاشتراك بالقداسات . أما هو فها ينكف ناثحا ويجزع ان يتقدم الى المائدة وبالرجاء العظيم يكاد الا يطيق حتى الوقوف معنا فى الصلوات »

ومع كل ذلك استمر الخلاف فى هذه القضية حتى اصدر فيها المجمع النيقاوى المسكونى الاول الحكم النهائى سنة ٣٢٥ م وبعده الثانى سنة ٣٨١ م .

أما مسالة الذين زلوا ابان الاضطهادات وقدموا الذبائح للاوثان فبسببها عقد كبريانوس مجمعا بقرطجنة قرر فيه شجب بدعتى نوفاسيانوس وفيلكسيموس المشار اليهما آنفا ومعالجة الساقطين بدواء التوبة حتى ينقهاوا . الا أن المجمع اتفق على استئناف القضية للبابا الاسكندرى فرفعت اليه وكان فابيانوس أسقف انطاكية ميالا لمبدأ نوفاسيانوس من حيث معاملة الذين انكروا الايمان وتابوا بالقساوة الزائدة فكتب اليه القديس ديونيسيوس هذا الكتاب يقول فيه :

« اليك مثال عما حدث فى مثل هذه الامور التى نتناقش فيها الآن ومنه يظهر لك كيف تصرفنا نحن . حدث أن رجلا هرما اسمه سيرا بيون وهو مسيحى لا غش فيه قضى حياة طويلة بكل تقوى وأمانة كان قد ذبح للاوثان أثناء اضطهادهم اياه ولكنه عاد فأقر بذنبه واستغفر ربه عن خطيته فلم يقبله أحد أو يرق لحاله انسان فأصاب الرجل مرض عضال الزمه الفراش وظل ثلاثة أيام متوالية لا يعى ولا يتكلم وفى اليوم الرابع أفاق قليلا من غشوته فدعا اليه ابنه الاكبر وقال له لقد طال يا ابنى زمن حزنك لى فاتوسل اليك أن تسرع وتطلقنى من عقالى فارجوك ان تذهب وتأتى لى بأحد كهنة الكنيسة » ولما قال هذا عاد الى غشوته وصمته وأما الغلام فأسرع الى كاهن من كهنة الكنيسة ليدعوه كأمر ابيه وكان الوقت ليلا وكان الكاهن مريضا . وكنت قد أصدرت أمرا قبل هذا الوقت يقضى بأن الذين على حافة الموت اذا شعروا بحاجتهم للتوبة والحوافى طلب المغفرة يجب ان يمنحوها حتى ينتقلوا من هذا العالم وقلوبهم مملوءة من التعزية والرجاء بالحياة الابدية . وعليه جاءنى الغلام فاعطيته جزءا من الافخارستيا وقلت له أن يغمره فى الماء ويضعه فى فم هذا الرجل الهرم فذهب الولد مسرعا الى البيت ومعه القطعة التى اعطيتها له ولما قرب من مدخل الباب كان سيرا بيون قد عاد اليه رشده فنهض قائلا « لقد جئت يا ابنى ولكن الشيخ لم يقدر على المجيء

فعلبك اتمام ما أمرت به ومن ثم اطلقنى بسلام فقد أبصرت عيناي خلاص الرب « قبل الشاب اللقمة ووضعها حالا فى فم أبيه فلم يلبث حتى ازددتها وفاضت روجه الى خالقها . لم يكن هذا الرجل قد تاب توبة حقيقية ولم يظل حيا الى أن نال المغفرة ومحيت جميع ذنوبه ؟ وهل يعتبر هذا الرجل التقى مؤمنا لاجل أعماله الصالحة الكثيرة التى عملها فى حياته وعند موته ؟ » أهـ .

القرن الرابع القسم الاول تاريخ البطاركة

(١) بطرس ^١	(٢) ارشلاوس	(٣) الكسندروس ^١
(٤) أثناسيوس ^١	(٥) بطرس ^٢	(٦) تيموثاؤس ^١
(٧) ثاوفيلس		

١ — بطرس أ — البطريرك السابع عشر:

كان تلميذا للبابا ثاؤنا وتربى تربيته صحيحة في المدرسة اللاهوتية التي كان يديرها يومئذ القس ارشلاوس ورسمه البطريرك شماسا ولما رأى عفاه وعلمه صيره قسا وكان ملازما خدمة الكنيسة ليلا ونهارا معتبرا من الجميع لاجل قداسة سيرته وجزيل علمه وغيرته على انتشار الايمان الاقدس . واتفق ان سابليوس الهرطوقي جاء يوما الى الكنيسة طالبا البطريرك ليجادله فارسل اليه البابا ثاؤنا القس بطرس فازدري سابليوس بالبطريرك اذا ارسل له شابا حقيرا ليجادله فأجابه القديس بطرس « اذا كنت أظهر أمامك صغيرا فأننى عند الرب كبير والرب يظهر كفرى به اليوم وينصرنى عليك كما نصر داود النبي على جليات الجبار » ثم أخذ يناضله و يناظره فى الحقائق الدينية حتى أفحمه وأخرجه مخزيا أمام الجميع .

وحدث أيضا فى أحد الاعياد بينما كان البابا ثاؤنا محتفلا باقامة الاسرار وقف انسان به شيطان وجعل يرمم المؤمنين بالحجارة ويزأر مثل الوحوش فهرب الشعب منه الى داخل البيعة وعلم البطريرك بحال المجنون فقال للقديس بطرس اذهب اليه واطرد عنه هذا الشيطان فأخذ أناء مملوءا بالماء وقدمه الى الآب البطريرك وطلب اليه أن يرشمه بعلامة الصليب ففعل وخرج بطرس الى الرجل وانتهر الشيطان باسم الرب يسوع فخرج منه للحال .

ولما ارتقى القديس بطرس كائذرا (١) مرقس الرسول فى شهر أمشير سنة ١٧ ش و ٣٠٠ م فى عهد ديوكلتيانوس قيصر خلفا لمعلمه البابا ثاؤنا ضاعف جهاده ولبث مواظبا على خدمة ربه كل أمانة . وبعد نهاية القرن الثالث كان اضطهاد الكنيسة فى مصر بالغاً أشده فى عهد ديوكلتيانوس ومكسيميان . فرأى البطريرك القديس رعيته فى خطر عظيم فبعضهم قتل وبعضهم

(١) كائذرا كلمة يونانية معناها كرسى البطريرك أو المطران

هرب الى البرارى والكهوف ولذلك طاف بلاده كلها يشجع الضعفاء فى الايمان و يعزى المعترفين فى السجون و يسعفهم و يرجع الى الخطيرة الخراف الضالة أى الذين كانوا تركوا الايمان الصحيح خوف العذاب حاثا اياهم على الصلاة والصوم ليستقبلوا الموت ببأس شديد وجأش رابط وما أتى الى مدينة ليكوبوليس (١) حتى أخذ منه الحزن مأخذ شديدا لما رأى اسقفها ميليتس قد كفر بالايمان وسالم الوثنيين ثم سجد لاصنامهم . وقد أفرغ القديس جهده كله فى أن يرد هذا الاسقف الى التوبة فلم ينتصح ولم يتب بل شق عصا الطاعة على رئيسه وطفق يشنع عليه و يرميه بتهم باطلة . وقد ازداد شرا حتى ابتدع بدعا رديئة بسببها انفصل من الكنيسة مع من تحزبوا له مما حدا بالقديس بطرس الى عقد مجمع فى الاسكندرية سنة ٣٠٦ م حكم فيه بقطع ميليتس ومن شايعه وكل ما سيرد ذكره فى الكلام على البدع والهرطقات .

وفى سنة ٣٠٧ م لما قرب عيد القيامة تقدم الى البطريرك أولئك الذين كانوا قد جحدوا الايمان ثم ندموا ومارسوا لاجل سقطتهم توبة مستطيلة وطلبوا بدموع والحاح أن يحلهم و يقبلهم فى الكنيسة . فاهتم البابا بطرس باعداد المنشور الذى كان يصدر سنويا فى عيد الفصح وضمنه التوبة التى بموجبها يقبل الذين سقطوا فى مدة الاضطهاد الى حضن الكنيسة . وهذه هى القوانين نذكرها بالايجاز (٢) :

- ١ — جميع الذين زلوا فى بداءة الاضطهاد لشدة ما قاسوه من العذاب المريع ثم اظهروا توبة وندامة فى اثناء الثلاث سنوات الماضية يجوز قبولهم فى الكنيسة يوم العيد الآتى وذلك بعد أن يصوموا اربعين يوما صوما عنيفا .
- ٢ — جميع الذين عثروا فى ايمانهم لداعى سجنهم فقط دون أن يعذبوا عذابا شديدا يجب ان تعطى لهم سنة كاملة يظهرون فيها التوبة الحقيقية قبل قبولهم فى حضن الكنيسة .
- ٣ — كل الذين ارتدوا عن الايمان لمجرد الخوف والوهم فقط ولم يذوقوا عذابا تعطى لهم اربع سنوات ليبرهنوا فيها على التوبة والندامة .
- ٤ — جميع الذين ارتدوا ولم يعودوا يطلبون التوبة والانضمام الى الكنيسة فلا يوجد قانون لهم بل حرى بالكنيسة أن تبكيهم وترثى لحالهم .
- ٥ — الذين نجوا من العذاب او الموت لتظاهروهم بالبله او الصرع او اية حيلة اخرى تمنح لهم مهلة ستة شهور فيها يكفرون عن سيئاتهم .
- ٦ — العبيد الذين اجبرهم مواليمهم للتقدم للمحاكمة عوضا عنهم ثم سقطوا فى هذه التجربة ينبغى ان يبرهنوا على توبتهم باعمالهم فى بحر سنة .

(١) هى أسبوط الحالية وكانت أول أسقفية فى القطر المصرى بعد الاسكندرية

(٢) هذه القوانين أيدها البابا بطرس بالشواهد والادلة الكتابية وقد بقيت معمولا بها فى جميع الكنائس الارثوذكسية فى العالم أجمع حتى بعد الانشقاق

- ٧ — الموالى الذين فعلوا ما تقدم تفرض عليهم ثلاث سنين توبة .
- ٨ — جميع الذين عثروا ثم عادوا فاصلحوا خطأهم حالا بان قدموا انفسهم للسجن وللعذاب يجب قبولهم فى عضوية الكنيسة بدون فحص او قصاص .
- ٩ — كل الذين قدموا انفسهم للاخطار طوعا واختيارا دون أن ينتظروا القاء القبض عليهم او يصبروا حتى يرى ما يحل بهم لا تصح محاكمتهم ومقاصتهم بل يكتفى بتذكيرهم ان المسيح ورسله لم يعملوا هكذا ولم يلقوا بانفسهم فى الهلاك أما الذين سقطوا من هذه الفئة المشار اليها فاذا كانوا من الاكليروس الذين طلبوا العودة الى حضن الكنيسة فلا يجب قبولهم فى الوظائف الكهنوتية ثانية . بل يقبلون كأعضاء فى الكنيسة فقط .
- ١٠ — أولئك الذين أنكروا حيثياتهم وأشخاصهم لاجل تشجيع الآخرين وتقوية ايمانهم فى أوقات الاضطهاد فهم قد أتوا عملا حسنا فلا لوم عليهم ولا تثريب .
- ١١ — جميع الذين افتدوا انفسهم بدراهم دفعوها فداء عنهم فلا يلامون قط .
- ١٢ — لا شىء على الذين نجوا بواسطة هرههم من الموت ولا قصاص عليهم .
- ١٣ — جميع الذين أجبروا اجبارا لكى يذبحوا للاوثان والذين افقدهم العذاب شعورهم واحساسهم فأصبحوا لا يدركون يجب اعتبارهم فى درجة الذين اعترفوا بالمسيح تماما ما داموا فعلوا ما فعلوه بدون ارادتهم . فاذا كانوا من الاكليروس يعادون الى وظائفهم كما كانوا . أهـ

وكان اريوس الهرطوقى فى بدء أمره تابعا لبدعة ميليتس المذكور وتلميذا له غير أنه انفصل عنه وأتى الى البطريرك وأعلن خضوعه له فقبله وسامه شماسا ثم صار فيما بعد قسا وارتقى الى وظيفة واعظ لفصاحته . الا أنه فى وعظه كان يمزج معظم كلامه بأقوال فلسفية تتناقض مع حقائق الدين المسيحى الصحيحة . واتفق انه كان يخطب يوما بحضرة البطريرك فتاه فى أقواله والقى هذه العبارة على مسمع منه وهى « ان ابن الله كائن بعد ان لم يكن » فتبادر لذهن البطريرك فى مبدأ الامر انه يقصد بهذا القول عن المسيح بالنسبة الى ناسوته المأخوذ من العذراء . ولكن معنى هذه العبارة تردد كثيرا بفهم اريوس ولدى سؤال البطريرك اياه عن مراده بهذا القول اتضح له انه سقط فى بدعة شنيعة . وبعد أن أكثر له النصح بدون أن يهتدى جرده من وظيفته وأصدر قرارا بحرمانه وقطعه من شركة الكنيسة ووقع عليه هو ومن كان حاضرا معه من الاساقفة

وفى سنة ٣١١ م أمر القيصر مكسيميان دارا بالقبض على القديس البطريرك وسبب ذلك ان امرأة انطاكية لمسيحية عبد الاوثان قامت للاسكندرية لتعمد ولديها فهاج عليها البحر وخشيت ان يموتا بلا عماد فشرطت ثديها بمذبة وصلبت على جبينيهما وقلبيهما ولما نجت وأتت البابا بطرس وجد مياه المعمودية حال عمادهما قد غاصت فسألها عن السبب فقصت له قصتها فأمن على عمادهما

واكتفى بأن باركهما . فشكى الرجل الوثني أمرأته للقيصر بأنها ذهبت لترتكب المنكر مع المسيحيين وسأل القيصر عن رئيس المسيحيين فقيل له هو البابا بطرس وقد كان مملوءا عليه حنقا بسبب ما وضعه من الكتب تقبيحا لعبادة الاوثان وما كتبه من الرسائل الى المسيحيين يشددهم فى أوقات الاضطهاد . أما المرأة فلما رجعت لزوجها عرض عليها القيصر السجود للاصنام فابت فأمر بحرقها وولداها معها فحرقوا فلأجل ذلك حضر مكسيميان شريك ديوكليان فى الملك بنفسه الى مصر لينتقم من البطريرك وبعد أن استعمل أقصى نوع من العذاب للفتك بمسيحي مصر قبض على البابا بطرس وطرحه فى السجن وأمر بقطع رأسه ان أبى السجود للاصنام الا أنه لم يسأله أحد عن ذلك لعلم الجميع أنه يختار أن يموت ألف مرة أفضل من أن يجحد السيد المسيح

ولما بلغ هذا الخبر مسامع المؤمنين اضطربوا اضطرابا شديدا وتجمعوا جميعهم على باب السجن قاصدين انقاذه من مخالب الموت . فلما جاء الجنود الى السجن ليأخذوه الى مكان القتل صاحت جماهير المسيحيين المحتشدة على باب السجن قائلة « اذا قتلنا كلنا حينئذ تؤخذ رأسه » فلما رأى ذلك القائد المكلف بقتل القديس خشى حدوث قلق وشغب فأبقى الامر الى الغد آملا ان ينصرف المسيحيون الى بيوتهم فى الليل ولكن أمله خاب اذ استمروا جميعهم محافظين على راعيهم

ولما علم اريوس الكافر أن الملك مصمم على قتل البطريرك خاف أن يتنحى قبل أن يحمله ويبقى هو مربوطا ويقفل فى وجهه باب الارتقاء للوظائف الكهنوتية فتوسل الى بعض الاكليروس ووجوه الشعب أن يصالحوه مع البطريرك قبل موته . فظنوا أن هذا الطلب رجوع منه الى الصواب ومضوا الى القديس بطرس وسألوه أن يحل اريوس من رباطه فصرخ البطريرك بصوت عظيم وقال « تسألوننى فى اريوس » ثم رفع يديه وقال « فى هذا الزمان وفى الآتى يكون ممنوعا من مجد ابن الله سيدنا يسوع المسيح » فلما قال هذا نزل عليهم خوف عظيم ولم يجسر أحد أن يكلمه . فلما رأهم قد خافوا منه طيب نفوسهم ونهض من وسطهم وأخذ معه الشيخين ارشلاوس والاكسندروس تلميذيه وانفرد بهما قال لهما « الله اله السموات يعيننى على اكمال شهادتى فلن تعودا ترياننى بعد هذا اليوم فى الجسد وأنت يا ارشلاوس القس تكون بطريركا بعدى واخوك الاكسندروس بعدك . ولا تقولانى عديم الرحمة من أجل اريوس فان فيه مكرا مخفيا . ولست أنا الذى حرمته بل السيد المسيح لانى فى هذه الليلة لما أكملت صلاتى ونمت رأيت شابا قد دخل على ووجهه يضىء كضوء الشمس وعليه ثوب متشح به الى رجليه وهو مشقوق وقد أمسك بيده القطعة الممزقة فصرخت وقلت « يا سيدى من الذى شق ثوبك » فاجابنى « اريوس هو الذى مزق ثوبى فلا تقبله . واليوم يأتيك قوم طالبين منك أرجاعه فلا تطعهم واوصى ارشلاوس والاكسندروس بأن ينعاه من شركتها » أهـ

ولما انتهى من كلامه وقع على عنقيها وقبلهما . وكان يقبلان يديه و يودعانه بالبكاء لاجل

قوله انكما لن ترياينى بعد اليوم فى الجسد . ثم عاد الى الجمع الذى كان قائما فوقف معهم وخاطبهم وقواهم وصلى عليهم و باركهم وعزاهم وصرفهم بسلام

اما القائد فكان يفكر فى كيف يخرج من السجن خفية حتى لا يتكاثر عليه المسيحيون ويختطفونه منه أو يموت خلق كثير بسببه من المجتمعين على الباب من الشيوخ والشبان والرهبان والنساء والعذارى الذين سيكون بدموع غزيرة فلما شعر القديس بطرس بذلك انفذ الى القائد سرا وقال له : تعال الليلة الى حائط السجن الذى ادقه لك من داخل وانقبه من الجهة التى لا يقيم المسيحيون بازائها وهكذا يسهل عليك أخذى الى المكان المعين من الملك لقتلى . ولا ريب أن هذا الكلام العجيب الذى لم يسمع بمثله قط أدهش عقل القائد فعمل كما أشار عليه وخرج القديس مع الجند الى المكان المذعوبوكاليا وهو الموضع الذى تمت فيه شهادة القديس مارمرقس الانجيلي فطلب منهم البطريرك أن يتركوه يذهب الى حيث جسد مارمرقس للتبرك منه فسمحوا له وهناك اخذ يصلى طالبا من الله ازالة الاضطهاد . قيل أن وقت صلاته كان بالقرب من القبر مسكن صبية عذراء وأبوها رجل شيخ وكانت قائمة تصلى ولما تمت صلاتها سمعت صوتا من السماء يقول « بطرس أول اسماء الرسل و بطرس آخر شهداء الاسكندرية » وقد تم هذا الكلام بانه بعد وفاة القديس لم يستشهد غيره من بطاركة الاسكندرية قتلا بايدى الوثنيين

ولما أتم القديس صلاته تقدم الى الجنود فنظروا وجهه كوجه ملاك ثم رفع يديه وصلى الى الرب وصلب على وجهه وقال آمين وخلع بلبنه وكشف رقبته الطاهرة وقال لهم افعلوا ما أمرتم به ، فتراجعوا الى الوراء مندهشين من تسليمه نفسه للموت بمثل هذه الشجاعة ولم يجسر أحد أن يضرب عنقه . غير أن القائد دفع أخيرا لاحدهم خمس قطع من ذهب فتقدم وقطع هامة القديس فى ٢٩ هاتور سنة ٢٨ و ٣١١ م وكانت مدة مقامه على الكرسي ١١ سنة

ولما أصبح الصباح وصل الخبر الى المسيحيين المحيطين بالسجن ففضوا اليه مسرعين ووجدوا جسده وثوبه عليه والشيخ والصبية العذراء جالسين يحفظانه فالصقوا الرأس بالجسد ونشروا عليه شعره وجمعوا دمه ولفوه فى النطع « بساط من الأديم » الذى كان ينام عليه ومضوا به الى البيعة وأجلسوه على كرسي القديس مرقس ولما كان حيا لم يكن يرضى الجلوس عليه بل كان يجلس على درجات الكرسي السفلية تواضعا واکراما لسالفه الاول منشىء هذا الكرسي الرسول العظيم

٢ - ارشلاوس . البطريرك الثامن عشر :

ولد بالاسكندرية وامتاز عن اترابه بعلمه وقدااسة سيرته ولذلك صيره البابا ثاؤنا قسا وجعله رئيسا للمدرسة اللاهوتية . وبناء على وصية القديس بطرس أقيم بعده بطريركا من شهر كيهك سنة ٢٧ ش و ٣١٢ فى عهد قسطنطين قيصر وماتم أن جلس على الكرسي المرقسى حتى توصل اليه اريوس بأن يعيده الى شركة الكنيسة . وتمكن اريوس بمداهنته وتمليقه أن يستميل اليه وجهاء

الشعب وعظماءه وطلب منهم أن يتوسطوا اليه عند البطريرك ليقبله فالتمسوا منه أن يشرك ار يوس فى الخدمة الكنيسة موهمين أياه بأنه تاب عن كل ذنوبه فقبل سؤالهم واعاده الى رتبته الاولى التى كانت له قبل وقوعه فى الهرطقة وهى وظيفة القسوسية ومباشرة الوعظ وهذا العمل خالف هذا البطريرك خلفه القديس بطرس ولعله أحسن الظن بار يوس لما رآه فيه من اللين المصطنع ومع ذلك فلم يشاء الرب أن يبقى ارشلاوس سوى ستة شهور ومات بعدها فى ١٩ بؤونة سنة ٢٩ ش و ٣١٢ م وبعد موته رشح أر يوس نفسه لمركز البطريركية ولكن الاكليروس والشعب لم يتفقوا على ذلك

٣ — الاكسندروس ١ — البطريرك التاسع عشر:

ارتفع الى كرسى البطريركية بعد موت ارشلاوس بمقتضى وصية القديس بطرس آخر الشهداء فى شهر أبيب سنة ٢٩ ش و ٣١٣ م فى عهد قسطنطين وهو مولود بالاسكندرية ورسم قسا بها وحال انتخابه للبطريركية كان قد وصل الى سن الشيخوخة ورغما عن ذلك أخذ يستخدم علمه وتقواه فى خدمة الله بكل نشاط واخلاص . وكان الشعب يلقيه بالقديس والفقراء يدعونه أبا المساكين . وروى الانبا ساو يرس المؤرخ أن أثناسيوس الرسولى البطريرك ال ٢٠ روى عن البابا الاكسندروس أنه ما كان يقرأ قط فى الانجيل جالسا بل واقفا والضوء أمامه . ولكن أفضل ما اشتهر به هو غيرته الشديدة على حفظ الايمان المستقيم ومحاربه للهرطقة ولا سيما الذين انكروا لاهوت المسيح

وهذه الغيرة كانت له منذ حداثة فقبل جلوسه على كرسى البطريركية كان قوى المعارضة والمقاومة لحزب ميليتس أسقف ليكوبولى المار ذكره ولهذا بعد وفاة ارشلاوس البطريرك اجتهد أولئك حتى لا يكون الاكسندروس بطريرك وكانوا يقدمون عوضه ار يوس المنافق غير أن الله احبط مسعاهم . وقيل أن ار يوس حاول ان يدخل اليه ليتمكن من خداعه كما خدع سلفه فقال البابا الاكسندروس قولوا له أوصانى ابى « يريد البابا بطرس » ان لا اقبلك فلا تدخل الى ولا اجتمع بك وذلك بأمر السيد المسيح فاعترف للمخلص بخطيئتك فاذا اقبلك فهو يأمرنى بقبولك فغضب أر يوس من البابا غضبا عظيما لاسيما لما رأى أن الشعب فضله عليه واضطرم قلبه بنار الحسد ولكونه لم يجد البطريرك ملوما فى سيرته اجتهد فى دحض تعليمه ووضع مقالات تجديف وكفر بلسانه المستحق القطع فقال ان ابن الله مخلوق

وحدث أن البابا الاكسندروس ألقى خطبه مبنية على اقامة المسيح للموتى وبين للسامعين سلطانه فقاطعه ار يوس بأن هذا ليس من تعليم الانجيل فاستمر البطريرك يعظ غير مبال بكلامه فرد ار يوس عليه فى الاحد التالى بموعظة موضوعها « أبى أعظم منى »

وكان هذا الخبيث قد تمكن بفصاحته الشيطانية أن يجتذب اليه أسقفين وبعض القسوس البسطاء والشعب الساذج وبتظاهره الكاذب أى باظهاره روح العبادة خدع عابدات كثيرات من

النساء والبنات والراهبات وأخذ ينشر بواسطتهم بدعته الشنيعة فتقدمت في حقه الشكاية للبابا الاكسندروس فاسرع هذا القديس في العمل على ايقاف تيار تلك البدعة فجمع الاساقفة الموجودين بالاسكندرية سنة ٣١٩ م وبعد فحص تعليم اريوس بان الابن مولود من الآب فلا يمكن أن يكون مساويا له في الازلية حكموا بأن يقلع عنه و يكف عن نشره واجتهدوا في رده عن ضلاله بواسطة النصائح المقرونة بروح الوداعة والمحبة ووقع على الحكم ٣٦ قسيسا و ٤٤ شماسا الا أن هذه الملاطفة زادته تكبرا وجسارة فشرع يعلم جهارا مستعملا كل نوع من الخداع لاستمالة القلوب اليه : وكان يدعى أن تعليمه هذا لا يدحض سوى هرطقة سابليوس . وبهذه الحيلة توصل الى اغراء كثيرين لا سيما ذوى السيرة الرديئة

فرأى البطريرك أن الملاينة لم تنفعه فعقد مجمعا ثانيا مؤلفا من مائة أسقف من ليبيا ومن مصر سنة ٣٢١ م وحكم بحط اريوس من درجة الكهنوت وبجرمه وبدعته ومن يتشيع له . وأمضى هذا القرارا جميع أساقفة المجمع ما عدا أسقفين و ١١ شماسا فقطعهم البطريرك وصدق على قرار المجمع الاول وأبلغ الحكم الى اريوس فأسرع هذا وبعث برسالة الى صديقه اوسابيوس أسقف نيكوميديا يوقفه فيها على الحكم الصادر ضده يقول له بلهجة الثعالب : « الى سيدى العزيز رجل الله الامين الارثوذكسى اوسابيوس يسلم بالرب اريوس المضطهد من الاسقف اسكندر بسبب الحق الذى يعلو على الجميع الذى أنت تحامى عنه أيضا . بما أن مونيوس منطلق الى نيكوميديا رأيت لائقا أن أكتب لك معه وأخبر المحبة الوطنية والمودة اللتين تمارسهما للاخوة لاجل الله ومسيحه أن الاسقف يضطهدنا كثيرا وبيح الجميع علينا حتى يطردنا من المدينة كأننا كافرون بالله لاننا لا نتفق معه فى اعلانه الجهارى بأن الله أزلى والابن أزلى وبأن الآب دائما أب والابن دائما ابن وان الابن من الله ذاته . وبما أن أخاك اوسابيوس القيصرى وثيودوتوس و بولينوس وأثناسيوس واغريغوريوس وأنيثس وكل أهل الشرق يقولون أن الله كان قبل الابن وبدون بداية فهم محرومون الا فيلوغونيوس وهيلانيكس ومكار يوس الاميون الهراطقة الذين يقول أحدهم أن الابن ضياء الآب . والآخر انه شعاعة منه والآخر انه مساو للآب فى كونه غير مولود . فهذا الكفر لا تطيق آذاننا استماعه ولو هددنا الهراطقة بألف ميتة ما نقوله نحن ولا نعتقد به . وقد علمنا ولا نزال نعلمه أن الابن ليس غير مولود . ولا هو جزء من غير المولود بنوع ما . ولا صنع من مادة دون . بل بالارادة والقصد وجد من قبل كل الدهور وقبل كل العالمين . اله تام . المولود الوحيد الغير المتغير . وانه قبل أن ولد أو خلق أو قصد به أو ثبت لم يكن له وجود . لأنه لم يكن غير مولود قط . اننا نضطهد لاننا نقول ان للابن بداية ولكن الله بدون بداية ونضطهد أيضا لاننا نقول انه من العدم . وهذا نقوله لا أنه ليس جزءا من الله ولا صنع من مادة دون . فعلى هذا نضطهد وأنت تعلم البقية . استودعك الله » أهـ

وقد كتب البابا الاكسندروس الى صديقه الاكسندروس أسقف البيزنطية (القسطنطينية) رسالة أتى فيها على تفاصيل بدعة اريوس وحزبه اذ ينكرون لاهوت مخلصنا ويقولون انه على حد

سواء مع كل المخلوقات قال : انهم اعتقدوا بأنه وجد وقت لم يوجد فيه ابن الله وذلك الذى لم يكن له وجود وجد بعدئذ ومنذئذ وجد كما يوجد كل انسان طبعاً لأنهم يقولون أن الله عمل كل الاشياء من العدم مدخلين ابن الله فى هذه الخليفة لكل الاشياء العاقلة والغير العاقلة ومن المعلوم يقولون انه بطبيعة قابلة للتغير والفضيلة والرذيلة . فهذا التعليم الثائر الآن على تقوى الكنيسة هو تعليم ايبيون وارطيماس وهو نظير تعليم بولس السيماساطى » ثم يذكر البابا اسكندر اراءه كما يأتى :

« اننا نؤمن كما تؤمن الكنيسة الرسولية بالاب الوحيد الغير المولود الواجب الوجود وهو عديم التغير والزوال هو هو وبغاية الكمال لا يشوبه زيادة ولا نقصان معطى الشريعة والانبياء والاناجيل . رب الآباء والرسل وكل القديسين . و رب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد . ليس مولوداً من العدم بل من الاب الحى وليس حسب الجسد الهولى بتفريق وفيضان الاجزاء كما زعم سابليوس وفالنتيان بل بنوع لا يدرك ولا يعبر عنه حسب المعتقد الذى ذكرناه سابقاً . فمن يخبر بحيله لان وجوده غير مدرك عند كل الكائنات المائته كما أن الاب غير مدرك لان العقول المخلوقة لا تقدر أن تفهم هذه الولادة الالهية من الآب لا أحد يعرف من هو الآب الا الابن ولا أحد يعرف من هو الابن الا الآب . فانه غير متغير كما أن الآب غير متغير لا ينقص عن الآب شيئاً سوى انه ليس غير مولود فهو الابن الكامل وصورة الآب التامة . لهذا يجب أن تحفظ للآب غير المولود العظمة اللاتئة به . وللابن يجب أن تقدم أيضاً الكرامة اللاتئة بانتدابنا له الولادة الازلية من الآب » أهـ

ولم يرضخ ار يوس للحكم بل ثابر على الخطابة والوعظ مثبتاً تعليمه ومباشراً الخدمة الدينية فاستمال اليه الكثيرين وكون له حزبا ابليسيا حتى اضطر البطريرك أن يطرده من الاسكندرية هو والاسقفين المذكورين وشماسين أحدهما يسمى « أونريوس » كان عضداً كبيراً لار يوس فغادر ار يوس الاسكندرية قاصداً فلسطين وأخذ يغتاب القديس الاكسندروس و يشنع عليه مظهراً نفسه بين الارثوذكسين أرثوذكسياً وبذلك أثر على كثيرين وجمع له عدداً من الاصدقاء على رأسهم اوسابيوس أسقف نيكوميديا الذى كان ذا صولة عظيمة . وأوسابيوس أسقف قيصرية وأوسايوس أسقف بيسيدية وبوليوس أسقف صور واغر يغور يوس أسقف بيروت وجميعهم سمحوا له بعقد جمعيات دينية فى أبروشيات مختلفة ليكثر عدد معتققي بدعته فضلاً عن وجود أنصار له من كهنة الاسكندرية

قيل انه كان ينشر بدعته بواسطة التلحين لما كان يعلمه من تأثير الصوت فى النفس . فأثبت قطعاً مشوبه بسموم هرطقته فى كتاب معروف باسم « تاليا » ووقعها على الآلات الموسيقية وعلمها للشعب الذى كان يتغنى بها صباح مساء . وفى وقت وجيز امتلأت بلاد الشرق بمؤلفات مشحونة بهرطقات ار يوس وبالتنديد على بطريرك الاسكندرية وكان ذلك قبل أن يتمكن هذا القديس من أن يعرف أهل كنائس الشرق بشقاق وسوء نيته فكتب اليه الاساقفة يطلبون منه أن يسحب حكمه على ار يوس فرد عليهم برسائل مملوءة من الحكمة والعمل مبنية على (يو ١ : ١) « فى

البشري كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله » فقال هذه الآية قد اوقفت العقل البشري عند حد الاسرار الالهية فان يوحنا البشير لم يستحسن البحث فى ميلاد الابن لأن جوهر الكلمة الذى لا يكيف يفوق ادراك البشرين بل الملائكة ولذلك لا أظن أنه يجب على أن اعد فى صفوف الاقدياء أولئك الذين يطلبون ما وراء ذلك ولا يلتفتون لما هو مكتوب « يارب لم يرتفع قلبى ولم تستعل عيناى ولم أسلك فى العظام ولا فى عجائب فوقى » (مزمور ١٣١ : ١ و ٢) أهـ

فهكذا لما احس هذا البابا بالشر المتفاقم من جراء أعمال اريوس اتخذ طريقا فعالة لأيقافه عند حده ومنع سر يان بدعته فكتب تلك الرسائل الانجيلية المحضة الى أساقفة كل الكنائس أوضح فيها الاسباب التى حملته على حرمان اريوس وقطعه من شركة المؤمنين وكيف أنه لا يسمح بقبوله مرة أخرى ما دام مصرا على ضلاله فاقتنع بعض الاساقفة بأقوال الكسندروس ورجعوا الى التمسك بالحق الا أن اشياع اريوس عقدوا مجمعين الاول فى بيثينة سنة ٣٢٢ م والثانى فى فلسطين سنة ٣٢٣ م قرروا فيها لغو الحكم الصادر على اريوس من بطريرك الاسكندرية وبناء على هذا القرار رجع اريوس الى الاسكندرية لينازع مستقيمي الرأي فأستفحل الخلاف بين أنصاره وبين أنصار البطريرك وقد انتهت بهم الحال الى المجادلة على قارعة الطريق حتى أصبحوا هزءا لناظرهم من الوثنيين . فاضطر البطريرك تلقاء هذا الاضطراب أن يشهر حرمان اريوس ويطرده من المدينة مرة ثانية وقام أيضا تلميذ البطريرك الاسكندري الشماس أثناسيوس بكتابة المنشور السنوى ضد بدعة اريوس وبين أن تعليمه يأول الى تعدد الالهة وقياس الغير المحدود بمقاييس بشرية والايمان ببعض الكتاب دون البعض الآخر ووقع هذا المنشور ٣٦ كاهنا و ٤٤ شماسا . وكان لاوسابيوس أسقف نيكوميديا المذكور كرامة عند كونسطاسيا أخت الملك قسطنطين الكبير الذى كان حينئذ ساكنا فى نيكوميديا . فتمكن بواسطتها أن يستميل قسطنطين الملك الى اريوس . وكان الملك يعرف شيئا جليلا كان عمره حينئذ ٦٧ سنة من رؤساء الاساقفة اسمه أوسايوس أسقف قرطبة من اسبانيا الذى كان قد اعترف بالايمان فى عهد اضطهاد مكسيميان . وكان مشهورا بسعة علمه ومز يد اطلاعه فأستدعاه اليه وأرسله الى الاسكندرية ليتوسط لدى بطريركها فى أمر صلحه مع اريوس وأرسل معه خطابا رقيقا الى الاخصام ينصحهم فيه بأن يكفوا عن النزاع . وكان قسطنطين بسبب خداع أخته وأسقف نيكوميديا له ينظر الى اريوس كأنسان صالح ولذلك طلب من البابا الكسندروس أن يمتنع عن اضطهاده ظلما وكتب الى أساقفة الشرق مظهرا لهم أن اريوس كاهن بار وغيور على الايمان المستقيم

ولما حضر أوسايوس أسقف قرطبة الى الاسكندرية عقد مجمعا سنة ٣٢٤ م لم يتمكن فيه من عمل أى شئ فى سبيل الاتحاد وذلك لكثرة التعديات التى جرت من الار يوسيين على مستقيمي الايمان وحدثت مشاغبات حطمت فيها بعض تماثيل الامبراطور ولأجل ذلك اشترك أوسايوس مع الكسندروس فى حرمان اريوس فى ذلك المجمع وعاد أوسايوس الى نيكوميديا وأوقف الملك على

جلية الخبر وأن أريوس وأعوانه هم المخطئون وأعلن له رغبة البطريرك الاسكندري في اقامة مجمع عام وأنه وهويصادق على هذا الاقتراح . فارتضى قسطنطين وبناء على ذلك التأم ذلك المجمع المشهور في مدينة نيقية سنة ٢٣٥ م حضره القديس الكسندروس يرافقه تلميذه أثناسيوس وبعد جدال طويل سيأتى فى محله حكم المجمع بقطع اريوس وأتباعه ونفيه الى اللير يكون وأثبت كل ما فعله القديس الكسندروس ثم كتب المجمع رسالة الى كنيسة الاسكندرية وأثنى فيها كثيرا على جهاد بطريركها فرجع القديس الى كرسيه فقابله الاكليروس والشعب بما يستحقه من الاحترام والاجلال رجل ضحى بكل شىء حفظ نقاوة ايمان ابن الله . وكثيرون من الذين انخدعوا بأوهام اريوس رجعوا الى حظيرة الايمان المستقيم

ويقال ان هذا البطريرك العظيم هو الذى كسر صنم النحاس الذى كان فى هيكل زحل بالاسكندرية وكانوا يعبدونه ويجعلون له عيدا فى ثانى عشر هاتور و يذبحون له الذبائح الكثيرة فأراد البابا الكسندروس كسر هذا الصنم فنعه أهل الاسكندرية فاحتال عليهم وتلطف فى الحيلة الى أن قرب العيد فجمع الناس ووعظهم وقبح عندهم عبادة الصنم وحثهم على تركه وأن يعمل هذا العيد لميخائيل رئيس الملائكة فان هذا خير من عمل العيد للصنم فلا يتغير عمل العيد الذى جرت عادة أهل البلاد على عمله ولا تبطل ذبائحهم فيه فرضى الناس بهذا ووافقوا على كسر الصنم فكسروه وأحرقوه وعمل بيته كنيسة على اسم الملاك ميخائيل وجمع أحجارا من صنم هيكل سيرابيس وصنعها صليبا ولم تزل هذه الكنيسة بالاسكندرية الى أن احترقها جيوس المعز لدين الله أبى تميم معد لما قدموا فى سنة ٣٥٨ هـ وكانت تسمى كنيسة القيامة واستمر عيد ميخائيل عند مسيحي مصر باقيا يعمل فى كل سنة الى يومنا هذا

أما البابا الكسندروس البار فبعد خمسة أشهر من عودته من مجمع نيقية مرض المرض الاخير وأشار قبل موته على الكنيسة المصرية أن تختار بعد وفاته أثناسيوس تلميذه بطريركا . . وقيل أنه فى آخر ساعاته قال « باطلا يهرب أثناسيوس انه لا ينال مأربه » ففتشوا على أثناسيوس فوجدوا انه قد هرب حقا ثم رقد هذا الخبر الارثوذكسى الغيور فى ٢٤ برمودة سنة ٤٣ ش و ٣٢٦ م

(٤) أثناسيوس :

١ — البطريرك العشرون . ولد بمدينة الاسكندرية سنة ٢٩٦ م من والدين مصريين (١)
وثنيين كانا معتبرين لكثرة غناهما وشریف نسبهما وكان وحيدا لهما وتوفى والده وهو صغير وحينما
بلغ سن الرشد أخذت والدته تحسن له الزواج وتغريه على قبوله بطرق مختلفة وما كانت ترى منه الا
الرفض والاباء مع حسن منظره وحده صباه حتى قيل انها سلطت عليه مرة احدى البغيات لتفسد
عفته وتستولى على ثباته فلم تفلح وكانت تأخذ البنات الحسان وتزينهن وتدخلهن عليه فى مرقده
فكان اذا استيقظ ضرهم وطردهن وذلك لان هذا الغلام كان قد سر من عشرة أولاد المسيحيين
الاتقياء الذين نذروا انفسهم للرب ورغب أن يكون واحداً منهم ولما شكت أمره لرجل ساحر وثنى
طلب أن يأكل معه فأولت لهما وليمة عظيمة وبعد ذلك قال الفيلسوف الوثنى لا تتعبى نفسك فان
ابنك يتبع طريق الجليلي فأخذت تبحث عن هذا الجليلي حتى أهتدت الى القديس الكسندروس
البطريرك فبشرها باسم المسيح ونالت على يده المعمودية مع ابنها

وذات يوم بينما كان البابا الكسندروس منتظرا مجيء بعض الاكليروس لتناول الطعام
معهم وكان جالس فى شرفة تطل على البحر حيث كان بعض الغلمان يلعبون . وبعد أن تأملهم
جيذا وجددهم يعمدون بعضهم بحسب نظام الترتيب الكنسى تماما . ولما جاء الاكليروس أمرهم
باستدعاء أولئك الغلمان فلما مثلوا أمامه رأى ما هو أعجب وذلك أن أحد هؤلاء الاولاد وهو
أثناسيوس كان يجرى العماد بالطريقة القانونية لأتراه الوثنيين الذين لم يكونوا قد تعمدوا بعد وبعد
مناقشة دارت بين البطريرك واكليروسه اتفق رأيهم على الاعتراف بصحة ذلك العماد والاكتفاء
باجراء خدمة التثبيت للمتعمدين . ثم رشحوا اثناسيوس وبعض الاولاد الذى اشتركوا معه فى
اجراء هذه الفريضة الى رتبة الكهنوت

والمستفاد من كل ذلك أن نجابة اثناسيوس وحذاقته ظهرت عليه منذ حداثته وقد استكشف
ذلك فيه معلمه الكسندروس البطريرك ولهذا أخذه من أمه ووضعها فى الدار البطريركية واعتنى
بتحذيقه وتنقيف عقله بالعلوم فبرع براعة عجيبة ونال حظا وافرا من العلوم اللاهوتية والفلسفية حتى

(١) يدللك على قبطية اثناسيوس تتلمذه للقديس انطونيوس الذى لم يكن يعرف غير اللغة القبطية . ولما كان اثناسيوس بروميه بعث
لرهبان مصر برسالة مكتوبة بلغتهم ولغته القبطية . وقال مؤلف كتاب « الدر المنظوم » ص ٣٠ وهو مارونى « ان اثناسيوس لما كان
يكتب باللغة اليونانية أحصى بين أبناء الكنيسة اليونانية مع كونه قبطيا » أه وقال العلامة ستانلى « ان أوصاف شعره تشبه
أوصاف شعر الموميات المصرية المنحطة أى « شعر خفيف أسمر اللون ضارب الى الحمرة » ولا عبرة بأن اسمه قد يفرى على الحكم
بأنه يونانى اذ نجد فى التاريخ اسما يونانيا بحتا مثل « انطون » قد تسمى به شخص لا مشاحة فى انه قبطى صميم » أه (الكرمة ٩ :

غدا علامة بين أهل عصره . هذا فضلا عما كان متوشحا به من التقوى والقداسة . وقيل أنه تتلمذ للقديس انطونيوس ابي الرهبان واقتبس عنه فضائل النساك والمتعبدين . وكان يظهر في كل وظيفة يتحصل عليها ما يؤهله لنوال أعظم منها فاذا كان تلميذا أصدر سنة ٣١٨ م رسالة ضد الوثنيين دلت على غزارة مادته وقوة حجته فكان ذلك سببا في أن أعجب به البابا الكسندروس فسامه شماسا وبعد ذلك صار رئيس شماسه الكرسي البطريركي سنة ٣١٩ م ثم صار مساعد البطريرك يحيل عليه المشكلات والمعضلات ليكشف عن غوامضها وفي هذا الاثناء ظهرت مواهب اثناسيوس مع حداثة سنه وهو الذي حضر المجمع الاسكندري الملتئم سنة ٣١٩ م وأمضى كرئيس شماسه رسالة بطريركه ضد اريوس كما وجد اسمه محررا في أكثر الرسائل البطريركية . ثم تقدم في ميدان الحرب مع اريوس الهرطوقي فاستصحبه البطريرك معه الى مجمع نيقية وهناك أخذ اثناسيوس رئيس الشماسه ومشير البطريرك يفند آراء الار يوسيين و يبطل أدلتهم و يدحض براهينهم السفسطية وأظهر من الغيرة على أزلية المسيح ما جعله موضوع اعجاب آباء مجمع نيقية كلهم فاندعشوا من حذاقة لبه وصحة فكره حتى قيل ان قسطنطين الملك قال له قبل انفضاض المجمع كأنه يتنبأ له « أنت بطل كنيسة الله »

وقال سقراط المؤرخ الكنسي « ان فصاحة اثناسيوس في المجمع النيقاوى قد جرت عليه كل البلايا التي صادفته في حياته » ومع ان آباء المجمع احتجوا على وجوده بصفته رئيس شماسه فقط لكنه بعد افتتاح الجلسة صار يتكلم ويحاج خصومه كأنه هو بابا الاسكندرية بعينه

وبعد نياحة البابا الكسندروس انتخب اثناسيوس خلفا له بناء على وصيته ومع ان اثناسيوس حاول الافلات من عبء هذه الوظيفة المحفوفة بالمشقات الا أن الكنيسة لم تجد من يليق لها أكثر منه فبحثوا عنه كثيرا حتى وجدوه في مكان اختبأ به فأحضروه بفرح شديد ورفعوه الى رتبة البطريركية في أواخر سنة ٣٢٦ م وفي شهر بشنس سنة ٤٣ ش في عهد قسطنطين قيصر وكان عمره وقتئذ ٢٨ سنة ووضع عليه الايدى لأول مرة خمسون أسقفا من أساقفة الكراسى المجاورة وقد حاول الار يوسيون أن يمنعوا انتخابه خوفا من مقاومته لهم فلم يفلحوا

هذا هو اثناسيوس بطل الارثوذكسية العظيم الذي قيل ان الله انتخبه ليريه كم ينبغي أن يتألم من أجله اسمه . فلم يكذب يعتلى الكرسي المرقسى حتى تألب الار يوسيون لاسقاطه فوشوا به الى الملك قسطنطين الكبير بان ارتسامه لم يكن قانونيا ولكن كثيرين من الارثوذكسيين أثبتوا حقيقة ارتسامه ومنهم القديس باخوميوس الناسك المصري الذي حين ارتقاء البابا اثناسيوس الى الكرسي رأى رؤيا وفيها قال روح الله « انى قد أقمت اثناسيوس عمودا ونورا لكنيستى وستناله شدائد وتلقى عليه تهم كثيرة لاجل مناضلته عن حق الديانة . . الا انه بالقوة الالهية يظفر بكل التجارب و يبشر الكنائس بحق الانجيل » وقد أخذت بشائر هذه النبوة تظهر حالما استلم هذا الحبر عصا الرعاية فانه

خذ ينشر كلمة الانجيل داخل القطر وخارجه . وكان أول اثمار مجهوداته تأسيس كنيسة الحبشة ورسامة فرومنتيوس أسقفا عليها سنة ٣٣٠ م الامر الذى سنفصله فى اعمال ابطال الكنيسة القبطية بقسم مشاهير الكنيسة

وانتهز البابا اثناسيوس فرصة السلام والهدوء فقام برحلة يتفقد فيها رعاياه ومضى فى سياحته لغاية أسوان فاستقبله تحت رئاسة الراهبين العظميين باخوميوس و بلامون استقبالا عظيما وهم يرمون المزامير

وقد ابتدأ جهاد هذا البطل بسبب عودة المنازعات بشأن القضية الار يوسية وذلك ان كونسطاسيا شقيقة الملك أوصت أخاها وهى على فراش الموت بقس ار يوسى عتنت به دائما لانه كان أبا اعترافها فلما فاز هذا الكاهن الار يوسى برضاء الملك أخذ يقنعه بمساعدة أوسابيوس أسقف قيصرية ببراءة ار يوس وأنه نفى ظلما لان اعتقاده موافق لمعتقد المجمع النيقاوى . فجازت المكيدة على قسطنطين واستدعى ار يوس من منفاه فحضر وقدم للقيصر صورة ايمان ملتو كانت حسب الظاهر ارثوذكسية فرفض قسطنطين بقبوله وأرسله بمكاتيب توصية الى الاساقفة باورشليم فقبلوه فى شركتهم اكراما لخاطر الملك . ثم عفى قسطنطين عن كل الاساقفة الذين كانوا قد نفوا بسبب الار يوسية . فاستقر هؤلاء الذئاب فى كراسيهم ولا سيما أوسابيوس أسقف نيكوميديا وتيوغنيس أسقف نيقية حتى عقدوا مجمعا فى انطاكية سنة ٣٢٩ م حكموا فيه بعزل بعض الاساقفة الارثوذكسين بحجة انهم من أتباع سابليوس . ثم أخذوا توصية من الملك وصورة ايمان ار يوس وأرسلوها معه الى الباب اثناسيوس ليقر بقبوله فى شركة الكنيسة

فلما اطلع البطريرك الاسكندرى على التباس ار يوس أبى قبوله واعتبر رضى الاساقفة فى اورشليم والملك عنه مخالفة لقوانين الكنيسة ثم طرده من الاسكندرية فرجع الى الملك بالخبية والفشل . أما البطريرك فبادر حالا وأرسل للملك رسالة يقول فيها « انه لا يمكنه أن يقبل فى كنسيته رؤوس الهرطقة المحرومين من المجمع النيقاوى وأن الكنيسة عموما لا تقبل فى شركتها اناسا ينكرون الوهية يسوع المسيح » أهد فتوهم الملك انه يفعل ذلك لاختلاف شخصى بينه وبين ار يوس وكان الار يوسيون يسعون سعيًا حثيثا ليلطخوا صيته عند الملك فطفقوا يشنعون عليه بأنه وضع على مدينة مصر ضريبة جديدة لربح كنيسته ولعمل حلل بيضاء من الكتان (توانى) للاكليروس ولكن عناية الله سخرت له كاهنين كانا عند الملك وهما اليبوس ومكار يوس فبرآه من هذه التهمة وفوق ذلك حضرت سفارة من حزب ميليتس من الاسكندرية عند الملك ووشت بالبطريرك أيضا بأنه أرسل مبلغا وافرا من المال الى فليومنوس عدو المملكة الذى كان عازما أن يملك بلاد مصر وأقاموا ثلاثة شهود ادعوا ذلك . ومن دعاوى الار يوسين عليه أيضا انه كسر كأسا مكرسة وهدم كنيسة . فلأجل ذلك أمر الملك بأن يحضر البطريرك ويبرىء نفسه مما قرفوه به و يدفع تلك

التهمة عنه . فحضر وكذب كل ما قرفوه به وأظهر خبث أعدائه فردده الملك الى كنيسة ومدحه كثير فى رسالة يقول فيها « انى قبلت باكرام اثناسيوس اسقفكم كقبولى رجل مُتَنور من الله ومما سمعته منه ورأيت فيه فقد ظهر لى انه رجل جليل القدر وان كنسيتكم فى احتياج اليه لانه عالى الهمة وذو عناية بحفظ الحق والديانة ومحب السلام وقابل للصواب » أهـ

فلم يكتف الار يوسيون بذلك بل ازداد هيجانهم ولفقوا ضد القديس تهما جديدة وقدموها الى الملك فلم يبال بهم هذه المرة بعد ما اتضح له كذبهم فى الدعاوى الاولى وحولهم على أخيه دلماتيوس ليسمع شكواهم وبناء على ذلك ذهب البطريرك الى انطاكية وقدم الادلة على برائته بما أخجل أعداءه وسر بلهم بعار الكذب مرة أخرى ورجع الى مقر كرسيه بكرامته مصحوبا بمكاتيب رسمية علقها على جدران الاماكن العمومية بالاسكندرية اظهار لبراءته ولما لم ينجحوا بهذه الطريقة أيضا دبروا مكيدة أخرى وهى انهم استدعوا الاساقفة الى عقد مجمع فى قيصرية وفلسطين لفحص التهمة الموجهة الى البطريرك الاسكندري واذ كان هذا القديس عالما باغراضهم امتنع عن الحضور ولكنه اضطر أخيرا بأمر الملك الى الحضور وأخذ معه ثمانية وأربعين من أساقفة الى المجمع الذى كان قد انتقل الى مدينة صور وانهتد فى سنة ٣٣٤ م وكان أعضاؤه من أساقفة الشرق وأكثرهم أريوسيين والمتقدم فى المجمع أوسابيوس أسقف قيصرية المعروف بأنه من أشد أنصار اريوس تعصبا له وأناب الملك عنه ديونيسيوس من كبار الموظفين وأرسل للمجمع كتابا يحمل فيه على اثناسيوس ويقر أعمال حزب أوسابيوس

فجاء القديس اثناسيوس الى المجمع ومع انه كان ينبغى أن يكون هو المتقدم فيه بالنسبة لاهمية مركز بطريركيته الدينية والمدنية ولكنهم لم يسمحوا له أن يجلس مع الاساقفة . ولما رأى ذلك القديس بوتامون أسقف هراقليا نهض من كرسيه وبعين تذرّف الدموع قال لاوسابيوس القيصرى « من يَحْتَمِل أن تكون أنت جالسا على كرسي التقدم واثناسيوس يقف كرجل مذنب أما تذكر أنى ألتقيت وأياك فى السجن فى زمن اضطهاد الوثنيين وانى من أجل الايمان عدمت عينى اليمنى وأنت خرجت سالما من السجن فكيف أمكنك الخروج سالما » أهـ ثم تبعه القديس بفنوتيوس وأخذ معه القديس مكسيموس أسقف أورشليم وخرجا من المجمع والدموع تقطر من عيونهم فلم يهتم الار يوسيون بذلك بل شرعوا يعددون ما اخترعوه من التهمة الفاسدة ضد القديس

ومن تلك التهمة انه اقترف اثم الفسق مع بتول راهبة وأدخلوا امرأة زانية ادعت فى مجمعهم بأن اثناسيوس اغتصبها وسلبها بكارتها . فنهض تيموثاوس قس الكنيسة الاسكندرية موهاا اياها بأنه هو اثناسيوس اذ لم تكن تعرفه وقال لها « أنا أيتها المرأة الذى زנית بك كرها » فأجابت تلك الفاجرة بحسرة غريبة « نعم أنت يا اثناسيوس أغويتنى وأفقدتنى عفتى التى نذرتها للرب » ثم

تظاهرت بالبكاء طالبة من المجمع أن ينتقم لها من أفسد عفتها الامر الذى أضحك الارثوذكسيين وأخجل الاريسييين

ثم ادعوا على القديس بأنه ساحر ورغبة فى اتمام عمل سحرى دس السم لواحد من أتباع ميليتس اسمه ارسانيوس أسقف هبسيل (شطب) وقطع ذراعه واستخدمه فى السحر والشعوذة . وجاءوا بدليل على اثبات هذه التهمة وهويد مبتورة من جثة قالوا انها يد ارسانيوس . وكان الاريسييون قد اتفقوا مع ارسانيوس أن يهرب الى الصعيد ويختفى فيه حتى تجوز حيلتهم على الامبراطور . فذهل البطريرك لدى سماعه هذا الافتراء ولعلمه بأن ارسانيوس حى يرزق أنفذ شماسا الى الصعيد للبحث عنه . وكان ارسانيوس مقبيا فى أحد الاديرة وقبل وصول الشماس اليه كان بينس رئيس الدير قد أرسله الى صور حتى لا يعلم مقره غير أن الشماس القى القبض على رئيس الدير وراهب آخر اسمه هلياس فى أثناء رجوعهما من تشييع ارسانيوس وأحضرهما أمام حاكم الاقليم حيث اعترف بينس بأن هذه التهمة لا يمكن أن تثبت ضد اثناسيوس لان العالم أجمع يعرف أن ارسانيوس لم يزل حيا

أما ارسانيوس فأقلع عن ضلاله ورجل بدعة اريوس وجاء الاسكندرية ليتوب بين يدي القديس اثناسيوس فلما رآه رؤساء الكهنة أرسلوه حالا الى صور لشدة الحاجة اليه فوصل اليها قبل تقديم تهمة ضد البطريرك بليلة واحدة فلما رآه القديس اثناسيوس شكر الله وأخفاه فى مكان قريب من المجمع

وفى اليوم التالى أخذوا يحتجون بشدة على القديس لانه قتل ارسانيوس وأخذوا يرفعون اليه اليد المبتورة قائلين « هذه تشتكى عليك يا اثناسيوس » فوقف القديس فى وسط المجمع وقال بسكون تام هل يوجد فيكم من يعرف ارسانيوس أجابوا انهم يعرفونه . حينئذ قام ارسانيوس فى الوسط . فلما قالوا هو حقا نزع القديس عن ارسانيوس رداءه وأظهر يديه صحيحتين ثم قال لمن هذه اليد الثالثة المقطوعة ؟

فلشدة ما أصابهم من الخزي اضطربوا وماجوا وانتز أحدهم المدعويوحنا هذه الفرصة للهروب لانه هو الذى دبر هذه المكيدة وعليه تقع مسئوليتها ولكنه انتظر حتى هدأوا ووسوس اليه الشيطان أن يقول « أن هذا دليل جديد على مقدرة اثناسيوس فى علم السحر لانه بقوة سحره أعاد ارسانيوس الى الحياة » فاشتد سخط القوم وزاد حنقهم على هذا البطريرك البائس وصاحوا جميعهم سحار . سحار . اقتلوه وهموا باهلاكه وكادوا يفتكون به لولا أن الامير ديونيسيوس خلصه من ايديهم وأنقذ حياته من العطب

ثم جددوا عليه تهمة انتهاك حرمة الاسرار المقدسة بايعازه الى أحد تلاميذه المدعومكار يوس

ان يهدم كنيسة اسخيراس الهرطوقى عنوة ويحرق كتبها وحطم فيها كأسا مكرسة . وأصل هذه الحكاية ان قسا اسكندريا يدعى كمنوس انشق من الكنيسة وأخذ يعين قسوسا من العلمانيين فحوكم أمام مجمع بالاسكندرية وحكم عليه بالتجريد من رتبته هو ومن رسمهم وكان منهم رجل يدعى اسخيراس استهان بحكم المجمع ومضى الى قريته باقليم مريوط وصار يعقد فيها جمعية صغيرة فى غرفة حيث لم تكن كنيسة هناك فأرسل اليه البطريرك القس مكار يوس ليؤنبه على فعله فوجده طريق الفراش فلم يكلمه فقط وبخ أباه على ما يأتيه ابنه فوعده أبو اسخيراس بارجاع ابنه عن عمله الردىء . غير أن اسخيراس بعد شفائه انضم لحزب ميليتس ورفعت دعواه سابقا الى الملك فبرهن البطريرك على عدم وجود كنيسة هناك وانه وقت ما أرسل اليه مكار يوس لم يكن يؤدي خدمة دينية بل كان مريضا بل أن اسخيراس نفسه فيما بعد أقر فى محضر أمضاه ثلاثة عشر قسا من الاسكندرية ومريوط بما نصه « يشهد الله أن لا علم لى بما تقولون عن هذه التهمة التى لفقها بعضهم بل اننى أصرح جهارا بعدم وجود كأس كسرهما أحدهما أو أن شخصا ما مد يده بسوء نحو شىء من متاع كنيسة لا معرفة لى بوجودها ولكننى أقول الحق وهوان بعضهم اضطررنى اضطرارا للاقرار بتلك التهمة الملفقة » أهـ

ومع ان هذه الدعوى انتهت أمام الملك قسطنطين سابقا الا انه لما رفض البطريرك قبول اسخيراس وهو متمسك بمبادئ ميليتس عاد الاريسيون فى مجمع صور وجددوا تهمة . ولعدم وجود دليل على صحة هذه التهمة أرسل ذلك المجمع ستة أساقفة اريسيون لتحقيقها بمصر . فما وصلوا الى الديار المصرية حتى حرروا محضرا مشحونا بالاقاويل الكاذبة التى بنى عليها المجمع الشرير حكمه ضد القديس اثناسيوس بتجريدته من درجة رئاسة الكهنوت وعزله عن الكرسي الاسكندرى . وعلى أثره انتقل الاساقفة الاريسيون المجتمعون فى صور الى اورشليم لتدشين الكنيسة التى أقامها القيصر قسطنطين هناك فأثبتوا حكمهم الاول فى مجمع خبيث عقد فى اورشليم سنة ٣٣٥ م

وكان القس مكار يوس تلميذ اثناسيوس قد طرح فى سجن صور بدعوى هدمه لكنيسة اسخيراس فعزم القديس اثناسيوس على رفع دعواه مباشرة الى الملك فاستصحب معه خمسة من اساقفته فى أول سفينة أقلعت من صور الى القسطنطينية . غير أن الاريسيين أقنعوا الملك بأن ار يوس على ايمان مجمع نيقية ولأن قسطنس ابن الملك كان ار يوسيا تقوى ذلك الحزب ونال حظوة عند الملك ولم يستطع البطريرك الاسكندرى أن يخاطب الملك لان اشراف الدولة لم يسمحوا له بذلك اكراما لخاطر قسطنس

وحدث ذات يوم أن الملك كان خارجا للنزهة فى موكب حافل فأوقفه شخص غير معروف ووضع يده على زمام جواده طالبا منه الانصاف فلم يعرفه قسطنطين فى بادىء الامر ولكن الرجال

الملتقين حوله أخبروه انه اثناسيوس فغضب قسطنطين وأطلق لجواده العنان ودفعته الجنود لكي لا يقترب منه . فحينئذ هتف اثناسيوس قائلا « أيها الملك اسأل جلالتك شيئا واحدا وهو أن تحضر خصومي الذين حكموا علي وتسمح لي بأن أتناقش معهم أمامك » فلم يسمع الملك رفض طلبه وأمر باحضار الاساقفة الاريسيين الى القسطنطينية . فلما وصلهم الخبر وهم في اورشليم انزعجوا لعلمهم بقوة حجة خصمهم ورجعوا الى ابروشياتهم خائفين ولم يلب أحد منهم دعوى الامبراطور سوى أوسابيوس النيكوميدي وبعض الاساقفة الا انهم لما اجتمعوا باثناسيوس أمام الامبراطور لم يأتوا بذكر تهمة واحدة من التهم الاولى لعلمهم ببطلانها فاخترعوا تهمة جديدة وهي أن اثناسيوس عزم على أن يمنع المراكب التي كانت تأتي مصر الى القسطنطينية حاملة ضريبة الخنطة

وكان قسطنطين غيورا على سلطته فاحتدم غيظا عند سماعه هذه التهمة الكاذبة ومع ان اثناسيوس أنكر صدور ذلك منه ولكن الامبراطور قاطعه ولم يرد أن يسمع منه كلمة واحدة لا سيما لما رآه يكلمه بدون تهيب وحكم بنفيه الى مدينة تريف (١) فلما سمع القديس هذا الحكم قال للملك بشجاعة « ان الله سيقوم ديانا بيني وبينك أنت الذي قبلت شكوى اعدائي وصدقها » ومن ثم انطلق البطريك الى منفاه مع بعض اساقفة أرثوذكسين فوصل اليها في ٥ فبراير سنة ٣٣٥ م حيث قوبل فيها باجلال عظيم من مكسيمينوس أسقف تلك المدينة وقسطنطين الصغير قائد جنود المملكة في الغرب

فسر الاريسيون بذلك وطلبوا من الملك أن يعيد أريوس الى مقامه بالاسكندرية . ولكنه ما كاد يصل اليها حتى قامت قيامة مستقيمى الرأي وقفلوا أبواب الكنائس في وجهه فخشى الوالى حدوث شغب وامره بالخروج من البلاد المصرية فغادرها الى القسطنطينية حيث لقي حتفه كما سيأتى ذكره

أما الكنيسة المصرية فقد لبست شعار الحزن على ابعاد رئيسها الامين ولذلك كتب الارثوذكسيون في مصر الى القديس انطونيوس كوكب البرية ليتوسط لدى الملك في ارجاع بطريركهم فحرر له رسالة لم تأت بفائدة بل رد عليه الملك جوابا شديدا قال فيه عن البطريك الاسكندري انه رجل جسور ومتكبر وغشاش . غير انه بعد موت اريوس صمم قسطنطين على اعادة القديس اثناسيوس الى كرسيه فلم يمهله الاجل وبعد موته استولى ابنه قسطنس الاريسى على الشرق وقسطنطين الثانى الارثوذكسى على الغرب . وقيل ان قسطنطين الكبير أوصى قبل موته بالنبأ اثناسيوس فطلبه ابنه قسطنطين مستقيم الايمان من منفاه هو وجميع الاساقفة الارثوذكسين

(١) تقع في الجنوب الغربى من فرلسا

وطيب خاطره وارجه الى مركزه مع رسالة كان يمدحه فيها جدا ويقول له « أن اباه المعظم أرسله الى تريف لكي ينقذه من ايدى اعدائه » وكان قدوم البطريك الى مدينة الاسكندرية فى شهر نوفمبر سنة ٣٧٨ م بعد أن أبعد عنها مدة سنتين وأربعة أشهر فقوبل باحتفال حافل أبدى فيه الشعب المصرى من السرور والشكر ما لا يوصف

ولم يجسر قسطنس الارىوسى أن يضاد أخاه بل صبر قليلا حتى يجد فرصة مناسبة لقضاء مأربه . ولا ريب أن نبأ رجوع بطريك الاسكندرية اليها وقع وقعا سيئا فى نفوس الارىوسيين الذين كانوا قد تقووا وعظمت شوكتهم فعملوا ثانية على الايقاع بعدوهم اثناسيوس مستندين على مساعدة قسطنس الملك الارىوسى الذى عين اوسابيوس أسقف نيكوميديا بطريكا على القسطنطينية رغما عن عدم رضا الشعب

فعقد الارىوسيون مجمعا فى انطاكية سنة ٣٤٠ م حكموا فيه بعزل اثناسيوس بابا الاسكندرية وأقاموا مكانه رجلا منهم اسمه يسطس كان من ضمن القسوس الذين تشيعوا لارىوس وأوقع عليهم البطريك الكسندروس حكم الحرم معه . ثم بعثوا بقرار هذا المجمع مع ثلاثة من القسوس الى رومية لعلمهم بأن أسقف رومية ينحاز اليهم اذا أظهروا احترامهم له . ولما لم يكن أسقف رومية ملما بحوادث الشرق أرسل خطابا رقيقا الى البطريك الاسكندرية مصحوبا بالشكاوى المقدمة ضده من حزب اريوس وأهمها انه رجع الى كرسيه بدون قرار مجمع . فلما وصلت رسالة أسقف رومية الى بطريك الاسكندرية عقد مجمعا فى الاسكندرية سنة ٣٤٠ م اجتمع فيه نحو ثمانين أسقفا احتج فيه على اعمال الارىوسيين وأرسل رسلا الى أسقف رومية بقرار ذلك المجمع الذى يتضمن عدم رضا المصريين على بطريك غير بطريركهم و برسالة أقاموا فيها الادلة القوية على براءته وطهارة ذيله من كل تهمة معزوة اليه وقالوا فيها « ان الغرض الوحيد الذى يرمى اليه اوسابيوس هو تعميم بدعة اريوس ونشرها فى مصر » ثم حرر القديس اثناسيوس رسالة دورية بعث بها الى جميع اساقفة المسكونة مظهرا فيها براءته وطاعنا فى قانونية المجمع الارىوسية بقوله « ان مثل هذه المجمع ليس لها أن تقاضى أسقف كنيسة الاسكندرية الذى لا يقاضيه الا مجمع مسكونى يمثل الكنيسة بأسرها » أه

وبناء على ذلك اقترح أسقف رومية عقد مجمع لفحص شكاوى الطرفين ولكن حدث فى سنة ٣٤٠ م ان قسطنطين الثانى نصير الارثوذكسيين قتل فخلا الجوللار يوسيين فعقدوا مجمعا فى انطاكية سنة ٣٤١ م حضره الملك قسطنس برئاسة اوسابيوس بطريك القسطنطينية أيدوا فيه الحكم الاول . ولكراهة الشعب الاسكندرى ليسطس المذكور سابقا عرض الارىوسيون الكرسي على اوسابيوس الحمصى فرفض لعلمه بمحبة المصريين لبطريركهم اثناسيوس . ولكن الاشرار وجدوا أخيرا رجلا عاتيا عنيدا يدعى غريغور يوس الكبادوكى أرسلوه الى الاسكندرية ليأخذ كرسي القديس اثناسيوس

أما غريغور يوس هذا فأصله من مدينه كبادوكية ولكنه تعلم فى مدينة الاسكندرية ولقى من القديس اثناسيوس كل عناية واحترام . ولما تعين غريغور يوس بطريركا على الاسكندرية قامت قيامة الشعب الارثوذكسى وتألقت جمعية قوية لتحتج على هذه الاعمال المستغربة وأظهروا استعدادهم لعدم قبول أى انسان يكون رئيسا عليهم سوى اثناسيوس . ولكن لما وصل غريغور يوس الى الاسكندرية تقابل مع الوالى فيلاغر يوس وكان صديقه واتفق معه على الاستيلاء على الكنائس بالقوة وهجم مرة على الكنيسة قصد الايقاع بالقديس اثناسيوس وبعد أن مثل بالعاشرين تمشيلا شنيعا تمكن القديس اثناسيوس من النجاة فقد أنقذته قوة الله من أيدي أعدائه اذ كان منزويا فى مكان خفى بداخل كنيسة القديس ثاونا وهى الكنيسة التى يصلى فيها البطريرك وله فيها مسكن خاص . فلما رأى ذلك الافتيات خرج مستترا راجيا ان يكف المبتدعون عن مثل تلك الشرور فى حال غيابه قيل انه فى أثناء محاولته الهروب اغمى عليه فحمله بعض الشعب الى الخارج وسهلوا له سبيل الهرب

أما غريغور يوس فتصرف تصرف الاشرار اذ لما رأى الجوقد خلا له حجر على قسوس الاسكندرية تعميد أحد أو زياره مريض أو ممارسة أى عمل من اعمال وظائفهم . وفى هذه الاثناء برز محضر امضاه الوثنيون واتباع اريوس فقط وفيه يتهمون اثناسيوس اتهامات فظيعة فصمم هذا القديس على ترك الاسكندرية وقصد الى رومه رجاء أن يقيم دعواه فى ذلك المجمع الذى اقترحه يوليوس أسقفها . وقبل مبارحته للاسكندرية كتب رسالة الى الارثوذكسين ونصح لهم فيها أن يؤثروا الموت ألف مرة على أن يشتركوا مع الهرطقة . ثم كتب رسالة دورية بعث بها الى جميع أساقفة المسكونة قال فيها « انى استغيث بكم وبالارض والسماء مما حل بكنيستى . انى استغيث بكم كما استغاث ذلك الرجل الاسرائيلى الذى عندما ماتت زوجته — بعد أن اغتصبها منه اعداؤه — قسم جثتها الى اثني عشر قسما بعث بكل قسم منها الى سبط من أسباط اسرائيل الاثنى عشر . ليتحدوا جميعا و يأخذوا بثأر تلك الزوجة التى تمثل الاسباط كلها » أهـ

أما الار يوسيون فأوفدوا الى أسقف رومية القس مكار يوس والشماسين مرتيروس وحزقيوس ليعلنوه بحكمهم على اثناسيوس و يطلبوا منه قطع كل علاقة معه فقبلوا أسوأ مقابلة حتى اضطر القس مكار يوس الى الهروب ليلا واستمر الشماسان ينتظران انعقاد مجمع يفحص القضايا التى أتيا لاجلها . وفى ذلك الحين تلقى القديس اثناسيوس رسالة من أسقف رومية يستشيريه فيها عن المكان الذى يستحسنه لعقد المجمع فيه فلم يجد اثناسيوس أفضل من رومية وكان قد ترك الاسكندرية قبل عيد الفصح عقب وصول غريغور يوس اليها كما مر وأتى رومية يصحبه بعض الاساقفة وامونيوس أحد رهبان دير النطرون وهو أكبر الاخوة الذين اشتهروا بطول قامتهم وايسذوروس الراهب التقي لكى يؤيد احتجاجات مجمع أساقفته وكان قد تعلم اللغة اللاتينية ليخاطب بها أسقف رومية فتلقاء يوليوس أسقف رومية وملكها قسطنطى بكل تجلة واکرام وحدد

أسقف رومية للمجمع شهر ديسمبر من تلك السنة وأرسل اثنين من كهنته وهما البيديوس وبوليكيين ليخبرا أعضاء المجمع بحضور أثناسيوس ويدعيانهم الى الحضور

فلم يجتمع المجمع كما كان مقررا له لأن الار يوسيين خافوا افتضاح أمرهم كالسابق فى مجمع يضمهم مع أثناسيوس ولذلك أخرّوا الرسولين عندهم شهرين كاملين عقدوا فى أثنائهما مجمعا بانطاكية عند ذهابهم اليها للاحتفال بتدشين كنيسة « الذهبية » وكان عددهم ٧٩ أسقفا وقرروا تأييد حرمان أثناسيوس وتجريده من وظيفته وقيل أنهم شجبوا بدعة أريوس ولكنهم لم يصرحوا بموافقة دستور المجمع النيقاوى ووضعوا عوضا عنه دستورا من أربع صور كانت أساسا لشيعة النصف الار يوسية تلك الشيعة التى تتفق مع الار يوسيين فى القول « بعدم مساواة الابن لآبيه فى الجوهر » وتخالفهم فى القول « بازلية وجود الابن فى حضن آبيه »

وبعد أن وضع الار يوسيون تلك الصور الاربع أرسلوها الى أسقف رومية على يد مندوبيه وأرفقوا بها رسالة يعنفونه بها لقبوله أثناسيوس فى شركته ويحتجون عليه بقولهم « ان الدعوة التى وردت الينا لحضور مجمع رومية لم تكن دعوى جمعية بل فردية ولذا فانا لم نعتد بها » فكتب اليهم يوليوس يعرفهم بأنه لم يكتب اليهم ما كتب بصفته الفردية بل بصفته ممثلا لمجموع اكليروس ابروشيته ثم قال « ان القوانين الكنسية لا تخول حق الحكم على أسقف كرسى رسولى مثل اثناسيوس الا لمجمع أساقفة الكنيسة الاسكندرية أو لمجمع مسكونى وانه فى الحالة الثانية يجب اخطار جميع الاساقفة أصحاب الكنائس الرسولية » أهـ (١)

ولم يكتب أسقف رومية بذلك بل شكل مجمعا فى شهر نوفمبر من السنة ذاتها مؤلفا من نيف وخمسين أسقفا وفى هذا المجمع قرئت رسالة أساقفة مصر التى بها برأوه ونزوهه عن كل ما رماه به اتباع أريوس من التهم وبعد الفحص حكم المجمع بأنه برىء من كل ما قرفوه به استنادا على قرار مجمع الاسكندرية

وكان يوليوس أسقف رومية فى ذلك الوقت يلاطف اثناسيوس ويرجوه البقاء عنده فقبل هذا ذلك لعلمه بعدم ملائمة جوالاسكندرية له فى تلك الاحوال واستمر برومية سنة ونصفا وضع فيها نظام الرهبنة للرومانيين كما سيأتى معنا . وقد أدهش البابا أثناسيوس الناس قاطبة فى رومية باثارة قبرى القديسين بطرس وبولس على كل عجائب هذه المدينة العظيمة فكان يذهب اليها ملقيا نفسه أمامها بحرقه دينية عجيبة

(١) اثناسيوس فى احتجاجه الثانى وسوزومين ك ٣ ف ١٠ (عن مختصر تاريخ الامة القبطية ص ٤٥٣) أهـ

وقد استمر النزاع بين الفريقين حتى ضجر منه قسطنط قيصر الغرب وأمر بعقد اجتماع في ميلان (بايطاليا) سنة ٣٤٥ م الغرض منه الفصل في امر الخلاف فاجتمع المجمع وقرر أعضاؤه ضرورة عقد مجمع عام فانشرح صدر البابا الاسكندري بذلك وذهب الى مدينة ميلان حيث قابل قسطنطس الملك الارماني مقابلة خصوصية وحينئذ سار ليرى الآب الجليل أوسيو اسقف قرطبة أما المجمع فانعقد في سرديكا (في اقليم اللير يكون أي بلاد اليونان) مؤلفا من مائة أسقف غربي أرثوذكسي ومن سبعين أسقفا شرقيا أرمنيا وترأس المجمع أوسيو اسقف قرطبة فطلب الغربيون أن يكون أثناسيوس عضوا في المجمع فأنكر عليهم الشرقيون ذلك وتركوا المجمع مغضبين واجتمعوا وحدهم في مدينة فيلبو ولم يستحو من أن يحرموا آباء المجمع السريديكي وحرّموا الاسقف الروماني يوليوس لانه اشترك مع أثناسيوس وقد أوردوا ذلك الحكم برسالة مجمعية قالوا فيها « أن الغربيين يحاولون أن يدخلوا على الكنيسة قانونا جديدا ليحاكموا الاساقفة الشرقيين بمقتضاه » أهـ

أما المجمع السريديكي فواظب على عقد الاجتماعات التي اسفرت على الحكم ببراءة البابا أثناسيوس وتثبيت قانون ايمان نيقية وحرم الاساقفة الارمنيين وفي مقدمتهم أورزاس وفالانس وحكموا بعزل غريغور يوس الكبادوكي ودعوه أسقفا دخيلا بل أنكروا عليه الاسقفية (١) الامر الذي أغضب الارمنيين فهاجموا قسطنطس على الارثوذكسين فأرسل لواليه بمصر ان يشدد على اتباع أثناسيوس وأن يضع حراسا على أبواب الاسكندرية لكي لا يدخلها أثناسيوس واذا تجاسر ورجع الى كرسيه يأمر بقطع رأسه . فعمل الوالي كما أشار عليه قسطنطس ونفى خمسة من القسوس الذين ينتمون الى البطريك وكثيرون منهم اختبأوا في البراري والقفار فرارا من اضطهاد اتباع ارميوس لهم . فالتزم من ثم القديس أثناسيوس أن ينفرد في إحدى مدن (تراكييا) للعبادة

وبعد أن أرفض مجمع سرديكا أوفد أعضاؤه افراتيوس أسقف كولونيا (بايطاليا) وفنسانت أسقف كابو (بايطاليا أيضا) ليطلعا القيصر قسطنطس على أحكامهم . فظهرت حينئذ دسيسة دنيئة دبرها البطريك الارمني الانطاكي ضد افراتيوس بان دس امرأة زانية في مخدعه ليتهايمه بالزنا غير أن هذه المكيدة انفضحت باقرار المرأة نفسها . فساء قسطنطس الظن بهؤلاء المبتدعين وغير وجهه عليهم

(١) كان مما قرره هذا المجمع السريديكي منحه ليوليوس أسقف رومية نظرا لما أظهره من الثبات في الايمان الارثوذكسي حتى استئناف الحكم على الاساقفة اليه . بناء على ذلك يدعى الغربيون بأولويه كرسيهم على باقي الكراسي ولكن ليعلم أولئك المدعون أن ماسن في هذا المجمع كان للاسقف يوليوس وحده لما أظهره من الميل للحق فقط ولم يكن غرض المجمع ان يكون قانونا عاما لكل اسقف بعده من الذين لم يكونوا متصفين بالصفات الحسنة التي كانت ليوليوس . ناهيك عن أن القانون يعطي ليوليوس حق استئناف الحكم على الاساقفة الغربيين ولا تعلق له بأساقفة الشرق ألبته . أهـ

وحينئذ دعى الملك قسطنط الاوثوذ كسى الغيور القديس اثناسيوس برسالة رقيقة الى مدينة اكويلا فقصده البطريك مدينة رومية حيث ودع اسقفها يوليوس وتقابل مع الملك قسطنط فزوده برسالة الى أخيه قسطنس الار يوس بانطاكية شديدة اللهجة يقول له فيها « انه ينادى عليه بالحرب ان لم يرجع القديس اثناسيوس الى كرسية » وحال وصول البطريك الى قسطنس كان هذا قد أبغض الار يوسيين لما اتضح له من شرهم فاستقبله باكرام وأقسم له انه سيحامي عنه فيما بعد وانه لم يعد يصدق كل ما يقال عنه . ثم قال للقديس بناء على مشورة أولئك الهراطقة . أطلب منه أن تعطى كنيسة واحدة للار يوسيين ليصلوا فيها فقال القديس « نعم ولكن بشرط أن يعطى الار يوسيون كنيسة واحدة للارثوذكسين فى انطاكية » فتعجب الملك من هذا الجواب وابى الانطاكيون الا الاصرار على خلع اثناسيوس الا ان الملك لم يلتفت اليهم وأطلق سراحه فترك انطاكية قاصدا الاسكندرية ومربأورشليم حيث قابله القديس مكسيموس أسقفها بسرور . وكان غريغور يوس الدخيل قد قتل فى ثورة شنّها عليه الاسكندريون فتمهد بذلك السبيل أمام البابا الاسكندري للعودة الى مركز بطريركيته ولكن لعدم ثقته بوعده قسطنس تمهل الى شهر اكتوبر واذا لم يجد مقاومة جديدة رجع الى وطنه بعد ذلك الغياب الطويل

وبينا كان الحزن مخيا على الاسكندرية وأهلها واذا برسالة من أسقف رومية تبشرهم بقرب عودة راعيهم اليهم ويقول لهم « انى أحمد الله الذى وهبني نعمة الاجتماع بمثل ذلك الرجل العظيم » أهـ وان القلم يعجز عن وصف الاحتفال الذى قوبل به البابا اثناسيوس عند رجوعه الى الاسكندرية

ونكتفى بقليل من كثير مما كتبه القديس غور يغور يوس النزى فى وصف ذلك الاحتفال قال « ان القوم توافدوا من انحاء المدينة على اختلاف نزعاتهم للقائه وما كان بهم من الوجد والهيام براعيهم جعلهم يطيطرون سرورا وكان ازدحامهم أشبه بالنيل فى عز فيضانه » ولما كانت المواصلات حينئذ على ظهور الحمير التى علتها الجماهير وبايديهم أغصان النخل والزيتون يلوحون بها تخيل غريغور يوس وهو يصف دخول اثناسيوس فائزا دخول المسيح أورشليم كملك . وذكر غريغور يوس الابسطة الثينة التى كانت تفرش تحت قدمى البطريك وآلاف الايدى التى كانت تبلغ حدة تصفيقها عنان السماء . والهواء وقد تشبع بالاعطار الزكية التى فاح أريجها والانوار المتألقة فى شوارع المدينة

وقد روى بعض المؤرخين فى خلال ذكر احتفال فخم أقامه سكان الاسكندرية لاحد حكامها المشهورين المحبوبين محاورة بين شيخ وشاب كانا بين المتفرجين فقال الشاب للشيخ « هذا احتفال فخم لا يقيمه الناس للامبراطور قسطنطين لوبعث من لحده » فقال له الشيخ « ذلك لانك لم تر الاحتفال باستقبال اثناسيوس الكبير » أهـ

وما كاد البطريرك يستريح من عناء السفر حتى اعاد جهاده فى استئصال شأفة بدعة
أريوس وخلع الاساقفة الاريسيين ثم نشر رسالة فى عيد القيامة سنة ٣٤٧ م قدم فيها الشكر لله
على ما أولاه من نعمة الرجوع الى مقامه وختمها ببيان عن الاساقفة الذين رسمهم حديثا والاماكن
التي عينوا فيها . ثم بعث برسالة الى السياح يخبرهم فيها ان الارثوذكسيين لم يكتبوا بالفرح لعودته
اليهم وانما نشطوا الى الاعمال التقوية بقوله « ان الناس فى الاسكندرية شرعوا يحثوا بعضهم بعضا
على ممارسة أفعال البر بحيث قد صارت تلك المدينة بستان الآداب وجنة الخلال الحسنة وحديقة
الفضائل المسيحية وان كثيرون زهدوا فى الدنيا واستوطنوا الفيا فى ليتها . وان فتيات كثيرات
نذرن لله بتوليتهن وشبانا كثيرين متزوجين عاشوا بالعفة مع نسائهم . والاغنياء وزعوا أموالهم على
الفقراء وكان كل بيت نظير كنيسة » أهـ

وقد استمر البطريرك بعد رجوعه الى مصر ثلاث سنوات ذاق فيها مع رعيته طعم الراحة .
غير انه حدث بعد ذلك أى فى سنة ٣٥٠ م ان رجلا جرمانيا يدعى مانيانس قتل قسطنط الملك
الارثوذكسى واختطف مملكته ولم يكتبف بذلك بل طمع فى الاستيلاء على القسم الشرقى . فأرسل
الى مصر رجلا يبتون فيها روح التمرد على القيصر . غير ان حكمة البابا أثناسيوس حالت دون ذلك
اذ أوصى الشعب بالخضوع للقيصر فلم تفلح مساعى مانيانس فى مصر وانتشب القتال بينه وبين
قسطنس الى أن قتل سنة ٣٥٣ م

وعقب قتل قسطنط الملك الارثوذكسى استأنف الاريسيون مقاومتهم للقديس اثناسيوس
فاوغروا صدر قسطنس الاريسى عليه ووسوسوا اليه بأن الله انتقم من قسطنط بالقتل لاجل
مدافعتة عن البطريرك أثناسيوس وانه من الواجب عزل هذا الرجل الذى كان سببا لموت أخيه . غير
أن قسطنس لم يتمكن من أذية القديس أثناسيوس حينئذ لارتبأكه فى القتال مع مانيانس المذكور
فحرر رسالة لاثناسيوس مملوءة بعبارات الاحترام والمحبة

وبعد سنة من هذا العهد انتصر على مانيانس واستقل بالملك فوجه حربه الى
الارثوذكسيين وعلى رأسهم اثناسيوس وقد احتال فى مبدأ الامر عليه ليعيده الى أوربا ثانية ليسهل
عليه الانتقام منه ولكنه خاب فى مسعاه . ولما أحس القديس أن اعداءه أخذوا ينمون فيه و يدسون
له الدسائس بعزم جديد أرسل فى شهر مايو سنة ٣٥٣ م خمسة أساقفة وثلاثة قسوس الى قسطنس
لاثبات براءته مما عزى اليه سابقا وكان مع هؤلاء الاساقفة سيرايون أسقف ثميبوس (١) ولكن
هذه البعثة لم تصادف نجاحا

(١) كان يوجد مدينتان فى مصر قديما بهذا الاسم وكانتا أسقفيتين فى وقت واحد

وجمع قسطنس مجمعا فى اريلا تى (من فرنسا) سنة ٣٥٣ م (٢) والزم أعضائه ونائبى أسقف رومية (وهما فنسانت أسقف كابو ومارسيل أسقف كمبانيا بايطاليا) أن يصدروا أحكاما ضد أثناسيوس فأمضى القرار جميع الاساقفة ما عدا بولين أسقف تريف الذى أرسل الى المنفى حيث مات . وتهيج الغربيون لتوقيع نائبى أسقف رومية على قرار هذا المجمع لولا تدخل ليباريوس أسقف رومية برسالة بعث بها الى اوسيوس أسقف قرطبة قال فيها « انى لو خيرت بين الموت وبين اختصام أثناسيوس لفضلت الاول على الثانى » واتمس أسقف رومية هذا من القيصر أن يعقد مجمعا ثانيا فتم له ذلك وعقد المجمع سنة ٣٥٥ م فى ميلان وكان مؤلفا من ٣٠٠ أسقف جلهم اريوسيون . وقد حدث فى هذا المجمع خصام شديد بين أربعة أساقفة قاموا للدفاع عن أثناسيوس وبين الامبراطور الذى اشتد غضبه لان القوم انكروا عليه سلطته الشخصية ومقدرته على معاقبة أسقف رأى أن يعاقبه بنفسه بدون قانون . وقد رد عليه الاساقفة وأغلظوا له فى المقال حتى قالوا له انهم لم يكونوا هنالك ليدرأوا له غلطته التى ارتكبها ثم أخبروه بصريح اللفظ قائلين « ان أثناسيوس بصفته بطريركا لا يحاكمه الامبراطور بل الاساقفة فلا تخلط جنابك بين القوانين الكنسية والاوامر الامبراطورية » فاجابهم الملك بغيظ شديد « ان ارادتى هى القانون »

غير انه كانت النتيجة أن المجمع حكم ضد اثناسيوس ولما لم يقبل ليباريوس اسقف رومية ولا اكليريوسه التوقيع على ذلك نفاهم الى مدينة (بيرا) بتراقيا وأقيم مكان الاسقف الرومانى شماس اريوسى يدعى فيلكس الثانى . وأثار قسطنس اضطهادا عنيفا على الارثوذكسين قال عنه القديس باسيليوس « اننى ظننته ابتداء اضطهاد المسيح الدجال الذى تنبأ عنه بولس الرسول فى رسالته الى اهل تسالونيكي »

ثم ان القيصر كلف سريانوس والى مصر باخطار اثناسيوس بحكم النفى الصادر ضده وبتحويل الغلال التى كانت تعطى لفقراء الارثوذكسين الى كنائس الاريسيين . فجاء سريانوس الى القديس ومعه أحد رجال الامبراطور المسمى هيلاريوس وطلب منه شفها أن يرافقهما فرفض الطلب لعدم وجود امر رسمى من الامبراطور بيدهما . وقد ساعده على ذلك تعضيد جميع الشعب والاكليروس له تعصيда تاما ولذلك أقسم سريانوس برأس الامبراطور انه لا يعمل شيئا ضد أثناسيوس حتى ترد اليه أوامر رسمية من مولاه . ومع ذلك فكل هذه الحوادث لم تثن عزم القديس بل ظل مثابرا على اكمال شؤون وظيفته بهمة رفيعة

وبعد مرور ثلاثة أسابيع فى سنة ٣٥٦ م بينما كان البطريرك يقيم صلاة الغروب بكنيسة العذراء التى بناها البابا ثاؤنا اذا بسريانوس حاصرها بخمسة آلاف جندى فلما شعر البطريرك

(٢) ان المجمع الذى عقدت فى مدة حكم قسطنس بسبب الخلاف بين اثناسيوس وجماعة اريوس تتجاوز الاثنى عشر

بذلك اوصى المصلين ان لا يهربوا هرباً يوجب الخجل ولا أن يقابلوا القوة بمثلها . والآن لنترك
« صف ما جرى حينئذ للقديس نفسه فقد روى بعد ذلك يصف الحادثة قائلاً :

« أما أنا فجلست على الكرسي الخاص لى واوعزت الى الشماس أن يتلو المزمور ١٣٦
وكان الشعب يردون عليه قائلين « (لأن الى الابد رحمته) » وحينئذ حان وقت الانصراف وكنا على
وشك الذهاب الى منازلنا . ولما كان الظلام خارج الكنيسة حالكا جدا طرق العساكر جميع
الابواب (١) طرقا عنيفا عندما كان الشماس يرتل مزمور الحمد والشكر هذا حتى ان دق الابواب
كان يعرف في آذان الشعب الذين كانوا مشغولين بالصلاة والعبادة وكانوا يعجبون لهذا الطارق
ليلاً . ولما كان الشعب يرد على الشماس بهذه العبارة « (لأن الى الابد رحمته) » فتحت الابواب قهراً
وولجها الجيش الرومانى وهو يصيح صياح النصر والفوز كمن افتتح مدينة قوية وكانت سيوفهم
مشهورة فى ايديهم تلمع فى شعاع سرج الكنيسة المنعكسة عليها فاندفع العساكر فى الكنيسة
كالسيل الجارف وهرعوا قاصدين اياى . أما أنا فوقفت وأمرت الشعب بالفرار بقدر الامكان ولكن
بعضهم اجتهد ان يعترض العساكر فى طريقهم فذبحهم الجنود وداسوهم تحت أقدامهم عندما كانوا
يركضون نحو ردهة الكنيسة للقبض على الفارين . وقد ألح على القسوس لكى أفر ولكنى أبيت
ذلك وقلت لهم « ان نفسى عندى ليست أعز من نفس أحد من الشعب » ولعلمى الاكيد بأننى ما
دمت موجوداً أمام أولئك الذين يسعون خلفى ليقتلونى فانهم يكتفون بى ولا يبحثون على الآخرين
بل يتركونهم وشأنهم حيث لا علاقة لهم معهم . وقلت فى نفسى اننى لا أهرب حتى ينجو جميع
الشعب ثم وقفت وطلبت من الحضور أن يصلوا الصلاة الاخيرة وحينئذ أشرت اليهم بالانصراف
حالا . ولما انصرف أكثر الشعب جاء الرهبان مع الذين تحلفوا من القسوس وحملونى خارجاً » أهـ

وكانت نجاة القديس أثناسيوس من ذلك الخطر باعجوبة من الله فانه بينما كان قائماً فى
كرسيه يعظ الشعب ويحثهم على الصلاة اندفع الجنود بشدة الى داخل الكنيسة وكادوا يحيطون
بكرسيه لولا أن الله ضرب على عيونهم بغشاوة فما قدروا ان يميزوه وكانت المصابيح قد انطفأت
بسبب الهياج فانتهاز الاكليروس هذه الفرصة وأنزلوه جبراً من الكرسي وهو يمتنع والزموه أن يهرب
فاجتاز العساكر ببطريركة عجيبة بدون أن يراه أحد منهم . ولما وصل الجنود الى كرسيه وجدوه فارغاً
ففتكوا بالمؤمنين وقتلوا منهم خلقاً كثيراً فأرسلوا للملك يشتكون من الظلم الذى أوقعه بهم سر يانوس
فبدلاً من أن يلبى الملك شكوى الشعب و يرثى لحالهم مدح الوالى على ما عمل

أما القديس أثناسيوس فاختفى فى المدينة زمناً ثم فر الى الصحراء ولجأ الى برية طيبة
وانفرد فيها متعبداً مع الرهبان ومشاركاً اياهم فى عوائدهم وهكذا كانت عادة البابا أثناسيوس أن
يلجأ فى أوقات ضيقاته الى مغاور المتعبدين على طول شاطئ النيل فاذا ما شاهدوه يهرعون اليه من

(١) كانت الكنائس فى ذلك الحين كأنها حصون أو معاقل وفيها كل ما يحتاج اليه فى وقت الضيق

صوامعهم فراحين متهللين فيعلوه البشر ويناديهم بقول الكتاب « من هؤلاء الذين يطيطون كسحاب وكحمامات الى بروجها » ثم تراهم يحيطون به وهم يحملون المشاعل ورئيس الدير يسوق مطية البطريرك حتى مكائهم الحريزة وكان احد الاكلير يكيين يأتيه بالقوت الضرورى وكان طعامه خبز الفلاحين الناشف الغير المختمر وكان اذا عطش اغترف من ماء النيل براحتيه واذا تعب واحتاج للراحة جلس على قطعة حصيرة رثة أو اذا نام افترش الثرى والتحف السماء . وكان يصرف أوقاته مختبئا فى نفق مظلم فى الارض أو منزويا فى أحد القبور القديمة المهجورة وبالجملة فلم يدع مغارة أو كهفا الا وآوى اليه وكان عمره فى ذلك الحين ستين سنة

ويجدر بنا هنا أن نذكر أن جبون المؤرخ فى كتابه « سقوط المملكة الرومانية » لم يكن يعبأ كثيرا بأمر الدين الا أن سيرة القديس اثناسيوس قد أثرت عليه كثيرا فكتب عنه بشفقة زائدة ومما رواه انه فى أثناء هروبه أختبأ ببئر جافة ولكن خادمة قد خانتها واحضرت العساكر ليقبضوا عليه ولكنه كان قد خرج قبل وصولهم اليه . وروى أيضا انه زار ضواحي الاسكندرية وكانت توجد هناك عذراء فى العشرين من عمرها وكانت قد اشتهرت بجمالها الفتان . وفى ليلة من الليالى فاجأها زائر وطلب الضيافة وكان الوقت بعد نصف الليل وكانت اذ ذاك نائمة فى مخدعها ولكنها قامت ملبية لذلك الطلب فوجدت بطريركها الجليل وهو ملتف فى قيص قصير ورداء أحمر ففتحت له وخبأته فى منزلها وهناك أطعمته وألبسته وصارت كاتبة له لتساعده على مكاتباته مع الكنائس حتى انها هربت تلك المراسلات تهريبا . وهذه القصة روتها الفتاة فى أثناء شيخوختها مفتخرة بها

أما الار يوسيون فكانوا يطلبونه ويفتشون عنه بأمر الملك فى كل أطراف المملكة برا وبحرا كأنه عدو جميع البشر . ولكنه حتى وهو فى منفاه لم يكف عن العمل لما فيه الخير للآخرين فحرر احتجاجا بليغا وصف فيه صفوف البلايا التى أنزلها أعوان الملك بالارثوذكسين وقد أتينا على فقرة منها سابقا وبعث بها الى قسطنس . ثم بلغه أن الار يوسيين يتهمون بالجن هروبه من الاضطهاد فكتب دفاعا عن نفسه قال فيه « هم يعضون أصبع الندم لانهم لم يتمكنوا من قتلى . والآن هم يلوموننى على هربى . غير عالمين انه لو كان فى الهرب جناية لكان فى الاضطهاد جنایات . اننى هربت لثلاث أقتل . وهم يقتفون أثرى لثلاث أنجوا من القتل . فليكفوا عن اضطهادى لأكف عن الهرب وكيف لا يعلمون أن فى فرارى منهم حجة عليهم . ان المرء لا تفزعه الرقة واللين بل القسوة والشدة بل غلظة القلب والتوحش »

وفما كان فى مغارته مواظبا على الصلاة نما اليه خبر أن الار يوسيين كتبوا صورة ايمانهم وانهم يكرهون الناس على قبولها والتوقيع عليها وان كثيرين ختموها خوفا من الملك . فحزن الراعى الصالح لما رأى الذئاب تتلف خرافه ونظير أسد يزأر فى البرية كتب أربع مقالات يبحث فيها المؤمنين بغيرة شديدة على حفظ الايمان والثبات عليه . ومع ما كان يقاسيه ويعانيه فى منفاه من

التعب والنصب ما فتىء مهتماً بكنيسته فكان يكتب أساقفتها و يبعث بالرسائل اليهم وكانت أوامره نافذة المفعول كأنها صادرة منه وهو جالس على السدة البطريركية . وقد كتب عدة خطابات لتعزية الحزانى وارشاد الحائرين عدا عن تأليف فى أهم المباحث كان أبناء عصره فى حاجة شديدة لها . ثم وضع منشورا أرسله للرهبان فى مبادئ مهمة و سطر خطابا لصديقه الحميم سيرايون أسقف ثميوس . وكان اعظم عمل أتاه الكتاب المهم المتضمن مقالات مسهبة فى تفنيد بدعة اريوس

وفى ذلك الحين كان الار يوسيون قد أقاموا على الكرسي الاسكندرى بطريركا دخيلا يدعى جورجيوس من كبادوكية أيضا نظير غريغور يوس السابق ذكره . وأشاروا على قسطنس أن يكتب رسالة الى ملكى الحبشة ازاناس وسازاناس يخبرهما فيها أن اثناسيوس هرطوقى وسيامته لفرومنتينوس أسقف الحبشة فاسدة . فيقتضى أن يرسلوا أسقفهم لينال السيامة الصحيحة من جورجيوس . غير أن ملكى الحبشة لم يعبا برسالة قسطنس لثقتها باثناسيوس وفرومنتينوس وكان جورجيوس هذا قبل تعيينه فى الوظائف الكهنوتية سمسارا خادعا فى القسطنطينية ولكنه كان معروفا بالعلم وحالما تبوأ الكرسي المرقسى أتى من الاعمال الخبيثة مالا يأتيه انسان ذو عقل وشعور فان مدته فى الاسكندرية كانت عبارة عن اضطهاد جديد حل بالمصريين . وفى مبدأ الامر حاول اغراء أساقفة مصر على امضاء قرار اريوسى واذا فشل فى مساعيه اشعل نار اضطهاده فكبل اثني عشر أسقفا منهم بالقيود والاغلال وزجهم فى ظلمات السجون

ولما صفا الجوللار يوسيين بغياب القديس اثناسيوس عقد الملك مجمعا فى سرميوم (غربى فرنسا) سنة ٣٥٧ م ترأس عليه الاسقفان الغربيان اورزاس وفالانس وحضره قسطنس بنفسه . وقد وضع ذلك المجمع صورة ايمان جديدة حذف فيها لفظة (الجوهر) من قانون المجمع النيقاوى بمعنى أن الآب أعظم من الابن فى الرتبة والمجد وقد نجح الار يوسيون فى ارغام اوسىوس أسقف قرطبة على توقيع هذا القرار بعد أن اثخنوه ضربا بالعصى حتى تقطع جسمه وكان ليباريوس أسقف رومية قد سئم من منفاه الذى قضى فيه مدة سنتين ونصف فدفعه حب الرئاسة الى قبول التوقيع على ذلك القرار وأقدم على ذلك خصوصا لما علم بموافقة اسقف قرطبة عليه . فكتب للار يوسيين ثلاث رسائل رجاهم فيها أن يتوسطوا لدى القيصر كي يعيده الى أسقفيته وأعلن لهم لعنه لاثناسيوس وقطعه كل علاقة معه فرجع الى كرسيه واشترك فى تدبيره مع فيلكس الار يوسى الى الممات (١)

(١) ومن المدهش ان الغربيين يحاولون تبرئة ليباريوس من وصمة سقوطه فى الهرطقة مع ان توارىخهم المشهورة بتحويل الحق الى باطل لم تجرؤ على انكار هذه الحقيقة واليك ما كتبه ليكورى معلم الكنيسة الكاثوليكية نقلا عن اورسى مجلد ٦ ك ١٤ عد ٧١ قال « اما البابا ليباريوس الذى كان منفيا الى بيريا منذ ثلاث سنوات ففشلت روحه من الاهانات والانفراد لا سيما من حزنه لدى مشاهدته فيلكس شماسه الكاذب جالسا فى الكرسي الرومانى فأمضى احدى الصور المذكورة شاجبا القديس اثناسيوس ومشاركيا الاساقفة الار يوسيين » أه (تاريخ الهرطقات مع دحضها ص ٨٣) وجاء فى كتاب « خلاصة تاريخ الكنيسة » للمعلم لومند الافرنسى ج ١ ص ١٩٢ « اما البابا ليباريوس فكان أولا أبدي عذما شديدا الا انه فشل فيما بعد لما قاساه من زعج المنفى فأمضى على شجب اثناسيوس لكنه ندم حالا على ما فعل وفى الحال نهض من سقطته وأصلح عشرته » أه وقد أثبت ذلك أيضا براهين لا تدحض بطريركهم كيرلس مقارفى كتابه « الوضع الالهى فى تأسيس الكنيسة » فليحكم أصحاب الحجى وينصفوا

فلما علم الارثوذكسيون ذلك عقدوا مجمعا فى (ايجان) اثبتوا فيه الدستور النيقاوى بدون نقص أو زيادة . وعقد اصحاب مذهب الاتفاق بين الطرفين مجمعا فى (انقره) أيدوا فيه دستور مجمع انطاكية وجمع سرميوم ولبث الار يوسيون يتخبطون فى أعمالهم وأقوالهم حتى انقسموا الى عدة شيع ومذاهب كانت كل منها تقرر ما يخالف الاخرى . وقد اجتمعت عدة مجامع فى انقره وانطاكية وسرميوم للتوفيق بينها فلم تفلح جميعها بل كانت تعمل على توسيع دائرة الخلاف بزيادة

أما القديس أثناسيوس فقد تصدع بسماع هذه الاخبار المحزنة التى كانت تصله تباعا ولا سيما سقوط صديقيه اوسسيوس وليباريوس . غير أن اوسسيوس قيل عنه انه أمضى القرار تحت تأثير اضطهاد تقيل أضعف عقله وكاد يفقده الشعور والادراك ولكنه لم يلبث قبل موته حتى استرد ما عمل وتاب عن الهفوة التى ارتكبها فى ظروف صعبة

واثر عليه كثيرا نبا أتى ينعى اليه مار انطونيوس الناسك الذى كان خير صديق وسند له واستمر القديس فى منفاه مدة خمس أو ست سنوات فى نهايتها بلغه خبر موت قسطنس الار يوسى وتولى مكانه يوليانوس الملحد

ومع ان يوليانوس كان يبغض المسيحيين بوجه عام الا ان كراهته لقسطنس دعتة أن يأمر باعادة جميع المسيحيين ورؤسائهم الذين نفاهم هذا الملك وقيل انه أمر باعادتهم لكى يحارب بعضهم بعضا فتنحل عرى الوحدة المسيحية فرجع البابا أثناسيوس الى الاسكندرية فقبل فيها بابتهاج ما عليه من مزيد وأما جورجىوس الاسقف الدخيل فكان له وقتئذ بغض شديد فى قلوب الجميع نظرا لما أتاه من الشرور ليس ضد المسيحيين فقط بل وضد الوثنيين أيضا حتى ان هؤلاء قتلوه قبل رجوع أثناسيوس بقليل أحرقوا جسده والقوا رماده فى البحر

فأخذ القديس أثناسيوس يصلح ما سبق اتلافه بواسطة الهرطقة وكانت له همة عالية لا تعرف الفتور فخيب آمال جميع أعداء الديانة المسيحية اذ رد الناس عن عبادة الاوثان وعن غواية الهرطقة ولذلك عقد مجمعا سنة ٣٦٢ م لم يحضره سوى ٢٠ من اساقفته الذين كانت البلايا قد ذهبت بمعظمهم وقرر فى هذا المجمع ما يجب اتباعه مع الار يوسيين الذين يعودون الى الارثوذكسية وأبلغ قراره هذا الى كل الكنائس ولا سيما كنيسة انطاكية التى انصاعت لارشاداته الحكيمة

فلما رأى يوليانوس الملك الكافر ان رجوع رؤساء المسيحيين دعا الى نموهم بخلاف ما كان يرجو سأل عن السبب فقليل له بواسطة الهرطقة لا يمكنك الانتصار على الدين المسيحى ما لم تهلك اثناسيوس حامى هذا الايمان والذى زاده هياجا على اثناسيوس وصوله خبر عنه بانه عمد بعض النساء اليونانيات اللائى كن وثنيات واعتنقن الديانة المسيحية فأصدر امرا قاطعا لوالى الاسكندرية بنفى اثناسيوس من الاسكندرية حالا بحجة ان العفو الملوكى لم يشملته وهذا ما كتبه

يوليانوس للوالى « مع انك مهمل كثيرا فى أن تكتب لى عن مسائل متعددة وانا اغضى عن هذا الاهمال الا انه كان يتحتم عليك أن تخبرنى عن تصرفاتك مع اثناسيوس عدو الآلهة وكاره الاوثان وأنت تعلم حقيقة مقاصدى ضد هذا الرجل الذى اخبرتك عنها من زمن مضى وعليه فانى أقسم بالآله سيرابيتس العظيم انه إن لم يبرح اثناسيوس الاسكندرية بل القطر المصرى فى أوئل شهر ديسمبر فانى أغرم جميع موظفى حكومتك غرامة قدرها ١٠٠ رطل ذهب قصاصا لهم واعلم اننى بطىء العقاب ولكننى بطىء العفو والصفح » أهـ

فبلغ القديس هذا الامر فى شهر اكتوبر سنة ٣٦٢ م فأسرع ليودع أصدقاءه الذين انفطرت قلوبهم حزنا على ذلك الفراق العاجل أما هوفكان يعزيهم بأن هذا الحادث نظير زوبعة عابرة تتلاشى فى وقت وجيز. ولما شعر ان الجنود أو شكت ان تقبض عليه نزل حالا فى مركب وسار فى النيل قاصدا الهروب الى « طيبة » ولما بلغ الحاكم أمر هروبه أسرع بجنوده وتبعه فى مركب آخر أكثر سرعة من مركب القديس فلما رأى الذين كانوا مع البطريك أن سفينة الحاكم اقتربت منهم أشاروا عليه بأن يخرج الى البر ويهرب الى البرية ويختبئ فيها ولكنه لم يرد بل أمر رئيس المركب بشجاعة وهدوء أن يوجه السفينة نحو طالبي نفسه كأنه منطلق الى الاسكندرية فلما صار بازاء أعدائه نادى الحاكم على من فى مركب القديس مستفهما عما اذا كان اثناسيوس فيها أم لا فأجابة هوبنفسه « هوذا اثناسيوس قريب منكم » فأسرع الحاكم بالسير صاعدا فى النيل أما هوفنزل فى ممفيس (جيزة) واستمر بها ريثا يكتب رسالة عيد الفصح السنوية التى كانت ترسل الى كل الكنائس

وبعد ذلك قصد (طيبة) ليختفى هناك فعندما اقترب الى مدينة هرموبوليس (الاشمونين) التقى به نيودوروس رئيس دير طابانا بقرب سوهاج وكان قد جاء ليحتفل بقدومه احتفالا باهرا فاستمر البطريك مدة فى هرموبوليس وانطينو واعطا ومبشرا الى أن بلغه فى منتصف الصيد أن الخطر محقق به من كل جانب فركب سفينة صغيرة هو والراهبان اللذان كانا يرافقانه على الدوام وحاولوا السفر ولكن الرياح عاكستهم واضطروا أن يقاسوا التعب العظيم فى جر السفينة وقضى القديس ذلك اليوم وهوى صلى بحرارة دون ان يلتفت الى رفيقيه ثم استفاق كأنه من نوم وقال لهم « هبوا انى قتلت » ثم صمت لما رأى الراهبين يبتسمان ثم اخبراه انه فى حال صلاته علما بالهام الهى أن يوليانوس قتل

وقد حققت الاخبار قول هذين الراهبين فقتل يوليانوس سنة ٣٦٣ م وتولى عوضا عنه يوبيانوس فهذا نشر حرية الاديان وقرر الغاء الامر الصادر من سلفه ضد اثناسيوس فرجع القديس الى كرسيه وحال وصوله بعث اليه الملك رسالة فيها يطريه لثباته وشهامته ويلمسن منه أن يرسل له رسالة تتضمن تعليم الكنيسة الارثوذكسية فتداول اثناسيوس مع اساقفته فى أمر هذا الطلب ثم

كتب شرحا للتعالم القويمه وقع عليه هو وأساقفته وأرسله للملك الذى سر منه جدا وأرسل يستدعى اليه القديس لمشاهدته لانه كان مشتاقا الى رؤيته . فذهب البابا أثناسيوس الى انطاكية فقابله الملك مقابلة حسنة ورجع الى كرسية بكرامة عظيمة ورأى الجوصافيا أمامه فجال فى ابروشيته المتعبة يعزى شعبه و يعظهم وكانت نتيجة مساعيه فى انطاكية والاسكندرية رجوع عدد عظيم من الار يوسيين .

ومع علم الار يوسيين بصحة ايمان هذا الملك فقد تجاسروا وأوفدوا اليه بعضهم وعلى رأسهم رجل كان قد سامه جورجىوس الكبادوكى يدعى لوسيوس . فقابلوا يوبيانوس بأنطاكية وطلبوا منه أن يعين للاسكندرية بطريركا . فأعلمهم انه سبق وكتب الى أثناسيوس ليرجع الى كرسية فاخذوا يفوهون بمذمات ضد أثناسيوس مما دعى الى سخط الملك عليهم وتقدم أحد العساكر وافهم الملك بأن هؤلاء هم النفاية الباقية من حزب جورجىوس المحروم فطردهم من أمامه طردا مخزيا ولكنهم تبعوه فى طريقه فسخط على البحارة الذين لم يطوحوا لوسيوس فى اليم عند سفره معهم من الاسكندرية الى انطاكية

غير أن الدهر لم يبتسم للبطريرك الاسكندرى سوى سبعة أشهر اذ مات يوبيانوس الذى كان يرجو القديس كل خير للمسيحية على يديه وخلفه فى الملك والنتينوس ومع أن هذا كان مواليا لعقيدة الكنيسة الا انه أخذ لنفسه الغرب وسلم الشرق لاختيه فالنص الار يوسى فأمر حال جلوسه على كرسى الملك بنفى جميع الاساقفة الارثوذكسين الذين سبق نفهم بواسطة قسطنس ورجعوا بسماح يوليانوس . وبناء على ذلك أراد والى مصر أن يطرد أثناسيوس من كرسية ولكن ما شعر بذلك وجهاء الشعب والاعيان حتى تجمهروا وجاءوا الى الوالى محتجين عن بطريركهم بأنه لا يدخل تحت هذا الامر اذ لم يرجع من منفاه بأمر يوليانوس بل بأمر يوبيانوس خلفه . ولما لم يقتنع الوالى أعلنوه بانه لا يمكن نفى أثناسيوس وشعر الوالى بحركة عظيمة قام بها الشعب فادرك ان نفى البطريرك يجرو بالا عظما فأظهر رضاء موقتا

وفى شهر اكتوبر بينا كان القديس مقيا بزواية فى كنيسة القديس ديونيسيوس علم أن الوالى مصمم على القبض عليه فأسرع بالفرار حتى أن جنود الملك فتشوا عنه فى تلك الليلة فى كل مكان بالكنيسة فلم يقفوا له على أثر . أما هو فأختبأ فى قبر أبيه وأستمر هناك أربعة أشهر كانت كلها اضطرابات وقلاقل بسبب ابتعاده مما اضطر الوالى الى أن يكتب لوالنص يقول له « انه لا يسكن هياج القوم الا بوجود بطريركهم بينهم » ولما علم والنص بذلك خاف من أن يغتاز اخوه والنتينوس عليه وسمح للقديس بالاستقرار فى كرسية فرجع اليه فى سنة ٣٦٨ م وله من العمر يومئذ ٧٢ سنة

ولم تكن شيخوخته لتحول بينه وبين استئناف العمل الروحي فجدد جهاده مبتدئا فى سنة ٣٦٨ م بترميم كنيسة سيزار يوم التى كانت قد حرقت فى شغب أحدثه الوثنيون فى الاسكندرية فى غرة شهر يولية سنة ٣٦٦ م (١) ثم وضع أساسا لكنيسة أخرى دعيت فيما بعد باسمه . ثم وصل اليه خبر هرطقة ابوليناريوس أسقف اللاذقية الذى اعتقد أن لاهوت المسيح حل محل نفسه فوضع كتابين فى تفنيد هذه البدعة . ولم يفت عن مقاومة المبتدعين فى كل مكان بل كان جادا فى استئصال شأفتهم ولاجل ذلك كاتب دماسوس أسقف رومية يحثه على توقيع العقاب الكنسى على أورانس أسقف ميلان ونصير الشيعة النصف الار يوسية فأطاع دماسوس أمره ونفذ رغبته فى سنة ٣٧٠ م . وبعد أن طهر الغرب من جراثيم الهرطقة التفت الى الشرق وأخذ فى مراسلة القديس باسيليوس أسقف قيصرية الكبادوك و غريغور يوس أسقف نيز ينزا و غريغور يس نيصص الاساقفة الارثوذكسين وغيرهم من الاساقفة الار يوسيين حاثا اياهم على قطع دابر الشيع المختلفة ومقاومة مبتدعيها

وفى ذلك الوقت طلب منه أن يقيم أسقفا لاهالى مدينتين فى مقاطعة بنتابوليس فرسم لهم بحسب طلبهم ايسودورس . وبعد هذا العهد حرم رجلا عظيما هو حاكم (ليبيا) وأرسل منشورا الى الكنائس يوضح فيه الاسباب التى دعت الى ذلك . وهكذا استمر يجاهر و يكافح و يناضل عن الحق الانجيلي مدة الخمس السنوات التى قضاهها على الكرسي بعد رجوعه الاخير حتى انتهت حياته الدنياوية وابتدأت حياته السماوية الخالدة فى ٧ بشنس سنة ٩٠ ش و ربيع سنة ٣٧٣ بعد أن جلس على السدة البطريركية ٤٦ سنة وخمسة عشر يوما . ولما شعر بقرب حلول الاجل أوصى بتعيين بطرس أحد أساقفته خلفا له

وقيل ان القديس اثناسيوس كان قصير القامة جدا حتى أشار اليه يوليانوس الجاحد بالقزم تعييرا وتقريرا ولكن غريغور يوس النزينزى يؤكد لنا انه كان حسن الطلعة جميل المحيا عليه سمات التقوى والورع يخال للرائى انه ملك من الملائكة وينقل عنه انه كان أيضا محدودبا بعض الاحديداب ذا أنف مقوس وفم دقيق ولحية قصيرة متصلة بشاربين كبيرين . وكان ذا شعر خفيف أسمر اللون ضارب الى الحمرة

(١) هذه الكنيسة كان قد أتم البابا اثناسيوس بناءها فى سنة ٣٦١ م وكانت مبنية على اطلال القصر المسمى (سيزار يوم) أى قصر القيصر وهو قصر قديم للامبراطرة الرومانيون وكان لم يزل خاصا بالامبراطور . وفى مدة الصوم الكبير سنة ٣٥٤ م كانت سناس الاسكندرية تزدهم بجمهور المصلين ازدحاما هائلا فطلب الشعب من البطريرك أن يقيم صلاة العيد فى كنيسة سيزار يوم . كان قد تم بناؤها ولم تكرس فخشى وقتئذ اجابة طلبهم بفتح هذه الكنيسة لان هذا القصر لم يكن قد سلم للكنيسة ووضع تحت تصرفها . فضلا عن أن اقامة الصلاة فى كنيسة غير مدشنة أمر مخالف للقوانين الكنسية . غير ان البطريرك اضطر الى اجابة طلب

وهذا ولما كان هذا الرجل العظيم قد ساهم الرسل في جهادهم المدهش عن الايمان القويم وشاركهم في اكاليلهم النورانية فقد حملته الكنيسة بلقب « الرسولى » الذى كان يلقب به معاصرو الرسل وخلفاؤهم وتلاميذهم الذين حذوا حذوهم ونسجوا على منوالهم فى جهاد الخدمة وتعبد الكرازة والمحاماة عن الايمان . وقد شاطرهم ذلك البطريرك جهادهم واستحقاقهم ونال شرفهم ولقب أيضا « بالأكبر » باعتبار مقامه الذى ارتفع بسبب جهاده وقد قال عنه القديس غريغوريوس النزينزى « ان من يمدح أثناسيوس يمدح الفضيلة نفسها » أه وأما عن تصانيفه فقد قال الانبا قزما « ان من يجد شيئا منها فليكتبه حالا على قرطاس . وان كان لا يجد قرطاسا فليدونه على أثوابه » أه وأبلغ وصف لعظم ذلك الجهاد الذى قام به أثناسيوس ذلك المثل الذى اشتهر حينئذ القائل :

« كل العالم ضد أثناسيوس وأثناسيوس ضد العالم »

قال أحدهم « ولعل الترجمة اللاتينية لهذه العبارة التاريخية أصل المثل الافرنجى المشهور Athanasius Contra Mundum أى أثناسيوس ضد العالم الذى يضرب لمن يثبت على رأيه رغم اجماع الناس على معارضته » أه

فلا غرو اذا نظم فيه شاعر الفرنجة من قصيدة سماها « القيثاره الرسولية » قوله :

اضحى ملك القلوب طرا
فازداد قدسا ونال برا

اثناسيوس العظيم قلبا
من بولس زانه رداء

وبلغ اعجاب الغربيين به ان نقلوا رفاته تدريجا نحو بلادهم من الاسكندرية الى القسطنطينية فالبنديقية ففرنسا فاسبانيا (١)

وللقديس أثناسيوس مؤلفات عديدة جدا وكلها تبحث خصوصا عن البدعة الارىوسية وما يتعلق بها وهى هذه :

(٢) رسالة فى التجسد

(١) رسالة ضد الامم

(٤) خطاب ضد الارىوسيين

(٣) أربع رسائل ضد الارىوسيين

(٥) رسالة فى هربه

(٦) احتجاج بعث به الى الامبراطور قسطنطين الكبير .

(٧) تاريخ البدع الارىوسية والمانيكية

(٨) كتاب فى تجسد الكلمة

(١) وقد احضر رفاته الى مصر فى عهد البابا شنودة الثالث فى ١٠ مايو سنة ١٩٧٣ م (الناشر)

- (٩) رسالة جامعة الى الاساقفة
- (١٠) رسالة فى قوانين مجمع نيقية
- (١١) رسالة الى أسقف مصر وليبية
- (١٢) أربع رسائل الى سيرابيون
- (١٣) رسالة مجمعي أرمينى وسلوكية المحليين
- (١٤) رسالة الى روفس
- (١٥) رسائل الى أهالى انطاكية
- (١٦) جدول الاسفار الالهية

وله أيضا رسائل فى الخطيئة غير المغفورة وفى سفر المزامير وغيره من اسفار العهد القديم وكذلك تنسب اليه سيرة انطونيوس الناسك

والآن نأتى بذكر بعض ما أثبتته العلامة ستانلى من نواذر البابا أثناسيوس وأقواله وآرائه ننقله ملخصا : (٢)

قيل انه سئل عن رأيه فى عماد الاشخاص وهم على فراش الموت فأجاب بهذه الاستعارة المضحمة « لقد قال أحد الملائكة لسلف سلفى (أى البابا بطرس خاتم الشهداء) « لم ترسل الى هذه الخرائط محكمة الختام وهى خالية حاوية لاشىء فيها ؟ »

وكان مارا ذات يوم فى احدى ساحات الاسكندرية فلقى دهما من غوغاء الوثنيين وحدث أن غرابا كان طائرا ينق من فوقه وهو مار فسأله الغوغاء سخريه ومزحا ماذا يقوب الغراب فضحك أثناسيوس من وراء كفه ثم التفت اليهم مجيبا بقوله (ألا تسمعونه يقول لكم « غاق غاق غدا غدا » فهو يندركم بشر لا حق بكم غدا اذ يصدر الامبراطور أمرا رسميا بمنع اقامة عيدكم الوثنى) وفعلا تم فى الغد ما أنبأهم به من قبل حتى بهتوا ولم يدروا كيف أتاه العلم بتعطيل عيدهم

أما الآراء المسيحية التى كان له الفضل فى الدفاع عنها وحفظها سالمة فمنها

(١) كانت عقيدة اريوس التى تقول بفصل الآب عن الابن مأخوذة عن مبادئ تؤدى الى تعدد الآلهية أو بالحرى اعتقاده أن المسيح من جملة المخلوقات جعل عبادته وثنية ومحضة فقاوم البابا أثناسيوس هذه البدعة معتبرا أن اتحاد الابن بالآب ضرورى لفهم الاعمال الالهية على الوجه الافضل

(١) عن مجلة الكرمة ٩ : ٤ و ٥ و ٧ معربا بقلم داود افندى غالى

ولما كان فى الكتاب ما يدل على عدل الآب ورحمة الابن اهتم البابا اثناسيوس ليزيل كل اعتراض بالتوفيق بين العدل والرحمة . على أن رأيه الاساسى كان ان « الفدا » نشأ عن الحب الغير المنقسم الصادر من الآب والابن على السواء لارجاع الانسان الى الاتحاد بالله

(٢) وكان من رأى اريوس عدم امكان فهم ما يختص بالله الغير المحدود بعقل الانسان المحدود حتى انه قال « ان الله غير مدرك ليس من الناس وحدهم بل أيضا من نفس الابن الوحيد المولود » (١) فنهض البابا اثناسيوس مناديا بكمال الآداب والطبيعة الالهية معلما أن الكمال الالهى انما يتمثل أمامنا ونتعرف به فى صورة الكمال البشرى

(٣) وكان اريوس يعتقد بوجود ذوات أخرى تجمع بين صفات الله وبعض صفات الانسان دون البعض الآخر فانتقل بذلك الى الاعتقاد بدين يخلط ما بين المسيحية والخرافات الوثنية فاثبت البابا اثناسيوس أن الدين ينحصر بين اثنين فقط الله والانسان وحفظ المسيحية ببساطتها من تلاعب أهل البدع

(٤) وكان يذهب البابا اثناسيوس الى اعتبار الاناجيل الاربعة متفوقة عن باقى أسفار الكتاب المقدس اعتقادا منه بأن سر التجسد يتطلب ذلك . وهذا التفوق لا يعتبر امتيازاً كما توهم البعض بل اظهاراً لان سر التجسد هو النقطة الجوهرية فى الديانة

وكان فى أوئل القرن الرابع ان قام خلاف بسبب أسفار الانجيل فوضع البابا اثناسيوس جدولاً بالاسفار الصحيحة الموجودة بيننا الآن وسارت كنائس الشرق والغرب على ترتيبه وسقطت الاسفار المزورة

ومن محاسن أعمال البابا اثناسيوس وفضائله وتسامحه العجيب ما يأتى :

(١) الف بين المتوحدين الذين كانوا يعتبرون التزهد التعبدى أفضل من اصول الدين وبين الرهبان الذين كانوا يعتبرون هذه أفضل من ذاك فكان يجتمع بالطرفين وقال غريغور يوس النزى انه كان يبرهن للمتوحدين على ان الدين يستطيع أن يكون فلسفياً و يعلم الرهبان بأن الفلسفة فى حاجة لارشاد الدين

(٢) ومما وضعه من القوانين فى مجمع نيقية ان لا يرسم أسقف بأيدى أقل من ثلاثة أساقفة وحدث أن أسقفا توسم الكفاءة فى شاب فرسمه اسقفاً فلم يشأ البابا اثناسيوس أن يتمسك بحرفية المبدأ عندما تأكد من كفاءة الاسقف الموسوم بل زاد أن رقاها مطرانا

(٣) ومع انه اول من وضع كلمة (اومثوسيسوس) أى « مساو فى الجوهر » وقد كان هذا التعبير محبوبا لديه للغاية ولبت يعلم به طول حياته وكان قد أقنع مجمع نيقية بضرورة استعماله الا انه اضطر أن يترك استعماله لما رأى كثيرين يسيئون فهمه

(٤) وعقد البابا اثناسيوس مجمعا عاما سنة ٣٦٣ م للبحث فى أمر الذين كانوا قد ضلوا مع الار يوسيين وأتوا الآن خاضعين نادمين فحكم بقبولهم ووافق الكل على حكمه

وفى هذا المجمع عمل على حسم الخلاف العظيم الشأن الذى قام حينئذ بين اللاتين واليونان على بعض الفاظ فكان اللاتين يستعملون لفظة « ايوستاتيس » بالمعنى الذى وردت به فى قانون الايمان النيقاوى أى كمرادف لللفظة « أوسيا » و يترجمونها بلفظة الجوهر Substantia التى هى ترجمة حرفية لللفظة الاصلية « ايوستاتيس » أما اليونان فكانوا بدأوا يستعملون هذه اللفظة بمعنى « ابروس أو بون » أى « شخص وذات » ودعوا اللاتين سابيلوسيين (أى مفرقى الاقانيه على مذهب سابيلوس) وفى الوقت نفسه اتهم اللاتين اليونان بانهم اريوسيون . واقترح بعضهم ازالة للخلاف أن تستعمل اللفظتان معا

فلما رأى البابا اثناسيوس نيران هذا الخلاف تستعرج جمع بين الفريقين وخاطبهما بشفقة مبينا لهما صحيح المعنى المقصود فاذا كلا الفريقين متفق معه فيما أراد فلما أنس منها أن لا اختلاف بينهم أجاز لكل منها اختيار ما يشاء من الالفاظ بعد أن قيدهما بما يراد به من الحقائق

(٥) وآخر فضائله انه قام بنصرة القديس باسيليوس الذى كتب اليه يستغيث به من شعبه الذى يعده من أهل البدع فأرسل البابا اثناسيوس خطابا لاهل آسيا الصغرى يقول « ان الذين يتهمون القديس باسيليوس يعذبون أنفسهم لغير داع الا انه قد تنزل لضعف الضعفاء فعدوا أنفسهم سعداء اذا تولى رعايتكم مثل هذا الرجل الممتلىء حكمة وصدقا » أهد وقد كان القديس باسيليوس يشتهى أن يرى من أحسن اليه ولكن حالت الايام دون امنيته فكتب يصفه عن بعد ملقبا اياه بصموئيل الكنيسة ومثله بمنارة فاروس بالاسكندرية مشيرا بذلك الى انه كان نورا وهدى للكنيسة فى عصره وستكون تعاليمه نهرا سالها فى مستقبل عصوره

(٥) بطرس^٢ — البطريرك الحادى والعشرون :

كان تلميذا للبابا اثناسيوس الرسولى فتهذب بعلمه وتمثل بقداسته حتى رآه معلمه جديرا بالارتقاء الى رتب الكهنوت فرسمه قسا ونظمه فى سلك اكليروسه وبعد ذلك سامه أسقفيا ولكثرة ثقته بعلمه وتقواه أوفده الى سورية سنة ٣٧١ م لمقاومة انتشار البدع فيها بالاشتراك مع القديس باسيليوس الكبير اسقف الكبادوك فى ذلك الجهاد . ولما شعر القديس اثناسيوس بقرب حلول الاجل أوصى بتعيينه خلفا له فاطاعة لامره ولمعرفة الشعب بما كان متصفا به من الفضائل أجمعوا

على انتخابه ورفعوه الى الكرسي المرقسى فى شهر بؤونة سنة ٩٠ ش و ٣٧٣ م فى عهد فالنص قيصر
وكان معلمه اثناسيوس قد غرس بفؤاده أصل الكراهة للهراطقة فنسج على منواله فى
محاربتهم الامر الذى ذكر الار يوسيين باخذاهم المتوالى أمام القديس اثناسيوس فهاج لذلك
هياجهم وقامت قيامتهم على البابا بطرس ووشوا بحقه لدى الملك فالنص الار يوسى بانه لا يستحق
أن يكون بطريركا للاسكندرية فصادف قولهم ارتياحاً من فالنص ولشدة تغيظه من أن المصريين
انتخبوا لهم بطريركا حسب اختيارهم أراد أن ينتقم منهم فى شخص بطريركهم

وكان يوجد رجل مصرى ار يوسى يدعى لوسيوس نال رتبة الاسقفية بطريفة غير قانونية
خارج القطر المصرى وقد طمع فى الاستيلاء على الكرسي المرقسى فى عهد البابا اثناسيوس وقدم
للاسكندرية لنوال بغيته ولكنه ما كاد يصل الى بيت أمه حتى انتشر حوله الارثوذكسيون كالجوارح
وحاولوا الفتك به لولا ان والى مصر انقذه من ايديهم وطرده الى خارج القطر المصرى لينج

فهذا الشقى لما رأى أن فالنص صدق نيمة الار يوسيين ضد البابا بطرس انتهم
لقضاء مأربه فرضى به الملك بديلا للبطريرك الاسكندرى وفى الحال أرسل الى بلاديوس والى
مصر الار يوسى يأمره بنفى البابا بطرس ليأخذ مركزه لوسيوس الهرطوقى . وسار لوسيوس الى مصر
وخوفا من هياج الشعب عليه أرسل معه القيصر جيشا جرارا تحت قيادة ماجينوس أمين خزينة
المملكة واوزو يوس بطريرك انطاكية الدخيل وهجم القائد على الكنيسة التى كان فيها البابا
بطرس رجاء اغتياله ففر البطريرك هاربا واختفى فى قصر خرب قريب من شاطئ البحر وهناك
كتب رسالة رعويه لم تزل باقية الى الان يصف فيها هذه الحوادث التى وقعت يومئذ

وكان داماسوس أسقف رومية قد أنفذ رسولا من قبله الى الاسكندرية يحمل رسائل سلام
ومحبة الى البابا بطرس فعند وصوله قبض عليه الوثنيون وسجنوه ليشغل فى المناجم واذا رأى
البطريرك الاسكندرية انه لا فائدة لرعيته من استسلامه للهلاك حول وجهه شطر مدينة رومه
ليختفى فيها من وجه الشر ووصل اليها سنة ٣٧٤ م فقابله أسقفها داماسوس بما يليق به من الاحرام
واستضافه عنده خمس سنوات كاملة

وكان ذهاب البابا بطرس الى روميه من حسن حظ كنيستها اذ انه حرك الاسقف
"رومانى على ان يعقد مجمعا مكانيا يحرم فيه بدع ابوليناريوس ومارسيل ومكدنيوس لينفى عن
كنيسة رومية شبهة موالاتها للهراطقة . فخضع داماسوس لمشورته وعقد ذلك المجمع سنة ٣٧٨ م
وحرمت تلك البدع وكان القديس ملانيوس أسقف انطاكية قد اجتمع وقتئذ بتلك المدينة هو و
١٤٦ أسقفا شرقيا فبعث لهم داماسوس بقرار ذلك المجمع فصادقوا عليه جميعهم فالفضل فى تطهير
كنيسة رومية من البدع حينئذ راجع الى الكنيسة الاسكندرية الا انها فتحت صدرها للخرافات
والبدع بعد انفصالها عن تلك الكنيسة المجيدة مركز الارثوذكسية وخزانة التعاليم الرسولية

أما لوسيوس الار يوسى الاسقف الدخيل فحضر بمن معه من الجنود الى الاسكندرية ودخل اليها دخول الظافر المنتصر فأكرم والى مصر وفادته وساعده على اختطاف الكرسي المرقسى اختطافا وجلس عليه بالقوة رغم ارادة الشعب الذى أبى مطلقا أن يعترف بهذا اللص رئيسا عليه . وهجر الارثوذكسيون الكنائس مفضلين الاقامة بمنزلهم على الصلاة خلف الهراطقة . ولما نصحهم القائد وأبوا قبول نصيحته اضطهدهم بشدة

غير أن الشعب مع كل ما حل به من الويلات لم ينفك طالبا عزل لوسيوس الدخيل واعادة بطريركهم وأساقفتهم المنفيين وكانوا اذا رأوه يقولون له « انك يا لوسيوس تحارب الله باضطهاد قديسيه » وفى شهر مايو سنة ٣٧٨ م اذا كان الملك فالنص مشغولا بمقاتلة سكان شمالى أوربا رجع البابا بطرس من رومية الى الاسكندرية وأجلسوا بطريركهم الشرعى على كرسيه ثانية . فاشتكى لوسيوس الشعب الاسكندرى الى فالنص ولكن هذا لم يلتفت اليه لانهماكه فى الحرب ثم قتل الملك الار يوسى فى السنة ذاتها فخابت آمال لوسيوس

ولما رأى الملك ثيودوسيوس الذى خلف فالنص ان كنيسة القسطنطينية قد تأخرت وانحط شأنها بسبب اهتمام ملوكها باضطهاد الارثوذكسين أناط البابا بطرس القبطى باصلاحها وذلك لشقة الملوك العظمى فى رؤساء الكنيسة القبطية . فاستمر البطريرك الاسكندرى مدة يعالج أمراض كنيسة القسطنطينية وبعد ذلك كلف صديقه البارغريغور يوس النزينى بالاهتمام بها فلبى طلبه وبدأ باتمام عمله . ورفع مسيحيو القسطنطينية عريضة لاغريغور يوس ممهورة بامضاء عدد كبير من الاساقفة ومصدق عليها من بابا الاسكندرية يطلبون فيها ان يأتى اليهم لاصلاح كنيستهم فقبل الطلب وجاء الى القسطنطينية ورسم عليها بطريركا واهتم باعادة مجد الكنيسة اليها ومع انه رفض كثيرا أن يرتقى الى رتبة الكهنوت ولكنه قبل اكراما لخاطر صديقه البابا بطرس

غير ان مكسيموس الكلبى وهو رجل ردىء السلوك تظاهر بالصدقة لاغريغور يوس وكان غرضه ان يدس له الدسائس لينال منه كرسى بطريركية القسطنطينية . وفعلا جاء الى الاسكندرية وأخذ يستعمل حيلته ومكره عند البابا بطرس ليحول نظره عن غريغور يوس و يقيمه بدله وكان مكسيموس يصف غريغور يوس بكل الصفات المذمومة فلبساطة البابا بطرس واخلاصه صدق وشاياته وأرسل وفدا الى القسطنطينية ليقوم بسيامة مكسيموس . وحال وصول الوفد كان غريغور يوس مريضا ولكن تقواه أجبرته على أن يذهب الى الكنيسة ليشارك مع المحتفلين برسامة قبول مكسيموس وثاروا عليه وطردوه من المدينة . فسار الى القيصر وتظلم لديه لكى يعيده الى مركزه فلم يصنع لشكواه فأتى البابا بطرس وطلب منه أن يستخدم نفوذه فى اعادته . وكانت أخبار صفاته السيئة قد وصلت الى مسامع البابا فلم يشأ أن يساعده بل طلب من الوالى ان ينفية فنفاه

(٦) تيموثاوس^١ — البطريرك الثانى والعشرون

جلس على الكرسي الاسكندري بعد بطرس أخوه تيموثاوس فى شهر برمهاث سنة ٩٧ ش و ٣٨٠ م فى عهد ثيودوسيوس قيصر وقيل انه كان يلقب بالفقير وذلك لانه وزع كل ما يمتلكه من حطام الدنيا . ومن أمره انه كان تلميذا للبطريرك القديس اثناسيوس الرسولى وشاطره فى كثير من أتعابه ومصائبه . وهو الذى فضح مكيدة الار يوسيين للقديس اثناسيوس فى مجمع صور وذلك عندما أتى الار يوسيون بالمرأة الزانية لكى تتهم اثناسيوس بأنه اغتصب بكارتها فوقف أمامها تيموثاوس وأوهمها بأنه هو اثناسيوس مما سجل على المرأة الكذب وعلى ومحرضيها الخجل

ولم تكن أتعاب هذا البابا بأقل من أتعاب سالفه فانه كان مشتركا مع أخيه البابا بطرس فى معظم أعماله وكان عضوا فى مجمع الاسكندرية الذى كان يقوم بتدبير شئون كنيسة القسطنطينية وله عمل شريف فى المحافظة على قانون المجمع النيقاوى بدون زيادة أو نقص وذلك فان الكنيسة القديمة لم تسلم الا بالعشرين قانونا النيقاوية ولكن أساقفة رومية اجتهدوا فى القرن الخامس ان يعتبروا بعض قوانين مجمع سرديكا كقوانين مجمع نيقية فقاومهم عند ذلك أساقفة افريقيا وأرسلوا الى بطاركة الاسكندرية وانطاكية والقسطنطينية يطلبون نسخا كاملة لكل القوانين النيقاوية المعروفة عندهم فنسخ البابا تيموثاوس العشرين قانونا الاصلية ووزعها على كل الكنائس معلما بأن الكنيسة لم تقبل الا هذه العشرين قانونا

وفد ابتداء جهاد هذا البابا بعد ذلك فانه ما كادت الكنيسة تتطهر من وباء بدعة أريوس حتى ظهرت هرطقة أخرى قام بنشرها مكدونوس النصف الار يوسى بطريرك القسطنطينية ومؤداها انكار الوهية الروح القدس . فانعقد بسببها المجمع القسطنطينى (المسكونى الثانى) سنة ٣٨١ م كما سيأتى وحضره البابا تيموثاوس ورهط من أساقفته واشترك مع أعضاء هذا المجمع فى القضاء على تلك البدعة وحرّموا أيضا اناسا آخرين لعقائد أخرى شنيعة تظاهروا بها فى المسيح

وكان لكرسى الاسكندرية المركز الاول بين كراسى المسكونة أجمع ولكن لما أخذ هذا المجمع فى أن يجعل هذا الكرسي فى الدرجة الثانية بعد رومية والقسطنطينية التى دعيت « رومية الجديدة » مراعاة لخاطر ملكى رومية والقسطنطينية اللذين أرادا رفع شأن اسقفيتى عاصمتهما انسحب البابا تيموثاوس هو واساقفته من المجمع وعاد الى مصر احتجاجا على تصرف المجمع المخالف لتصرف الكنيسة بالاجماع مدة نحو أربعة قرون

واستمر البابا بطرس بعد ذلك مواظبا على رعاية شعبه كوكيل أمين حتى أتم جهاده وتنيح فى ٢٠ أمشير سنة ٩٧ ش وفى شهر فبراير سنة ٣٨٠ م

ورجع البابا تيموثاوس الى الاسكندرية وصرف ما بقى من حياته فى اتمام ما رآه واجبا عليه عمله فكتب تاريخا لحياة كثيرين من القديسين ووضع قوانين للكهننة وفى ايامه بنيت عدة كنائس واستتيعب جماعة كثيرة من مقالة اريوس ثم رقد فى الرب فى ٢٦ أبيب سنة ١٠٢ ش و ٣٨٥ م

(٧) تاوفيلس — البطريرك الثالث والعشرون :

روى عنه يوحنا النيقاوى المؤرخ القبطى انه ولد من ابوين مسيحيين فى مدينة ممفيس وتيم منها وهو طفل وله أخت صغيرة فقامت بتربيتها جارية حبشية وثنية كانت لابوئها . وحدث انها ذات ليلة أخذتها معها الى الهيكل لتؤدى فروض العبادة الوثنية فحال دخولها سقطت الاصنام الى الارض وتحطمت . ففرت بها الجارية خوفا من انتقام كهنة الوثنيين واختفت قليلا ببلدة نيقىوس ثم جاءت الاسكندرية . وقد دبرت العناية الالهية أن تأخذها الى كنيسة مسيحية لكى تعرف هذا الدين الذى طرقت شهرته كل اذن . فولجت باب كنيسة القديس ثاؤنا وجلست بازاء كرسى القديس اثناسيوس الذى لما رآها مع الطفلين أمر بابقائهم حتى تنتهى الخدمة . ثم استخبرها البطريرك عن حقيقة حالها ولما قصت عليه خبرها ردها الى الديانة المسيحية وأخذ منها الطفلين ووضعها تحت عنايته الخصوصية . ولما كبرا قليلا وضع الفتاة فى دير لبثت به الى يوم زواجها برجل من بلدة المحلة (غربية) وفيها ولدت كيرلس الذى صار فيما بعد خلفا لخاله تاوفيلس

اما تاوفيلس فنظمه القديس اثناسيوس فى سلك تلاميذه فمما عالما تقيا ولما شوهده من الخلق والنشاط اختاره معلمه كاتبا لاسراره بعد أن رقاها الى درجة الكهنوت . وبعد وفاة معلمه استمر فى مدينة الاسكندرية يخدم فى كنائسها الى أن رقد البابا تيموثاوس فانتخب بطريركا مكانه بالاجماع فى شهر مسرى سنة ١٠٢ ش و ٣٨٥ م فى عهد ثيودوسيوس قيصر لما رآه فيه الشعب من حسن السيرة وعظيم الغيرة على دين المسيح مما جعله موضعاً لثقة ثيودوسيوس الملك الارثوذكسى الذى امر بتعميم الديانة المسيحية فى كل مكان واعتبارها الديانة الرسمية للمملكة الرومانية

ومما يدل على ثقة هذا الملك بالبطريرك الاسكندرى تكليفه اياه بأن يصلح ما وقع من الخلل ثانية فى مسألة عيد الفصح فانه فى سنة ٣٨٧ م صار الفرق بين العيد المصرى والعيد الرومانى مدة خمسة أسابيع كاملة . فوضع البابا تاوفيلس تقويميا للاعياد لمدة ١٨ سنة ووضع جدولا يحتوى على الايام التى يقع فيها عيد الفصح لمدة مائة سنة ابتداء من سنة ٣٨٠ م ولا تزال صورة هذا التقويم باقية الى يومنا هذا وفيها أوضح البطريرك بأن السيد المسيح صلب فى اليوم الخامس عشر من شهر نيسان (أبريل) لا فى الرابع عشر منه ثم وضع هذه القاعدة وهى : « اذا كان اليوم الرابع عشر من الشهر القمري يوافق يوم الاحد فعيد الفصح يتبعه بأنبوع » أهـ

ثم ان البابا ثاوفيلس دخل يوما يصحبه بعض الرهبان الى بستان للقديس اثناسيوس فتذكر انه كان يأكل مرة مع معلمه هذا وهو كاتم أسرار له القديس انه يشتهي ان ينظف الاكوام التي رآها وبنى في موضعها بيعة على أسمى الإشع النبي و يوحنا المعمدان فتحدث بذلك كثيرا فسمعتة امرأة كانت قد اتت من رومه بعد وفاة زوجها ومعها ولدها وصورة الملاك روفائيل فتحركت بغيرة الهية وقدمت الاموال اللازمة لتنظيف الاكوام وبعد اتمام العمل ظهر كنز مغطى ببلاطة قد نقش عليها ثلاث ثيئات (جمع حرف ثيتا القبطى) اشارة الى (ثاؤس) أى الله وثيودوسيوس أى الملك وثاوفيلس أى البطريك وقد استدل مما كتب على البلاطة أن ذلك الكنز يرتقى الى عهد الاسكندر الاكبر المكدونى فأخبر البطريك الملك ثيودوسيوس بأمر الكنز فقام الملك الى الاسكندرية بنفسه وعاین الكنز ثم اقتسمه بينه وبين ثاوفيلس فأنشأ البطريك بنصيبه كنيسة فى جانب البستان وكنائس جهة على اسم السيدة العذراء والملاك روفائيل فى جهات مختلفة بالاسكندرية . ثم شاد جملة إديره منها « الدير المحرق » (١) ورسم ولدى المرأة فيما بعد أسقفين

وكان القديس اثناسيوس قد تنبأ عن تلميذه ثاوفيلس قائلاً « انه سيكون مطرقة قوية لهدم معابد الوثنيين » فبدأت هذه النبوة تتم عندما رأى هذا البابا أن المسيحيين فى مصر قد كثر عددهم وقل عدد عبدة الاصنام ونجم عن ذلك ازدحام شديد فى الكنائس اثناء احتفالات النصارى فى اعيادهم رغما عما جدد من الكنائس فخطر له بعد استشارة اعيان الشعب أن يخاطب الملك ثيودوسيوس لكى يستصدر منه أمرا بتحويل معابد الاصنام المهجورة الى كنائس . فوهبه القيصر جميع هياكل الوثنيين ليستولى عليها و يتصرف فيها كما يريد وأمر والى مصر ايفاجريوس أن يساعده نبوته اذا تعرض له أحد (١)

فبدأ البطريك سنة ٣٨٩ م بهدم اطلال هيكل دارس خاص بباخوس (اله الخمر) فى الاسكندرية وبنى مكانه بانقاضه كنيسة باسم الملك ثيودوسيوس وبينما كان البناءون قائمين بالبناء عثروا على تماثيل قبيحة الشكل عرضها البابا ثاوفيلس للفرجة اظهارا لقبح الديانة الوثنية فتهيج لذلك الوثنيون وقد زادهم غضبا علمهم بأن ديانة المسيح ترتفع على اطلال ديانتهم فاعتصبوا على المسيحيين بقيادة الفيلسوف أوليبوس وفتكوا بكثيرين منهم وكانوا يقتلون كل من رأوه مارا بالشوارع حتى اضطر الوالى ^٢ يخاطب الملك عما يعمل به تلقاء هذه الحالة . فرد هذا عليه بأن المسيحيين الذين قتلوا يعتبرون شهداء ولذلك ينبغى مساححة قاتليهم من الوثنيين

(١) سمي المحرق لوجوده بقرب حوض زراعى اشتهر بالحوض المحرق وذلك لنضوب المياه منه قبل غيره من الخياض

(١) يلاحظ فى هذا المقام ان كثيرين يتهمون البابا ثاوفيلس بالتعدى على حرية الاديان لهدم معابد الوثنيين لكن يلاحظ أيضا انه لم يقدم على ذلك الا لما رآها مهجورة لا تجرى فيها عبادة فان قسطنطين الملك كان قد ابطال الذبائح الوثنية خصوصا التى كانت تجرى تحت جناح الظلام لانها كانت ذبائح بشرية تعتبر كقتل وجنایات فظيعة . فضلا عن ذلك فان معابد اليهود كانت موجودة ومع ذلك لم يتعرض اليها البطريك لانهم كانوا يقيمون فيها عبادتهم

فلما رأى أهل الاسكندرية ذلك ثارت ثورتهم على الاقلية الوثنية منهم فتحصن هؤلاء فى هيكل سيرابيوم وأخذوا يدافعون عن أنفسهم و يصدون هجمات الجماهير العديدة التى قامت ضدهم . وكان هيكل سيرابيوم هذا على جانب عظيم من المتانة والاتساع وكان مبنيًا على قمة تل يصعد اليه بسلم يبلغ مائة درجة وكانت حجارته من الرخام والمرمر وحيطانه من داخل مغطاة بالنحاس والفضة والذهب . وفى وسطه ردهة واسعة وتحت سراديب وطرق سرية وهو مقسم الى غرف يختص بعضها بالكهنة وبعضها بالمصلين وبعضها بالضيوف وفيه مكتبة كبرى

ففى هذا الصرح الشامخ تحصن الوثنيون وكانوا كلما شاهدوا مسيحيا قريبا منهم قبضوا عليه وجذبوه عندهم وعذبوه لكى يبخر لاصنامهم واذا أبى كانوا يقدمونه ذبيحة وقد افتخر بعد ذلك هيلاريوس كاهن الاله جوبيتير بانه ذبح مرة بيده تسع ذبائح آدمية على مذابح الاصنام الكاذبة . ولما ازدادت تعدياتهم نصحتهم الوالى بالحسنى ليكفوا عن شرهم ولكن أولمبيوس قائدهم كان يغريهم بفصاحته على عدم التسليم . ولما لم يذعنوا اضطر القائد اخيرا أن يشهر أمر الملك القاضى بهدم هيكل سيرابيوم . فوقع الرعب فى قلوبهم وتركوا الهيكل تحت جنح الظلام وتفرقوا أيدي سبا فلما علم ذلك الوالى والبطريرك أتيا باحتفال عظيم لكى ينتنضا هذا الهيكل وكان آخر ما بقى من آثار الديانة الوثنية .

وكان فيه صنم كبير جدا يده ممتدتان من الحائط الواحد الى الآخر وهو مصنوع من الخشب ومغطى بالمعادن ومطعم بجارة كريمة وقد اسود لونه لتقدم عهده اذ كان موضوع اجلال المصريين مدة ٦٠٠ سنة وكانت تخرج منه أصوات لا يعرف مصدرها فكانوا يعتبرونها دليلا على عظمة هذا الاله الكاذب . فلما تقدموا لتحطيم ذلك الصنم خاف بعضهم اذ كانوا لا يزالون مصديقين بخرافات أجدادهم ووقفوا جامدين ظانين انه اذا كسر هذا الصنم يخرب العالم ولكن البطريرك أمر جنديا باجراء العمل حالا فرفع يده وضرب الصنم ضربة ازعجت جميع المشاهدين كأن عدوا قويا فاجأهم . ولكنه على أثر ضربة أخرى انكسرت بها رأس الصنم تحول خوفهم الى ضحك عندما رأوا انه قد خرج من جوفه جملة فيران كانت معششة فيه وحينئذ تقدم الآخرون وأكملوا تحطيمه وأحرقوه وذرروا رماده فى الريح ونقضوا جميع أبنية هذا الهيكل وبنوا فوقها كنيسة احدى شيديت فى مكان معبد ايزيس وسميت باسم الملك هونوريوس والآخرى أقيمت على الاطلال معبد سيرابيوس وعرفت باسم الملك اركاديوس

وقد كتب سقراط المؤرخ الكنسى فيما بعد عن ذلك الهيكل ما يأتى — « عندما تهدم هيكل سيرابيوس وأصبح أنقاضا بالية وجدت كتابة منقوشة على حجارته باللغة الهيروغليفية لها شكل صليب وهيئته تماما . فلما رآها المسيحيون والوثنيون قال كل فريق منهما ان هذه شارات ودلائل من ديانتنا خاصة بنا دون الغير ذلك لان المسيحيين يعتقدون أن الصليب علامة الفداء وتذكار الخلاص

الذى عمله المسيح للجنس البشرى ولذلك قالوا ان هذه الاشارات التى وجدت على الحجارة تدل على ديانتهم وتنسبىء بها . أما الوثنيون فقالوا لا يبعد أن تكون هذه العلامات دلائل على المسيح وسيرابيس فى آن واحد وذلك لانها مشتركة بين المسيحيين من حيثية الشكل وبين الوثنيين من جهة الكتابة والحفر . وبينما كان الطرفان يتباحثان ويتجادلان فى هذا الشأن ظهر لهم وثنى اعتنق الديانة المسيحية وكان ملما بمعرفة الهيروغليفية عارفا باللغة المصرية القديمة فترجم لها هذه الكتابة الموضوعية بشكل صليب واذا هى « الحياة الآتية » فلما سمع المسيحيون هذه الترجمة قالوا لم يبق بعد دليل على انها تشير الى دياتنا وانها وضعت لتنبىء عنها . ثم ظهرت كتابات أخرى باللغة المصرية أوضحت معنى شكل الصليب هذا ايضا حاتما ومعناها « انه عندما يبتدىء الناس يعيشون العيشة الجديدة (أى يصيرون مسيحيين) فلا بد من سقوط هيكل سيرابيوم) فلما طرق هذا القول مسامع الوثنيين اقتبل الكثيرون منهم الديانة المسيحية معترفين بخطاياهم تائبين الى ربهم عما فرط منهم ثم تعمدوا بمعمودية التوبة الصحيحة » أهـ

وكان لنهر النيل مقياس محفوظ فى هيكل سيرابيوم من عهد حكم البطالسة وقد نقله قسطنطين القيصر الرومانى الى كنيسته الكبرى سيزار يوم ثم أعيد الى هيكل سيرابيوم بأمر يوليانوس الجاحد . ولما هدم هذا الهيكل حمله المسيحيون باحتفال عظيم الى كنيسته مما حدا بالوثنيين لان يتنبأوا بغیظ بأن الآلهة ستنتقم منهم بانقاص مياه النيل جزاء اهانتهم لها . واتفق أن النيل فى تلك السنة لم يرتفع الى معدله فظن ضعاف العقول من الوثنيين أن ذلك نتيجة انتقام الاله سيرابيوم وأخذوا ينقمون على البطريك والوالى فكتب هذا الى القيصر يخبره بالامر فرد عليه قائلا « اذا كان النيل لا يفيض الا بواسطة السحر أو الرقى أو بذبح الذابائح وتقديم المحرقات للاوثان فخير له أن لا يفيض وأن تبقى مصر ظمآنه الى الابد »

وقد ذهب البابا ثاوفيلس بعد ذلك الى القسطنطينية مرتين الاولى فى سنة ٣٩٤ م ليحضر مجمعا عقد لفحص بعض المسائل وللحضور الاحتفال بتشييد كنيسة كبرى بنيت على أسمى الرسولين بطرس و بولس . وذهب ثانية فى سنة ٣٩٨ م ليقم القديس يوحنا فم الذهب بطريركا على كرسى القسطنطينية وعاد الى كرسية

وفى سنة ٣٩٩ م قصد البابا ثاوفيلس أن يضع حدا للخلاف الذى كان قائما بين يوحنا أسقف أورشليم وهومن رهبان وادى النطرون وبين أورنيموس وكان الخلاف بسبب العلامة أوريجانوس فرد أورنيموس بجواب جاف على البابا ثاوفيلس يقول « انك لم تعرف كيف يكون الجدل والمناقشة لانك تعيش مع رهبان يحلون قدرك ويرفعون مقامك »

وكانت حياة البابا ثاوفيلس فيما بعد ذلك مملوءة بالقلق والاضطرابات وقد بدأت أتعابه بسبب يدعة انتشرت بين رهبان سكيثى كان رأسها أفوديوس من بين النهرين مؤداها ان الله ذو

صورة بشرية وذو أعضاء جسمية . وفى نفس تلك السنة نشر البطريرك رسالة عيد الفصح السنوية فاغتياظ أولئك الرهبان من عبارة وردت فيها وهى قوله « ان الله روح لا يدركه الفهم وليس هو مجرد انسان يقع تحت الحد والحصر » فهاج لذلك هياجهم على البطريرك لما رأوه يخالفهم فى الاعتقاد وترك أكثرهم صوامعهم وجاءوا كجيش جرار الى الاسكندرية وعزموا على الفتك بالبطريرك حالما يقع بصرهم عليه واحتشدوا حول داره وهم يتهددونه ويتوعدونهم . واذا رأى أن قلوبهم ملأى بالغىظ ولم يجد له عضدا أسرع الى مرتفع وصعد عليه وخاطبهم بعبارات رقيقة تهدىء الخواطر الهائجة ومن ذلك قوله لهم « اننى اذا رأيت وجوهكم أشعر كأنى أشاهد الله لانكم على صورته ومثاله » فسكن ثورانهم قليلا وكانوا يظنون ان العبارة التى أوردها عن الله فى رسالة عيد الفصح اقتبسها من مؤلفات أوريجانوس ولذلك طلبوا اليه بشدة أن يحرم أوريجانوس وكل من يطالع كتبه فوعدهم بذلك . ثم انعكف على مطالعة مؤلفات أوريجانوس اذ لم يكن قد طالعها قبلا فتبين من بعض ألفاظها ما يشعر بضلاله . وفى أوائل السنة التالية شكل مجمعا حرم فيه أوريجانوس وندد بتعليمه فى رسالة عيد الفصح

وكان يوجد بين رهبان جبل نيثريا (الفرما) أربعة اخوة يلقبون « بالطوال القائمة » نظرا لطول قامتهم كان أكبرهم يدعى أمونيوس وهو الذى سافر مع البابا اثناسيوس الى رومية وكان هؤلاء الاخوة من آب واحد وأم واحدة وقد اشتهروا بتقواهم الزائدة وغيبتهم الشديدة على الايمان . وكانوا للبابا ثاوفيلس خير نصير وأفضل مساعد فى ما قام به سابقا من جلائل الاعمال . لذلك رأى ضرورة مكافأتهم على خدمتهم له فعين أحدهم ديوسقوروس أسقفا لواحة هرموبوليس (المنيا والاشمونين) واستحضر لديه الباقين وأقام منهم يوساب وانثيموس قسيسين فى كنيسة الاسكندرية وهؤلاء الاخوة كانوا من أنصار العلامة أوريجانوس المولعين بمطالعة تصانيفه . فلما رأوا البطريرك قد شجب فيلسوفهم غضبوا وتركوا الاسكندرية بدون اذنه وعادوا الى قلايتهم بالدير والتجأوا الى رهبنتهم وتحزبوا معها وأرسلوا وفدا الى أحدهم ديوسقوروس أسقف هرموبوليس وطعنوا له فى ثاوفيلس وفى تنعم عيشته فقبل شكواهم وتحزب معهم وأصبح الرهبان منقسمين الى قسمين رهبان سكييتى الذين يعتقدون ان الله صورة بشرية ورهبان نيثريا الذين يعتقدون ان الله روح

ثم حدث حينئذ خلاف آخر بين البطريرك وبين ايسودوروس أمين صندوق كنائس الاسكندرية وكانا قبلا صديقين ويظهر ان العداوة نشأت أيضا بسبب ميل ايسودوروس لاوريجانوس والاخوة الطويلي القائمة (١) بدليل ان ايسودوروس رجع أيضا الى دير نيثريا وانحاز لمعضدى أوريجانوس مما حمل البابا ثاوفيلس على أن يظهر مقتته لمن خالفوه فى الرأى بسبب أوريجانوس وأرسل منشورا الى رهبان دير سكييتى يأمرهم فيه أن يتجنبوا أولئك الرهبان ثم قطع أسقف هرموبوليس لانه قبلهم فى شركته . فأرسل اليه رهبان دير نيثريا وفدا يرأسه أمونيوس أكبر

(١) ويروى أن سبب الخلاف هو ولع البطريرك بتشديد الكنائس والاديرة وصرف أموال طائلة عليها وكانت رغبة ايسودوروس توزيع المال على الفقراء والمساكين

الاخوة الطوال القامة ليحتج على تصرفه ضد أوريجانوس فكان هذا الاحتجاج سببا لزيادة الخلاف فرجعوا الى صوامعهم والغضب يملأهم . وخشى البطريرك نتيجة زرع الشقاق بين الرهبان فأخذ معه الوالى وقصد اليهم خوفا من تغديهم عليه وذلك لكى يقنعهم و يبرهن لهم من أقوال أوريجانوس انه مبتدع فلم يقتنع الرهبان وقفلوا كنيسة الدير فى وجهه وتسلحوا بالنبابيت المغطاه بسعف النخل ظنا منهم ان البطريرك أتى ليقنعهم بقوة الوالى فاستعدوا لمقاومة كل من يعترضهم وبذلك وقعوا تحت طائلة الحكم الذى يقضى بالحرم على كل من ينحاز الى أوريجانوس

أما الاخوة الطوال القامة فلما رأوا خطر مقاومتهم للبطريرك عظيما تركوا القطر المصرى قاصدين فلسطين وكان جماعة المسيحيين فى فلسطين يرمقونهم بعين الاحتقار والفتور لعلمهم انهم محرمون من بطريركهم ولكن بعض الاساقفة قبلوهم ولما لامهم البابا ثاوفيلس على ذلك لم يعودوا يمتزجون بهم

وكان عدد الرهبان التابعين للاخوة الطوال القامة يبلغ الخمسين فصمموا على الذهاب الى القسطنطينية لرفع دعواهم أمام بطريركها القديس يوحنا فم الذهب . وفى سنة ٤٠٤ مثل أمامه أولئك الرجال وهم بثياب رثة ووجوه شاحبة بسبب مشقة السفر فشقق عليهم وسألهم عما يطلبون فالتمسوا منه أن ينصفهم من بطريركهم أو يرفعون دعواهم الى الامبراطور . فوعدهم فم الذهب خيرا وأعطاهم أماكن لراحتهم وأخبرهم أنه سيكتب أخاه ثاوفيلس فى أمرهم . وكان حينئذ بالبلاط الملكى بعض اكليروس الاسكندرية الذين كانوا قد جاءوا اليه لاشغال تختص بوظيفتهم . فلما استشارهم فم الذهب فى الامر حذروه من قبولهم فى شركته لان بطريركهم منعهم وقد حرمهم وانه اذا قبلهم بدون اذن منه يعتبر عمله اهانة له

غير أن فم الذهب كان قد قبلهم فى شركته فلما أحس البطريرك الاسكندرى بذلك وبلغه ان الاخوة الطوال عازمون على رفع دعواهم للملكة افدوكسيا ظن ان فم الذهب هو المهيج لهذه الحركة وغدا الاخوة الطوال عنده أمرا ثانويا وعول على معاداة فم الذهب خصوصا عندما وصل اليه خطاب فم الذهب القائل « انى فحستهم باعتناء فلم أجد فى اقرارهم ما يخالف الحق على ان الحزن قد استوعب قلوبهم ويخشى أن يقدموا عليك الشكاية للامبراطور فأرجوا اذا أن تصفح عنهم لينتهى الامر والا طرحت هذه الدعوى المحزنة أمام المجمع » فغضب لذلك البابا ثاوفيلس غضبا شديدا ورد عليه بغيط قائلا « اذا كنت لم تقف على مضمون الدستور الذى وضعه المجمع النيقاوى القاضى بعدم تداخل أسقف أو بطريرك فى المسائل التى لا تنحصر ضمن دائرة سلطته فأرجوك أن تتطلع على هذا القانون وتدرسه حتى تريح نفسك من التعرض لى وتكف عن الصدام والجدال معى . أما اذا قضى على الزمان بالمحاكمة فسوف يحاكمنى أساقفة مصر يون لا أنت ولا غيرك ممن هم بعيدون عنا يقتضى لوصولنا اليهم أو وصولهم الينا سفر ٧٥ يوما كاملا »

فقرأ فم الذهب هذا الخطاب الشديد اللهجة بالرضى والاذعان وأخذ يسعى جهده فى استرضاء خاطر الاخوة الطوال القامة ولكنهم أصروا على رفع دعواهم للملكة . وذات يوم بينما كانت افدوكسيا راكبة فى مركبتها الملكية تقدم الرهبان المصريون وطرحوا أنفسهم أمامها وشكوا اليها حالتهم فوعدهم بالنظر فى طلبهم واستدعاء بطريك الاسكندرية الى القسطنطينية . وكان لهذه الامبراطورة تأثير يذكر على قلب زوجها فأقنعتة بضرورة عقد مجمع لمحاكمة ثاوفيلس يرأسه فم الذهب . وهذا العمل يعتبر من وجهة قانونية اجحافا بحق بطريك الكرازة المرقسية ولهذا عندما بلغه الخبر استحكم فيه سوء الظن بفم الذهب وكتب الى ابيفانيوس أسقف قبرص الذى كان ضريبا له فى شدة الكراهة لمؤلفات أوريجانوس وأفهمه بأن فم الذهب من أنصار ذلك العلامة . فعقد ابيفانيوس مجمعا من أساقفة قبرص وحرّم من يقرأ تلك المؤلفات . ثم تبعه ثاوفيلس فى عقد مجمع بالاسكندرية صادق فيه على قرار مجمع قبرص وأرسل قرار المجمعين الى فم الذهب الذى عرف من خلالها المكيدة التى تدبر له فقال « هذان الرجلان يريدان خلعي غير انى سأثبت فى مركزى لان الله هو الذى أقنى فيه »

وفى سنة ٤٠٣ م سافر البطريرك الاسكندرى الى القسطنطينية فاستقبل فيها باحتفال باهر من بحارة المراكب المصرية التى كانت راسية هناك حاملة ضريبة الخنطة . وكانت الاحوال فى القسطنطينية قد تغيرت وتحول قلب الملكة عن فم الذهب بسبب تبكيته لها على افراطها فى الخلاعة فطلبت الى البطريرك الاسكندرى أن يعقد مجمعا يحرم فيه فم الذهب ويحكم عليه بالنفى وقد تم ذلك فى مجمع عقد بالقرب من خلكيدون فى مكان جميل يدعى بالسنديانة ونفى فم الذهب رغما عن سخط شعب القسطنطينية على ذلك الامر . غير أن الله اعاده فى نفس ليلة نفية بسبب زلزلة كادت تقوض المدينة وترك البابا ثاوفيلس مدينة القسطنطينية راجعا الى الاسكندرية

غير انه بعد مدة نصبت الملكة تمثالا لها فى ساحة قرية من كنيسة أجياصوفيا فكانت أصوات الطرب حول تمثالها تختلط بأصوات المرتلين فى الكنيسة ولذلك ندد فم الذهب بهذا العمل تنديدا قاسيا فعملت مرة أخرى على التخلص منه فطلبت من الاساقفة عقد مجمع آخر يحاكمون فيه فم الذهب مرة أخرى وطلبت من البابا ثاوفيلس أن يحضر ولكنه أبى واكتفى بإبداء رأيه وهو « ان القانون الثانى عشر من قانون مجمع انطاكية المنعقد سنة ٣٤١ م قرر ان الاسقف اذا عزله مجمع ما لايسوغ ارجاعه الا عن يد مجمع آخر أعظم من الاول وان الاسقف اذا التجأ الى الامبراطور بغية رجوعه الى وظيفته بدون تبرئة المجمع له يجب عزله أبدا من الوظيفة الاسقفية » أهـ و بناء على ذلك نفى فم الذهب نفيا مؤبدا حيث قضى نحبه فى منفاه هذا

أما الاخوة الطوال القامة فكان قد تم الصلح بينهم وبين بطريركهم وذلك ان البابا ثاوفيلس كان قد اتهم فم الذهب فى مجمع (السنديانة) بأنه حرض رهبانه على العصيان عليه

فطلب المجمع الشهود فى هذه القضية فوجد ان ديسقوروس أسقف هريموپوليس قد تنيح ولم يبق سوى امونيوس أخيه الذى حمل الى السنديانة وهو يحتضر فلما رآه البطريرك فى حالة الموت ذرفت عيناه دمعا مدرارا من شدة التأثروزال من قلبه كل جفاء

ولا ريب ان تاريخ البابا ثاوفيلس قد تشوه بمقاومته لفم الذهب الرجل الذى أجمعت كل الكنائس على محبته ولكن التاريخ نفسه يخبرنا انه فيما بعد تجلّى له سوء صنيعه وشدة تطرفه ضد أخيه فم الذهب فندم على ما بدامنه ضده ثم قضى بقية حياته فى الاعمال النافعة فأضاف بعض القوانين الى الكنيسة يحتوى أحدها على أن الأكليروس يجب أن يختارهم الأكليروس عند تعيينهم ويختبرهم الأسقف و ينتخبهم الشعب بعد تمام رضائه ورغبته . ثم اشتغل فى انجاز بعض الامور المهمة بنشاط تام حتى أصابه الهزال والضعف ومات بارا تقيا كما يشهد بذلك مؤلف كتاب « الدلالة اللامعة » ص ١١٧ حيث يقول « أن ثاوفيلس قد مات بارا وانه معدود من كبار معلمى الكنيسة الجامعة » وكانت نياحته فى ١٨ بابه سنة ١٢٩ ش (١) و ١٥ اكتوبر سنة ٤١٢ م وخلف لنا تآليف جليلة مملوءة بالتعاليم المسيحية النقية وكلها تدور حول المحبة والرحمة والنصح والتناول والقيامة والعقاب والثواب . وهو أول من أطلق على الكنيسة المصرية اسم « الكنيسة القبطية »

(١) بحسب الجدول الذى وضعه الاسعد ابن العسال من علماء القرن ال ١٣ تعتبر نياحة البابا ثوفيلس سنة ١٤٧ ش لا فى سنة ١٢٩ كما ذكرنا عن الانبا ساويرس المؤرخ وذلك لان ابن العسال يذكر ان مدة رئاسة البابا ديونيسيوس ٤٠ سنة بينما يذكر الانبا ساويرس انها ١٦ فقط ولكننا سنضطر للسير بموجب جدول ابن العسال منذ الان لانه تام وتاريخ الانبا ساويرس يقف عند القرن الثامن ولهذا لا عجب ان كنت ترى فيما بعد ان البابا كيرلس ارتقى الكرسي سنة ١٤٧ ش مع انه أخذ مكان سلفه حالا

القسم الثانى

رؤساء الرهبنة ومشاهير الكنيسة وبعض مجهوداتهم

- (١) مكار يوس المصرى
- (٢) مكار يوس الاسكندرى
- (٣) باخوميوس
- (٤) يوحنا
- (٥) بيمين واخواته
- (٦) ديديموس الضرير
- (٧) تأسيس كنيسة مسيحية ببلاد الحبشة بواسطة أتعاب
المصريين
- (٨) نشر الرهبنة فى العالم بواسطة بطريرك الاسكندرية
- (٩) نشر الدين المسيحى بين السودانين والبدو بواسطة
أفاضل الكنيسة القبطية
- (١٠) بعض الذين وفدوا على مصر فى هذا القرن لدرس
نظام الرهبنة

(١) مكار يوس المصرى — (ابو مقار الكبير) :

ولد بالصعيد (وقيل ببلدة شنشور بالمنوفية) سنة ٣٠١ م من أبوين مسيحيين فقيرين هذباه على روح النسك وكان مشغلا فى حدائقه برعاية البقر . واتفق يوما انه برفقة بعض أترابه سرقوا جانبا من التين الذى لم يأكل منه سوى تينة واحدة ومع ذلك انتبه الى زلته وعرف أنه أغاظ الله بها وأخذ يبكى ويندم عليها وبمرارة نفس كان يتذكرها طول حياته .

وقيل أن أبويه رأيا قبل ولادته انه سيولد لهما ولد ينشر صيته فى كل مكان ولذا سمياه مكار يوس أى طوباوى . ولما نشأ فى القامة زوجه بغير ارادته فتظاهرا بالمرض أياما . ثم استسمح أباه بأن يمضى الى البرية لتبديل الهواء وشاهد كل البرية شرقا وغربا وشمالا وجنوبا وكأنه علم أنها ستكون ميراثا له ولبنيه من بعده . فترك كل أعماله الاولى وتمسك باذيال الفقر وسعى جهده فى اقتناء الفضائل حتى فنى خبره الى أسقف جهته فكرسه شماسا لخدمة الكنيسة . ولما كانت

هذه الخدمة غير ملائمة لأمياله أراد أن يهرب الى مكان بعيد عن الاماكن المأهولة وأخذ يباشر فكرته الاولى وكان يصنع سلالا و يعطيها لرجل صالح يبيعها و يأتيه بثمرها ما يقتات به . ومن أظهر صفاته التواضع والوداعة حتى أن الشيطان حسده وحرك عليه بعض الاشرار فاتهموه بصنيع فعل الدنس مع عاهرة وضربوه بقساوة وجروه فى الشوارع مستهزئين به ولكنه لم يفتح فاه كمخلصه بل صبر على كل ما أصابه والأبلغ من ذلك انه لم يرفض ما ألزم به وهو انه يعول تلك المرأة بتقديم الدراهم اللازمة لمعيشتها مدة حبسها فجاء فى صنع السلال وكان يخاطب ذاته عندما يستحوز عليه الكسل قائلا « اشتغل بنشاط يا مكار يوس فقد صارت لك امرأة » ولما داهم المرأة الطلق تعذبت جدا واضطرت أن تعترف ببراءة مكار يوس مما اتهمته به فذهب اليه الذين أهانوه وطلبوا منه الصفح عن أذيتهم له

أما هو فخوفا من أن يجلب له حسن تصرفه كرامة واحتراما من أولئك الناس هرب من ذلك المكان وتوجه الى صحراء ليبيا بيرية الاسقيط بوادى النطرون وكان قد بلغ من العمر ثلاثين سنة . ثم قصد القديس انطونيوس أبا الرهبان فقال عنه « هذا اسرايلى حقا لا غش فيه » وتلمذ له مدة ولبس منه اسكيم الرهبنة وأقام بيرية الاسقيط وكان قد شاع صيت فضائله فى العالم فهرع اليه الجماهير من المؤمنين ليتعلموا منه . فلما رأى كثرتهم شاد لهم دير فخما لا يزال قائما الى اليوم وكان يعرف أولا بدير مكسيموس ودماديوس (١) ثم عرف باسم دير السيدة بريموس (أى الدير الذى يسبق دير موسى) وأعقبه بآخر وهو دير أبى مقار . وكانت تلاميذه تنهج على مثاله فى حب الفضيلة والتقشف وكانوا جميعا يداومون الاشتغال بأيديهم لاكتساب معاشهم مثله

ولما بلغ الأربعين من عمره سنة ٣٤٠ م التزم أن يرسم كاهنا لخدمة الاسرار الربية وتوزيعها على أولئك السياح العائشين تحت تدبيره . ومن فضائله انه كان يحب الصمت والانفراد ليتمكن من أن يختلى بالله متفاوضا معه ومناجيا اياه . وكان يفضل عيشة النسك على الترف واستمر محافظا على صرامة عيشته بفطنة تامة . وذات يوم كان أحد تلاميذه يكلمه وقت الظهر وقد شعر بعطش شديد فطلب منه اذنا بتناول قليل من الماء فاجابه قائلا « اكتف الآن بأن تستريح تحت هذه الشجرة فى ظلها متذكرا بأنه يوجد كثيرون من البشر فى هذه الساعة سائرين برا وبحرا من دون أن يحصلوا على هذا الفى الذى أعطى لك لتستظل تحته » ثم قال له « تشجع يا ولدى فانا قد جزت مدة عشرين سنة كاملة من غير أن اصنع ما كانت تطلبه منى أُميالى الطبيعية لا فى المأكولات ولا فى المشروبات ولا فى النوم . لأننى لم آكل سوى كمية قليلة من الخبز الذى كنت قبل أن آكله أزنه كيلا يتجاوز القدر المعتاد ولم أكن اشرب الا مقدارا صغيرا من الماء . وأما نومى

(١) هما ولدا فالنتينانوس الاول قيصر الغرب الذى تولى العرش سنة ٣٦٤ م هجرا العالم وابهة الملك وتلمذا للقديس مكار يوس

فكان برهات وجيزة متباعدة غير متصلة وذلك باسناد رأسى على الحائط حينما لم يعد فى جلد على فتح عينى « أهـ

ومن الطرق التى وضعها القديس مكار يوس لرهبانه ليتمكنوا بالسير فيها من اماتة أجسادهم قوله لهم « انه يلزم السائح أن يعود ذاته على الاصوام كأنه يجب أن يعيش مائة سنة وأن يضاد ميله ويقهر آلامه النفسانية . وأن يتناسى الالهات التى تصنع فى حقه وأن يتجلد فى احتمال المكاره . وأن يصبر على الاجوع ويتكبد المصائب كأنه فى كل يوم مزعم أن يفارق الحياة . على أن التفكير فى النوع الاول وهو استطالة الحياة يحجز عن الراهب والسائح كل نوع من الاهمال والتراخى فى الخدمة الالهية المسبب من الخوف ومن الامراض الجسدية . وأما التفكير فى النوع الثانى وهو أن كل يوم يمكن أن يكون هو الاخير من الحياة فهذا يصيره أن يحتقر الخيرات الارضية . ويتهاون بالاعتاب والامراض والشدائد متأملا فى الوطن الذى كل يوم يمكن أن يدعى من الله للانتقال اليه فى الحياة الابدية » أهـ ولما سئل هذا القديس عن النوع الملائم لحسن الصلاة أجاب قائلا « انه ليس بضرورى أن تكون الصلاة مستطيلة بل يكفى أن ترفع الايدى نحو السماء بالقول « يارب اصنع معى الرحمة بالنوع الذى يرضيك » وأما حينما تحاربنا تجربة ما فيلزمنا أن نقول « يا الهى أعنى » على أن الله يعلم جيدا ما هو الموافق لنا فلا يتغافل عن معونتنا »

ولكى يوارى الله فضيلة صفيه وأعماله النسكية تحت غطاء التواضع جعله وهو يصلى ذات يوم يسمع صوتا يقول له « انك لم تبلغ بعد يا مكار يوس درجة سامية من الكمال الذى بلغته امرأتان عائشتان فى بيت واحد بالاسكندرية وهما فلانه وفلانه » فما سمع القديس هذا الصوت الا ونهض لساعته وجد فى السير حتى اذا وصل الثغر المذكور واستدل على بيتها قرع بابها ففتحت له أحدهما فاستدعاها وخاطبها قائلا « انى من أجلكما قد عانيت مشقة السفر على بعد الشقة ومتاعب البرية وما ذلك الا شوقا لا علم ماذا تصنعان وما هى حالة معيشتكما » فقالتا له « هل يمكنك أن تجد صلاحا فى امرأتين متزوجتين يعيشان فى لذة ونعيم ؟ » فألح عليهما فقالتا له « أننا أقترنا بسر الزواج مع أخوين من مدة ١٥ سنة وقد مضت هذه المدة بدون أن تخرج من فم الواحدة كلمة تغيظ الاخرى ولم يحدث بيننا خصام أو شبه خصام قط وان الواحدة منا لا تميز أولادها عن أولاد سلفتها بل تهتم بما يرضى أولاد الاخرى قبل أولادها » ثم قالتا له « اننا قد رغبتا الى رجلينا فى أن يمنحانا رضاها الطوعى لكى ننفر للعبادة فى أحد أديرة الراهبات ولما لم يصرحا لنا تعاهدنا أمام مخلصنا أن نعيش هكذا الى آخر رمق من حياتنا . ونطلب منه تعالى أن يساعدنا على القيام بعهدنا » فلما سمع القديس خبرهما هتف قائلا « حقا ان الله يمنح المتزوجين كما يمنح المتبتلين وانه تعالى لا ينظر الا للضمائر والقلوب ويمنح روحه القدوس لجميع الذين يخدمونه من أية هيئة كانت »

وفى سنة ٣٧٥ م أمر فالنص قيصر الار يوسى بطرد جميع رؤساء الاديرة الذين حافظوا على

الايان الارثوذكسى القديم فنفذ لوسيوس هذا الامر بان نفى القديس مكار يوس وسميه القديس مكار يوس الاسكندري وكثيرين من الرهبان الى جزيرة فيلى فى الصعيد الاعلى (١) . وكانت هذه الجزيرة لا تزال وثنية بالمرّة وفيها هيكل للاصنام مشهورة وكان كاهن هذا الهيكل محترما فى نظر السكان حتى كادوا يؤلهونه . فلما وصل هذان القديسان ومن معها من الرهبان الى تلك الجزيرة كانت ابنة ذلك الكاهن الوثنى مصابة بروح نجس فانطلقت الى الشاطئ الذى رسى فيه القديسان وصاحت قائلة « لم أتيتم يا عبيد الله الى هذا المكان الذى استوطناه من زمن بعيد . اطمعتم فى الاستيلاء على هذه الجزيرة بعد أن استوليتم على القطر كله . ها نحن نتركها لكم اذ لا قوة لنا على مقاومتكم » ولما صلى النساك على الفتاة فارقها ذلك الروح الشرير فبرئت . وللحال اعتمد معظم أهالى تلك الجزيرة الوثنية . ولما سمع الشعب الاسكندري بهذا الخبر طالب لوسيوس بشدة بارجاع هذين البارين فاصدر أمرا خصوصا بالرغم عنه باعادة هذين الرئيسين ومن معها حوالى سنة ٣٧٦ م

وما رجع القديس مكار يوس الى بريته حتى أستأنف أعماله التقوية فظل يعلم المتوحدين ويرشدهم الى أن رقد بالرب فى ٢٧ برمهات سنة ١٠٨ ش بالغاً من العمر ٩٠ سنة تاركاً بريّة الاسقيط تحاكى السماء موطن الملائكة ومقر التسبيح والتجيد (٢) وقد نما عدد رهبانه الى ١٥٠٠ راهب . وكانت لهم مكانة كبرى ومنزلة عليا لما اشتهروا به من كثرة الحكمة ووفرة العلم

ولهذا القديس مؤلفات جليّة رد بها على مؤلفات الوثنيين ضد الديانة المسيحية لم يعثر العالم المسيحى منها أو بالحرى لم يصل ليده من تلك العصور المتقدمة الا كتاب عظاته المحتوى على خمسين عظة وكتب فى المبدأ باللغتين القبطية لفائدة رهبانه وأمته وبال يونانية لفائدة أهل هذه اللغة الذين كانوا منتشرين بمصر . ومع أن أكثر مؤلفات آباء الكنيسة اغتالها يد الضياع الا أن نسخة عظات هذا القديس ظلت محفوظة حتى وقف عليها الانكليز وطبعوها بلغتهم ثم ترجموها الى العربية . وللقديس خلاف المواعظ بعض أقوال أخرى روحية منشورة فى كتاب بستان الرهبان . وله سبع رسائل لاهوتيه طبعت بالفرنسيه فى مدينة طولوز بفرنسا سنة ١٦٨٤ م

(١) جنوبى أسوان وبينها ثمانية كيلومترات وتعرف عند العوام باسم «أنس الوجود»

(٢) سرق جسد القديس ودفن بكنيسة شبشير طملاى بمركز منوف ٤٤٠ سنة ونقله البابا ميخائيل ٣ الى البرية ولم يزل بها لليو

(٢) مكار يوس الاسكندري :

ولد فى الاسكندرية فى أوائل القرن الرابع من والدين فقيرين ولهذا اشتغل خبازا بضع سنين وكان يصنع الفطائر و يبيعها لينفقها فى ما يحتاج ولما كان الله قد انتخبه اناء مقدسا له لبث بين الموسوظين الغير المعمدين ثلاثين سنة . الا انه بعد ما اعتمد وتقوى بالنعمة لم تطب له عيشة أهل العالم فكان يتوق الى سماع أخبار النساك والسياح العائشين فى البرارى والقفار وعزم على الاقتدا بهم قائلا « ان قيمة نفسى توازى قيمة نفوس أولئك القديسين فلما لا أنسج على منوالهم »

ثم انطلق الى القديس انطونيوس وتعلمذ له وترهب بوادى النطرون فى أيام الانبا مكار يوس الكبير وبعد ذلك توجه الى برية متوحشة وأقام يعبد فيها سبع سنين بغاية التعنف اقتصر فى الثلاث السنين الاخيرة على أكل الحشيش والأعروق النيئة المرة . وقد انتهى أخيرا الى حد الامساك فكان لا يأكل الا مرة فى الاسبوع لاعتقاده أن جسده هذا هو عدوه الالد ويقول عنه انه شريك الشيطان فى الاضرار بى فينبغى أن أذله وأضعفه حتى لا يقوى على محاربتى

وكان يصرف نهاره فى الترتيل وليله فى الصلاة واذا غلب عليه النعاس كان يعذب نفسه بحيث يبقى أياما وليالى بدون أن ينام وقد ألزم نفسه بأن لا ينام فى كل ليلة أكثر من ساعتين واستمر هكذا طول حياته . ولكنه فى صوم الاربعين المقدسة كان يزداد فى تشققه وقد قضى مرة هذا الصوم واقفا لم يجلس ولم ينم بل كان يصلى واقفا أم جاثيا ولم يأكل ولم يشرب الا فى أيام الآحاد

وذات يوم لسعته نحلة فقتلها ولكنه ندم فيما بعد على قتلها واراد الشيطان أن يدخل فى عقله الافكار النجسة فضى وسكن فى مكان مملوء بالزناير لا تقدر الحيوانات أن تسكن فيه خوفا من لسعاتها فأقام هو فيه ستة أشهر يتحمل لسع الزناير السامة ولما ترك ذلك المكان كانت هيئته قد تغيرت الا انه انتصر على الافكار الشريرة

وبعد كل ذلك الجهاد الطويل لم يكن يشعر بانه عمل شيئا يؤهله لنيل الحياة الابدية وما كان يظن انه ابتداء بالسير فى طريق الفضيلة ولهذا عزم على الذهاب الى بعض السياح ليسألهم عن كيفية العبادة الحقيقية ومن ثم قام الى برية الصعيد وتنكر بلبس أثواب خادم لثلا يعرفه أحد وقصد مجمع القديس باخوميوس بصفته عاميا يريد أن يترهب فلما رآه رئيس الدير شيخا منعه لعدم اقتداره على العيشة المتعبة أما هو فألح عليه بدموع ليقبله فقبله ودفع له جانبا من الخوص لكى يصفره . فانفرد فى مكان وظل يشتغل واقف على قدميه ثلاثة أيام بلا أكل ولا شرب حتى قال أحد الآباء للقديس باخوميوس « أخرج عنا هذا الرجل لأن ليس له جسد »

أما القديس باخوميوس فقد عرفه بارشاد الهى فاستقبله باحتفال عظيم فشق عليه هذا الامر وخرج من تلك البرية ولجأ الى مكان فوق جبال نيتريا . ولم يلبث فى هذا الموضوع طويلا حتى

بلغ خبره الى البطريرك الاسكندري فأرسل اليه أناسا أتوا به ورسمه كاهنا فلما رأى نفسه قد اكتسب درجة كهنوتية أراد أن يزداد في تقشفه واكتساب الكمال فترك كل البرارى المعروفة وانفرد في أخوف برارى ليبيا التى أطلق عليها فيما بعد اسم برية القلالى نظرا لكثرة القلالى التى ابتناها القديس هناك لتلاميذه الكثيرين

وكان قد التف حوله أكثر من ٥٠٠٠ راهب ومتوحد فكان يرشدهم و ينفعهم فضلا عن قيامه بواجبات عبادته الشاقة فكان يصلى فى النهار مائة مرة و يقضى أكثر الليل فى الصلاة المتوالية . وروى انه بقى مرة يومين كاملين يصلى دون أن يتوه عقله دقيقة واحدة . أما موضوع تأملاته فما كان الا يسوع المصلوب . فكان يقطع كل أوقاته بالتأمل فى آلامه و يرثى لحال أمه التى كانت واقفة تحت صليبه ولهذا أوصى تلاميذه باكرامها والتشفع بها

وقد أتاه يوما الانبا بلاديوس واعترف عليه بان الافكار الباطلة تزعجه و بين له ميله لترك رياضات الصلاة فقال له القديس اياك أن تغلب بهذه التجربة الشديدة الخطر وانى أشير عليك بأن تطيل الصلاة كل ما تبلبلت بتلك الهواجس و اياك أن تنقص منها شيئا البتة وقل للعدو ان كنت لا أقدر أن أصلى كما يجب فانى استمر فى مخدع الصلاة حبا بالمسيح

وكان لهذا القديس قوة اخراج الشياطين بمجرد اشارة الصليب . وقد أتى اليه أحد الكهنة مرة وهو يشكو من آكله مريعة وخرق دامه طالبا عونه فتحن عليه القديس وشفاه ثم قال له انما أصابك هذا المرض لانك تجاسرت على أن تقدم ذبيحة القداس الالهى فى حال الخطيئة المميتة ثم أمره أن لا يقدر قبل أن يتوب لله توبه صادقة

واضطهد فالنص الار يوسى هذا القديس ونفاه مع القديس مكار يوس المصرى كما سبق معنا . وحدث بينما كان القديس مسافرا فى النيل مع اثنين من قواد جيش الملك دنا منه أحدهما وقال له طوبى لكم أنتم الذين تستهزئون بالعالم فاجابه القديس مكار يوس حقا ما قلت ويا لسوء حظكم أنتم الذين لا تدرون أن العالم يستهزىء بكم

ولما رجع من منفاه سكن بريتة الاولى ثم مات فى ٦ بشنس سنة ١١٢ ش و ٣٩١ م وكان عمره ٨٩ سنة . وقد ذكر بلاديوس الذى عاش القديس زمانا مديدا انه كان قصيرا القامة وضعيف المزاج . وله قوانين كثيرة طبعت فى باريس سنة ١٦٣٧ م ورسالة فى نفوس الابرار بعد الموت طبعت فى اوترخت بسويسرة سنة ١٦٩٦ م

(٣) باخوميوس :

هو الملقب بابى الشركة لأنه أول من ابتدأ بالعيشة المشتركة فى الاديرة تحت قانون واحد

ورئيس تعيش الرهبان تحت طاعته . ولد بطيبة (١) من أبوين وثنيين مشربين ربياه وأرشداه فى الاعتقادات الوثنية الكاذبة ولما أدرك رشده حاولا يوما أن يرغمآه على عبادة الاصنام فلعنها وهزأ بعابديها وفى يوم آخر سقياه خمرًا كانت قد قدمت للاوثان فتقيأها لساعته فاستنتج والده من ذلك أنه سيكون عدوا للاوثان .

ولما بلغ العشرين من عمره تطوع فى الجيش الرومانى وحارب فى بلاد الحبشة تحت قيادة والد قسطنطين الكبير الذى كان وقتئذ قائد جيوش ديوكليتيانوس قيصر وحضر مواقع حربية أظهر فيها شجاعة فائقة وهمة عالية ودخل يوما مع بعض الجنود مدينة ديوسبولى حيث كان يقطن كثيرون من المسيحيين الذين شفقهم على هؤلاء الجنود قدموا لهم ما لزم من الاكل والشرب وأعدوا لهم وسائل الراحة فتعجب باخوميوس من هذه الشهامة وسأل عن السبب الذى حمل أولئك الناس على معاملتهم بالمحبة والرحمة دون أن يعرفوهم فأجابوه بانهم مسيحيون وديانتهم تأمرهم بصنع الخير مع كل أحدهما كانت جنسيته وديانته ومع انه كان قد درس علومًا كثيرة ولكنه لم يعرف شيئًا عن المسيحية التى مال بقلبه اليها وتوسل إلى الله قائلا « ايها الاله القادر على كل شىء امنحنى أن أعرف بأى نوع تريد أن أسجد لك وأخدمك »

ثم غادر الجندية بعد نهاية الحرب وعاد الى وطنه وذهب حالا الى كنيسة ثيتوسكوبوس وانخرط فى سلك الموعوظين وهكذا فى عيد فصح سنة ٣١٤ م اعتنق المسيحية ونال سر العماد من الانبا سيرايون (سرابامون) أسقف دندره (٢) وله من العمر يومئذ خمس وعشرون سنة . وفى ليلة عماده شاهد فى الحلم فى رؤيا سماوية أن يده اليمنى ممتدة تحت ندى السماء الذى استحال على الفور الى تفاحة بيده وسمع صوتا يقول له « احتفظ يا باخوميوس على ما يأتى عليك الآن الذى هو علامة النعمة العظيمة التى أراد المسيح ان يسكبها على قلبك »

وبعد عماده شعر بميل زائد نحو عيشة الكمال المسيحى واشتاق للعزلة والانفراد فتوجه الى أسوان وتعلمذ للانبا بلامون أحد شيوخ البرية الذى قال له « ان حياة السواح يا ابنى هى أكثر صعوبة مما تتصورها حتى أن كثيرين ابتدأوا بها ولم يستطيعوا أن يتمموها . فتأمل فى نوع عيشتى ففى فصل الصيف آكل مرة واحدة فى كل يوم وفى فصل الشتاء كل يومين مرة . وطعامى دواما الخبز والملح دون أن استعمل زيتا أو خمرًا . كما أننى أقضى نصف الليل وأحيانًا الليل كله فى تلاوة المزامير وفى التأمل فى الكتاب الالهى ولهذا انصحك أن تروض نفسك مدة على هذه العيشة وبعد ذلك تأتى الى وأصيرك رفيقًا لى » فأظهر باخوميوس مزيد خوفه ولكنه تقوى داخلًا بنعمة الله وأجاب الانبا بلامون قائلا « اننى أتكل على نعمة المسيح واستند على صلواتك من أجل لى لانا قوة استطيع بها أن أعيش متمما واجباتى لغاية الموت » فسر القديس بلامون من حسن جوابه وألبسه

(١) هى الآن الاقصر ومن بقاياها مدينة أبو وذراع ابى النجا والقرنة

(٢) على شاطئ النيل الغربى أمام بندر قنا

اسكيم الرهبنة . فسار التلميذ فى طريق الكمال و بالغ فى اماته جسده حتى فاق معلمه فى صرامة العيش وطول الصوم والسهر . واتفق أن سائحا مريضا بمرض الكبرياء كان يصنع العجائب بقوة إبليس حتى انه كان يمشى على جمر نار ملتهب فلا يحترق فجاء الى القديسين وقال لهما هل حصل أحدكما على مثل هذا الايمان الذى حصلت عابه فانى أمشى فى وسط النار بدون أن تمسنى فأجاب الآب بلامون أن احسنا التواضع فيكون حينئذ ايماننا حسنا . فلما سمع باخوميوس هذا الكلام بدأ يزداد فى فضيلة التواضع وأما ذلك المغرور فأسقطه إبليس فى الزنا ومات شرميته

و بعد مدة سنتين تباعد يوما عن قلايته فى مقر قريب من طابانا (١) ليلتقط حطبا ماشيا بين الشوك حافيا كعادته ولما كان يصلى جاثيا ظهر له ملاك الرب وأشار عليه ببناء دير فى تلك الجهة التى كانت بلدة قديمة خربة . فضى الى شيخه وقص عليه الرؤيا ثم ذهبوا وسكنا فى المكان المعين و بنيا هذا الدير (٢) و بعد أن شيئا عدة أمكنة هناك ترك القديس بلامون تلميذه باخوميوس فيها ورجع الى مكان عزلته ولم يعد يواجه أحدهما الاخر الا مرة واحدة فى كل سنة . وتوفى القديس بلامون بعد مدة ولكن باخوميوس تعزى بحضور أخيه البكر يوحنا لأنه لم يكن قد شاهد أحدا من اقربائه منذ تركه لوطنه وسر لأن أخاه اعتنق الديانة المسيحية وعشق سيرة الرهبنة . ولكنه كان غليظ القلب فتعب القديس باخوميوس كثيرا فى سبيل تهذيبه حتى صيره أنيسا وديعا و بعد أن قضى خمس عشرة سنة فى ذلك الدير مات بارا تقيا

فاستمر القديس باخوميوس بعد موت أخيه مواظبا على عيشة الوحدة والتقشف فى ذلك الدير وأخذ الشيطان فى محاربتة بالافكار الرديئة التى كان ينتصر عليها بتأمل نار جهنم التى لا تطفأ ودودها الذى لا يموت . ثم ظهر له الشيطان بأشكال متنوعة لذيدة ومخيفة ليوقفه عن عبادته ولكنه تسلح ضده بالاسلحة الروحية وقضى بمعونة الله عز وجل أربعين ليلة لم ينم البتة ممارسا الصلوات والقراءة فى الكتب الالهية حتى انقلب العدو أمامه كما أنه استمر مدة خمس عشرة سنة لا ينام فيها الا برهات وجيزة مستندا على عكازه من دون أن يقرب من الحائط . وقد اعطاه الله سلطانا على تماسيح نهر النيل فلم تكن تضره ابدا

واذ كان يصلى ليلة ظهر له ملاك الرب واعلمه بأن يتخذ العناية لتهذيب الآخرين فشرع يقبل فى ديريه جميع الذين احبوا السير على منواله حتى انه فى زمن وجيز جدا وجد عنده مائة راهب أما الفرائض الرهبانية التى وضعها فقليل انه اقتبلها من الملاك نفسه

(١) وبالقبطية « طابنيسيس » وتعريبها « نخل ايزيس » وهى بلدة تابعة لابروشية دندرة . قيل انها جزيرة فى النيل تعرف الآن بجزيرة الغريب . وقيل انها مدينة كانت على الشاطئ الايمن للنيل الجنوبي « فاو » بمديرية قنا
(٢) للابا بلامون دير بناحية القصر والعياد بمركز نجع حمادى بمديرية قنا لم يزل عامرا الى اليوم

ولا يخفى ان الطريق التى سار فيها الانبا انطونيوس وجعلها فريضة لرهبانه من بعده وهى أن يحصل كل واحد منهم على قوته بتعب يديه كانت عسرة وشاقة وغير كافلة بحفظ الرهبانية ودوامها فى عالم الوجود والفضل للانبا باخوميوس صاحب الشركة الذى اتخذ طريقة سهلة قدر الناس بواسطتها أن يعتنقوا الرهبنة و ينتظموا فى سلكها فى كل زمان وهى انه وضع كل قنية الرهبان ومحصول تعب أيديهم فى مجمع واحد تحت سلطة أحدهم وتديره وجعلهم يعيشون عيشة روحية ودعا ذلك ايكونونيا (شركة) وفرض عليهم أن يشتغلوا بأيديهم لربح الدير ولكنه ترك الحرية لكل واحد ليشغل حسب قوته ونشاطه . ولم يكن الرهبان يأكلون الا وهم مجتمعون على المائدة وكما فرض لهم هذا القانون فرض لهم قانونا آخر لحياتهم الروحية ورسم فى ذلك القانون فرائض ليست بمستطيلة جدا اشفاقا على المتقدمين فى السن من الرهبان فكانوا يحضرون يوميا لتلاوتها أمام الهيكل بدون كلل و يتناولون الافخارستيا فى يومى السبت والاحد . ولما لم يوجد بين الرهبان أحد حاصلًا على درجة كهنوتيه (وحفظ هذا الامر فى دير طابانا بعد موت القديس باخوميوس مدة تزيد عن المائة سنة) فلهذا كانوا يحضرون بعض الكهنة من الكنائس القريبة لتمام خدمة القداس . وأما الوعظ فكان يصير مرتين أو ثلاث مرات فى كل سنة .

ووضع للرهبان أن يستعملوا الكتاب المقدس بارشاد الرؤساء حتى فى وقت شغلهم وأن يحفظوا المزامير غيبا . ومن لم يكن يعرف القراءة فكان يلزم بحفظها قبل لبس شكل الرهبنة ليتمكن من اشباع نفسه بتلاوة الكتب المقدسة . وكان على الرهبان أن يشتغلوا بأيديهم للحصول على حاجتهم وترك القديس باخوميوس الحرية لكل واحد ليشغل حسب قوته ونشاطه وكان كثير النصح لهم بترك الميل لمجد العالم وحدث أن أحد الرهبان المكلفين بالنسيج اشتغل فى يوم واحد ما يلزمه عمله فى يومين ووضعه على باب قلايته لكى يكتسب اطراء القديس فلما رآه وأدرك سريرته قال للرهبان الحاضرين « تأملوا ان هذا الراهب يجهد نفسه بالتعب من الصباح الى المساء لاجل الشيطان وهكذا يضمنى جسده من غير افادة لنفسه » ثم أمر ذلك الراهب بأن يحضر فى اجتماع الرهبان و يلتمس منهم أن يصلوا لاجله أمام الله ليهبه الغفران وفرض عليه أن يبقى فى قلايته خمسة أشهر يقيتات بالخبز والماء فقط . ولاحظ مرة أخرى أن راهبا كان يصوم كثيرا محبة فى نيل الفخر فأمره بأن يحضر نصف النهار مع الرهبان الى المائدة لياكل معهم من الخبز والحبوب المسلوقة أفضل من أن يصوم طالبا المجد الباطل

وذكر انه رأى يوما قوما من الرهبان الحديثين صاعدين الى شجرة تين لياكلوا سراً فأمر القديس حينئذ بقطع الشجرة فشفع فيها البستاني الذى كان رجلا فاضلا معتبرا ولم يرد القديس أن يكسر خاطره فلم يقطعها ولكنه صلى و بعد صلاته يبست التينة . ومن القوانين أن يصلى الرهبان اثنتى عشرة مرة نهارا واثنتى عشرة ليلا و يصوم كل منهم حسب طاقته وغير ذلك من القوانين التى سار عليها غيره فيما بعد . وكان القديس يعامل الرهبان بالحلم والشفقة ولا سيما الشيوخ والمرضى منهم

أما الشبان فكان يتصرف معهم بالاناة والصبر و يدرجهم قليلا قليلا فى طريق الكمال ولم يلزمهم بتقشفات الدير الاعتيادية كلها بل أمر الطباخ بأن يصلح لهم طعاما خصوصا فلم يعجب الطباخ هذا الامر حتى أنه فى بعض الايام لم يهوى لهم شيئا من الطعام لانه حسب زعمه لم ير هذا لاثقا بالراهب ومن جهة أخرى كان يجد فرصة لجدل الجدائل لاجل فائدة الدير . فلما علم القديس بفعله هذا أمره أن يأتى بكل ما كان صنع من الجدائل وكان عددها نحو خمسمائة فوضعها كلها أمام الرهبان واحرقها ثم قال أن الطاعة لا تأذن للراهب أن يفحص عن تصرفات رئيسه فان ذلك مما لا يسوغ له انما عليه أن يطيع بسرعة وسرور . ومرة أخرى أرسل وكيل الدير لبيع جدائل الدير وعين له ثمنها فلما مضى ذلك الوكيل اتفق أن أناسا قدموا له أكثر من الثمن الذى عينه له الرئيس فباعها بالثمن الاعلى فاذا علم القديس بذلك وبخه أيضا على مخالفته واوصاه أن يرد للشارى ما كان اخذه فوق الثمن المعين . ثم عزله من وظيفته وعاقبه بأن فرض عليه ممارسة أفعال شاقة وأمر الجميع أن ينبذوا كتب الهراطقة وكانت قوانين هذا البار محفوظة فى كل الاديرة التى كانت تحت اشرافه . وروى كاسيانوس الذى زار أديرة القطر المصرى بعد ذلك بأزمة مديدة انه رأى أولئك الرهبان محافظين تماما على تلك القوانين لا سيما ما يختص برؤسائهم حتى اذا كان أحدهم يكتب وناداه الرئيس لا يتم كتابة الحرف الذى ابتدأ به بل يقوم اليه عاجلا وشهد بأنهم لم يكونوا يضعون فى قلايهم الا الضرورى لقوتهم حتى يتلأأ على وجوههم نور الفضيلة وتسطع منها أشعة الصلاح .

وكان القديس باخوميوس أشد الناس سرورا بنجاح رهبانه الذين كان يأتى لمشاهدتهم كثيرون و يتعجبون ما يرونه من الصفات المقدسة فى أناس يشبهون الملائكة من كل الوجوه . غير أن ابتهاج القديس تحول الى حزن لما أعلن له الله عن حال رهبنته فى المستقبل وعن التغير العتيد أن يحدث فيها من قبل رؤسائها ولهذا شدد على الرهبان بحفظ قانونه جيدا ومقاومة الميل لمجد العالم مقاومة مستمرة بقوله « ترى ما الذى يجعل الانسان أن يهمل ذاته الا اذا انجذب الى محبة المجد الباطل . ولماذا ينتفخ متعظا مع انه ليس الا ترابا ورمادا . فلنبك بالاحرى على ذلنا وشقائنا ما دام لنا زمان للبكاء . حتى اذا انتهت أيام غربتنا لا نحتاج الى زمن آخر لنتوب فيه دون أن نحصل عليه . على انه طالما نحن فى قيد هذه الحياة نستطيع أن نندب خطايانا وننوح عليها . وأما فى جهنم فيقول المرتل « لأنه ليس فى الموت ذكرك . فى الهاوية من يحمذك » (مز ٦ : ٥) فلتلزمنا تيارات من الدموع لنبكى البكاء الواجب على نفس تعيسة تكون رفضها العالم وما فيه رجعت تشتبك بمهماته وشهواته وتعود الى الافكار اللحمية والرغبات الارضية وعلى هذه الصورة تسقط من جديد فى ذلك الاسر الذى فازت أولا بالنجاة منه فلا نرتضى يا اخوتى الاعزاء بأن يفقدنا الحياة الابدية هذا العامل الغرار الفانى الزائل الذى لا يمكننا بوجه من الوجوه أن نتكل عليه » أهـ

ولما اشتهر أمر القديس باخوميوس وتردد اسمه على اللسنة أتت أخته مريم لزيارته فلم برد أن يقابلها ولم يسمح لها بالدخول الى الدير بل أرسل البواب يقول لها أن أخاك فى سلام وقد دع

العالم فلا يود أن يراه ثانية وإن كنت تشتهين التنسك وتصيرين قدوة صالحة للنساء فهو يبتنى لك ديرا لتعبدى الله فيه فلبت أخته دعواه وشيد لها ديرا خاصا سنة ٣٤٠ م واجتمع معها نساء كثيرات يعبدن الله تحت اشراف القديس باخوميوس

واستمر القديس على اسداء النصائح للرهبان الذين يرى فيهم عيبا ولما يراهم باقين فى حالتهم الرديئة يصلى من أجلهم دون أن يؤذهم سريعا منتظرا فعل نعمة الله فى قلوبهم . وكان بين رهبانه عشرة أشخاص متقشفين للغاية ولكنهم كانوا ذوى ألسنة فمامة الامر الذى كان يكرهه القديس جدا . واذا أتفق يوما أن أحدهم جاء اليه يتكلم معه ضد قريبه كان يتركه و يقوم حالا وهو يقول له كلمات المثل « الذى يقع بقريبه خفية كنت أطرده » وهكذا يصدده عن النيمة ولكن هذه الطريقة لم تجعل أولئك العشرة يكفون عن ارتكاب خطيئة النيمة فالتجأ الى الله بالصلوات الحارة مدة أربعين ليلة من دون أن يرقد مطلقا أو يأكل سوى مرة فى كل أسبوع الى أن تنازل الرب وأوقف النمامين عن التكلم بالنيمة . ولما كان يقدم نصيحة لراهب كان يطلبها بكل لطف ومحبة واذا لاحظ أن أحد الرهبان تألم من كلمة صدرت منه لا يستريح حتى يزىل منه ما ألم به من جرى كلامه

وأما من جهة الاذى الذى يصدر ضده فكان كأنه عديم الشعور به بل يقبله بكل فرح وسرور . ومن ذلك أن أحد رهبان دير طابانا طلب من الرئيس أن يرفعه الى وظيفة ايكونوموس فقال له هذا ان الآب العام باخوميوس لم يسمح بترقيته فامتلا ذلك الراهب غيظا على القديس وذهب اليه مسرعا فوجده يشتغل مع الرهبان فى ظل حائط الدير فأنشأ يهينه بكلمات شديدة . أما القديس فأخذ يعتذر له كأنه مذنّب فى حقه وأمر الرئيس بترقيته وهذا اللطف عالج حدة الراهب فعدل عن الوظيفة وطلب الصفح والغفران عما أفرط به . وكان القديس لا يميز نفسه عن الرهبان فى شىء لا فى زمن الصحة ولا فى زمن المرض حتى أنه لم يخدم منهم بل بالعكس كان هو يخدمهم ولم يتميز عنهم الا باتعابه وتواضعه وصبره على المكاره

وحوالى سنة ٣١١ م زار القديس اثناسيوس الرسولى جميع ابروشيات كرازته لتثبيت رعيته فى الايمان الأرثوذكسى وفى أثناء زيارته لكنائس طيبة رأى أن يمر من ضواحي دير طابانا . فالقديس باخوميوس خرج لملاقاته مع عدد كثير من رهبانه ولكى لا يعرف من البطريرك ولا من رفقائه زج نفسه بين الرهبان الآخرين مكانه أحقر من فيهم ولما قصد البابا اثناسيوس أن يرسمه قسا هرب الى تبينه (١) فقال البابا لاولاده قولوا لايكم الذى بنى بيته على الصخرة التى لا تتزعزع وهرب من المجد الباطل « طوبى لك وطوبى لاولادك »

(١) هى جزيرة قرب دندره .

وحدث أن شابا يدعى ثيودوروس ابن امرأة شريفة الاصل تأمل ذات يوم وهو فى الثانية عشرة من عمره فى زوال هذا العالم وبطلان أمجاده وأدرك انه عديم المنفعة لمن يحبونه فعزم على السير فى طريق الزهد وتوجه الى القديس باخوميوس وعرض عليه نفسه فقبله لعلمه أن الله اصطفاه ليكون رئيسا للرهبان بعده

وعلمت أم ذلك الشاب بما نواه وسار فيه فاستولى عليها الحزن وتوجهت الى الدير وطلبت من القديس باخوميوس أن يرد لها ابنها فأجابها انه نذر نفسه لله فالتفتت منه أن يدعوها اليها لتراه فأبى ابنها أن يراها معتذرا بقوله « من يضع يده على المحراث لا ينبغى أن ينظر للوراء » فتأثرت الام من قساوة ابنها بل من عزمه الشديد على السير فى طريق الفضيلة وأحبت أن تقتفى أثره فانضمت الى دير النساء (١)

وقد ميز الله صفيه باخوميوس بموهبة صنع العجائب والتكلم بالنبوات فتوافدت عليه الناس من كل مكان بعضهم لنوال الشفاء وبعضهم للاستشارة فى أمورهم . غير أن القديس لم يهتم بشفاء المرضى من رهبانه بل كان يشجعهم على احتمال كل ما يصابون به من قبل الله بشكر زائد حتى يكتسبوا رحمته ورضاه دواما . وأخص تلاميذه ثيودوروس المذكور اعتراه يوما وجع شديد فى رأسه وطلب منه أن يشفيه فأجابه « اعتقد جيدا يا ابنى بأنه لا تأتى علينا الاوجاع والاحزان أو اية شدة كانت الا بإرادة الله أو سماحه فاحتمل اذا بصبر واتضاع هذا الوجع الذى أرسله لك الله وانتظر الى أن ينقذك منه تعالى متى يشاء . وأنه اذا كان عز وجل يتنازل لان يمنحك بواسطة هذا العذاب مدة مستطيلة من الزمان فيقدم لعزته الشكر عن ذلك نظير أيوب البار الذى فيما بين أوجاعه وآلامه لم يكن يفتر عن مباركة الرب وتأكد أيضا انه وان كانت الاصوام أو الصلوات وبقى أفعال الاماتات ممدوحة بلا ريب فان احتمال ما يفتقدنا به الله من الشدائد بصبر هو أجود وأكثر استحقاقا للمدح » أه

ولما كثر حول القديس ازدحام الناس الذين يقصدون أن يستشيروه فى أحوالهم بعلمه الالهى أنعم الله عليه بمعرفة اللغات كما أنعم بذلك على الرسل وسببه أن راهبا جاءه من رومية وقصد أن يرتشد منه فابتهل الأب الى الله من أجل فائدة هذا الراهب وقال « أنت تعلم أيها الاله اننى لعدم معرفتى لغات لا أقدر أن امنح رجحا باسمك للذين يأتون الى من أماكن بعيدة فاما أن تمنحنى معرفة لغة من يقدم الى لافيده أو لا تدع أحدا يأتى الى » فاستجاب الرب طلبه وسمع اعتراف الراهب وأرشده

(١) صار ثيودوروس فيما بعد وكيلا على الرهبان للقديس باخوميوس وبعد نياحة هذا القديس أقيم رئيسا عاما لهم .

و بعد أن بنى القديس باخوميوس أديرة كثيرة واجتمع فيها ما ينيف على السبعة الالاف راهب وفى دير طابانا اجتمع ألف واربعمائة راهب أراد الرب أن ينقله اليه فبعد الصوم المقدس لسنة ٣٤٨ م افتقد الله رهبان أديرة القديس باخوميوس بمرض أمات منهم فى مدة وجيزة نحو مائة راهب أكثرهم من الاتقياء ثم ان القديس باخوميوس مرض أربعين يوما اجتازها بكل سكين الروح وهجة القلب وقبل رقادہ بيومين جمع لديه رهبانه وخاطبهم قائلا « اننى اشاهد يا أولادى الاعزاء ان الله عن قرب يريد أن يدعونى اليه . أما أنا فمن دون خوف أقبل نحو الموت . لانى واثق بصلاح الله الغير المتناهى . فاحفظوا أنتم فى ذهنكم الاشياء التى أوصيتكم بها مرات كثيرة . فكونوا ساهرين فى الصلوات حارين فى اعمالكم . واهربوا من المخاطبات مع أولئك الذين يمكنهم أن يسلبوا منكم فضيلة الايمان أو يعكسوا استقامة عوائدكم . بل تقدر أن تتفاوضوا مع أناس خائفين من الله . الذين بواسطة سيرتهم الفاضلة يكونون لديكم نموذجا صالحا يفيدكم للبناء ولتعزية أنفسكم . فأنا الآن أشعر بانحلال قوى و بدتوارتحالى بانفصال نفسى من جسدى . . فانتخبوا اذا فيما بينكم بحضورى معكم رجلا يتخذ على ذاته تدبيركم بعد الله مهتما فى خلاصكم الابدى . أما أنا فأرى ان باترونيوس أليق لهذه الوظيفة » أه

فوافق كل الرهبان على اختياره وقبلوا باترونيوس رئيسا عليهم وكان هو أيضا مريضاً وقتئذ فى دير آخر . ثم أوصاهم القديس باخوميوس باتباع قوانينه وتجنب الهراطقة وبالشبث فى الايمان الارثوذكسى وقدم لهم ثيودوروس تلميذه أيضا ليقبلوا رئاسته فى الوقت المناسب واذ رأى ملاك الله يتقدم اليه بخطوات هادئة رسم على ذاته علامة الصليب وأسلم الروح فى ١٤ بشنس سنة ٢٢٢ ش و ٣٤٩ م وهو ابن ٧٤ سنة ودفن فى المكان الذى أوصى به

وقد ظلت رهبنة هذا القديس قائمة فى الشرق حتى القرن الحادى عشر . وقد روى انسلم أسقف هافلبرج بالمانيا من رجال ذلك القرن انه شاهد بالقسطنطينية ديرا باسم القديس باخوميوس وبه ٥٠٠ راهب عاملين بقوانين ذلك القديس العظيم . أما سيرة هذا البار فقد دونها أحد رهبانه بالقبطية ونقلها عنه ايرونييموس فديونييسيوس الصغير . وقد عرّبها بعض القبط ثم ترجمها الموسيوا ميلينو الى الفرنسية وطبعها فى باريس سنة ١٨٨٩ م . و بعد القديس باخوميوس ترأس مكاته باترونيوس كاشارته و بعد هذا ترأس ثيودوروس المشار اليه آنفا والذي تنيح وبالدير ثلاثة آلاف راهب ورسم القديس اثناسيوس أموز أسقفا على دير طابانا وهو الذى اضطهده غريغور يوس الدخيل ونفاه

(٤) يوحنا الاسيوطى :

ولد فى ليكوبولنى (أسيوط) سنة ٤٠٥ م من أبوين فقيرين وكان أبوه نجارا فتعلم صناعته ومارسها الى أن بلغ الخامسة والعشرين من عمره ورأى فى نفسه ميلا لعيشة الانفراد فانطلق الى البرية تتلمذ لناسك شيخ الذى رآه فى اتضاع تام فرفعه الى أرفع درجة من الكمال

وكان يوحنا معروفًا بالطاعة الكاملة ومن دلائل ذلك ان معلمه وجد يوما غصن شجرة فأمره بغرسه وسقيه مرتين يوميا حتى يثمر* فعمل يوحنا بأمر رئيسه الشاق الغير المقبول عقلا وعادة وبكل خضوع وبدون اشمئزاز سار عليه لمدة سنة كاملة وكان يسير نصف ساعة الى العين التي يستقى منها الماء للغصن وأمره رئيسه مرة أخرى أن يقلع صخرة عظيمة يعجز كثيرون عن تحريكها فأطاع ولبث يفرغ جهده في قلعهها مع علمه باستحالته وقال كاسانيوس « أن هذا القديس بتلك الطاعة العمياء رقى في أمد قريب الى درجة سامية من درجات التأمل والبر »

وبعد نياحة معلم القديس يوحنا زار جملة أديرة مدة خمس سنين تمم فيها درس فروض الكمال ثم صعد الى اكمة مرتفعة على جبل بقرب مدينة ليكوبولى ونقر في صخورها مغارة وقطن فيها أربعين سنة لم يشاهده فيها أحد ولم يكن يظهر الا من كوة صغيرة في المغارة كان يفتحها نادرا ولم يكن يقتات الا القليل من البقول والماء ومع ذلك كان يبش في وجوه زائريه ومنع النساء من المجيء اليه

وقد اشتهر بحكمته وعلمه بالمستقبلات حتى ان القائد الرومانى الذى كان معسكرا في أسوان كان يستشير في أموره العائلية والسياسية لاعتقاده برجحان رأيه ووفور فضيلته . وطلب منه مرة أن يسمح لزوجته بمقابلته وكانت قد أتت من مكان بعيد لتستشير فاعتذر له بكونه عزم منذ سكناه بالمغارة على عدم مشاهدة امرأة قط . الا أن القائد قال له ان امرأتى تموت من شدة الحزن اذا لم تراك فقال له القديس امض وسترانى امرأتك في هذه الليلة . فتركه القائد وهو يندب . وفي تلك الليلة ترى للمرأة في الحلم ونصحها بأن تكون رغبها من رجال اله لا أن تشاهدهم بل أن تتمثل بأفعالهم التى تسمع عنها ثم دعا لها ولزوجها بالبركة ولما أخبرت زوجها بما شاهدت زادت حيرته وزار القديس مقبدا له شكره

وبعد ذلك هجم البرابرة من الحبشة على الصعيد فخاف القائد واستشار القديس في أمرهم فقال له لا تخش كثرة عددهم اتكل على الله وهو يوقعهم في يدك فتم قوله

وأثناء مرة شريف حبشى كانت أمراته على باب الولادة منه أن يصلى من أجلها فوعده بنجاتها وسلامة ابنها وأخبره أنه سيصل اليها بعد الولادة بسبعة أيام وأمره بتربية ابنه في طريق الفضيلة وبعد أن تم له سبع سنوات يضعه تحت اشراف أحد السباح لترويضه على عيشة النسك لينشأ سائحا متوحدا

واتصل خبر هذا القديس بثيودوسيوس قيصر الكبير فأرسل يأخذ رأيه في أمر الحرب التى كانت بينه وبين مكسيموس فأعلمه القديس بخبر انتصاره عليه قبل وقوعه فعظم شأن القديس في

نظر القيصر وأرسل أتروبيوس أحد وزرائه يلتبس منه بالحاح أن يأتي الى الملك فأبى يوحنا كلية ترك معبده ولكنه أخبره انه سيغلب في كل حروبه و بعد قليل يموت

واذ أدرك القديس يوحنا ان زمن نياحته قد أزف أمر أن لا يطلبه أحد مدة ثلاثة أيام وصرف ذلك الوقت مصليا ثم أسلم الروح في سنة ٤٩٤ م وقيل انه وجد بعد موته منتصبا على ركبته

واطلق على هذا القديس غالبا لقب « نبي مصر » ولم يكن يقتصر على خير نفسه و يكتفى بملازمته للعبادة بل اهتم بخير فقراء مديريته فكلّف بعض تلاميذه بجمع صدقات من المحسنين وتوزيعها على المحتاجين . ولما رأى المسيحيون حسن عمله اتفقوا فيما بينهم على أن يقدموا له عشر ايرادهم فكان القديس يجمع هذه الاعشار و يوزعها على الفقراء والباثسين وقد سار هذا المشروع سيرا حثيثا و بزغت شمس من أسيوط فانتشرت أشعته على كل مصر ومنها عم جميع الممالك المسيحية . وقد أسند المؤرخون مبدأ تقديم الاعشار عند المسيحيين الى هذا الراهب الاسيوطي . و بعد هذا العهد كانت هذه الاعشار تجزأ الى ثلاثة أقسام الاول لرواتب الاكليروس والثاني لعمارة الكنائس والثالث للفقراء . . ولا تزال هذه القاعدة في كثير من كنائس القطر حيث يجمع من المصلين صدقات على ثلاث مرات

(٥) يمين السائح وأخوته :

ولد سنة ٣٥٠ م وكان له ستة أخوة هم انوبيوس أكبرهم وبايز وسمعان وألون ونسطور الملقب منذ القديم بالناسك وسارماص الشاب . قيل ان جماعة التدميرين الذين غزوا مصر قبلا استولوا على جميع ممتلكات والدهؤلاء الاخوة ثم أوردوه حتفه . وهؤلاء الاخوة السبعة اتفقوا معا على اعتناق سيرة الرهبنة واعتزل القديس يمين عن الناس سنة ٣٨٥ م وانفرد في بركة الاسقيط بمصر حيث تبعه اخوته الستة

وكانت العيشة التي آثرها يمين شديدة وصارمة للغاية اذ كان يقول « ان اللذة الشهوانية تطرد من القلب الندامة وخوف الله كما يطرد الدخان النحل فرائحتها تخدم النعمة وتنزع من النفس التعزية وحضور الروح القدس أيضا » غير أنه رأى في المستقبل ان هذه العيشة الغير الاعتيادية تنشئ في الانسان زهوا وفخرا ففضل عوضا عن أن يصوم ثلاثة أيام أو اسبوعا أن يأكل كل يوم بطريقة تجعله دواما شاعرا بالجوع . وعوضا عن أن يسهر الليل كله ينام منه أربع ساعات و يقضى نصف الباقي في الترتيل والصلاة والنصف الآخر في عمل يده . أما يومه فكان يقضى منه الى الساعة السادسة في عمله والى التاسعة في صلواته وما بقى يجمع فيه البقول التي يأكلها في

وكان القديس فى حياته يكثر من زيارة الشيوخ لكى يستفيد من آدابهم ولم يضجر من تأمل قول الانبا موسى أحد معلميه « يجب أن يكون لخدام الله قلب منسحق بالندامة ولا بد أن يتخشع كل التخشع لاجل ذنوبه و يراها دائما أمام عينيه على أنه لا بد له حينئذ من أن يفتكر أبدا فى زلات القريب ولا يحكم على أحد ما اذا لم يفوض له ذلك اما من باب المحبة وأما للقيام بواجبات وظيفته » أهـ

وفى سنة ٣٩٥ م اغار البرابرة على بركة الاسقيط فانسحب هو واخوته الى فبرينوت بالقرب من هيكل قديم للاوثان وأقام هناك عدة أعوام يسوس جماعة قليلة بمساعدة أخيه الأكبر انوبيوس وكانوا يكرمون بعضهم اكراما عجيبا . وحدث أن بيوس قضى اسبوعا فى ذلك المعبد يرجم صباحا بالحجارة تمثالا كان فيه قصد اهانتة و يأتى أمامه مساء جاثيا طالبا الغفران . فبيمين الذى شاهد تصرف أخيه هذا سأله عن مغزاه فأجابه انى لاجل تعليمك عملت هذا فالتثال لم يكن يحزن وقت رشقه بالحجارة ولم يبتهج اذ كنت أطلب منه الصفح فعلى هذا النحويينبغى أن نتصرف أمام أحزان ولذات العالم » ومن هذا الدرس تعلم بيمين أن يقول « انى أصم لا اسمع ما يقال عنى واعمى لا ألتفت الى نقائص القريب وأخرس لا أتكلم فيها ولا أحكم عليها بل أترك الحكم لله »

وكان أحد السواح المقيمين تحت ارشاده يذهب أحيانا الى احدى البلاد القريية و يبيع لمعلمه ما يشتغله من السلال . فجاء يوما طالبا منه أن يرشده الى طريقة يبيع بها السلال فقال له « اذا اراد أحد أن يشتريها بأكثر من ثمنها فلا تبعها وأما بأقل منه فسلم وكن على الدوام منتبها لكى يربح الناس منك وسر لانك تخسر للاجلهم » واتفق أن القديس شعر بأن رجلا اشترى منه السلال لكى يعمل معه معروفا فدفع له فضته واسترجع منه السلال قائلا له « لا أريد أن أربح بخسارة الغير »

وأدرك القديس معنى قول السيد المسيح « من أحب أبا أو أما أو اخوة أكثر منى فلا يستحقنى » بمعنى انه لا ينبغى أن يحبهم محبة تعوقه عن اتمام عمل خلاصه . فذات يوم جاءته والدته كسى تشاهده فهرب منها محتفيا ولكنها لاحظته فتبعته وهى تبكى متوسلة اليه أن يقف لتشاهده وتخاطبه . أما هو فأجابها « لا تبكى لانك عتيده أن تشاهدينى فى السماء الى الابد اذا سرت فى طريقى » ومرة أخرى أرسلت اليه شقيقته تقول ان ابنها مسجون وقد وعد الحاكم باطلاقه اذا طلبت منه ذلك فرد عليها يقول « ليس لبيمين بنون يحزن عليهم فليحصه الحاكم فان كان مذنباً فليعاقبه وان كان بريئاً فليطلقه » فتعجب الحاكم من فضيلته وأطلق الشاب

ولم يكن تصرفه هذا قساوة منه على أهله لان محبته وشفقته تجلت لكثيرين من الخزانى والمصابين الذين كانوا يلجأون اليه فيجدون فيه معزيا جليلا وكان يشعر بعطف كلى على الخطاة

حتى انه كان يقول « يجب أن نستعمل مع كل الخطاة كل ما نملك من الرحمة والمحبة لأننا اذا وبعناهم بشدة حينما يصرخون لنا بذنوبهم نريد لهم حزنا ولكن ان كنا نهديهم روعهم ونطلب منهم أن يكفوا عن حزنهم و يلقوا اتكاهم على الله ونحذرهم من العودة للخطيئة فى المستقبل يمكننا ان نجذبهم الى التوبة بسهولة » .

ولما اشتهر القديس بيمين بصفات حسنة كثيرة فى أنحاء القطر وأخصها استقراء الاحوال وكشف المكنونات . أصبح مقصدا لكل متحير وكثر القادمون اليه من كل مكان وقال له أحدهم يوما لقد كنت أخشى ان توصد فى وجهى باب مغارتك لانه زمن صيام فأجابه « انى لا أعرف أن أغلق فى وجه أى انسان هذا الباب الخشبى بل انى اجتهد بكل قوتى أن أغلق باب لسانى » والتجأ اليه مرة أحد الرهبان لكى يعين له عملا يقوم به خلاف زرع الاراضى وأعطاه محصولها للفقراء فأجابه « ان هذا العمل الحسن لا يلزم أن يغير » ولما لامه البعض على تعيين فلاحة الارض كعمل خاص بالراهب قال « ان الذى يريد أن يفعل الخير لا يتخير نوعه بل فليعمل ما فى قدرته » وحينما طلب منه البعض أن يرشدهم الى كيفية اباداة الافكار الرديئة أجابهم « اهلوا تلك الافكار نظير المغلوق عليهم فى السجن . لا تصغوا اليها ولا ترددوها من جديد فى هواجسكم فتبيد من ذاتها كما تهلك الحيوانات التى لا توجد فى مكان ليس فيه هواء » ولما كشف له أحد الرهبان ضميره فى انه كان يتعذب من قبل تصورات مختلفة أجابه « كما أن الذباب لا يستقر على وعاء مملوء من الماء المغلى الشديد الحرارة بل يستقر على الوعاء المملوء بالماء الفاتر وهناك يتولد الدود هكذا لا يستطيع الشيطان أن يضر بتجاربه الذين تتقد فى قلوبهم نغبة الله بل يستحوذ على الذى يكون قلبه فاترا فى محبة الله »

وأحد الاخوة ارتكب زلة فتعهد له بأن يكفر عنها بأماته ثلاث سنين فقال له « أخاف أن لا تثبت على هذا المقصد يجب أن ترضى بأماته ثلاثة أيام وتعملها بجماعة » وأخر جاء يستشير فى بعض الوسائط التى يستعملها لينجو من تجربة شديدة وقوية فأمره أن يبعد عن مسكنه مسافة ثلاثة أيام وثلاث ليال و يصوم كل يوم حتى المغرب مدة سنة . وقيل ان راهبا كان متعذبا جدا من أفكار التجديف وحاول مرارا أن يخطر القديس بأمره ولكنه خشى فلمح منه ذلك وطلب اليه أن يكشفه بأمره فشكى له تجربته فقال له « اذا وسوس اليك الشيطان بمثل هذه الافكار قل له « ان تجديفك يقع عليك أما أنا فلا آخذ منه جزءا لان قلبى يبغضه » وذات يوم جاءه رجل من سورية وسأله اى دواء أنفع لصلابة القلب فأجابه « الحرارة فى الصلاة والمواظبة » وكان يحث الاخوة على دوام ممارسة الفرائض الالهية ولا سيما سر الافخارستيا فقال لهم « أن الظباء بعد أن تفترس الافاعى فى البرارى تلتهم من سمومها فتطلب الماء لكى تبرد غليتها هكذا نحن نقدر أن نجتاز بادية هذا العالم بدون أن نبتلع شيئا من سمها ولا ننجو من ذلك الا بتكرار مباشرة الفضائل الالهية »

وكانت الاجوبة الحكيمة التى يجابوب بها هذا القديس سائله ناشئة من كثرة استنارته بشريعة الله ومواظبته على مطالعة الكتب المقدسة حتى انه قال فى هذا الموضوع « كما أن الماء الجارى على توالى الزمن يتمكن من اقتلاع الصخور الراسخة هكذا المداومة على تلاوة كلام الله تلين القلوب الجامدة » ولكى يغزى ذلك البار الذين كانوا لا يجدون تعزية من كلمة الله لعدم فهمها قال لهم هكذا « كما أن الرقاة الذين يرقون الحيات لا يفهمون فحوى تلك الكلمات التى ينطقون بها ومع ذلك تفعل مفعولها فى الحيات فتمنعها عن اللدغ هكذا كلام الله اذا تلى يستطيع أن يزجج الشياطين ولولم يفهمه الذى يتلوه »

واعطى تلاميذه هذه القاعدة « لا تجاروا هواكم بل قاوموه فى كل حين لان الذين يتبعون أهواءهم لا يحتاجون للشيطان ليجرهم فهم أنفسهم مجربون أشداء » وكان يقول « لا يمكن أن يطرد الشر بالشر . اذا فعل معك أحد شرا فافعل معه خيرا لتغلب الشر الذى يفعله معك بالخير الذى تفعله معه » وأضاف الى ذلك ما نصه « ان المقلق والمتذمر والمتظلم لا يستطيع أحد منهم أن يكون راهبا وكذا ذوو الاميال الرديئة الشديدة ومن يجازى الشر بالشر » وكثيرا ما كان ينصح اخوته أن لا يكتموا التجارب فى أنفسهم قائلا « لا شىء أحب للعدو من أن يرى واحدا مصرا على عدم اخبار رئيسه أو مرشده بتجاربه » وقوله « يجب أن تكون عيوب المرء دائما نصب عينيه بحيث ان ذلك يمنعنا عن ملاحظة عيوب الغير » وقوله « ان الصوم والانسحاق يمنعاننا عن رؤية زلات الغير ولو كانت تظهر مسوخوا للذين يغفلون عن خطاياهم . فلا ريب ان الذى يحكم على نفسه يقدر أن يعيش فى كل موضع ويحتمل بصبر كل الشتائم » وقال يوما لراهب « ان من يملك نقاوة القلب هذه التى بها تستحق النفس أن ترى الله هو مقتنع ان فساد قلبه قد جعله أردأ من القتلة أنفسهم » أما أخوه انوبيوس فأثبت هذا الحكم بقوله « ان الدينونة التى يدين بها الانسان نفسه تحجب زلات غيره فليس الانسان عادلا الا متى حكم على نفسه » وكان القديس يمين يستعمل عادة هذا التشبيه هو « رجلان كان لكل منهما صاحب ميت فى بيته فذهب الواحد الى الآخر وكلاهما يبكى على جسم حبيبه يتأسف عليه ومن ثم سبيلنا أن نشفق بعضنا على بعض ونشفق على زلات القريب » . وللقديس خلاف هذه الاقوال كثير ولا سىما فيما يتعلق بالصمت واحتقار الذات . ومما يؤسف له اننا لم نقف على ما ذكرنا الا فى مؤلفات الاجانب لفرط اهمالنا فى حفظ آثار آبائنا

وبعد أن مضى البار يمين مدة فى البرية يرشد و يعلم هجم البربر ثانيا على الجهة التى كان مقيا بها وكانوا يقتلون كل من وجدوه أمامهم حتى اضطر القديس أن يهرب هو والقديس ارسانيوس سنة ٤٣٠ م وأخيرا رقد فى الرب فى أواسط الجليل الخامس

(٦) ديديموس الضرير :

ولد بالاسكندرية سنة ٣٢٨ م وأصيب بمرض فى عينيه وهو فى الرابعة من عمره ففقد

بصره ولكن رغبته الشديدة للحصول على العلم ذلت أمامه كل عقبة فقد البصر ولا الفقر من تعلم الحروف الابدادية على لوح محفور وهذه الطريقة تعلم النحو والمعاني والبيان والفلسفة والمنطق والرياضة وفن الموسيقى . وكان متمكنا من كل علم من هذه العلوم تمكننا جعله متفوقا على اترابه . ومناظريه . وقال ايرونيوموس « أنه تعلم الهندسة أيضا التي تحتاج الى النظر أكثر مما سواها حتى كان أعجوبة لكل ناظر اليه فانتشر صيته وذاع اسمه في كل مكان »

وكان ديديموس صديقا حميا للقديس انطونيوس فذات يوم شرعا يتخاطبان عن الكتب المقدسة فسأله القديس في أثناء مذاكراته ألعك لا تحزن على كونك كفيف البصر؟ فقال له ديديموس ان ذلك ليحزننى جدا . فقال القديس « انى لمتعجب من حزنك على فقد ما تشترك فيه معك أحقر الحيوانات كواسطة للشعور بها مادام لا شعور عندهم غير البصر ولا تفرح متعزيا لان الله تحولك نظرا آخر لا يهبه تقديس اسمه الا لمحبيه فأعطاك عينين كأعين الملائكة تبصر بهما الروحانيات بل بواسطتهما أدركت الاله نفسه وسطع نوره أمامك فأزاح دياجير الظلام عن عينى قلبك فاستنرت » فتسلى ديديموس بهذا القول طول حياته

ولما كان شائعا حينئذ بين كثيرين أن أوريجانوس لا يمتاز عن المبتدعين والهرطقة . وكان هذا العلامة من الواقفين على الحقيقة والعارفين بسلامة ايمان أوريجانوس نشر شرحا وافيا لكتاب أوريجانوس المسمى « المبادئ » أوضح فيه خطأ الذين يعتقدون فى أوريجانوس الضلال وان ما يوجهونه اليه من الانتقاد هو مجرد أوهام لا قيمة لها ثم قال « ان الذين يتهمون أوريجانوس بالابتداع هم عديمو الفهم لا مقدرة لهم على ادراك الافكار العالية والحكمة الغامضة التى امتاز بها ذلك الرجل العظيم الذى يعد من النوابغ المشهورين » أهـ

وبعد وفاة مقار السياسى مدير المدرسة اللاهوتية عين البابا اثناسيوس ديديموس خليفة له سنة ٣٤٠ م فكان استاذا ماهرا ومدافعا قويا عن الايمان القويم فتقاطر طلاب العلم اليه من كل مكان وتعلمذ له روفينوس وايرونيوموس اللذان أتيا مصر لدرس أحوال الرهبنة كما سيأتى . ولما كان كثيرون من ذوى البصر يتلقون العلم عن ذلك الضرير لقب حينئذ « الاعمى البصير »

ولما شاخ هذا الرجل العالم كان حزنه عميقا على المسيحيين الذين كانوا واقعين تحت اضطهاد يوليانوس الجاحد فصرف يوما كاملا فى الصلاة والصوم وهو يبتهل الى الله أن يرفع البلاء عن شعبه الى أن أضناه التعب فنام وفى أثناء نومه سمع صوتا من العلاء يقول له « قم وكل وقل لا اثناسيوس ان القيصر قد مات » فكتب تاريخ اليوم والساعة اللذين سمع فيها هذا الصوت فوافق بالتمام الوقت الذى قتل فيه يوليانوس

قال سقراط المؤرخ « ان ديديموس كان يعتبره الناس حصنا متينا وسندا قويا للديانة المسيحية حتى قبل أن يتولى رئاسة المدرسة اللاهوتية وهو يعد خصما عنيدا كسر شوكة اتباع اريوس

واذ لهم فى مناظرته لهم . وله مصنفات عديدة لم يسبق منها فى عالم الوجود سوى أربعة فقط » أهـ
وقد وضع من الكتب كتاب تفسير للمزامير والانجيل متى و يوحنا وكتابا فى عقائد الدين وكتابين
فند فيها ضلال الار يوسيين وكتابا فى الروح القدس ترجمة ايرونيemos الى اللاتينية وعشرة كتب
فى تفسير نبوة اشعيا وثمانية فى نبوة هوشع وبعث الى ايرونيemos بثلاثة كتب فى تفسير آيات من
الاسفار المقدسة وكتب خمسة كتب فى نبوة زكريا اقترحها عليه ايرونيemos وفسر سفر أيوب وغير
ذلك . وايرونيemos تلميذه الذى عدد مؤلفاته كتب عنه فى سنة ٣٩٢ م يقول « وهو حى الى الآن
وقد جاوز الثالثة والثمانين من عمره » وتوفى ديديموس سنة ٣٩٦ م

(٧) تأسيس كنيسة مسيحية ببلاذ الحبشة بواسطة أتباع المصريين :

فى بدء صعود البابا اثناسيوس الرسولى الى كرسى البطريركية حدث حادث تاريخى هو
فتح بلاذ الحبشة للتبشير بالانجيل وذلك أن أحد فلاسفة مدينة صور واسمه ميروبيوس أراد أن يقوم
برحلة رياضية لبلاذ الهند فأخذ معه اثنين من أقاربه وهما صبيان مسيحيان اسم الاول فرومنتينوس
والثانى ايديسيوس ففى أثناء رحلتهم فى بحر القلزم (البحر الاحمر) احتاجوا الى طعام فاقتربوا من
الشاطىء ورآهم البرابرة القاطنون هناك فهجموا عليهم لينتقموا من بحارة فى احدى السفن كانوا قد
أساءوا اليهم فذبحوا ميروبيوس وجميع البحارة والركاب ولم يستثنوا الا الصبيين اللذين كانا قد هربا
الى مسافة قريبة فوجدوها تحت ظل شجرة كبيرة يطالعان الكتاب المقدس ويصليان الى الله
لينقذهما فأحاطوا بهما وأسروهما وقدموهما هدية الى ملك البلاذ فى مدينة اكسوم فى عاصمة اثيوبيا
(الحبشة) فى ذلك الحين . فجعل الملك ايديسيوس رئيس سقاته وفرومنتينوس أمين صندوقه

وعند موت الملك اعتقها ولكن أرملة الملك طلبت منها أن يمكثا فى بلادها ليساعداها على
تربية أولادها الصغار فقبلا وساعدا الملكة بمشهورتيهما فى أمور الحكومة حتى صارت حكومة الحبشة
فى أيديهما على توالى الايام . وفى أثناء ذلك استخدما كل نفوذ لهما فى نشر الديانة المسيحية
وساعدهما على ذلك تجار مسيحيون رحلوا للتجارة فى أقاصى تلك البلاد فنبت البذار الذى زرعاه
ونما بسرعة

وبعد سنوات عديدة صارولى العهد راشدا فلم يبق لهما وجه فى الإقامة بتلك البلاد فرجعا
الى وطنهما أما ايديسيوس فسبق الى صور حيث رسم فيها قسا وأخبر روفينوس كاتب القصة بجلية
الخبر ولكن فرومنتينوس عرج على مصر ليسرد الخبر على مسامع البابا اثناسيوس الرسولى

وحدث انه بينما كان هذا البابا جالسا فى مجمع مع زمرة من الاساقفة قيل له ان رجلا
غريبا وفد حالا من البلاذ الحبشية يرغب فى مقابلتهم . وعندما حظى فرومنتينوس بالمقابلة طلب
اليهم أن يعينوا أسقفا ليرأس كنيسة الله الصغيرة فى بلاذ الحبشة فصرح البابا اثناسيوس الى مجمع
القسوس المجتمعين حوله قائلا كما قال فرعون عن يوسف « هل نجد مثل هذا رجلا فيه روح الله ؟ »

ثم قام برسامته وتكريسه أسقفًا للحبشة وسافر فرومونتينوس عائداً الى مقر وظيفته فاستقبلوه هناك
أفضل استقبال وسرت بذكره الاغانى نورد لك هنا مثالا منها تكاد تكون حرفية

حيوا سلامتنا بأصوات السرور وتقدموا بمديحه مترنمين
ذا باب رحمتنا مع البر الغزير غيث أتى من فيض رب العالمين

وقيل ان كثيرين من البرابرة شفوا من أمراضهم على يده وأن عددا عظيما اهتدى الى
الايان بالمسيح فأقام لهم كنيسة وترجم الكتاب المقدس الى اللغة الحبشية ولم يمض الا القليل حتى
قبل معظم الإحباش الديانة المسيحية .. ولقب الاسقف رسميا فى بلاد الحبش (ابا سلامة) أى
(أبوالسلام) ولغاية يومنا هذا يقال لاسقف الحبشة (ابا سلامة) وصارت الكنيهة القبطية من
ذلك اليوم هى صاحبة الحق فى ارسال الاساقفة الاقباط اليها

ويقال ان متى الرسول هو أول من نادى بالانجيل فى الحبشة وتبعه مارمرقس كاروز
الديار المصرية حتى ان فرومونتينوس وجد أثرا للديانة المسيحية فى تلك البلاد وعلى كل حال فلم
تقم للمسيحية قائمة ببلاد الحبشة الا فى عهد البابا اثناسيوس

(٨) نشر الرهبة فى العالم بواسطة بطريرك الاسكندرية :

سبق معنا ان الكاتب لسيرة القديس انطونيوس هو البابا اثناسيوس الرسولى كتبها فى
حياة القديس انطونيوس نفسه واختلف الرواة فى السبب الذى حمل البابا على تحرير تلك السيرة
فقال بعضهم انه كتبها تلبية لطلب نساك مصر أثناء اقامته بينهم وقال آخرون انه دونها فى رومية
حين استضافه أسقفها وطلب منه مسيحيو تلك البلاد الذين كانت قد وصلت الى مسامعهم انباء
القديس انطونيوس اللذيذة أن يقص عليهم خبره ولما أخذ يقص عليهم ذلك البطريرك أخبارا عن
أبطال الرهبة ونظامها كانوا يصغون اليه بكل ارتياح وبعد ذلك كتب لهم ترجمة القديس وقوانينه
فصادفت منزعا فى نفوس الغربيين وأخذوا فى تأسيس رهبانيات كثيرة تسير على نظام رهبنة مصر
وكثر اقبال الشبان الذين هجروا العالم وآثروا المكوث على قمم الجبال والقفار والصحارى والمغائر
والوديان كما جرى فى برارى مصر الشرقية والغربية

ويمكننا أن نوفق بين الروايتين بما نذكره وهوان البابا اثناسيوس كتب تاريخين للانبا
انطونيوس أحدهما بناء على طلب رهبان مصر وثانيهما بناء على طلب مسيحيى رومية وهذا هو
السبب فى وجود بعض اختلاف لا يضر بالجوهريين مؤرخى الشرق ومؤرخى الغرب فى ترجمة
القديس وذكر ابرونيوموس تأييد لهذا القول « انه لما هرب هذا البطريرك الى رومية أخذ موجز

القديس انطونيوس الذى كان قد ألفه وان ناسا كثيرين بعد أن قرأوا الخبر هجروا العالم وترهبوا «
أهـ وكان القديس اثناسيوس قد كتبه باللغة اليونانية وترجمه ايرونيμος الى اللغة اللاتينية

وانتشر ذلك التاريخ الذى كتبه البابا اثناسيوس عن القديس انطونيوس حتى بلغ مدينة
تريف على حدود جرمانيا ، وقيل ان اثنين من ندماء الملك سمعا جماعة تقرأ ذلك التاريخ فتأثر منها
جدا وتركوا وظيفتهما وآثر عيشة النسك وبلغت سيرة انطونيوس اسماع اغوستينوس وقد قصها عليه
بميلانو صديق زاره فأظهر تأثره الشديد وأتت به هذه القصة الى المسيح

وبالجملة فقد سار خبر القديس انطونيوس الى جميع الاصقاع الغربية حتى فى بريطانيا
سموا بعض كنائسهم باسم هذا البطل المصرى بل وجد على أقدم الانصاب المسيحية فى اسكوتلنده
نقش يمثل مار انطونيوس مع صديقه الانبا بولا . وكذلك المصورون المسيحيون فى اسبانيا وهولاندا
وغيرهما صوروه مجاهدا ضد التجربة

(٩) نشر الدين المسيحى بين البدو وتعميدهم بواسطة أفاضل الكنيسة القبطية :

من كبار رهبان هذا الجيل الآب موسى القبطى الذى كان يعيش فى صومعة موجودة فى
الصحراء الواقعة بين مصر وفلسطين . وكان مشهورا بالتقوى وله منزلة سامية لما أجراه الله على يديه
من الآيات والمعجزات بين قبائل البدو المقيمين بتلك الجهات تحت رعاية ملكة اسمها مافيا كان
زوجها متحالفا مع الرومان و بعد وفاته صاروا يغيرون على كل بلاد المشرق ولم يكن فالنص الملك
الارىوسى قادرا على صدهم عن حدود بلاده لاهتمامه بمقاومة سكان جنوبى فرنسا . فأرسل
فالنص للملكة مافيا يطلب عقد صلح معها فاشتطت عليه أن يعين لبلادها موسى أسقفا مع انها لم
تكن مسيحية بعد . فأرسل موسى بأمر الملك ليرسم أسقفا من بطريك الاسكندرية ولكنه رأى أن
لوسىوس البطريرك الارىوسى مضطهد الارثوذكسين هو الذى يقوم مقام البطريرك الارثوذكسى
فرفض مطلقا أن يرسم من بطريك هرطوقى قائلا « أننى أحسب نفسى غير مستحق لهذه الوظيفة
السامية ولكن اذا كانت دواعى الحال عند الحكومة ماسة لتوظفى فيها فلا مندوحة لى من قبول
هذه الوظيفة ولكنى لا أقبلها من لوسىوس ولا هو يضع يده على ليرسمنى لانها يد ملوثة بدماء
الابرار القديسين »

فاغتاز منه لوسىوس وحاول أولو الامر أن يقنعوا موسى بقبول الرسامة ولكنه أبى بتاتا أن
ترتفع يد موسى الاثيمة على راسه فأخذ الحراس الى أحد الاساقفة المنفيين لأجل تمسكهم
بالايمان

ولما تعين موسى أسقفا انتشرت بواسطته الديانة المسيحية انتشارا واسعا بين جماعة البدو .
ولما رقى يوستينيان العرش الامبراطورى صارت جميع هذه البلاد مسيحية بالمرّة

فمن هنا يتضح ان الكنيسة القبطية لم تقتصر على قبول الايمان المسيحى لنفسها بل عملت على نشر هذا الايمان فى الاقطار البعيدة التى لم تكن قد آمنت بالمسيح وكنيسة تبشيريه أرسلت من قبلها مرسلين الى جهات عديدة من أنحاء المعمورة لهذه الغاية . وهنا ننقل ما كتبه فى هذا الشأن « لجنة التاريخ القبطى » بكتابتها « خلاصة تاريخ المسيحية فى مصر » ص ٢٣٠ : « وقد كتبت أخيرا فى ذلك الآتسة مرغريت مرى تقول « بينما كان المسيحيون فى أفسس وكورنثوس وغيرهما من الاصقاع عبارة عن جماعات صغيرة متفرقة . كان مسيحيو مصر هيئة منتظمة بلغت من القوة حدا أفضى الى جعل النصرانية الدين الرسمى للقطر المصرى قبل القرن الرابع للميلاد ولهذا يحق لمصر أن تفتخر بأنها أول قطر مسيحي فى العالم . والفخر الاكبر انها حتى قبل بلوغها هذا الشأن كانت ترسل المبشرين من أبنائها الى سكان أوربا الوثنيين . وقد مخرت سفن أولئك المبشرين فى البحر الابيض المتوسط الى أن بلغت سواحل فرنسا الجنوبية . فتخلف بها بعض منهم وواصل الباقون سفرهم على ظهر سفن ساحلية غالبا حتى عبروا مضيق جبل طارق واتجهوا شمالا بمحاذاة سواحل اسبانيا والبرتغال وفرنسا الى أن وصلوا الى التيارات الخطرة التى تكتنف رأس بوشات ثم استقبلوا عرض البحر وشقوا عبا به الى ايرلندا الجنوبية فنزلوا بها وبثوا دعوتهم فيها وأسسوا كنيسة بريطانية أرسلت مبشرها بعد ذلك الى الاقطار الاخرى . وليس ذلك فقط بل ان بعض المرسلين المصريين سافروا فى الطريق القديم الذى كانت تسير فيه السفن التجارية وبلغوا بريطانيا ذاتها فنزلوا على ساحلها الغربى الذى لبث الفينيقيون قرونا عديدة يؤمنونه للتجارة

« وقد جلب المبشرون المصريون معهم الى الجزر البريطانية نظام الرهبنة الذى أحدث أثرا بالغاً فى أوربا فى القرون الوسطى . وآثار سفرائهم هذه يجدها الباحث مدونة فى بيان كتبه يوخريوس أسقف ليون المتوفى سنة ٤٥٠ م وقال فيه « ان الرهبان المصريين استقروا فى فرنسا » أهـ

ويجدها أيضا فى تذكّار الرهبان المصريين السبعة الذين ماتوا فى ايرلندا وخلدوا فى دء أوينجس وأخير يجدها فى تاريخ تلك الطائفة التى قطنت جلاستبرى وسارت فى حياتها على نمط الرهبان المصريين » أهـ

(١٠) بعض الذين وفدوا على مصر فى هذا القرن لدرس نظام الرهبنة :

منهم روفينوس (١) وسيدة تدعى ميلانو (٢) وروى الاول عن حالة الرهبنة فى مصر حيثئذ أخبارا كثيرة منها ان أسقف مدينة اوكرسخيوس أخبره أن فى تلك المدينة عشرة آلاف راهب وان معظم الهياكل الوثنية تحولت الى أديرة وان اثنتى عشرة كنيسة أخرى بنيت فى تلك المدينة لهذا الغرض . وشاهد فى الفيوم وفى سوهاج أديرة كثيرة تجمع ألوفاً من الرهبان ووقف بالقرب من هرموبوليس (الاشمونين) على دير به خمسمائة راهب بينهم أبولو ينوس وقد ترهب وهو فى الخامسة عشرة من عمره وهو من أصل طيب وتحصل على كثير من العلوم وكان مقاوما لجورجىوس البطريرك الدخيل وأقامه البابا اثناسيوس أسقفا وصار رئيسا على الدير المذكور

وعثر روفينوس فى خلوة خلف مدينة انطونيوس (دير البرشا) على راهب يدعى الياس قطن مغارة واسعة مدة سبعة وسبعين سنة قضاها وحيدا . وكان عمره حينئذ ١١٠ سنة والفاه مصابا بالفالج الذى اهزله واضعفه ولم ير الياس خارج مغارته ولم يسكن مكانا غيرها كما أنه شفى مرضى كثيرين وكان طعامه ثلاث أوقيات من الخبز يوميا وثلاث زيتونات كل مساء

ووجد مغارة أخرى كان يسكنها ثيون وهو راهب اشتهر بعلمه وتضلعه فى اللغات اليونانية والمصرية واللاتينية ومن أتوا مصر أيضا ايرونييموس (٣) وكاسيانوس (٤) وقد أظهر هذا دهشته مما شاهده من قساوة الرهبان على أنفسهم حتى أنهم كانوا يضطرون الى حل ما يلزمهم على منكبيهم ويسيطرون بهذه الاحمال الثقيلة مسافة قد تزيد عن ثلاثة أو أربعة أميال . وروى عن رؤساء الرهبان حينئذ أنهم لم يكونوا يكلفون تلامذتهم بأية خدمة وحكى أحدهم بأن رئيسه كرونيوس فى شيخوخته كان يملأ الجرة ويطوف بها على الرهبان ليسقيهم . ورئيس آخر يدعى

(١) من ايطاليا أتى مصر لدرس قوانين رهبنتها ليستعين بها على تحسين حالة الرهبان الغربيين . وكان مغرما بكتابات اوريجانوس وتشاحن بسببها مع صديقه ايرونييموس وبعد رجوعه الى بلاده ترجم كتاب اوريجانوس الموسوم بالمبادئ وصدره بما كتبه بامفيلوس محاماة عن اوريجانوس وبتقريظ ايرونييموس نفسه المصدرة به ترجمته لشرح اوريجانوس على سفر نشيد الانشاد وقد ذيل الكتاب المذكور برسالة منه وضع فيها ما أدخله أصحاب اوريجانوس وخصومه فى كتاباته من الزخارف والدسائس المضغفة .

(٢) سيدة رومانية من أصل طيب صحبت روفينوس الى مصر ومكثت تعبد بأحد اديرتها حتى قبض عليها الارويسيون ونفوها (٣) ولد سنة ٣٣١ م فى مدينة ستريدون وسافر الى بلاد كثيرة وتقلب فى وظائف كهنوتية ثم أتى مصر وأغرم بمؤلفات اوريجانوس ثم عدل عنها وصار يقاوم كل من أحبها وبسببها تخاصم مع صديقه روفينوس كما علمت مع أنه استعان فى مؤلفاته العديدة بكتب اوريجانوس

(٤) مكث فى مصر بين سنتى ٣٩٠ و ٤٠٣ م ونقل جملة قوانين للرهبنة المصرية الى اللغة اللاتينية لتكون نبراسا لرهبان الغرب .

ثيودوروس كان يعد المائدة لتلاميذه ولما سئل في ذلك أجاب « لست سيدا حتى أسمح للناس بأن تخدمنى » ومن أشهر من وفدوا الى مصر أيضا القديس ارسانيوس (١) من مدينة رومية

ومن كتبوا عن الرهبنة حينئذ « بلاديوس » طاف أديرة كثيرة ووضع لها تاريخا قويا . نشأ فى مصر الوسطى وسنة ٣٩٩ م أصيب بمرض فسافر الى فلسطين للامتنشفاء فأقيم أسقفا فى هلينبوليس بمقاطعة بيت عنيا وكان من المتشيعين للعلامة أوريجانوس ومن أصدقاء القديس يوحنا فم الذهب ولما نفى هذا القديس قبض على بلاديوس وأودع السجن مع أساقفة كثيرين من أنصار أوريجانوس وفم الذهب . وفى سنة ٤٠٥ م نفى بلاديوس الى أسوان . وبعد وفاة البابا ثاوفيلس صرح له بالاقامة فى اقليم مصر الوسطى فصرف فيه أربع سنوات ووضع فيها تاريخه واتممه سنة ٤٤٠ م

م

(١) أصله من عائلة شريفة اختير مؤذبا لاولاد ثيودوسيوس قيصر الكبير ولكنه أثر عيشة النسك وهرب الى مصر الى برية شيهات وقدم نفسه الى رئيس دير يدعى يوحنا والتس منه أن يقبله فلكى يمتحنه الرئيس أعرض عنه هو ورهبانه وجلسوا للاكل وهو واقف أمامهم ثم طرحوا له لقمة فتناولها بخضوع وأكلها فقبل بين الرهبان وعينت له صومعة فوق جبل المقطم ولما تولى تلميذه اركاديوس بن ثيودوسيوس قيصر الملك أحب أن يرقه وبه عطايا فأرسل يقول له « ان من مات عن العالم لا يهتم بالدرهم » وطلب منه أن يوزع ما وهبه له للفقراء والمساكين . وقيل أن البابا ثاوفيلس البطرك أتى لزيارته فطلب منه أمرا واحدا وهو أن يعود بدون أن يقابله لانه عزم على أن لا يرى اناسا قط . وحدث ان احدى شريفات رومية قدمت مصر لزيارته وسارت اليه من الريف الى البرية مشيا على الاقدام فأبى أن يقابلها فشكت منه للبابا ثاوفيلس فطيب خاطرها وقال لها أن قديسا مثله لا ينتظر منه أن يتطلع الى امرأة وكان يستشير فى أموره راهبا بسيطا ولما سئل عن ذلك أجاب « انى مع ازدياد تفقهى بعلوم البشر أقل دراية من هذا الشيخ البسيط » ولما كان كثير السكوت سئل عن ذلك أيضا فقال « كثيرا ما تكلمت فندمت . وأما عن الصمت فلم أندم » وعاش فى البرية أربعين سنة أجهد فيها نفسه بالنسك الزائد حتى كان يصرف ليله بالصلاة ولا يرقد سوى ساعتين عند الفجر . وكان يعيش من عمل يديه ووقت القداس يقف خلف عمود حتى لا يراه أحد ومن كثرة البكاء زال جمال منظره وسقط شعر جفونه وأمخت قامته من الكبر ثم تنيح بسلام

القسم الثالث المملكة والكنيسة

الفصل الاول حوادث الاضطهاد

- (١) اضطهاد ديوكليتيانوس
(٢) اضطهاد غالير يوس
(٣) اضطهاد مكسيميان
(٤) تاريخ الشهداء
(٥) عهد قسطنطين الملك المؤمن
(٦) اضطهاد الار يوسيين بمساعدة قسطنس
(٧) اضطهاد يوليانوس
(٨) اضطهاد فالنص الملك الار يوسى
(٩) ثيودسيوس الملك الارثوذكسى .

(١) اضطهاد ديوكليتيانوس :

تعاقب جملة ملوك على كرسى المملكة الرومانية بعد فاليريان لم يقيم أحد منهم باضطهاد على مصر حتى آل العرش أخيرا الى ديوكليتيانوس سنة ٢٨٤ م وكان العامل على مصريومثد رجل اسمه اخيلوس انتهز فرصة الارتباكات التى سادت على المملكة الرومانية واستقل بمصر ونادى بنفسه ملكا عليها وجعل مقره طيبة وأقام فيها أربعة أعوام لم يتمكن غالير يوس والى الرومانى فى خلالها من اخضاعه . فاضطر ديوكليتيانوس أن يحضر بنفسه الى مصر ليقتص من اخيلوس على هذه المخالفة والجرأة ويخلص البلاد من يده ولدى وصوله حاصر الاسكندرية وضيق عليها تضيقا شديدا وبعد ثمانية أشهر فتحها عنوة واستولى عليها فأحرق المدينة وفتك باهلها فتكا ذريعا

وكان قد ظن أن المسيحيين هم الذين أثاروا هذه الفتنة وناصروا اخيلوس فاستعمل معهم الظلم والعسف وتجاوز الحدود فى ذلك وأرتكب ما لا يخطر على بال أحد من المآثم والمظالم واقتضى أثر اخيلوس العاصى الذى هرب الى داخل البلاد فكان القيصر اينما حل يوقع بهم و يقتلهم ويهدم كنائسهم ويخرب معابدهم ويعذب رؤساءهم ويسبى نساءهم وأولادهم . وسبى كثيرين من مدينة الاسكندرية وأباح لجنوده باقى أهلها ليفعلوا بهم ما يشاؤون فعاثوا فى الارض واهلكوا الحرث والنسل وقتلوا وفتكوا ونهبوا وسبوا وأراقوا الدماء أنهارا واشتدوا شدة لم يسبق لها مثيل

واستمر ديوكلتيانوس يعذب المسيحيين بأفظع أنواع العذاب رغبة في تمزيق شملهم وحملهم على السجود للأصنام . وروى بعض الإباء أن ديوكلتيانوس ركب ظهر فرسه وأمر جنده أن لا يتركوا القتل حتى تسيل الدماء على الأرض وتعلوا حتى تصل إلى ركة فرسه . فكان من اللطاف الإلهية أن سقطت به الفرس على الأرض فتلوثت ركبناها بالدم فتم قوله وابطلوا القتل . غير أن كثيرين من المسيحيين كانوا محبوسين وقد حكم عليهم بالموت أو بالنفى ولما شعروا بأن ديوكلتيانوس ينوى بهم شرا تركوا مصر وفروا إلى بلاد أخرى

وقد استمر الاضطهاد جارا على المسيحيين في مصر ثلاث سنوات ففى نهايتها أصيب ديوكلتيانوس بالجنون بعد أن ذاق المسيحيون ما لا يوصف من العذاب وروى أوسابيوس المؤرخ الذى أتى مصر بعد هدوء الاضطهاد بقليل ورن باذنيه صدى أنين المنكوبين قال :

« انه يعسر على الكاتب الماهر أن يصف مقدار ما تجرعه الشهداء فى صعيد مصر من أعذبة قاسية وآلام تشيب من ذكرها النواصى فقد كانوا يأتون بهؤلاء الشهداء ويخدشون أجسامهم وينزعون عنها الجلد إلى أن ينكشف اللحم وهكذا يفعلون بباقي أجزاء الجسم إلى أن يموتوا . أما النساء فكانت تربط أحدهن فى إحدى رجليها وترفع فى الهواء بواسطة آلة مخصصة لذلك بعد أن يخلعوا عنها ملابسها ويكشفوا كل جسمها وتظهر أمام جمهور المتفرجين بمظهر تنفر منه الإنسانية وتأباه النفوس الالهية

« وكثيرون ماتوا بواسطة الأشجار بالطريقة الآتية وهى أنهم كانوا يقربون غصنين قوين من شجرتين متقاربتين بآلة وضعت لهذا الغرض ثم يخيئون بالشهيد ويربطونه بهذين الغصنين ومن ثم يتركانهما ليعودا إلى أصلهما فهذا يعتدل لجهة اليمين مثلا والآخر للشمال والشهيد بينهما تتمزق أضلاعه وتسحق عظامه سحقا و يتطاير جسمه فى الفضاء

« ولم تكف هذه الفظائع أيام وشهورا بل كانت تستمر سنينا طوالا وهى فى أفظع حالاتها وكثيرا ما كان يصدر حكم بقتل عشرة أشخاص فى لحظة واحدة وأحيانا يقتلون عشرين رجلا مرة واحدة وأحيانا ثلاثين وستين . ومرة حكم على مائة رجل بالموت فماتوا فى يوم واحد مع زوجاتهم وأولادهم الصغار وذلك بعد أن ذاقوا من العذاب ألوانا »

وقد روى أوسابيوس أيضا قائلا « وقد شاهدت بعينى بينما كنت واقفا بقرب النطع جما غفيرا من المسيحيين جمعوا لينالوا الشهادة ولكن بطرق مختلفة فكان بعضهم تجزؤوسهم وبعضهم يحرقون فى أتون النار المتقدة حتى ان السيف الذى كانت تقطع به الرؤوس ثلم وقل حده وتحطم تحطيا لكثرة ما سحق من الرقاب . وكذلك السيافون تعبوا ونحارت قواهم من ذبح الآدميين فكانوا يستريحون هنيهة ريثما يتنفسون الصعداء

«فما تقدم يتضح ولا شك اننا شهود عدول على ما شاهدناه بأعيننا من الغيرة الخارقة والقوة الالهية الصحيحة والفرح فى الروح القدس الذى ملأ قلوب هؤلاء الذين يؤمنون بالمسيح ابن الله ايماننا متينا جعلهم يقبلون الموت بصدور منشرحة وثغور باسمه . حتى انه عندما كان يصدر الحكم على واحد منهم بالاعدام كان الآخرون يندفعون من كل صوب مزدحمين فى المحكمة أمام القاضى معترفين له بأنهم مسيحيون غير مباينين بما يلحق بهم من أعذبة مريعة واضطهادات شنيعة بل كانوا يجاهرون بكل جرأة وشجاعة بديانته الحقيقية التى تعلم بوجود اله واحد عظيم خالق السماء والارض والبحر وكل ما فيها

«ومن العجيب الغريب انه عندما كان يصدر الحكم النهائى بموتهم كانوا يقابلون هذا الحكم بفرح وتهليل حتى انهم كانوا يرفنون و يرتلون أغانى الحمد والشكر لله الذى أهلهم لان يموتوا لاجله . وكانوا يظلون يفرحون و يطربون الى آخر نسمة من حياتهم عندما تفارق أجسادهم أرواحهم

«نعم ان هذا غريب ولكن الاعجب من هذا كله ان الافراد الذين اشتهروا بغناهم وثرواتهم والذين عرفوا بطيب محتدهم وشرف نسبهم وذاع صيتهم فى الآفاق خصوصا لانهم برعوا فى الفلسفة والعلم ونبغوا فى المعرفة والعرفان هؤلاء كانوا يحسبون كل هذه الامجاد والمزايا من سقط المتاع ويزدرون بها ازدراء فى جانب أهمية الدين الحقيقى والايمان الصحيح بربنا. ومخلصنا يسوع المسيح» أهـ

(٢) اضطهاد غاليريوس . سنة ٣٠٤ م :

كان غاليريوس صهر ديوكلتيانوس يؤمل من وراء الاضطهادات القاسية التى اضطهد بها المسيحيين أن يفنى جموعهم و يقلل عددهم ولكنه رأى ان ذلك الدين كان ينتشر انتشارا عظيما جدا كل ما اشتدت عليه الوطأة من الحكومة فأصدر غاليريوس أمرا جديدا فى خريف سنة ٣٠٨ م يقضى باعادة الاضطهاد على المسيحيين . وقد اشتد غيظه عندما رآهم لا يخشون الاضطهاد بل كانوا يقابلونه بثبات الايمان وقوة العزيمة . فكلف المضطهدون بتشديد الاضطهاد عليهم وكان العامل على اشعال هذه النار من جديد مكسيميان دازا الذى أفرغ كل ما فى وسعه للاحاق كل بلية بمسيحيي مصر فكان يفتك بأغنيائهم و يسخر فقراءهم فى مناجم المعادن فى مصر واستغنى بهم عن المجرمين الذين كانوا يشتغلون فيها وكانوا يحكمون عليهم بالاشغال المؤبدة حتى لا يحلموا يوما بأنهم سيعتقون من ذلك العمل وكان منهم كثيرون من الاساقفة والرؤساء الذين افتدوا أنفسهم على توالى الزمن بشروط معلومة

وفى سنة ٣١١ م ابتلى اله غاليريوس بمرض عضال عز شفاؤه فظن ان ذلك بسبب هياجه

على المسيحيين فأمر بإبطال الاضطهاد وقيل انه اعتنق الديانة المسيحية ولكن المسيح لم يقبل توبته الكاذبة فقصى على حياته

(٣) اضطهاد مكسيميان :

مع ان غالير يوس أبطل الاضطهاد الا أن مكسيميان دازا الذى تنازل له ديوكليتيانوس عن العرش سنة ٣٠٥ م لم يكف عن اظهار غيظه وتوجيه شره للمسيحيين ففاق جميع أعداءهم فى القساوة البربرية عليهم وأمطرهم وابلا من العذاب راح فيه ألوف من الشهداء الابرار قال أحد المؤرخين « حتى كانت القتلى منهم تحمل على عجل وترمى فى البحر »

واستشهد حينئذ البابا بطرس البطريرك الثامن عشر الملقب « بآخر الشهداء » وذلك لانه صلى قبل قطع رأسه بأن يكون دمه آخر دم يسفك من دماء المسيحيين وقد حقق الله سؤاله . فان مكسيميان اضطر أن يبطل الاضطهاد لاشتغاله بالقتال مع قسطنطين غير انه هزم أخيرا ولعظم قنوطه تناول سما فأخذت أنفاسه

(٤) تاريخ الشهداء :

دام الاضطهاد على المسيحيين منذ أيام ديوكليتيانوس عشر سنوات متتابعة استشهد فيها الالوف العديدة من المسيحيين وقيل ان الذين قطعت أعناقهم فى اضطهاد ديوكليتيانوس فقط سنة ٣٠٣ م لاجل اقرارهم بالمسيح كان نحو ١٤٠٠٠٠ من النفوس ما عدا ٧٠٠٠٠٠ هلكوا بالحبس والنفى . وبعض المؤرخين يقولون ان عدد الشهداء حينئذ يبلغ ٨٤٠٠٠٠ نسمة و يظهر انه مجموع شهداء اضطهادات الثلاثة الملوك ديوكليتيانوس وغالير يوس ومكسيميان . ومن ذلك الحين أخذ عدد الاقباط يتناقص من عشرين مليونا الى عشرة ملايين .

ولما رآه الاقباط من آيات الظلم وقساوة الاضطهادات التى كان يتفنن فيها المضطهدون اعتبروا أول ملك ديوكليتيانوس أقسى ملك اضطهدهم تاريخا لهم تؤرخ به الوقائع و يسمونه « تاريخ الشهداء » لكثرة ما سفك فيه من دماء المسيحيين و يبتدىء هذا التاريخ المعول عليه الآن بالكنيسة القبطية من يوم ٢٩ أغسطس سنة ٢٨٤ م ليكون تذكارا لاولادهم يعرفون منه انهم لم يشتروا حريتهم الدينية الا بدم زكى ثمين . الا أن تاريخ الميلاد القبطى ينقص عن التاريخ المعلوم الغربى ثمان سنين فسنة ١٩٢٣ الحالية هى سنة ١٩١٥ قبطية

(٥) عهد قسطنطين الملك المؤمن :

جلس على العرش سنة ٣٠٦ م كان مشهورا بالرفقة وكمال الشفقة وغاية الشجاعة والبسالة . وكان محبا للديانة المسيحية محاميا عنها . واستنجد به يوما الايطاليون ليخلصهم من جور عقنقوس ملكهم فسار اليه بعدد قليل من الجنود ولكنه لما رأى كثرة عدد جنود خصمه تردد فى الامر

وبينما هو متحير رأى هو وكثير من عساكره شكل صليب على دائرة كوكب الشمس مكتوب عليه بالرومانية « بهذا تغلب » ثم رأى فى المنام ايضا حبرا من أحبار المسيحيين يأمرهم بأن يتخذ صورة الصليب شعار ملكه على سلاح جنوده واعلامه فتقوت عزيمته وأمر فجعلوا شعار الصليب على جميع الاسلحة والرايات فى المملكة الرومانية . وقد كان قبل هذا شعار القياصرة عبارة عن صورة صنمية فاتخذ قسطنطين لنفسه بيرقا مظرزا بالقصب ومكللا بالجواهر على شكل صليبى ورقم عليه اسم المسيح بالحروف الرومانية وصور المسيح متوجا بتاج الذهب وأمر جميع جنوده أن يرسم كل منهم صورة المسيح على كنانته وسلاحه ففعلوا جميعا . وتقدم لمحاربة خصمه ففاز به وانتصر عليه ومن ثم اعتنق المسيحية ونال سر العمام

(٦) اضطهاد الاريسيين بمساعدة قسطنس :

ملك على الشرق قسطنس ابن قسطنطين سنة ٣٣٧ م فأعز الاريسيين وناصرهم على الارثوذكسيين فاضطهدوهم اضطهادات مرة توازي اضطهادات الوثنيين . وعزل قسطنس البابا اثناسيوس وعين مكانه رجلا شريرا يدعى غريغور يوس وقواه بجنوده فهاجم بهم مرة على المؤمنين بينما كانوا يباشرون العبادة فى يوم جمعة الصلبوت وانضم اليهم رعاى اليهود والوثنيين وأخذوا يبطشون بالمصلين فهتكوا حرمة العذارى الطاهرات وقبض غريغور يوس الدخيل على أربعين عذراء وعراهن وضرهن بالسياط وقتل عددا وافرا من الشعب أملا أن يكون اثناسيوس بين المقتولين فدنسوا الاماكن المقدسة وأحرقوا الكتب الالهية ثم نهبوا خزائن الكنيسة وأمتعها وقتلوا كثيرين من الرهبان بينما كانوا يدافعون عن كرامة بيت الله

وقد استمر غريغور يوس يرتكب فظائعه حتى انه اضطهد عمة البابا اثناسيوس الى أن ماتت وبعد موتها منع أن تدفن فى مقبرة المسيحيين . ثم التهم الاموال التى كانت تجمع للارامل والايتام . واضطهد الراهب بوتامون أحد أعضاء المجمع النيقاوى وهو رجل لا تزال اثار اضطهادات ديوكليتانيوس له بادية فى وجهه وجسمه فأمر غريغور يوس بجلده حتى مات من تأثير الضرب بعد أيام قليلة ولما بلغت أخبار هذه المساوىء مسامع القديس انطونيوس ابى الرهبان كتب رسالة لاغريغور يوس يلومه فيها على هذه التصرفات المنافية لروح المسيحية فازدري بالرسالة ومزقها

وبعد موت غريغور يوس عين قسطنس مكانه جورجىوس ضربه فى الشر فجدد اضطهاد الارثوذكسيين وبدأ فظائعه بأن طرد ثلاثين أسقفا من الاسكندرية ونفاهم حتى اختفت آثارهم بالمية بعد أن عوملوا معاملة واسعة شديدة حتى ان بعضهم مات فى الطريق قبل أن يصل منفاه وغيره مات بعد وصوله بقليل

وذكر القديس اثناسيوس فى احدى رسائله بعض شرور هذا الوغد بقوله « ولم ينته أسبوع عيد الفصح حتى كنت ترى العذارى الفتيات يطرحن فى السجون اضطهادا وتعذيبا وكان

العساكر ير بطون الاساقفة بسلاسل واغلال ويجرونهم فى الشوارع . وكان اعوان جورجيوس يدخلون مساكن الايتام والارامل عنوة واقتدارا و يسلبون ما فيها . وكانوا يدفنون المسيحيين احياء تحت جناح الظلام ثم يضعون علامات على منازلهم ليعرفوها حتى اذا أصبح الصباح نهبوا ما فيها بدون مقاومة . ولم يقتصر هذا الشر على الاكليروس فقط بل أن أقاربهم كانوا فى خطر لا لذنوب بل لانهم أقرباؤهم ولم يقف الاشرار المضطهدون عند هذه الفظائع بل تجاوزوها كثيرا وتمادوا فى غيهم وعتوهم لدرجة أوجبت نفور الشعب واشمئزازه من هذه الحالة حتى ان أعضاء الكنيسة لم يطبقوا تأدية الصلاة فيها بعد عيد الفصح بل كانوا يذهبون الى المقابر و يصلون فيها لانهم كرهوا الصلاة مع جورجيوس فلما علم هذا الظالم الغاشم بكره الشعب له حرض ضدهم ضابطا من الشيعة المانوية اسمه سباسيان فصار نحوهم فى نفر من الجند مسلح بسيف قاطعة وسهام لامة وحرب نافذة وهجم على هذا الشعب الضعيف فى يوم الرب المبارك الذى قدسه لعبادته لقتل الانفس البريئة . فلما وصل الى المقبرة لم يجد الا رجالا يعدون على الاصابع لان أكثر الناس قد عادوا الى منازلهم عندما مال النهار فلم يرحم هؤلاء البائسين الابرياء بل أعمل فيهم الصارم البتار وبرهن بعمله هذا على القسوة وعتو وجدا فى مثل هذا المتوحش اللئيم وبعد أن أودى بالرجال حول نظره نحو أولئك العذارى الطاهرات فأضرم نارا تأجج سعيرها وادناهن منها وهددهن بالاعتراف بمذهب اريوس والانحياز اليه . أما هن فلم يملن عن اعتقادهن ورفضن طلبه هذا كما انهن احتقرن النار وحسبنا ماء زلالا فلذلك اشتد حنق هذا الوحش الضارى عليهن فجردهن من ثيابهن وظل يضربهن على الوجوه حتى تغيرت سحنتهن ولم يكن أحد يعرفهن فيما بعد . ولقد ألقى هذا الضابط القبض على نحو أربعين رجلا وجلدهم بالسياط جلدا تقشعر منه الابدان وترتعد لهوله الفرائض وذلك بأن مزق ظهورهم بعضى خضراء قطعت من النخل بشوكها حتى ان بعضهم عملت لهم عملية جراحية لاجراج الشوك من لحمه وبعضهم لم يحتمل العذاب والآلام فمات من شدة الضرب . أما الذين عاشوا بعد هذه المصائب فننفوا الى الواحات الكبرى بما فيهم واحدة من أولئك العذارى ولم يكن هذا العاتى يسلم لا قارب الموتى بأخذ جثث موتاهم ولكن لما تعهد له هؤلاء الاقارب بعدم الاحتفال بموتاهم والامتناع عن تأدية الفرائض الدينية المعتادة لهم أذن لهم أولئك القساة بدفنههم كما وافق أغراضهم حتى يخفوا عن أعين العالم دلائل قسوتهم وغلاظتهم التى لم تخف بل ظلت ظاهرة فى بطون التوار يخ الى الآن وعلى خطة الجهل والعمه هذه سار أولئك المجانين سيرا لم يؤثر فى أهل الايمان الصحيح تأثيرا يذكر لان أصدقاء وأقارب الذين ماتوا فى هذا الاضطهاد كانوا يفرحون و يطربون لان اخوانهم بقوا محافظين على ايمانهم الى ساعة موتهم ولوأنهم أسفوا لعدم التصريح بدفن جثثهن وهو عمل يدل على منتهى الفظاظة والخشونة فى صدور الفجار الذين تجردوا من الانسانية فأصبحت اعمالهم واضحة عند الله والناس « أه

(٧) يوليانوس الجاحد أو المرتد :

هو ابن عم أخى قسطنطين الكبير ملك سنة ٣٦٢ م وقد رفض الديانة المسيحية وتمسك بالوثنية فتقوى فى أيامه وثنيو الاسكندرية وانتعشت مدرستهم الفلسفية . وكان يوليانوس يحترم

العجل أبيس معبود المصريين احتراما عظيما للغاية حتى انه لما كان على أهبة الركوب لقتال سابور ملك الفرس وبعث اليه أوقديقس نائبه على مصر يخبره بأن المصريين عثروا على شكل العجل أبيس معبودهم الذى مات وأنه تبين لهم انه معبودهم بعينه فرح بذلك واستبشر بالنصر على سابور اذ كان يحب العجل المذكور حبا كثيرا

(٨) اضطهاد فالنص الارىوسى :

جاء بعد يولييانوس يوبيانوس سنة ٣٦٣ م وكان مسيحيا ارثوذكسيا فأحسن للبابا اثناسيوس وللارثوذكسين وتمتعت الكنيسة فى أيامه بسلام ورد الى الايمان رجال الجيش الذين كانوا قد زاغوا عن الايمان فى أيام يولييانوس واقفرت هياكل الوثنيين . الا أن مدة هذا الملك المؤمن لم تطل أكثر من نصف سنة وخلفه فالنص الارىوسى سنة ٣٦٤ م الذى فاق جميع من تقدموه فى اظهار القساوة نحو الارثوذكسين فنفى أساقفتهم وضيق على المؤمنين كثيرا . وفى عهده حدث اضطراب فى مدينة الاسكندرية وتعدى الوثنيون على كنيسة سيزار يوم وحرقوها فى يولييه سنة ٣٦٦ م

وأقام فالنص بطريركا دخيلا على الكرسي المرقسى ولكى يثبت والى مصر الارىوسى مركز هذا الدخيل قصد بفرقة من الجند كنيسة القديس ثاؤنا وهجم على هذا المكان المقدس وأوقع لرعب فى قلوب المصلين واندس بين الجنود سفلة اليهود ورعاع الوثنيين اذ وجدوها فرصة مناسبة للانتقام من المسيحيين وأخذوا فى تدنيس المذابح واهانة المصلين بتوحش زائد ففتكوا بالرجال وهتكوا أعراض النساء داخل الهياكل . وقد بلغ الفحش بأحد هؤلاء الوحوش أن تعرى عن ثيابه وسط النساء وأخذ يجدف على اسم الله القدوس بألفاظ البذاءة التى ترتعد لها الفرائص

ومع ذلك أصر الارثوذكسيون على عدم اعتبار بطريرك فالنص فاستدعى القائد رؤساء كهنتهم اليه وأخذ يحثهم على الخضوع له بالوعد تارة وبالوعيد أخرى ولما لم يجد منهم أدنى قبول أنزلهم فى سفينة مغلعة وتركهم تحت رحمة الماء والهواء فهلك بعضهم ونجا البعض الآخر حيث قذفته الامواج الى سواحل افرىقية وهليوبوليس (سورية)

ثم عول بلاديوس الوالى على زيارة الاقباط فى منازلهم ليقنعهم بوجوب الخضوع للوسىوس واذا لم يجد منهم الا الرفض والاباء أوقع بهم من الويلات اشدها . ثم استحضر هو والبطريرك الدخيل أحد عشر أسقفا من أساقفة القطر وعرض عليهم الامر القيصرى القاضى بوجوب انكار لاهوت المسيح وخيرهم بين التوقيع عليه والنفى ففضلوا النفى والموت على خيانة الايمان الارثوذكسى فنفوا الى قرية بفلسطين كان معظم سكانها من اليهود المتعصبين ضد المسيحيين

ثم عمد القائد والبطريرك الدخيل الى زيارة الرهبان ساكنى أديرة وادى النطرون فسارا اليهم بفرقة من الجنود قاصدين ارغامهم على انكار الوهية الابن فقام الرهبان يدافعون عن أنفسهم

دفاع الابطال مفضلين أن يسفكوا آخر نقطة من دمائهم دون أن يثلموا شرف مخلصهم . فضجرا منهم ونفيا رؤسائهم ظنا منها انهم هم الذين يقوونهم ولكن أملها خاب اذ رأيا ايمانهم أمتع من جهة الاسد

وكان بين الاساقفة الذين حكم عليهم بالنفى ميلاس أسقف رينوكولور العريش الذى تتلمذ للقديس انطونيوس والذى لم يفارقه الا لينح تاج الاسقفية . ومن بديع ما حفظه التاريخ عن هذا الاسقف انه فى الوقت الذى جاءه نواب الوالى يطلبونه للنفى كان مشغلا بتنظيف قناديل الكنيسة فقابلهم و يداه ملوثتان بالزيت وثيابه يعلوها التراب فظنوه خادما وسألوه عن الاسقف فذهب بهم الى دار الاسقفية حيث أعد لهم وليمة فاخرة ولما كرروا عليه السؤال قال لهم « أنا هو الاسقف الذى تطلبونه » فاعجبوا باتضاعه وعرضوا عليه الفرار فابى الا الذهاب مع اخوته الاساقفة الذين كانوا يهزأون بالعذاب المعد لهم

ومن الذين قبض عليهم فى دير وادى النظرون روفينوس الشاب والسيدة ميلانو وقد ذكرنا أنها أجنبيان وفدا على مصر ليرهبها فيها . وكان لميلانو يد طولى فى ايواء كثيرين من الرهبان وانطلقت بنفسها للقائد ودافعت عنهم وسجن روفينوس مدة ثم نفى خارج القطر المصرى . ونفيت ميلانو الى قيصرية فلسطين هى وكثير من الاساقفة والرهبان . وكان أهالى قيصرية يترحبون بهؤلاء المصريين المنفيين و يقدمون لهم الاحترام اللائق بهم

ومما يستحق الذكر فى هذا الصدد أن فالنص كان قد نفى أسقف مدينة أورفا (كائنة بين النهرين) بسبب تمسكه بايمان مجمع نيقية واعترافه بقانون البابا أثناسيوس وأقام بدله أسقفا آخر وكلف الوالى مودستوس بأن يجبر الكهنة والشمامسة على الاشتراك مع الاسقف الجديد والا فينفهم الى أقاصى المملكة فجمعهم مودستوس وحاول اقناعهم لكنه لم يستفد منهم شيئا بل أجابه أحدهم باسم الجميع قائلا « ان لنا راعيا شرعيا ولا نعرف راعيا غيره » فأرسلوا جميعا الى المنفى . فتشجع الشعب بمثلهم وأبوا الاشتراك مع أسقف الزور . فكانوا يخرجون من المدينة وقت تلاوة الفرض ويجتمعون فى البرية للصلاة . فلما علم الملك بذلك اغتاز على الوالى وأنبه تأنيبا شديدا لعدم اهتمامه فى منع هذه الاجتماعات وأمره بأن يجمع كل من كان عنده من الجنود ويشئت بهم هذا الجمع . أما مودستوس ولئن كان مقاوما للارثوذكسين الا أنه لم يحب أن يبادر الى طريق القساوة فانذر المؤمنين سرا بان لا يعضوا اليوم التالى الى مكان الاجتماع للصلاة لأن الملك أمره بأن يعاقب جميع الذين يجتمعون فيه . فكان يؤمل بأن يمنع بهذا التهديد عقد الاجتماع ويهدى بهذه الطريقة غضب الملك . أما الارثوذكسيون فقد ازدادوا بذلك سرعة وتلهفا للمضى الى مكان الصلاة فبادروا اليه باكرا جدا وكانوا أكثر عددا من ذى قبل .

فلما أخبر الوالى بذلك استولت عليه الحيرة ولم يدر ما العمل الا أنه أخذ فى المسير نحو هذا

المكان وصحبته جنود كثيرون أمرهم بأن يقنعوا و يضجوا ليرعبوا الشعب ويحملوه على الفرار. فلما كان جائزا فى المدينة شاهد امرأة مسكينة تخرج مسرعة من بيتها ولا تبالى بغلق بابه وعلى يديها طفل وهى تهرول فى سيرها وتجري ذيل رداؤها على الارض ولا تهتم أن ترفعه عن الثرى حسب طريقة البلاد ومرت هكذا فى وسط صفوف العساكر السائرة أمام الوالى مجدة فى السير بدون أدنى خوف بته . فأوقفها مودستوس وقال لها : أين تمضين مسرعة أيتها المرأة ؟ أجابته اننى ماضية الى الحقول حيث جمع المؤمنين . قال لها الوالى : ألا تعلمين بأنه قد صدر أمر الملك بقتل جميع الذين يوجدون هناك ؟ قالت له : نعم أعلم ولهذا أنا أجد فى السير لا بلغ الى ذلك المكان خوفا من أن تفوتنى فرصة احتمال الاستشهاد . قال لها : ولم تأخذين هذا الطفل معك ؟ قالت له : لكى يشترك معى فى هذا المجد .

فتعجب مودستوس من بسالة هذه المرأة وعاد الى البلاط الملوكى وأخبر الملك بما جرى واقنعه بالعدول عن هذا العمل حيث لا تعود عليه فائدة من اضطهاد المؤمنين لأن الاضطهاد كان يقوهم و يشبههم على ايمانهم و يزيدهم شجاعة ومحبة .

(٩) ثيودوسيوس الملك الارثوذكسى :

كانت أحوال الارثوذكسيين قد ساءت بعد موت فالنص فاجهد ثيودوسيوس قيصر الذى تولى سنة ٣٩٢ م ذاته فى اعادة مجد المسيحية الى رونقه الاصلى واتحد مع رؤساء الارثوذكسيين على ابطال عبادة الاوثان ورغب الى مجلس رومية ليصدر مرسوما فى هذا الشأن فأبى عليه ذلك فأبطل ثيودوسيوس المجلس وألغاه وخلق أربابه ورسم بهدم جميع معابد الاوثان وهياكلها ونهى عن تقريب القربان لها فى البيوت وعن أن تقام فيها شعائر دينية وأن تكون الديانة المسيحية الديانة الرسمية فى سائر الاقطار الرومانية ونهى عن التفرق فى الدين وسلوك مذهب الاعتدال

ورسم ثيودوسيوس فى سنة ٣٩٥ م بمحو الديانة المصرية الوثنية وأن لا يباح فى بلاد مصر الا التمسك بالدين المسيحى فأغلقت الهياكل والمعابد المصرية ومن ثم عم الدين المسيحى كل القطر واحتفل النصرارى بأداء طقوسه علنا . قال بعض المؤرخين « وكان للمصريين يومئذ أربعون ألف صنم للعبادة فحل محلها دين المسيح الأمر بالتوحيد ومع ذلك فقد بقى من العاكفين على دين الوثنية كثير بصعيد مصر ولم يحل هذا الدين الا بتوالى الايام وكرور الاعوام . واشتهر أهل مصر من هذا التاريخ باسم « قبطة مصر » فطائفة الاقباط من أهالى مصر الآن هم المنتصرون من ذرية الامة المصرية القديمة وهم بقية ذلك الشعب الذى قدر واقتدروا فازوا واشتهروا » أه

الفصل الثانى مشاهير الشهداء

- (١) مارمينا العجايبى
(٢) القديسة دميانة
(٣) القديسة كاترينا
(٤) القديسة ثيودورة والقديس ديديموس
(٥) القديس تيموثاوس وزوجته
(٦) شهيدان أجنيان

(١) مارمينا العجايبى :

ولد سنة ٢٥٠ م بمريوط وكان أبوه من مديرى الاقاليم فى آسيا الصغرى ونقل الى مصر . ولما مات عين مينا فى منصبه . وبعد ذلك وقع اضطهاد ديوكليتيانوس فترك منصبه ولجأ الى البرية غير أن ضميره وبخه على فراره الذى حسبه هروبا من الاعتراف بالايمان فرجع الى المدينة وجاهر بايمانه فحاول الحكام أن يغيروا رأيه شفقة به ولكنه استمر ثابتا فقبض عليه وعذب عذابا شديدا وأخيرا قطعت رأسه فى ١٥ هاتور بعد أن أجرى الله على يديه المعجزات الكثيرة وبعد زمن وجد جسده فأقيمت عليه كنيسة بأمر ملك القسطنطينية بجهة مريوط لا تزال آثارها ظاهرة للآن وتوجد عدة كنائس باسمائه فى أنحاء القطر

(٢) القديسة دميانة :

هى الابنة الوحيدة لمرقس والى البرلس والزعفران ووادى السيسبان باقليم الغربية . وكانت جميلة الطلعة حتى أجمع المؤرخون على تسميتها « ربة الجمال والكمال » ولما بلغت سن الخامسة عشرة نذرت أن تعيش بتولا فابتنى لها والدها قصرا خاصا اعتزلت فيه واعتزل معها أربعون عذراء قبطية من بنات أكابر الولاية

واتفق أن والدها ارغمه ديوكليتيانوس قيصر على أن يبخر للاصنام فلما سمعت ذلك أسرع الىه وأنبته على سقوطه الشنيع وحضته على الرجوع للسيد المسيح قائلة « خير لك يا أبى أن تموت شهيدا فتحيا مع المسيح من أن تحيا وثنيا فتموت مع الشيطان » أه فتاب وصرح أمام القيصر بايمانه فأمر باعدامه . ولما علم القيصر أن أبنته هى التى حرضته على عدم الامتثال لامره انفذ اليها قائدا معه مئة جندي لكى يحملها على انكار ايمانها أو يقتلها . فانتهرت القائد عندما بلغها أمر القيصر وأفهمته انها لا تطيعه فشرع القائد يعذبها واللواتى كن معها وتفنن فى تعذيبهن والتنكيل بهن فاحتملن كل ذلك بصبر وبعد ذلك قطعت رؤوسهن

ثم جاء القديس يوليوس الاقفهصى كاتب سير الشهداء وأخذ الاجساد ودفنها بالاكراام . ثم اثبت سيرتهن فى سجل الشهداء وأمر قسطنطين الكبير فبنيت كنيسة فوق قبر القديسة ودشنها البابا الاكسندروس فى ١٢ بشنس ورسم لها أسقفا وقسوسا وشمامسة

وللقديسة دميانة دير عظيم ببلقاس يؤمه المؤمنون فى ١٢ بشنس من كل سنة حاملين اليه الهدايا وبنيت على أسمها كنائس عديدة بالقطر المصرى .

(٣) القديسة كاترينة :

ولدت بالاسكندرية فى ختام القرن الثالث من أبوين وثنيين ولما بلغت من السن ثمان عشرة سنة كانت قد تحلت بالجمال الباهر والعلوم الزائدة التى أوضحت لها بطلان الديانة الوثنية . ورأت ذات ليلة فى الرؤيا السيدة العذراء تحمل طفلها يسوع وتطلب منه أن يقبل كاترينة عبدة له وهو يعرض عنها لأنها لم تكن بعد قد اعتمدت فاستيقظت من نومها وسعت لنيل العماد حتى نالته ومن ثم ظهرت لها تلك الرؤيا والطفل يقبل اليها و يظهر رضاه عليها .

وفى سنة ٣٠٧ م قدم الى الاسكندرية القيصر مكسيموس الثانى وأصدر أمرا باعدام كل مسيحى لا يضحى للاوثان وحينئذ اشتعلت نيران الاضطهاد والقديسة كاترينا تواصل جهادها فى سبيل تثبيت المؤمنين ولم تكتف بذلك بل بلغت بها الشجاعة أن ولجت هيكل الاوثان ومكسيموس يضحى لها ووبخته على عظم جهله بتقديمه ذبائح لآلهة كاذبة فاندesh القيصر من جمالها المفرض وشجاعته النادرة واستدعاها الى بلاطه زاعما انه ينتصر عليها و يفوز بها . أما هى فطلبت منه أن يحضر اليها علماء الوثنية لتباحثهم فى أمر ديانته . فحضر منهم خمسون عالما ونزلت معهم فى ميدان الجدل وأخذت تبرهن لهم على فساد عبادتهم للجملادات التى لا تحس ولا تشعر حتى أفحمتهم وصرح بعضهم بتركه لتلك العبادة من تلك الساعة وبعد أن أوضحت لهم فضل الديانة المسيحية ونقاوة التعاليم الانجيلية قبل الايمان باقى الفلاسفة .

ولما انتشر خبر هذه الحادثة خشى الوثنيون انتشار المسيحية بينهم بسببها فحرضوا القيصر على قتل كاترينا والفلاسفة والا زالت عبادتهم فاستحضروا لكى ينكروا ديانته فابوا فقتل الفلاسفة وطرح كاترينا فى السجن لعلها تتبع ديانته وتقبله زوجها لأن جمالها كان قد سبى فؤاده وجعل ينفذ اليها الرسل لا قناعها باطاعته فكانت ترسل معهم كلمات التوبيخ حتى استحالت محبته غيظا وأمر الجنود بأن يعروها أمامه من ملابسها و يعلقوها من يديها ورجليها ففعلوا هكذا وضربوها بمخالب حديدية حتى تمزقت وملأ دمها البلاط واتصلت جراحها ببعضها حتى صارت جرحا واحدا ثم اعيدت الى السجن ووضعت تحت الحفظ حتى يعود القيصر من رحلته فى مدن مصر

وكانت فوستينا امرأة القيصر قد طرق سمعها أخبار كاترينا فعزمت ليلة على ريارتها فى سجنها ونامت فرأت القديسة تضع اكليلا على رأسها وتقول لها ان المسيح وهبه اياك فاشتد شوقها اليها وسارت اليها بصحبة بيرفير يوس القائد وبعد أن علمتها طريق الحق نالا العماد بعد أيام قليلة

ولما رجع القيصر من رحلته ورأى كاترينا ثابتة على ايمانها جهز لها دواليب مركبة بسيوف بارزة وتحتها شكل صندوق ووضعها فيه ودارت الدواليب ولكنها تحطمت فجاءت اليه امرأته وقالت له ألا تكفى هذه العجائب لا قناعك بصحة ديانة كاترينا . واذا علم انها و برفير يوس صارا مسيحيين قطع رأسها حالا . ثم أمر بقطع رأس القديسة فتوسلت الى الله حينئذ أن يحياها الى أمرين الاول أن يخلص الكنيسة من الاضطهاد والثانى أن لا يدع أحدا يبصر جسدها بعد موتها . ثم صلت وبعد ذلك قدمت رأسها للجلاد فقطعها وهى فى السنة التاسعة عشرة من عمرها

(٤) القديسة ثيودوره والقديس ديديموس :

ولدت القديسة ثيودوره فى نهاية القرن الثالث من ابوين مسيحيين عظيمين واتصل خبر جمالها الفتان بأولاد الاشراف فطلبوا يدها ولكنها أثرت العفة فنذرت نفسها لله وكانت تقضى أوقاتها بمنزلها تصلى وتقرأ الكتب المقدسة . واشتد اضطهاد ديوكليانوس وهى فى سن السابعة عشرة واشتكى عليها بانها مسيحية فاستحضرت أمام بر كولوس الوالى فانذهل والحاضرون معه من فرط جمالها ولما تحقق من شريف نسبها وعظيم أدبها سأها لماذا لا تتزوجين يا ربة الجمال البارع فأجابته لأننى وعدت أن أكون عروسا لواحد فقط هو سيدى يسوع المسيح . فاخبرها بالامر الصادر ضد عذارى النصارى بانهن اذا أبين التبخير للاوثان يطرحن فى دور البغاء فيخسرون بتوليتهن . فأجابته انى واثقة ان مخلصى يحفظنى ويحفظ كل الذين يخلصون له العبادة من كل شر وذنس . ولما أطلال معها الكلام اجابته جوابا قاطعا بأنها لا تنثنى عن عزمها مهما هدها فقال لها انى آسف على جهلك وعنادك وسأمهلك ثلاثة أيام لعلك تثوبين الى رشك فقاطعتة قائلة « هب أن الثلاثة الايام قد انقضت فافعل بى ما تشاء » فأمر الوالى أن تحفظ فى مكان أمين

ففى هذه الثلاثة الايام شاع خبر شجاعتها فى كل مكان فهدحت حتى من الوثنيين أما هى فكانت تستعد للموت واذا رآها الوالى بعد الثلاثة الايام ثابتة على عزمها أمر أن توضع فى بيوت البغاء لتفتض ولكنها لم تجزع لأنها كانت تنتظر خلاص الرب الذى دبر لها طريقة حسنة لنجاتها . وذلك أن شابا مسيحيا يدعى ديديموس فكر فى خلاصها فلبس أثواب جندى وتقلد سيفاً ومشى مسرعا ينظر نظرة الوقح وطلب الدخول عليها فسمح له الحراس تلقاء مبلغ من الدراهم اعطاه لهم فدخل عليها ولما رآته استولى عليها رعب مقدس فقال لها لا تجزعى لأننى أرسلت من قبل الله لانهقذ طهارتك فافعلى ما أقول لك البسى أثوابى هذه وأنا ألبس ثوبك وانصرفى متنكرة وأنا أقوم هنا عوضا عنك فقبلت البتول مشورته وخرجت دون أن يعرفها أحد لأنها غطت وجهها بالرداء كمن يستحى أن يراه أحد عند خروجه من مكان ردىء

وبعد ذلك انكشفت حيلة ديديموس فقدم الى الحاكم بثوب القديسة فسأله المغتصب قائلاً من أرسلك لتخالف أمر القيصر فأجابه « ان الاله الذى اعبدته هو الذى أرسلنى لأصنع ما صنعت » فقال له الحاكم « ان لم تخبرنا أين تكون ثيودوره فوتنا تموت » فأجابه ديديموس « لست أعلم عنها شيئاً الا انها خرجت من ماخور البغاء نقية طاهرة » فسأله الحاكم عن اسمه ومذهبه فأجابه « اسمى ديديموس ومذهبى مذهب النصارى وكنت مقيدا بسلاسل الآثام فحلنى السيد المسيح وأطلقنى بنعمته » فأمره المغتصب أن يسجد للصنام فأبى ولما رآه ثابتاً فى ايمانه أمر بقطع رأسه وطرح جسده فى النار

فسمع خبر الحكم فى كل مكان و بينما كان الجند يسوقونه لمكان الاعدام رؤيت ثيودوره تجرى خلفه بسرعة حتى وصلت اليه وقالت له بلهجة التوبيخ « لماذا هكذا يا أخى تحتلس اكليلى » ؟ فقال لها « اذكرى يا اختى احسانى اليكى ولا تكافئينى عليه بعدم المعروف لانى لم أكن أروم بما فعلته الا أن أنال حكم الموت لأجل مخلصى فحكمم به على لا عليك » فأجابته « كلا يا أخى لم يحكم عليك بالموت الا لاجلى واذ كنت قد رضيت لك بأن تنقذ بكوريتى ولكن لا أرضى أن تأخذ اكليل الاستشهاد منى فدعنى على الاقل أسبقك الى أخذه » واستمرتا يتجادلان فى من منهما يتقدم الآخر الى الموت وقد أخذت المشاهدين الدهشة وكثيرون منهم سكبوا دموعهم لهذا المنظر المؤثر وتعجب الوالى نفسه مما حصل الا أنه لم يجسر أن يطلقهما خوفاً من القيصر فأمر بقطع رأسيهما وهكذا نالا اكليل الشهادة فى سنة ٣٠٤ م

(٥) القديس تيموثاوس وزوجته :

كانا من قرية فى الصعيد يقال لها برابى وكان تيموثاوس شماساً فى الكنيسة وتزوج من امرأة مسيحية تدعى مورا ولكنها كانت أقل منه ايماناً . وبعد زواجه بعشرين يوماً حضر ارسانيوس والى انصنا (١) وحاكم بلاد الصعيد الى قريته واستدعى اليه تيموثاوس وأراه آلات العذاب المريعة وهدده بها ان لم يدفع اليه ما عنده من الكتب المقدسة . ويجحد ايمانه المسيحى . فقال له القديس « لو كان لى أولاد لاسرعت بتقديمهم اليك ولا أقدم اليك الكتب المقدسة كما أنى أفضل الموت ألف مرة من أن أترك ديانتى المسيحية » ولما قال هذا تقدم الجنود لتعذيبه فأدخلوا فى أذنيه سيخاً محمى فعمى فقالوا له ها قد عميت لرفضك السجود لآلهة المملكة فأجابهم « نعم لقد فقدت هذه العيون التى من دأبها النظر الى الاباطيل أما نفسى فيضيئها عينا المسيح » فعلقوه برجليه على خشب وعلقوا حجراً ثقيلاً بعنقه وتركوه هكذا وهو يطلب مساعدة نعمة الله

(١) انصنا كانت مركز الولاية وخربت منذ زمان بعيد وعلى اطلالها الآن بلدة الشيخ عبادة بمركز ملوى . واريانوس حاكمها هذا الذى اشتهر بقساوته الشديدة على المسيحيين لم يلبث فى غباوته بل آمن بالمسيح وذلك انه اذ كان يعذب شهيداً انجرح بسهم كان أمر الجلادين أن يرموا به الشهيد فارتد اليه وانغرس فى عينه وبعد موت الشهيد نال الشفاء بأزاء قبره بوضع شئ من تراب القبر على عينه واعترف يسوع المسيح ومات شهيداً

وعلم الحاكم ان له امرأة تزوجها من مدة قريبة فاستدعاها اليه وحسن لها أن تردع زوجها عن عزمه ليفوز بحياته و يظهر أنه كان قد بقي له بصيص من النظر فانطلقت اليه بعد أن لبست أفخر ثيابها وتطييت وجعلت تخاطبه ليرجع عن الايمان و ينجو بحياته حتى لا يرميها وهي صغيرة فالتفت اليها القديس ووبخها بصرامة وقال لها « كنت أظنك تشجعيني على احتمال العذاب لأحظى بسعادة الله . لا أن تحثيني على ما يفقدني تلك السعادة و يطرحني فى أتون النار الابدية فكونى أمينة للمسيح مثلى حتى تشتركى معى فى مجده »

فتأسفت مورا على خطيئتها وبشارة زوجها انطلقت الى الحاكم واعترفت أمامه بالمسيح فأمر بقص شعرها وقطع أصابعها ثم طرحت فى أناء مملوء من الزيت المغلى فلم يؤثر عليها وهي ثابتة صابرة شاكرة الرب الذى خلصها من الضلال و بعد ذلك صدر الامر بصلبها مع زوجها وجعل صليبا تجاه صليبه لكى ينظرا بعضهما بعضا فيشتد حزنها وعذابها . وفيما كانت ماضية لمحل الصلب قابلتها أمها وطوقتها بذراعيها وهي تبكى بكاء مرا أما هي فلم تظهر حزنا بل فرت من بين يدي والدتها حيث وصلت الى المكان وهناك نالت مع زوجها اكليل الشهادة

وغير هؤلاء الشهداء من لا يحصى عددهم حفظ أسماء بعضهم كتاب السنكسار

(٦) شهدان أجنيان :

ومن الشهداء الاجانب الذين تعترف بهم كنيستنا شهدان مشهوران عندنا هما :

(١) القديس مركوريوس الشهير بأبى سيفين :

ولد برومية من أبوين مسيحيين فى عهد ديسيوس قيصر وانتظم فى سلك الجندية فلقب بمركوريوس أى رئيس الجند و بأبى سيفين اشارة الى سيف الروح الذى كان له خلاف سيف المملكة . وبعد أن جاهد فى سبيل رفع شأن الديانة المسيحية أستشهد فى قيصرية فلسطين فى ٢٥ هاتور سنة ٢٥٠ م وفى أيام البابا يوحنا الرابع والستين نقلت رفاته الطاهرة الى مصر القديمة فى ٩ بؤونة

(٢) القديس جاورجيوس الشهير بمار جرجس :

ولد سنة ٢٨٠ م بالكبادوك (بآسيا الصغرى) . وقد انتظم فى الخدمة فى عهد ديوكليتيانوس وارتقى الى رتبة قائد ولما استعرت نار الاضطهاد الذى أثاره هذا القيصر باع كل ما يملكه ووزعه على المساكين استعدادا لحمل الآلام لأجل مخلصه . وبينما كان يوما سائرا فى مدينة نيكوميديه وجد منشور القيصر القاضى باضطهاد المسيحيين فزقة وتوجه بنفسه الى الملك وأنشأ يدافع عن المسيحيين فأمر الملك بتعذيبه فذاق منه أنواع العذاب اشكالا وألوانا وكان عليها صابرا حتى آمن كثيرون عندما رأوا عظم ثباته ومنهم الملكة نفسها ومن ثم قطعت رأسه ورأس الملكة معا فى ٢٣ برمودة سنة ٢٠٣ م وبعد ما دفن جسده فى لد بفلسطين التى هى وطن والدته نقل الى مصر القديمة

فى ١٩ أبىب . وهذا الشهيد هو موضوع احترام المسيحيين جميعا لا سيما مسيحيو مصر وروسيا وانجلترا . و يصوره المصورون بهيئة فارس بيده رمح يطعن به تنينا اشارة الى انتصاره على الشيطان . و بنيت كنائس قبطية كثيرة على اسمه

القسم الرابع المجامع والبدع والانشاقات

- | | |
|---------------------|-----------------------------------|
| (١) مجمع نيقية | (٢) مجمع القسطنطينية |
| (٣) درجات الكنائس | (٤) اريوس |
| (٥) مكدونىوس | (٦) مرقس المصرى |
| (٧) شيعة المصلين | (٨) خلاف فى مقام السيدة العذراء |
| (٩) انشقاق ميليتس | |

(١) مجمع نيقية :

ويسمى المجمع المسكونى الاول . وكان الداعى لانعقاده انتشار بدعة اريوس الهرطوقى واضطراب الكنيسة وانزعاج المؤمنين بسببها . فكتب القديس الاكسندروس بابا الاسكندرية الى الملك قسطنطين الكبير طالبا منه عقد مجمع مسكونى لفض هذا النزاع وتقرير مسائل أخرى مختلف عليها وذهب اوسىوس اسقف قرطبة الى الملك وطلب منه نفس الطلب فارتضى قسطنطين وكتب منشورا يستدعى فيه جميع اساقفة المملكة للاجتماع فى مدينة نيقية (١) فلبى الدعوى حالا ٣١٨ أسقفا من كل أقاليم العالم المسيحى ما عدا القليل والاكثر من منهم كانوا قد اعترفوا بالوهية سيدنا يسوع المسيح وتعذبوا لاجل ذلك فى زمن اضطهادات الوثنيين

وكان أعظم الحضور شأنا الاكسندروس بابا الاسكندرية وهو البابا الوحيد فى ذلك العصر وكان بحكم وظيفته هو المدعى ضد اريوس وكان بصحبته أثناسيوس رئيس شمامسته وسكرتيه الخاص الغير البالغ من العمر ٢٥ سنة وكانت تلوح على وجهة هيئة الملائكة كما روى

(١) تقع فى ولاية بيشنيه وكانت العاصمة الثانية لها بعد نيكوميديا وكان لهذا المجمع تأثير عظيم على أهل تلك المدينة وكان فى تلك الايام كلما أرادوا حصر عدد الآباء الذين حضروه اضافوا واحدا على العدد الحقيقى يرمزون بذلك الى أن الروح القدس كان حاضرا معهم

صديقه غريغور يوس النزينزى . وكان معها من ممثلى كنيسة الأسكندرية الانبا بوثامون أسقف هرقلية بأعلى النيل والقديس بفتوتوس أسقف طيبة العليا وكانا قد عذبا فى زمن الاضطهاد وقلعت عيناهما بالسيف وكويت حواجهما بالحديد المحمى بالنار

و يليهم فى الاهمية اسطاسيوس أسقف انطاكية و يوساب أسقف قيصرية ومكار يوس أسقف أورشليم وبولس أسقف قيصرية الجديدة و يعقوب أسقف نصيبين وعطا لله أسقف أديسا وحضر غيرهم من أرمينية وبلاد الفرس وأيضا من الغوط القاطنين عبر نهر الدانوب . ومن آسيا الصغرى يوساب عن نيكوميديا وغيره من انصار اريوس ومارسليوس أكبر معارضى اريوس الذى كان ينوب عن اثناسيوس فى مجادلة اريوس اذا غاب . وحضر عن جزيرة قبرص الاسقف اسبريدون وغير هؤلاء كثيرون وكان عدد ممثلى بلاد الشرق يبلغ ٢١٠ والثمانية كانوا يمثلون البلاد الغربية التى كانت أقل مدنية وعلميا . وهؤلاء الثمانية كانوا يمثلون ايطاليا واسبانيا والغال وبريطانيا الليريكوم (البوسنة والهرسك) والسرب والبلغار أو دولماطيا . ولكبر سن سلفستروس أسقف رومية أوفد من قبله نائبين هما وئين وويكندس وكذلك مطرو فانوس أسقف القسطنطينية اذ كان مريضا أرسل القس اسكندر نائبا عنه وكان أهم أساقفة الغرب اوسبيوس أسقف قرطبه

وحضر اريوس وأتباعه وهم اوسابيوس أسقف نيكوميديا وثاوغنس مطران نيقية ومارس أسقف خلکیدون ومعهم عشرة فلاسفة وخلاف هؤلاء واولئك كان المجمع مكتظا بعدد عظيم من الذين أتوا غير على لاهوت المسيح ومنهم من أتوا بغية الفرجة لعلمهم باهمية المجمع الذى ضم ممثلى كنائس العالم للبحث فى أهم المسائل وبلغ عدد جميع المشاهدين نحو الالفين كان بينهم بعض الفلاسفة الذين لم يسمح لهم بالدخول بل كانوا يقابلون الاعضاء فى الخارج و يناقشونهم . وكان الشمامسة لابسين رداء طويلا والاساقفة والكهنة برنسا كبيرا من الصوف وكلها من اللون الابيض

واجتمع المجمع سنة ٣٢٥ م ولا يعرف جيدا الشهر الذى اجتمع فيه المجمع فيقول بعضهم فى ٢٠ ايار (مايو) وغيرهم فى ١٩ حزيران (يونية) . أما مكان المجمع فكان فى الساحة الوسطى فى القصر الملوكى . ودخل بعض موظفى البيت الملوكى ورجال البلاط وعدد من الاسرة المالكة ورام قسطنطين أن يحضر المجمع لكى يزيده شرفا فقط لأنه قال للاباء «ان الحكم على قضايا الايمان لا يختص بسلطة ملك بل انما خصه السيد المسيح بالاساقفة فقط »

فدخل الضابط الذى يتقدمه فوقف المجمع ثم دخل هو ماشيا الهوينا ووضع فى الوسط كرسي من ذهب له فأبى أن يجلس عليه وجلس فى آخر المجمع ولكن الاساقفة أشاروا عليه أن ينتقل من مكانه ويجلس فى الموضع الذى أعد له ففعل وبعد أن جلس جلسوا وجلس الاساقفة عن يمينه ويساره ويتقدم الجالسون من اليمين البابا الاكسندروس ورئيس شمامسته اثناسيوس ويوساب القيصرى ويتقدم الجالسون عن اليسار اوسبيوس القرطبي واريوس وأكبر أعوانه وأصطف الجمهور على جانبى القاعة

ومن المعلوم أن أوسيسيوس أسقف قرطبة اعتبر رئيسا للمجمع الا أن الجميع سلموا للبابا الاكسندروس أن يتقدمهم فى كل عمل . ثم قام الملك وألقى خطابا باللاتينية ترجمه له يوساب حض فيه على الاتحاد وفض المشاكل بالحكمة . وكان موعد انعقاد الاجتماع فى ٢٠ مايو فدارت فيه بعض المناقشات والمفاوضات لغاية ١٤ يونية عندما حضر الملك ووضع قانون الايمان فى التاسع عشر من الشهر وختم المجمع أعماله فى ٢٥ أغسطس

وكان أهم الحاضرين فى ذلك المجمع وقبله أنظار الجميع أثناسيوس رئيس شمامسة البابا الاكسندروس فهو الذى كان يتولى الدفاع ضد اريوس وأتباعه نظرا لما أظهره من البراعة قبل انعقاد المجمع فى مناضلة الاريسيين فى بعض مجادلات جرت بينه وبينهم فافحمهم وكان يناظرهم فى كل مادة من المواد ويكشف مغالطاتهم ويعرضها على المجمع للنظر فيها . فأعجب به الجميع ولا سيما الملك وصار الكل يقصدونه للسلام عليه والتكلم معه و يضربون معه مواعيد لمقابلاته وهو مشغول بفحص الاوراق وأخذها وردھا . وقد اعترض الاريسيون على وجود اثناسيوس بالمجمع بصفة رئيس شمامسة ولكن الملك لم يعبأ باعتراضهم معتبرا وجوده ضروريا . ولهذا لا تزال الكنائس الغربية تعتبر رتبة « رئيس شمامسة » من الدرجات الكهنوتية وذلك لأن أثناسيوس مع عظم شأنه بمجمع نيقية لم يكن الا رئيس شمامسة

وبدأ المجمع أعماله فى فحص ما قدمه الرعاة من الشكاوى ضد اخوتهم وما كان ادهش تصرف الملك اذا خرج من جيبه ملفا من هذه الاوراق وبعد أن وبخ مقدميها لعرضهم تهما ضد اخوتهم وأقسم بالله أن لا يقرأ شيئا منها ثم طلب موقدا ودفع اليه تلك المعروضات والتشكيكات السرية . ثم أفسح المجال لرئيس المجمع ولكنه بقى فى قاعة الاجتماع وأهتم كل الاهتمام بسماع المناقشات وفعلا اشترك فى بعضها

ثم انعقدت الجلسة الاولى وكان الملك قد أعطى الحرية لكل من يتفاوض من الاساقفة فكثرت الجدال والالغط والغضب وانقضت الجلسة الاولى بدون جدوى . وفى اليوم التالى تقدموا للمناقشة فوقف اريوس وقال « ان الابن ليس مساويا للاب فى الازلية وليس من جوهره وان الاب كان فى الاصل وحيدا فأخرج الابن من العدم بارادته وان الآب لا يرى ولا يكيف حتى للابن لأن الذى له بداية لا يعرف الازلى وان الابن اله لحصوله على لاهوت مكتسب » فحال سماع الآباء هذه الكلمات ضجوا ضجيجا هائلا وصموا آذانهم كيلا يسمعوا هذا التجديف . وقرئت بعض أناشيد اريوس فزاد سخط الاساقفة لما حوته من الضلال ولم يطبقوا سماعها فزقوها مما دعى الى هياج أنصار اريوس واضطر الملك أن يسكتهم بالقوة وأخذ اريوس يدافع عن معتقده فانبرى له أثناسيوس وافحمه بردود قوية . وقد وجدت صورة هذه المحاورة بكتاب قديم بمكتبة البطريكية القبطية ندرجها هنا لما فيها من الفوائد الغزيرة : (١)

(١) أخذنا عن الخريدة النفيسة فى تاريخ الكنيسة ج ١ ص ٢٨٩ — ٢٩٢

«قال اريوس ان سليمان الحكيم تكلم بلسان المسيح قائلا خلقتنى أول طرقة (أم ٨ : ٢٢) قال اثناسيوس معنى ذلك هو أن الرب ولدنى لان النص العبرانى يذكر عوض خلقتنى (قنانى) أى ولدنى كما يقال قنى بالله ولدا أى ولد و يؤيد هذا التفسير ما ورد فى نفس الفصل اذا يقول : منذ الازل مسحت منذ البدء كنت معه قبل أن يخلق الجبال وقبل أن يصنع الارض لما ثبت السموات كنت هناك : وما يتلوه من الاقوال التى تدل على ولادة الابن الازلية كما نص داود النبى «أنت ابنى وأنا اليوم ولدتك ومن البطن قبل كوكب الصبح ولدتك (مز ٢ : ٧ و ١١٠ : ٣)

ار — ان الابن قال أبى أعظم منى (يو ١٤ : ٢٨) فعلى هذا يكون الابن أصغر من الآب ولا يساويه بالجهر

اث — ان الابن دون الآب لكونه تجسد كما يتضح ذلك من نفس الآية «لو كنتم تحبوننى لكنتم تفرحون لانى قلت انى ماض الى الآب لأن أبى أعظم منى » أى انه بناسوته يمضى الى الاب الذى هو أعظم من ناسوت الابن والا كيف يتكلم بلاهوته انه يمضى الى الآب حال كونه فى حضن الآب. (يو ١ : ١٨) و يؤيد ذلك انه فى نفس الفصل يتكلم باللاهوت و يبين مساواته لابيه بالجهر بقوله «من رآنى فقد رأى الآب وأنا فى الآب والآب فى وكل ما للآب فهو لى وكل ما لى فهو له لأننا نحن واحد» .

ار — ان المسيح قال « اعطيت كل سلطان فى السماء وعلى الارض » (مت ٢٨ : ١٨) فذكر هنا أنه نال السلطان من أبيه لأنه أعظم منه وغير مساو له

اث — يعنى أن الابن بولادته الازلية من الآب قد ملك كل سلطان أوانه قال ذلك بحسب كونه متأنسا لأنه فى أثر هذا القول ساوى نفسه بأبيه بقوله لتلاميذه عمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس

أر — ان المسيح نسب ذاته لعدم معرفة ساعة الدينونة بقوله لتلاميذه « وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعرفها أحد ولا ملائكة السموات الا الآب وحده » فاذا كان الابن لا يعرف وقت الدينونة فكيف يكون الها ؟

أث — ان المسيح قال ذلك لتلاميذه لئلا يسألوه عن هذا السر الذى لا يجوز لهم أن يطلعوا عليه كما يقول صاحب السرانى لا أعلم هذه المسألة أى لا أعلمها علما يباح به لأن بطرس قال له يارب أنت تعرف كل شىء

أر — ان المسيح قال أنا لا أقدر أن أصنع مشيئتى بل مشيئة من أرسلنى (يو ٥ : ٣٠) فاذا هو عبد للآب ودونه

اث — ان المسيح تكلم فى مواضع كثيرة بحسب كونه الها صار انسانا كقوله « ان شئت فلتعبر عنى هذه الكأس » « الهى الهى لماذا تركتنى » « انى صاعد الى أبى وأبيكم. والهى والهكم » ومثل ذلك صلاته الى أبيه مرارا كثيرة . وبصفة كونه الها قال « من رآنى فقد رأى الآب » « انا فى الآب والآب فى » « وأنا والآب واحد » وفى نفس الفصل الواردة فيه آية الاعتراض قال تعالى « كما ان الآب يقيم الموتى ويحييهم كذلك الابن أيضا يحيى من يشاء ليكرم الجميع الابن كما يكرمون الاب » . وغير ذلك كثير من أقوال المسيح التى تصرح بمساواة لاهوته للاهوت أبيه فى الازلية والعظمة والقدرة

أر — أن يوحنا قال فى بشارته عن الابن « كل شىء به كان وبغيره لم يكن شىء مما كان » (١ : ٣) فهذا القول يدل على ان الابن آلة استخدمها الآب لصنع الخلائق فالابن اذا ليس الها خالقا

اث — ان الآب خلق بالابن أى بواسطة الابن الخالق كما يقال بنى الملك المدينة بابنه فالملك وابنه يعد ان بانيى المدينة . ولا سيما أن يوحنا صرح بلاهوت الابن وأزليته ومساواته لابيه فى الجوهر والقدرة والابداع فى بشارته وفى رسائله حيث قال « الذى كان منذ البدء الذى سمعناه الذى رأيناه الذى لمسته أيدينا » (١ يو ١ : ١) وأيضا « الشهود فى السماء ثلاثة الآب والكلمة والروح وهؤلاء الثلاثة هم واحد » (١ يو ٥ : ٧) وفى الرؤيا « أنا هو الالف والياء البداية والنهاية الكائن والذى كان والذى يأتى القادر على كل شىء » (رؤ ١ : ٨) وقوله « للجالس على العرش وللحمل البركة والكرامة والمجد والسلطان الى أبد الابدين » (رؤ ٥ : ١٣) وفى أول الفصل الواردة فيه آية الاعتراض نص البشير بجلاء عن لاهوت الابن بقوله « فى البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله » فكيف يكون معنى قوله بعد هذا التصريح أن الابن ليس باله خالق لكنه آلة لصنع الخلائق . وقد اعترف داود النبى بان الابن خالق كما قال « أنت يا رب فى البدء أسست الارض والسموات صنع يديك » ولا ريب أن هذا القول يخاطب به النبى ابن الله كما فهم ذلك الرسول (عب ١ : ١) فقد اتضح أن ابن الله خالق نظير أبيه واله مساو له فى الجوهر والعظمة والمجد » أهـ

وطلب من يوساب القيصرى وسميه النيكوميدي أن يتبرأ من هرطقة اريوس فوقعا فى حيرة وارتباك شديدين ولم يتفقا على قاعدة ترضيها وترضى المجمع ثم تلا يوساب القيصرى عقيدة قال انه تسلمها من الاساقفة الذين سبقوه ظاهرها عكس باطنها

فنصح الامبراطور للحضور أن يوافقوا عليها . وكان يوساب وحزبه يقبلون كل عبارة يبدوها الارثوذكسيون ولكنهم يؤولونها بحيث تضعف قوتها فى ما وضعت له وأفاضوا فى نصوص الكتاب لتأييد تنصلهم . فسلوا ان كانوا يقبلون أن يكتب فى العقيدة عن طبيعة الابن انه من الله فقالوا نعم

لأننا نحن أيضا من الله والكتاب يقول « لكن لنا اله واحد الآب الذى منه جميع الاشياء » (١ كو ٨ : ٦) و يقول أيضا « هوذا الكل قد صار جديدا . ولكن الكل من الله » (٢ كو ٥ : ١٧ و ١٨) فسئلوا اذا كانوا يعترفون ان الابن ليس مخلوقا بل هو قوة الاب وحكمته وصورته وانه هو الله حقا : فنظر بعضهم الى بعض وتشاورا همسا ثم قالوا . اننا نوافق على ذلك لاننا نحن البشر ندعى صورة الله ومجد الله (١ كو ١١ : ٧) وأشياء كثيرة يقول عنها الكتاب انها قوته كقول المزمور « جميع قوة الرب خرجت من مصر » حتى ان الجراد سميت بقوات الرب واما من جهة القول بأنه اله حقيقى فلا مشاحنة فيه اذ انه جعل أو تعين هكذا . ولم يلق أحد الفريقين أية عبارة يعبر بها عن فكرة الا وقام الفريق الآخر باضعاف قوتها ونفيها

فاقترح اثناسيوس أن تضاف كلمة Homo — ousion أى « مساو فى الجوهر » أو « ذو جوهر واحد » للتعبير عن هذه الحقيقة بطريقة موجزة واضحة فعارض اليوسابيون فى استعمال هذه اللفظة بدعوى انها ليست من الكتاب وغير ملائمة وقابلة للتأويل ثم اقترحوا استبدالها بلفظة Homi — ousion أى « مشابه فى الجوهر » والفرق بين الكلمتين حرف واحد وهو « يوتا » باليونانية والقبطية ولكن ما أعظم الفرق بين اللفظين فى المعنى !! وبقدر معارضتهم بقدر ما ظهر للاغلبية انها هى العبارة المقصودة بالذات للتمييز بين من يؤمن بصحة لاهوت المسيح وبين من يعتقد بما هو أقل من ذلك . فصودق على اقتراح اثناسيوس بأغلبية هائلة ولم تزد الاقلية عن سبعة عشر صوتا وقوبلت هذه النتيجة بالسرور التام وتقرر أن يكون قانون الايمان هكذا :

« نؤمن بالله واحد الله الآب الضابط الكل الخالق السماء والارض ما يرى وما لا يرى . نؤمن برب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد المولود من الآب قبل كل الدهور نور من نور اله حق من اله حق مولود غير مخلوق مساو الاب فى الجوهر الذى به كان كل شىء هذا الذى من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا نزل من السماء وتجسد من الروح القدس ومن مريم العذراء تأنس و ضلب على عهد بيلاطس البنطى تألم وقبر وقام من بين الاموات فى اليوم الثالث كما فى الكتب وصعد الى السموات وجلس عن يمين أبيه وأيضا يأتى فى مجده ليدين الاحياء والاموات الذى ليس للملكه نقضاء » أهـ

و يلى هذا القرار الالهى حرم اريوس واتباعه وحرّم بدعة سابليوس الذى أذاع اريوس أن معارضيه يقبلونها وبذلك أوضح المجمع النقطتين الاساسيتين فى التعليم عن كلمة الله وهما تمييز الاقانيم فى اللاهوت وصحة لاهوت المسيح

وقد وقع على هذا القرار جميع اعضاء المجمع برضاء كلى ولم يبق على عقيدة اريوس سوى خمسة أشخاص منهم يوساب النيكوميدي يوساب القيصرى الا انها أمضيا بعد تردد ولم يلبث سوى الاثنى اللذين حرما بالاسكندرية وهما سيكوندس أسقف بطليموسة وثيونس أسقف مار يكة وقد

وبخ الاول أسقف نيكوميديا لانه وقع خوفا من النفى وقال له انى أبلغك من قبل الله بانه فى خلال عام واحد سيصيبك ما أصابنى

وبعد أن حكم المجمع بحرم ار يوس وبدعته أمر بنفيه وبحرق كتبه و باعدام من يتستر عليها وما يأتى يؤخذ منه رأى المجمع فى ار يوس وهو من رسالة أنفذها المجمع الى كنائس افريقية قال . « قبل كل شىء وقع البحث أمام الملك قسطنطين الكلى التقوى فى اثم ار يوس ورفقائه وعدم تقواهم وحتم بصوت الجميع ان تعليمه العديم التقوى ليكن اناثيا وهكذا أيضا فلتكن أقواله وعباراته التجديفية التى استعملها لانه قال مجدفا ان ابن الله من القدم وانه وجد زمان لم يوجد فيه وقال ان ابن الله من تلقاء ارادته قادر على الفضيلة والرذيلة وقال انه مخلوق وعمل فكل هذا حرمه . والمجمع المقدس لا يطبق استماع هذا التعليم العديم التقوى أو بالحرى هذه السفاهة وهذه الاقوال التجديفية وقد سمعتم أو تسمعون ماذا جرى فى حقه لئلا نظهر نحن اننا تعدينا على انسان أخذ استحقاق شره ولكن شره غلب بهذا المقدار حتى أدخل معه فى الهلاك ثيونس المرمرىكى وسيكوندس من عكا لانها حكم عليهما كما حكم عليه » أهـ

ولما انتهى المجمع من القضاء على ار يوس وبدعته صرف همه للفصل فى مسائل أخرى

(١) منها مسألة تحديد يوم عيد القيامة فقرر بالاجماع أن يكون العيد المذكور فى موعد واحد بجميع البلدان أى يوم الاحد الذى يلى البدر الذى يكون فيه عيد اليهود حتى لا يعيدوا قبل اليهود أو معهم وقرروا ان بابا الاسكندرية هو الذى يبلغ الكنائس الاخرى عن اليوم الذى يقع فيه هذا العيد فى العام التالى وذلك لان الاسكندرية فى ذلك العهد كانت مركز العلوم الفلكية وجرت العادة وقتئذ أن بطريركها يحسب ميقات البدء بعد الاعتدال للسنة القادمة و يبلغ أسقفى رومية وانطاكية وهما يبلغان سائر الاساقفة

(٢) ثم نظر المجمع فى أمر الشقاق الذى أحدثه ميليتس بهضمه كأسقف حقوق رئيسه البطريرك وتقدمه لرسامة أساقفة وقسوس بلا رأى رئيسه فقرر من جهته فى القوانين ٥ و ٦ و ٧ بحفظ حقوق بطريرك الاسكندرية على رؤسياه واعطاه الحقوق التى كانت لآخويه أسقفى رومية وانطاكية

ثم أرسل المجمع هذه الرسالة الى المصريين بحكمه فى هاتين المسألتين وهاك هى :

« بقى علينا الآن طياشة ميليتس والذين رسمهم والآن أيها الاخوة الاحباء ن خبركم قضاء المجمع على هذه القضية . اننا اذا راعينا الحقيقة نجد أن ميليتس لا يستحق اكراما أو صفحا على ما اقترفه من أمر الشقاق الذى أحدثه الا أن الشفقة والحنان يحتمان علينا أن نعامله بالرأفة واللطف ولذلك أذن له المجمع بالاقامة فى بلده مسقط رأسه وأمره أن لا يمارس أية وظيفة كهنوتية سواء

كانت رسامة أحد أو ترشيح أحد للرسامة و يتحتم عليه عدم الظهور فى أى إقليم أو مدينة بهذا المظهر ولا أن يدعى شيئا حرمه عليه المجمع بلى تبقى له صفته الشخصية فقط . أما الذين عينهم هو فى وظائف وتثبتوا فيها بواسطة رسامة قانونية فيجب قبولهم فى عضوية الكنيسة بالشروط الآتية وهى : ان تبقى لهم وظائفهم ورتبهم ولكنهم يعتبرون أقل درجة فى كل شىء من الآخرين الذين عينهم رئيسنا المحترم البطريرك اسكندر واقامتهم الكنائس الاخرى . كذا لا سلطة لهم على تعيين أو ترشيح من يشاءون ولا أن يعملوا عملا ما بدون تصديق أحد أساقفة الكنيسة الجامعة الذين يعدون من أنصار البابا اسكندر ومساعديه . وعند موت أحد هؤلاء القسوس الذين سامهم ميليتس سابقا ينبغي تعيين واحد بدله من الذين تنطبق حالتهم على النظمات الحديثة على شرط أن يكون ذا أهلية واستحقاق فيختاره الشعب و يصدق أسقف الاسكندرية على انتخابه . فهذا الامتياز يمنح لجميع الاساقفة على السواء الا ميليتس فلا يعطى هذه السلطة نظرا لسلوكه السابق المغاير للصواب والتعقل بل مجرد من كل سلطة وسطوة لاجل طياشته وخيالاته ولانه رجل لا يبعد عليه أن يحدث شقاقا جديدا مثل الذى أتاه قبلا . فهذه المسائل تهتم مصر وكنيستها الرفيعة الشأن على الخصوص وعليه فاذا سن قانون آخر غير هذا أو حدثت رسامة كاهن ليست قانونية فيكون لغبطة الخبر المفضل البطريرك الاكسندروس حق التداخل فى هذا الامر وان يفحصه فحفا دقيقا و يبت حكمه لانه ليس بصاحب صوت فقط فى الذى يحدث ولكن له الرئاسة العليا والسلطة التامة فى تنفيذ أى عمل يريد

« ولقد يسرنا أيضا فى هذا المقام أن نخبركم بما قر عليه الرأى فى مسألة تحديد يوم عيد القيامة المبارك فان هذه المسألة انتهت بمساعدة صلواتكم وأصبح جميع الاخوة المسيحيين فى الشرق الذين كانوا يعيدون هذا العيد مع اليهود تماما يعيدون من الآن فصاعدا مع الرومانيين ومعنا ومع الذين حفظوه منذ القديم معنا » أهـ

(٣) ثم نظر المجمع فى مشكلة معمودية الهراطقة التى كانت بين أساقفة افريقيا وآسيا الصغرى وبين أسقف رومية فاعترف المجمع بمعمودية واحدة وحدد أن لا يقبل بعض من الهراطقة لا بالمعمودية لان معموديتهم المعروفة اسما هى بالفعل غير صحيحة لعدم ارتباطها بالاعتراف بالثالوث الاقدس . والبعض الآخر أن يقبلوا بلا معمودية لكون المعمودية المتمة عليهم لبثت غير فاسدة ولا ممسوسة من آرائهم لتعلقها بمواضيع أخرى لا تمس المعمودية

فبذلك رذل المجمع رأى أسقف رومية بخصوص عماد الهراطقة ولقد قال فى هذا الصدد بنديكتوس ١٢ أسقف رومية (١٣٣٤ — ١٣٤٢ م) « ان اسطفانوس قد علم بوجوب إعادة العماد الذى يتم على يد الهراطقة وعلم كبر يانوس بعكس ذلك أما المجمع النيقاوى فقد خالف هذين التعليمين حيث قرر أن المتعمدين من أيدي الهراطقة عمادا صحيحا لا يعاد عمادهم بعكس الذين

اعتمدوا منهم عمادا فاسدا» أهـ (١) وقال أوغسطينوس أعظم قديسى الكنيسة اللاتينية «ان الحكم النهائى فى قضية عماد الهراطقة كان للمجمع المسكونى الذى له وحده هذا الحق أما رأى اسطفانوس فانه فضلا عن فساد له تكن له قوة على اقناع كبريانوس وهكذا كان حكم الكنيسة مجتمعة حجة لا ترد لا ثبات الحقيقة فيما يختص بالعقيدة الارثوذكسية» أهـ (٢)

(٤) حكم على ذوى الكهنوت أن يكونوا من أصحاب الزوجات وقد أراد جل الاعضاء أن يقرروا ضرورة تبطل كل رتب الاكليروس الا أن رأيهم لم يقبل وكان أشد معارضيهم القديس بفنوتيوس أسقف طيبه الذى أشير اليه بأنه فقد عينه اليمنى و يده اليسرى فى الاضطهاد وهو أعزب اذ صرح بأنه ليس من الواجب التثقيب على ذوى الكهنوت خشية حدوث ضرر للبيعة عوض النفع فأثر كلامه فى الجميع لانهم عرفوا أنه لا ينتفع من القرار أو عدمه واكتفى المجمع بالحكم على الكهنة المترملين بعدم اعادة الزيجة

وبعد ذلك سن المجمع عشرين قانونا لم تزل بحمد الله موجودة سالمة الى عصرنا هذا . وهذه القوانين وسائر الاحكام أيضا أنيط نشرها بكل واحد من أساقفة الكراسى الاولى فى أبروشيته . ومن جملتهم أوسيليانوس فى افرىقية واوسىوس فى الغرب كله . ولم يذكر شىء بخصوص أسقف رومية البتة يتعلق بنشرها فلا أحد انتظر منه تصديقا عليها ولا استأذن منه لينشرها . وكما ان مسألة نشر القوانين فى الشرق والغرب تنفى صحة الدعوى بسلطانه فان فحوى القوانين أيضا ينفيها نفيا واضحا

وقد اجتهد أساقفة رومية فى القرن الخامس أن يجرؤا بعض قوانين مجمع سرديكا التى توجب استئناف الاحكام ضد الاساقفة الى أسقف رومية الى قوانين مجمع نيقية فقاومهم عند ذلك أساقفة افرىقية وأرسلوا الى بطاركة الاسكندرية وانطاكية والقسطنطينية يطلبون نسخا كاملة لكل القوانين النيقاوية المعروفة عندهم فنقلوا نسختين صحيحتين احدهما من الاسكندرية والاخرى من القسطنطينية فكان فحوى الجواب ان الكنائس الارثوذكسية لم تقبل الا هذه العشرين قانونا وبعض هذه القوانين يعارض كل المعارضة قوانين مجمع سرديكا التى أرادوا أن يثبتوا بها رئاسة أسقفهم المزعومة وهدمها واليك هى :

قال القانون الرابع «ينبغى أن يقام الاسقف على الخصوص من جميع أساقفة الابروشية . فان كان عسرا اما لضرورة شديدة أو لبعد المسافة فلا بد من اجتماع ثلاثة معا بعد اشتراك الغائبين فى الاصوات وموافقتهم كتابة وحينئذ يعملون الشرطونية . أما تثبیت الاجراءات فنوط فى كل

(١) راجع بوسويه فى مقدمة دفاعه عن اقرار الاكليروس الفرنسى رقم ٤٨

(٢) راجع كتاب العماد لاغسطينوس (ك ٢ ف ٤ : ٥ وك ٣ ف ٢ : ٢)

ابروشية بالميتروبوليت « فهذا القانون فضلا عن ايضاحه مساواة رؤساء الابروشيات بعضهم لبعض بلا امتياز هو ضد العادة المرعية اليوم في الغرب بأن كل أسقف عندهم حتى بطاركة الطوائف التابعة لهم « المعروفة بالمكتلكة » محتاج الى تصديق من البابا أو بالخرى ان هذه العادة الغربية هي ضد المجمع المسكونى وهى لاغية .

وقال القانون الخامس « لقد رأينا حسنا أن تعقد مجامع فى كل ابروشية مرتين فى السنة لكى تفحص أمثال هذه المسائل (الكنسية) باجتماع عمومى من جميع أساقفة الابروشية » وهنا أيضا مرجع المسائل الكنسية لا الى البابا بل الى مجامع الابروشيات

وقال القانون السادس « لتحفظ السنن القديمة التى فى مصر وليبية والخميس المدن بان تكون السلطة على هؤلاء كلهم لاسقف الاسكندرية . بما أن هذه العادة مرعية للاسقف الذى فى رومية أيضا . ومثل ذلك ليحفظ التقدم للكنائس فى انطاكية وفى الابروشيات الاخرى . وبالأجمال ليكن واضحا أن كل من صار أسقفا بلا رأى الميتروبوليت قد حكم المجمع الكبير أنه لا يجب أن يكون أسقفا وأما اذا قاوم اثنان أو ثلاثة عن عناد شخصى لصوت الجميع العام رغما عن كونه مصيبا وموافقا للقانون الكنسى فليعمل بصوت الاكثريين »

وقال القانون السابع « بما أنها جرت العادة والتسليم القديم أن يكون الاسقف الذى فى الية « أورشليم » ذا كرامة فلتكن له التبعية فى الكرامة مع المحافظة على رتبة الميتروبوليت الخاصة بها »

فواضح هنا أن هذين القانونين يثبتان لكل أسقف من أساقفة الكراسى الاولى رئاسته لا كأنها يثبتان أمرا جديدا بل بناء على العادة القديمة وعلى الخصوص القانون السادس يثبت دائرة الكرسى الاسكندرى الذى كانت حقوقه قد ديسست من ميليتس الاسقف المبتدع المار ذكره الذى ساقه عناده الى انه داس حقوق البطريرك الاسكندرى وكان يقيم شرطونيات بلا رأيه . ولهذا السبب جدد المجمع وثبتت حقوق الاسقف الاسكندرى المداسة لتكون مرعية فى دائرته كما أن حقوق أسقف رومية لم تنزل مرعية فى دائرته . وكذلك حقوق الانطاكي وحقوق كل أسقف من الاساقفة المتقدمين . ثم قرر فى القانون السابع أن تكون التبعية فى الكرامة أى الجلسة للاورشليمى بعد الانطاكي

فهذه قوانين مجمع مسكونى صريحة تبين لكل أسقف دائرته ولا تعين ولا تشير الى أسقف عام على كل الكنيسة حالة كون المذاكرة فى مثل هذه المسائل كانت توجب ذلك لو كان له أصل أو على الأقل كانت توجب وكلاء البابا أن يدافعوا عن حقوقه ويقرروها (١) ولنختم بشهادة البابا

اثناسيوس الرسولى فى رسالته الى الانطاكيين وهى : « ان الكنيسة فيها رؤساء كثيرون متساوون فى الكرامة يقودهم رئيس واحد ربنا يسوع المسيح » (٢).

* وبعد أن انتهى المجمع من أعماله أولم قسطنطين لاعضائه وليمة عظيمة فى بدء السنة العشرين لملكه أى فى اليوم الرابع والعشرين من شهر يولية فاجتمع الآباء الروحيون على مائدة الملك . ويقول أوسابيوس المؤرخ « أن اجتماع آباء الكنيسة فى سلام وصفاء بهذه المأدبة الفخيمة كان يشبه صورة ملكوت المسيح وقد تجلى هذا المنظر أمامى كحلم أكثر مما هو حقيقة . » أهـ وكان الامبراطور يحادث ضيوفه بكل بشاشة ثم ألقى عليهم خطاب الوداع ناصحا اياهم بالتزام خطة السلام . وبعد ذلك وزع عليهم الهدايا وسلمهم الاوامر الى حكام البلاد التى هم تابعون لها أمرا هؤلاء الحكام بأن يوزعوا على الكنائس كل سنة مقدارا من الحنطة لمؤونة رجال الاكليروس والارامل والعذارى والفقراء التابعين للكنائس ثم طلب منهم البركة وأعد لهم الركائب لعودتهم الى أوطانهم فعادوا اليها بسلام

(٢) مجمع القسطنطينية : « ويسمى المجمع المسكونى الثانى » وسبب انعقاده التعاليم الكفرية التى أذاعها مكدونىوس بطريرك القسطنطينية عن الروح القدس والتى اضطربت البيعة لاجلها . واذا كان الملك ثيودوسيوس الارثوذكسى يرغب فى استئصال شأفة البدع والهراطقات أمر بانعقاد هذا المجمع فى مدينة القسطنطينية سنة ٣٨١ م

وكان فى هذا المجمع رجال قديسون عظام نذكر منهم نكتاريوس بطريرك القسطنطينية وتيموثاوس بابا الاسكندرية وملا تيموس أسقف انطاكية وكيرلس أسقف اورشليم وغريغور يوس الثاؤلوغوس وغريغور يوس النيسى وامفيلوشوس أسقف أيقونية وبيلاجيوس أسقف اللاذقية وثيودورس أسقف طرسوس واكاكيوس أسقف حلب وافلوجيوس أسقف اداسيس وغيرهم كثيرون مجموعهم ١٥٠ أبا ولم يكن من رومية أحد لا أسقفها ولا نواب له ولا تليت رسالة من الاسقف نيابة عنه حسب عادة الاساقفة الغائبين ومع ذلك فوافق أسقف رومية وكل الكنيسة الغربية على أعماله ولم يزل هو وكنيسته يعترفون بأنه مجمع مسكونى وقال المؤرخ صوزومينوس (فاجتمع من الذين يعتقدون بمساواة الثالوث فى الجوهر نحو ١٥٠ وفى رئاستهم تيموثاوس المتقلد ادارة كرسي الاسكندرية خلفا لاختيه بطرس الذى كان قد توفى لا من عهد بعيد » (١)

وقد بحث المجمع فى جملة هرطقات أهمها هرطقة مكدونىوس المار ذكره الذى اعتقد بأن الروح القدس مخلوق . ولما طرحت قضيته أمام المجمع بدأ يثبت بدعته فقال ان الروح القدس مخلوق

(٢) ذوسيثاوس ١ : ٧

(١) صوزومينوس ٧ : ٧ و ٩

مرتكننا على قول الكتاب « كل شيء به كان وبغيره لم يكن شيء مما كان » (يو ١ : ٣) فأجابوه قائلين « أيها الانسان لا يوجد لدينا الا روح واحد وهو روح الله ومن المعلوم أن روح الله ليس شيئا غير حياته واذا قلنا ان حياته مخلوقة فعلى زعمك انه غير حي واذا كان غير حي فهناك الكفر الفظيع والرأى الشنيع » ولما أبى أن يرجع عن أفكاره أنزلوه من درجة البطريركية وحرموا كل من يقول بقوله وأثبتوا دستور الايمان النيقاوى الذى كان ينتهى بقوله « نعم نؤمن بالروح القدس » فأضاف مجمع القسطنطينية عليه هذا القول « الرب المحيى الكل المنبثق من الآب الذى هو مع الآب والابن يسجد له ويتمجد الناطق فى الانبياء وبكنيسة واحدة مقدسة جامعة رسولية ونعترف بعمودية واحدة لمغفرة الخطايا ونترجى قيامة الاموات والحياة الجديدة فى العالم الآتى ، آمين »

وحرّم المجمع كل من يزيد على هذا الايمان الذى سنه آباء المجمع النيقاوى وأكمل فى هذا المجمع المقدس شيئا آخر أو ينقص منه أو يحدد حدا مضادا لما حدد فيقع هذا الجرم على الكنيسة الباباوية التى زادت بعد الروح القدس المنبثق من الآب لفظة والابن كما ستقف عليه فى باب البدع فى القرن الثامن .

ثم نظر المجمع فى هرطقة أبوليناريوس أسقف اللاذقية ومن أمره انه كان شديد المناضلة فى اثبات لاهوت المسيح ضد الاريسيين ولما كانت مناصلته بدون فطنة سقط فى البدعة اذ أنكر وجود النفس البشرية فى المسيح واعتقد أن اللاهوت قام بوظيفتها وامتزج مع الناسوت امتزاجا كليا حتى انه احتمل معه أوجاع الصليب والموت وجعل تفاوتا بين الاقانيم الثلاثة فقال ان الروح القدس عظيم والابن أعظم منه والآب اعظم من كليهما فحرم هذا المجمع تعليمه

وكان رئيس المجمع ملانيوس الانطاكى ثم توفى قبل انحلاله فتولى الرئاسة غريغور يوس الشاؤلوغوس . وكان متوليا مؤقتا للكرسى البطريركى بالقسطنطينية قبل ذلك بمدة قليلة ولكن تيموثاوس بابا الاسكندرية قاومه فاستعفى مسرورا لانه علم أن الذى يتولى بعده الكرسى البطريركى ورئاسة المجمع صديقه نكتار يوس

ثم سن المجمع سبعة قوانين تتعلق بنظام الكنيسة وسياستها وروعى فى وضعها خاطر ملكى رومية والقسطنطينية فوضعت هذه فى الرتبة الثانية بعد رومية ووضعت الاسكندرية بعدهما فاستاء البابا تيموثاوس من تصرف المجمع الذى يدل على تناسيه لجهاد باباوات الاسكندرية الافاضل وعدم اعتبار المعروف منذ القديم وهو أن لكرسى الاسكندرية المركز الاول فاحتج البابا تيموثاوس على هذا القرار وخرج من المجمع غاضبا

ويتبين من مراجعة نص القوانين التى سنها المجمع فى هذا الشأن أن اساس النظام الكنسى ليس الاعتبار الدينية بل المدنية ودونك نص القانون الثانى « لا يتعدى الاساقفة الذين

خارج ادارتهم على الكنائس التى خارج حدودهم ولا يشوشن الكنائس . بل وفنا للقانون لاسقف الاسكندرية ابن يسوس أمور مصر فقط . ولاساقفة الشرق أن يسوسوا الشرق فقط مع المحافظة على التقدم الذى فى قوانين نيقية لكنيسة الانطاكيين . ولاساقفة ولاية آسيا أن يسوسوا أمور آسيا فقط . وللذين فى البنطس أمور البنطس فقط وللذين فى ثراكى أن يسوسوا أمور ثراكى فقط . فلا يتعدين أساقفة خارج ولايتهم لاقامة شرطونيات أو معاطاة أمور أخرى كنسية من دون أن يدعوا . والمحافظة على القانون السابق تدوينه فى الادارات تقتضى صريحا أن يسوس أحوال كل ابروشية مجمع الابروشية كما هو محدد فى نيقية . وأما كنائس الله التى بين الامم البربرية (يعنى خارج المملكة) فيجب أن تساس حسب عادة الآباء المرعية»

والقانون الثالث «أما أسقف القسطنطينية فليكن له التقدم فى الكرامة بعد أسقف رومية لكونها (أى القسطنطينية) رومية جديدة» أهـ

فهذان القانونان ينفيان الرئاسة التى يدعيها الغربيون لاساقفتهم فان القانون الاول منع تعدى أى أسقف كان على حقوق سواه وحكم بأن الامور الكنسية المشاعة يفصل فيها مجمع الاساقفة لا أسقف رومية وذلك استنادا على قوانين مجمع نيقية

(٣) درجات الكنائس : ويجدر بنا فى هذا الصدد أن نتكلم عن مقام كل كرسى من كراسى الاسقفيات المسيحية لان كلا منها ينازع الآخر فى الادعاء بالاسبقية والاعتبار . وكل مدقق فى الحوادث التاريخية يقر بأن المراكز الدينية كانت تقاس قيمتها بقيمة المدن الكائنة فيها . فانه مع ان الكنيسة فى مبدأ الامر كانت تعلم بالتساوى بين جميع أفراد الرتب الكهنوتية ولكنه لما دعا الحال الى عقد مجامع للبحث فى المشاكل الدينية احتاج الامر الى واحد ليكون هو المتقدم فى تلك المجامع فلكى لا يفهم أحد ان هذا التقدم ناشىء عن امتياز لاسقف عن الآخر قالوا اذا كان المجمع قاصرا على أساقفة مدينة واحدة وما حولها من القرى يكون التقدم لاسقف المدينة . واذا كان المجمع مؤلفا من أساقفة مدن عديدة يتقدم فيه أسقف المدينة الأكثر شهرة . و يوجد سبب آخر قضى على المؤمنين أن يوجهوا نظرهم الى بعض المراكز الاسقفية أكثر من غيرها وذلك بالنسبة لانها كانت مقرا لبعض الرسل واتصلت الى الاساقفة بسلسلة الخلافة ودعيت «الكراسى الرسولية»

فالمراكز الدينية التى حازت أحد هذين الامتيازين كانت لها أسبقية على التى لم تحزهما ولكن التى امتازت بالاكثر من المراكز التى اقترنت أهميتها المدنية بتسلسل أساقفتها عن خلافة رسولية واشتهرت عن سواها هى فى الشرق الاسكندرية . وانطاكية . وأفسس . وكورنثوس . فى الغرب . رومية . ولما كان المركز الكنسى الذى يفقد أهميته المدنية يفقد أهميته الدينية أيضا فان كرسى أورشليم فقد منذ القديم أهميته بعد خراب هذه المدينة ولحقه بعدئذ كرسى أفسس وكورنثوس

ولكن الكرسي الاسكندري ارتفع عن بقية الكراسى لان مقره مدينة الاسكندرية كانت عاصمة الديار المصرية وامتازت بانها كانت محط رجال العلوم والمعاملات التجارية للعالم أجمع

ولما تداخل ميليتس المشار اليه آنفا وأحدث انشقاقه وتعدى على سلطة بطريك الاسكندرية برسامة أساقفة بدون أخذ رأيه قرر المجمع النيقاوى ضرورة مراعاة حقوق بطريك الاسكندرية . وكذلك كرسي رومية عاصمة العالم وقتئذ وانطاكية عاصمة الشرق استمرتا متمتعين بحقوقهما منذ عهد الرسل ولكن الكنيسة الباباوية تنادى ليلا ونهارا ان رئيسها هو رئيس الكنيسة العام واليك الادلة على كذب قولها

جاء فى كتاب « مختصر تاريخ الامة القبطية » ص ٣٣٧ — ٣٤٠ ما يأتى : « ان الحق الذى يجب أن يعلن هو أن تقدم الكنائس بعضها على بعض لم يكن مبنيًا الا على التقدم المدني المحض . ولذلك فاننا نرى آباء المجمع القسطنطيني (المسكوني الثاني) عندما أصبحت القسطنطينية ممثلة لرومية فى الرفعة المدنية قد بادروا الى مساواتها بها فى الرفعة الدينية حيث قرروا فى القانون الثالث أن تكون لها الدرجة الثانية بعد رومية وان تلقب رومية الجديدة وهكذا أصبحت أسقفية القسطنطينية (البيزنطية) التى أغلفها المجمع النيقاوى فى قانونه السادس لصغر شأنها وقتئذ مقدمة على أسقفيتى أسكندرية وانطاكية

ولقد جاء فى القانون الـ ٢٨ من قوانين مجمع خلكيدون الذى ترذله كنيستنا القبطية وتقده الكنيسة اللاتينية « ان المدنية التى حظيت بالملك (رومية الجديدة) وجب أن تمتاز فى المسائل الكنسية أسوة بمدينة رومية القديمة » وجاء أيضا فى القانون الـ ١٧ من قوانين هذا المجمع انه « اذا شاد القيصر مدينة جديدة فلتكن منزلتها الكنسية ملائمة لمنزلتها المدنية » على أن ذلك القرار لم يكن من مبتكرات مجمع خلكيدون فقد سبقه اليه مجمع انطاكية المنعقد سنة ٣٤٢ م اذا قرر فى قانونه الـ ٩ « أن يكون النظام الكنسى تابعا للنظام المدني » (١) وكذلك قرر مجمع تورينو بايطاليا المنعقد سنة ٤٠١ م « أن يكون التقدم للاسقف الذى يبرهن على تقدم مدينة أسقفيته من الوجهة المدنية (وذلك على أثر النزاع الذى حدث بين أسقفينى أربلس وفينا (جنوبى فرنسا) بشأن التقدم الكنسى)

وعلى ذلك يكون تقدم كنيسة رومية الدينى قد بنى على تقدمها المدني . لما هو معلوم من انها كانت عاصمة العالم الوثنى يؤمئذ . وهذا هو تليمون الكاثوليكي يقول فى تاريخه الكنسى (م ١٦ ص ٧٠٧) « ان مجمع خلكيدون لم يعلل تقدم الكنيسة الرومانية الا بتقدم مدينة رومية مدنيا »

وقال سليدن (فى تاريخه م ٩ ص ٢٦٢) «ان ملك فرنسا (فرنسوا الاول) لم يكن ليرى فى سلطة الباباوات حقا الهيا بل بشريا محضا» وقال فوشيه فى كتاب حرية الكنيسة الجليكانية (الفرنسية) (م ١ ص ٧١) «لم يكن من سبب فى تقدم أساقفة رومية سوى عظم مدينتهم» وأخيرا قال ارهادوس بيليوس أستاذ اللاهوت الادبى فى كلية الجزويت بكابن بفرنسا فى كتابه «أرزاق الكهنة» المطبوع سنة ١٦٤٤م ما نصه «ان تقدم الباباوات الرومانيين ان هو الا مئة منحت لهم من المجامع والقياصرة (لا من الله) وهكذا كان ذلك التقدم من وضع البشر»

وفضلا عن ذلك فان الدرجة الاسقفية واحدة لا يؤثر فيها ارتقاء الايروشية أو انحطاطها . وهذا هو ايرونيموس يقول فى رسالته ال ٨٥ الى ايفاجر يوم «ان الاسقف ثابت فى وظيفته سواء أقام فى رومية أو فى رجيو

(مدينة صغيرة شمالي ايطاليا) فى القسطنطينية أو فى جيبو «مدينة صغيرة بايطاليا» فى الاسكندرية أو فى تانيس» أه هذا فضلا عما اعترف به البطريرك القبطى الكاثوليكي كيرلس مقار فى كتابه «الوضع الالهى فى تأسيس الكنيسة» «ان تقدم رومية القديمة كان يرمى الغرض منه الى صفة عرش المملكة و بالنتيجة انه لم يكن له أدنى صبغة الهية» أه

واليك شهادة القديس اغناطيوس (وهو من أساقفة انطاكية) قال «ان جميع الاساقفة الذين تعينوا الى أقاصى المسكونة هم وكلاء المسيح ورأيهم رأى المسيح» (١) والقديس كبريانوس يقول بصريح العبارة «ان الرتبة الاسقفية واحدة» و يقول أيضا «كما أنها أقيمت كنيسة واحدة للمسيح فى كل العالم منقسمة الى أعضاء كثيرة هكذا الرتبة الاسقفية واحدة منقسمة الى عدد أساقفة كثيرين» (٢)

والدليل على صدق هؤلاء الافاضل وعلى أن الكنيسة لم تكن تعتبر فى عصورها الاولى أية كنيسة منها أسمى من الاخرى ما نراه فى تصرف الاباء فى المجامع المسكونية الاولى حيث كانوا يقررون أحكامهم لاباسم كنيسة خصوصية بل باسم الكنيسة المسيحية فى كل العالم التى تجمع كل الكنائس رسولية كانت أو غير رسولية . فقط كانوا يقدمون فى الكرامة رئيس الكنيسة الذى يعرفون عنه الغيرة على الايمان والشهرة فى الدفاع عنه كباباوات الكرسي الاسكندري مثلا اذ طلبوا منهم أن يترأسوا المجامع المسكونية الثلاثة الاولى

(١) الى أفسس فصل ٣

(٢) فى وحدة الكنيسة فصل ٥ ورسالة ٥٥

واذا أردتم برهاننا على أن المجامع لم تكن تحكم الا باسم الكنيسة عامة فاليكم بعض ما دونه كيرلس مقارب بطريك الاقباط الكاثوليك في كتابه «الوضع الالهى فى تأسيس الكنيسة» من ص ١٩١ - ٢٠٧ «ولكن هل أصدر المجمع النيقاوى حكمه مقيدا بأوامر باباوية وهل اعتبر أن ما يصدره من الاحكام يكون باسم البابا ؟ ذلك ما يدعيه الغربيون وهى دعوى فاسدة مبنية على أساس واه لانه من الحقائق المقررة ان البابا سلفستروس لم يبعث برسائل للمجمع حينئذ بل ان المجمع أبلغ حكمه لكنيسة رومية أسوة بباقي الكنائس كحكم الهى سماوى مؤيد بالروح القدس ...

«واليكم شهادة القديس اثناسيوس الرسولى الذى قال «ان آباء نيقية عندما أصدروا حكمهم فى قضية الفصح قالوا «هذا ما وجدناه حسنا» لان هذه المرة كانت الاولى التى فيها سن قانون عام فى هذا الموضوع «يوم تعيد الفصح» أما عند الكلام على الايمان فلم يقتل الآباء هذا ما وجدناه حسنا بل قالوا «هذا ما تؤمن به الكنيسة الجامعة» ثم جاهرُوا بمعتقدهم ليدلوا على ان ايمانهم ليس بحديث العهد بل هو نفس الايمان الرسولى وان ما سطرته أيدي هؤلاء الآباء لم يكن من عملهم بل هو الايمان عينه المسلم من الرسل الى الكنائس» أهـ

وما يقال عن مجمع نيقية يقال أيضا عن مجمع القسطنطينية فانه كان مؤلفا من ١٥٠ أبا شرقيا ولم يكن لاسقف رومية فيه نصيب البتة حتى انه لما دعى للحضور كباقي الاساقفة اعتذر عن الحضور ولم يرسل حتى من ينوب عنه . وانعقد المجمع بدون أن تكون له أقل علاقة به بالمرّة بل وابلغ من ذلك ان التاريخ يشهد ان داماسوس الاسقف الرومانى كتب حينئذ لأباء المجمع القسطنطينى المائة والخمسين ليأتوا الى رومية لكى ينضموا الى مجمع كبير كنسى غربى مزعم أن ينعقد ولكن المائة والخمسين أبا رفضوا بتاتا أن يلبوا هذه الدعوة وأجابوا الاسقف الرومانى بشجاعة بأن كنائسهم تكبدت الصعوبة حتى خرجت من الزوبعة العظيمة التى صدمتها وأشاروا الى كسل الغربيين الواضح الذين بدل ما أنهم يأتون الى القسطنطينية وذلك فى طاقتهم يطلبون سفر الشرقيين الى رومه فى الوقت الذى ابتدأت كنائسهم أن تنتعش وأصبحت فى حاجة الى وجودهم فى حضرته .

وقد أصدر المجمع القسطنطينى حكمه فى قضية لاهوت الروح القدس مستندا لا على صوت الكنيسة الرومانية التى لم تكن تعرف عن المجمع شيئا بل على صوت الكنيسة العام كما يشهد بذلك القديس غريغور يوس النيسى أحد أعضاء المجمع حيث يقول فى أثبات ان الروح القدس اله حق ومساو فى الجوهر للآب والابن «انه يكفيننا هذا الدليل التقليدى الذى تسلمناه من آبائنا والذى

تسلمه آباؤنا من الرسل» (١) وأخوه القديس باسيليوس قال لمكدونيوس قبل اشتهاار المجمع القسطنطينى «ان أحذر ان تفصل الروح القدس من الآب والابن فان التقليد يمنعك من ذلك . هكذا علم السيد وهكذا كرز الرسل وهكذا حفظ الآباء وهكذا اعترف الشهداء ويكفيك أن تقر بما تعلمت» (٢) فأين صوت الكنيسة الباباوية وسلطانها اذا . ليحكم الباباويون عقولهم لعلمهم يرتدعون (٣)

وليس من ينكر انه كان للكرسى الاسكندرى الاولوية على الكراسى الاسقفية عامة وكان كرسى رومية حسدا منه يتقد غيظا لتقدم كرسى الاسكندرية عليه واعتبار الملوك له أكثر منه . ولكن بطاركة الاسكندرية الذين اشتهروا بالبرقة واللفظ وحسن المجاملة رضوا باشتراك أساقفة رومية فى حل المشكلات معهم ولو أفضى الى التنازل عن أفضليتهم . ولكن الرئاسة الفعلية والخطاب العام الذى يصدر سنويا وفيه تاريخ عيد الفصح كان مصدرهما الاسكندرية

أما الكرسى الاورشليمى فقد استرد مجده فى القرن الرابع وأخذ يترقى بسبب اعتبار المسيحيين للاماكن المقدسة . ولهذا فى القانون السابع من القوانين التى أصدرها مجمع نيقية وضع الكرسى الاورشليمى فى الدرجة الثانية أما الرئاسة العامة فكانت للاسكندرية فعلا ولرومية ادعاء . ويتضح ذلك من مراجعة التاريخ حيث يقرر ان الذين قاوموا البدع وعقدوا المجمع وترأسوا عليها وقاسوا الولايات فى سبيل تأييد الايمان هم باباوات الاسكندرية الذين كانوا يعتبرون مسئولين أمام الكنيسة عن حفظ سلامة الايمان بينما كان أساقفة رومية يتمتعون بالراحة حتى ان ليباريوس لما نفى بسبب تمسكه بتعاليم اثناسيوس الرسولى لم يطق النفى فجحد الايمان ورجع الى كرسية ثانية

قال العلامة ستانلى فى كتابه فى تاريخ البابا اثناسيوس الرسولى : — « وأصبح البطريرك الاسكندرى بعد مجمع نيقية » قاضى المسيحية فى كل العالم » تطاع أحكامه فى جميع أنحاء المعمورة المسيحية فى كل الامور العلمية دنيوها ودينيها وبلغ نفوذه أو كاد يبلغ نفوذ باباوات رومه فيما بعد فى أمور الكنيسة الغربية » أه حتى قال غريغور يوس النزينى « ان رأس كنيسة الاسكندرية هو رأس العالم » وهذا نص قوله « ان القديس اثناسيوس اذ صار أسقفا على الاسكندرية أوتمن على ادارة الشعب ورئاسته وبقول واحد أوتمن على كل المسكونة » أه (١)

(١) مؤلفه ضد اتومبوس كتاب ٤

(٢) ضد بدعة سابلوس رسالة ٢٤

(٣) عن كتاب «الوضع الالهى فى تأسيس الكنيسة» لكيرلس مقاربالفرنسية ونقلناه عن كتاب «الخريدة النفسية فى

يخ الكنيسة» ج ١ ص ٣٧٦ و ٣٧٩

(١) خطاب ٢١

واذ كان يظن أسقف رومية انه الرئيس الاول للكنيسة هدم أملة لما قام قسطنطين الكبير بتشيد مدينة القسطنطينية ولقد منحها كل امتيازات رومية القديمة واقتضى الحال أن يحسب أسقفها بدرجة أسقف رومية . ولم يجسر أحد بأن ينكر على القياصرة هذه البدعة ففى مجمع القسطنطينية المسكونى المار ذكره أقيم بطريرك القسطنطينية بموجب القانون الثالث فى الرتبة الاولى بعد أسقف رومية ووضع كرسي الاسكندرية وانطاكية بعدهما

أما اذا كان قد أعطى لكرسى رومية رتبة أولى فذلك ليس على كل الكنيسة بل على جميع الكنائس الغربية فقط لانه هو وحده فى الغرب مؤسس من الرسل فيما ان فى الشرق كراسى كثيرة مثله مؤسسة من بطرس ومن سائر الرسل . كما ان الاعتبار المدنى لا الدينى هو الذى كان يميز بعض الكراسى عن بعضها كما ذكر

فاذا كان رؤساء كرسى رومية يفتخرون على رؤساء الاسكندرية بحصولهم على التقدم عليهم فى مجمع القسطنطينية فعليهم أن يتأكدوا أن الاسباب التى أوجبت تقدم رومية أن الامبراطره الذين كانوا على مذهب اريوس لم يكونوا يعاون بها ولا يهتمون بأمرها بل كانوا يصرفون جهدهم فى مقاومة بطريرك مصر والخط من شأن كرسى الاسكندرية لان هذا الكرسى كان الوحيد المقاوم لهم دون باقى الكراسى الاسقفية فى العالم المسيحى أجمع

(٤) اريوس : ولد فى لىبية القيروان بافريقيا سنة ٢٧٠ م وكان له المام بعلوم كثيرة وبالنسبة لفصاحته ولطف معاشرته ومحبه للمجد الفارغ كان يسعى دوما لاجداث أمور جديدة فجاء الى الاسكندرية طامعا بأن ينال وظائف كنسية فدخل المدرسة اللاهوتية وتقدم فى علومها تقدما باهرا وداخلته الكبرياء وأحب أن يرقى درجات رفيعة بواسطة فصاحته

وفى مبدأ أمره انضم الى ميليتس أسقف ليكوبوليس وساعده على العصيان ضد القديس بطرس بابا الاسكندرية ولكنه اذ رأى ان انضمامه لحزب ميليتس لا يساعده على التقدم تركه وصالح القديس بطرس فسامه شماسا سنة ٣٠٦ م ولكنه كان مشتركا مع ميليتس اشتراكا خفيا

أما هرطقة اريوس التى بدأ باذاعتها فى عهد البابا بطرس فكانت علة لنكبات عديدة حلت بالكنيسة . وأساس هذه البدعة ان الكنيسة كانت تعلم منذ القديم بأن الله واحد فى ثلاثة أقانيم ولكنها لم تبحث فى نسبة أحدهم للآخر وحقيقة الفرق بينهم ولم تحكم فى شىء من هذه القضايا غير انه لما ظهر سابلوس الذى كان ينكر تمييز الثلاثة الاقانيم فى اللاهوت قائلا انه توجد ثلاثة أسماء لاله واحد مخترعة لتبيان مفاعيل اللاهوت المختلفة فحكمت الكنيسة مضادة له بانه يوجد فرق بين كل من الآب من الابن والروح القدس أى انه يوجد ثلاثة أقانيم متميزون فى اللاهوت

وكان مذهب أريوس كأنه شرح لتعليم سابليوس فذهب الى أن الابن يختلف عن الآب في الجوهر وأنه (أى الابن) أول وأشرف كل ما خلقه الآب من العدم وأنه هو الواسطة التى كون بها الكون . ومع ذلك فهو حسب اعتقاد أريوس أدنى من الآب فى الطبيعة والمنزلة والآب أقدم من الابن لان الابن مخلوق به . وتمكن أريوس بدهائه وفصاحته من أن يجذب اليه بعض الانصار فكانوا يجادلون المؤمنين فى شوارع الاسكندرية ويصرخ الواحد منهم فى وجه الآخر قائلا « يا هرطوقى من الاكبر . الوالد أم المولود » وآخر يقول « هل من المعقول أن يوجد ابن قبل ولادته » فبالطبع لم يفهم هؤلاء البسطاء السذج ان لفظة ابن نسبية مجازية بل اتخذوها حرفية (١)

وممن حيل أريوس انه جعل شعبه فى كنيسة بوكاليس التى رسمه قسا عليها البابا ارشلا انهم يرتلون معا بعد قراءة كل مزموه كالاتى « المجد للآب بالابن فى الروح القدس » ظنا منه ان غالبية الشعب لا يلاحظون تحريفه للاصل الذى هو « المجد للآب والابن والروح القدس » وصار أتباعه يعلمون النساء فى الشوارع هذا السؤال « أيمكن أن يوجد ولد قبل أن يولد ؟ »

واذ كان البابا الاكسندروس يعلم أمام أريوس مرة ان الكلمة ابن الله مساو للآب وان له طبيعة وذاتا واحدة مع الآب عارضه أريوس وحكم ان هذا التعليم هو نفس هرطقة سابليوس وقال ان المسيح غير مساو للآب فى الجوهر والعظمة وأنه مخلوق بارادة الآب حادث غير أزلى وأنه حال كونه أكمل خلق الله كان بحسب اختياره المعتوق ذا طبيعة متغيرة يمكنه اتيان الفضيلة والرزيلة ولكنه اعتنق الصلاح والفضائل فأشركه الله من أجل أعماله الصالحة بطبعته الالهية مجملا اياه بهذه الالقاب أى كلمة وابن وحكمة

وان كان أريوس يحسب كقيم هذه الهرطقة الا انه لم يكن مبتدعها على الاصح بل القائم بنشرها وامتدادها ويقال انه أشرب هذه التعاليم من لوسياس الانطاكى . غير أن الذين أخذ عنهم أريوس معتقده لم يكن لهم تأثير كما كان لأريوس الذى تمكن من نشر بدعته وجعل كثيرين يعتنقونها ولعل سبب ذلك هو رد الفعل الناتج من شدة تمسك المؤمنين حينئذ بالامور الروحية واحتفاظهم على معانيها وقوتها احتفاظا لم يدعهم يسقطون فى أزمنة الاضطهادات المرة

وكان أريوس فى أول امره يبت تعاليمه خفية ولكنه لما أذاع ضلاله جهارا حرم لاجله مرارا وتكرارا وبسببه انعقد مجمع نيقية فحكم بهرطقته ونفاه الى اللير يكون هو ومن شايعه بعد أن قرر القانون الآتى « أن الجامعة المقدسة والكنيسة الرسولية تحرم كل قائل بوجود زمن لم يكن ابن الله موجودا فيه وأنه لم يوجد قبل أن يولد وأنه وجد من لا شىء أو من يقول أن الابن وجد من مادة أو

(١) انظر لفظة ابن النور ولفظة ابن جهنم وأمثالها فى الانجيل ولا تنس شيوع لفظة ابن السبيل وابن الفضل الخ

جوهر غير جوهر الله الاب وكل من يؤمن انه خلق أو من يقول انه قابل للتغيير ويعتريه ظل دوران» أهـ

غير انه فيما بعد تمكن اريوس من الرجوع من منفاه بواسطة أخت قسطنطين الكبير وحاول الرجوع الى مركزه بالاسكندرية ولكن البابا اثناسيوس الرسولى طرده منها فاجتهد أتباع أوسابيوس النيكوميدي نصيره أن يجعلوه يحوز القبول فى شركة كنيسة القسطنطينية فاستقدموه اليها واستدعاه الملك ليطلع على ايمانه وكان اتباع اوسابيوس قد قروا للملك بانه متمسك بالرأى القويم فقدم له صورة ايمانه خطأ وأقسم له بأنه لم يتمسك ولن يتمسك بايمان سواه . وعنى بهذا الايمان ما كان مكتوبا فى ورقة مخبأة معه فأوهم ظاهر كلامه انه متمسك بالايمان القويم فانخدع الملك بهذا القسم وأمر أن يقبل فى شركة الكنيسة و يعرف عند اسكندر بطريرك القسطنطينية كراع فرفض هذا البطريرك قبوله وجعل يبذل جهده فى كشف الحقيقة وان اعترف اريوس بالايمان القويم انما هو مخانلة . غير أن الملك بقى مصرا على رأيه وعين يوما لقبوله

قاما اسكندر وكان قد بلغ سن الشيخوخة فضى الى الكنيسة موعبا حزنا وجعل يذرف الدموع السخينة طالبا الى الله أن يصرف عن كنيسته هذا الخطب الذى ألم بها . وفى ذلك النهار عند العصر اذ كان اتباع اريوس وأنصاره يطوفون به فى أزقة المدينة باحتفال عظيم حتى انتهوا به الى ساحة المدينة اعتراه رعب واقشعرار فأحس كأن احشائه قد تمزقت فسقط فجأة ميتا . وقيل انه فيما كان فى وسط ذلك الاحتفال يروم دخول الكنيسة منتصرا فلم يكذب يدنو منها حتى شعر بنفسه مضطرا الى قضاء أمر طبيعى فانفرد بذلك فى مكان خفى . ولما أبطأ فى الرجوع ذهبوا اليه فالفوه ميتا مطروحا على وجهه ملطخا بدمائه وامعاؤه مندلقة الى الارض بين الاقدار

وأما تعاليمه فلم تمت بموته بل انتشرت بعد موته أكثر مما انتشرت فى حياته وامتدت الى أمد بعيد وازداد اتباعه كثيرا حتى تمكنوا من محاربة الارثوذكسين و بعد ذلك وقع الانشقاق بين الار يوسيين فانقسموا الى عدة شيع

وهكذا بقيت التعاليم الار يوسية ممتدة فى اسبانيا والولايات الجرمانية أكثر من ٣٠٠ سنة واما بريطانيا فلم تمتد فيها سطوتها الا عند انعقاد المجمع الانطاكى سنة ٣٦٣ م وفى أيام ثيوديسيوس الثانى صدر أمر باستئصال الار يوسية وابطادتها بموجب قانون تقرر فى السلطنة الرومانية وذلك سنة ٤٢٨ م ومن ذلك العهد الى الان لم تعرف فرقة بالحقيقة أريوسية حسب تعاليم اريوس . لكن يقال أن سرفتس احياها فى حدود القرن السادس عشر وأيد هذا القول اراسمس فذاعت تعاليمها وازعجت الكنيسة كما يظهر من حكم كنيسة انجلترا الصادر بهذا الشأن ومآله ان الار يوسيين الذين وجدوا غير قابلين الاصلاح ينفون الى بعض القلاع فى شمالى والس أو والنجفور لكى يعيشوا هناك من تعب ايديهم ولا يسمح لاحد أن يخالطهم الا خفرتهم ولا أن يخرجوا من هناك حتى يتحقق صدق قدسيتهم ورجوعهم عن غيهم الى الايمان القويم

ولا يفوتنا أن نذكر هنا أن كيرلس مقار بطريرك الاقباط الكاثوليك ذكر في كتابه «الوضع الالهى فى تأسيس الكنيسة» أن الكنائس الغربية جحدت الايمان ثلاث مرات معتنقة مذهب أريوس قال : «على أن الكنائس الغربية لم تجحد الايمان مرة واحدة بل ثلاث مرات : الاولى سنة ٣٥١ م وذلك فى مجمع اربلس حيث كان فنستوس أسقف كابونائبا عن البابا ليباريوس . فان هذا الاسقف ومعه جميع الاساقفة الغربيين قد نزلوا على ارادة الامبراطور قسطنس وحكموا على القديس اثناسيوس بالاجرام وقرروا ارثوذكسية الاساقفة الاريسيين . والثانية سنة ٣٥٥ م ذلك فى مجمع ميلانو حيث صدق ٣٠٠ أسقف غربى على خلع القديس اثناسيوس وقبول الاريسيين فى شركة الكنيسة ولم يفضل العذاب وآلام النفى على جحد الايمان ودوس العدل من هذا العدد الكثير الا ثلاثة أساقفة هم أوسابيوس أسقف فرسايل وديونيوس أسقف ميلانو ولوسيفورس أسقف كاجليارى . والثالثة سنة ٣٥٩ م وذلك فى مجمع ريمنى الشهير حيث اجتمع ٤٠٠ أسقف غربى . ثمانون منهم من الاريسيين والباقيون من الارثوذكسيين وقد آل الامر بهم الا ١٨ منهم الى جحد دستور الايمان النيقاوى والتوقيع على خلع اثناسيوس والاعتراف بارثوذكسية الاريسيين

أضف الى هذا الاتحاد الذى ارتكبه مجموع الاسقفية الغربية الحاد البابا ليباريوس نفسه بصفتة أسقف الكنيسة الرسولية الوحيدة فى الغرب كله فان ليباريوس هذا بعد ان سئم من آلام النفى مدة سنتين وتاقت نفسه الى أن يعود الى التربع على كرسى رومية الكبير . جحد ايمان نيقية وقطع القديس اثناسيوس من شركة الكنيسة واعتنق الاريسية (١)

(٥) مكدونىوس عدو الروح القدس :

كان أولا من حزب الاريسيين وتمكن هؤلاء بواسطة نفوذهم عند قسطنس قيصر من أن يرسموه بطريركا لكرسى القسطنطينية سنة ٣٤٣ م فدخل المدينة محفوبا بالجنود وثار شغب بين المؤمنين والاريسيين قتل فيه كثيرون . وكان مكدونىوس يضطهد أتباع بولس البطريرك الشرعى المعزول حتى قيل انه أرسل فخنته

وفيا بعد تغير قسطنس عليه لأنه نقل جثة أبيه قسطنطين من مدفن الى آخر فأمر بطرده من كرسية فطرد منه سنة ٣٦٠ م على أنه لما كان بطريركا لم يكن يعلم الا تعليم اريوس الا انه لما عزل أراد أن يكون مبتدعا بدعة جديدة . وكان المبتدعون الذين سبقوه قد انكروا لاهوت الآب ولاهوت الابن فاراد هو أن ينكر لاهوت الروح القدس فادعى أن الروح القدس عمل الهى منتشر فى الكون وليس باقنوم متميز عن الآب والابن واعتبره انه مخلوق بشبه الملائكة لكنه ذو رتبة اسمى منهم

(١) نقلنا عن «الخريدة النقيية» ج ١ ص ٣٥٧ — ٣٥٩

ثم أخذ يبث ضلاله فى كثيرين وكان قد نفى الى مكان يدعى بيلى فشاخ هناك وعاجلته
نقمة الله الا أن بدعته استمرت بعد موته وكان أخص القائمين بنشرها تلميذه مارانتينو أسقف
نيكوميديا وامتدت بدعته فى أديرة كثيرة للرهبان وانتشرت فى تراسه وبيثينيه وكان العامة يدعون
أتباع مكدونىوس « أعداء الروح القدس »

ولما رجع البابا اثناسيوس من منفاه الى كرسيه سنة ٣٦٢ م عقد مجمعا بالاسكندرية
شجب فيه هذه البدعة وتبعه بعض الاساقفة فشجبوها . ولما وصل خبرها الى مسامع ثيودوسيوس
قيصر أمر بانعقاد مجمع القسطنطينية سنة ٣٨١ م التأم فيه ١٥٠ أسقفا شرقيا فحكموا على
مكدونيوس وقضى المجمع بسلطانه على تلك البدعة الحديثة الغير البالغة

(٦) مرقس المصرى :

أصله من مدينة منفيس (بالجيزة) ذهب الى اسبانيا وتلمذ له أولا امرأة اسمها اغاياتم
جذبت تلك المرأة أحد معلمى الفصاحة اسمه البيديوس وهذان الاثنان علما بر يشيليانوس الذى
سميت البدعة باسمه فيما بعد . أما تعليمهم فكان فى أعماقه نفس تعليم المانيين ممتزجا أيضا بأضاليل
أخرى فكانوا يقولون أن النفوس من جوهر الله وانها تنحدر باختيارها الى الارض جائزة فى
السموات السبع بواسطة درجات قوات للمحاربة ضد الملك الشرير الذى كان يضعها فى اجساد
لحمية مختلفة ويزعمون بغير ذلك من الاضاليل التى لا طائل تحتها

(٧) شيعة المصلين :

وقد انتشرت فى سوريا ومصر بدعة مؤداها أن فى عقل كل انسان روحا شريرا لا يمكن
أن يفارقه الا بالصلوات المستمرة والترنم المستديم . ومتى هرب الروح هروبا نهائيا تعود النفس الى
الله خالية من كل دنس لأنها ذرة منه

(٨) خلاف فى مقام السيدة العذراء :

وقد نشأ فى هذا القرن مذهب اعداء مريم الذين يقولون انها لم تلبث عذراء بل ولدت بعد
ميلاد يسوع المسيح أولادا من القديس يوسف . و يقال انه فى ذلك الزمان بعينه انتشر تعليم آخر.
يصاد التعليم المذكور وهو أن فى البتول القديسة شيئا من اللاهوت وقد دعى أصحاب هذا التعليم
كوليريديس لانهم كانوا يعبدون العذراء بتقديم بعض أقراص من طحين تسمى باليونانية
كوليريديس ومنها اسمهم . وكان أكثر النساء متمسكات بهذا الاعتقاد وكن فى بعض الايام
يزين عجلة مع كرسى مربع موشح بأقشة من كتان و يقدمن للبتول خبزا ثم تأخذ كل منهن جزءا
من ذلك الخبز وذلك عبارة عن اقامة قداس . و يظهر انه من هذا المذهب تسرب الى ذهن بنى
الاسلام أن المسيح دعا القوم ليتخذوه وأمه الهين من دون الله . من قوله فى سورة المائدة

(٩) انشقاق ميليتس :

هو أسقف مدينة ليكو بوليس (أسيوط) وقد روى عنه البابا أثناسيوس انه فى أثناء اضطهاد ديوكليتيانوس نجى نفسه بأن ذبح للاوثان رغما عن النصيحة التى أرسلها اليه أربعة من الاساقفة كانوا فى السجن ثم ذاقوا كأس الحمام . ولم يكتف بذلك بل انتهر فرصة غياب البطريرك وجلس على كرسى البطريركية وأخذ يتدخل فى شؤونها وصار يرسم قسوسا بل سلم أساقفة لابروشيات أخرى غير ابروشيته حتى بلغ عددهم ثلاثين أسقفا جاھروا فيما بعد بخروجهم على الكرسى الاسكندرى واستقلالهم عنه وادخلوا أنظمة يهودية فى عبادتهم .

فعقد البابا بطرس آخر الشهداء مجمعا حكم فيه بحط ميليتس من درجته وأبلغه الحكم فلم يذعن بل صرح بانشقاقه وظاهره اريوس الهرطوقي . وبعد هذا كله اعتزل ميليتس فى بلدته عن كل عمل . وفيما بعد نظر مجمع نيقية فى أمر انشقاق ميليتس فقرر بشأنه ما ذكر بالرسالة التى أرسلها للكنيسة المصرية وذكرت فى الكلام على أعمال مجمع نيقية

وقد رضخ ميليتس لحكم هذا المجمع وخضع للبابا الاسكندروس خليفة البابا بطرس الى أن مات سنة ٣٣٠ م بعد أن انضم للار يوسيين فى حبرية البابا اثناسيوس الرسولى . وقد خلفه فى رئاسة حزبه يوحنا اركاف الذى اشتهر بعدائه للبابا أثناسيوس . أما حزب ميليتس فقد بقى بعد موت اركاف قائما فى مصر حتى القرن الخامس وكان يقوده بعض الرهبان الذين أدخلوا على مبادئه شيئا من قوانين اليهود والسامريين

القرن الخامس

القسم الأول تاريخ البطارقة

(١) كيرلس ^١	(٢) ديوسقورس	(٣) تيموثاوس
(٤) بطرس ^٣	(٥) أثناسيوس ^٢	(٦) يوحنا ^١

(١) كيرلس^١ — البطريرك الرابع والعشرون :

وهو ابن أخت البابا ثاوفيلس ولهذا اعتنى بتربيته وتعليمه اعتناء زائدا فأدخله أولا المدرسة اللاهوتية بالاسكندرية فدرس العلوم الفلسفية التي تلزم لكل من يقوم مدافعا عن الدين المسيحي ضد الهرطقة والمبتدعين . وبعد ذلك أرسله الى جبل النطرون الى برية القديس أبى مقار ليتعلم لسيرا يون الحكيم الذى أوصاه البابا ثاوفيلس بأن يهذب بعلوم الكنيسة فأقام هناك خمس سنين يقرأ الكتب الالهية ولم يكن ينقطع عن المذاكرة حتى فى أغلب الليالى . فكان يقف وفى يده سيف حديد فاذا نعس ينخسه فيستيقظ . ولبت مواظبا على ذلك حتى برع فى فهم الاسفار المقدسة براعة غريبة . ومن ثم استدعاه خاله الى الاسكندرية وبقي معه فى قلايته يقرأ بين يديه . ولما رآه مستحقا للرتب الكهنوتية رسمه شماسا وكلفه بالقيام بالوعظ فحاز اعجاب سامعيه وكان موضوع فرح جميع الكهنة والعلماء حتى انهم اذا تكلم يشتهون أن لايسكت لحلاوة ألفاظه

ثم انعكف على مطالعة أقوال آباء الكنيسة حتى ألم بها ألما كليا . ففرح به خاله البابا ثاوفيلس وشكر الرب الذى رزقه ولدا روحانيا مثل هذا نشأ بالنعمة والحكمة وكانت له سيرة حسنة . فأشتهر بشهرة عظيمة وحاز صيتا بعيدا حتى انتخبه الشعب والاكليروس بصوت واحد لتبوء الكرسي المرقسى خلفا لخاله ثاوفيلس فى هاتور سنة ١٤٧ ش حسب جدول ابن العسال و ١٢٩ ش حسب تاريخ انبا ساويرس وسنة ٤١٢ م فى عهد ثيودوسيوس قيصر الصغير ولو أنه قام وقتئذ حزب آخر طالبا تيموثاوس رئيس الشماسة ليكون بطريركا الا أن مساعى هذا الحزب لم تنجح فتوطد كيرلس على الكرسي البطريركى حيث قام بجهاده العظيم

ووقت تولى هذا البطل لكرسي البطريركية كان فى مدينة الاسكندرية كثيرون من الهرطقة واليهود الذين عظمتم شوكتهم وصار لهم نفوذ عظيم . فالهرطقة تقنوا بسبب تظاهره بالعبادة الشاقة حتى صار لهم أسقف خاص يدعى ثيوميتوس . واليهود جعلت لهم الرشوة مكانة عند الولاة والقضاة

فبدأ هذا البطريرك جهاده باضطهاد النوفاسيين أتباع نوفاسيانوس الهرطوقي الذين كانوا يأبون أن يحلوا الناس من خطاياهم فناصرهم وأوضح لهم سوء معتقدتهم الذى يجعل الله جلت قدرته عديم الرحمة ولما لم يرفعوا عن غيهم ألزمهم بالخروج من المدينة وطرد أسقفهم وجرده من جميع أملاكه ومقتنياته وأخذ منه ذخائره التى كانت تحت يده . أما اليهود فمع أنهم أفرغوا كنائس جهدهم حتى يفسدوا عقول الحكام والولاة بالهدايا ولكنهم لم يفلحوا . وبالنسبة لكراهمهم الشديدة للبابا كيرلس اشاعوا ذات ليلة أن النار اشتعلت فى كنيسة القديس اسكندر فالتزم المؤمنون بناء على هذا الخبر أن يبادروا اليها من كل جهة زاحمين الشوارع كبارا وصغارا مسرعين لاطفاء النار . فانتهر اليهود هذه الفرصة وشرعوا يفتكون بهم ويهدرون دماءهم بقساوة وحشية . ولما اتضحت جلية الامر صباحا قامت قيامة المسيحيين وعزموا على الانتقام من اليهود ولما لم يقدر البابا أن يمنعهم تنازل لهم بعد عناء شديد بأن يكتفوا بطردهم من المدينة بدون أن يمسوا أحدا بضرر فطردوهم وهدموا كل مجامعهم واستولوا عليها وما فيها . ولما بلغ الامر لاورستا والى المدينة لام البطريرك على ذلك فاخبره انه لولاه لجرت دماء اليهود فى الشوارع كالانهار . وفى هذا الحين أيضا جرت حادثة الفيلسوفة هباشا الشهيرة التى غدر بها بعض الطائشين بدون ترو و بدون أن يعلم البابا كيرلس مطلقا

وهذه الحوادث جرت فى بدء رئاسة البابا كيرلس ثم اشتغل بعدها بوضع مقالات وميامر حتى أن أكثر رؤساء الاسكندرية استخدموا نساخا لينقلوا اليهم ما وضعه هذا البطريرك . وكان قد سمع بان يوليانوس الفيلسوف والملك الكافر وضع عشرة كتب ضد الدين المسيحى وكانت موضوع فخر الشبان الوثنيين فحاول أن يجمعها ويحرقها ولما لم يتمكن من ذلك كتب الى القيصر ثيودوسيوس يستعين به على ذلك فلبى القيصر طلبه وجمع كتب يوليانوس وأبأدها وأرسل يلتمس منه أن يصلى من أجله . ثم أخذ البطريرك فى الرد على أقوال يوليانوس ووفق يفتنها جميعها حتى قضى عليها

وكان هذا البابا على رأى خاله ثاوفيلس البطريرك من جهة فم الذهب ولذلك لم يذكر اسمه فى صلوات القداس . وكتب اليه اتيكوس بطريرك القسطنطينية فطلب اليه أن يذكره كحسب عادة الكنيسة نظرا الى البطارقة المؤمنين فلم يرض بذلك . فاتفق يوما انه رأى فى الحلم القديس يوحنا فم الذهب الكنيسة مع زمرة من الملائكة متسلحين وهم يخرجونه خارجا وبينما هو على هذه الحال اذا بالسيدة العذراء قد حضرت وطلبت الى القديس يوحنا من أجل كيرلس لبقية فى كرسيه . فتنبه حينئذ البابا كيرلس وعلى الفور أخذ يكرم القديس يوحنا وضم اسمه الى قائمة أسماء القديسين (١) وأمر الرعية كلها باكرامه

(١) كانت هذه القائمة عبارة عن لوحات مصنوعة اما من الخشب أو العاج أو الذهب أو الفضة ومحفورة عليها الاسماء التى تذكر فى القداس وهى :

(١) اسم العذراء مريم والرسول وبعض مشاهير القديسين .
(٢) أسماء الاشخاص المعروفين الذين ماتوا على المبدأ الدينى الصحيح .
(٣) أسماء بعض الاشخاص الاحياء الذين ترى الكنيسة انهم مستحقون للاكرام والاجلال

وفى ذلك الحين ظهر نسطور بطريرك القسطنطينية المنافق وابتدع هرطقة شنيعة مؤداها انكار الوهية السيد المسيح وابتداء فيها بانكار كون السيدة العذراء والدة الاله قائلا « انى اعترف موقنا أن كلمة الله هو قبل كل الدهور الا انى انكر على القائل بأن مريم والدة الله فذلك عين البطلان لأنها كانت امرأة والحال انه من المستحيل أن يولد الله من امرأة ولا أنكر أنها أم السيد المسيح الا أن الامومة من حيث الناسوت » أهـ وبذلك قسم هذا المبتدع السيد المسيح الى شخصين معتقدا أن الطبيعة الالهية لم تتحد بالانسان الكامل وانما ساعدته فى حياته فقط . فامتدت بدعته حتى وصلت الى رهبان مصر وبعض الاكلير يكيين التبيحى السيرة فتأثر بعضهم من براهينه السفسطية وأرادوا أن يقلعوا عن تسمية العذراء بوالدة الاله . وحالما طرقت هذه الاخبار اذن البابا كيرلس أسرع وكتب فى رسالة عيد الفصح يفند هذه البدعة تفنيدا قويا وأرسل هذه الرسالة الذين ما كادوا يطالعونها حتى زال كل ريب منهم . وانتشرت هذه الرسالة فى جهات عديدة حتى وصلت الى القسطنطينية وتداولها المصريون فيها وبواسطتها تعزى الشعب القسطنطينى وتمكن فى الايمان المستقيم

أما نسطور فلم يرتدع ببراهين هذه الرسالة بل ازداد غيا وأوعز الى أحد كهنته المدعو أفوسيوس ليرد عليه مبررا فيها رئيسه . وشرع نسطور يذيع عن القديس كيرلس بأنه تابع لابولينار يوس الهرطوقى وأنه اخترع هذه التهم ضده وحرك رهبان مصر ليشيعوا عنه أمثال تلك الاقوال الباطلة . أما البطريرك الاسكندرى فكراخ أمين أرسل لنسطور رسالة يبرر فيها نفسه مما اشاعه عنه ويوضح له حقيقة الايمان وينصحه بمحبة اخوية أن يعدل عن رأيه ويصلح خطأه وختمها بقوله « وعلى ذلك تأكد أنى مستعد لاحتمال كل سوء وعذاب السجن والموت لاجل ايمان يسوع ، فازداد نسطور شرا وأصر على ضلاله وكتب الى القديس بتكبر ووقاحة محتقرا اياه ومزدرىا به وغبرا اياه ان العائلة الملوكية راضية عليه وعلى أعماله

وكان لرؤساء الكرسى الاسكندرى نواب فى مدينة القسطنطينية للقيام بمصالح البطريركية فى البلاط الملوكى . فخاطبهم البابا كيرلس بشأن نسطور لكى يلاحظوا تصرفاته ويحيطوه علما بها . ولكن حدث أن كهنة نسطور تكلموا مع نواب القديس كيرلس قائلين بأن أسقفهم صحيح الايمان وأنه يرغب فى السلام فع كون النواب كانوا يعرفون عن نسطور عكس ذلك فقد كاتبوا رئيسهم بهذا الامر وأرسلوا اليه صورة مفادها أن نسطور مبتدع . فبعد فحص القديس كيرلس لتلك الصورة أرسل اليهم طالبا اخفاءها والسعى لدى نسطور ليوقع على صورة الايمان الصحيح لتكون أساسا للصالح

وكان القديس كيرلس قد كتب بنفسه لنسطور عدة رسائل يقنعه فيها بالاقلاع عن غوايته ولكن نسطور احتقر رسائل القديس ولم يقتنع بها وينحاز الى الايمان الرسولى . وابتدأت تتقاطر على

القديس كيرلس الرسائل من كل جهة تسأله بأن يوضح لهم حقيقة الايمان ليروا ما ذهب اليه نسطور في الاعتقاد . فكان يجيب كل سائل بما يُشفي برسائل اشتهر أمرها وحازت رضا الجميع

ولما رأى القديس كيرلس أن القيصريدافع عن نسطور ويحامي عنه لاعتباره اياه رجلا فاضلا عالما كتب اليه رسالة يوضح له فيها ضلال نسطور وكتب أيضا رسائل أخرى لبعض أفراد العائلة القيصرية شرح فيها سر التجسد . فكتب رسالتين احدهما للملكة اfdوكسيا زوجة القيصر وبولكاريا شقيقتها . والثانية لاركاديا وماريا شقيقتي القيصر حيث كانتا ناذرتين العفة لله مع بولكاريا . مبينا لهما في هاتين الرسالتين حقيقة الايمان والاضرار الناشئة للدين المسيحي من بدعة نسطور ويحرض على العمل لاستئصال شأفة هذه المنازعات

وفى سنة ٤٣٠ م وفد على القسطنطينية من أوروبا أسقف من اتباع بيلاجيوس (وهم قوم يجولون في البحار والقفار لا مقرر لهم) مع جماعة من رفاقه فكتب نسطور الى كليستينوس أسقف رومية يعلمه بوصول هذه البعثة التي تعتبر تابعة له و يسأله رأيه فيما يجب أن يجريه معهم وقصد بهذه الحيلة أن يستميل اليه جانب الاسقف الروماني ضد خصمه كيرلس ولذلك ختم رسالته اليه بالشكوى من معاملة كيرلس له وتفهمه آراءه . ولما لم يرد عليه الاسقف بسرعة كتب اليه نسطور ثانيا في هذا الصدد فجأوبه كليستينوس بانه لم يستعجل في الرد ليتمكن من معرفة الموضوع . ولما كان الاسقف الروماني عالما بتفوق البابا الاسكندري عليه في علم اللاهوت كتب يطلب منه ايضا للمسألة فكتب اليه القديس كيرلس كتابا يعلمه فيه بحقيقة نسطور وأرسله مع واحد مخصوص اسمه يوسيدونيوس واوصاه بأن لا يعطى أسقف رومية الكتاب ما لم يتحقق أن نسطور كتب له

فلما وقف أسقف رومية على الحقيقة عقد مجمعا حكم فيه على نسطور بأنه هرطوقي مبتدع وكان قرار المجمع تهديدا لنسطور لكي يقلع عن ضلاله ولذلك كتب اليه أسقف رومية يقول « ان لم ترفض واضحا وبنية مستقيمة هذا التعليم المضل ولا تعتقد الاعتقاد الصحيح بسيدنا يسوع المسيح في مدة عشرة أيام فأنا افصلك من شركتي واقطع كل علاقة معك » وارسل هذا القرار الى القديس كيرلس ليعلن نسطور به . فأرسل هذا البابا الى بعض أساقفة الشرق يطلب منهم أن يقنعوا نسطور بالرجوع عن آرائه ومنهم اكاكينوس مطران حلب الشيخ البالغ من العمر يومئذ مائة سنة . ثم عقد مجمعا في الاسكندرية قرئت فيه كل رسائله فارتاح اليها وحكم بصحتها وحرر رسالة لنسطور بين فيها كيف ينبغي أن يؤمن . ثم وضع القديس كيرلس اثني عشر بندا يشمل كل بند منها على قضية وحرم كل من يعمل بخلاف ذلك وكلف نسطور بأن يمضى عليها . وهذه هي الاثنا عشر بندا التي أصدرها :

(١) من لم يعترف ان عمانوئيل هو اله حقيقي ومن أجل هذا ان العذراء الطاهرة هي والدة الله كونها ولدت جسدا نيا الكلمة المتجسد الذي من الله لكون الكلمة صار جسدا فليكن محروما

(٢) من لم يعترف بان كلمة الله الآب صار واحدا مع الجسد كالاقنوم وان المسيح واحد فقط مع جسده وهو اله وهو انسان فليكن محروما

(٣) من فرق من بعد الاتحاد بالمسيح الواحد الى اقنومين وضايقهما فى بعضهما بعضا بالمصاحبة فقط أم بالعظمة أم بالقدرة أم بالسلطان ولم يحسن أن يوحدهما بوحداً طبعية فليكن محروما

(٤) من ميز تلك الاصوات المذكورة فى كتب الانجيليين أم فى رسائل الرسل أم نطق بها الآباء القديسون أم قالها المسيح على ذاته وفرزها الى اقنومين أم الى اثنين قائم بذاته و يفهم أن البعض منها هى لائقة لانسان خصوصى وحده فقط كأنه غريب عن كلمة الله وان البعض منها ملائمة لله فهو يخصها لكلمة الآب وحده فقط فليكن محروما

(٥) من تجاسر وقال أن المسيح الذى يستعمل السلطان الالهى انه انسان ساذج ولم يحسن أن يقول انه اله بالحقيقة وابن واحد بالطبيعة الذى كالاتحاد الاقنومى واشترك معنا فى اللحم والدم لكون الكلمة صار جسدا على ما فى الكتب فليكن محروما

(٦) من قال ان كلمة الآب هو اله أم رب المسيح وليس يحسن الاعتراف بأن المسيح نفسه هو اله وهو انسان لكون الكلمة صار جسدا على ما فى الكتب فليكن محروما

(٧) من قال ان الله الكلمة كان يفعل فى الانسان يسوع وان عزة ابن الله الوحيد اتصلت به كأنه آخر غير الكلمة فليكن محروما

(٨) من تجاسر وقال ينبغى أن يسجد للانسان الذى أصعد الى السماء مع الله وان يمجده معه أو يسمى معه الها كان واحدا مع آخر وهو يضطر أن يعترف أن زيادة فى كل حين ولا يمجده عمانوئيل بسجدة واحدة و يوصل اليه هذا المجد فقط لكون الكلمة صار جسدا فليكن محروما

(٩) من قال ان ربنا يسوع المسيح الوحيد كان ممجدا من قبل الروح القدس بقدرة غريبة منه وانه بنعمة الروح كان يستعمل تلك القدرة والسلطان على خروج الارواح النجسة و به يتم الايات اللاهوتية فى البشرية ولا يقول أن الروح خاصة له وانه كان يفعل به آيات اللاهوت فليكن محروما

(١٠) ان الكتاب المقدس يقول ان المسيح صار رسولا وعظيم أخبار ايماننا وانه قرب نفسه لله لاجلنا ولاجل خلاصنا بخورا طيبا لله الآب فأما من قال ان كلمة الله ليس هو الذى صار رسولا ورئيسا للكهنة وتجسد وصار انسانا مثلنا بل انه أخذ جسدا خارجا عنه وهو انسان فقط من امرأة

دون الكلمة . ثم ومن قال أيضا أن المسيح قرب نفسه لله الآب لاجل نفسه ولم يحسن القول انه قرب نفسه لاجل خلاصنا نحن البشر فقط لأنه لم يحتاج الى قربان اذ لم يعرف خطيئة فليكن محروما

(١١) من لم يعترف بأن جسد الرب شاف محيى كونه لكلمة الله الاب و يعكس الحق ويقول انه آخر خارج عنه اجتمع بالتمجيد وكان فيه فقط بحلوله ظاهرا يقول انه محيى على ما قلنا . لكون الله الكلمة كان ساكنا فيه غير متحد به باتحاد اقنومى ولم يحسن كما سبق قولنا أنه معطى الحياة كونه صار لكلمة الله خاصة الذى هو قادر أن يحيى الكل فليكن محروما

(١٢) من لم يعترف بأن الله الكلمة تألم فى الجسد و صلب فى الجسد وذاق الموت وانه بكر الأموات مثلها انه الحياة وهو المحيى كالاله فليكن محروما أه

فلما وصلت كتابات القديس كيرلس الى نسطور رفض التوقيع عليها بحجة عدم استقامتها وأخذ يكتب على كل فصل منها فصلا ضده ختمه بالحرم وكتب كثيرون من أساقفة نسطور ضدها منهم اندراوس أسقف سميساط وثاوذوريتوس أسقف كورش الذى كتب بايعاز يوحنا بطريرك انطاكية وكتب أيضا فى تجسد الكلمة ضد آراء القديس كيرلس وكتب ايها اسقف اداسيس (أورفا) مدافعا عن نسطور . وهكذا انقسمت الكنيسة الى شطرين فكانت كنائس رومية وأورشليم وآسيا الصغرى تابعة للبابا كيرلس . وكنيسة انطاكية تابعة لنسطور

ولما انتشرت رسائل البابا الاسكندرى فى القسطنطينية اقتنع بها الشعب وأبغضوا نسطور للغاية . ولكن نسطور استعمل نفوذه عند القيصر ضد خصومه غير أن هذا وقف فى ذلك الحين على رسالة كتبها اليه القديس كيرلس يطلب فيها عقد مجمع عام ويقول له فيها « ان آباءك كانوا غيورين على مجد الكنيسة فيلزمك أن تأمر بعقد مجمع عام تفحص فيه قضية نسطور الذى يحاول أن يشتت بيعة المسيح ونحن تلقاء ذلك نصلى من أجلك ومن أجل مملكتك »

وكان بعض رهبان القسطنطينية قد جاهرُوا ضد نسطور فطردهم واضطهد بعضهم اضطهادا شديدا فانضم الشعب القسطنطينى الى القديس كيرلس فى طلب عقد المجمع وكان لما قرأ القيصر الرسالة الكيروليسية تحرك بقوة الرب ولبى الطلب وأمر بعقد مجمع مسكونى وأرسلت مكاتيب الدعوى الى الاساقفة ونادى بأن يكون هذا المجمع بمدينة أفسس سنة ٤٣١ م وعين لافتتاحه يوم عيد العنصرة

فتقاطر الاساقفة من كل مكان الى هذا المجمع وأتى البطريرك الاسكندرى يصحبه خمسون أسقفا مصرية فى مقدمتهم شنودة الاخيمى وبقطر السوهاجى الراهبان وحضر يوبيناليوس أسقف

اورشليم فاستقبلهم ممنون أستقف أفسس وهو مصرى الاصل هو وكثير من الاساقفة القويمى الرأى وضموا اصواتهم الى صوت أخوانهم المصريين ففاقوا فى العدد خصومهم النسطوريين

وجاء نسطور الى افسس ومعه أربعون أسقفًا من التابعين له وتأخر عن الحضور أساقفة الشرق ويوحنا الانطاكي ونواب أستقف رومية . وبعد أن انتظرهم المجمع ستة عشر يوما أرسلوا يعتذرون عن تأخرهم و يعدون انهم بعد خمسة أو ستة أيام يصلون . ثم فهم المجمع من مطرانين شرقيين نقلًا عن يوحنا الانطاكي بانه لا مانع من انعقاد المجمع قبل مجيئه الى أفسس . وكان البابا الاسكندري قد أخذ تحريرا ملوكيا يأمر بعدم تأجيل العمل . وفوق ذلك فقد دعت اعداء صحبة الى الاستعجال فى فتح المجمع وقبل انعقاده أخذ بعض الاساقفة يترددون على نسطور وينصحونه بالحسنى لكى يكف عن عناده ويسالم القديس كيرلس فلم يدعن لهم

وقد بدأت جلسات المجمع تحتشد فى شهر يونية من تلك السنة وأرسل الى نسطور ليحضر فأبى ولما وصل الخبر الى القيصر اعتذر لديه نسطور بأنه يخشى من الذهاب الى المجمع وحده لئلا يقتل لان اعداءه أكثر من انصاره ولما كان القيصر لم يحضر المجمع ليترك له الحرية التامة أرسل من قبله نائبا يدعى كانديديانوس نسطورى المذهب وأوصاه القيصر بالمحافظة على النظام فقط دون التدخل فى شؤون الاساقفة . قيل أن هذا النائب أراد قبل انعقاد جلسات المجمع ان يضطهد الارثوذكسين لكى يخافوا ويحكموا لصالح نسطور فأخذ القديس كيرلس ومن معه وحبسهم فى مكان فيه حنطة فسأل البطريك أصحابه أى شىء تحت أرجلنا قالوا له قبح فقال : « الشكر لله المبارك الذى أعطانا الغلبة لأنهم جعلونا فى بيت الحياة » غير أن ذلك لم يؤثر على الارثوذكسين بل زادهم فى ايمانهم

وكان المجمع مؤلفا من مائتى أستقف تحت رئاسة البابا الاسكندري (١) وحال انعقاده اعترض نسطور عليه طالبا منه انتظار نواب بقية الكنائس وساعده مندوب القيصر فى هذا الطلب . أما الآباء فلم يرجعوا عن عزمهم لمعرفتهم بسوء نيته . ولما كان رؤساء المجمع يقيمون الصلاة انفراد عنهم نسطور وأبى حضور المجمع فأنفذوا اليه ثلاثة أساقفة يسألونه أن يحضر معهم للصلاة فلم يمكنهم مندوب القيصر من مقابلته وتكررت له الدعوة ثلاث مرات بواسطة الاساقفة والاندازات واخيرا كتب نسطور كتابا موقعا عليه هو و ١٦ مطرانا و ٥٠ أسقفًا يقول فيه انه لا يحضر المجمع قبل وصول يوحنا الانطاكي وأساقفته . فلم يبال المجمع بهذه الاعتذارات الباطلة وأخذ فى عقد الجلسة الاولى

(١) يدعى البابا يون أن البابا كيرلس كان نائبا عن أستقفهم فى المجمع اذ أقامه رئيسا عليه عوضا عنه والقول ساقط من أصله اذ لو كان كيرلس نائبا عن أستقف رومية أو رئيسا من طرفه كما يدعون ما الحاجة الى ارسال النواب من قبل أستقف رومية ولماذا لم يذكر فى امضاءات البابا كيرلس انه نائب عن أستقف رومية جريا على العادة لو كان ذلك صحيحا ؟

فتليت رسائل القديس كيرلس وبنوده الاثنا عشر ورسالة كليستينوس أسقف رومية الى نسطور وقرار مجمعى رومية والاسكندرية فصدق المجمع عليها بأنها أرثوذكسية . وصدق على الاحكام السابقة من بيلاجيوس وكليستينوس الهرطوقيين . وقرر أن لا يسن قانون غير دستور الايمان المعروف وأن لا يزيد أحد فيه ولا ينقص منه شيئا وحرم كل من يفعل خلاف ذلك

أما حكم المجمع ضد نسطور فهذا نصه : « حيث أن نسطور الكلى النفاق قد رفض أن يخضع لصوت دعوتنا اياه ولم يقبل الاساقفة الذين أرسلناهم اليه من قبلنا فلم يمكننا أن نتأخر عن أن نفحص تعاليمه الآتية . ولأننا تحققنا من رسائله وتأليفه ومن أقواله ومناضلته عن آرائه قبل افتتاح هذا المجمع فى هذه المدينة مما ثبت عليه بشهادات راهنة بأنه قد اعتقد الاعتقاد الاثيم فالتزمنا ضرورة بناء على القوانين المقدسة بأن نبرز ضده هذا الحكم ليس من دون حزن ودموع فهو تعالى بواسطة هذا المجمع المقدس فليعدمه الدرجة الاسقفية وليكن مفروزا من أية شركة كهنوتية » أه ثم كتبوا اعلانا الى نسطور هذه صورته « من المجمع المقدس الملتئم فى أفسس برحمة الله تعالى وبموجب مراسيم ملكنا الكلى العبادة والحسن الديانة الى نسطوريهوا الثانى . اعلم انه لاجل تعاليمك الاثمية البنفاقية وعصيانك على القوانين قد عزلت وقطعت من هذا السينودس (المجمع) بموجب قوانين الشرائع الكنسية وحكم عليك بالفرز من كل درجة والعدم من كل وظيفة والابتعاد عن كل خدمة كنسية » أه

ثم أن هذا المجمع فى تحديده أعلن بحسب تعليم القديس كيرلس والتعليم المحفوظ فى الكنيسة من عهد الرسل بأن سر تجسد ابن الله قائم فى اتحاد لاهوته مع ناسوته فى اقنوم الكلمة الازلى بدون انفصال ولا امتزاج . وان مريم العذراء هى والدة الاله . وكانت الجلسة الاولى قد استغرقت من الصباح الى المساء وقد مكث الشعب الافسى النهار كله منتظرا حكم المجمع

وحالما أعلن الحكم ضد نسطور كانوا يصيحون « ليحيى كيرلس عضد الايمان » و « ليحيى الاساقفة الشرفاء المحامون عن لاهوت سيدنا يسوع المسيح وعن الامومة الالهية لمريم البتول » ثم أن الشعب أوقدوا شموعا ورافقوا الآباء الى منازلهم وكانت النار توقد كالنجوم فى الشوارع واستمر الشعب يسبحون الليل كله

غير أن نسطور لم يرجع عن غيه وأصر على عناده وقصد أن يشين شأن البابا كيرلس ويعزله عن كرسيه مستعينا بمندوب القيصر . فهذا النائب أرسل نسطور الى الملك مصحوبا بكتابات له لم يخبر فيها باخبار المجمع الحقيقية بل طعن فيه وفى تصرفاته وكتابات وملاها بالاقاويل الكاذبة والتهم الشنيعة ضد القديس كيرلس وممنون أسقف أفسس بانها ظالمان قاسيان

والذى عكر صفو السلام أكثر هو انه بعد خمسة أيام وصل يوحنا الانطاكي ومعه اثنان

وثلاثون أسقفًا . فحالما علم بما قرره المجمع امتلأ غيظا ونسب كيرلس الى الاستبداد والفساد واعتبر عمل المجمع عجلة ثم ألف بوقاحته مجمعا لصوصيا مركبا من أربعين أسقفًا نسطوريا وحكم فيه بجسارة حكما غيايبيا بقطع القديس كيرلس وممنون أسقف أفسس من درجة الكهنوت ورفض الاثنى عشر القضية المختصة بالايان وبفصل آباء المجمع من الشركة الى أن يتوبوا ويجتمعوا ثانية وبلغوا ما فرروه ويحرموا بنود كيرلس الاثنى عشر وأرسل هذا الفرار الى القيصر وامراته والاكلبروس وشعب القسطنطينية والمجلس الاعلى وأضاف عليه تحارير تتضمن الطعن على البطريرك الاسكندري واجمع وأسباب ابطائه و يطلب اعادة فحص القضية

وفى ذلك الحين وصل نواب أسقف رومية الى أفسس وهما الاسقفان اركاديوس وبروياكتوس والقس فيلبس . فاجتمع مجمع القديس كيرلس مرة ثانية فى ١٠ يونية وفرننت فيه أعمال الجلسة الاولى ورسالة أسقف رومية . وفى اليوم التالى عقدت الجلسة الثالثة فوقع فيها نواب أسقف رومية على أعمال المجمع السابقة وفى ٢٦ يونية عقدت جلسة رابعة بناء على طلب القديس كيرلس وممنون أسقف أفسس ضد يوحنا الانطاكى لقطعهما اياهما فعقدت فى اليوم التالى جلسة خاصة دعى فيها يوحنا مرة ثالثة بانذار . فانفذ رئيس شماسته الى المجمع ومعه كتاب يتضمن أقواله فأبى المجمع الا حضوره شخصيا فاجابه يوحنا أن ينتظروا أمر القيصر . فحكم المجمع حالا بالانقطع على يوحنا وعلى ثلاثة وثلاثين أسقفًا معه وأظهروا براءة القديس كيرلس وممنون أسقف أفسس . وللمجمع أيضا جلستان سادسة وسابعة ففى السادسة أثبت دستور الايمان المؤلف فى المجمعين الاول والثانى . وفى السابعة حررت أسقفية قبرص من الخضوع لبطريركية انطاكية وسنت ثمانية قوانين لتزل الى اليوم

أما يوحنا الانطاكى فكتب الى القيصر ضد مجمع كيرلس ملتمسا منه أن يحضر أمامه ثلاثة أساقفة من كل حزب الى نيكوميديا . ولما اطلع القيصر على كل الاخبار الكاذبة التى وصلت اليه من حزب نسطوردون أن يطلع على أخبار المجمع الحقيقى أصدر أمرا ملوكيا للقديس كيرلس وللمجمع مؤتبا موبخا محرضا على الاتحاد وزيادة الفحص عما يخص الايمان وأمر بعقد مجمع جديد يقرر فيه قرارات جديدة يتفق عليها الجميع

فالشرقيون كتبوا للقيصر يشكون من سوء معاملة كيرلس لهم أما المجمع القانونى فجأوبه يعلمه بحسن صنيعه وخوفا من أن يقع جوابه فى أيدى اصداده وجه نظره الى القديس دلماتيوس وهو رجل كان جنديا فى الحرس الامبراطورى وأصبح زاهدا حتى ظل مقبيا فى صومعة ثمان واربعين سنة . فأرسل اليه القديس كيرلس ولشريكه فى الرهبنة اوطاخى رسالته للقيصر مع رجل أمين ضمن قصبة يتوكأ عليها كعكاز حيث أمكنه بهذه الطريقة أن يجوز الحراس برا وبحرا وهو يتظاهر بأنه شحاذ حتى أوصل رسالة الى دلماتيوس المؤمأ اليه . فلما اطلع على الخبر طلب جميع الرهبان الذن

فى أديرة القسطنطينية وسار هو فى مقدمتهم باحتفال مشى فيه جميع سكان هذه المدينة الكبرى وهم . يرتلون المزامير بحماس شديد الى أن بلغوا البلاط الامبراطورى حيث واجهوا القيصر ثيودوسيوس واخبروه بالحقائق فاقتنع بها . فخرج دلماتيوس من حضرة الملك ورجع الى كنيسة القديس موكيوس وخطب فى الجمهور الارثوذكسى المحتشد فيها مبشرا بأن القيصر أدرك الصواب وسمح لنواب مجمع القديس كيرلس أن يطلعوه على صورة أعمالهم . فلما اطلع القيصر عليها ارتاح وطاب خاطره ووعد الارثوذكسين بالتعزيد والمساعدة

الا أن الامور لم تستقر على ذلك لان كونتا اسمه ايريناوس وقد صار فيما بعد مطرانا على صور غير فكر القيصر وخذعه مرة أخرى فأصبح حائرا لا يدرى كيف يفعل ولكن اكاسيوس الشيخ أسقف حلب أبدا له رأيا هدا روعه وهو أن يعزل القديس كيرلس وممنون ونسطور فابرز القيصر حكما قضى فيه بذلك وقبض على القديس كيرلس وممنون وسلموا الى الكونت يعقوب ليسجنهما أما نسطور فاحتفظ به كانديدانوس الامير

فاغتم آباء المجمع لهذه الالهانة التى حصلت للقديس كيرلس وحرروا رسائل عديدة الى الاكليروس القسطنطينى والى غيرهم محتجين بشدة على التعدى الذى حصل وهؤلاء طلبوا من القيصر أن يفحص عن الحق فسمح بحضور ثمانية أشخاص بالنيابة عن كل حزب لترفع الدعاوى أمامه وكان من حزب يوحنا ثاوذور يتوش أسقف كورش وبولس أسقف حمص فتقابلهم فى خلکیدونية

أما القديس كيرلس فشرع فى مدة سجنه أن يؤلف تفسيرا مطولا لخروماته الاثنى عشر . وبعد أن اقتنع القيصر أمر بطرد نسطور الى دير القريب من انطاكية وباعادة كيرلس وممنون الى منصبيهما . وأقام على كرسى القسطنطينية واحدا من رجال كيرلس اسمه مكسيميانوس . وأمر بنى المجمع وبرجوع الاساقفة الى مراكزهم فقام القديس كيرلس من أفسس الى الاسكندرية وهناك قابلته رعيته بابتهاج عظيم وجاء الجمع يهنئونه بانتصاره على عدو المسيح . وعقب وصوله كتب رسالة مطولة الى القيصر أوضح فيها الحق نافيا عنه كل ما عزى اليه من التهم

ولم يكتف النسطوريون بذلك بل أوقدوا نار الشقاق وعقدوا مجمعين أحدهما فى طرسوس والآخر فى انطاكية أعادوا فيها حرم كيرلس وبنوده ورفضوا أحكام المجمع الافسى واعتبروا أعضائه لصوصا وكيرلس ذنبا خاطفا وتمسكوا بمبادئ نسطور . فاستاء القيصر من تصرفهم هذا وأشار عليه مكسيميانوس بطريك القسطنطينية أن يطلب بابا الاسكندرية و يوحنا الانطاكى ويأمرهما بالاتحاد والوفاق . فلم يرتض القديس كيرلس فى مبدأ الامر بصلح يلثم شيئا من الآراء القديمة الا انه أخذ يرسل يوحنا الانطاكى وأرسل اليه كاسينوس وأمونيوس الشماسين صحبة ارستولوس المعتمد القيصرى الى انطاكية برسالة تتضمن قبوله اياه فى شركة الكنيسة ان كان

يوقع على الصلح المرسل معهم والمتضمن حرم نسطور ورفض بدسنة . فلما وصل هؤلاء الى انطاكية وجدوا البطريرك في مجمع عقده مع أساقفته . فلما عرض عليه الصلح قبل التوقيع عليه بعد تغيير بعض كلمات لم يفهمها وأرسله للقديس كيرلس ببدا بولس مطران حمص فلما وصل هذا الى الاسكندرية سمح له القديس كيرلس أن يلقي خطابا ففاه بخطاب بليغ سر به السامعون وأظهروا استحسانهم بالتصفيق المتكرر له وكان ذلك سنة ٤٣٣ م

ثم انه كان قبل هذه الحوادث قد أرسل القديس كيرلس رسالة كانت عنده من أقوال اثناسيوس الرسولي الى انكيطس أسقف كورنثوس ف وقعت في أيدي الحزب النسطوري فشوهوها ببدا عنهم الاثيمة ولما حضر مطران حمص الى القديس كيرلس اعترض عليه بفحوى تلك الرسالة فأعطاه القديس الصورة الصحيحة فبعدها قرأها تحقق صحتها ورجع الى يوحنا الانطاكي وأطلعته عليها وزاد هذا اقتناعا شرح كيرلس بنوده الاثنى عشر التي كان فيها بعض العبارات البعيدة المعنى وهكذا تسالم البطريركان واستلم يوحنا رسالة القديس كيرلس المتضمنة قبوله في الشركة

غير أن بعض الاساقفة الارثوذكسيين لم يعجبهم صلح القديس كيرلس مع يوحنا الانطاكي ولا موه على عبارتين وردتا في قرار الصلح وهما أولا قول يوحنا « لانه صار اتحاد الطبيعتين فلذلك نعترف بمسيح واحد وابن واحد ورب واحد وبحسب معنى هذا الاتحاد الخالي من الاختلاط نعترف بأن القديسة هي والدة الاله » وثانيا قوله « واما الاقوال الانجيلية والرسولية المقتولة عن الرب فتعلم ان علماء اللاهوت يجعلون بعضها عامة كأنها تنفي لاقنوه واحد و يفصلون بعضها لاختلاف الطبيعتين و ينسبون تلك الواجبة لله لللاهوت المسيح و يسبون الوضيعة لئاسوته » ومن الذين عارضوا القديس كيرلس على قبوله لهذا القرار أكاكىوس أسقف ميليتيني واولوجيوس كاهن القسطنطينية وغيرهم ممن قالوا ان قرار يوحنا هذا دك أركان مجمع أفسس

كما أن أساقفة الشرق لم يوافقوا على هذا الاتفاق ورفضوا الاشتراك مع القديس كيرلس وخرجوا من تحت طاعة يوحنا واستقلوا بأنفسهم تابعين مذهب نسطور . ومع أن اسم القديس كيرلس صار يتردد على كل فم وأصبح مشهورا بالغيرة الحثيئية على سلامة الايمان الا أن بعض الاساقفة الاشرار نظير أوثار يوس والاديوس ومكسيميانوس كانوا يشيعون عنه بأنه هرطوقي تابع لتعاليم ابولينار يوس المبتدع وقد زوروا عن القديس كليستينوس أسقف رومية على لسان القس فيلبس أحد نوابه بأنه برر نسطور الى آخر ما هنالك من الاقاويل التي شاعت ووصلت الى مسامع القيصصر حتى اضطر القديس كيرلس أن يضع عدة مؤلفات في سر التجسد مبررا نفسه من كل ما اشيع عنه . وقد ظهرت أخلاقه المسيحية عندما صفح عن ثاوذور يتوش أسقف كورش دون أن يضطره الى نفى الاعتراف باللاهانات التي وجهها الى شخص القديس وبذلك اكتسب محبة الجميع

وقضى ما بقى له من الحياة بعد ذلك الجهاد الطويل فى خدمة مخلصه بكل أمانة وعاش
خمسا وستين سنة قضى منها زهاء الثلاثين سنة فى رئاسة الكرسي الاسكندري ثم تنيح بسلام فى ٣
أبيب سنة ١٧٩ ش ٤٤٤ م

أما مؤلفاته فهى جليلة الشأن وهذه أسماء المحفوظ الآن منها :

- (١) تفسير الاسفار الخمسة وسفر اشعيا واسفار الانبياء الصغار وانجيل يوحنا
(٢) كتاب ضد نسطور (٣) وآخر ضد يوليانوس
(٤) رسائل عديدة فى الثالوث الاقدس (٥) رسائل عديدة فى التجسد
(٦) فى العبادة الروحية (٧) مواعظ ورسائل
(٨) كتب عديدة شتى . و يطلق على أحد الليتورجيات (القداديس أو صلاة القربان)
اسم القديس كيرلس وهو القداس الذى وضعه مارمرقس الرسولى ولكن لما كان القديس كيرلس
قد رتبته نسب اليه

(٢) ديوسقوروس :

البطريرك الخامس والعشرون . ارتقى الكرسي المرقسى فى مسرى سنة ١٧٩ ش ٤٤٤ م
فى عهد ثيودوسيوس قيصر الصغير خليفة للقديس كيرلس وكان ضربه فى شدة الغيرة على سلامة
كنيسة المسيح وفى أيام هذا البابا انشطرت الكنائس المسيحية الى شطرين وهما ذوو الطبيعة
الواحدة وذوو الطبيعتين ولناخذ فى استدراج تلك الحوادث الخطيرة لكى نقف على الحقيقة ونذكر
سر هذا الانشقاق

انه حال قيام ديوسقوروس على الكرسي الاسكندري لم تكن الكنائس المسيحية على
وفاق تام مع بعضها وعلة ذلك طمع أساقفة رومية الغير المتناهى ورغبتهم التى لا حد لها فى السيادة
العامة على الكنيسة المسيحية فى كل العالم . ولم يكن الاسقف الرومانى يخشى بطش أحد من
رؤساء الكنائس سوى بابا الاسكندرية . فان القسطنطينية مع كونها كانت عاصمة المملكة
الجديدة ولكن بطاركتها كانوا ضعيفى الشوكة وكثيرا ما تداخل بطاركة الاسكندرية وأساقفة
رومية فى شئونها بينما الاسكندرية مع كل الجهاد الذى قامت به أمام أعداء الكنيسة وازدياد
المقاومات ضدها كل يوم بسبب ذلك فانها لبثت محتفظة بمقام الرئاسة الفعلية

ولقد سعى أسقف رومية سعيا متواضعا للاتحاد مع بابا الاسكندرية كما يظهر ذلك من
خطاب أرسله ليو الى ديوسقوروس فى شهر يونيه سنة ٤٤٥ م يلتمس منه فيه المؤخاة والعمل على
التداخل فى أهم الامور سوية مادام الاثنان متساويين فى الرتبة والدرجة الا أن بابا الاسكندرية
ضد بخطابه عره حائط وهزأ به لما يعلمه من غاياته الدنيئة

ولم يكن أسقف رومية وحده هو الذى يحسد رؤساء الكرسى المرقسى لكن أساقفة الشرق بأسرهم كانوا يغارون منهم لتعويل القياصرة على آرائهم فى المسائل الكنسية وذلك لما أحرزوه من الصيت الجليل فى العالم المسيحى أجمع بسبب مقاومتهم للهراطقة وانتصارهم على أعداء الديانة نظير اريوس ونسطور حتى اعتبر رأى رؤساء الكنيسة الاسكندرية هو رأى المملكة ذاتها . لهذا السبب كان أسقف رومية وأساقفة الشرق يتحينون الفرص المناسبة لاذلال شأن الكرسى المرقسى فقاد لهم الحظ ظهور بدعة جديدة فى ضواحي القسطنطينية

وذلك انه كان فى أيام البابا ديوستوروس ارشمندريت رئيس دير فى القسطنطينية اسمه أوطاخى عدو ألد لنسطور لم يكتف بما حدده المجمع الثالث المسكونى ضد تعليمه بل تطرف فى تعبيره عن سر التجسد الى أن قال بوحدة طبيعة المسيح وان جسده مع كونه جسد اله ليس مساويا لجسدنا فى الجوهر لان الطبيعة البشرية على زعمه قد ابتلعت واندثرت فى الطبيعة الالهية

فثاوذور يتوش أسقف كورش الذى اشتهر باعتناقه لمذهب نسطور وتطوعه للدفاع عنه أخذ يكتب ضد أوطاخى و يشهر بتعليمه حتى بلغ الامر البابا ديوستوروس فظن أن النسطوريين الذين كسر شوكتهم سلفه القديس كيرلس يتحفرون للقيام فخوفا من أن يضيع مجهودات سالفه ولما هو معروف عن فساد مبدأ ثاوذور يتوش وتعرضه برسائل القديس كيرلس كتب ضده للقيصر ثاودوسيوس الثانى مظهر الخوف من أن الكنيسة الانطاكية أوسكت أن تكون كلها نسطورية . ولشدة ثنة القياصرة بغيرة آباء الكنيسة القبطية على سلامة الايمان أصدر ثاودوسيوس قيصر أمرا ضد الانطاكيين وحظر على ثاوذور يتوش الخروج من دائرة ابروشيته

غير أن الانطاكيين وطنوا أنفسهم على الدفاع فأرسل البطريرك دمنوس سفارة الى القيصر لتعرفه بأن أوطاخى مبتدع مثل ابوليناريوس ولكنهم لم يفلحوا . فقام أوسابيوس أسقف دور يليوم من أعمال فريجيه أحد المتحزبين لنسطور يحجج أوطاخى . ولما لم يقنعه قصد القسطنطينية سنة ٤٤٨ م وشكاه الى فلابيانوس بطريركها وكان هذا أيضا نسطوريا فشكل مجمعا اقليميا مركبا من ٢٩ أسقفا و ٢٣ ارشمندريتا ودعى أوطاخى الى هذا المجمع فامتنع فى مبدأ الامر خوفا من غدر المجمع به ولكنه حضر فى الجلسة السابعة بصحبة صديقه خريساقيوس من موظفى بلاط القيصر فسأل أوسابيوس أوطاخى « هل يعترف بأن المسيح مساو للآب فى جوهر اللاهوت ومساو لأمه فى جوهر الناسوت ؟ فأجاب بأنه يعترف بأن المسيح من طبيعتين قبل الاتحاد وانه بعد الاتحاد طبيعة واحدة . فحكم على أوطاخى بأنه مبتدع وجرده المجمع من رتبته الكهنوتية ثم أيد مذهب نسطور بأنه ذو طبيعتين من بعد الاتحاد

ولئن كان أوطاخى فى مبدأ أمره قصد بعقيدته ازالة بدعة نسطور غير أن تطرفه فى المدافعة نظيمه فى سلك الهراطقة الا انه بعد صدور الحكم عليه أخذ يرفع صوته قائلا انه مظلوم وكان أسقف

رومية مقصدا لكل مبتدع اذ كان يسره ليحس بأنه رئيس الكنيسة العام ان يرفع رؤساء الكهنة دعائهم اليه . ولما كان مسقيمو الرأي يطرحون مشاكلهم أمام أبصار باباوات الاسكندرية لم يكن يطلب مساعدة أسقف رومية الا المبتدعين الذين كانوا يشتكون اليه ويملقونه فكان ينتصر لهم رغما عن ضلالتهم . فلهذا لما رأى أوطاخي نفسه قد شجب رفع اليه أمره فرد عليه لاون أسقف رومية برسالة معزية سنة ٤٤٠ م يشجعه فيها و يدعوه ابنه في الايمان الكاثوليكي لانه تحقق صدق عقيدته

ثم ذهب أوطاخي صحبة صديقه خريساقيوس موظف البلاط القيصري المذكور ورفع دعواه أمام القيصر وتظاهر بأنه محكوم عليه جورا الى أن رضى القيصر بعقد مجمع مسكونى فى مدينة أفسس (١) وأرسل القيصر الى ديوسقوروس البابا الاسكندري ثلاثة مكاتيب الاول يطلب فيه منه أن يحضر معه عشرة مطارنه وعشرة أساقفة و يبادر الى أفسس ويمنع قبول ثاوذور يتوش والثانى يأمر فيه بقبول الارشمندريت برسوم بين آباء المجمع بصفته قائم مقام جميع الارشمندر يتين الشرقيين . والثالث يمنع حضور ثاوذور يتوس ثم يقول له « واننا نظن ان بعضا من اتباع نسطور يجتهدون وقصدهم أن المذكور يحضر فى المجمع المقدس . فلاجل ذلك قد تحسن برأينا أن نرسل لحضرتكم هذه الرسالة وهما نعرف قدسك وقديس المجمع اننا مقتدون بقوانين الآباء الاطهار ونوهب لقدسك سلطانا ونجعلك متقدما ليس فقط ما يخص ثاوذور يتوس بل وبما يخص كل المجمع المقدس الخ » أه .

فلما شعر فلابيانوس بطريك القسطنطينية بأنه سيقع تحت الحرم نظير باقى النسطوريين التجأ الى أسقف رومية ملجأ الهراطقة وكتب اليه يستعين به (٢) وكان قد وصل حينئذ للاون

(١) ان وقائع هذا المجمع والمجمع الذى عقد بعده بخلكيديون مأخوذة أصلا عن كتاب « اعمال مجمع خلكيديون » وهو تاريخ طبع بالعربية فى رومية سنة ١٦٩٤ م بأمر الكنيسة الرومانية هداية مخالفيها ولكنها لما رأت ان به خنائق كثيرة تتنافى مع رأيها ندمت على طبعه ونشره وحرقت ما تمكنت من جمعه وقد اخذنا نحن صورة هذه الحوادث عما كتبه المرحوم الايغومانوس فينوئاوس بكتاب « تاريخ الانشقاق » ج ١ وعما نقل عن كتاب اعمال مجمع خلكيديون بكتاب « اخر يده النفيسة فى تاريخ الكنيسة » ج ١

(٢) كتب الآب ملاقيوس الارثوذكسى يستجير عندما قاومه لغير سبب داماسوس اسقف رومية . فاستاء القديس باسيليوس الكبير من استخفاف داماسوس بقوانين الكنيسة واستجار بالبابا اثناسيوس الرسولى وبعث يقول له « ان نشر الوية السلام فوف ربوع كنيسة انطاكية منوط بك وحدك . لان ما أصاب هذه الكنيسة يفتقر الى شفقتك الانجيلية وحكمتك الرسولية . ان كنيسة انطاكية أيها القديس لم تمزقها ايدى الهراطقة بل ايدى اولئك الذين يدعون انهم ارثوذكسيون (يريد اساقفة رومية) وهم شر من الاربوسيين (راجع رسالته الى ٦٦) ثم اعتبها برسالتين أشد منها هجة قال فيها « ان الهراطقة يختمون بالاساقفة الرومانيين الذين يغرسون بذور الشقاق اينما حلوا » (رسالة ٦٩ و ٨٠) .

ثم كتب القديس باسيليوس لاوسابيوس اسقف ساموساط الذى كان موفدا لرومية لفض ذلك النزاع يقول « لقد علمت بنا جرى بينك وبين الرومانيين . وكنيت أود لو لم يكن عندى به علم لان ذلك الانسان (داماسوس اسقف رومية) متكبر متفطرس ومن طبيعة أولئك المتفطرسين ان ينتفخوا كلما لا طفتهم . على اننا لا ننتظر غير رفيق الله بنا فان ادركنا فحسبنا ذلك والا فإى تعضيد يمكن أن ننتظره من الغربيين الغلاظ الاكباد الذين لا يعرفون الحقائق ولا يهتمون أن يتعلموها . اى تعضيد يمكن ان ننتظره من اولئك الذين فضلا عن تشيع ادمغتهم بالآراء الفاسدة يخاربون من يذكرهم احتيثة فيغرسون الهراطقة بايديهم » (رسالة ٢٣٦) أه فليقرأ الباباويون لعلهم يعتبرون .

أسقف رومية اعلان من القيصر ثيودوسيوس يقول فيه « أنه عهد بفض المشاكل الى مجمع يلتئم فى مدينة أفسس تحت رئاسة البطريرك الاسكندرى » فحالما وقع بصره على هذا الخبر طار شعاع الشر من عينيه واحتدمت نار الغيرة والغيط فى قلبه وكشر عن ناب العداء والخصام نحو ديوسقوروس ونسى « محسوبه » أوطاخى الذى وعده بالمساعدة . ولما لم يحصل على أمنيته بالسيادة يوما ما ويدعى ولو مرة واحدة ليرأس ولو مجمعا واحدا امتنع عن الحضور الى أفسس وأرسل نوابا الى المجمع كما هى عادته فى اظهار الابهة الفارغة وهم الاسقف يوليوس والقس رينادوس والشماس ايلاريوس وكاتب ليكتب الوقائع التى تصير يدعى دولشيسيوس وأعطاهم مكتوبا الى الملك ورسالة أخرى الى فلافيان وهى المعروفة « بالطومس » أو « بطومس لاون » (١) شرح فيها رأيه فى هذا المعضل وكان على أتم الموافقة لمعتقد نسطور . وهذه الرسالة التى أرسلها لفلابيانوس فقط كان يجب أن يرسلها رأسا الى المجمع ولكنه استبد برأيه مصمما على اعتبار المجمع غير قانونى حتى قبل أن تعقد جلساته و يظهر تقريره ومن هنا يتضح أنه كان عازما على مقاومته ولو قرر كل صواب مادامت الرئاسة انتزعت منه وأعطيت لخصمه ديوسقوروس واذا وصل نواب هذا الاسقف تلقاهم فلافيان بمزيد الاحترام واستضافهم عنده بكرم زائد

ولما تكامل عدد أعضاء المجمع اجتمع فى كنيسة السيدة العذراء ١٣٠ أسقفا وأرسل القيصر اثنين من قبله نائبين عنه وهما البيديوس واولاجيوس وأمرهما بأن الذين كانوا قضاة فى أمر أوطاخى يحضرون بدون أن يفوهوا بكلمة وأن لا يحضر المجمع ثاوذور يتوس البتة ولا أحد من زملائه ومما قاله لهما فى الرسالة التى زودهما بها « تصرفا فى الامور بأحسن نظام . واحضرا فى مجلس الشرع واعلمانا الامر كله » أهـ

وترأس المجمع ديوسقوروس بابا الاسكندرية بأمر القيصر ثم جلس بعده نواب أسقف رومية ثم يوبيناليوس أسقف أورشليم فدمنوس أسقف انطاكية ففلابيانوس أسقف القسطنطينية فاسطفانوس الافسى فأسقف قيصرية . ولما افتتحت الجلسة الاولى تليت تحارير الملك وأثبت قبول نيابة نواب رومية . ثم قرئ الامر بقبول برسوم . ثم طلب رئيس المجمع (ديوسقوروس) من نواب القيصر ما عندهم فى ذلك فقرئت رسائل القيصر الى نوابه والمجمع بخصوص اجراءات افلابيانوس ثم شرعوا فى موضوع الايمان فقال نائب أسقف رومية ان قدس أسقفهم لاون أرسل معهم رسالة فأمر الرئيس بقبولها . ولما قدمت الى القس يوحنا سكرتير المجمع ليتها رأتى نفسه مضطرا الى قراءة رسائل أخرى من القيصر الى رئيس المجمع قبل رسالة أسقف رومية . فتليت رسائل القيصر وبعد ذلك قال الرئيس « يظهر لنا أن القيصر أمر بعقد هذا المجمع بسبب المشاغبة التى جرت فى القسطنطينية ولذلك يلزمنا أن نبحث أولا فى هذه المسألة وبعد ذلك نقارنها بأعمال آبائنا القديسين التى فرضوها فى المجامع المقدسة » فوافق المجمع على رأيه

(١) طومس كلمة يونانية معناها كتاب أو رسالة

حينئذ قال، أسقف أورشليم ينبغي أن يحضر أوطاخى بنفسه للمجمع و يدافع عن نفسه . فجاء أوطاخى وقدم اعترافا مثل اعتراف المجمع الثالث بدون أن يذكر شيئا من المسألة المختلف عليها فقريء . ثم طلب البيدوس المقدم قراءة بقية الاعمال فقبل الرئيس طلبه وسأل آباء المجمع عن رأيهم فأجابوا بالقبول الا نواب رومية فانهم طلبوا قراءة رسالة أسقفهم الى فلابيانوس قبل قراءة الاعمال . فوقف أوطاخى واشتكى للمجمع ضد هؤلاء الرجال لانهم لما أتوا المدينة أقاموا فى بيت فلابيانوس الذى أحسن وفادتهم وقدم لهم هدايا جزيلة والتمس من المجمع أن يمنعهم عن ابداء رأيهم لئلا يحكموا عليه تبعا لأهوائهم . فعمل الرئيس برأى الجمهور وقرئت الاعمال فظهر منها أن أعمدة الايمان الاقوياء هم باباوات الاسكندرية الافاضل الذين جاهدوا جهاد الابطال فى الدفاع عن تعاليم المسيح وحفظوها نقيه سالمة فعبقت رائحة فضيلتهم فى المجمع كالعبر وذكر بالاخص القديس كيرلس على أثر قراءة رسائله التى أقر عليها جميعها . ثم قال افسطاثيوس مطران بيروت ما فعل كيرلس حين فهمت كتاباته على غير معناها الى أن أورد عنه قوله « لا ينبغي لنا أن نفهم طبيعتين بل طبيعة واحدة متجسدة فى الله الكلمة » وهذا القول أثبتته القديس كيرلس بشهادة القديس اثناسيوس الرسولى فأجاب المجمع « ليس من يقول ان المسيح اثنان بعد الاتحاد ولا من يفصل الغير المنفصل »

ولما وصلوا فى القراءة الى سؤال اوسابيوس لأوطاخى « هل تعتقد بطبيعتين فى المسيح بعد التجسد » عارض آباء المجمع بجملة وقام جملة من الاساقفة الحاضرين وصرخوا بأعلى اصواتهم « ارفعوا اوسابيوس واحرقوه . ليشق الى اثنين كما حاول ان يقسم المسيح . كل من يقول بطبيعتين محروم » فقال ديوسقوروس « هل تسلمون بان المسيح بعد التجسد صار له طبيعتان ؟ » فأجاب الآباء بالاجماع « كل من يقول بطبيعتين بعد التجسد فليكن محروما » فقال ديوسقوروس « لنؤيد هذا الكلام » فقال الآباء بالاجماع « لأنه اعتقاد الآباء »

وبعد ذلك سأل رئيس المجمع الاعضاء عما يرونه فى اوطاخى . فأجاب اسقف اورشليم بما انه اعترف بايمان مجمع افسس الاول (المسكونى الثالث) فانا أرى انه ارتوذ كسى واحكم بتثبيته فى درجة الكهنوتية وفى ديريه . فوافق باقى الاعضاء على رأيه بقولهم « يظهر من قول اوطاخى انه ارتوذ كسى » فلما رأى الرئيس هذا الاجماع قال « انى قد ثبت أنا أيضا حكم هذا المجمع وحكمت بأن يحصى أوطاخى فى عدد الكهنة و يتولى ديريه كما كان سابقا »

ثم قدم للمجمع احتجاج من رهبان أوطاخى على حرم فلابيانوس لهم فقال لهم الرئيس « لا يحلكم من حرملكم الا اعترافكم بالايمان الصحيح » فصاح كبيرهم « ان ايماننا هو ايمان مجمعى الآباء فى نيقية وأفسس . ايمان اثناسيوس وكيرلس وباقى الاساقفة الارثوذكسين » فرأى أسقف أورشليم أن يقبلوا فى شركة المؤمنين فرضى المجمع بذلك وبرأهم جميعا

وبعد فحص قضايا كثيرة نظير هذه قال الرئيس « يجب أن نطبق أعمالنا على أعمال الآباء الذين سبقونا » ثم اتفقوا على أن تقرأ أعمال المجمع الثالث فقرىء ايمان المجمع وحكم فى الجلسة السادسة بالقصاص على الذين يعلمون الضلال

وكان أوطاخى قد ادعى بتحرىف أعمال مجمع القسطنطينية مستشهدا بنقيب الوظائف الملوكية فعارض كلامه فلابيانوس . فطلب الرئيس البينة كتابة فقال له فلابيانوس « انك قطعت أمامى السبيل لايراد كل احتجاج وان كان حقا » فاستشهد البابا ديوسقوروس بالمجمع المقدس على انه لم يمنع عن شىء وكرر طلب الاحتجاج منه فاستمر فلابيانوس على عناده من الجهة الواحدة لم يتنازل عن قوله بطبيعتين بعد الاتحادا وأيد رأيه غير مكترث بتحديد المجمع الافسى الاول . ومن الجهة الاخرى لم يؤمن على الحكم الذى أصدره بجل أوطاخى وبالحالة هذه ظهر مضادا لاولئك الآباء . فتعين لهم حينئذ عزله من الرئاسة وحكم بذلك جميعهم واحد بعد واحد بما فيهم البابا ديوسقوروس رئيس المجمع .

ثم نظر فى الجلسة الثانية شكايات كثيرة قدمت الى المجمع ضد أساقفة نسطوريين وبناء عليها حكم المجمع بتجريد كل من ثاذوريتوس أسقف كورش وتهمة النسطورية وطعنه فى حق القديس كيرلس وهيبا أسقف الرها ودمنوس أسقف انطاكية لدفاعته عن تعليم نسطور وعين بدله مكسيموس . وايريناوس أسقف صور الذى كان نسطوريا ومتزوجا بامراتين ورسم عوضا عنه فوتيوس ثم عرض المجمع أعماله على القيصر فأمن على تحديدهم وحكمهم وتقرر حرم فلابيانوس وستة من أساقفته وكل من لا يقول أن طبيعة واحدة للكلمة المتجسد حسب اعتقاد كيرلس والمجمع المقدس

واننا نضرب صفحا عن كل ما يدعيه رؤساء كنيسة رومية بأن هذا المجمع استعمل القوة فى تنفيذ جميع قراراته وتسميتهم اياه « بالمجمع اللصى » الذى سمى به مجمع أفسس الاول من النسطوريين وغير ذلك مما لا يستغرب صدوره من قوم أكل حب الذات صدورهم وأفقدتهم عقولهم فجعلهم يهرفون بما لا يعرفون . وقد كان من المنتظر أن يختلق أساقفة رومية مثل هذه التهم لما يجدون أنفسهم خلوا من فضائل يجارون بها باباوات الكرسي المرقسى وكل من يقف على حوادث ميل أساقفة رومية للرئاسة العامة وكيف انهم فى سبيل الحصول عليها أراقوا دماء الابرياء لا يندهش اذا سمعهم ينددون بالمجمع الثانى فى أفسس

واننا لفى غاية العجب كيف انهم يعتبرون المجمع الثالث المسكونى الافسى الاول ويؤمنون على أعمال رئيسه القديس كيرلس وفى الوقت نفسه يشجبون المجمع الافسى الثانى مع أن المعارضين والذين وقعت عليهم الاحكام فى كلا المجمعين هم رؤساء الحزب النسطورى الذين حضروا المجمعين وقاوموهما فهل غيرت الايام قلب أسقف رومية من نحو النسطوريين أم أن الميل

لمقاومة البابا الاسكندري الزمه بأن يتنازل عن المعتقد القديم رغبة في أن يجد طريقة لمقاومته فاعتنق مذهباً باطلاً ليؤيد مركزه بأنصاره ؟ ومن يطالع كتابات الغربيين عن نسطور لا يعسر عليهم أن يلمس أثر ميلهم اليه واجتهادهم في الاعتذار عنه .

ومما يوضح ما نقول هو أنه حدث بعد انفضاض مجمع أفسس الثاني ان نواب أسقف رومية خرجوا منه بالخيبه اذ لم يتمكنوا من نجاه فلابيانوس وحزبه فتجمعوا معا عصبية واحدة وانطلقوا الى رومية يشكون لاسقفهم ما أصابهم من الخذلان وكان أسقف رومية يتوهم أن الرسالة التي ارسلها لفلابيانوس يتخذها المجمع كقانون للايمان أو كوحى الهى فلما خاب رجاءه من ذلك أضمر سوءا لجميع آباء المجمع وعلى رأسهم ديوسقوروس و يلوح لنا أن الشيطان كان يرسم فى مخيلة أسقف رومية صورة سلطته العامة على كل الكنائس وبذلك يفقده صوابه و يسهل له ارتكاب كل محرم فى سبيل الحصول على تلك السيادة الموهومة .

فأخذ لاون الاسقف الرومانى يعمل جهده فى الخط من قوة خصمه وتخفيض شأنه فلم يدع واسطة لمقاومة البابا الاسكندري ومناجزته الا وطرق بابها فكتب كتابا الى ثيودوسيوس قيصر يقول له فيه أن الديانة المسيحية تكاد تضمحل ما لم يلغ حكم ديوسقوروس فى مجمع أفسس . ثم كتب لبولكاريا شقيقة القيصر وكتب لكنيسة القسطنطينية يحرضها على نبذ قرارات المجمع . ولما لم تفده كل هذه الحيل والوسائل رمى نفسه بين يدي فالنتينيان قيصر رومية والتمس منه أن يطلب من ثيودوسيوس قيصر الشرق أن يسمح باقامة مجمع عام فى رومية حيث يكون نفوذه أقوى من نفوذ خصمه . قال المؤرخون « ان محبة الذات أو خذلانه فى نيل الرئاسة المطلقة اضطراره الى سكب دموع غزيرة كاذبة أمام أفدوكيا زوجة قيصر رومية وأمه ابلاكيديا لكى تحملا القيصر على الكتابة لثيودوسيوس فلم يسع فالنتيان الى الاجابة لكثرة الاحاح وكتب لزميله قيصر الشرق » . غير أن ثيودوسيوس القيصر الارثوذكسى أبى اجابة الطلب لثقته فى البابا ديوسقوروس ورد على قيصر الغرب قائلا « ان ما جرى يكفى وهو حسن ولا حاجة الى مجمع آخر » ومما ينبغى الإشارة اليه ان فالنتينيان كان يلقب لاون فى جواباته لثيودوسيوس بالبابا الاعظم الا أن ثيودوسيوس كان يسميه البطريرك المحترم أو رئيس الاساقفة الموقر . وكان تاريخ هذه الخطابات فى فاتحة سنة ٤٥٠ م

غير أن الحظ قد عاد وخدم لاون فانه فى شهر يولييه من تلك السنة انتقل ثيودوسيوس الى رحمة مولاه بدون خلف فقامت مكانه بالملك اخته بولكاريا الراهبة ونكثت عهد العفة وتزوجت بقائد جيشها ماركيانوس وسلمته ادارة المملكة . فلما تغيرت أحوال المملكة استحضر لاون أسقف رومية زعماء الحزب النسطورى ليستعين بهم على ديوسقوروس ومنهم ثاوذور يتوس أسقف كورش وهيبا أسقف الرها وغيرهما وبعث بأنصار السوء هؤلاء الى ماركيان قيصر يلتمسون منه السماح بعقد مجمع تفحص فيه أعمال مجمع أفسس

فلما رأى البابا ديوسقوروس ان لاون تمادى فى عدوانه وأفرط فى المعاكسة شرع فى حرمانه وتجريدته من وظيفته وذلك لانه سعى فى ابطال قرارات مجمع نظامى شرعى فجمع مجمعا قطع فيه لاون من شركته لقبوله أولئك الهراطقة . وهذا المجمع عقد بعد موت ثيودوسيوس قيصر وبذلك ينهدم قول المفترين الذين يدعون بأن بابا الاسكندرية كان يعمل ما يعمل معززا بقوة القيصر

وكان موظفوبلاط قيصر الشرق الجديد بعضهم يتحزب لنسطور والبعض الآخر للارثوذكسين الا أن الحزب الاقوى كان نسطوريا وذلك لان بولكاريا وزوجها ماركيان كانا من هذا الحزب . كانت بولكاريا شديدة الكراهة للبابا ديوسقوروس بالنسبة لما وصل اليه من السلطة والنفوذ . فرأت هذه الفرصة مناسبة لهدمه واتخذت ذريعة لذلك اتهمه بالهرطقة . وكان أول عمل عدائى وجهته لديوسقوروس هو انه كان لهذا البابا نائب فى القسطنطينية فارتقى بواسطته الى كرسى البطريركية . فابتدأت بولكاريا مقاومتها لديوسقوروس بأن أجبرت نائبه بالقسطنطينية على حرم أوطاخى ونسطور والمصادقة على مبادئ لاون

ثم كتب ماركيانوس زوج بولكاريا الى لاون يقول له فيه « انى مستعد لعقد مجمع تحت رئاستك واذا كان فى السفر مشقة عليك فأنا أقوم مقامك لرئاسة المجمع » فرد عليه لاون بأنه ينبغى فى هذا المجمع البحث عن طريقة يتمكنون بها من الصفح عن الأساقفة الذين سلكوا مسلك ديوسقوروس ووافقوا على رأيه . وكان يؤمل لاون أن يكون مقر المجمع رومية غير أن القيصر لم يكن يرغب ذلك فأصدر أمرا باقامته فى مدينة نيقية مما أساء لاون ومنعه عن الحضور فأرسل نوابا عنه ادعى فيما بعد انهم ترأسوا الجلسات باسمه ولكن الحقيقة ان ماركيانوس انتخب تسعة عشر عضوا من كبار المملكة ليتراسوا المجمع بالنيابة عنه

أما الذين حضروا هذا المجمع فن قائل انهم ٣٣٠ ومن قائل انهم ٥٠٠ وقيل أن البابا ديوسقوروس لما حضر مع أساقفته وشاهد ذلك الجمع الغفير هتف نحو القيصر قائلا « أيها الملك الاعز ما هذا الجمع الذى أراه وما سبب اجتماعه . ان الايمان لفى غاية الكمال والآن لسنا ننتظر قيام هرطقة توجب اجتماعا مثل هذا فدع الاساقفة ليذهب كل الى مركزه » فأجابه بعضهم « أن القيصر ليس بمتحقق ان كان المسيح طبيعة واحدة أم طبيعتين » فوقف البابا ديوسقوروس وقال « ان اعتقاد البيعة لا ينبغى أن يزداد عليه أو ينقص منه فالمسيح واحد بالطبع والجوهر والفعل والمشيئة كما كرزالاباء » ولما تردد قليل مثل هذا الكلام قال ديوسقوروس « أسألكم فأجيبونى . لما دعى المسيح الى عرس قانا الجليل دعى انسانا أم الها فأجابوه انسانا . قال لهم ولما حول الخمر كان تحويله له باللاهوت أم بالناسوت . أو فوض اللاهوت أن يعمل ذلك وللناسوت أن يسكت . وان كان حسب رأيكم باللاهوت فليس ذلك بعجب عجيب وأمر غريب اذ كان اللاهوت قادرا على كل شىء وانما العجب بالناسوت لاتحاد اللاهوت به . وها أنا أقول أن ذهبى الفم يدعو مريم والدة الله . ولم يقل والدة نصف الله . وكيرلس يدعو المسيح الها واحدا بالحقيقة وابنا واحدا بالحقيقة وان

اتحاد اللاهوت بالناسوت يماثل الفولاذ اذا عبر الكور واتحد بالنار فيصير طبع النار وطبع الحديد شيئا واحدا . أما احتجاجكم عن ذلك بايجاب وقوع الآلام على اللاهوت فعنا الدليل الكافى من الشهداء الذين لما كانوا يعاقبون ما كانت تعاقب أنفسهم وتتألم والله قبل الآلام بجسده ولاهوته منزّه عن قبول الآلام بالكلية » أهـ

فاقتنع كثيرون بهذا الكلام ثم خطب البابا ديوسقوروس داعيا للملك حتى انزعج المقطوعون واللاونيون واختلوا بالملك ووشوا اليه بحق البابا ديوسقوروس بانه يريد سلب سلطانه وان لاون يرغب بحط ديوسقوروس استقرار الكلمة له وان ترك الحرية لديوسقوروس لا تتم أغراضهم وطلبوا منه الحرية فى أعمالهم ليخرجوا ديوسقوروس من المجمع . فلم يكده عدد المجتمعين يكمل حتى صدر اليهم الامر حال وصولهم الى نيقية بأن يرحلوا الى خلكيديون بالقرب من البوسفور وعقد المجمع بها وافتتحت الجلسات فى اليوم الثامن من شهر أكتوبر سنة ٤٥١ م فى كنيسة خلكيديون . ولما عقدت الجلسة الاولى كانت أول طلبات نواب لاون اخراج ديوسقوروس من المجمع . ولما لم يقبل رئيس المجمع ذلك أصر النواب على طلبهم معترضين بلسان أوسابيوس عدو أوطاخى بأن ديوسقوروس عقد مجمعا بدون استئذان الكرسي الرسولى (الرومانى) وأضافوا بأن ديوسقوروس الذى أتى ليدان لا ينبغى له الجلوس معنا لان ذلك يجلب علينا احتقارا . فازدرى نواب الحكومة بكلام هؤلاء الاشرار وقرر رأيهم على بقاء ديوسقوروس فى المجمع . وأجاب هذا البابا على تهمتهم بكل ثبات قائلا « انى لم أكن فى حاجة الى استئذان أسقف رومية فى عقد المجمع التى صدر أمر القيصر بتشكيلها » ثم طلب قراءة القرارات التى صدرت فى المجمع الاخير مما يخص الايمان فأجابه الرئيس « ينبغى أن تصبر الى قراءة الاعمال »

وكان لاون قد أعاد ثاوذوريتوس الى كرسيه فسمح له بالدخول الى المجمع حينئذ فأحدث دخوله ضجة عظيمة سمع فيها صوت أساقفة مصر وايليريا وفلسطين يقولون « ارحمونا يا قوم . قد اضمحل الايمان . اعلموا أن القوانين توجب طرد هذا خارجا فاطردوه أنتم عنا »

فأجاب أساقفة الشرق النسطوريين « لقد أرغمنا ديوسقوروس فوقنا على أوراق بيضاء اطردها أتباع مانى وابوليناريوس مضادى الايمان اطردها ديوسقوروس »

قال المصريون « ان ثاوذوريتوس شتم المسيح ولعن كيرلس فان قبلناه اهنا المسيح ورفضنا كيرلس »

وأخذ الفريقان يتحاوران معا بمثل هذا الكلام وشرع كل حزب فى أن يوجه الى الآخر شديد المطاعن حتى أشرف المجمع على ان يكون ميدانا للمحاربة لولا أن مندوبى الحكومة استعملوا نفوذهم فى اعادة النظام والسكينة ووقف واحد منهم وخطب فى المجمع قائلا « انه لا يجدر بالاساقفة وأئمة الدين أن يأتوا مثل هذه الاعمال المشينة من صياح وصراخ بل يجب عليهم أن يكونوا

قدوة للشعب فى الهدوء والسكينة . ونحن نرجوكم أن تستعملوا البرهان بدل البهتان والدليل عوضا عن القول وأميلوا آذانكم لسماع ما يتلى عليكم »

ثم أخذ الكاتب يتلو قرارات مجمع أفسس الثانى وكان أعضاء الحزبين يقاطعون به بضجيج الاستحسان أو الاستهجان . وكان البابا ديوسقوروس فى وسط ذلك الهيجان ساكنا هادئا مستعملا الحكمة مجردا سيف البرهان عوضا عن الثروة الفارغة التى كانت سلاح نواب رومية الوحيد وكان مما فاه به فى هذا المجمع قوله « قد علمتم أن القيصر لم يجعل لى وحدى الامر بل ليوبيناليوس وتلاسيوس أيضا ومنح لهما التدبير فنحن بما حكم به أذعن لنا المجمع بأسره فلماذا ينسبون الى وحدى تدبير هذه الامور حالة كون سلطان الثلاثة متساويا وقد استصوب المجمع ما حكم به فأقروا بأصواتهم ووضعوا خطوطهم بأيديهم وأخبرنا القيصر بذلك وهو ثبت بأمر عال كل ما حكم به المجمع المقدس » أهـ

فأجاب أساقفة الشرق ما معناه « انهم لم يشتركوا فى حرم فلابيانوس الا تحت تأثير الارهابيات والتخاوىف » وكان معظم المتكلمين شمامسة . فاعترض الاساقفة المصريون على تداخلهم الغير قانونى طالبين اخراج كل من ليس له حق الكلام فى المجمع فلم يسمع لهم ولم يجب طلبهم

وبعد ذلك سأل رئيس المجمع المشتكين على ديوسقوروس « من الذى أرغمكم على الامضاء ؟ » أجابه ديوسقوروس ورهبان أوطاخى الذين عددهم ٣٠٠ راهب فأجابهم أساقفة مصر « لو كنتم مسيحيين حقا لما أرهبكم التهديد لان الارثوذكسى لا يخاف . ها نحن الآن مستعدون للموت دون أن نحيد قيد شعرة عن ايماننا فلو كنتم مؤمنين حقا لما وقعتم على الاوراق حسب ادعائكم لان المسألة تختص بجلالة الايمان الذى ينبغى للمؤمن الحقيقي أن يسفك آخر نقطة من دمه فى سبيل تأييده »

ولما استأنفوا قراءة بقية الاعمال كثر الهياج واللغط فأظهر نواب الحكومة الاستياء الشديد مرة أخرى فقال ثاوذوريتوس ان كتبة ديوسقوروس هم علة هذا الضجيج . فأجاب البابا بهدوء « لا يوجد معى سوى كاتبين فقط وهما لا يقويان على احداث مثل هذا السجس »

ثم سئل البابا ديوسقوروس لماذا لم تقرأ رسالة لاون فى المجمع فأجاب أمرت بقراءتها مرتين . فسألوا يوبيناليوس شريكه فقال « أجلنا قراءتها حتى ننتهى من قراءة رسائل القيصر وبعد ذلك لم يطلب منا قراءتها »

وبينا كانت تقرأ الاعمال كان أساقفة الشرق يعترضون اعتراضات شقيمة فتارة ينكرون ما قالوه أو كتبوه حتى قال لهم ديوسقوروس « لقد تجاسرتم على نكران كل شىء فالأفضل أن يقولوا

اننا لم نكن حاضرين بالمرّة» وأخرى يعترضون على البابا الاسكندري بما أملته عليهم أهواهم . فن ذلك انهم أخذوا عليه قوله في مجمع أفسس « انى أفحص قوانين الآباء الذين اجتمعوا في نيقية وفي أفسس » ولما اعترض أوسابيوس على لفظة « أفحص » أجاب البابا ديوسقوروس « أن الفحص لازم لان مخلصنا قال « فتشوا الكتب » ولكن كان لكم وجه للاعتراض لو قلت أجدد »

ولما قرىء ايمان أوطاخى قال البابا ديوسقوروس « فان كان أوطاخى يذهب بخلاف مذهب البيعة فهو لا يستحق العقاب فقط بل النار أيضا أما أنا فمهتم بالايمان ولست بشأن أحد من الناس بل فكرى شاخص الى اللاهوت فلا أبالى بأحد ولا أهتم بأحد سوى بنفسى وبالايمان المستقيم الصحيح »

وبعد ذلك أنكر باسيليوس خطابه المحرر في دفتر الاعمال فقال رئيس المجمع « اذا لماذا وقعت على القرار بحرم فلابيانوس » فأجاب « انى التزمت أن أطاوع ١٣٠ أسقفا » فقال له ديوسقوروس « الآن من فمك تتبررو ومن فمك تدان لقد استحييت من الناس وأهنت الايمان خوفا منهم »

واذ رأى الاساقفة الشرقيون أن قولهم « أجبرنا على التوقيع » يوجب عليهم شديد اللوم قالوا أخيرا « أخطأنا كلنا ونطلب الغفران » ولجل ذلك قبلوا وانتقلوا الى الجهة الاخرى التى كان فيها الاساقفة النسطوريون فقالوا لهم « مبارك قدومكم »

ثم سألوا البابا ديوسقوروس لماذا حكم على فلابيان بالحرم والنفى فأجاب « ان الاسباب التى بنى عليها الحكم على فلابيان واضحة صريحة هى انه كان يعتقد بوجود طبيعتين للمسيح بعد التجسد . أما أنا فلى شهادات من أقوال الآباء اثناسيوس وغريغوريوس وكيرلس تؤيد انهم كانوا يعتقدون بعدم وجود طبيعتين للمسيح بعد التجسد بل ان الكلمة المتجسدة اتخذت طبيعة واحدة فقط . فاذا كان فى اعتقادى خطأ فيكون أصلا من خطأ هؤلاء الآباء المحترمين الذين أقول أنا بقولهم ولا أتحوّل عن مبدأهم . وحتى يكون المجمع على ثقة من قولى أخبره أننى نقلت أقوالهم هذه بالحرف الواحد واعتنيت كثيرا فى ضبطها على الاصل والتحقق من صحتها » أهـ

وكان نواب لاون يتذمرون من ترك الحرية لديسقوروس ليبدى أفكاره فأجابهم الرئيس « ان هذا المجمع يقتضى آثار العدل والحق فى أعماله فهو يمنح حرية الافكار الصحيحة لجميع الاعضاء على السواء » وبذلك انتهت الجلسة الاولى وعينوا موعدا لانعقاده بعد خمسة أيام

غير أن أساقفة الشرق ومندوبى أسقف رومية رأوا أن السماح لديسقوروس بالكلام فى المجمع يؤول الى تبرئته ولهذا استعجلوا فطلبوا عقد المجمع بعد ثلاثة أيام بدل خمسة وجعلوا حضور المجمع قاصرا على أساقفة الشرق وبعض أساقفة الغرب ومنعوا أساقفة مصر ومندوبى الحكومة

• وديوسقوروس بن بطرس وضعوا على باب بيته حراسا حتى لا يتمكن من الخروج . ولما حاول الخروج ليحضر المجمع منعه الحراس بأسنة رماحهم .

وفي تلك الجلسة بل المؤامرة التي تشابه من كل الوجوه مؤامرة كهنة اليهود على المخلص استحضر النسطوريون شهودا زورا قدموا عرائض يطعنون بها عرض البابا ديقسقوروس بما طعن به الاريوسيون البابا اثناسيوس الرسول قبله ثم وضع المجمع حكمه بتجريدته من رتبته بدون أن يؤتى به ليدافع عن نفسه وأعلن بالحكم حالا وأرسل الحكم الى القيصر وزوجته وأساقفة مصر الموجودين بخلكيديون وكل ذلك جرى بغاية الاستعجال الامر الذي جعل مندوبي الحكومة يحتجون و يطلبون سحب الحكم ولكن بدون جدوى . فحرى بالمؤرخين اذا أن يطلقوا على هذا المجمع لقب « اللصى » فالحقيقة تؤيده عليه وتنفيه عن مجمع أفسس الثانى

غير أن مقاومى البابا الاسكندرى رأوا فيما بعد أن حكمهم باطل وغير معتبر شرعا لعدم قيامه على أسباب قانونية توجب عزل خصمهم وكاد أن يذهب صرخة فى واد بالنسبة لمعارضة مندوبي الحكومة له فجددوا النظر فى قضية البابا ديقسقوروس وطلبوه للحضور ولكنه لما علم أن مندوبي الحكومة انسحبوا من المجمع امتنع وقال لمن دعوه « انى قصدت مرارا الذهاب الى المجمع فمنعنى الحراس الواقفون على باب منزلى » وكان سبب امتناع البابا عن حضور ذلك المجمع علمه بسوء نية أعضائه وشر ما عزموا عليه وهذا ما فهمه ممن أرسلوا اليه ليدعوه الى المجمع

أما المجمع فأيد الحكم على البابا ديقسقوروس وكان من بين أعضائه من لا يريد الحكم عليه ولكنهم اضطروا خوفا من بطش القيصر . ولما اطلع البابا على قرار عقيدتهم وطلب منه توقيعهم قرأه أمام بعض أساقفته فعلقوا عليه حاشية من أربعة أركان الورقة المكتوب فيها تفيد حرم هذه العقيدة ومن يتمسك بها .

ولما بلغ ماركيان رفض ديقسقوروس التوقيع على قرار المجمع هو وأساقفته هم بقتله فأشير عليه باحضاره أمامه فأمر به فحضر وأوماً الى ديقسقوروس أن يذعن لرأى القيصر ليستمر فى مركزه فقال ديقسقوروس « ان القيصر لا يلزمه البحث فى هذه الامور الدقيقة بل ينبغى له أن يشتغل بأمور مملكته وتدبيرها ويدع الكهنة يبحثون عن الامانة المستقيمة فانهم يعرفون الكتب وخير له أن لا يميل مع الهوى ولا يتبع غير الحق » فقالت بولكاريا زوجة القيصر وكانت جالسة بازائه « يا ديقسقوروس قد كان فى زمان أبى انسان قوى رأى مثلك فحرم ونفى من كرسيه (تعنى به يوحنا فم الذهب) فقال لها « نعم وقد علمت ما جرى لامك وكيف ابتليت بالمرض الذى تعرفينه الى أن مضت الى جسد القديس يوحنا واستغفرت فعوفيت » فحنقت بولكاريا من قوله ولكمته فانقلع له ضرسان بالنسبة لشيخوخته وتناولته أيدي الرجال فنتفوا أكثر لحيته فأخذ ضرسيه وشعره وأرسلهما لابنائيه فى مصر قائلا لهم : « هذا ثم جهادى »

حينئذ أصدر القيصر أمرا بنفيه الى غاغرا (١) وذهب يقوده الجند الى منفاه وهم يعاملونه بقساوة كلص قاتل وكان مرافقا له من اكليروسه القديس مكاريوس أسقف اتكووالقس بطرس والشماس ثاويستس كاتب سيرته وتوجه الى محل نفيه فعبر بيت المقدس وفلسطين وعرفهم ايمانه فتبعوه وقالوا بقوله وقدم عدة أساقفة على أمانته . وبعد نفيه حاول أعضاء المجمع أن يجبروا أساقفته على التوقيع على قرارهم ولكنهم أبوا بته ولما وعدوهم بحمايتهم من المصريين اذا هم وقعوا رفضوا اطاعتهم وهكذا انفض هذا المجمع بعد أن شق كنيسة المسيح

أما خصوم البابا الاسكندري فلما رأوا أن السماء والارض تعلنان ظلمهم له ادعوا زورا وبهتانا بأنهم حرموه ونفوه لانه شريك أوطاخى وتلك تهمة كاذبة فالكنيسة القبطية تشجب أوطاخى وتعتبره هرطوقيا والفرق ظاهر بين اعتقادات أوطاخى واعترافات وأقوال البابا ديوسقوروس التى صرح بها فى بهرة المجمع منكرها فيها الامتزاج والاختلاط والاستحالة بكل صراحة ورفض أوطاخى مادام حائدا عن استقامة الايمان العام . وتبعته فى ذلك الكنائس التى تعتبره كالكنيسة القبطية والسريانية وغيرهما . وقد كتب وهو فى منفاه رسالة ضد أوطاخى الى شخص اسمه ابريطن مسجلة ضمن كتاب « اعترافات الآباء » يقول فيها « يجب علينا أن نقلع ونخرج عن كل من يقول ان الله الكلمة تألم بلاهوته أو مات وأما نحن فما نؤمن هكذا بل ان الله الكلمة صار جسدا بحق وبقي بلا ألم ولا موت بالجملة بلاهوته . لكن قوما يظنون و يقولون اننا اذا قلنا أن المسيح تألم بالجسد لا باللاهوت نوجد فى هذا القول موافقين لمجمع خلكيدون ونحن نجيبهم ونقول « اذا كان أهل مجمع خلكيدون يعترفون ان الله الكلمة تألم بالجسد لا باللاهوت فاننا نوافقهم » ثم يختم البابا ديوسقوروس كلامه بطبيعة واحدة للاقنوم الواحد الذى هو الابن الواحد المتجسد مستشهدا باثناسيوس كما تقدم وبكيرلس « أهـ

واذا اعترض الغربيون بقبول ديوسقوروس لاوطاخى فى مجمع أفسس الثانى فنقول ان ذلك لا يؤخذ دليلا على اشتراكه معه فى الهرطقة وذلك لان اعتراف أوطاخى كان فى ظاهره مستقيما موافقا لايمان المجامع السابقة ولم يكن حجاب هرطقته مكشوف بعد . وعندما ظهرت حقيقة معتقد أوطاخى رفضه البابا الاسكندري ورفض القول بتغير وتألم اللاهوت ورفض آراء أبوليناريوس بانكار النفس الناطقة ورفض التعليم بالاختلاط والامتزاج والاستحالة خلافا لاوطاخى ولم يكن يقع شيء يؤثر على وحدة الكنيسة لولا سوء تصرف نواب رومية

واستمر البابا ديوسقوروس فى منفاه حتى توفى فى أول توت سنة ١٩٥ ش و ٤٥٧ م بعد أن قضى فيه نحو أربع أو خمس سنين يعانى آلاما شديدة من سكان ذلك المكان القساة بصبر تام كما كان قد سبق واحتمل بكل أناة وسكون تلك الاهانات المرة التى اهانه بها أنصار مجمع خلكيدون

(١) هى جزيرة بغلاغونيا من آسيا الصغرى .

في القسطنطينية وسلك بغاية الحكمة والرصانة ولم يرد بكلمة واحدة على أولئك السفلة الذين كانوا يشتمونه ويحتقرونه أثناء مروره بالشوارع

وروى أن البابا ديوسقوروس ومن كان معه من الاساقفة المصريين شرعوا في منفاهم ينشرون نور الانجيل و يبشرون أهل ذلك المكان حتى تمكنوا من أن ينصروا كثيرين منهم وقد أظهر الله على أيديهم آيات وعجائب

وحدث أن تاجرا مصريا زار البابا ديوسقوروس في منفاه فتألم لما شاهد ما وصل اليه من الاحتقار فذكره البابا بما أصاب الرب يسوع من الهوان وأعطى التاجر تلميذ البطريك قطعة ذهبية ذات قيمة لينفق منها على معلمه ووعد أن يرسل غيرها فلما علم البابا ديوسقوروس بذلك قطع القطعة ووزعها على فقراء المكان ضد رغبة تلميذه . ومما أجراه هناك من المعجزات ان أعسم طلب منه بحرارة أن يسمح له بنقطة دم يسمح بها نفسه فشرط له القديس جزءا من جسمه وأعطاه من دمه ما أدهن به وصلى عليه ففاز بالشفاء الكلى . وارتفع شأن البطريك الاسكندري في عيون أهل منفاه بعد أن كانوا يعاملونه بقساوة وأصبح موضوع احترامهم وإكرامهم

وقال الانبا ساويرس المؤرخ « وقد استمر ديوسقوروس بجزيرة غاغرا حتى أخذ اكليل الشهادة من مركيان الملك » أهـ ولعله يقصد انه مات من شدة ما لاقى من الصعوبات من ذلك الملك . فناحت الكنيسة المصرية على رئيسها واستمرت محافظة على الايمان الذي قضى حياته في الدفاع عنه . ومع أن الحكومة حاولت أن تقيم للمصريين بطريركا خلافا لالا انهم رفضوا مطلقا الاشتراك مع الهرطقة واشتركت الكنيسة الحبشية مع أمها الكنيسة القبطية في رفض قرارات مجمع خلکیدون وأبت الاعتراف بسلطة البطارقة الاروام الذين كان القيصر يعينهم على الكرسي

فليقل لنا الباباويون . من كان يعترف بسلطان أسقفهم العام على الكنيسة حينئذ . ولماذا لم يخضع البابا ديوسقوروس له اذا كان يعرفه رئيسا له واذا كان البابا ديوسقوروس عاصيا فكيف نرى شعبا بأجمعه يطيعه وهو الرئيس الاصغر ويعاند الرئيس العام عليهم أى أسقف رومية . فلا يستطيع أن يسلم من له قليل من العقل انه لم يكن يوجد في تلك الامة التي كان عددها حينئذ يربو عن العشرة الملايين ولومليون واحد مستنير يعرف أن أسقف رومية هو رئيس الكنيسة الاعظم فيخضع له و يسلم برأيه

أما الذين سلموا في مصر برأى مجمع خلکیدون فلم يكن بينهم مصرى وطنى واحد ولكن جميعهم كانوا من الفئة اليونانية القاطنة بمصر وهى الفئة التي كانت تروج بهذه البلاد كل بدعة يبعثها الينا الغرب ولا ريب ان الطائفة الاربوسية التي شغلت الكنيسة المصرية مثلا كانت بالضرورة يونانية بينما أن الشعب الارثوذكسى الذى كان يسميه أعداؤه بالسابليين أو فيما بعد

بالاوطاخييين كان بالضرورة وطنيا وهذه الطائفة الوطنية الارثوذكسية أو ان شئت قل المصرية كانت تشمل تلك الهيئة العظيمة نعى بها هيئة المتعبدين والرهبان وهؤلاء كانوا أقباطا صميمين كما يتبين جليا من أسمائهم ومن جهلهم اللغة اليونانية وكانت تشمل أيضا الجزء الأكبر من مسيحي الاسكندرية . ونفس الهيئة اليونانية بمصر هي التي كدرت سلام كنيستنا بالتسليم برأى المجمع الخلكيدونى وصار الاقباط من تلك الساعة يلقبون اتباع ذلك المجمع بالسنوديين (أى المجمعيين) أو الامبراطوريين احتقارا لهم كما اختصت الكنيسة المصرية نفسها وكنائس سوريا التي على مذهبها بلقب « الارثوذكسية » أى ذوات الرأى المستقيم

ومع أن أسقف رومية تمكن بواسطة مجمع خلكيدون من سحق خصمه العنيد ديوسقوروس الا أنه لم يكن راضيا تمام الرضا على ذلك المجمع وذلك لانه لم يتحصل على غايته القصوى التي كان يسعى اليها وهى التصديق من الامبراطورة أو المجمع بأولية الكرسي الرومانى واعضائه الرئاسة على باقى الكراسى فضلا عن أن المجمع قرر فى المادة الثامنة والعشرين تجريد كرسي رومية من هذه الدعاوى الفارغة وبأن لا حق له فى الاسبقية على الكنائس الشرقية . وقد اغتاظ لاون لانه كان يقصد ادخال هذه العبارة فى القرار الذى صدر بحرمان ديوسقوروس وهى « نحن نواب بابا رومية رئيس الكنيسة الجامعة نحرم ديوسقوروس بمصادقة المجمع » الا أن المجمع (ويظهر انهم نواب الحكومة فى ذلك المجمع) رفض هذه الجملة واكتفى بالثانية وهى (رئيس أساقفة رومية العظمى) ونفس بروتيريوس الذى عينه المجمع الخلكيدونى بطريركا لمصر بدل ديوسقوروس مع انه صافى لاون وصادقه الا انه لم يتنازل له عن أولوية الكنيسة القبطية فى اصدار رسائل عيد الفصح التي كان يكتبها بطاركة مصر على الدوام

(٣) تيموثاوس ٢ — البطريرك السادس والعشرون :

لم يكن أوقع حزنا فى نفس المصريين نظير الخبر الذى أنبأهم بأن رئيسهم ديوسقوروس قد عزل بدون حق شرعى فأخذ منهم الغيظ كل مأخذ واستمروا معتبرين اياه الرئيس الوحيد وبسبب ذلك اشتعلت نيران البغضاء بين المصريين وبين الرومانيين المقيمين فى مصر

ولما نفى القيصر البابا ديوسقوروس أرسل مندوبا من قبله بصحبة اربعة أساقفة لانتخاب بطريرك جديد للمصريين فهاج لذلك سخط المصريين عامة وعارضوا شديد المعارضة فى اقامة خلف لبطريركهم طالما كان حيا . غير ان القوة تغلبت وأقام الحزب الرومانى شخصا يدعى بروتيريوس بصفة بطريرك على الاسكندرية . وكان هذا الرجل موضع ثقة البابا ديوسقوروس حتى عهد اليه بادارة الكنائس أثناء غيابه الا انه لم يراع الامانة وصادق على أعمال مجمع خلكيدون وعلى رسالة لاون علنا لينال عطف منتخبه الاروام

ولما قضى الامر برسامة بروتيريوس قامت قيامة الامة المصرية واشتد هياجها ضد ذلك الخائن المنافق حتى اضطرت الحكومة لان ترسل جنودا من قبلها لاختضاع هذا الشعب الثائر. ولكن المصريين قاوموا تلك القوة باستبسال حتى هزموها فغضب الالى وعول على الانتقام منهم فقطع جراية الخبز التى كانت تصرف للتكايا والمساطب وقفل الحمامات العمومية ومنع المجتمعات. ثم أرسل يطلب قوة أخرى من الامبراطورة فأمدته بألفى رجل ولكنهم لم يقفوا على قمع الثورة حتى اضطر الالى أخيرا أن يعقد صلحا شروطه ابطال كل الاوامر السابقة التى أصدرها ضد المصريين مع استمرارهم على عدم اعتبار الرجل الذى عينته الامبراطورة بطريركا بدون رضاهم وكانوا قد عقدوا مجمعا عظيما حرموه فيه لموافقته الخلكيدونيين ولقبوله مركز بطريرك لا يزال حيا

أما بروتيريوس الذى كان عارفا بشدة كراهة الشعب له لم يكن ينتقل من مكان الى آخر الا بحراسة بعض العساكر. ولما رأى هذه القوة طوع أمره أخذ يسطو على الكنائس والاديرة و يسلبها وينهب مالها حتى جمع ثروة وافرة جعلته مطمئحا أنظار اللصوص. فسطوا على منزله فى احدى الليالى وقتلوه وسلبوا كل ما وصلت اليه أيديهم. وقيل انه لما شاع الخبر جاء بعض الرعاع وسحبوا جثته وطافوا بها فى شوارع المدينة وبعد أن مثلوا بها أشنع تمثيل حملوها الى الملعب الذى بناه بطليموس وطرحوها للنار المضطربة فالتهمتها

ولا ريب أن ما وقع ببروتيريوس هذا كان عقابا من الله لما أتاه من الفظائع ومنها قتل القديس مكار يوس أسقف اذكو كما سيأتى فى تاريخ هذا البار

غير أن الاساقفة الارثوذكسين استمروا بدون بطريرك فى حياة البابا ديوسقوروس ثم بلغهم خبر نياحته فبكوه بحرقة واستدعوا تيموثاوس و يلقب بايلورس من منفاه الى الاسكندرية وكان متأصلا أى من القائلين بوحدة المسيح الطبيعية وكان مريكان القيصر المحامى عن مجمع خلكيدون قد مات وتولى عوضا عنه لاون الشراكى. فانتهاز الاساقفة تلك الفرصة وأسراعوا فى تنصيب تيموثاوس على كرسى البطريركية فى بابه سنة ١٩٥ ش و ٤٥٧ م فى عهد ذلك القيصر وهذا البابا قال عنه يوحنا النيقاوى المؤرخ « انه عاش عيشة صالحة بينما كان راهبا فى دير القلمون بمديرية الفيوم الى أن تعين قسا فى كنيسة الاسكندرية ثم خلف ديوسقوروس بعد وفاته وهو مثال التقوى والدين »

وكان والى الاسكندرية متغيبا عنها اثناء أنتخاب هذا البطريرك فساءه اجراء الانتخاب بدون اذنه وشرع فى نفيه من الاسكندرية لولا ما عرفه فى الشعب من احترام رؤسائه الارثوذكسين. أما البابا تيموثاوس فاستمر مجاهدا ضد أنصار المجمع الخلكيدونى الذين هددوا سلامة الكنيسة فحرم جميع الكهنة الذين تبعوا بروتيريوس وأصروا على التمسك بمبادئه وعقد مجمعا حكم فيه بحرّم

المجمع الخلكيدونى ورسالة لاون وتبرأ من كل شركة مع كنائس رومية وانطاكية والقسطنطينية التى كانت فى بدء الامر ارثوذكسية ولكنها انحازت فيما بعد للخلكيدونيين بتأثير القيصر وامراته

فرفع أولئك الكهنة المحرومون وعددهم ١٤ من مائة أسقف أو أكثر شكواهم الى القيصر والى بطريرك القسطنطينية . وأرسل أيضا البابا تيموثاوس وفدا من الاساقفة والقسوس بكتاب الى القيصر وعضد هذا الوفد جماعة قوية الشوكة ظهرت فى القسطنطينية لمقاومة المجمع الخلكيدونى وابطال قراراته . ومع ان القيصر كان من أنصار مجمع خلكيدون ولكنه لم يربدا من الامر بطلب جميع رؤساء الديانة فى المملكة بأسرها لعقد مجمع عام تفحص فيه أعمال مجمع خلكيدون عما اذا كانت صحيحة أو باطلة و يقول المؤرخون ان معظم الاساقفة اضطروا أن يراعوا خاطر القيصر ويؤيدوا معتقده فأقروا بصحة قرارات مجمع خلكيدون الا أسقفين فقط أشتركا مع تيموثاوس البابا الاسكندرى فى اعتبارها باطلة .

ومع ذلك لم يجسر القيصر أن يمد يده بنسوء الى البطريرك الاسكندرى خوفا من هياج المصريين عليه . وكادت الأمور تهدأ لولا أن أسقف رومية استمر فى طغيانه وأقنع الامبراطور بضرورة نفى بابا الاسكندرية . فصدر الأمر لوالى الاسكندرية بذلك فأسرع هذا بسرور ونفى تيموثاوس وأخاه أناطوليوس الى غاغرا سنة ٤٦٠ م .

وبعد نفى هذا البابا انتخب الملكيون (١) رجلا يدعى تيموثاوس كان يلقب « صاحب القلنسوة البيضاء » قيل أنه كان ذا صفات حسنة أستمال بها قلوب الشعب اليه مع أنهم كانوا يعتبرونه دخيلا ولكنه كان يذكر فى القداس أسم البابا ديوسقوروس الامر الذى أساء أسقف رومية والامبراطور وسر منه الارثوذكسيون الذين كانوا يقابلونه بالتحية قائلين « أننا وان لم نقر على انتخابك فاننا نحبك للغاية » وقيل أنه لما رجع تيموثاوس الارثوذكسى من النفى الى كرسيه مرة ثانية رجع تيموثاوس الملكى الى ديريه بدون أن يقاوم أقل مقاومة .

واستمر البابا تيموثاوس الارثوذكسى منفيا مدة سبع سنوات حتى آل الملك الى باسيليكوس الارثوذكسى فالتمس منه قوموا رأى أن يعيد بطريركهم من منفاه فأمر بعودته ورجع البابا تيموثاوس الى مقره وحال وصوله الى الاسكندرية عقد مجمعا سنة ٤٦٨ م بلغ عدد أعضائه ٥٠٠ من الاساقفة حكم فيه ثانية برفض مجمع خلكيدون وأقر على التعليم بوحدة المسيح الطبيعية ورفع قراره الى القيصر فقبل القرار وأصدر منشورا ضد المجمع الخلكيدونى ورسالة لاون قبلته كل

(١) سمي أنصار مجمع خلكيدون بالملكين لانهم كانوا على رأى الملك او الامبراطور الرومانى فى الديانة لان جل الملوك الرومانيين بعد هذا التاريخ كانوا من أقوى أنصار الخلكيدونيين ومن اشد اعداء الارثوذكسيين . ودعى الارثوذكسيون بالتأصلين أى الذين لم يغيروا معتقدهم .

الكنائس الرسولية وصار مذهب الطبيعة الواحدة، الديانة الأولى في المملكة عموماً . وأستمر البابا تيموثاوس في جهاده حتى توفي في ٧ مسرى سنة ٢١٨ ش و ٤٧٧ م .

(٤) بطرس ٣ — البطريرك السابع والعشرون و يلقب « ببطرس منغوس » كان قبل رسامته قسا وربما كان تلميذا للبابا ديوسقوروس وكان صديقا لسلفه البابا تيموثاوس أقيم بطريركا في توت سنة ٢١٩ ش و ٤٧٧ م في عهد زينون قيصر . ولم يكد يعتلى الكرسي البطريركي حتى عقد مجمعا بالاسكندرية حرم فيه مجمع خلکیدون ورسالة لاون . وكان القيصر الارثوذكسي باسيليكوس قد نزل عن الكرسي ورجع اليه زينون الخلکیدوني وكان هذا مغتازا على البابا بطرس لانه عين بطريركا بدون تصريح منه فاتخذ عقده لهذا المجمع وسيلة لاضطهاده فأمر بنفيه ورجوع تيموثاوس صاحب القلنسوة البيضاء الا ان البابا بطرس لم يفارق الاسكندرية بل لبث مختفيا فيها مدة خمس سنوات .

ومنعا للقلق فكر تيموثاوس هذا أن يعين قاعدة يجرى بموجبها انتخاب البطارقة بالاسكندرية فتألف وفد يرأسه رجل يدعى يوحنا التلاوى (نسبة الى تلامنوفية) وسار لمقابلة القيصر يرجوه أن يترك الحرية للاقباط في انتخاب بطاركتهم . فظن القيصر ان يوحنا رئيس الوفد يسعى في الحصول على البطريركية ضد رغبته فحلف يوحنا امامه بانه لا ينبغي ذلك ولهذا أجاب القيصر طلب الوفد . غير أنه بعد موت تيموثاوس سنة ٤٨٢ م رشح يوحنا نفسه لمركز البطريركية وأرسل يعلن جميع الأساقفة بانتخابه . ومن أخطرهم بذلك أسقف رومية والقيصر و بطريرك القسطنطينية . فوصلت رسالة أسقف رومية في مياعاها وتأخرت رسالة القيصر و بطريرك القسطنطينية . فحقد القيصر عليه لمكاتبته أسقف رومية قبله وتذكر وعده بعدم قبول البطريركية . فارسل القيصر الى اسقف رومية يعلمه بانه غير راض على انتخاب يوحنا لبطريركية الاسكندرية لأن ذلك يدعوا الى ازدياد الاضطرابات وأنه عازم على اعادة بطرس بطريركها الحقيقي . وكان أسقف رومية قد أنتفخ بالرسالة التي ارسلها اليه يوحنا وتوهم ان له حق الرئاسة في انتخاب باباوات الاسكندرية ولذلك جاوب القيصر بأنه راض عن يوحنا لابطرس فاستخف القيصر بأوهامه الفارغة وطرح خطابه في سلة المهملات وأمر بنفي يوحنا وبرد البابا بطرس من منفاه . أما يوحنا فلم يرجع الى مصر بعد نفيه مع أنه رفع دعواه الى اناستاسيوس خليفة زينون لوجود معرفة قديمة العهد بينهما ظنها تنفعه ولكن القيصر أعرض عنه واكتفى بتعيينه اسقفا في احدى الابروشيات .

وبعد رجوع البابا بطرس من منفاه تلقى رسالة من أكايوس بطريرك القسطنطينية يرجوه فيها أن يقبله في امانته . وكان أكايوس من انصار مجمع خلکیدون ولكنه ندم فيما بعد واراد ان ينضم للارثوذكسين وذلك انه بينما كان البابا بطرس هاربا من امام الخلکیدونيين ومعه الانجيل المقدس قابله الشماس يوليانوس الاسكندري الذي كان بالقسطنطينية وقال له : —

« انى لما كنت فى القسطنطينية أرسل الى اكاكيوس شماسا يدعونى الى المكان الذى كان بيت فيه فلما سرت اليه قال لى أيها الشماس يوليانوس هل انت مزعم ان تشترك معى فى الصلاة أم لا فاجبته قائلا لا . لان ذلك من المستحيل فانه لا توجد هنا الارثوذكسية يعنى لا تصل . ثم أمرنى أن أجلس وكنا كلانا منفردين فى ذلك المكان ولما حمل الانجيل قال لى هكذا أنطلق الى الاسكندرية وفتش على الانبا بطرس وأحلف له كما حلفت لك انا الان بقولى وحق الكتب المقدسة أنى أرغب من كل نفسى أن اتوب واطرح عنى هرطقة مجمع خلكيدون الدنسة فانى بينما كان المغبوط تيموثاوس موجودا فى هذه المدينة بمنزل (باسيليكوس) أرسلت نحوه شماسى (كريزاريون) وبيده كتابى المخطوط بيدى وفيه تبت وحرمت مجمع خلكيدون وطومس لاون والاطاخييين وكل هرطقة غير ان ثيوكتيستيس الوالى المعتقد مذهل أوطاخى المعترف بتعليم باطل لما وجد الشماس فى الساحة أخذ من يده الكتاب وقرأه ووجد انى قد حرمت فيه أوطاخى فضرب الشماس وطرده ومزق الكتاب ولم يكن يعلم بذلك تيموثاوس المغبوط لانه كان ساكنا فى الدور الاعلى . وقد كنت ظننت ان الشماس طرد بايعاز الطوبانى تيموثاوس وبما ان الحزن أستولى على بسبب ضرب شماسى لبثت لا أبدى أدنى حركة خائفا على تكدير سلام تلك الايام وحيث أنى الان أخشى أن تدركنى ساعة الموت ويحل بى قضاء الله أطلب وانا مستعد ان أفعل كل ما يريح فؤادك وانى لمتندم وتائب وحارم لكل هرطقة » (١) .

ثم طلب البطريرك أكاكيوس من الشماس يوليانوس المذكور ان يحمل اليه رسالة للبابا ويتوسط عنده ليقبله ومن ثم تبادلت بين البابا بطرس واكاكيوس جملة رسائل حتى تحقق البطريرك الاسكندرى صدق توبة البطريرك القسطنطينى واتفقا معا على الاتحاد ووعدا اكاكيوس باقناع الملك برفض مجمع خلكيدون وأرسل البابا بطرس بعض شيوخ الرهبان الاتقياء الى القسطنطينية ليحضروا المجمع الذى عقد فيها سنة ٤٨١ م لاجراء مراسيم الاتحاد ووضع مندوبو الكنيسة منشورا مشهورا باسم « هيوتيكون » أى « كتاب الاتحاد » وحكم فيه على تعاليم أريوس ونسطور واطاخى معا واثبتت بنود كيرلس وأيدت مجامع نيقية والقسطنطينية وافسس ورفض طومس لاون ومجمع خلكيدون . ورفع المنشور الى الملك فصادق عليه وامر بتنفيذه وأرسل الى جميع الاساقفة والقسوس والرهبان والعلمانيين فى الاسكندرية ومصر وليبية والخمس المدن الغربية .

ثم تبادلت رسائل أخرى فى أمر هذا المنشور بين البابا بطرس وأكاكيوس حتى أتفقا عليه وبناء على ذلك قبل رؤساء الطبيعة الواحدة التوقيع على « كتاب الاتحاد » فامضاها البابا بطرس منغوس بطريرك الاسكندرية وبطرس القصار اسقف أنطاكية . وأمضى عليها من رؤساء أنصار مجمع خلكيدون اكاكيوس أسقف القسطنطينية وكاد المشروع يتم لولا ان بعض اساقفة مصر ومنهم

(١) حسن السلوك فى تاريخ البطارقة والملوك ج ١ : ١٦١

يعقوب اسقف صا ومينا أسقف منية طامة لما شعروا بأن بطريركهم أتحد مع اكاكيوس بطريرك القسطنطينية الذى كان معروفا عندهم بالتخرب لمجمع خلکیدون ولطومس لاون ظنوا ان بطريركهم بقبوله التوقيع على « كتاب الاتحاد » وافق أنصار مجمع خلکیدون وطومس لاون فانفصلوا عن شركته غير ان البطريرك تلافى الخطر وأرسل فاستدعى الى الاسكندرية جميع الاساقفة وعقد مجمعا أطلعهم فيه على ما دار بينه وبين بطريرك القسطنطينية من الرسائل وقرأ لهم « كتاب الاتحاد » فاقتنع جميعهم سوى بعض المتحزبين الذين لبثوا مصرين على عنادهم وأطلق عليهم لقب (الاسيفايين) « أ. . . الذين بلا رأس » لانهم حرموا من رأسهم أو قائدهم .

ثم ان أسقف رومية الذى كان مبدأ ومبدأ اسلافه وخلفائه أن يزيدوا الشقاق أستحكما في الكنيسة المصرية وأن يوجدوا شقاقا آخر بين كنائس الشرق والغرب جريا وراء مآربهم الشخصية فلهذا قاوم مشروع الاتحاد لا لسبب الا لانه لم يخرج من تحت يد جنابه . كما ان بعض المتحزبين من انصار مجمع خلکیدون كتبوا رسالة لاكاكيوس يلومونه فيها على اشتراكه مع منغوس فلم يكثرث اكاكيوس لكتاباتهم بل أقنع كثيرين منهم على موافقة كتاب الاتحاد وبعضهم لم يوافق وأرسل واحد منهم يدعى كيرلس وهو رئيس دير الذين لا ينامون الى أسقف رومية يستنجد به فارسل اسقف رومية لسفيريه بالقسطنطينية ان لا يعملوا شيئا بلا اتفاق مع كيرلس . وعوضا عن ان يخاطب رؤساء الديانة في الامر كتب للقيصر طالبا نفى منغوس واعادة يوحنا التلاوى وسحب كتاب الاتحاد وأرسل اكاكيوس الى رومية ليعتذر عن نفسه . فرد عليه القيصر بان يوحنا نفى لحنثه في القسم وان منغوس صحيح الايمان واستاء اكاكيوس من كتابات اسقف رومية التى تدل على كبرياء متناهية واصر على الاشتراك مع البابا بطرس . فعقد اسقف رومية مجمعا حرم فيه البابا بطرس واكاكيوس . ولما بلغهما الخبر عقد كل منهما في عاصمة بطريركيته مجمعا حرم فيه أعمال مجمع خلکیدون ورسالة لاون .

ثم توفى اكاكيوس وجاء بعده افراو يطاوس ولم تطل حياته فخلفه اوفيميوس فأرسل اليه البابا بطرس خطابا عن رسائل سلفه افراو يطاس يحرم فيه المجمع الرابع وكان اوفيميوس هذا على المذهب الملكيين فقطع العلاقات الارثوذكسية مع البابا بطرس . والذين اتحدوا مع باباوات الاسكندرية جهارا من بطاركة القسطنطينية هم افراو يطاوس سنة ٤٩١ م وتيموثاوس ١ سنة ٥١١ م وانتيموس سنة ٥٣٥ م وسرجيوس سنة ٦٠٨ م وبيروس سنة ٦٣٩ م وبولس سنة ٦٤٣ م وبطرس سنة ٦٥٢ م وتوما سنة ٦٥٦ م وثيودوروس سنة ٦٦٦ م ويوحنا سنة ٧١٢ م . واستمر هذا البابا على كرسيه مدة ثمان سنوات وثلاثة أشهر ثم لحق بآبائه في ٢ هاتور سنة ٢٢٥ ش وأكتوبر سنة ٤٩٠ م .

(٥) اثناسيوس ٢ — البطريرك الثامن والعشرون . ولما تنيح البابا بطرس قدم للكرسى الاسكندري اثناسيوس في شهر كيهك سنة ٢٢٥ ش و ٤٩٠ م في عهد زينون قيصر انتخبه الشعب

والاكليروس باجماع الآراء وكان كاهنا في بيعة الاسكندرية ووكيلا لكنائسها مشهورا بصلاحه واستقامة ايمانه . ويلقب بالصغير تميزا له من البابا اثناسيوس الرسولى الملقب « بالكبير » . ولم يكن فى أيام هذا البطريرك فى الاسكندرية آخر سواه وخضعت ابروشيات القطر المصرى باجمعها له وذلك لان الكنائس الرسولية باجمعها رفضت اعتبار مجمع خلكيدون وحرمت رسالة لاون

وقد صرف هذا البطريرك همته مشتركا مع القيصر اناستاسيوس فى إعادة السلام الى الشرق عموما ومصر خصوصا . وكانت رغبة القيصر ان لا تقوم المنافسات الدينية مرة أخرى بل ينبغي ان تترك الحرية لكل انسان فى اختيار أى مذهب أو دين يعتقد به . ولما رأى بعض الاساقفة ميالين للبحث والجدال عزم على تغييرهم كى لا يكذبوا صفوفو الكنيسة مرة أخرى . وبذلك ساد روح السلام على الكنائس بأسرها الا الكنيسة الكاثوليكية التى لم يكف رؤساؤها المحترمون عن معاكسة كل من لا يوافقهم على اعتبار مجمع خلكيدون . وما أحسن قول بعضهم فى ذلك « انهم (اساقفة رومية) لم يكفهم مقاومة الأحياء بل كانوا يجتهدون فى معاكسة أناس انتقلوا الى الدار الأخرى فكانوا يطلبون بالحاح شطب اسم ديوسقوروس بابا الاسكندرية واكاكيوس بطريرك القسطنطينية من بين اسماء الاساقفة . بينما كان هذان فى دارلا رئيس فيها الا الله وحده والتى يقول كل مسيحي حقيقى انه لا يجب البقاء فيها اذا صح ان حضرات اساقفة رومية وكلاء بطرس هم المفوضون فيها » أهـ

ولم يظهر من الارثوذكسيين الذين اتحدوا مع الكنيسة القبطية أقل تحزب حتى انه لما توفى اكاكيوس بطريرك القسطنطينية وخلفه افراو يطاوس نسج على منواله متبعا « كتاب الاتحاد » رافضا مجمع خلكيدون . غير ان اوفيميوس الذى خلف افراو يطاوس كما سبق طرد الارثوذكسيين فغضب عليه القيصر وعقد مجمعا حكم عليه فيه بالنفى وأقام بدله مكدونىوس

واقام البابا اثناسيوس الثانى على الكرسي المرقسى نحو سبع سنين كانت كلها خالية من الاضطراب وكانت الكنيسة سالمة من كل اضطهاد وتوفى فى ٢٠ توت سنة ٢٢٩ ش و ٤٩٧ م

(٦) يوحنا ١ — البطريرك التاسع والعشرون . كان يلقب « بالراهب » رسم بطريركا فى باؤونه سنة ٢٩٩ ش و ٤٩٧ م فى عهد لاون قيصر لاشتهاره بالحكمة والتعقل اللذين عرف بهما سلفه . فسلك مسلك من تقلده من الآباء القديسين وكانت البيعة والشعب فى ايامه فى أمن وسلام .

ولما توفى زينون وقام مكانه اناستاسيوس البار رأى ان مكدونىوس بطريرك القسطنطينية قد قطع العلاقة مع الكنيسة الاسكندرية واثبت أعمال مجمع خلكيدون وأخذ يكاتب اسقف رومية فأخذ القيصر يقنع مكدونىوس بان يحرم المجمع الرابع فأبى . ولذلك عقد القيصر مجمعا بالقسطنطينية سنة ٥١١ م حكم فيه بانزاله عن كرسيه ونفيه وأقيم عوضا عنه رجل فاضل يدعى تيموثاوس وحال

ارتقائه عقد مجمعا أيد فيه الامانة الارثوذكسية وحرّم مكدونىوس وارسل اليه الحرم مع سفارة و كان الخلكيدونىون يرفضون التسيّحات الثلاثة وهى « قدوس الله قدوس القوى الخ .. » لان بها القول « يا من صليت عنا » وكان مكدونىوس قد أبطلها من كنيسة القسطنطينية فاعاد القيصر ترتيلها ثم حرم المجمع الخلكيدونى وعقد وفاقا مع يوحنا بابا الاسكندرية وساو يرس بطريك انطاكية الذى خلف بطرس القصار.

واستمرت البلاد المصرية فى عهد البابا يوحنا فى أمن وطمأنينة دون كل المملكة الرومانية التى كانت فى قلاقل مستمرة . و يلاحظ ان القلاقل لم تكن لتنشأ فى مصر لولا تداخل اسقف رومية فى شؤونها فكانت وظيفته كوظيفة من يحرك النار اذا هدأت لكى يزداد اضطرامها . وفى هذا الوقت كانت يد هذا المدعى أقصر من ان تمتد الى الكنيسة المصرية فساد فيها روح السلام . غير انها تكدرت أخيرا بسبب داء عياء أصاب كثيرين من الأهالى . ثم تنيح البابا يوحنا فى الرابع من بشنس ٢٣٤ و ٥٠٧ م بعد ان أقام على الكرسي نحو تسع سنوات .

القسم الثانى مشاهير الكنيسة

(١) شنوده (٢) ايسيدوروس (٣) مكارىوس

(١) شنوده . ولد هذا الانبا (١) ببلدة شندويل (٢) من ابوين مثرين كانا يمتلكان قطعانا كثيرة من الاغنام وكان شنوده يرافق الرعاة الى المراعى ونبتت فى قلبه وهو فى سن الحداثة بذور التقوى فكان يصرف وقته فى الحقل فى الصلاة والعبادة والصوم و يترك طعامه للرعاة

ولما اخبر الرعاة والده بذلك أخذه الى دير بالصحراء قرب سوهاج كان الرئيس فيه الانبا بيجول وطلب منه ان يضع يده عليه ليباركه فقال له الانبا بيجول « باركنى انت لانك ستصير ابا لجماعة كثيرة »

(١) انبا كلمة دخلية على اللغة العربية ومعناها سيد و باضافة الالف واللام اليها هكذا الانبا يعنى السيد .
(٢) بجوار اخيم بمديرية جرجا .

ونشأ شنوده نشأة صالحة واعتنى خاله بتربيته تربية حسنة ومن معاشرته للرهبان الاتقياء اقتبس عنهم كل الفضائل وفاقهم في الزهد وصار راهبا صالحا استحق ان يتقلد رئاسة الرهبان بعد خاله فجعل يشغل بهمة عالية فنظم ادارة الدير ووسع نطاقه وبلغ عدد الرهبان في عهده ٢٠٠٠ بالدير الابيض و ١٨٠٠ بالدير الاحمر (١) واكسبه جهاده الحسن نفوذا ساميا ليس على الرهبان فقط بل على جميع البلاد المجاورة لذلك الدير وكان يأتي اليه أكابر الامة ليستشيروه في امورهم المهمة فكان يكشف لهم ما خفى من اسرارهم حتى اعتبروه كأحد الانبياء العظام الذين يخاطبون الله رأسا

وحدث مرة ان قائدا كان سائرا للقتال فمر في طريقه على دير الانبا شنوده ليأخذ رأيه في الحرب وكان الانبا شنوده قد اعتزل في مكان بعيد للعبادة واوصى الرهبان بمنع كل زائر يقطع عليه اختلاؤه مع الله . فلما جاء القائد اخبره الرهبان بالامر ولكنه صمم على ان لا يبرح الدير الا اذا قابله وضرب بعساكره حول الدير واستمر الرهبان يقدمون الطعام للجنود حتى ملوا فاوقفوا للانبا شنوده كاتبا كان له دالة عليه ليدعوه للقائد وينقذهم من هذه النفقات . فلما علم الانبا شنوده بالامر قام لمقابلة القائد وقضى معه وقتا ثم طلب منه القائد ان يهبه احدى حياصاته (احزمته) ليتمنطق بها وقت الحرب فأعطاه احداها . قيل انه لما حى وطيس الحرب لبس ذلك القائد الحياصة فهزم اعداءه هزيمة تامة

وكان الانبا شنوده شديد الغيرة على الديانة المسيحية فذات يوم اتاه بعض الكرامين الاقباط طالبين منه ان ينصفهم من سيدهم الوثني الذي لم يدفع لهم اجورهم بحجة ان الكروم لم تثمر جيدا . فسار الانبا شنوده الى ذلك الوثني برهط من رهبانه والزمه بدفع حقوق المسيحيين فدفعها مكرها وحدث ايضا ان رجلا يدعى بطرس جاءه طالبا بركته فوبخه توبيخا شديدا لانه كان متزوجا بابنة اخته . فقال له الرجل ان للفتاة ارثا لم يرد ان يزوجه لاجنبى خوفا عليه . فعنفه القديس شنوده وقال له « ألم تقرأ ما ورد في الانجيل » « ماذا ينتفع الانسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه » ؟ فلما سمع الرجل ذلك بكى وطلب من الاب ان يرشده الى طريق الخلاص فأرشده وقام الرجل واحضر ٥٠٠ قطعة من الذهب وقدمها للقديس ليوزعها على الفقراء تكفيرا عن خطيئته . فأبى الانبا شنوده ان يمسكها بيده وأمره أن يبحث عن شخص امين ينفذ له غرضه . فسار الرجل حتى وصل الى انبا بولس رئيس دير بوش وسلمه المبلغ وعاد الى امرأته وكشف لها ما جرى ثم وهبها املاكها واملاكه وطلقها ورجع الى دير الانبا شنوده وقضى بقية حياته راهبا

ولما تولى البابا كيرلس الاول الكرسي البطريركي رأى في الانبا شنوده رجلا فصيحا

(١) الدير الابيض ويسمى دير الانبا شنوده وبجواره الدير الاحمر أو دير الانبا بيشوى . وهما قائمان للآن غربى سوهاج .

غيورا على كنيسته القبطية وتعاليمها الارثوذكسية فكان يهتدى برأيه فى كثير من المسائل العويصة . وفى سنة ٣٤١ م استصحبه البابا كيرلس هو والقديس بقطر السوهاجى الى مجمع افسس المسكونى الثالث فإظهر الانبا شنوده كفاءة علمية كبرى فى دحض بدعة نسطور المنافق (١) وقيل ان انبا شنوده دخل مرة الغرفة التى كان الاساقفة يتحاورون فيها وكان فى وسطها كرسى وضع عليه الانجيل المقدس . فجاء نسطور ورفع الانجيل عن الكرسى وجلس عليه . فاجتدم الانبا شنوده غيظا من هذا التصرف المعيب وتقدم الى نسطور وصفعه على وجهه قائلا « لماذا تحب ان تكرم نفسك أكثر من كتاب الله ؟ » فسأل نسطور عنه فقليل له انه احد رهبان مصر فاحتج هو وأنصاره على السماح لراهب بالدخول فى مجمع الاساقفة ثم سأل القديس قاصدا الاستهزاء به من أنت ؟ فاجابه الانبا شنوده بقوة عارضته قائلا « ألا تعلم من انا . انا رجل ارسله الله ليزيح النقاب عن شرورك ويطلب لك القصاص على خطاياك وغرورك » فحالما سمع نسطور هذه الكلمات خر على الارض كمن اصابه صرع . قيل ان البابا كيرلس فى تلك الآونة رقى الانبا شنوده الى الدرجة الكهنوتية التى تخول له الحضور فى مجمع الاساقفة

وبعد انتهاء المجمع عاد الانبا شنوده الى رهبانه . وفيما بعد اذ علم ان هناك من يحاولون العبث بالتعليم « بطبيعة المسيح الواحدة المتجسدة » ذلك التعليم الارثوذكسى الذى اجمعت عليه الكنيسة منذ تأسيسها وثب وثبة الاسد وباشترাকে مع القديس ديوسقوروس البابا الاسكندرى حارب أولئك المعتدين وكان يقضى عليهم وعلى ما يراه ان لو لم تحل دون ذلك منيته حيث رقد بالرب فى ٧ ابيب سنة ١٦٨ ش

وللانبا شنوده مواعظ بليغة ومؤلفات نيسة وضعها باللغة القبطية وبقيت محفوظة بالدير الابيض حتى عثر على بعضها المستر ماسبرو وعلى البعض الآخر المستر زويجا فالمسيو ميلينو الذى نشرها بالفرنسية سنة ١٨٨٩ م

(٢) ايسوذوروس الفرمنى . ولد فى مدينة الاسكندرية سنة ٣٧٠ م من عائلة شريفة نظرا الى التقوى والغنى وكانت بينه وبين البابوين ثاوفيلس وكيرلس صلة قرابة . وقد تربى من حداثة تربية حسنة فنشأ عالما بأصول الدين وباقى العلوم ولا سيما اللغة اليونانية حتى انه اعتبر احد آباء الكنيسة الجامعة وأحد علماء عصره

(١) لم نجد بين اسماء القديسين المصريين الذين تعتبرهم الكنيسة الكاثوليكية اسم الانبا شنوده وذلك لمقاومته انصار الطليعتين وفاتهم انهم باسقاط هذا القديس من بين القديسين قد ناقضوا البابا كيرلس الكبير عماد الارثوذكسية المعترف عندهم عمودا للدين الذى قرران انبا شنوده لم يكن قديسا فقط بل قديسا ونبيا أيضا (الاجرومية القبطية لمالون الجزويت ص ٣ و ٤)

ولكن فضله ظهر واضحا عند ما طرح مجد العالم خلفه وازدرى بملذاته وآثر عيشة الوحدة والزهد فاحسن بكل ما يملك على الفقراء والمساكين وهرب ليلا وانفرد يعيش سائحا مع بعض النساك فى جبل صغير قريب من مدينة بيلوسىوس المدعوة الآن فرموس (١) ولذلك دعى باليونانى وباقى اللغات الغربية ايسوذوروس بيلوسيوطا وبالعربى ايسوذوروس الفرمدى

وصرف هذا البابا جملة سنين مواظبا على العبادة وكان محبا للصمت ميالا للانفراد للصلاة والتأمل مع الله وظهر قساوة شديدة على جسده فأذله بالتقشقات الشاقة والاصوام الزائدة . وفيما بعد رأى نفسه مدعوا الى الانذار بالتعاليم المستقيمة والمجاهدة عن الحقائق الدينية والآداب فقام بذلك دون ان يخشى عظماء العالم . وعقب اقتباله درجة الكهنوت شرع فى وضع رسائل عديدة ومتباينة المواضيع ووجه كل خطاب منها الى كل شخص ذى دعوة أو رتبة أو وظيفة خصوصية من كل سن وجنس ورتبة حتى أنه اتصل الى ازمنتنا هذه من رسائله ما يتجاوز الالفين . وفحوى رسائله يدل بالاخص على الروح المسيحية التى كانت تملأ قلبه وتبرهن . على تعمقه فى معرفة الكتب المقدسة فكان بارعا فى تشويق الناس الى الفضيلة وتكرههم فى الرذيلة و بليغا فى معرفة تواريخ البيعة والقوانين والتهديات الكنسية المختصة بكل ذى وظيفة منها . وكانت رسائله تقابل من الجميع بثناء زائد حتى ان بعض المؤرخين يقول انها لم تكن أقل اعتبارا من أنفاس القديس يوحنا فم الذهب نظرا الى الغيرة على استئصال الرزائل والعوائد الرديئة وتهذيبها بموجب تعليم الانجيل

وكان القديس قد طالع ما كتبه القديس يوحنا فم الذهب بكلف زائد وتشبع من روحه لاسيما من كتابه المدعو « واجبات الكهنوت » واقتفى أثره ونسج على منواله حتى انه استحق ان يدعى تلميذا خصوصا له . وكان اعتباره القلبي لفم الذهب شديدا بهذا المقدار حتى انه لم يكتف بان يسلك بموجب تعليمه فقط ولكنه كان يدافع عنه بجرأة أمام قريبه البابا ثاوفيلس البطريرك الاسكندرى . وهذه المدافعة هيجت عليه اعداء القديس فم الذهب فأتهموه معه بتهمة كثيرة تحمل بسببها اضطهادات قاسية . وهكذا بعد وفاة البابا ثاوفيلس بذل مجهوده لدى خليفته وابن اخته البابا كيرلس ليوضح له سمو فضل القديس يوحنا وحمله على ان يضع اسمه بين اسماء القديسين وكان للبابا كيرلس فى محاربته للنسطوريين النصير الشديد

ومما حرره هذا القديس فيما يختص بواجب ذوى الرتب الكهنوتية أمام الاهانات التى تصادفهم قوله : « اننا نخطئ على حد سواء حينما ننتقم لانفسنا بأخذ الثأر عن الاهانات الصادرة فى حقنا وحينما لا ننتقم عن الاهانات الصادرة فى حق الله . فيجب علينا اذا ان نحتمل بدعة وصبر الاهانة حينما تلحق باشخاصنا فقط وان نستعمل الحنو والتساهل فى غفرانها . واما حينما تلحق

(١) بيلوسىوس باقليم الوجه البحرى وكانت أقوى حصن حربى على حدود مصر من الشمال الغربى .

الاهانة بالعمة الالهية فوقتئذ يكون عدلا وواجبا ان نتصف بالغيرة وان نظهر الغيظ المقدس والغضب المؤسس على حب الله من اننا نحتمل ذلك بجمانة ونخشى بدناءة اغاظة غيرنا ولكن نحن نضع ما يضاد هذا الأمر على خط مستقيم . أى اننا نتقد غضبا ونشتعل بنار الغيرة ضد اعدائنا فيما يصادفنا واما فيما يخص الله وكنيسته فنحن فاترون متغاضون خالون من كل حرارة . فوسى الاكثر حلما ودعة فمن جميع الناس قد احتوى غضبا ضد الشعب الاسرائيلى حينما صنعوا العجل الذهبى ليسجدوا له . وفى هذا الحادث ظهر غضبه أكثر قداسة من أى تنازل وحلم ودعة كانت . وايليا تسليح بالغيرة المتقدمة ضد عابدى الاصنام . والقديس يوحنا المعمدان ضد هيرودس الملك . والقديس بولس الرسول ضد عليم الشاجر . فهؤلاء القديسون انتقموا من الاهانة المتصلة بالله فى الوقت عينه الذى فيه كانوا يتغاضون عن الاهانات التى تتصل باشخاصهم . فأى نعم ان الله هو أكثر اقتدارا بما يحد على الانتقام لذاته بعدله الرهيب ولكنه مع ذلك أراد تعالى ان الناس الصالحين يشتركون فى المحاماة عن الحق منتقمين بقدر ما هو ممكن لديهم عن الافتراء المصنوع فى حق عزته الالهية . فهذا هو الترتيب الذى كان القديسون يتصرفون بموجبه وبه كانوا يحصلون على ثبات فضيلتهم وفلسفتهم الحقيقية» أهـ

وغيرة القديس ايسوذوروس المقرونة بالشجاعة فى تهذيب الآخرين امتدت الى رئيسه اوسابيوس اسقف بيلوسسيوس خليفة الانبا آمون فاذا رآه يتصرف تصرفات غير عادلة و ينشئ خطابات بعدم حكمة حتى انه سبب شكوكا كثيرة فى كنائس الاقليم المصرى أخذ يجابه بالحقيقة ويعلمه بانه شط عن الصواب . وأبلغ من ذلك قيام القديس بتوبيخ حاكم المقاطعة وتأنيبه على المظالم التى كان يرتكبها وعلى عدم مراعاة حقوق الكنيسة

وقد اتت توبيخاته هذه باثمار تامة وكان اسلوبه فى التوبيخ بديعا يتضح من قوله فى احدى رسائله « امر ضرورى هو ان نوبخ البعض بقساوة والبعض بعذوبة وليونه لانه لا يمكن اكتساب الجميع بنوع واحد ولا يستطيع معالجة الامراض كلها وشفائها بدواء هو بعينه » أهـ

والمعلوم ان الافاضل الذين أخذوا على انفسهم تقويم المعوج واصلاح الفاسد يكثر اعداؤهم والناقون عليهم ولا عجب ان وجد كثيرون ينقمون على القديس ايسوذوروس و يضطهدونه أما هو فلم يكن يتألم من اضطهاداتهم لانه كان يعلم أنه فى هذا الطريق سار القديسون قبله فكان يتسلح بقوة وصبر وثبات على الاحتمال بدون ضجر . وتمكن أعداؤه من طرده من مكان نسكه وارسلوه الى المنفى فكانت غبطة القديس بما جرى له شديدة حتى أنه خاطب صديقا له فى احدى رسائله قائلا « انه ان كان من يصنع الواجب عليه و يتمم حسنا التزاماته يقتضى ان يعامل بالردى وان تحقيق به الاضطهادات والمصائب وان من يصنع الشر يلزم ان يمدح و يكافأ بالإنعامات فلا شك بأنه يجب على الانسان ان يختار النوع الاول بصنيع الخير دون ان يلتفت مطلقا الى الاضطهاد الذى

يلحق به من جرى ذلك لأننا اذا قطعنا النظر عن المجازاة السماوية عينها التي وعد الله ان يجازى بها الفضيلة ثم عن العقاب المريع نفسه المعد في جهنم للانتقام عن الرزيلة فالفضيلة وحدها وبذاتها هي اكليل ومكافأة البار. كما ان الشرير يجد قصاصه وعقابه في الشر والرزيلة ولهذا تجد الفضيلة دائما محبوبة على حد سواء ولو انها اضطهدت بالتم الباطلة نفسها . والرزيلة هي دائما مستحقة البغضة مهما تشرفت من الناس الضالين » أه

وقد شاهد القديس مبتدعين كثيرين وانتشرت في أيامه هرطقات متعددة ولكن جميعها لم تكن كافية لان تبلبل أفكاره اذا كان يعلم أنه لابد ان تأتي العشرات (مت ١٨ : ٧) و يتأكد ان هذه الامتحانات التي تتلقاها الكنيسة آيلة لنجاحها ولا بد ان تنتصر عليها أخيرا

ولما أكمل القديس جهاده رأى في نفسه اضطراما شديدا للوصول الى مقر الراحة الابدية ولهذا حينما دامه المرض الاخير تعزى وابتهج وهكذا رقد بالرب بهدوء وسلام في ٤ شباط سنة ٤٤٥

(٣) مكار يوس اسقف ادكو: (١)

هو أحد مشاهير النساك ومن أبطال الكنيسة القبطية في هذا القرن الذين دافعوا بكل قوتهم وضحوا حياتهم في سبيل تأييد اعتقادها الذي حفظته الكنيسة منذ نشأتها سالما وهو ما يختص بوحدة مخلصنا الطبيعية . وكان من أحداثه متصفا بالوداعة والتواضع ولما رسم اسقفا لبروشية ادكو كان يصعد على المنبر ليعظ الشعب فيشتد بكاءه ونشيجه ولما سئل عن سبب بكائه أجاب « انى اشاهد خطايا الشعب كما ينظر الزيت في الوعاء »

وظهرت غيرته على مجد ابن الله ومحافظته على كرامته في هذه الحادثة وذلك ان بعض الوثنيين كانوا يختطفون أولاد المسيحيين و يقدمونهم ضحية لاصنامهم فلما سمع القديس هذا الخبر قام الى بلدة الوثنيين المجاورة لمدينة ادكو بصحبة ثلاثة رجال فقط . ولما انتهوا الى الهيكل وشاهدوا ابنيته الشائخة والتفاف الوثنيين حوله كالجراد والاسلحة بأيديهم طار لب الثلاثة الرجال ولا سيما عندما فاجأهم الوثنيون وهم يتقدمون نحو الهيكل وقالوا للقديس « لماذا اتيت الى هنا وما حاجتك عندنا » اما القديس فلم يتطرق اليه وجل بل اجابهم بمثل حماسهم قائلا « لقد جئت لارى ما تفعلونه بأولاد المسيحيين الذين تحتطفونهم لتقديمهم ذبيحة لاهتكم الكاذبة . فقالوا له أن هذا الخبر كاذب ومن ابلك اياه تمام . فأجابهم ان كنتم صادقين فدعوني اتبين الامر بنفسى فى داخل الهيكل

(١) وجد بالفاتيكان كتاب قديم بخط اليد يؤخذ منه ان ناسخه تلقى ما فيه من الأقوال عن لسان البابا ديوسقوروس البطريرك الاسكندري نفسه حينما كان فى منفاه . وهذا الكتاب يحتوى على تاريخ سفرة ديوسقوروس الى مجمع أفسس وما تم فيه . ومن ذلك الكتاب أخذت ترجمة القديس مكار يوس أسقف ادكو . وادكو هذه بمركز رشيد بمديرية البحيرة .

فسمحوا له بالدخول ودخل معه رجل واحد ممن كانوا معه نظرا لخوف الاثنين اللذين بقيا خارجا وما تقدم القديس داخل باب الهيكل حتى رأى عشرين رجلا بأسلحتهم متقدمين اليه وهم يهددونه ببلدوا جلده وحملوه ليقدم ذبيحة لأحد آلهتهم ولم يؤخرهم سوى ان رئيس كهنتهم هوميروس لم يكن موجودا فاستدعوه وقد انتهز الرجل الذي كان مغلولا مع القديس هذه الفرصة وأسر اليه قائلا : هذا وقت الصلاة فأجابه القديس « لا تخف لابد ان يسوع ينقذنا من هذا الموت المريع » ولم ينته من هذه الكلمة حتى سمع الاثنان على الباب صوت و يصا احد المؤمنين يطلب اطلاق سراحهما فان هذا المؤمن لما علم بانطلاق القديس للهجوم على هيكل الوثنيين خشى عليه منهم فجمع عددا غفيرا من المؤمنين وسار الى الهيكل وكسر الباب وخلص القديس وزميله من الموت وهما على حافته . وقيل انه استخدم قوته فى حرق جميع الاوثان التى وجدها فى الهيكل وطاف البلدة يحرق كل ما تصل اليه يده منها حتى ان الاهالى اذ رأوا آلهتهم تحرق امامهم دون ان تقوى على انقاذ نفسها أو تؤدى من اهانها اعتمد منهم كثيرون

وبعد ذلك أمر ثيودوسيوس قيصر بعقد مجمع فى أفسس تفحص فيه هرطقة اوطاخى فسار القديس الى الاسكندرية ماشيا على قدميه وفى عزمه ان ينطلق أيضا الى مجمع افسس ماشيا ولما كان القيصر ارسل سفينتين لنقل البابا ديوسقوروس وحاشيته تقدم ربانها الى القديس مكار يوس وبعد ان اوضح له صعوبة السير على الاقدام الى افسس طلب منه ان يشرفه بنزوله فى مركبه فأبى القديس وقال له « لا تحلولى الراحة فى سبيل خدمة الله بل يطيب لى معها التعب » ولكن ربان السفينة لم يتركه بل استمر يلح عليه و يلتمس منه الركوب معه فقال له القديس « الله يباركك يا ابنى لا تلح فى طلبك أذ لا يمكنى الركوب كما انى لا املك شيئا ادفعه لك كاجر » فقال الربان : اذا كان الاجر هو الذى يمنعك من السفر معى فسافر فى مركب البطريك بجانا فابتهج القديس وسرلانه استحق ان يرافق خليفة مارمقس ولكنه أتخذ له مكانا قصيا من السفينة وجلس فيه . غير ان البابا ديوسقوروس لما علم بوجوده استدعاه اليه وأجلسه فى مكان مناسب ولما كان القديس لا يعرف الا لهجة واحدة من لهجات اللغة القبطية كان المترجم ينقل أقوال كل منهما للآخر

ونظر احد الشامسة الى القديس بازدراء ودهش كيف يحتفل البطريك واساقفته برجل بسيط كهذا ليس له المام بالعلوم واللغات فؤبخه البطريك توبيخا شديدا والزمه بان يطلب منه الصفح والقديس لا يعلم ما جرى ولم يشعر الا والشماس يسجد أمامه فأقامه متحيرا وسأل عن السبب فافهمه اياه البطريك وطلب للشماس العفو فأجابه « التمس من المولى ان يغفر خطاياك يا ابنى »

ومن ذلك الحين صار القديس موضوع احترام جميع المسافرين فى السفينة ولما وصل الى مجمع افسس قام بخدمات جليلة لبطريكه . وفى مجمع خلقيدون المرذول أظهر غيره كلية وثباتا عجيبا فى المحافظة على ايمان الكنيسة القديمة فحكم عليه بالنفى مع بطريكه ديوسقوروس

ولكنه فيما بعد تخلص من النفي بمساعدة تجار مصريين كانوا قد أنهوا بسفرهم الى حيث منفى الالباء وجاء معهم متنكرا موفدا من قبل البابا ديوسقوروس لتثبيت المؤمنين . وكان وصوله في الوقت الذي ارسل فيه مركياتوس قيصر رسولا من طرفه يحمل صورة قرار مجمع خلکیدون ليرغم المصريين على التوقيع عليها فجمع رسول القيصر اكليروس الاسكندرية وعظماؤها وأخذ يحضهم على الاعتراف بطبيعتين ويحسن لهم قبول طومس لاون فانتصب الانبا مكار يوس وأخذ بشجاعة فائقة يلقي على سامع الحاضرين خطبة زيف فيها ذلك الاعتقاد وروى وقائع ذلك المجمع المزور وبرهن على ان اعماله كانت خلافا لكل قانون ديني ومدني

وحدث ان بروتيير يوس الذي اقامه البابا ديوسقوروس وكيلا عنه قبل ذلك المذهب مشترطا رسامته بطريركا فحنق الانبا مكار يوس لرؤيته رجلا يخون من ائتمنه وطقق يوبخه توبيخا عنيفا فاغتاظ منه بروتيير يوس ودفعه بقدمه في بطنه فسقط على الارض وتوفى للحال بالنسبة لشيخوخته وكان البابا ديوسقوروس قد تنبأ له قائلا « أنك تنال الشهادة في الاسكندرية لاجل دفاعك عن ايمان ابن الله » فتم قوله ونال القديس اكليل الشهادة

(٤) بعض مشاهير:

واشتهر في هذا القرن ايضا آباء كثيرون بالفضيلة والتقوى منهم الانبا ايسوذوروس تلميذ القديس مكار يوس المصري والايغومانوس يوحنا استاذ القديس ارسانيوس الروماني والقس يحنس القصير (١) وأنبا بيشوى والقديس موسى الاسود الحبشى و يضيق بنا المقام عن ذكر تاريخهم وفي كتاب السنكسار عنهم ما يغنى

القسم الثالث المملكة والكنيسة

- (١) اركاديوس واضطهاد مركيان وبولكاريا
- (٢) اضطهاد ليو ومساعدة باسيليوس وزينون المؤمنين

(١) اركاديوس واضطهاد مركيان وبولكاريا :

وملك بعد ثيودسيوس على الشرق ابنه اركاديوس سنة ٣٩٥ م فسار على منهج أبيه وأمر بأن تغلق جميع هياكل الاصنام في ديار مصر ومنع التدين الا بالدين المسيحي فتأيد هذا الدين وصار

(١) ولهذا القديس دير مركز ملوى باسمه يقال في بعض الروايات انه لما اضطهد المماليك الاهالي لجأ المسيحيون منهم الى هذا الدير والى قرية الشيخ عباده لاعتقاد المسلمين بانهم مسكونان بالشياطين (تقوم المؤبد لسنة ١٩٠٨ ص ٢٩٤) .

الناس يدخلون فيه أفواجا حتى هجرت هياكل الاصنام فأعطى القيصر بطريك الاسكندرية تصريحاً ليتصرف فيها كما يشاء فهدمت وأقيم مكانها كنائس وضيق اركاديوس على الاريوسيين وأمر بأخذ الكنائس منهم بعد ان حكموها نحو اربعين سنة واسقط من جيشة من كان اريوسيا وطرد من كان في ديوانه وخدمه منهم .

وملك بعد اركاديوس ابنه ثيودوسيوس الصغير سنة ٤٠٨ م وبعد موته خلفته اخته بولكاريّا سنة ٤٥٠ م وكانت قد نذرت الرهبنة ثم نكثت العهد وتزوجت برجل متقدم فى السن من أكابر المجلس يدعى هركيان ويلاحظ أنه بعد ان ملك ثيودوسيوس الكبير سنة ٢٨١ م عمت مصر الديانة المسيحية وزادت العناية بتشيد الكنائس وفتح المدارس وتأسيس الاديرة وايقاف الاطيان والرزق عليها وكانت بولكاريّا تحسد رؤساء الكرسى الاسكندرى على ما وصلوا اليه من الشهرة والاعتزاز وحصولهم على شرف سام يفوق شرف الملوك وخشيت امتداد نفوذ بطاركة القبط فى القصر الملكى وارتفاع كلمتهم على كلمة الحكام الرومانيين وخافت من استقلال هؤلاء البطاركة ببلادهم وتأكدت ان ذلك فى امكانهم لعلمها بان البطريك الاسكندرى يستطيع ان يقيم و يقعد بلاده بكلمة تصدر منه . فعملت على اذلال شرفهم فى شخص البابا ديوسقوروس ورأى اسقف رومية ان ذلك من مصلحته ليحل محل البطريك المصرى فى السطوة والنفوذ فاتفق معها على تدبير مكيده لذلك القديس فابتدعوا هرطقة مؤداها ان المسيح طبيعتين ومشيتين وأرادوا ان يرغموا البابا ديوسقوروس وكنيسته على التسليم بها والا يطرد من مركزه وتضطهد كنيسته وكانت النتيجة أنهم عقدوا ذلك المجمع الشرير بخلكيديون وحكموا فيه بنفيه وكتب مركيانوس الى جميع مملكته يأمر بقتل كل من لا يقول بقول مجمع خلكيديون فاضطهد الكنيسة المصرية اضطهادا عنيفا ومع ذلك لم توافق الملك والمملكة على رأيها واستمرت معترفة برثاثة بطريركها عليها وأدى كل ذلك الى تعاظم أسباب الشحناء والبغضاء بين الاقباط الوطنيين وبين الرومانيين المقيمين بمصر وزادت عوامل الجفاء والخصام بينهما خصوصا عندما عينت الملكة بطريركا لمصر غير ديوسقوروس فخضع له الاروام اما الاقباط فأبوا الاعتراف بسلطته عليهم مطلقا ورفضوا جميع قرارات مجمع خلكيديون رفضا باتا وكانوا يعتبرون ان الهزء بأعماله برهان على صدق وطنيتهم واخلاصهم لبلادهم وحبهم لكنيستهم . وسارت الكنيسة الحبشية على عقيدة أمها الكنيسة القبطية وأبت الخضوع لبطاركة بولكاريّا ورفضت مطلقا رسامة مطارنتها بيد غيريد بطريك الاقباط الارثوذكس ولا تزال على هذا الرأى الى يومنا هذا

واستفحل الخلاف بين المصريين والاروام الذين كانوا معضدين من الحكومة . وانتشب القتال مرارا بينهم وبين المصريين فأريقت دماء كثيرين من هؤلاء . ولما أقيم بروتيريوس بطريكاً من قبل الحكومة ولم يسلم برثاسته الارثوذكسيون حمل عليهم مندوب الملكة بفرقة من الجند كانت

معه حال اجتماعهم ليلة عيد القيامة للصلاة ففرق شملهم وقتل كثيرين منهم وأستولى على أمتعة الكنائس وأموالها وسلمها للبطريرك الدخيل

(٢) اضطهاد ليو ومساعدته باسيليكوس وزينون المؤمنين :

والقيصر ليو الذى جاء بعد بولكاريا سنة ٤٥٧ م كان يميل الى ترك الحرية للمصريين فى ما يختص بدينهم لولا اغراء أسقف رومية اياه على اضطهادهم فشدد عليهم ونفى بطريركهم وسفك دماء ثلاثين الفا من مسيحي الاسكندرية بدعوى أنهم خالفوا رأيه ، وملك بعده باسيليكوس سنة ٤٧٤ م وكان قوم المعتقد فأحسن الى الارثوذكسين وعقد مجمعا بالقسطنطينية برئاسة البابا تيموثاوس بطريرك الاسكندرية الذى أستدعاه من منفاه وحكم فيه برفض أعمال مجمع خلکیدون وأيد الاعتراف بالطبيعة الواحدة وقرر حرم نسطور وواوطاخى

وجلس بعده على العرش زينون الملك البار سنة ٤٧٧ م وكان فى مبدأ الامر خلکیدونى المذهب فنفى البابا بطرس منغوس من الاسكندرية ولكنه فيما بعد اعتنق مذهب الطبيعة الواحدة فرد البطريرك من المنفى وعقد بمشورته ومشورة بطرس القصار البطريرك الانطاكى واكاكيوس بطريرك القسطنطينية مجمعا فى هذه المدينة وحكم فيه برفض أعمال المجمع الخلکیدونى فأيد هذا الحكم وأثبتته بمرسومه المسمى هينوتيكن « أساس الاتحاد » وكاد ينجح فى لم شعث المتنافرين لولا معارضة أسقف رومية ومقاومته كما هو شأن أساقفة رومية الذين كان من دأبهم أن يوسعوا فرجة الخلاف فى الكنيسة المصرية لاعتقادهم أن صيدهم لا يحلوا الا فى الماء العكر. غير أن معارضة أسقف رومية لزينون لم تعد بفائدة فأعز هذا المتأصلين التابعين للبابا ديوسقوروس ورفع شأنهم وكان يحمل الى دير ابى مقاربوا دى هبيب كل سنة ما يحتاج اليه من القمح وغير ذلك

القسم الرابع البدع والانشقاقات

- (١) مجمع افسس المسكونى الثالث
(٢) نسطور
(٣) أوطاخى
(٤) بدعة رهبان نسيكتى
(٥) بدعة مجمع خلكيدون

(١) مجمع أفسس المسكونى الثالث :

انعقد سنة ٤٣١ بأمر ثيودوسيوس قيصر تحت رئاسة البابا كيرلس الاسكندرى حضره مائتا أسقف محاكمة نسطور الذى أنكر أن السيدة العذراء والدة الاله وعلم باقنومين فى السيد المسيح فحكم المجمع بحرم هذه البدعة وأثبت ان فى السيد المسيح اقنوما واحدا وطبيعة واحدة من بعد الاتحاد بدون اختلاط ولا امتزاج ولا استحالة ثم وضعوا مقدمة دستور الايمان التى هى « نعظمك يا أم النور الحقيقى ونمجذك أيتها العذراء القديسة والدة الاله لانك ولدت مخلص العالم أتى وخلص نفوسنا . المجد لك يا سيدنا وملكننا المسيح فخر الرسل اكليل الشهداء تهليل الصديقين ثبات الكنائس غافر الخطايا نكرز ونبشّر بالثالوث المقدس لاهوت واحد نسجد له ونمجده يارب ارحم يارب ارحم يارب بارك آمين » ثم أمروا بأن يقرأها كل المسيحيين من الكهنة والشعب شيوخا وصبياناً ورجالا ونساء فى الصلوات والقداست ، وبعد أن ثبتوا الكنيسة بالقوانين انصرفوا الى بلادهم

هذا واننا نختم الكلام على هذا الجبع بقسم من القانون الثامن من قوانينه يتعلق فى ادارة الكنائس واستقلالية كل واحدة منها وهو : « لا يجوز لاحد من الاساقفة الوقورين أن يمد يده الى ابروشية غير ابروشيته ليست له من القديم ومنذ البدء تحت رئاسة أسلافه وان كان أحد وضع يدا وغتصب ابروشية وجعلها فى دائرته فليردها لكى لا تخالف قوانين الآباء ولا يدخل دخان سلطة عالمية تحت برقع الخدمة الكهنوتية ولا نضيع الحرية رويدا رويدا ونحن غافلون . الحرية التى منحها لنا بدمه الخاص ربنا يسوع المسيح محرر جميع البشر فقد رأى المجمع المسكونى أن تحفظ لكل ابروشية حقوقها القديمة القائمة لها منذ الابد سالمة صحيحة وفقا للعادة المرعية منذ القديم بأن كل ميترى بليت له الرخصة أن يحصل على المساواة فى الاعمال لصيانتته وان برز أحد بقانون يخالف القوانين المسنونة الآن فقد رأى المجمع المسكونى المقدس أن يكون ذلك لاغيا » أهـ

(٢) نسطور :

ولد بجرمانيقية المعروفة الآن بمرعش فى سورية وأظهر فى مبدأ أمره غيرته ضد الارىوسيين

والابوليناريوسيين حتى ارتقى الكرسي القسطنطيني وقال فى خطاب يوم رسامته « سلمنى أيها الملك الارض خالية من الهرطقة فاسلمك السما » ولكنه كان يخفى تحت هذا التظاهر الكاذب كبرياء شديدة وقال بعضهم « أن نسطور حارب جميع الهرطقات ليمهد السبيل الى هرطقته » فانه ما عثم أن جلس على الكرسي حتى أخذ يعلم انه لما كان الجزء اللاهوتى من طبيعة المسيح لم يولد من العذراء فلا يحق أن تسمى أم الله بل والدة المسيح الانسان وقصد بذلك أن يمهّد السبيل الى انكار الوهية المسيح الذى قسمه الى شخصين معلما أن اللاهوت لم يتحد بالناسوت بل ساعده فقط . وصرح مرة فى خطبة قائلا « كيف أسجد لطفل ابن ثلاثة شهور قد سجد له المجوس » وقال أيضا « كيف يكون لله أم فاذا يستحق المعذرة الحنفاء الذين كانوا يأتون بأمهات الهتهم فى ملاعبهم وقد كتب الرسول عن لاهوت المسيح انه بلا أب ولا أم ولا ميلاد . ان مريم لم تلد الها بل ما يولد من الجسد ليس الا جسد وما يولد من الروح فهو روح . ان الخليقة لم تلد الخالق بل ولدت انسانا آلة لللاهوت » أهـ

فحالما سمع مؤمنو القسطنطينية هذا الكلام من نسطور قاموا ضده ونادوا بسقوطه ولكنه تشبث بخطائه وأتاه مرة بعض الرهبان يعلنونه عدم مطابقة اعتقاده للايمان القديم فأمر بسجنهم فى الكنيسة وأمر خدامه بنزع ملابسهم وضربهم فصاروا يرفسونهم ويلطمونهم وأوثقوهم بعمود ثم هشموا أكتافهم وطرحوهم على الحضيض وكانوا يضربونهم على بطونهم

ولما انتشرت بدعته قاومها البابا كيرلس كما ذكر وقرر حرمة ونفى الى ديره الاول عله يرعوى عن غيه فلم يقلع عنه بل صار ينفث سمومه برهبان ذلك الدير ولذلك نفى الى أخيم بصعيد مصر وأخيرا مات ذلك الشقى بغوايته وقيل انه لشدة يأسه كسر رأسه

أما أتباع نسطور فاهتموا بنشر بدعته بعد موته وأسسوا لهم مدرسة بالرها ثم طردوا منها فلجأوا الى نصيبين وشرطنوا لهم رئيسا أطلقوا عليه لقب « جاثليق » واستمروا يذيعون بدعتهم ويوجد منهم لليوم فريق فى جبل سنجار على حدود العجم وفى ملبار بالهند

(٣) أوطاخى :

كان راهبا مترأسا على دير بالقرب من القسطنطينية به ٣٠٠ راهب وكان قد قاوم نسطور وأساقفته ببسالة وشكاه لجمع أفسس حيث ذهب بشخصه ليشهد على ضلاله ولهذا كان أصدقاء البابا كيرلس يعتبرونه من المحامين عن الايمان . وفى سبيل المدافعة عن مقام المسيح ضد نسطور تطرف فى التعبير عن طبيعته فقال ان طبيعته الناسوتية اندمجت فى اللاهوتية وحرّم هذا التعليم فى المجمع الافسسى الثانى سنة ٤٩٤ م الذى ترأسه البابا ديوسقوروس الا أن أوطاخى اعترف بايمان مجمع نيقية فحل من حرمة وقام بنشر مذهبه الآب بارسوما وتلميذه صموئيل بن الارمن سنة ٤٦٠ م

الا أن السوريين تركوا بعدئذ نظام التعليم الاوطاخى بفضل جهاد الآب بطرس القصار البطريرك الانطاكى

(٤) بدعة رهبان سكيثى :

ومؤداها أن الله ذو صورة بشرية وأعضاء جسمية . وقد كان من أنصارها راهب اسمه سرابيون قد بلغ من الكبر عتيا وكان مبجلا معتبرا فى دير بهيرية شيهات وهذا كان يعبد الله كأنه انسان بحصر اللفظ . ولبت على اعتقاده هذا مدة من الزمن حتى وقعت بينه وبين رئيس الدير وشماس عالم مباحثه اقتنع منها بأخطائه . وأهل هذه البدعة سلموا بها من سقم فهمهم للكتاب المقدس منها بأخطائه . وأهل هذه البدعة سلموا بها من سقم فهمهم للكتاب المقدس وأخذهم بمعناه الحرفى وتفسيرهم لما جاء فيه عن الله كأن له عين أو أذن أو يمين أو شمال أو وجه الخ تفسيراً حرفياً . ولما اقتنعوا بوجوب تفسير بعض أقوال الكتاب روحياً ألقوا عن بدعتهم الوخيمة

(٥) بدعة مجمع خلکیدون :

وهو أن للسيد المسيح طبيعتين ومشيتين وهو اعتقاد القائلين به الى مذهب نسطور المبتدع القائل بشخصين فى السيد المسيح . وليس من ينكر ان الكاثوليك يعتقدون ان المسيح اثنان لان اصطلاحهم على القول بأن المسيح اقنوم الهى بحث لا ينفى اعتقادهم بأنه اثنان بعد قولهم أنه كيانات وشيئان وذاتان وطبيعتان بل لا ينفى قول لاون أسقفهم فى طومسه المشهور « وحقا يأتى المسيح اثنان (اثنين) الاله والانسان » (١)

أما الذين يخشون من ان التسليم بطبيعة واحدة فى السيد المسيح يجبرهم الى الاعتقاد بالاختلاط والامتزاج فليسمعوا قول القديس ساويرس الانطاكى « اننا اذا قلنا بطبيعة واحدة للسيد المسيح من طبيعتى اللاهوت والناسوت نقول أيضا ان ذلك يكون بغير امتزاج ولا اختلاط ولا فساد بل مع بقاءهما على ما كانتا عليه فطبيعة الانسان من طبيعتى النفس والبدن وطبيعة الجسم من طبيعتى الهيولى والصورة من غير أن تنقلب النفس بدنا ولا الهيولى صورة وبالعكس » أهـ (٢)

والغريب ان الباباوين الذين ينكرون وحدة المسيح الطبيعية فى الوقت نفسه يسلمون بها باعتقادهم ان السيدة العذراء هى أم الله لان اعتقادنا بأن العذراء هى أم الله هو عين الكفران لم نسلم بطبيعة واحدة فى المسيح وفى ذلك يقول أحد الآباء سائلا المخالفين « هل ولدت مريم الها أم

(١) راجع كتاب اعمال مجمع خلکیدون المطبوع بالعربية برومية سنة ١٩٦٤ م .

(٢) مختصر تاريخ الدول لابن العبرى ص ١٤٧

انسانا فان قلمت الها ضللت لان الله لا يولد وان قلمت انسانا كانت أم انسان لا أم اله وذلك تنكرونه وان قلمت ولدت الها وانسانا كانت أم اله وانسان فلها ابنان أحدهما اله والآخر انسان وهذا قول ينقضه العقل ويزيفه فاذا لا يصح الا أن تقولوا ان الاله والانسان صارا واحدا ولذلك مريم ولدت واحدا فالذى ولدته لا الها بالاطلاق ولا انسانا بالاطلاق ولا الها وانسانا بل الها متأنسا وهذا هو الحق» أه

وليس من ينكر ان الكنيسة الرومانية قبل الانشقاق وبعده أحيانا كانت تسلم برأى الكنيسة القبطية أى بطبيعة واحدة للسيد المسيح واليكم شهادة صاحب كتاب «تاريخ الانشقاق» وهو أحد كهنة كنيسة الاروام الارثوذكس التى تتفق مع الكنيسة الباباوية لا معنا فى هذه القضية قال فى ج ١ ص ١٩٢ «وكان معلمو الغرب على الغالب متفقين مع الاسكندرانيين فى المنهج والتعبير كما يتضح من رسائل يوليوس بابا رومية الى ديونيسيوس أسقف قبرص فى أواسط القرن الرابع حيث ينكر الاعتراف بطبيعتين استناد على قول الانجيل «والكلمة صار بشرا» وقول بولس «رب واحد يسوع المسيح» ويعترف بطبيعة واحدة لللاهوت الغير المتألم والناسوت المتألم» أه

والاسقف الرومانى انور يوس فى سنة ٦٢٥ م دافع عن مشيئة واحدة فى السيد المسيح بشهادة مؤرخى الكاثوليك أنفسهم فقال ليفونسيوس ليكورى أحد الذين يعترفون بقداستهم فى كتابه «تاريخ الهرطقات» ص ١٠٨ ان انور يوس قال «اننا نعتقد مشيئة واحدة فى المسيح لان اللاهوت لم يأخذ خطيئتنا بل طبيعتنا كما خلقت قبل انفسادها بالخطية» أه وقال ليفونسيوس أيضا «ان البعض من المؤرخين الكاثوليك استنتجوا من هذا ان انور يوس سقط فى هرطقة المونوطوليتين» أه وشهد بذلك أيضا المعلم لومند اليسوعى مؤلف كتاب «خلاصة تاريخ الكنيسة» ج ١ ص ٢٨٨ و ٢٨٩

ووافق انور يوس على الاعتقاد بمشيئة واحدة أسقف رومانى آخر وهو يوحنا الرابع سنة ٦٤٠ م كتب للملك قسطنطين الثانى يحامى عن انور يوس يقول «ان البعض كانوا يعتقدون ان فى يسوع المسيح ارادتين متضادتين فلهؤلاء أجاب البابا انور يوس ان يسوع المسيح الاله الكامل والانسان الكامل اذ أتى ليصلح فساد الطبيعة البشرية فحمل به وولد دون خطيئة وكذلك لم تكن مشيئتان متضادتان ومشيئة جسده لم تضاد قط مشيئة روحه» (تاريخ الهرطقات ص ٣٠٩)

وقال ليفونسيوس أيضا تعليقا على ذلك «لا ننكر ان انور يوس أخطأ اذ أمر بالصمت على من يقول ان المسيح مشيئة واحدة لانه متى كان الكلام فى ضلال فالامر بالصمت عنه يكون نفس محاماة الضلال وحينما وجد الضلال وجب اشهاره ومصادمته وهذا قام نقص انور يوس»

(الهرطقات ٣٠٩) أهـ فيها قد رأينا ان أعظم قديسى الكنيسة الكاثوليكية يجاهر بخطأ ونقص أحد باباواتها فأين اذا تلك العصمة الموهومة ؟

وجاء فى كتاب « الايمان الصحيح فى السيد المسيح » ص ١٤٢ الذى ألفه أسقف روماني خطابا لرؤساء كهنة القبط والحش والارمن والسريان يستدعيهم به الى الانضمام لرأيه فى الطبيعة والمشيئة ما نصه : « ان الكنيسة الكاثوليكية تطعن بالحرم من لا يعتقد بأن المسيح هو طبيعة واحدة للكلمة المتجسدة وان سألت أين يوجد هذا الحرم أجيبك على الفور كما تدون فى المجمع الانرانى المنعقد بأمر القديس مرتينوس البابا سنة ٦٤٩ م فى القانون الخامس بهذه الالفاظ « من لا يعتقد بموجب رأى الآباء القديسين انها موجودة طبيعة واحدة متجسدة لله الكلمة فى المسيح خاصة وحقا دلالة على أن المسيح الاله أخذ جوهرنا كله كاملا ما عدا الخطيئة فليكن محروما » أهـ والادهى أن هذا القانون لم يصدر قبل المجمع الخلكيدونى بل بعده وهو يدل صراحة على أن الكنيسة الباباوية كانت تحرم من لا يقول بطبيعة واحدة فى المسيح

وقال صاحب كتاب « تاريخ الهرطقات » عن المسيح ليلة آلامه « فان كان الناسوت وحده قد أطاع وصلى وتألم واذا لم تكن تقلمة المسيح وصلاته وتوسطه أفعالا صادرة عن الكلمة بل عن الناسوت فقط بنوع ان الاتحاد أقنومى لم يساعد بشىء ليكون مبدأ أفعاله كاملا فينتج من ذلك ان ناسوت المسيح كان يفعل من ذاته وان كان الامر كذلك فيجب أن يقال انه كان حاصلا على قيام بنفسه وكان له أقنوم خاص متميز عن أقنوم الكلمة وها هوذا فى المسيح أقنومان كما يزعم نسطور» أهـ فليسمع الباباويون قول قديسهم هذا الذى نقض به رأى برويار اللاتينى الذى كان يزعم ان ناسوت مخلصنا وحده أطاع وصلى وتألم وان تقدمته وصلاته وتوسطه لم تكن أفعالا صادرة عن الكلمة كأنه مبدأ طبيعى وفعال بل انها كانت أفعال الناسوت خاصة وانه فى مدة وجوده فى القبر بطل ان يكون ابن الله الى غير ذلك من الآراء المردولة التى كان يمكنه أن يوفر على نفسه تعب الرد عليها بتلك المحاولة اذا سلم بوحدة المسيح الطبيعية

وفى كتاب « اعتراف الآباء » المعتبر بكنيستنا القبطية طائفة كبيرة من شهادات الآباء العظام المعترف بقداستهم من الكنائس المسيحية تشهد بطبيعة واحدة للسيد المسيح فننقل بعضها كتاب « نفح العبير » ص ٢٠٦ — ٢٢٦ :

قال القديس اغناطيوس البطريرك الانطاكى الاول الشهيد فى رسالة له « نحن نؤمن ان المسيح الاله تألم بالجسد كالانسان وهو غير متألم كالاله وذاق الموت بالجسد وهو غير مائت كالاله فاذا سمعت أن الله تألم عنا وان الله الكلمة مات لاجلنا فافهم انا نوصل الطبائع الى وحدانية اللاهوت والى الناسوت »

وقال القديس اغريغوريوس العجائبي من كتاب له فى الامانة « الله الحقيقى الغير جسد ظهر فى الجسد وهوتام فى اللاهوت الحقيقى الكامل ليس هو شخصين ولا هو طبيعتين ولا نقول انا نعبد رابوعا الله وابن الله وانسانا والروح القدس ومن أجل هذا نحرم المنافقين »

وقال القديس اثناسيوس الرسولى من مقالة له على التجسد الالهى وقد استشهد بها القديس كيرلس الاسكندرى أكثر من مرة وهى واردة فى تاريخ المجمع الافسىى دفعتين فى الجزء الاول والثالث « وليس نقول عن هذا الابن الواحد انه طبيعتان واحدة نسجد لها والاخرى لا نسجد لها بل طبيعة واحدة لله الكلمة المتجسد »

وقال أيضا فى رسالته الى ابيكتيتوس وقد استشهد بها القديس كيرلس وتحررت فى تاريخ المجمع المسكونى الثالث الافسىى دفعتين فى الجزء الثانى والثالث وهكذا « وكيف يتجاسر الذين يدعون مسيحيين على أن يشكوا فى هل ان السيد الذى ولد من مريم هو ابن الله بالجواهر والطبع وانه بحسب الجسد هو من زرع داود من جسد القديسة مريم ومن هم الذين يتجاسرون بهذا المقدار حتى يقولوا ان المسيح الذى تألم وصلب بالجسد ليس هو برب ولا بمخلص ولا اله ولا ابن الآب »

وقال القديس باسيليوس الكبير فى تفسيره قول الحكيم « ان الرب خلقنى » « وليس انا نقول على الابن الوحيد انه اثنان ولا نقول ان اللاهوت (منفرد) بذاته ولا اللاهوت بذاته بل نقول طبيعة واحدة واقنواما واحدا »

وقال القديس اغريغوريوس أخو باسيليوس المشار اليه فى مقالة له على عماد سيدنا وصوت الآب الشاهد له بالبنوة هكذا : — قال (أعنى الله الآب) « هذا هو ابنى الحبيب الذى به سررت » ليس هو ابنى وآخر ابن مريم « ليس هو واحدا الذى ولد فى المغارة وآخر غيره سجدت له المجوس . له هو الذى اصطبغ وغيره لم يصطبغ بل هذا هو ابنى الحبيب الذى به سررت »

وقال القديس يوليوس أسقف رومية الموماً اليه فى رسالته المذكورانه أرسلها الى ديونيسيوس أسقف قبرص فى أواسط القرن الرابع « وبالضرورة يلزم الذين يعتقدون بطبيعتين أن يسجدوا للواحدة ولا يسجدوا للآخرى وان يعتمدوا بالتى للاهوت ولا يعتمدوا بالتى للناسوت ولكن ان كنا نعتقد بموت الرب فهى طبيعة واحدة نعترف بها للاهوت الغير المتألم والجسد المتألم لكى تكون صبغتنا هكذا فى الله وتكمل بموت الرب »

وقال القديس غريغوريوس النزينزى الناطق بالالهيات فى مقالته على اللاهوت « هو ابن واحد وليس المسيح طبيعتين بعد الاتحاد ولا مفترقا ولا مختلطا فى ما اجتمع من الجهتين طبيعة اللاهوت وطبيعة الناسوت اجتمعتا الى وحدا »

وقال القديس العظيم يوحنا الذهبي فه في المقالة الثالثة من تفسيره رسالة أفسس « ولكنى أبين الامر ان الله الكلمة أخذ الانسان كله من طبيعتنا وهو كامل فى كل شىء وله اقنومه فيه أعني الكلمة فلاجل هذا نقول عنه انه طبيعة واحدة الله الكلمة صار جسداً »

وقال القديس ثاودودوطسس أسقف انكور يا من خطبة له على الميلاد السيدى وتليت خطبته هذه فى المجمع الافسى المقدس وسجلت بالجزء الثالث من تاريخ المجمع المشار اليه « لان الذى اتحد لا يسمى اثنين بل واحد وان قسمتها بالعقل وتأملت كل واحد منهما بمفرده فقد حللت الاتحاد والوحدة »

وخير ما نختتم به هذه الشهادات شهادة البابا كيرلس الاسكندرى فى ختام كتابه الى ثيودوسيوس قيصر « اننا لا نعزى الناسوت من اللاهوت ولا نعزى الكلمة من الناسوت بعد ذلك الاتحاد الغامض الذى لا يمكن تفسيره بل نعترف بأن المسيح الواحد هو من شيئين قد اجتمعا الى واحد مؤلف من كليهما لا يهدم الطبيعتين ولا باختلاطهما بل باتحاد شريف فى الغاية بوجه عجيب » أهـ

القرن السادس

القسم الأول تاريخ البطاركة

(٢) ديوسقوروس ٢

(٤) ثيودوسيوس ١

(٦) دميان

(١) يوحنا ٢

(٣) تيموثاوس ٣

(٥) بطرس ٤

(١) يوحنا ٢ :

البطريك الثلاثون . قضى بضع سنين راهبا قبل رسامته مقيا في دير الغار الذي كان على مقربة من بليس (بمديرية الشرقية) وكان يلقب بالحبيس بالنسبة لبقائه مترهبا في مكان واحد مدة طويلة . وكان ذا قرابة بسلفه البابا يوحنا الاول . وحال ارتقائه الكرسي المرقسي في باؤه سنة ٢٣٤ ش و ٥٠٧ م في عهد اناستاس قيصر كانت الكنيسة المصرية قد أخذت قسطها من الراحة والحرية فأتسع نطاقها واستردت ما فقدته من المراكز الدينية بسبب الاضطهاد . وتلقى هذا البابا عقب جلوسه على السدة البطريكية رسائل عديدة من رؤساء الاساقفة الارثوذكسين يهنئونه بوظيفته و يؤيدون له الاعتراف بالايان الصحيح و يرفضون كل هرطقة خصوصا هرطقات نسطور وأوطاخي وابوليناريوس معترفين بوحدة المسيح الطبيعية

وكانت الرسائل متبادلة على الاخص بينه وبين بطريك انطاكية المدعوسا ويرس الذي اشتهر بالتعصب للطبيعة الواحدة وبمقاومة مجمع خلقيدون وكان قبل رسامته مقيا في الاسكندرية ثم اختير بطريركا لانطاكية . وقد اسف القيصر فيما بعد لتعيينه آياه بطريركا على انطاكية لانه كان لا يعرف للتسامح في عقيدته معنى وقد حاول القيصر أن يجعله يتنازل عن مبدئه سواء بالقوة أم باللين فلم يجد الا الالباء الشديد

فأرسل الانبا ساويرس بطريك انطاكية هذا الذي جلس على كرسي القديس اغناطيوس الكبير سنوديقا الى البابا يوحنا الاسكندري بالاتحاد في الامانة و يبشر فيها بالاتفاق بينهما في الامانة الواحدة الارثوذكسية التي للآباء القديسين . فقبلها البابا يوحنا شاكرا هو وأساقفته وقرأوها في كنائسهم وفي جميع أنحاء الكرازة المرقسية واصعدوا صلوات وشكروا السيد المسيح الذي أعاد الاعضاء المقطوعة الى مواضعها . وكتب أيضا البابا يوحنا الى القديس ساويرس جوابا يشرح فيه

الامانة المستقيمة ففرح به هذا الآب فرحا عظيما . وأقام البابا يوحنا بطريركا احدى عشرة سنة وتنيح فى الثانى عشر من بشنس سنة ٢٤١ ش و٥١٧ م .

(٢) ديوسقوروس ٢

البطريرك الحادى والثلاثون . ولما تنيح البابا يوحنا كان له كاتب يدعى ديوسقوروس ابن عم البابا تيموثاوس الاول . وكان رجلا كاملا محبوبا من الشعب حتى طلب القيصر نفسه تعيينه . الا أن الكنيسة القبطية لم تكن لترضى مطلقا بتدخل القياصرة فى انتخاب بطاركتها . فهدأ ديوسقوروس خواطر الشعب بوعده اياهم برفض تعيين القيصر و يسلم ذاته لهم لينتخبوه أو لا ينتخبوه حسب ما يتفق مع ارادتهم ومع قوانين الكنيسة . فلبث المصريون مدة دون أن يرسموه حتى هدأت الاحوال فأقيم بطريركا بكنيسة ماريوحنا وتمت رسامته فى شهر هاتور سنة ٢٤٢ ش و٥١٧ م فى عهد اناستاس قيصر باحتفال عظيم . وقام البطريرك بالخدمة وتناول الاسرار المقدسة

وقد امتدح المؤرخون هذا البابا بالنسبة لحسن تصرفاته وجميل طباعه التى يندر من يتصف بها . وعقب رسامته مباشرة كتب رسالة الى الآب ساويروس يذكر له فيها نياحة البابا المغبوط يوحنا وجلوسه بعده على الكرسي الرسولى . فكتب اليه يعزيه و يعلمه انه مشترك معه فى الامانة المستقيمة التى ينبغى المداومة على التعليم بها والمحافظة عليها

وحدث ان القيصر اناستاسيوس غضب على قوم بالاسكندرية فخاف الجميع وطلبوا من البابا ديوسقوروس أن يذهب لمقابلة القيصر فى القسطنطينية و يتوسط لديه حتى يرضى عليهم . فسافر البطريرك الى القسطنطينية وتمكن من الحصول على عفوعام للكل . وقيل ان هذا البابا الموقر صادف تعديات كثيرة واهانات مرة من أنصار مجمع خلکیدون فى القسطنطينية ولكنه احتملها بصبر تام ولم يرد أن يجاوب أولئك الاشرار بكلمة واحدة بينما كانوا يوجهون اليه قوارص الكلام أثناء مروره فى شوارع القسطنطينية العمومية

ولم تطل حياة هذا البطريرك العظيم فلم يلبث على الكرسي البطريركى سوى ثلاث سنين وفى قول آخر سنة واحدة ونصف وتنيح فى السابع عشر من بابه ولحق بآبائه فى سنة ٢٤٤ ش و٥٢٠ م

(٣) تيموثاوس ٣ :

البطريرك الثانى والثلاثون . اختير للكرسي البطريركى فى هاتور سنة ٢٤٤ ش و٥٢٠ م فى عهد يوستينوس قيصر الاول لما اتصف به من التعقل والحكمة وكان من المتمسكين بوحدة المسيح الطبيعية والمتعصبين ضد مجمع خلکیدون نظير ساويرس بطريرك انطاكية ولذلك جدد معه العلاقات حال استلامه مقاليد الرئاسة وحرر له رسالة متضمنة الايمان الصحيح . واتفق بعد سيامته

ان توفى انستاسيوس القيصر المؤمن وأقيم بعده رجل ردىء من أنصار مجمع خلکیدون اسمه يوستينوس سنة ٥٢٧ م ، فلما جلس على كرسى القيصرية بذل جهده ليعيد كل المؤمنين الارثوذكسيين الى اعتقاد مجمع خلکیدون ووجه نظره بالاخص لمسيحي مصر قاصدا اضطادهم لانهم كانوا أكثر من غيرهم كراهة لمجمع خلکیدون ورسالة لاون . وعين لذلك قوة عسكرية وفدت على الاسكندرية لكى ترغم أهلها على قبول قرارات المجمع الخلکیدونى

ولما عرف البابا تيموثاوس الخطر المحدق برعيته أرسل وفدا الى القيصر يطلب منه الغاء هذه الاجراءات خوفا من حدوث ثورة تصطك من هوها الركب . وتقابل هذا الوفد مع امرأة القيصر وكانت على مذهب المصريين فأقنعت القيصر بالعدول عما دبره بخصوص ذوى الطبيعة الواحدة فقبل وأرسل الاوامر الى جيشه بمبارحة الاسكندرية والذهاب الى أقاليم شمالى افريقيا الغربية

ولكن القيصر عاد فيما بعد وشرع فى عقد مجمع بالقسطنطينية الغرض منه اجبار الارثوذكسيين على اعتناق مذهب الخلکیدونيين ودعا اليه جميع رؤساء الكنائس فحضر منهم كليسوس أسقف رومية وابوليناريوس الذى صيره القيصر بطريركا ملكيا على الاسكندرية فيما بعد واوطيخوس بطريك القسطنطينية والساقفة الذين تحت أيديهم

وكان أول من حتم عليهم القيصر بحضور المجمع البابا تيموثاوس بطريك الاسكندرية وساويرس بطريك انطاكية . فأما البطريك الاسكندرى فلما كان يعلم غرضه السىء أبى قبول هذه الدعوة واستمر فى مركزه مدبرا رعيته . فهاج لذلك غضب القيصر وأمر بالقبض عليه لينفى فتعرض لهذا الامر الارثوذكسيون وهددوا كل من يمد يده الى بطريركهم . فأمر الملك والى الاسكندرية بأن يردهم بالقوة فحدثت اذ ذاك مجزرة عظيمة أسفرت عن قتل عدد عظيم من الارثوذكسيين وبذلك أمكن للوالى القبض على البطريك ونفيه فاستمر ثلاث سنوات فى المنفى قاسى فيها شدائد عظيمة جدا وبعدها رجع الى مركزه

أما الآب ساويرس بطريك انطاكية فانه قبل دعوة القيصر لحضور المجمع فى القسطنطينية وذهب اليه ومعه بعض علماء الاساقفة منهم فيلوكسينوس أسقف مابوغ . فلما وصل الى القسطنطينية أكرمه الملك فى البداية اكراما عظيما ظانا انه بذلك يستجلبه الى الخلکیدونية ويساعده على تعميم اعتبار طومس لاون . ولكنه لما جاء يوم انعقاد المجمع حضر جميع الاساقفة الى الآب ساويرس الشجاع فقال ان لم يحرموا أولا طومس لاون والمجمع الخلکیدونى المرذول فلا أقبل الاجتماع مع أحد . ففى الحال أمر القيصر باضطهاده فنزلت عليه البلايا وحلت به الشدائد وألقى فى السجن هو وبعض أساقفته والبعض الآخر نفى وأقيم مكانه رجل خلکیدونى المذهب يدعى بولس . وبعد سنتين أفرج عنه بسؤال الملكة ثيودوره المؤمنة فهرب من القسطنطينية وجاء القطر المصرى فقابله البابا تيموثاوس بكل احترام وخوفا من سطوة الحكومة كان يهرب من مدينة الى مدينة ومن دير الى

دير حتى انطلق أخيرا الى مدينة سخا (بديرية الغربية) واختفى فى بيت ارخن (١) يدعى درتاوس كان مشهورا بالاهتمام بأمور الشيوخ والرهبان الذين رفضوا ضلال يوليانوس الهرطوقى وكان الاب ساو يرس يكاتب الاساقفة أصحابه الذين بالاسكندرية ويعزهم و يصبرهم و يوصيهم أن يثبتوا على الشدائد

أما البابا تيموثاوس فبعد رجوعه من منفاه لبث مستمرا على مبادئه الارثوذكسية حتى ظهر يوليانوس الاليكريشى من القسطنطينية وأخذ فى نشر بدعة أوطاخى فحرمه وفصله من شركة الكنيسة . وخرج الآب ساو يرس من مكمنه واشترك مع البطريك الاسكندرى فى مقاومة هذه البدعة وكتب الآب ساو يرس رسالة الى يوليانوس يفند له فيها بدعته . ثم قضى البابا تيموثاوس ما بقى من حياته مجاهدا فى سبيل الامانة المستقيمة مشتركا مع الآب ساو يرس ودحض جميع مقالات يوليانوس . وكانت مدة مقامه بطريركا على كرسي الاسكندرية سبع عشرة سنة توفى فى الثالث عشر من أمشير سنة ٢٦٠ ش و ٥٣٦ م

(٤) ثيودوسيوس ١ :

البطريك الثالث والثلاثون . وبأمر الله اجتمع الاساقفة والشعب الارثوذكسى بعد نياحة البابا تيموثاوس الثالث وبتدبير السيد المسيح . سوا على اختيار الآب ثيودوسيوس لكرسي البطريكية . فى أبيب سنة ٢٦٠ ش و ٥٣٦ م فى عهد يوستينانوس قيصر الاول وكان معروفا بالعفة مشهورا بالنبوغ فى العلوم الكنسية . وبعد رسامته عقد مجمعا حرم فيه مجمع خلکیدون ورسالة لاون وسائر الهرطقة وخصوصا يوليانوس الذى كان ينفث سمومه فى القويمى الرأى حينئذ بالديار المصرية . فاغتياظ يوليانوس وأراد أن يدبر له مكيدة . فوقع نظره على ارشدياقن البيعة الاسكندرية . وكان رجلا طاعنا فى السن يدعى قيانوس وكان قائما وقت رسامة البابا ثيودوسيوس بطريركا مع الاساقفة والكهنة واستمر فى البيعة حتى نصبوه وكتبوا تقليده وقدموه لرتبة الرئاسة على الكرسي الرسولى وكملوه باتفاق جميع الشعب المسيحى المحب لله

فاحتال يوليانوس الهرطوقى وبعض الاشرار نظيره على قيانوس هذا وخدعوه بقولهم له انه كان ينبغى أن تكون رتبة البطريكية له لا سواه واستمروا يغشونه حتى اغتر بأقوالهم الرديئة وسمح لهم أن يأخذوه الى بيت قس ردىء الفعل محب للمال يدعى ثيودوروس وهناك رسموا قيانوس بطريركا . ثم مضى يوليانوس الهرطوقى الى صديقه يوحنا والى الاسكندرية وأجزل له الهدايا ورشاه بالاموال حتى رضى بطرد ثيودوسيوس البطريك من كرسي الاسكندرية وأخفى أولئك الاشرار عن الوالى ما دبروه بخصوص اقامة قيانوس مكانه . ثم قاموا فى الحال وعزموا على الهجوم

(١) كلمة يونانية معناها هدية الله .

على البطريك ليلا . وبينما كان القديس فى تلك الليلة قائما بصلاة نصف الليل اذا به يسمع ضجة عظيمة أدرك منها عظم الخطر المحيط به فخرج من مخدعه حالا وهرب الى جهة حرسمانوس ومكث هناك ستة شهور دون أن يعلم القيصر بكل ما جرى

وقد صادف البابا ثيودوسيوس متاعب جمّة من أولئك الاوباش أى قيانوس المخالف ومن معه . وكان الوالى مجتهدا فى انقاذه منهم خوفا من اغتيالهم له فتشاور مع بعض الاباء وانزلوه فى مركب فى البحر ومضوا به الى قرية مليج من اعمال مصر واجتمع فى الاسكندرية حينئذ ثلاث فرق من المسيحيين احداها (المستقيمى الرأى) وقد نسبوا لبطريكهم المنفى ودعوا بالثيودوسيين والثانية (الخياليون) اتباع يوليانوس وسلفه أوطاخى والثالثة (الخلكيدونيون) أو الملكيون التابعون لمذهب المملكة

واستمر البابا ثيودوسيوس سنتين فى منفاه حتى قلق الارثوذكسيون وطلبوا من الوالى بالحاح ان يعيده لهم فخاف منهم واخرج قيانوس من المدينة وأرسل يخبر الملكة الارثوذكسية بذلك . فلما بلغ الخبر مسامع الملكة كلمت زوجها بحكمة محدثه اياه بكل ما جرى للبابا ثيودوسيوس . ففرح القيصر فى قلبه بما حل بمن لم يشاركه فى أمانته الفاسدة الا أنه ترك الحرية لزوجته تعمل ما تريد . فتصرفت الملكة بتعقل وأرسلت الى والى الاسكندرية تستخبر منه عن قانونية رسامة ثيودوسيوس

فجاء رسل الملكة الى الاسكندرية وحال وصولهم اخبرهم الوالى وكل من نال رشوة من قيانوس ان رسامة قيانوس حق وانه هو الاولى فى الرسامة غير ان قولهم لم يثبت اذ اجتمع نحو مائة وعشرين رجلا من الكهنة ومقدمى المدينة وكتبوا تقريرا يعترفون فيه بقانونية بطريكية ثيودوسيوس . ثم اجتمعوا برسل الملكة فى البيعة واجتمع معهم جميع اهالى الاسكندرية وأخذوا يستفهمون من جميع الحاضرين عن ثيودوسيوس وهل رسامته شرعية فاجعت كلمة الكل على صحتها وانها تقدمت رسامة قيانوس بشهرين . وبينما هم يبحثون حضر قيانوس بنفسه امام تلك الهيئة واعترف بالحقيقة طالبا الصفح عن تعديه ووضع توقيعته مع المعترفين وصرح بانه خادم مطيع للبابا ثيودوسيوس وانه يرتضى بان يكون ارشدياقنا كما كان . ففرح الجميع بذلك ممجدين الله وزاد سرورهم برجوع بطريكهم المغبوط اليهم بسلام

ولما رجع البطريك الى كرسية خضع قيانوس له ثم تقدم بالشكر لرسل الملكة وارسل معهم رسالة للقيصر وامراته يخبرهما فيها بكل ما جرى فلما وصل الرسل وسلموا الرسالة للقيصر واطلع على كل ما فيها اضطربت افكاره الخلكيدونية وقال فى نفسه هوذا أنا سلمت كرسى الاسكندرية لثيودوسيوس ولكنى لا أضمن مساعدته لى على تعميم عقيدتى ولو اضفت الى كرسيه جميع ولايات افريقية . وفى الحال أملى عليه الشيطان كتابا لوالى الاسكندرية ومقدميها وللبابا ثيودوسيوس ليجتذبه فيه الى اعتقاد مجمع خلكيدون وطومس لاون ويساعده على نشره ووعدته مكافأة على ذلك

ان يمنحه كرسى البطريركية والولاية فى مصر و يكون جميع اساقفة افريقية تحت طاعته . ثم هددته بأنه اذا لم يطع ولم يرض فليخرج من البيعة ليمضى الى حيث يشاء

فلما قرأ البابا المجاهد المغبوط البطريرك ثيودوسيوس المعترف بالمسيح كتاب القيصر هتف امام رسل الملك والوالى والجمع المحتشد قائلا « ان ابليس أخذ السيد المخلص واصعده على جبل عال وأراه جميع ممالك العالم ومجدها وقال له كل هذه اعطيكها ان تسجدت لى . هكذا انتم أتيتم تعدونى بان أصير غريبا عن المسيح الملك الحقيقى حبا فى مجد الدنيا الباطل » ثم رفع يديه أمام الجميع وقال « بالحقيقة أحرم طومس لاون وجميع خلقيدون وكل من يعترف بهما فهو محروم من الان والى الابد آمين » ثم قال للوالى وجميع جيش القيصر « ليس لمولاكم سلطان الا على جسدى الفانى ولكن نفسى فى يد مخلصى والان هوذا البيع وكل ما فيها امامكم ومهما أردتم فافعلوه وأما انافتاب لايان آبائى الذين تقدمونى اثناسيوس وكيرلس وديوسقوروس وتيموثاوس وغيرهم الذين صرت أنا نائبا لهم بغير استحقاق » ثم قام وخرج وقال « من كان يحب الله فليتبعننى » فخرج وراءه الارثوذكسيون . ولم يشأ الوالى ان يقبض عليه بل تركه يذهب الى حيث يشاء كأمر القيصر فخرج من المدينة وقوة السيد المسيح ترشده بل ان الوالى نفسه اهتم بأمره وأعد له كل ما يحتاج اليه وحمله فى مركب الى صعيد مصر حيث أقام أربع سنين يعلم الشعب والكهنة والرهبان فى الديارات ويثبتهم على الامانة الارثوذكسية و يصبرهم على احتمال الاضطهاد حتى الموت

أما رسل القيصر فرجعوا اليه واعلموه بالخبر فاندعش هو وجميع رجال بلاطه من ثبات ثيودوسيوس على أمانته ورفضه كل تلك الهبات . وأقام القيصر عوضا عنه رجلا يدعى بولس النيسى وكان هذا الرجل اجنبيا عن مصر شب ودب فى طرسوس وبدون ان يعلم المصريون من أمره شيئا رسمه القيصر فى القسطنطينية فصار هذا الرسم قاعدة لبطاركة الملكيين ان يرسموا بالقسطنطينية ويسيروا للاسكندرية . وقد تم هذا كله سنة ٥٤١ م . وجاء بولس الى الاسكندرية تحرسه قوة عسكرية هائلة ولكن المصريين لم يقبلوه ولم يعبأوا به ولم يحسبوا لوجوده بطريركا عليهم أدنى حساب ولم يفاتحه أحد منهم بكلمة واحدة بل كانوا يلقبونه يهوذا الثانى . ولم يكونوا يعرفون لهم بطريركا آخر سوى ثيودوسيوس المنفى الذى كانوا يطيمونه ويخضعون لأوامره التى كان يرسلها اليهم

واستمر بولس سنة على هذا المنوال حتى اضطر أخيرا ان يخبر القيصر بان المصريين يهربون منه كما يهرب الحمل من الذئب . فرد عليه القيصر بكتاب يأمره فيه أن يغلق ابواب البيع التى بمدينة الاسكندرية ويختم عليها بخاتمه ويجعل عليها حراسا حتى لا يدخلها أحد مطلقا . وقنع بولس من الرئاسة بوضع يده على الكنيسة الكبرى المسماة بالكنيسة القيصرية ثم استحوذا بمساعدة الجيش على عدة كنائس مهمة غيرها .

أما المسيحيون فلما سَمِعُوا بأمر قفل الكنائس حزنوا مفرطاً ومكثوا سنة كاملة بدون ان يصلوا في كنيسة ما ولم يكن يعزهم سوى كتب بطريركهم المنفى التي كانت ترد اليهم بين آن وآخر. ولما زاد قلقهم اجتمعوا وتشاوروا في بناء بيعة فتم لهم ذلك وبنوها بقوة المسيح غربى الاسكندرية في الموضع المعروف بالسوارى والصربيون على اسم الانجيليين ثم بنوا كنيسة أخرى شرقى الملعب غربى الاعمدة قليلا على اسمى قزمان ودميان وبنوا كنائس أخرى سموا احداها الكنيسة الملائكية نكايه في الكنيسة القيصرية

فلما علم بذلك القيصر أنفذ وفتح جميع البيع وجعلها تحت سلطان الخلكيدونيين . فلما علم البابا ثيودوسيوس ناح وبكى وطلب الرب من أجل ثبات أمانة شعبه وكان يصلى ويقول « ياربى يسوع المسيح أنت أشرتيت هذا الشعب بدمك الشريف وأنت المهتم بهم فلا تتخل عنهم بل لتراعهم عنايتك »

ولم يكن بولس البطريرك الدخيل مبغوضا من المصريين فقط بل من بعض الرومانيين أيضا بالنسبة لدنائة اعماله . ولما رأى قوة الحكومة تحت يده شرع فى أن ينتقم من الجميع . وبدأ اعماله بنقل ايلياس قائد جنود الوجه القبلى الى مكان اخر حتى يضعف قوة الاقباط فى الصعيد . فشرع بيوس احد شمامسة الكنيسة الاسكندرية بالامر فأرسل كتابا لايلىاس يخبره به فوقع الكتاب فى يد أحد أتباع بولس فجاءه به ولذلك أمر بولس بالقبض على الشماس المسكين متها اياه باهمال مصلحة الكنيسة وتبديد ايرادها وسلمه الى عهدة درون والى مصر فاستمر يعذبه الى ان أسلم روحه

فرفع أقرباء الشماس بيوس دعواهم الى القيصر فأمر بعزل درون والى وعين بدله ليبريوس وأمره باجراء تحقيق دقيق فى قضية بيوس ولكن بولس البطريرك الدخيل ودرون والى السابق أخذ كل منهما يلقي التبعة على الآخر فاسفر التحقيق عن ادانة كليهما فحكم بالاعدام على درون وبالنفى على بولس وحكم عليه بالعزل والحرمان من بطريركيتى انطاكية واورشليم . وعين القيصر عوضه رجلا يدعى زيلوس . ولم يكن لهذا البطريرك أى اعتبار لدى الاقباط وعاملوه بنفس المعاملة التى عاملوا بها بولس قبله غير معترفين بأحد رئيسا عليهم سوى ثيودوسيوس .

وحدث أن يوستينوس قيصر توفى وملك عوضه يوستينانوس وكان أشد كرها للارثوذكسيين غير أنه فى مبدأ أمره نهج منهجا يختلف عن خطة سلفه وأظهر لنا نحوهم وأمر باستحضار ثيودوسيوس اليه من النفى وترك له نوعا من الحرية واذ خاف لئلا يؤول ذلك الى تعميم الارثوذكسية تظاهر بأنه يريد عقد مجمع بالقسطنطينية ينهى فيه القضايا التى تدور عليها المنازعات وكتب رسالة مملوءة عطفاً للبابا ثيودوسيوس ووعدته بان لا يلحقه أذى وأوصى حامل الرسالة ان ينطلق به حتى يتقدمه الى العاصمة

فعزم البطريرك على مقابلة القيصر واستعان بقوة السيد المسيح وأخذ معه عددا من علماء كهنته ولما وصلوا الى القسطنطينية دخل الى القيصر وأمرأته فلما عاينوا سكينته وتواضعه وفضله استقبلوه حسنا وأنزلوه فى مواضع أعدوها له ومن معه . ثم أ استدعاه القيصر اليه مرارا وهو يكلمه بكل رقة ليستميله الى جانب مجمع خلكيدون ولكنه لم يفلح فى تغيير عقيدته . ولما تقابل معه البطريرك ثالث دفعه وأخذ يعده بالكرامة ان هو أطاع رأيه قال له « لا حياة لا موت ولا غلاء ولا عرى ولا سيف يصد قلبى عن أمانة آبائى » فغضب عليه الملك وألقاه فى احد سجون القسطنطينية مدة وبعد ذلك نفاه واستمر فى المنفى حتى أدركته المنية فرقد فى الرب بعد ان قضى مدة اثنتين وثلاثين سنة بطريركا صرف منها ٢٨ سنة فى اماكن المنفى ووضع من المقالات والتعاليم فى مدة بطريركيته الشئ الكثير . وانتقل بسلام الى السيد المسيح الذى كان يحبه فى اليوم الثامن والعشرين من شهر باؤونه سنة ٢٨٣ ش ٥٦٨ م

وكانت علاقة هذا البابا بالاب ساو يرس بطريرك أنطاكية متينة للغاية . وكان الاب ساو يرس فى مدة البابا ثيودوسيوس لازال فى بيت دروتاوس المار ذكره وكان هذا الرجل قد امكنه ان يمضى الى ارسطاماخوس الوالى وسأله ان يترأف على شيوخ الرهبان الذين فى البرية بان ينعم عليهم ويمكنهم ان يبنوا بيعا عوضا عما أخذه منهم الهراطقة . وكان الاب ساو يرس قد وضع كتبا قهر انصار الطبيعتين واستمر مجاهدا طول حياته حتى مر عليه ثلاثون سنة منذ رسم بطريركا على انطاكية وهو صابر على اضطهاد المخالفين . ثم تنجح مسرورا بمقابلة المخلص الذى دافع عنه طول حياته

(٥) بطرس ٤ — البطريرك الرابع والثلاثون . لما نفى يوستينانوس قيصر البابا ثيودوسيوس المرة الاخيرة وضع منشورات بحرم بعض مشاهير المصريين والفلسطينيين وارسل لبطريركه زويلوس فى مصر ان يوقع عليه فرفض فى مبدأ الامر ولكنه رجع وامتنع فنفاه وعين اغيره رجلا يدعى أبوليناريوس الذى أتى من القسطنطينية الى الاسكندرية بلباس قائد ومعه قوة عسكرية لتوطيد رئاسته فلما قدم الاسكندرية ودخل الكنيسة نزع ثياب الجند ولبس ثياب البطارقة وقدس فهم الناس برجه فانصرف وجميع عسكره وأظهر أنه اتاه كتاب من الملك يقرأه على الناس وضرب الناقوس فى الاسكندرية يوم الاحد فاجتمع الناس للصلاة حتى لم يبق احد فصعد المنبر وقال : — « يا أهل الاسكندرية ان لم تتركوا مقالة ديوسقوروس أخاف عليكم لئلا يرسل القيصر من يقتلكم ويستبيح امولكم ونساءكم » فهموا برجه وهو على المنبر فأشار الى العسكر فوضعوا السيف فيهم فقتل من الناس عدد كثير وفر منهم عدد وافر الى الديارات بوادى هبيب واحذ الملكيون كنائس المتأصلين وأمر القيصر ابوليناريوس ان يجتهد فى مقامه الارثوذكسيين حتى لا يظهر احد من اساقفتهم بمدينة الاسكندرية ومن يومئذ صار كرسي الارثوذكسيين بوادى هبيب

وبعد وفاة البابا ثيودوسيوس أظهر ابوليناريوس فرحه لظنه بان الجو قد خلا له ليعلن رئاسته العامة على الكنيسة القبطية . وعمل وليمة للكهنة وأهل المدينة وتوهم أنهم يوافقونه لان الالباء الاساقفة لم يكن أحد منهم يستطيع الظهور بالاسكندرية بالنسبة لتشديد القيصر عليهم . ولكن بمشيئة الله تولى الاسكندرية رجل فاضل فسمح للارثوذكسيين ان يقيموا لهم بطريركا في السر . فخرجوا الى دير الزجاج (١) كأنهم يريدون الصلاة وأرسلوا الى الوجه البحرى واحضروا ثلاثة اساقفة واقاموا قسا يدعى بطرس بطريركا وتعزى به الشعب وتقوت أمانتهم ولكنهم لم يكونوا يقوون على الدخول به الى المدينة علانية خوفا من ان يعلم بذلك ابوليناريوس او القيصر وكان ذلك في مسرى سنة ٢٨٣ ش و ٥٦٨ م في عهد يوستينس قيصر الثانى

فلبث البطريرك مقيما بمكان يبعد عن الاسكندرية مقدار تسعة أميال فى بيعة على اسم يوسف البار وكانوا يحملون اليه جميع ما يحتاج . غير انه فيما بعد شعر ابوليناريوس بالامر فغضب جدا وكتب للقيصر يعلمه بما كان ولكن قبل وصول كتابه الى يوستينانوس ضربه الرب بمرض عضال قضى على حياته أما البابا بطرس فكان بهى الطلعة جميل الصفات محبا للمتعلمين ولهذا استخبر عن كاتب له يكون ملما بعلوم الكنيسة فارشدوه الى راهب يدعى دميان بدير تابور فمضى اليه البطريرك وتحدث معه وطلب منه ان يشترك فى اتعاب تدبير الكنيسة ورجاه بان يذهب ليقم معه فى الدير . فاطاعه دميان ومضى معه الى حيث يقيم . وكان هناك اديرة كثيرة العد يسكنها جمع غفير من الرهبان وبجوارها ٣٠ ضيعة تسمى (سكاطينا) سكانها ارثوذكسيون . وكانت الاديرة والضيعة جميعها تحت ادارة البابا بطرس . وفى ايام هذا البابا وفد على مصر يعقوب البرادعى وكان من امره ماسيذ كرفى سيرته

أما شعب انطاكية فلم يكن اضطهاده أهوناً من اضطهاد شعب مصر . وبعد وفاة الاب المغبوط ساويرس اجلسوا مكانه انسانا اسمه ثاوفانيوس واقاموه فى دير يعرف بدير أمونيوس لان الهراطقة هناك كانوا نظير هراطقة مصر يضايقون الاساقفة المستقيمي الايمان . ثم ان البابا بطرس قضى حياته مجاهدا فى كرم الرب حتى تنيح بعد سنتين من رسامته بطريركا فى الخامس والعشرين من بؤونه سنة ٢٨٥ ش و ٥٧٠ م ومن ايام البابا بطرس صارت قاعدة لزمن طويل ان يرسم البطارقة بدير أبى مقاربواى هبيب .

(٦) دميان — البطريرك الخامس والثلاثون . ولما تنيح البابا بطرس اجلسوا مكانه كاتبه دميان الراهب فى مسرى سنة ٢٨٥ ش و ٥٧٠ م فى عهد يوستينس قيصر الثانى وكان قبل ذلك قد أقام فى دير أبى يحنس ست عشرة سنة تحت ارشاد رجال قديسين يتعبد بتقشف زائد . ومن ثم انتقل

(١) كان بأرض بلدة معمل الزجاج بمركز كفر الدوار وخرب من زمن بعيد .

الى دير تابور اى دير الالباء فى زمان عمارة الاربعة الاديرة بوادى هبيب وحالما ارتقى الكرسى البطريركى قاوم بعض الذين بقوا من حزب ميليتس لما اشتهروا به به الافعال الرديئة وقد كانوا مختلطين بالرهبان فأمر بطردهم خوفا من أن يفسدوا عقولهم .

ولما تنيح الاب ثاوفانيوس بطريرك أنطاكية أقيم مكانه رجل من كهنة البيعة يدعى بطرس وكان غليظ القلب مظلما فى أفكاره مضطرب العقل مقاوما للامانة المستقيمة . وبالنسبة للاتحاد الذى كان بين الكنيستين كتب بطرس هذا الى البابا دميان سنوديقا ففرح به فى مبدأ الامر ولكنه بينما هو يفحص الكلام المدون فيه وجد فيه عشرة فى الاعتراف بالثالوث المقدس ومؤدى كلام بطرس أن تعليم الثالوث فى غير محله ولا داعى لذكره بالمرّة فطلب أن يجذبه الى الايمان برفق حتى لا ينثلم الاتحاد بين الكرسيين وكتب اليه مقالة يذكر فيها أعتراف المجامع المسكونية والالباء القديسين بالثالوث المقدس . فلم يرفع بطرس عن غيه وكتب للبابا دميان رسالة شديدة اللهجة يؤخذ منها انه مصر على ضلاله فعقد البابا مجمعا حكما على بدعته بالخزم وعليه هو بالقطع وكان سببا لوجود خلاف بين المصريين والانطاكيين مدة عشرين سنة حتى قصف الله عمر بطرس المخالف .

واستمر البابا دميان يسوس رعيته باهتمام مجتهدا فى الابتعاد عن كل ما يولد الانشقاق وهو منزو فى صومعه بدير النظرون نظرا لقيام الملكيين واخذهم جميع كنائس الاسكندرية وكان بطريرك الملكيين قد مات سنة ٥٦٩ م وخلفه بطريرك آخر اسمه يوحنا أصله من قواد الجيش تمت رسامته فى القسطنطينية وأرسل الى مصر ليقبض على ايراد الكنائس فيها والتاريخ يصف يوحنا هذا بمحبته للسلام والهدوء ولهذا لم يستعمل القوة فى اجبار الاقباط على ترك مذهبهم بل تركهم يعبدون الله بحرية تامة

أما البابا دميان فقضى بقية حياته بوضع الميامر والمقالات ومقاومة أصحاب البدع الذين كانوا يأتون اليه ويجادلونه فكان الرب يعطيه الغلبة عليهم الى ان تنيح بسلام الرب فى شيخوخة حسنة بعد أن أقام بطريركا مدة ست وثلاثين سنة . وكانت وفاته فى اليوم الثامن عشر من يؤون سنة ٦٠٣ م

القسم الثانى مشاهير الكنيسة

(١) يعقوب البرادعى
(٢) من هم اليعاقبة
(٣) بعض مشاهير

(١) يعقوب البرادعى :

وفد على مصر فى أيام البابا بطرس الرابع . كان كثير العبادة والزهد لا يلبس سوى خرق
البراذع قمى البرادعى و يلقب بالزنى ايضا . ولد فى بلدة تيلا على مسافة ٥٥ ميلا من الرها
بمقاطعة أيطاليا فى أواخر القرن الخامس . ونشأ أولا فى دير بالقرب من الرها يدعى دير الشقوق وبعد
وفاة اسقف هذه المدينة رسم اسقفا عليها سنة ٥٤١ م

ثم توجه الى القسطنطينية ليدافع عن الايمان الارثوذكسى و يفتقد الالباء البطاركة الذين
طرحوا فى السجون وتحصل بواسطة مساعدة الملكة ثيودورة المؤمنة على ان يرسم من الثلاثة بطاركة
المعزولين وهم ثيودوسيوس الاسكندرى وسايروس الانطاكى وانتييموس القسطنطينى مطرانا عاما
على كل الكنائس الارثوذكسية

وقبل رسامته كانت أيدى ملوك الروم تعبت بانصار الطبيعة الواحدة وكاد هؤلاء يأسون أذ
مات بعضهم والبعض الآخر أسرفهض يعقوب واشتغل مدة اسقفيته كلها وهى ٣٣ سنة فى لم
شعث طائفته وكان لابسا برذعه بمثابة ثوب شحاذ يطوف بها فى انحاء الولايات الرومانية لكى
يضم سكانها الى حظيرة الكنيسة القبطية و يدخل فى اذهانهم مذهبها واعتقادها بهمة لا تعرف
الكلل ماشيا تحت الاخطار والاهوال من بلد الى بلد لا يعرف الخوف ولا يشعر بالخطر المحقق به من
موظفى الحكومة ومن الكهنة الرومانيين

وصار يشترطن قسوسا واساقفة ويضم الشيع المتفرقة الى مراكز معلومة و يوفق بين
المتخاصمين وهدى اتباع اوطاخى وجعلهم يتركون اعتقادهم الفاسد و يتمذهبون بمذهب الكنيسة
القديم . الى ان جدد للارثوذكسين مركز بطريركيتهم فى انطاكية وترأس مجمعين كرس لهم فيهما
بطريركين واحد بعد الاخر بعد وفاة القديس ساويرس وهما سرجيوس وبولس

وهكذا استقر مذهب الطبيعة الواحدة فى كثير من جهات آسيا الصغرى وما بين النهرين
وسوريا وقبرص وفلسطين و بلاد الارمن وانقسمت طوائفه الى ثلاث وهى السريان والارمن

والمصريون وتنطوى تحتهم الحبشة . فالسريان كان عندهم ١١٦ أسقفا وبطريك انطاكي يسمى دائما اغناطيوس ومركزه ماردين والارمن لهم ايضا بطريك يقيم في استراخ و يسمى العام . ويرجع الكل في امرهم الى البطريك الاسكندري

والذى حدا بيعقوب للحضور الى مصر هو السعى فى اعادة السلام بين كنائسها وكنائس سوريا وسبب ذلك ان يعقوب كان قد رسم بطريك ارثوذكسيا لانطاكية يدعى بولس ولكن لسبب الاضطهاد الذى لحق به اضطر ان يوافق الخليكدونيين . فاستاء يعقوب منه وأصدر قرارا بحجيمه وكان بولس قد فرق القسطنطينية بعد ان هاجر امام الامبراطور بارثوذكسيته وتاب عن زلته وأتى الى يعقوب فقبله وضمه الى عضوية الكنيسة غير ان المصريين عابوا على يعقوب قبوله بولس مرة أخرى حتى ان البابا بطرس أصدر قرارا بحرم بولس فحضر يعقوب الى مصر للمفاوضة فى هذا الامر وترأس مجمعا عقد فى الشجر الاسكندري اقتنع فيه برداءة سلوك بولس وسيرته السابقة بالاسكندرية مسقط رأسه فسلم يعقوب بعزله ولكنه يبقى عضوا فى الكنيسة لانه تاب وأعلن عزله به اسطة ثلاثة اساقفة ومن ثم سافر يعقوب من مصر لياشر جهاده

اما بولس فكان له انصار عديدون رفضوا قرار مجمع الاسكندرية بشأنه وكاد الشقاق يستفحل فعزم يعقوب على زيارة مصر ثانية فى ايام البابا دميان الـ ٣٥ ولكنه أصيب بمرض فى الطريق فعرج على دير فى حدود مصر ولما بلغ البطريك الاسكندري خبر مرضه ذهب اليه ليزوره فوجده قد مات فى سنة ٥٧٨ م . وقد شهد المؤرخون بان هذا الرجل كان بارا تقيا وقادرا فى فصاحته وعلمه وانه لو لم يهتء الله وجوده لما قام لقومى الراى قائمة و بعد موته ترك الكنائس الارثوذكسية نامية احسن نمو فى كل تلك الاماكن . وجملة ما كرز من الكهنة والشمامسة مائة الف قسيس وشماس وعشرين اسقفا ومطرانا وبطريكين

(٢) من هم اليعاقبة ؟

و يدعى المؤرخون اللاتين والاروام ان اصحاب مذهب الطبيعة الواحدة قد اكرموا يعقوب المذكور بتسميتهم يعاقبه باسمه ولذلك دعا الخلكيدونيون الكنيسة القبطية بالكنيسة اليعقوبية وهو قول ملقى على عواهنه يدل على جهل قائله اذ لا توجد هناك علاقة بالمرّة بين الكنيسة القبطية ويعقوب كما ان يعقوب لم يكرز فى مصر بل كرز فى الولايات الاخرى .

ويظهر ان الخلكيدونيين قصدوا باطلاق لقب « اليعقوبية » على الكنيسة القبطية ان ينتقموا لانفسهم منها لانها اطلقت عليهم لقب « الملكيين » ولكن لسنا بمخطئين فى تسمية الرومانية بالكنيسة الملكية لانها أنحازت الى الملك أو الامبراطور الرومانى مذهباً وسياسة واول من اطلق اسم اليعاقبة هو افتيخوس بطريك الملكيين فى القرن العاشر ولكنه أطلقه على السريان الذين كانوا خاضعين رسميا ليعقوب البرادعى . وما نشرت كتابات افتيخوس بين الافرنج ورأى بعض

مؤرخيهم ان تعاليم الاقباط لا تختلف عن تعاليم السريان فخرج هؤلاء المؤرخون من هذا الرأى الى تسمية الاقباط باليعاقبة أيضا .

وربما اطلقوا هذا اللقب سهوا او جهلا منهم ولكنه كان سببا في جر كثيرين الى الوقوع في هذا الخطأ حتى من بعض أبناء الكنيسة القبطية ومنهم ابن العسال وابودقن الذى قال ان هذه التسمية وصلتنا من ابي الاسباط اتماما لنبوة الملاك جبرائيل للعذراء ان المولود منها « يملك على بيت يعقوب الى الابد » وقال المقرئى المؤرخ المسلم « ان اصحاب مرقيان دعوا اصحاب ديوسقوروس باسم اليعاقبة او اليعقوبية واطلقوا عليهم جميعا هذا الاسم واختلف في تسميتهم بذلك ف قيل ان ديوسقوروس كان يسمى قبل بطريركيته باسم يعقوب وانه كان يكتب وهو منفى الى اصحابه بان يشبتوا على أمانة المسكين المنفى يعقوب وقيل بل كان له تلميذا اسمه يعقوب وكان يرسله وهو منفى الى اصحابه فنسبوا اليه . وقيل بل كان يعقوب تلميذا ساو يرس بطريرك أنطاكية وكان على رأى ديوسقوروس فكان ساو يرس يبعث يعقوب الى سائر المسيحيين و يثبتهم على أمانة ديوسقوروس فنسب النصرارى الى يعقوب المذكور » اهـ وقال آخرون ان ذلك نسبة الى يعقوب الرسول .

فيتضح ان المؤرخين الذين اتفقوا على تسمية كنيسة مجمع خلکیدون بالكنيسة الملكية لم يتفقوا فى روايتهم على نسبة تسمية اليعاقبة للكنيسة القبطية وكل أقوالهم فى هذا الشأن مردودة اذ قد التبس عليهم فيها وجه الصواب لاسيا وان البابا ديوسقوروس لم يعرف باسم يعقوب ولم يكن له تلميذ بهذا الاسم ولم يبشر يعقوب الرسول بمصر ولا كرز يعقوب البرادعى بمصر رادا الاقباط الى مذهب الطبيعة الواحدة بل كانوا هم المتمسكين به دون غيرهم ولم يعرف الاقباط منذ أول عهدهم بالمسيحية الى اليوم الا بالاقباط الارثوذكس وكنيستهم « الكنيسة القبطية الارثوذكسية » .

بعض مشاهير:

ومن اشتهر فى هذا القرن من الاقباط :

اولا — يوحنا البرلسى . أحد الذين وضعوا كتاب السنكسار (١) راهب بيرية شيهات ثم رسم اسقفا على البرلس فى رئاسة البابا دميان ال ٣٥

ثانيا — قزمان . أولع بالسياحة فطاف أماكن عديدة ومع انه وضع كتبا كثيرة الا أنه لم يبق منها الا كتاب « وصف البلدان طبقا لقواعد الدين المسيحى » .

(١) ان الذين جمعوا كتاب السنكسار واهتموا بتدوينه هم (١) يوليوس الاقفصى (نسبة لأقفص بمركز الفشن) وكان معنيا بآثار الشهداء فى اضطهاد ديوكليتيانوس فى آخر القرن الثالث

(٢) يوحنا البرلسى (نسبة الى البرلس بمديرية الغربية)

(٣) ميخائيل أسقف أثريب (من اطلاقها تل اثريب بجواربها العسل) .

ثالثا — ديوسقوروس . عالم قبطى وضع كتابا فى علم النبات بناء على طلب اميرة رومانية .

رابعا — أعمال أخرى للمصريين . وكتبت فى هذا القرن نسخة من سفر التكوين محفوظة فى مكتبة فينا ببلاد النمسا وهى تحتوى على اكثر من ٨٨ صورة كما ان علماء العالم بأسره كانوا يقدون على الاسكندرية لتصحيح ما بأيديهم من النسخ القديمة التى لا توجد من يعرف باصولها سوى علماء الاسكندرية .

القسم الثالث

المملكة والكنيسة

- | | |
|-------|---------------------------|
| (١) | اناستاسيوس |
| (٢) | يوستانيوس ١ |
| (٢) | يوستنيانوس (١) |
| (٤) | ثورة الاقباط فى عهد موريس |

(١) اناستاسيوس :

تولى هذا الامبراطور سنة ٤٩١ م وكان واقفاً على أحوال مصر وملما بكل ما فيها لانه مكث بها مدة منفيا من وجه سلفه وكان مقيما فى مركز منوف بمديرية المنوفية حيث كان له اصدقاء كثيرون . وحدث ان احد الاعيان اشار عليه بزيارة راهب اشتهر بالتقوى يدعى ارميا يقيم فى احدى بلاد المركز ليدعوه بالخير . فزاره يصحبه بعض اصحابه الذين طلبوا من الراهب ان يباركه فباركهم جميعا ولم يبارك اناستاسيوس ببركة خاصة . وبعد انصرافهم صرح اناستاسيوس بحزنه لذلك وظهر خوفه من ان يكون الراهب قد عرف ان خفاياه سيئة فأبى أن يباركه فحاول أصحابه أن يزيلوا هذا الظن منه ولكنهم لم يفلحوا فعادوا الى الراهب واخبروه بالامر فاستدعاه اليه ولما اختلى به هو وثلاثة من اصحابه اخبره بانه رأى يد الله مرفوعة فوق رأسه فلم يرما يجعله يباركه بعد الله ثم أوصاه قائلا « ان الله الذى عينك لمنصب الملك يطلب منك ان تعيش صالحا بعيدا عن الافعال الرديئة غير موافق لانصار مجمع خلكيدون لان من يصادق على ذلك المجمع يحل عليه غضب الله »

وقد تمت نبؤة الاب ارميا فجلس اناستاسيوس على عرش الملك وطلب بعض وجوه الاقباط من هذا الاب ان يوفد اليه بعض تلاميذه لزيارته فأرسلهم تحت رئاسة راهب يدعى وريدينوس من أقارب ذلك الناسك ووصاهم بان لا يقبلوا منه هبة أو عطية الا ان يكون بخورا وبعض أوان تحتاج

اليها الكنائس ولما كان هذا الامبراطور منفيا بنى كنيسة أرسل اليها مع أولئك الرسل أوانى من الذهب والفضة وبخورا وندورا عظيمة المقدار كما أنه هدى بعض أصحابه من المصريين هدايا فاخرة وعين بعضهم فى وظائف سامية فى الحكومة .

وصفوة القول أنه لم يقيم بين القياصرة من عمل مثله على اسعاد مصر وارجاع السلام اليها . وكان نظير سلفه فى احترامه للمذهب القديم وامداده لذويه بعمارة كنائسهم واديرتهم واحسانه الى رهبانهم ودفع المرتبات السنوية لهم . ولما رأى ان الانشقاقات الدينية هى التى تبدد السكينه نفى كل الاساقفة الغربيين الذين رأهم ميالين لزراع بذور الخصام والمنافسة فهدأت الاحوال فى كل كراسى البطريركية الا فى كرسى رومية فان اساقفته كانوا قد استمروا عيشة المناشدة والمناجزة فخرج من بين تابعيهم رجل يدعى وبطاليانوس متعللا بأخذ الثأر للكلثة وهو فى الحقيقة أنما يطلب الملك فجمع الجموع الكثيرة حوله وحاول أن يغتصب العرش من اناستاسيوس ولكنه أنهزم شر هزيمة .

وفى أيام هذا القيصر هجم الفرس على مصر وانتشب القتال بينهم وبين الرومانيين مدة أصيبت فيها البلاد بمجاعة فادحة . وفى اثناء اشتدادها تبرع احد المسيحيين اليهود بتوزيع مقدار عظيم من الخنطة على المحتاجين فى يوم عيد القيامة فتراحم الجياع على ابواب الكنائس حتى هلك منهم ٣٠٠ ألف نفس فى ذلك اليوم .

(٢) يوستينوس^١

تولى سنة ٥١٨ م وكان رجلا عاميا أميا فتشبع للمجمع الخلكيدونى جهلا منه وصرف همه فى مقاومة الارثوذكسيين . ومن دلائل الغطرسة التى درسها عن اسقف روميه أمره بقطع رأس القديس ساو يرس بطريرك انطاكية ففر القديس من وجهه ولجأ الى مصر فأخذ فى اضطهاد بطريرك الكنيسة القبطية وأمر بنفيه وبسبب ذلك جرت مذبحة هائلة هلك فيها نحو مائتى ألف نفس . ثم نفى أساقفة أرثوذكسيين فى جهات كثيرة

(٣) يوستينيانوس^١

تولى سنة ٥٢٧ م وكان فى اوائل ملكه مشغولا بتوطيد دعائم عرشه وبعد ذلك أهتم باجراء صلح بين الكنيستين اليونانية والرومانية . ثم أدار وجهه نحو المصريين فاضطهدهم بشدة قاصدا ان يرغمهم على الاعتراف بقرارات مجمع خلکیدون واضطهد الاب ثيودوسيوس طويلا كما مرسيرته وخلع الاساقفة الارثوذكسيين فى القسطنطينية وارغم كثيرين بعد التعذيب على الاعتراف بالطبيعتين .

غير ان الملكة ثيودورة وسائر علماء البلاط كانوا من حزب المتأصلين أو ذوى الطبيعة

الواحدة ولم يكونوا راضيين بهذه المعاملة الرديئة والقساوة الشديدة اللتين سار بهما الملك ضد الارثوذكسيين وكانوا يعززون المضطهدين و يقومون بكل ما يحتاجه المسجونون من القوت . وكان لثيودورة السلطان المطلق على زوجها لجمالها وحكمتها فنصحته بالتزام خطة الاعتدال فهدأ قليلا ولكنه رجع الى تهوره فيما بعد واضطهد الارثوذكسيين وسلب كنائسهم حتى اضطر الاقباط الى تشييد خلافتها وسموا احدها الكنيسة الملائكية نكاية في الكنيسة القيصريّة الكبرى التي اغتصبها منهم القيصر

وحدث مرة أنه أمر أسقفًا أرثوذكسيا أن يعترف بقرار مجمع خلقيدون أو يعمل أعجوبه فأجابه ان العجائب لغير المؤمنين وطلب من الله أن يظهر اعجوبته في نفس الملك فأصبح وجهه متورما فجزع وطلب من زوجته أن تطلب من الراهب أن يصلي من أجله فصلى فقال الشفاء . واعتزل الراهب مدة الصوم الكبير فوشى الخلكيدونيون للملك فاستدعاه اليه بحجة أن قانون الوحدة يوجب عدم تركها قبل يوم خميس العهد ولكن الملك عاجلته المنية قبل مجيء ذلك اليوم .

وقد ساعد ولاية مصر بطاركة الاروام على سلب حقوق بطاركة المصريين فتعصب الاقباط ضد اليونانيين وأبطلوا لغتهم من كنائسهم ومجتمعاتهم وصاروا يصلون بلغتهم الاصلية وترجموا كل الكتب الدينية اليها

وفي عهد هذا القيصر حدثت فتنة في الاسكندرية بسبب بطريرك الاروام فانتهزها اليهود وفتكوا بكثيرين من المسيحيين . ولبت الخلكيدونيون يعثون في الارض فسادا واشتد غيظ المصريين من القيصر عندما أصدر أمرا يحرم فيه أوريجانوس بطل الكنيسة الاسكندرية حتى لم يعد يطبق أى مصرى أن يرى رومانيا أمامه فانفصلوا عنهم وصاروا قسمين واختص كل جماعة منهما بلون فاختر المصريون اللون الاخضر والرومانيون الازرق

(٤) ثورة الاقباط في عهد موريس :

وجاء بعد يوستينيانوس يوستينس ٢ سنة ٥٦٥ م وكان اشفق على العباد من سلفه و يظهر ان ذلك من تأثير زوجته ابنة أخت الملكة ثيودورة فترك الناس يدينون بما يشاؤون فتمكنت الكنيسة القبطية من استرجاع مراكز من التي اغتصبت منها وتحسنت أحوال شعبها ورعايتها . وخلف يوستينوس طيباريوس ٢ سنة ٥٧٨ م الذى تنازل عن الملك لموريس سنة ٥٨٢ م وفى أوائل حكمه حدثت ثورة في مصر في الوجه البحرى تحت زعامة ثلاثة أخوة من الاقباط هم ابوسخيرون ومينا ويعقوب من بلدة عقيلة (١) وسببها ان حاكم قسم سمنود (غربية) القى القبض على رجلين

(١) هى الآن زاوية صقر بمركز ابى حمص بحيرة .

قبطيين من ذوى الوجاهة والاعتبار أحدهما يسمى قسا بن صموئيل والآخر بانون بن آمونى فهجم الثائرون على الرومانيين فى جهة بنا وابى صير (بالقرب من سمنود) وطردهم منها فأرسل واليها الى الامبراطور يشكوه أمره فأمر الامبراطور يوحنا والى الاسكندرية بقمع الثائرون الذين كانوا قد وضعوا يدهم على اقاليم الوجه البحرى وحاولوا الاستيلاء على الاسكندرية فاغتصبوا الحنطة التى كانت مرسله اليها

وحدثت من جراء ذلك مجاعة اهتاج منها سخط القوم على الولى وكادوا يفتكون به لولا بعض أعيان الاقباط الذين ردوا عنه اعتداء الغوغاء

ومع ان يوحنا والى الاسكندرية كان صديقا للثلاثة الاخوة الا أنهم استمروا فى مقاومتهم فعزله القيصر وعين بدله رجلا يسمى بولس وتمكن اسحق ابن اكبر الثلاثة الاخوة من الانتصار على الرومانيين فاستولى على كثير من مراكزهم وسعى خلفهم الى قبرص يكتسح أمامه قوتهم الحربية حتى خاف الامبراطور من سوء النتيجة وطلب الى يولوجيوس بطريركه فى مصر أن يعقد صلحا مع الثلاثة الاخوة

وكان يوليوس البطريرك الرومانى على جانب عظيم من دماثة الاخلاق فاكتسب رضا المصريين عنه واجتمع مع الثلاثة الاخوة لاجراء الصلح فى مسقط رأسهم فأبوا القبول الا اذا أعاد الامبراطور صديقهم يوحنا الولى فأجاب طلبهم ورجع الولى الى منصبه وعين لقيادة الجيش رجلا يدعى ثيودوروس

وحدث ان قائد الجيش الجديد أخذ القبطيين المأسورين وثلثة آخرين من عظماء المصريين كانوا قد سجنوا معهم وأوقفهم على شاطئ النيل المقابل للشاطئ الذى احتشد عليه الثائرون وأمرهم بطرح السلاح والا يقضى على الخمسة الرجال فتوسل المأسورون الى الثائرين أن يكفوا عن القتال شفقة بهم فألقى معظم هؤلاء الاسلحة وعبروا النهر وتقابلوا مع أصحابهم المقبوض عليهم ولم يبق فى ساحة النزال الا الثلاثة الاخوة وبعض أصدقائهم وظلوا يقاتلون الجيش الرومانى باستبسال ولكنهم غلبوا أخيرا وفروا الى مدينة صان (شرقية) فقبض عليهم الرومانيون ومضوا بهم الى الاسكندرية ومروا بهم فى الشوارع ليعتبر بهم العصاة ثم طرح الثلاثة الاخوة وابنهم اسحق فى السجن ولبت يوحنا الولى يدافع عنهم طول مدة ولايته بدون جدوى حتى تعين مكانه وال جديد فقطع رؤوس الاخوة ونفى اسحق نفيا مؤبدا . وأمر الامبراطور بأخذ ممتلكات الثائرين وحرق مدينتى عقيلة وصان

ولم تكد نار هذه الثورة تخمد حتى قامت ثورات أخرى فى خمس مدن وهى صان وخربتا

وبسطة وسنهور وأخيم وغيرها وانتهت جميعها بمذابح وحشية من الوطنيين الذين لازمهم الفشل فى كل تدابيرهم

وبالجملة فلم يكد ينتهى القرن السادس حتى بلغت العداوة بين المصريين والرومانيين أشدها خصوصا عندما أنفذ القيصر أمر الى نائبه بمصر بطرد جميع الاقباط من خدمة الحكومة وعدم قبول أحد منهم فى مصالحها قصدا منه فى اذلالهم فكان ذلك من أقوى البواعث على قنوط الاقباط واعتزالهم الروم بالكلية وقطع كل العلاقات معهم . وكان كل ما اشتد الضيق بالاقباط كلما ازدادوا تمسكا برأيهم وطمعا فى نوال الاستقلال الدبنى الذى اشتروه ، نك دماء الالوف المؤلفة منهم

القسم الرابع

البدع والانشقاقات

- (١) اختلاف فى ماهية جسد السيد المسيح
- (٢) اختلاف آخر فى ماهية الاقانيم الالهية وفى لاهوت المخلص وناسوته
- (٣) بدعة بقية حزب ميليتس
- (٤) الاسيفياليون (الذين بلا رأس)
- (٥) نزاع بسبب العلامة أوريجانوس
- (٦) نزاع على الثلاثة التقديسات
- (٧) مسألة الفصول الثلاثة

(١) اختلاف فى ماهية جسد السيد المسيح :

غلبت بين أنصار الطبيعة الواحدة فى هذا القرن اختلافات قامت بسبب البحث فى ماهية جسد المسيح . فيوليان الهيليكارنسوسى سنة ٥١٩ م اعتقد ان الطبيعة الالهية اتحدت بجسد المسيح منذ حبل به حتى تغير الجسد فى طبيعته وصار عديم الفساد فوافق على ذلك قيانوس ومنه تسمى المعتقدون بهذه العقيدة قيانيين . وانقسم المقرون بهذا التعليم الى ثلاثة أحزاب . فنشأ بينهم اختلاف فى هل كان جسد المسيح مخلوقا أم غير مخلوق فانقسموا الى قسمين سمي الواحد بعبدة المخلوق وخرج منهم حزب ثالث اعتقد ان جسد المسيح قابل الفساد ولكن بقوة اللاهوت لم يصير بالحقيقة فاسدا . واقلع الغيانيون ورجعوا الى حضن الكنيسة فى عهد البابا الاكسندروس ال ٢ بعد أن تمسكوا بضلالهم ١٧٠ سنة

وعارض رأى يوليانوس طائفة أخرى علمت بأن جسد المسيح كان نظير جسدنا قابل للفناء والفساد فالذين يسمون بالكربتيكوليين ولاسيا ثيومستيروس شماس اسكندري استنتجوا من هذا التعليم ان المسيح وان كان باللاهوت يعلم كل شيء ولكن ناسوته مجهل أمورا كثيرة ولأنهم يعتقدون بوحدة المسيح الطبيعية استنتج الآخرون من تعليمهم انهم اشركوا الطبيعة الالهية في الجهل ولهذا سموا غنيتين . وروى موسيهم المؤرخ البروتستانتى ان البابا ثيودوسيوس الاسكندري كان من اصحاب هذا الرأى وانه حمل فى حدة الجدل ضد الهرطقة على ان يقول « ان انسانية المسيح كانت تجهل اليوم الاخير » فقالوا انه نسب الجهل للاهوت لاعتقاده بوحدة الطبيعتين . الا أن هذا الرأى لم يدم لان الذين صرحوا به فى معرض الدفاع عن الايمان انتبهوا الى غلطتهم وعدلوا عنها

(٢) اختلاف آخر فى ماهية الاقانيم الالهية وفى لاهوت المخلص وناسوته :

وروى مؤرخو اللاتين والاروام ان البابا دميان البطريك ال ٣٥ ذهب بأن لكل من الاقانيم الثلاثة وجودا خاصا وان للثلاثة معا وجودا رابعا عاما وهكذا قامت شيعة مربعة اللاهوت وسموا أربعين أو دميانيين . وعنها انشقت شيعة قاومت تعليمها باتباعها مذهب سابيوس القديم . ثم قام واحد من معلمى الفلسفة فى الاسكندرية اسمه استفانوس النوبى ذهب انه لا فرق بين اللاهوت والناسوت فى المسيح فتبعته سميت بالنوبيين . الا ان كل هذه الاختلافات التى قامت بين أشياع الطبيعة الواحدة تلاشت جميعها عندما قام يعقوب البرادعى وأخذ يؤلف بين آرائهم ويرد من ضل منهم الى محجة الصواب . وصاروا الكل على رأى واحد هو رأى ديوسقورس البابا الاسكندري

(٣) بدعة بقية حزب ميليتس :

وظهرت بدعة أخرى بين الذين بقوا من حزب ميليتس الذى انشق عن الكنيسة فى عهد البابا بطرس آخر الشهداء فكانوا اذا قصدوا أن يقدموا الاسرار الالهية يقضون الليل كله يتبرنخون بشرب الخمر وحثتهم فى ذلك ان السيد المسيح قبل أن يسلم لتلاميذه السر المقدس شرب معهم خمر . فقاوم البابا دميان هذه الفئدة ولما لم يذعنوا أمر بنفيهم من بين الرهبان خوفا من أن تمتد البدعة اليهم

(٤) الاسيفاليون (الذين بلا رأس) :

وهم الذين انفصلوا عن الكنيسة فى أيام البابا بطرس البطريك ال ٢٧ لانه قبل الاتحاد مع بطريك الاسكندرية الذى كان أحد الذين حكموا على البابا ديوسقوروس . ثم انقسمت هذه الشيعة الى أحزاب ثلاثة هى الانثروبومرفيتيين والبارسنوفيتيين والاسانتين وتبع هذه الاحزاب احزاب أخرى وقد بقى من كهنة الذين لا رأس لهم قسوس فى أيام البابا دميان وكانوا يسكنون شرقى

مصر فتسلط عليهم فكر شيطاني بأنهم يقيمون لانفسهم أسقفا خوفا من ملاشاة ذكرهم فاخترارو أكبرهم بارسنوفة ورسنه الثلاثة القسوس أسقفا . فلما سمع أهل غربي مصر منهم بذلك غضبوا جدا لانهم فعلوا ذلك بغير مشورتهم فانفصلوا عنهم ولم يساعدهم وبذلك لم يكن لهؤلاء من يعمدهم أو يقرهم أو يصلي لهم فوسموا لهم أسقفا ولكنهم استمروا ينقصون شيئا فشيئا حتى بادو بالكلية

(٥) نزاع بسبب العلامة أوريجانوس :

ان الحروم الكثيرة التي صدرت ضد العلامة أوريجانوس لم تؤثر على مقامه ومركزه عند رهبان مصر المطلقين بتدقيق على مؤلفاته العديدة والعارفين باتعابه وطهارة سيرته . فترجم انسان اسمه بلاتر في الغرب بعض مؤلفاته الى اللاتينية . وفي الشرق ولا سيما في سوريا وفلسطين كان الرهبان يدافعون عنه بغيره صحيحة ووافقهم على ذلك بعض الاساقفة ولاسيما ثيودوروس الذي من قيصرية كبدوكية

فحدث ان افرام بطريرك انطاكية حكم على اوريجانوس وأضاليله لاعتباره أياها مساعدة مذهب الطبيعة الواحدة الذي كان يكرهه فطلب اولئك الرهبان من بطرس الاورشليمي قطع افرام فأبى وأرسل مندوبين من قبله الى القسطنطينية ليقدم ليوستينانوس قيصر شكاية ضد أوريجانوس . فعقد القيصر مع مينا بطريرك القسطنطينية مجمعا أصدر منه أمر مستوفيا بحرم أوريجانوس وعقائده ونهى عن مطالعة كتبه . وبعد ذلك حكم في مجمع مسكوني عظيم جمعه القيصر سنة ٥٥٣ م على آراء أوريجانوس بأنها سامة للكنيسة

(٦) نزاع على الثلاثة التقديسات :

أن الكنيسة منذ القديم رتبت قراءة التريساجيون (أى الثلاثة التقديسات) وقيل ان أول من أذاعها هو اغناطيوس الثاؤفورس والذي أمر بترتيلها قبل قراءة الانجيل هو بطرس الرسول

وجاء في كتاب البصخة المطبوع حديثا « ان يوسف ونيقوديموس لما شرعا في تحنيط السيد أمسك يوسف يده وقال هذه اليد العظيمة التي كونت المخلوقات وأنا أكفنها ففتح المسيح عينيه وتبسم في وجهه فصرخ عند ذلك يوسف قائلا « قدوس الله الخ » أهـ وهذا نص : —
« قدوس الله قدوس القوى قدوس الحى الذى لا يموت . يا من ولدت من العذراء أرحمنا »

« قدوس الله الخ . يا من صلبت عنا ارحمنا »

« قدوس الله الخ . يا من قت من بين الاموات وصعدت الى السموات ارحمنا »

ولما ظهر نسطور بطريرك القسطنطينية وأراد أن يحذف من طقوس الكنيسة كل ما يدل ولو ظاهرا على نسبة الآلام للاهوت منع اطلاق لقب والدة الاله على السيدة العذراء ولما رأى ان بعض

عبارات هذه التقديسات تخالف مبادئه حذفها واكتفى بأن تكون هكذا « قدوس الله قدوس القوى قدوس الحى الذى لا يموت . ارحمنا » وأمر جميع الكنائس بترتيلها على هذه الصورة فخضعت لشارته الكنائس التى نشأ فيها ودرس علومه بينها وهى كنائس سوريا والشرق

وفى أيام البابا بطرس منغوس بطريرك الاسكندرية كان معاصرا له الآب بطرس القصار بطريرك انطاكية أحد الذين وقعوا على منشور الاتحاد فأشارالبطريرك الاسكندرى على البطريرك الانطاكى بأن يعيد للثلاثة التقديسات ما حذف منها لكى تحفظ كما رتبت فى العصر الرسولى . فأصدر بطريرك انطاكية منشورا لجميع الابروشيات التابعة له يأمر فيه بترتيل الثلاثة التقديسات كما وضعها الرسل فعملت الكنائس بأمره ولا سيما كنيسة القسطنطينية

ولما انتشرت هذه الزيادة لم يرض عنها الخلكيدونيون فأشاعوا بأن بطرس القصار يقصد بذلك أن ينسب للاهوت الولادة والآلام والموت أطلقوا عليه لقب « صالب اللاهوت » غير ان الملكة ثيودورة أقنعت القيصر يوستنيانوس فصدق عليها رسميا . قال العلامة موسيهم المؤرخ « وكانت النتيجة ان المسيحيين الغربيين رفضوا التريمة لانهم فهموا انها تشير الى صلب الاقانيم الثلاثة وأما المسيحيون الشرقيون فاستمروا يستعملونها دائما الى وقتنا هذا بدون خطيئة لانهم يعيدون التريمة الى المسيح وحده أو الى أقنوم واحد فقط فى الثالث » أهـ (١)

فيفهم من قول هذا المؤرخ ان الذين أبوا أن يرتلوا التريساجيون بالصورة الاصلية ظنوا ان ذكر قدوس فيها ثلاث دفعات فى كل مرة اشارة الى الثالث الاقدس فهذا حكموا بأنها بدعة ولكن الكنيسة لا تعتبرها هكذا ولم تقصد بها أن تخاطب الثالث الاقدس كأنها تقول « قدوس الله الاب قدوس القوى الابن قدوس الحى الذى لا يموت الروح القدس » بل المراد مخاطبة الابن المتأنس فقط معترفة فى الاولى بولادته وفى الثانية بصلبه وفى الثالثة بقيامته وصعوده

قال الشيخ حبيب أبورابطة أحد علماء الكنيسة السريانية فى القرن الحادى عشر من رسالة له ضد أحد النساطرة أيد بها التقديس المثلث كما تترنم به الكنيسة القبطية « ان الاربعة الحيوانات رتلوا التقديس المثلث بقولهم « قدوس قدوس قدوس الرب الاله القادر على كل شىء الذى كان والكائن والذى يأتى » (رؤ ٤ : ٨ و ٩) ولا ريب انهم كانوا يخاطبون الابن فقط كما يستدل من قرينة الكلام ومن مراجعة (رؤ ١ : ٧ و ٨ و ٢٢ : ١٢ و ٢٠) وان اعترض معترض بأن قول الحيوانات « والذى يأتى » انما يريدون به اقنوم الابن لكن لا يفهم منه سوى كونه لاهوتا مجردا

فنجيبه قائلين . أن هذه العبارة التي قيلت من بعد التجسد لا يراد بها فى الانجيل أو خلافة الابن حالة كونه متجسدا . فاسمع ماذا قال الملاك ان وقت صعود المسيح له المجد « ان يسوع هذا الذى ارتفع عنكم الى السماء سيأتى هكذا كما رأيتموه منطلقا الى السماء » (أع ١ : ١١) أهـ .

وقال العلامة موسهيم أيضا « وحدثت منازعة جسيمة بين اليونانيين سنة ٥١٩ م فى انه هل يليق القول ان أحد الاقانيم صلب فاستعمل كثيرون هذه العبارة لكى يلحوا على الناظره الذين تطرفوا فى تفريق طبيعتى المسيح والرهبان السيكيثيون فى القسطنطينية الذين هم أصل هذه المنازعة ولكن الآخرين حسبوا هذه العبارة مطابقة لضلال صالبي اللاهوت أو الافتيخين فرفضوها ووافق أورمسداس أسقف رومية حين استشاره الرهبان السيكيثيون وحصلت منازعات جسيمة سامة . وأخيرا المجمع الخامس و يوحنا الثانى خليفه أورمسداس استرجع الصلح للكنيسة باستصواب استعمال العبارة » أهـ (١) ولا تزال كنيسة الموارنة والسر يان الكاثوليكيين التابعتين لقصر الفاتيكان ترغمان هذه التريمة فى جمعة الحاش (الآلام) وتشيران بها الى أقنوم الابن المتأنس . ومؤلف كتاب « تاريخ سوريا » وهو مارونى ذكر فى كتابه ج ٥ ص ١٤٩ عن مؤسس كنيستهم وهو يوحنا مارون ما يأتى « ويعزى الى يوحنا مارون رسالة فى التريساجيون أى التقديسات الثلاثية قدوس الله قدوس القوى قدوس الذى لا يموت عنوانها جواب على من يزعمون اننا نعزو الصلب الى الثالث الاقدس اذ نزيد على التقديسات « يا من صلبت من اجلنا » ثم ذكر فى ص ١٥٠ فقرة من كتاب ليوحنا مارون فى هذا المعنى فى شرح رتبة القداس فصل ١٩ قال فيها « اننا نبين لسؤالكم أيها الابناء الاحباء هل ينبغى أن يترنم بالتقديسات مع الزيادة عليها « يا من صلبت من أجلنا » ومتى يترنم بذلك ؟ فاعلموا ان هذه التسبحة توجه تارة الى الثالث الاقدس وتارة الى أحد الاقانيم الالهية فقط واذا وجهت الى الثالث الاقدس المسجود له لم يسغ البتة أن يلحق بها « يا من صلبت » ... ومتى وجهت هذه التسبحة الى الابن فلا مانع من أن يزداد عليها ذكر الآلام والصلب والموت والدفن والقيامة وباقى أسرار تدبير مخلصنا اذ لا مرأى ان الابن تألم وصلب ومات من أجلنا » أهـ هذا وان يوحنا مارون المشار اليه قضى حياته يدافع عن وحدة مشيئة المسيح خلافا لمذهب الكنيسة البابوية بأن فى المسيح طبيعتين ومشيتين

(٧) مسألة الفصول الثلاثة :

علمنا انه كان من انصار الطبيعة الواحدة فى بلاط القيصر الملكة ثيودورة المشهورة بالتمسك بايمانها ودوميتيانوس كاتم أسرار القيصر فانضم اليهم ثالث وهو ثيودوروس القيصرى المذكور الذى كان القيصر يعتبره ويحبه فسافر الى القسطنطينية و بينا كان يوستينيانوس ينكل بالارثوذكسين أقنعة بالاتفاق مع الملكة ان مجمع خلكيدون أخطأ بقبوله النسطوريين قبل أن يحرم مؤلفاتهم ثم

(١) تاريخ الكنية ص ٢٤٤

أفهمه ان الخلكيدونيين قبلوا بينهم ثيودوروس المبسوسيتى وثاوذوريتوس اسقف كورش وايباس الذى من اديسا (الرها) ان هؤلاء هم أصل الشيعة النسطورية والمدافعون عنها وكتب كل منهم كتابا ضد القديس كيرلس ومع كل ذلك قبلهم المجمع الخلكيدونى وأعز شأنهم . فلما وقف يوستنيانوس على الحقيقة أصدر سنة ٥٤٤ م منشورا يحرم فيه الفصول الثلاثة وهى مؤلفات ثيودوروس المبسوسيتى وكتابات ثاوذوريتوس ضد القديس كيرلس والرسالة التى أرسلها ايباس خطابا الى مارس الفارسى ثم حرم مؤلفيها وطلب من جميع البطاركة والاساقفة فى أنحاء المملكة الرومانية المصادقة على هذا الحرمان والتوقيع على المنشور الصادر به وكان عبارة عن تسفيه أعمال مجمع خلكيدون وتسفيه آراء القائلين بصحة قراراته لان أولئك الكتاب الثلاثة كانوا من معضديه فاضطر كثيرون من الاساقفة على توقيع المنشور وتهدد من يمتنع بالعزل

وكانت الملكة ثيودورة قد استدعت ويجيلوس اسقف رومية الى حرم مجمع خلكيدون بمساعدة البطاركة انتموس القسطنطينى وثيودوروس الاسكندرى وساويرس الانطاكى والقول بقولهم فأجاب طلبها ووافق على رأيها وحرم من يعتقد بطبيعتين فى المسيح ولا يعترف بجوهر واحد فقط ومن يقول انه صلب من حيث هو انسان ولا يعترف ان ابن الله نفسه صلب وشجب الفصول الثلاثة ومؤلفيها النسطوريين الذين قبلهم مجمع خلكيدون . أما اساقفة افريقية والليرى فالتزموا أن يسترجع ذلك الشجب لانه لا أحد منهم يحسبه أسقفًا وأخا أن لن يستصوب الفصول وذلك المجمع

وبعد ذلك طلب منه يوستنيانوس أن يهر منشوره فراوغ كثيرا وماطل فطلب منه القيصر بأن يحضر الى القسطنطينية فقام من روميه وبينما كان يركب السفينة فى نهر تيبير أخذ شعب رومية يرشقه بالحجارة قائلا « فليرافك صيتك الردى . فليرافك الموت . لقد صنعت شرورا فى رومية . فلتلاقينك الشرور حيث تذهب » ولما قابل الملك سلمه كتاب معروفا باسم « جوديكاثم » حكم فيه على الفصول الثلاثة وقد اجتهد فى مجمع عقد فى العاصمة أن يقنع الاساقفة الغربيين ليمضوه فلم يستطع بل قاموا ضده وطعنوا فيه بأنه خان الايمان ودنس الكنيسة بعقيدة خبيثة (فليسمع الذين ينادون بعصمة باباواتهم فى تعاليمهم)

ولم يكتف يوستنيانوس بذلك بل عقد مجمعا ثانيا سنة ٥٥١ دعا اليه اساقفة افريقية والكريكيوم وأمرهم بشجب مجمع خلكيدون فلم يوافقهم منهم كثيرون . وفى تلك السنة نفسها اصدر امرا ثانيا ضد مجمع خلكيدون أشد من الاول وطلب من اسقف رومية أن يوقع عليه فأبى وفر واختبأ بكنيسة مار بطرس بالقسطنطينية فطارده يوستنيانوس ولكنه تمكن من الهروب الى خلكيدون وبعد ذلك أمنه الملك على حياته ليحضر مجمعا مسكونيا عقده فى القسطنطينية سنة ٥٥٣ م وحضره ١٦٥ أسقفًا خلكيدونيا حكموا جميعهم على الفصول الثلاثة . وكان ويجيلوس فى المدينة متمارضا فعرضت عليه قرارات المجمع ليقعها فامتنع فنفاه القيصر ثم ندم وأمضى تلك الاحكام وعاد الى

كرسيه ولكنه وجد أساقفته قد انفصلوا عنه لانه بامضائه على ذلك القرار قد رذل مجمع خلقيدون

وقد حضر هذا المجمع أبوليناريوس البطريرك الامبراطوري بالاسكندرية أما الكنيسة القبطية فمع كونها كانت ترى قرارات يوستينانوس طبقا لاعتقادها ولكنها أبت أن تشترك معه في تدبير المكائد للآخرين. ورفضت منشوره رفضا قطعيا اذ كانت قد آلت على نفسها أن لا تحرم انسانا انتقل من هذا العالم الى العالم الآخر اذا رآته مخطئا اكتفت بأشهار أخطائه .

فالآن لنا فرصة نقارن فيها بين تصرفات أساقفة رومية وتصرفات بطاركة الاسكندرية وكيف أن هؤلاء كانوا يترفعون عن السعى للايقاع بالغير بينما كان أولئك لا يجدون فرصة يتمكنون فيها من نشر الاذى على رؤساء الكنائس الاخرى حتى ينتهزوها . ولما أيضا أن نقارن بين ارتياب أساقفة رومية بايمانهم وتمسك بطاركة الاسكندرية به . . وكيف لا يخجل الغربيون اذا ذكروا مع تاريخ أسقفهم ويجيليوس تاريخ ديوسقوروس البابا الاسكندري ورأوا البون العظيم بين تلون ذاك وثبات هذا وكيف ان التهديدات المرة لم تزعجه بل استمر محافظا على ايمان كنيسته الى أن جاد بآخر أنفاسه . وأما أسقفهم فكان يتلون كل يوم بلون وسهل عليه أخيراً أن يسلم في ايمانه حبا في سواد عيون الفخفة الكاذبة

القرن السابع القسم الاول تاريخ البطارقة

(١) انسطاسيوس	(٢) اندرونيقوس
(٣) بنيامين ^١	(٤) اغاثو
(٥) يوحنا ^٣	(٦) اسحق
(٧) سيمون ^١	

(١) انسطاسيوس :

البطريرك السادس والثلاثون . كان من أبوين وحيين أقيم بعد البابا دميان وكان رجلا حكيما مزيينا بالفضائل وكان قسا في كنيسة الانجيليين وكنيستي قزمان ودميان بالاسكندرية مشهورا بالتضلع في كتب البيعة وفهم الأمانة فأجمعت كلمة الشعب على انتخابه في أبيب سنة ٣٠٩ ش و ٦٠٣ م في عهد فوقا قيصر المغتصب وقد عرفنا فيما سبق ان البطارقة كانوا ممنوعين من الدخول الى الاسكندرية ولكن هذا البابا كان قوى القلب يمضى الى المدينة ويدخلها في كل وقت ويرسم فيها الكهنة . ثم أخذ يعمل مع قومه حتى استرد ما استولى عليه الملكيون من كنائس المتأصلين ورسم منها ما انشعث في أيام الاضطرابات فأخذ البيعة التي هي بريرة اثارا وبيعة على اسم رئيس الملائكة ميخائيل . وكان له تعب عظيم من جماعة تيباريوس وابلساريوس الذين صار عليهم اسم قيانوس وأصحاب المجمع الخلكيدوني

وعين وقتئذ رجل شري يدعى أولوجيوس بطريركا للملكيين وكان حانقا على البابا انسطاسيوس جدا وحاول ان يوقع به ولكن الله لم يسلمه في يديه وفي الغالب كانت وظيفة البطارقة الملكيين سياسية أكثر منها دينية بدليل انه لم يكن لهم عمل سوى تنفيذ ارادة الامبراطور واتفق انه قام حينئذ رجل يدعى فوقا وقتل القيصر وجلس موضعه وكان ظالما عاتيا فكتب له أولوجيوس في البابا انسطاسيوس باقوال كاذبة منها قوله أن البطريرك لما كرر في بيعة يوحنا المعمدان حرمة هو وجميع الملوك المنتصرين للمجمع الخلكيدوني فلما سمع فوقا ذلك كتب لوالى الاسكندرية أن يغتصب من البطريرك بيعتي قزمان ودميان وجميع اوانيا ويدفعها لأولوجيوس . فأخذت البيعة بالقوة ورجع البابا انسطاسيوس الى الدير وقلبه ملآن بالحزن .

وفى ايام البابا انسطاسيوس افتتح كسرى ملك الفرس بلاد الشام ووصل حدود مصر
يتهددها ويتوغدها وكان كثيرون من مسيحيى سوريا قد فروا الى مصر ملتجئين اليها من ظلم
الفرس فعمل البابا انسطاسيوس كل ما فى وسعه لتخفيف ويلاتهم وتنفيث كرههم . وكان
البطريك الرومانى الذى خلف تاودروس الذى جاء بعد أولوجيوس يدعى يوحنا الملقب
(بالرحيم) وذلك لانه كان على جانب عظيم من رقة الاخلاق المسيحية فتسابق مع البابا
الاسكندرى فى مؤساة هؤلاء المنكوبين والحق يقال ان يوحنا قدم مساعدة تذكر للبابا انسطاسيوس
اذ كان أوسع منه ثروة لأن البطارقة الملكيين كانوا واضعين ايديهم على ايراد الكنائس القبطية
ودخلها كله ولم يكن لدى البطريك المصرى سوى ما يجمعه من المحسنين لسد احتياجاته . فسار
البابا انسطاسيوس مع يوحنا بغاية الوداد والصداقة الخالصة من كل نفاق لما تبينه فيه من التقوى
الصحيحة

وكان البابا انسطاسيوس فى ايامه يشتهى ان يجمع الله بين الكرسيين الاسكندرى
والانطاكى الذى فرقه بطرس فسمع الله لطلبته ومات بطرس المذكور وجلس عوضه على كرسى
انطاكية رجل صالح عالم يدعى اثناسيوس فسبق البابا انسطاسيوس وكتب له سنوديقا مملوءا حكمة
وجعله فيه شريكا له وأخا فى اصلاح ما أفسده بطرس الضال فقبل انسطاسيوس رسالته وجمع
الاساقفة واخبرهم بالامر فسروا جميعا لعودة الاتحاد بين كرسيى ثيودسيوس وساويرس اللذين كانا
يعملان لتأييد الايمان جنبا الى جنب فقام الاب اثناسيوس وأخذ معه خمسة أساقفة وسار فى موكب
الى الاسكندرية فلما وصل اليها وبلغ خبره البابا الاسكندرى قام باكليروسه وخرج ماشيا حتى
تلقاه بالتسبيح والفرح ودخلوا جميعا الدير القائم على ساحل البحر شرقى بحرى الاديرة وجلسوا هناك
بسلامة ثم أقاموا الصلاة وتناولوا من الاسرار المقدسة وخطب فيهم الآب اثناسيوس خطبة بليغة
واستمر ضيفا كريما لدى البابا انسطاسيوس شهرا كاملا وهما يتحاوران ويتسامران فى الامور
الروحية

وكان البابا انسطاسيوس مهتما بامور البيعة بحرص عظيم ومشتغلا بالعلوم الروحانية وأقام
على الكرسي اثنى عشرة سنة حافظا للامانة المستقيمة كتب فيها اثنى عشر كتابا رتبها على حروف
الهجاء القبطى أى انه ابتداء فيها أول سنة بحرف (لولا) وفى الثانية بحرف (فيتا) وهكذا الى أن
كتب الكتاب الثانى عشر ووسمه بحرف (الفلا) ثم أراد السيد المسيح أن ينقله الى كورة الأحياء
فى الثالث والعشرون من كيهك سنة ٣٢٠ ش و ٦١٤ م

(٢) اندرونيقوس — البطريك السابع والثلاثون :

جلس على الكرسي بعد البابا انسطاسيوس فى امشير سنة ٣٢٠ ش و ٦١٤ م فى عهد هرقل
قيصر وكان عالما غنيا جدا محبا للصدقة شماسا فى كنيسة الانجيليين وكان أهله من مقدمى المدينة

حتى انهم ولوا ابن عمه ديوان الاسكندرية ومن أجل قوة سلطانه لم يقدر الهراطقة أن يخرجوه من الاسكندرية الى الاديرة فأذنت له الحكومة بالبقاء فى الاسكندرية بغاية ما يكون من الحرية فجلس فى قلاية فى بيعة الانجيليين أيامه كلها ولذلك مد السلام رواقه على الكنيسة المصرية طول حياته

وكان كسرى ملك الفرس قد استولى على مصر سنة ٦٢٠ م ولشدة تضيقه على المصريين لم يتمكنوا من اقامة خلف للبابا اندرونيقوس وكان يوحنا بطريرك الملكيين قد توفى قبل البطريرك المصرى بسنة ولم يتمكن هرقل قيصر الرومان لمشغوليته بالدفاع عن القسطنطينية عاصمة ملكه ان يعين لهم بطريركا فى مصر فاستمرت الكنيسة المصرية والرومانية بلا رئيس حتى شرع المصريون فى انتخاب بطريرك لهم قتنه الاروام وأرادوا محاکاتهم خوفا من أن يستقل البطريرك المصرى ويستولى على ايراد الكنائس الذى صار فى حيازتهم ولم ينتظروا أمر القيصر بل انتخبوا رجلا يدعى جرجس ورسموه بطريركا لهم أما الاقباط فوقع اختيارهم على رجل خائف من الله مؤمن اسمه بنيامين من دير يعرف بدير قنوبوس أتى اليه فى ذلك الوقت لان هذا الدير لم تخربه الفرس مع ما اخرجوه وكان بنيامين هذا من أهل مريوط (١) من عائلة اشتهرت بالثروة الكثيرة والنفوذ الواسع مما ساعد هذا البطريرك فى ما قام به من الاعمال العظيمة لخير الكنيسة وجعل له شهرة فائقة وكان فى الدير تحت ارشاد شيخ قديس يدعى ثاؤنا رباة بخوف الله حتى برع فى العلوم الروحية وبلغ درجة فائقة فى القداسة وكانت أكثر قراءته فى انجيل يوحنا حتى حفظه ورأى فى احدى الليالى فى نومه رجلا فقيرا وقف به وقال له «افرح يا بنيامين الحمل المتواضع والراعى معا الذى يرعى قطيع السيد المسيح» فاضطرب مما سمع واخبر به معلمه فافهمه ان هذا صوت شيطان ليقوده الى الكبرياء ثم قال له ان لى خمسين سنة فى هذا الدير ولم أر شيئا مثل ذلك

غير ان بنيامين كان يتزايد كل يوم فى الفضيلة حتى كان وجهه يتلأأ كوجه ملاك ولكثرة اعجاب معلمه به أخذه ومضى به الى البابا اندرونيقوس وشرح له حاله فطلب البابا أن يقدمه اليه فلما شاهده رأى نعمة المسيح عليه فسأله عما شاهد فروى له الحقيقة فامسكها البطريرك تلك الليلة ولما كان الصباح عزم ثاؤنا على الرحيل للدير ببنيامين فنهى البطريرك عن ان يأخذه وابقاه لديه ثم رسمه قسيسا وصيره وكيلا له وفرح به البابا أندرونيقوس فرحا عظيما ولما دنت وفاته أوصى ان يكون بعده ثم تنيح البابا اندرونيقوس بعد ما قضى على كرسى البطريركية ست سنين ورأى اضطهاد الفرس الكريه للمسيحيين وصبر على ما حل به ومات شيخا وهو حافظ الامانة المستقيمة امانة آبائه وكانت نياحته فى ٨ طوبه سنة ٣٢٥ ش و ٦٢٠ م

(١) هى الان تبع الغيبة بمركز كفر الدوار وخربت من زمان بعيد .

(٣) بنيامين^١ — البطريك الثامن والثلاثون :

جلس على الكرسي الاسكندري في امشير سنة ٣٢٥ ش و ٦٢٠ م في عهد هرقل قيصر بعد معلمه اندرونيقوس . وجميع بطاركة الكرسي المرقسي قبل البابا بنيامين كانوا من الاسكندرية وهو أول بطريك اقيم من المدن والبلاد وكان مسقط رأسه مريوط كما ذكر وكانت حياته كلها سلسلة أوجاع وآلام . فانه لم يكدر رسم بطريكاً حتى أوفد هرقل قيصر الرومان واليا الى أرض مصر يدعى كيروس ليكون بطريكاً واليا عليها . ولكي ينال هرقل رضا المصريين كلف كيروس بنشر مشروع الاتحاد الذي سيأتى ذكره القائل بان المسيح « مشيئة واحدة » بدل قولهم « طبيعة واحدة » . فأبى البابا بنيامين قبول أى تعليم يؤثر على ما تقلده من آباءه . فأخذ الوالى فى اضطهاده حتى رأى حياته فى خطر وقيل ان ملاك الرب تراءى له وقال له « اهرب انت ومن معك من هنا لانه شدائد عظيمة تنزل عليكم ولكن تعز فلا يستمر هذا الجهاد سوى عشرين » فكتب منشورا الى سائر الاساقفة فى اقاليم مصر ينصحهم فيه ان يختفوا من وجه التجربة الآتية عليهم . وجمع كهنة الاسكندرية واوصاهم بالسهر على الرعية ثم خرج من طريق مريوط وهو ماش على رجله ليلا ومعه اثنان من تلاميذه حتى وصل الى اسقيط القديس مكارىوس وكان هذا عقب الخراب الذى دهم هذه البرية من الفرس فلم يجد فيها الا نفراً قليلاً فتركهم وانصرف الى الصعيد وسكن هناك فى بلاد تيباس واختفى فى دير صغير حتى تمت العشرين

وفى هذه الاثناء هجم العرب على مصر بقيادة عمرو بن العاص واستولوا عليها وقرب عمرو منه كبار الاقباط وكان بينهم رجل يسمى شنودة فتقدم اليه وأعلمه بخبر البطريك وما كان من أمر هروبه واختفائه وطلب منه أن يأمر بعودته فلبى طلبه وكتب اماناً وارسله الى جميع الجهات يدعوه فيه البطريك للحضور دون ان يخاف مطلقاً ولما حضر وذهب لمقابلته ليشكره على هذا الصنيع أكرمه وظهر له الولاء واقسم له بالامان على نفسه وعلى رعيته وقيل انه طلب منه ان يصلى لاجله حتى اذا رجع منتصراً من حروبه الاخرى يجيبه الى كل ما يطلبه فدعا له البطريك وتم لعمرو ما اراد بدعائه وعزل البطريك الذى اقامه هرقل . ورجع البابا بنيامين الى مركزه معززا مكرما وهكذا عادت المياه الى مجاريها بعد غياب ثلاث عشرة سنة منها عشرين فى عهد هرقل وثلاث سنين قبل ان يفتح المسلمون الاسكندرية واعطاه عمرو الكنائس التى اغتصبها الاروام ثم أخذ فى جذب الذين اضلهم هرقل فرجع منهم كثيرون وظهر الارثوذكسيون الذين كانوا مختفين حسب مشورة بطريكهم ثم ظهر ملاك الرب للبطريك طالبا منه ان يبنى بيعة بدير مطرا لانه يتنجس بافعال الخلكيدونيين الرديئة دون كل الكنائس والاديرة التى هتكوا فيها الاعراض واهرقوا فيها الدماء

ثم وجه البطريك التفتاته نحو الاديرة التى أخرها الفرس اثناء تملكهم لمصر واجتهد فى تصليحها فرمم عمارات اديرة برية شيهات بوادى النطرون فبنى دير الانبا بيشوى واعاد اليه رهبانه ولما نما عددهم وأخذوا قسطهم من الراحة قصد بهم الى دير ابنى مقار فرمموه وبنوا به كنيسة عظيمة

ودعوا البطريرك لتكريسها . وكان شنوده كبير الاقباط حينئذ قد كلف البابا بنيامين ببناء كنيسة على اسم القديس مرقس ولكن الأجل لم يفسح له

وكان مع هذا البطريرك انسان مملوء نعمة وحكمة اسمه اغاثو وكان قسا في الكنيسة وهو من اهل مريوط كان في زمن هرمل يتزيا بزي العلمانيين في مدينة الاسكندرية ويطوف في الليل ليثبت الارثوذكسيين المختفين و يقضى حوائجهم و يناولهم من الاسرار المقدسة وفي النهار كان يحمل على كتفه قفة فيها آلات النجارة و يتظاهر امام المضطهدين بانه نجار حتى لا يعترضوا سبيله . فكث هكذا ١٠ سنين الى حين ظهور المسلمين ورجوع البابا بنيامين فجعله وكيلا له في تدبير البيعة . واصيب البابا بنيامين بمرض في رجله استمر فيه سنتين وقبل وفاته ارسل مطرانا جديدا الى الحبشة ومعه راهب اسمه تكلاهيمانوت عرف بقداسته وتقواه ولا زال الحبش يكرمونه ويجلونه الى هذا اليوم ويقولون انه أول من أوجد الرهبنة في بلادهم . ثم لحق البابا بنيامين بآبائه وتنيح في اليوم الثامن من طوبه سنة ٣٦٤ ش وسنة ٦٥٩ م بعد ان جلس على كرسي البطريركية تسعا وثلاثين سنة

أما البطريرك الروماني كيروس فقد مربنا خبر عزله وقيل انه لشدة حسرته لسبب خيبته وفشله مص خاتما مسموما فمات لوقته ولا يعلم من القيصر أو الملكيين بمصر اختار خلفه بطرس الذي لما عرف ان للبابا بنيامين السلطة والرئاسة في مصر لم يعجبه البقاء فيها فأب الى القسطنطينية مع المهاجرين اليها واستمر الكرسي الروماني بعد بطرس خاليا مدة ستين سنة

(٤) اغاثو- البطريرك التاسع والثلاثون :

جلس على كرسي البطريركية بعد معلمه بنيامين وكان صالحا كاسمه وهو من الاسكندرية واحزنه كثيرا رؤية أولاده في ايدي الامم وتحت سلطانهم . ولما فتح العرب عدة ولايات وجزر للروم في امشير سنة ٣٦٤ ش وسنة ٦٥٩ م في عهد خلافة علي ابن أبي طالب . نهبوا كل ما فيها وسبوا اهلها وأتوا بهم الى مصر فكان البابا اغاثو يبتاع منهم الرجال والنساء بالفضة والذهب و يأتي بهم الى بيوت المسيحيين خوفا من ان يسلموا

وقد تضايق هذا البابا كثيرا من تصرفات رجل اسمه ثيودوسيوس من اتباع كنيسة الأروام بمصر كان رئيسا في جماعة الخلكيدونيين فهذا مضى الى دمشق وقدم رشوة وافرة الى الخليفة يزيد بن معاوية واخذ منه أمرا يتسلط به على شعب الاسكندرية ومريوط وكل ما يتبعهما واستمد هذا الرجل سلطته من الحاكم الاسلامي بواسطة الخداع والمكر فسعى في مضايقة البابا اغاثو واقلقه وطلب منه مالا واخذ منه ٣٦ ديناراً جزية كل سنة عن تلاميذه وقرر عليه دفع كل ما ينفقه على النواتية في الاسطول . ثم ضيق عليه ضيقا عظيما لما كان البابا يستطيع الخروج من باب قلايته حتى ان ثيودوسيوس أوصى اتباعه قائلا « اذا رأيتم بابا الارثوذكسيين خارجا ليلا أو نهارا ارجوه بالحجارة

واقتلوه وانا المجاوب عنه » وكان غرضه من ذلك ان يكون بطريركا عوضه اما البابا اغاثو فكان يصلى مـ: أحله حسب وصية السيد المسيح

وفى أيام هذا البطريرك عمرت البيعة التى على اسم ابى مقار وكثر الاخوة حتى انهم بنوا القلالى بقرب البهلس . وحدث ان رجلا تقيا حكما يدعى يوحنا من سمنود كان راهبا بدير انبا مكار يوس فى الاسقيط اصيب بمرض عضال عديم الشفاء وفى ذات ليلة رأى فى نومه انسانا مهيبا لمسه فأبرأه وخاطبه بان يقوم بالواجب الذى سيكلف به فقام من وقته ومضى الى دير من اعمال الفيوم ومعه تلميذاه واختفى هناك . فظهر للبابا اغاثو فى رؤيا ايضا من قال له ادع اليك القس يوحنا ليعينك ويساعدك وهو الذى يجلس بعدك على الكرسي . فأنفذ كهنته الى انبا مينا اسقف الفيوم يطلب منه ان يرسل يوحنا اليه . ومع ان اسقف الفيوم كان يحب يوحنا الا انه لم يستطع مخالفة البطريرك . فأتى يوحنا الى الاسكندرية ففرح به البابا وأشار عليه البعض بان يرسمه اسقفا لبعض الكراسى ولكنه أبى

وقضى البابا اغاثو بقية ايامه مهتما برسامة الكهنة المستحقين للشرطونية الخائفين من الله والناس يشكرون الله على لفعاله حتى اكمل كل ايامه بشيخوخة حسنة وأقام ١٧ سنة على كرسيه وتنيح فى ١٦ هاتور سنة ٣٨٣ ش وسنة ٦٧٧ م وجعل جسده مع البابا بنيامين .

وحدث عندما توفى هذا البطريرك ان اسرع ثيودوسيوس الخلكيدونى الى البطريركية وأوصد جميع ابوابها وختمها بالشمع الاحمر بدون مسوغ شرعى وبدون قانون يخول له هذا التداخل المذموم واستاء الارثوذكسيون من هذه الوقاحة وقاومه ارخن بسخا يدعى اسحق مستعينا عليه بوالى سخا ورفع الارثوذكسيون الامر الى الوالى المسلم فنظر فى الامر ورفع هذا الحيف الثقيل الى ان انتقم منه الرب بضربة قوية فى احشائه وهى علة الاستسقاء وصار يأكل بدون شبع حتى مات ميتة سيئة

(٥) يوحنا^٣ — البطريرك الاربعون :

بعد نياحة البابا اغاثو كان الآب يوحنا قد حاز صيتا حميدا واكتسب شهرة فى القداسة والفضيلة فانتخب بالاجماع لكرسى البطريركية فى أول كيهك سنة ٣٨٣ ش و ٦٧٧ م فى عهد خلفه معاوية بن ابى سفيان وكان ابن ثيودوسيوس الخلكيدونى قد تولى عوضه ولكنه كان احسن منه اخلاقا وصار للبابا يوحنا كالولد وكان يحبه ويثق به ويهديه الى الطرق المستقيمة .

وكانت معظم الكنائس الارثوذكسية فى الاسكندرية حينئذ فى يد الملكيين منذ وضع اليد عليها ثيودوسيوس فلما أستولى عبد العزيز على مصر اتخذ له كاتبين ارثوذكسين وهما اثناسيوس وكان له ثلاثة اولاد وهو من أهل الرها من اعمال سورية والاخر اسمه اسحق له ولد واحد من

شبرا . فكتب البطريرك الى هذين الكاتبين يعرفهما حال الكنائس وكيف هي بيد الخلكيدونيين الذين لقلة عددهم لم يكونوا يشغلونها بل اغلقوها بالشمع حتى لا يصلى فيها الارثوذكسيون . واستخدم هذان الكاتبان نفوذهما وارسلا رسلا الى الاسكندرية كلفاهم بفتح الكنائس وتسليمها جميعها للبطريرك القبطى .

وكان هذا البابا بهى الطلعة يلوح لكل من يرى وجهه أنه يرى وجه ملاك وقد أوتى من عند الله نعمة شفاء المرضى وعفة النفس والجسد ومسألة جميع الناس حتى بلغ صيت افعاله الحميدة الى العظماء فجزلوا له الهدايا . وحدث ان الوالى وهو سعيد بن يزيد مضى الى الاسكندرية كعادة من يتولى لياخذ خراجها بدون ان يبلغ خبر وصوله اذن البطريرك فلم يخرج لمقابلته فسعى حينئذ قوم اشرار من الاروام فى مقدمتهم ثاوفانيس وهو زوج أخت ثيودوسيوس الخلكيدونى وقالوا للوالى ان البطريرك ابى الاحتفاء بك لكثرة تبجحه وازدياد كبريائه ووفرة ماله . فغضب الوالى واستدعاه اليه وأوقفه بين يديه وسأله عن سبب تأخيره عن الخروج للقاءه فأجابه « يعلم الله أننى لم أفعل هذا لغلظ رقبة ولكن لعدم علمى وذلك لضعفى ولعدم أمانى الخروج من المدينة الى موضع آخر » فاضطرم غيظ الوالى وسلمه لجنوده الى ان يقوم بدفع مائة الف دينار . وكان ممن أستلموه رجل يدعى سعد عديم الرحمة قاسى القلب فأخذه الى بيته أول يوم فى جمعة الالام ليعذبه حتى يقوم بالمال .

وكان مع البطريرك رجلا من أولاد الاخيار اراس القس الامين على مال البيعة معروف بالبدعة عند كل أهل المدينة والشماس كاتبه رجل حكيم محب للناس . فلما أوقف ذلك الرجل البطريرك أمامه وقال له اريد منك المائة الف دينار التى أمر الوالى ان تقوم بها فاجابه البابا بسكينة وهدوء « اتطلب منى مائة الف دينار ولا أملك منها الف درهم لان الهى فى شريعته أمرنى ان لا اقتنى المال لانه أصل كل الشرور . فكل ما تشاء أفعل جسدى بيدك ونفسى بيد الله » فلما سمع الكافر ذلك حنق على البابا للغاية وأمر ان يحضر له وعاء نحاس مملوء جرا وأوقف البطريرك عليه ليقول أنه يقوم بالمال حتى ذاب شحم القدمين من قوة النار ولكن البطريرك لم يتحرك ولم يلفظ كلمة استغاثة كأنه كان واقفا على وثير الفراش غير ان الله جلت قدرته أوقع بزوجة الوالى ضيقا فأنفذت رسولا يقول له « أحذر أن تفعل سوءا بالبطريرك رجل الله لانى بليت الليلة بسببه »

فأمر الامير سعيد بان لا يمسه بسوء بل يجتهد لياخذ منه ما يقدر عليه بلطف فعاد سعيد الى بيته وكان يوم ثلاثاء البصخة وأخذه الى السجن والاغلال فى عنقه والسلاسل فى يديه ورجليه وجعل يتهده بان يدفع المال واستحضر له ثياب يهودى واقسم أنه لم يدفع ما هو مقرر عليه يلبسه اياها ويلطخ وجهه برماد ويطوف به حول المدينة . أما البطريرك فكان يجاوبه بكل شجاعة قائلا « لا تستطيع أن تمد يدك الى بسوء بغير أمر الله » فقال له انى أترك نصف المبلغ فادفع النصف

الآخر لكى اطلقك . فأجابه البابا كل ما أملكه هو ثيابى التى على جسدى واستمر الرجل ينازعه الى ان انتهى بالقيمة المطلوبة الى عشرة الاف دينار . فأفهمه البطريرك أنه لا يقوى على دفعها .

واتصل الخبر بالكتاب الاقباط الموظفين بالاسكندرية فبلغ أنتمى الى عشرة آلاف دينار فأوعزوا اليه سرا ان يقبل الدفع وهم يجمعونها خوفا من أن يجرى على البيعة اضطهاد بسبب ذلك ثم تقدموا الى الوالى وطلبوا منه أن يحضر البطريرك امامه ليسمع قوله فلما شاهد وجهه الملائكى رق لحاله واستحضر له وسادة ليجلس عليها ثم قال له الوالى « السلطان لا يقاوم » فأجابه البطريرك « يطاع السلطان فيما يجب ويخالف فيما يبغض الله فقد قال الانجيل « لا تخافوا ممن يقتل الجسد وليس له سلطان على النفس ولكن خافوا ممن يقدر ان يهلك النفس والجسد جميعا يعنى الله القادر على ذلك وحده » فقال له الوالى « الهك يحب الحق والصدق » فأجابه البطريرك « الهى كله حق وليس فيه كذب بل يهلك من ينطق بالكذب » فقال له الوالى « كل ما دفعه لك النصرارى فادفعه لى ولا اطلب منك سواه » فأشار الموظفون على البطريرك أن يقبل فقبل واطلقه الوالى بكل كرامة ففرح المؤمنون ونال اعداء البيعة حذى جسيم

وخرج البطريرك من دار الامارة راكبا والارثوذكسيون يحيطون به وأستمروا يسبحون ويرتلون حتى وصلوا الى البيعة وكان يوم خميس العهد فصلى على اللقان وغسل أرجل الشعب وأقام الصلاة وقرب الاسرار ورجع الى قلايته بسرور زائد بمجد الله

أما ثاوفانيس رئيس مريوط الذى اشتكى البطريرك فغضب عليه الامير لاشتهار فضائحه وسلمه الى احد كتبه ليلقيه فى السجن ثم أرسل من يقتله بعد أن عذبه عذابا شديدا . وأعطى الله البطريرك حظوه ونعمة لدى الوالى فأمر فى جميع المدينة أن لا يخاطب أحد البطريرك الا باللين ولا ينبغى لاحد ان يذكر أمامه عنه كلمة سوء وأن لا يتعرض له أحد فى دخوله ولا فى خروجه . وقد ساعد الرب البطريرك فجمع هو والاراخنة والكتاب المؤمنون وجميع الشعب الارثوذكسى حتى أوفى الامير ما قرره ، وبعد ذلك أهتم مع رعيته ببناء بيعه القديس مارمرقس الانجيلي وأتمها فى ثلاث سنين بكل زينة وأشتري لها دورا كثيرة وأملاكا بمصر ومريوط والاسكندرية وبنى طاحون كعك ومعصرة زيت حار .

ومما حدث فى أيامه أشتراك الارثوذكسيين مع اهل اغراوه واهل اسخيطس لانهم كانوا خلكيديونيين وكان هذا البابا كثير الصدقات فحدث فى زمنه غلاء استمر ثلاث سنين وأعانه الله على القيام بحال ضعفاء المدينة طول تلك المدة ولولاه لهلكوا من شدة الجوع فكان يدفع لهم قوتهم دفعتين فى كل جمعة ويدفع لهم ايضا دراهم .

وقد شاء الرب أن يصاب بمرض النقرس فى رجله فتعذب منه كثيرا وسار الوالى الى مصر

فسار معه الى ان وصلا اليها فلحقه نخس في جنبه فأخبر الوالى بذلك فحزن عليه وأنفذ الكتاب ليفتقدوه وأعدوا له مركبا لينحدر الى الاسكندرية وحال وصوله كان الالباء الاساقفة قد علموا بخير مرضه فدخلوا اليه وكان بصحبتهم غريغور يوس اسقف القيس و يوحنا اسقف نقيوس و يعقوب اسقف ارواط و يوحنا اسقف سخا وتيدر اسقف ملىدس و جماعة من الشعب وكانوا كلهم فى حزن عميق لعلمهم بدنو أجله ثم حملوه الى بيعة مار مرقس التى بناها هو وأدخلوه أمام المذبح الكبير فوقف بقوة الروح وقال صلاة الشكر وبعد ان اكملها أعتريته غيبوبة فحملوه الى مخدعه وفيه أسلم الروح فى ١٠ كيهك سنة ٣٩٢ ش سنة ٦٨٦ م وجعل جسده فى المكان الذى بناه لنفسه قبل نياحته فى كنيسة مار مرقس الرسول

وبعد نياحته أصدر عبد العزيز أمرا يقضى فيه على الاقباط بان لا ينتخبوا بطريركهم الا فى بابيليون وكانوا قبلا ينتخبونه فى الاسكندرية ومن ذلك الحين لغاية القرن الحادى عشر والبطاركة ينتخبون ببابيليون ولكن رسامتهم تتم فى كنيسة الملائكة بالاسكندرية كما أنه على البطريرك المنتخب أن يدفع مبلغا من المال لكنائس الاسكندرية لاجل تعميرها وحفظها من الزوال .

(٦) اسحق — البطريرك الحادى والاربعون :

وكان قبل نياحة البابا يوحنا أنه طلب من الرب أن يرشده الى من يصلح للجلوس بعده على الكرسي ولما علم عن أخ تقى متعبد فى دير ابي مقار كان قد تتلمذ لذكريا أيغومانس ذلك الدير والذى ارتقى فيما بعد الى كرسي اسقفية مدينة سياس فكتب البطريرك واحضره اليه وطلب منه ان يكتب كتابا فافسده حتى لا يعين فى وظيفة ما زهدا منه فى مجد العالم فلما علم البطريرك نيته قال له حسنا ما كتبته ووضعته تحت عنايته وكان هذا الراهب يدعى اسحق مجتهدا فى أعماله وفى الكتابة والنسخ فأشركه معلمه معه فى خدمة البيعة وحدث بعد نياحة البطريرك أنه اجتمع الاساقفة وفى مقدمتهم غريغور يوس أسقف القيس و يعقوب اسقف ارواط و يوحنا اسقف نقيوس و جماعة من الشعب وتشاوروا مع كهنة الاسكندرية ومنع الكاتب المتولى واتفقوا على أن يقدموا الشماس جرجس من سخا بطريركا بدون أخذ رأى الوالى وكان حينئذ عبد العزيز بن مروان وقالوا فى أنفسهم ان تقمقم علينا الوالى اخبرناه أننا أقنا جرجس بطريركا بوصاية سلفه يوحنا . ثم أخذوا الشماس وقسموه قسا والبسوه اسكيم الرهبنة وأذاعوا الخبر بانه غدا يقام البطريرك وغاب عن ذاكرتهم قول الرب « فى قلب الانسان مشورات كثيرة ولكن مشورة الرب هى التى تثبت »

فلما كان الغد اجتمعوا بارشدياقن المدينة وكان اسمه مرقس وهو رجل فاضل فنعمهم وقال ان لم تحضروا يوم الاحد كما جرت العادة لا أرسمه . وحينئذ وصل قوم من أتباع الوالى وطلبوا أخذ البطريرك الذى رسموه ليضوا به الى الوالى فى مصر فساروا به وهناك ظهر ان الذى أوصى به البابا

يوحنا هو اسحق لا جرجس فغضب الوالى وأمر بتقديم من سبقت الوصاية عليه وقد حاول الشماس أن يدفع أموالا يستميل بها الوالى الى حزبه ولكنه لم يفلح فقطعه الاساقفة من درجته ثم عادوا الى الاسكندرية ووضعوا الايدى على الآب اسحق وأجلسوه على الكرسي فى نفس الشهر والسنة اللذين توفى فيهما سلفه فى عهد خلافة عبد الملك بن مروان

ومن أمر هذا البابا أنه ولد فى شبرا من أعمال الغربية وقيل من البرلس من أبوين اشترا بالغنى والشرف ولما تقدم قليلا فى العمر أدخل المدرسة فكان فيها آية فى العلم والتقوى حتى عين كاتباً فى الديوان فنال ثقة جميع رؤسائه وأصبح معروفا بالصفات الحسنة عند الجميع . وكان فى عيشته متقشفا للغاية يلبس على جسده من داخل لباس شعر وفوقه رداء فاخر وكان يكتفى من الطعام بما يسد سغبه

وقد حركه والداه الى الزواج كثيرا بدعوى اقامة نسل ولكنه أبى وتبينت أغراضه السامية عندما استعفى من وظيفته وقصد دير أبى مقار وتعلمد للاسقف زكريا وقد لاح له من جمال وجهه وبهاء طلعه وحسن صفاته أنه من عائلة ذات شرف فخشى سطوة أهله وارسله الى الطرانه ليقم بها عند احد الكهنة الافاضل حتى يقف على حقيقة امره

وكان ذووه بعد مبارحته لهم قد اخذوا يبحثون عليه فى كل مكان ولاسيا فى الاديرة حتى كلفوا البطريرك بان يساعدهم فى التفتيش عنه ولكنهم لم يفلحوا ولم يعثروا له على أثر فحزنوا عليه حزنا مفرطا . وبعد ذلك استدعاه الاسقف زكريا والبسه اسكيم الرهبنة ووضع تحت ارشاد شيخ يدعى الانبا ابراهيم وامره بان يذهب ليختفى فى دير (باماهو) حتى ينتهى الانزعاج الحاصل بسببه . فاستمر الشاب اسحق فى ذلك الجبل مدة ستة أشهر خطر له فى نهايتها ان يزور اهله ليهدى بالهم ويرفع عليهم تعب البحث عنه . فعرض الامر على الشيخ ابراهيم واقنعه به فسارا معا الى بلده حتى صارا بالقرب منها وقد آذنت الشمس بالمغيب فالا الى مكان يملكه أهله ليبى فيها فوجدا راهبا استقصى منه عن احوال أهله فحدثه بما جرى لهم بعد فراقه ولذلك عرفه بنفسه وطلب اليه ان يستدعى له رجلا يدعى الشماس فيلوثاوس من اقربائه وكان مملوءا من خوف الله فلما تقابل معه طلب منه ان يخبر أهله بأمر مجيئه بشرط أن يضمن له عدم حجزهم اياه والسماح له بالرجوع الى الدير فقبل ذلك وانطلق الى والدى اسحق واخبرهما بالامر فذهبا الى مكان اقامته ومعهما جمع كثير من أهله ومعارفه وكانت ساعة التقائهم بها مفعمة بالسرور الزائد . ثم التمسوا منه ان يبقى عندهم شهرا فقبل وبعده رجع الى معلمه الاسقف زكريا ولبث عنده حتى استدعاه البطريرك اليه كما سلف

ولما جلس هذا البابا على الكرسي المرقسى أخذ فى أتمام واجباته فاقام البيعة الكبيرة التى للقديس مرقس وكانت حيطانها قد مالت وجدد محل البطريركية بالاسكندرية وعلى يديه تجددت

كنائس عديدة للارثوذكسيين لم يتمكنوا من أن يبنوها اولا وبنى بيعة بجلوان وسبب بنائها ان الوالى ابتنى له بها قصرا وأمر أراخنة الصعيد وسائر الاقاليم بان يبنى كل واحد منهم لنفسه مكانا بجلوان وقد أصيب هذا البابا بمصائب متنوعة بعضها من اثناسيوس جابى الخراج ولكنه فيما بعد كف عن ايصال الاذى اليه عندما أشرف أبنة على الموت فاضطر ان يستدعى البطريرك ليصلى عليه وبواسطة صلواته نال أبنة الشفاء .

وعقب ذلك حضر للبطريرك وفد من احدى ممالك السودان يشرح له سوء الحالة فى تلك البلاد ويقول له انه لم يبق عندهم من الاساقفة ما يكفى للخدمة الدينية و يطلب تعيين من يلزم . وكان حينئذ خلاف شديد بين ملكى النوبة وملك الحبشة وبسبب ان الاول كان مسيحيا بالاسم واتفق مع المسلمين على محاربة الثانى وغرضه من ذلك الحصول على العبيد المخصصين للجزية السنوية فخشى البطريرك أن يرسل اساقفة لثلاثيناهم أذى من جرى هذا الخلاف فرأى أن يكتب للملكين ليصطلحا ويكفا عن المشاحنة وكتب لملك النوبة الذى أظهر العداوة للمسيحيين يقول له « ان عليك مسئولية عظيمة من الله اذا عملت على تعطيل بشارة الخلاص وتسببت فى خراب الكنائس الجنوبية واضمحلالها » و يظهر أنه كتب اليه يحذره من التحالف مع المسلمين

فسعى قوم من اهل المكر لى عبد العزيز والى مصر قائلين أنه أخذ فى مكتبة ملوك السودان والحبش ليتحد معهم على خلع نير المسلمين عن مصر فغضب الوالى وقبض على البطريرك وأمر بقطع رأسه ولكن بعضهم توسط فى الامر ورجا الوالى ان ينتظر حتى تسترجع الخطابات ويعرف ما فيها . فارجا الوالى تنفيذ الحكم على البطريرك وأنتهز كتاب الاقباط الماهرين تلك الفرصة وكتبوا خطابات قلدوا فيها خط البابا اسحق وسطروا بها كل ما فى الخطابات الاولى وحذفوا منها كل ما يخص المسلمين وأنما فعلوا هذا الامر خوفا على البطريرك ولثلاثين يلحق البيعة ضرر . وقبل ان يصل البطريرك الى الوالى عرفوه أن الرسل حضروا ومعهم الخطابات فاسرع فى طلبهم وقرأ الكتب فلما وقف عليها لم يجد شيئا يذكر فسكن غضبه وأنفذ للوقت واعاد البطريرك الى الاسكندرية لكنه حرمة فيما بعد من مزاي كثيرة . واستمع البطريرك بعد ذلك مجاهدا فى خدمة كنيسة حتى أنهى على الكرسي البطريركى ثلاث سنوات وتوفى فى اليوم التاسع من هاتور سنة ٣٩٥ ش و ٦٨٩ م وبعد نياحته جعل جسده فى المكان الذى أنشأه فى بيعة مار مرقس .

(٧) سيمون ١ — البطريرك الثانى والاربعون :

وبعد ان تنيح البابا اسحق كان الشعب والكهنة مهتمين فى من يقدموه بعده على كرسي البطريركية . فوقع بين كهنة بيعة مار مرقس الانجيلي وكهنة بيعة الانجيليين فى المدينة خصام . فبعضهم كان يزكى يوحنا الايغومانوس بدير الزجاج بدعوى انه رجل عالم كاتب وآخرون يرشحون أنسانا يدعى بقطر أيغومانوس دير تفسر وكان رجلا فاضلا وقد مال الكتاب الاقباط الى رأى كهنة

بيعة الانجيليين لانها هى البيعة الكبيرة وكان بها مائة واربعون كاهنا غير ان الفريق الاول الذى رشح يوحنا كان يساعده الكاتب المتولى وكتب تادرس أرخن مدينة الاسكندرية الى الوالى يذكر لهم يوحنا أيغومانوس دير الزجاج وهو الذى وقع عليه الاختيار ليكون بطريركا .

غير ان ارادة الله لم تصادق على تعيين هذا أو ذاك بل أقامت رجلا كان فى دير الزجاج قديس خائف الله فاضل عالم يدعى سيمون من بلاد الشرق سريانى الجنس أرثوذكسى المذهب جاء به أبواه الى الاسكندرية منذ صباه ودفعوا به الى ذلك الدير اكراما لجسد القديس ساويرس البطريرك الانطاكى الذى كان مدفونا فيه وفى أيام البابا اغاثو اخذ تادرس أرخن الاسكندرية المذكور سيمون هذا الى يوحنا أيغومانوس دير الزجاج ليدرس عليه العلوم فنال منها قسطا وافرا حتى رآه البابا اغاثولاثقا لدرجة الكهنوت فرسمه قسا وكان الثانى بعد معلمه يوحنا فى طقس الدير . فكتب الامير وارسل يستحضر يوحنا فسار معه سيمون تلميذه وبعض كهنة الاسكندرية والارخن تادرس فلما وصلوا دفعوا الكتاب للامير وفيه اسم يوحنا فطلب أن ينظره فلما حضر أمامه سر به جدا لانه كان شخصا بهى المنظر ثم سأل الاساقفة عنه فأطروا حسن سلوكه ولهذا أظهر موافقته على تعيينه بطريركا

وكان هذا التدبير خلافا لمشیئة الله ولذلك تحرك احد الاساقفة يقول هذا لا ينبغى ان يكون لنا بطريركا . فنزل على الجميع سكوت حتى لم يقو على مجاوبته أحد فسأله الوالى من تراه يصلح اذا . فاجابه ان المستحق لهذه الرتبة هو سيمون فامر الوالى باحضاره ولما شاهده سأل عن جنسه فقيل له أنه سريانى من أهل الشرق . فقال للاساقفة أما كان الافضل ان تختاروا لكم بطريركا من بلادكم فاجابوه ان الذى اخترناه احضرناه بين يديك والامر لله ولك فسأل الوالى سيمون عن يوحنا وهل يليق أن يكون بطريركا فاجابه انه لا يوجد فى كل مصر ولا فى الشرق من يستحق هذه الرتبة مثل يوحنا فهو ابى الروحانى من صغرى وسيرته كسيرة الملائكة . فتعجب الامير من كلامه وحينئذ خرج صوت من جميع الاساقفة والكتاب والارائنة قائلين ليحيى الله الامير لنا سنين كثيرة سلم الكرسي لسيمون فهو مستحق للبطريركية فلما سمع الامير شهادتهم عن انسان غريب لم يعرفه الا منذ يومين فقط سمح لهم باقامته بطريركا ففضوا به وقدموه على الكرسي فى بيعة الانجيليين فى شهر كيهك سنة ٣٩٥ ش و ٦٨٩ م فى عهد خلافة عبد الملك بن مروان ولقد أمتنع سيمون كثيرا عن قبول الرسامة ولكنه رضى أخيرا وقبل يوحنا ذلك بكل فرح وابتهاج حبا فى راحة رعيته وميلا منه الى السلام والوثام . وكانت نتيجة هذا ان العواطف الحسنة والمحبة المتبادلة ملأت قلب سيمون وأفعمت فؤاد يوحنا فعينه سيمون وكيلا له ومتصرفا وكان يهتدى برأيه ويسير على نصيحته مدة الثلاث سنوات التى عاشها يوحنا بعد تعيين سيمون وعند وفاته وضع البطريرك يده على عينيه وكفنه بنفسه وأخذ بركته ودفنه وأقام عنده اربعين يوما حتى بنى له قبرا ووسعه حتى اذا مات يدفن معه فيه .

ثم كتب البابا سيمون سنوديقا الى يوليانوس بطريرك أنطاكية وارسلها مع اساقفته يذكر له فيها الاتحاد بين الكرسيين الاسكندري والانطاكي . فلما وقف عليها وجدها مملوءة من الحكمة والعلم ففرح جدا وخطب في بيعته باسم البابا سيمون وكتب له جوابها وأعاد رسله باكرام زائد فكان فرح عظيم من الشعب الارثوذكسي وسلام واتحاد في البيعة التي كانت تنمو كل يوم وقد بقي هذا البطريرك يحافظ على نوااميس الرهبنة كما لو كان في دير . وكان البابا سيمون على جانب عظيم من التقوى والتقشف ولم يكن يعطى نفسه راحة ولم يتمتعها بطيب الاكل بل كان غذاؤه دوما خبزاً وملحاً مخلوطاً بكمون وبقل وماء وقيل انه لم يأكل لحماً قط ولم يكن يحضر مع الاساقفة ولا الكهنة لانه كان يطلب الانفراد لا تمام قوانين الصلاة وكان اذا قابل الكهنة يحرضهم على النسك والامانة ويوبخهم على عيشة الافراط حتى ضجر منه بعض الكهنة العالميين وصاروا يبغضونه بغضا شديدا وتآمروا فيما بينهم على اهلاكه فضى قوم منهم الى بعض السحرة وقدموا له مالا ليركب لهم سماً قاتلاً فأخذوا السم ووضعوه في الاناء الذي كان يشرب فيه البطريرك وجاءوا به اليه ليشرب منه . وكان قد تناول من الاسرار الربانية فلم ينله سوء فأعادوا عملهم مرة ثانية فلم يصب بأذى وتم قول الانجيل « يحملون حيات وان شربوا شيئاً مميتاً لا يضرهم » (مر ١٦ : ١٨)

فاندهش الكهنة والساحر مما جرى فأخذوا تينا وجعلوا فيه سماً أقوى فعلا عن الاول وكلفوا أحد الكهنة بأن يطعمه اياه صباحاً قبل أن يأكل شيئاً فلما تناول منه تحركت عليه أحشاؤه ولزم الفراش مريضاً واستمر كذلك أربعين يوماً وهم ينتظرون موته غير أن الرب أقامه صحيحاً . أما اولئك الاشرا فقد جزاهم الرب حسب فعلهم وذلك ان الوالى لما جاء الى المدينة ورأى البطريرك متغيراً مما جرى له سأل عن السبب ففيل له من الكتاب ان أربعة من الكهنة سقوه سماً فأمر بحرقهم أحياء مع الساحر فلما أخرجوهم الى موضع يسمى الفاروس لكى يحرقوا ركع البابا على وجهه أمام الوالى وبكى بدموع غزيرة وطلب منه أن يعفو عنهم ولا يؤذيهم بسببه فتعجب الوالى من جميل أخلاقه وعفى عن الكهنة ولكنه أحرق الساحر عبثاً لسواه

وبعد ذلك ولى الآب يوحنا النيقاوى تدبير الاديرة وكان من أمره ما سيأتى ذكره فى باب المشاهير . ثم ولى بعده آخر اسمه مينا من دير ابى مقار وكان رجلاً وجيهاً قوى الحجة محباً للاخوة وحدث أن الاساقفة اجتمعوا عند الوالى للبحث فى بدعة للطلاق التي تفشت بين بعض أغنياء الاقباط وكان بينهم أساقفة من أتباع الهرطقة ثاوفيلسطس الخلكيدونى وتاودرس الاوطاخى وجرجس البرسنوفى وغيرهم وبينما كانوا مجتمعين فى أحد الاعياد طفق الوالى يشنع عليهم بأنهم كفرة يجعلون لله زوجة وولداً ثم عيرهم بعدم اتفاقهم والتفت الى كل من الثلاثة الاساقفة الهرطقة وسأله « من من هؤلاء الاساقفة الثلاثة أقرب اليك » فأجاب كل منهم « البابا سيمون » ثم سأل البابا سيمون أخيراً هكذا فأجابه بصوت عال وقال « لا أحب ولا أقرب الى واحد من هؤلاء وأنا

أحرمهم وأحرم هرطقاتهم واعتقاداتهم الرذولة « فصادق الجميع على كلامه وأجابوا ان قوله هو الصواب

وجرى بعد ذلك أن نصارى بلاد الهند وخاصة اقليم مليبار كان منهم من هاجر من بلاد سورية وبعضهم آمن بكراسة توما الرسول وساروا على منوال نصارى الشرق بواسطة معاشرتهم لهم وصاروا يساسون دينيا من بطاركة انطاكية كما تساس الحبشة من الاسكندرية ولذلك كانوا معتادين أن يرسلوا الى بطريك انطاكية وفدا يرسم لهم من هم فى حاجة اليهم من الاساقفة ولما لم يتمكن الوفد من الوصول الى بلاد سورية لما كان فى طريقها من الموانع والعثرات جاء الى الاسكندرية الى البابا سيمون يطلب منه أن يقيم لهم أسقفا للهند فخشى البطريك بأس الوالى واعتذر بأنه لا يمكنه أن يقوم بهذا العمل بدون اذن منه . فخرج الوفد من عنده فاجتمع به قوم من أتباع مجمع خلكيديون وحضروا به الى بطريك الملكيين فأخذ انسانا من مريوط ورسمه لهم أسقفا ورسم لهم كاهنين وسيرهم سرا الى الهند

وبعد أن ساروا مدة عشرين يوما قبض عليهم فى الطريق قوم من العرب فهرب القس الهندى وعاد الى مصر ومضوا بالثلاثة وأحضروهم موثقين الى الخليفة مروان فى دمشق فلما علم أنهم من مصر ومريوط اقتص منهم وأرسلهم الى ابنه عبد العزيز والى مصر موبخا اياه لعجزه عن معرفة الامور الجارية فى بلاده ويخبره أن بطريك النصارى المقيم بالاسكندرية قد بعث بأخبار مصر الى الهند مع رسل من قبله و يأمره بضربه مائتى سوط وتغريمه بمائة ألف دينار يرسلها له بسرعة مع الرسل الواصلين اليه

فوصلت الاخبار الى عبد العزيز فى الساعة الثانية من الليل وكان البابا سيمون حينئذ يحملون بصحبة أحد أساقفته فأرسل واستحضره لديه مع اثنين من كتبته وهدده بالقتل ان لم يعترف بالحقيقة فروى له الخبر بأن قسا هنديا جاء يطلب منه إقامة أسقف فاجتمع بدون اذن من الوالى فلم يصدقه بل زاد فى توعده وأخبره بما حكم به عليه الخليفة وهدده بهدم جميع البيع وقتل كل الاساقفة فطلب منه أن يسأل الاشخاص الذين قبض عليهم ليعرفوه ان الذى أرسلهم خلافه . فقال له الوالى أنا لا أعرف بطريك بالاسكندرية سواك فأبى البطريك أن يخبره بما فعل بطريك الملكيين لئلا يوقعه فى بلية شأن المسيحى الحقيقى الذى لا يسعى فى ضرر الآخرين . ولما كان الوقت ليلا طلب البطريك من الوالى مهلة سبعة أيام ليدعوفها الله ليكشف عن الحقيقة فقال له لعلك تريد أن تهرب أو تقتل نفسك فأجابه انى تحت تصرفك فهما أردته بى فافعله فأعطاه مهلة ثلاثة أيام فخرج من عنده وسأل الله بدموع أن يظهر براءته فعند مغيب شمس اليوم الثانى نظر أحد كتبة البطريك القس الهندى ماشيا على شاطئ البحر فضى به الى البطريك فأخذه فى اليوم الثالث الى الوالى واتمس منه أن يعفوعمن يقع عليهم اللوم بعد ظهور الحقيقة فوعده بذلك فقدم اليه القس الهندى فأعلمه بكل ما جرى فلما علم الامير الحقيقة أرسل الهندى الى السجن وأمر بطلب بطريك الملكيين

وكتب الى أبيه يخبره ان بطريرك النصارى بالاسكندرية ليس له ذنب فيما جرى وذكر له صلاحه وفضيلته . ثم تقدم البطريرك للوالى طالبا منه أن ينجز وعده بالعفو عن المذنبين فعفى عن الهندي وبطريرك الملكيين وأطلق الاساقفة الى كراسيهم وأمر لهم أن يبتنوا بيعتين بجلوان وكان الاساقفة ينفقون من عندهم على عمارتيهما ووكل الوالى غريغور يوس أسقف القيس بتشبيدهما

ولم يكد البابا سيمون يتخلص من هذه المحنة حتى وقع فى غيرها فان قسا يدعى مينا كان أقامه وكيلا على الوقف وترك له حرية التصرف على كل ما تملكه البطريركية غير أنه أساء التصرف وبدد أموال الوقف وسار سيرة غير حميدة وكان البطريرك ينصحه دواما قائلا له « احذر من أن تبقى فى منزلك شيئا مما لله لئلا ينزل بك البلاء » فلم يسمع لقوله بل سلط لسانه على البابا سيمون وأنشأ يسلبه بالاقاويل الكاذبة . ف وقعت عليه من قبل الله صاعقة قوية عقدت لسانه عن الكلام . فحزن البطريرك لاجله ولاجل مال البيعة الذى كان تحت يده وسأل السيد المسيح ان يقيمه . فلما كان نصف الليل بلغ البابا أن مينا على حافة الموت فأرسل من قبله كاتبا يسأل زوجته عما اذا كان زوجها أخبرها بشيء عن مال الوقف فلما وصل الكاتب الى البيت علم أن مينا قد مات . ولما توفى ألبسوه ثوب الكهنوت وأضجعوه على السرير كمادة أهل الاسكندرية فدخل اليه رسول البطريرك وانحنى عليه ليقبله فقام لوقته وتعلق برقبتة وقال « الله الواحد اله الآب الطوباوى البابا سيمون » . وأخذ الرجل يبدى علامات شكره لله الذى أعاد اليه الحياة بدعاء البابا سيمون فأسرع التلميذ وأخبر البطريرك بما جرى ثم توجه القس مينا الى البابا سيمون وسلم له جميع مال البيعة وطلب منه الصفح عن كل ما فرط منه . أما البابا سيمون فوسم جملة أساقفة مختبرين فى العلوم منهم زكريا أسقف سخا واطلموس أخوه أسقف منوف العليا وغيرهما وأقام تسع سنين ونصفا ثم اعتل فى يوم الخميس وكان حينئذ بجلوان بسبب رسامته الاساقفة وارسالهم الى الجهات المختصة بهم فقال لتلميذه هيا بنا نمضى الى وادى هبيب لنأخذ بركة الآباء القديسين فمضى الى الادييرة وبعدها رجع للاسكندرية حيث توفى فى الرابع والعشرون من أبيب سنة ٤٠٢ ش و ٧٠٠ م ودفن بدير الزجاج كطلبه وقيل ان المسلمين سموه فمات مسموما

القسم الثانى مشاهير الكنيسة يوحنا النيقاوى (١)

كان أسقفًا لابروشية نقيوس فى النصف الثانى من القرن السابع . ولما كان خبيرًا بأحوال الرهبان قلده البابا سيمون البطريك ال ٤٢ رئاسة الاديرة . وحدث ان أحد الرهبان المحبين للشهوات أخرج عذراء من ديرها ودخل بها وادى هيبب وارتكب معها الاثم . فلما ظهر ذلك بين الرهبان جزعوا وارتعبوا وانتهى الخبر الى مسامع الانبا يوحنا فقام بتأديب الراهب وضربه ضربا موجعا حتى مات بعد عشرة أيام من شدة الضرب

فلما بلغ الاساقفة فى مصر خبر موت الراهب اجتمعوا سرا وسألوا الانبا يوحنا عن القضية فاعترف أمامهم انه هو الذى ضربه فأوجبوا عليه القطع لكونه تعدى على الواجب وحرموا عليه أن يتقدم لرفع الاسرار الربية بل يتناولها كراهب . فلما سمع الحكم وقف فى وسطهم وقال « لقد قطعتمونى ظلما هكذا يجعلكم الله غرباء عن كراسيكم الى تمام الزمان الذى حكمتم به على » وجرى فعلا ان بعض الاعيان كانوا يخالطون غير زوجاتهم ولما منعهم الاساقفة وشوا بهم الى الحاكم فاستحضرهم من بلادهم وظل مدة يستجوبهم حتى مات الانبا يوحنا وكان حينئذ قد بلغ من العمر أقصاه و يظهر أن تلك الاساءة أحرزته فقصت عليه

وكان هذا الانبا كثير الاطلاع على صحف الاقدمين حاصلا على قسم موفور من المعارف الدينية والادبية ومن أهم مآثره المؤلف الذى وضعه فى تاريخ مصر باللغة القبطية وهو يعد من أفضل كتب التاريخ نظرا لاحتوائه على كثير من الحوادث التى جرت فى أيام الفتح العربى ومنها ما وقع فى أيامه وشاهده بعينه . وقد وجد ما دونه به مطابقا لما كتبه كبار المؤرخين عن تاريخ مصر القديم . وقد ترجم هذا المؤلف الثمين من القبطية الى اليونانية فالعربية فالحبشية ولكن لم تبق من ترجماته سوى النسخة الحبشية التى نقلها الى العربية الشماس غبريال المصرى الراهب الذى كان قائدا للجيش الحبشى منذ ٣٠٠ سنة . وقد اهتم الدكتور زوتنبرج بنشر هذا التاريخ باللغتين الفرنسية والحبشية معا

(١) نسبة الى نقيوس بمركز منوف وتسمى باللغة القديمة (ابشائى) وبقربها الآن زاوية رزين وآثار الكنائس باقية بها .

القسم الثالث المملكة والكنيسة

- (١) هرقل
- (٢) فتح الفرس
- (٣) عودة هرقل لفتح مصر
- (٤) أصل المقوقس
- (٥) الفتح الاسلامي
- (٦) محاولة سرقة رأس مار مرقس
- (٧) فتح السودان والخمس المدن الغربية
- (٨) الاقباط في صدر الحكم الاسلامي
- (٩) خلافة مروان بن الحكم

(هرقل) :

فى زمن تولى فوقاً كرسى القيصريّة قام ضده هرقل والى افر يقية قاصدا الاستقلال بحكم مصر فناصره المصريون على فوقاً لا سيما أهالى نقيوس الذين أترفوا بحكم هرقل عليهم وساروا اليه تحت رئاسة أسقفهم ثيودوروس ووكيله مينا . ولكن جيش هرقل هزم أخيراً وأسر الأسقف ووكيله فرفعوا الكتاب المقدس بأيديهم ليعفوا عنها ولكن بعض أنصار فوقاً أتهموها بكسر رأس تمثال للملكهم كان بنقيوس فقطع قائد جيش فوقاً رأس الأسقف وعذب وكيه بالجلد بالسياط الى ان دفع ثلاثة آلاف قطعة من الذهب فدية ولكنه مات بعد يومين من اطلاقه من شدة ألم الضرب . ورفع القائد يد القساوة على الذين تظاهروا بالميل لهرقل فجلد كثيرين منهم وقطع رؤوس الباقين

غير أن هرقل عاد فشد أزره وهجم على الاسكندرية وقام المصريون بأسرهم معه . وكان يوجد راهب بسمنود يدعى ثاوفيلس اشتهر بالقداسة وقضى أربعين سنة فوق قمة عامود يعبد الله فتوجه اليه قائد جيوش هرقل واستفهم عن مصير جيشه فتنبأ له خيراً وفاز القائد بجيش فوقاً واستتب الملك لهرقل فى مصر سنة ٦١٠ م

(٢) فتح الفرس :

ولم يكذب النصر لهرقل حتى قام الفرس لغزو بلاد الشرق وبعد أن أتموا فتح بلاد الشام وأخذوا خشبة الصليب الى بلادهم زحفوا على القطر المصري وتمكنوا من الاستيلاء عليه فهجموا على الكنائس والاديرة وعاثوا فيها فسادا . وأعلن القائد الفارسي فى الاسكندرية انه مستعد أن يعطى كل مصرى من ابن ثمان عشرة سنة الى ابن خمسين عشرين دينارا فلما خرجوا الى خارج

المدينة سلط عليهم السيوف فقتل منهم ثمانين ألف رجل . ولما فعل هذا رحل الى الصعيد وكان فى مدينة نقيوس قوم دسوا اليه بأن الرهبان الذين فى الجبال والمغاير وعددهم سبعة آلاف راهب يملكون خيرات جزيلة فأرسل جيشه ليلا وأحاط بهم وفى الصباح أمر بقتلهم جميعا . وبلغت الاديرة التى أخرجوها بضواحي الاسكندرية ٦٢٠ ديرا كان يسكنها رهبان وراهبات ودمروا أديرة الرهبان بوادى النطرون . وبقيت مصر فى يد الفرس عشر سنوات ساموا فيها المصريين الخوف والعذاب أشكالا

(٣) عودة هرقل لفتح مصر :

وفى مدة فتح الفرس لمصر كان هرقل مشغولا بتوطيد ملكه على جميع المملكة الرومانية ولما تم له ما أراد حول وجهه نحو مصر ارادة استخلاصها من يد الفرس الا أنه شعر بضرورة الاتحاد مع الاقباط ليفوز بغرضه فاستدعى اليه اثناسيوس بطريرك انطاكية وطلب منه الانضمام للكنيسة الملكية فأبى مدافعا عن ايمانه القديم قائلا « لو اعتقدت أيها الملك الجليل بطبيعتين فى المسيح فينبغى أن تسلم أن لكل طبيعة منهما فعلا خاصا قائما بها وانها تفعل على حدتها بدون اتحاد الطبيعة الاخرى واشتراكها فى الفعل . فيكون المسيح اذا بناء على هذا الاعتقاد واحدا بالاسم واثنين بالفعل لان الفاعل فيه ليس واحدا بل اثنان » قال هرقل الى كلامه ومضى الى القسطنطينية وسأل سرجيوس بطريركها عما اذا كان الفاعل فى المسيح واحدا أم اثنين فأجابه أن الفاعل واحد لان المشيئة واحدة والارادة واحدة غير منقسمة فافتنع بذلك وأراد أن يوحد المذاهب المسيحية على هذا المبدأ وهو ان المسيح واحد وفعله واحد ومشيئته واحدة بدون أن يأتى بذكر للطبيعة الواحدة أو الاثنتين

ثم كلف هرقل سرجيوس بطريرك القسطنطينية وكيروس أحد أساقفة المملكة الغربية وبعض أساقفة اليونان بأن يضعوا منشورا يسمونه « الاكثيسيس » أى « مشروع الاتحاد » لا يذكرون فيه اسم المجمع الخلكيدونى الذى يبغضه المصريون بل يقررون فيه أن للمسيح « مشيئة واحدة » ومن ثم عين كيروس المذكور بطريركا للاسكندرية وأنفذه الى مصر بهذا المنشور وطلب من بطريرك الاقباط أن يقبله فرفض بحجة انه لا يبحث فى منشور يحزره ملك كل اهتمامه بالغزو والفتح ولا شأن له بالمسائل الدينية . ولما رأى كيروس بطريرك الملكيين أن الاتفاق السياسى بين هرقل والمصريين يتوقف على الاتفاق الدينى حاول أن يرغم البطريرك القبطى البابا بنيامين على توقيع المنشور رغما فهدد حياته وحياة كثيرين من وجهاء الاقباط حتى اضطر معظمهم أن يتركوا مدينة الاسكندرية وهرب البابا بنيامين ولما لم يقف له على أثر قبض على أخيه مينا وأنزل به بلاليا عظيمة وأشعل فى جنبه المشاعل حتى خرج شحم كليتيه الى جنبه وسال على الارض وقلع أسنانه باللحم لاعترافه بالامانة الارثوذكسية . وكان هرقل قد أوصى جنوده بأنه اذا قال أحد ان مجمع خلكيدون حق أعفوا عنه ومن قال انه ضلال اطرحوه فى البحر ففعلوا ذلك وملأوا جملة جوالق رملا وطرحوا مينا فى البحر وهم يسكون الجوالق وقالوا له قل ان مجمع خلكيدون حق ونحن نرحمك فأبى وكان هذا على ثلاث دفعات ثم دفعوه الى عمق المياه فراح شديد التمسك بايمانه .

وكان البابا بنيامين قد أوصى الاساقفة أن يحتفوا من وجه الاضطهاد فأطاعه بعضهم وبقي الاكثرون فلما أمر هرقل بالزام الارثوذكسيين بقبول مجمع خلكيدون ضل عدد كبير من أولئك الاساقفة بعضهم بالعذاب وآخرون بالمواعيد وغيرهم بالخداع ومن هؤلاء كورش أسقف نقيوس وبقتر أسقف الفيوم

ثم أقام هرقل أساقفة خلكيديونيين في بلاد مصر كلها الى انصنا وكان يبلى الارثوذكسيين بلايا صعبة ومازال يطارد رعاتهم و يضطهدهم و يذل أفرادهم و يغتصب كنائسهم و يسلب منازلهم وهم صاغرون و يفتك بهم وهم صابرون بدون أن يتصرف في عواقب الامور حتى أشرفت مملكة الرومان على الهلاك وأصبحت في حال انحطاط زائد بسبب التعصبات الدينية والاختلافات المذهبية

وقد رجعت سلطة الرومانيين الى مصر في وقت بلغ فيه سخط المصريين عليهم اشده لا سيما لما رأوا ان ملوك القسطنطينية كانوا يرون شغلهم الوحيد هو ارغامهم للمصريين على التذهب بمذهب مجمع خلكيدون ولكن هؤلاء لم يغفلوا عن هذا فثبتوا في مبادئهم وحفظوا لغتهم وحافظوا على شريعتهم الدينية وترجموا جميع تعاليمهم الى لغتهم ولا يخفى ان ذلك جمع كلمتهم وشد عرى اتحادهم فقوموا وثاروا في خاطرهم أمر الاستقلال . ولهذا السبب كثرت القلاقل في البلاد وصغرت الحكومة الرومانية في عيون المصريين لا سيما لانهم كانوا يشاهدون قرب سقوطها وما كان يهددها من كل الجهات . فاستعمل الحكام والولاة العنف والقوة في تنفيذ أغراضهم فكان هذا داعيا الى انقلاب الاهالى على الحكام وتعديهم عليهم والسعى في اخراجهم

وكانت معظم هذه القلاقل تتناول الوجه البحرى . أما الوجه القبلى فكان أحسن حالا وأنعم بالا لان الامبراطرة لم يكونوا يهتمون به كثيرا فكان أهله معروفين بالغيرة الدينية والعمل على تقدم المسيحية وارتقائها فأزهرت فيه وأشرق نورها ولهذا السبب عينه نجد للآن ان اغلب الاقباط يسكنون الوجه القبلى لانه كان أكثر أمانا لهم من الوجه البحرى

(٤) أصل المقوقس :

وقد أقام هرقل على مصر واليا من قبله هو « المقوقس » ومقوقس على ما ذكر بعضهم كلمة يونانية معناها حاكم والعرب يسمونه عظيم القبط أما اسمه فكان جرجس بن مينا وهو يونانى الاصل الا انه كان يميل للقبط ويرثى لحالهم . ولا ريب في رومانىة المقوقس اذ لم يكن قياصرة الرومان يقيمون ولا بمصر الا اذا كانوا من جنسيته . واذا كان الامر كذلك فلماذا تواطأ المقوقس مع العرب على قومه الرومان ؟ الواضح ان المقوقس لما رأى انتفاض قسبة المملكة الرومانية في مصر وكان محبا للمال للدرجة القصوى ضم لحوزته كل الضرائب التى كان يأخذها من المصريين

للحكومة . ولما رأى ان هرقل مزعم أن يعيد سلطته لمصر ولا بد يطالبه بدفع ما اختلسه من المال اضطر أن يسهل للعرب سبيل الاستيلاء على مصر

وروى المؤرخون ان محمدا صاحب الشريعة الاسلامية أرسل في السنة السادسة للهجرة كتابا الى المقوقس يدعوه فيه الى الاسلام فأكرم المقوقس رسله وأرسل معهم هدية من ضمنها جارية قبطية تسمى مارية اتخذها سرية فرزق منها بولد سماه ابراهيم ولكنه لم يعيش ولم ترزق منه بغيره . وقد استنتج ان من ذاك الحين كان بين المقوقس وزعماء العرب صلات وعلاقات سرية . وقيل ان المقوقس كان يرسل صاحب الشريعة الاسلامية وبقي السر مكتوما لا يعلم به أحد حتى استخلفه عمر بن الخطاب فتم للمقوقس ما أراد من استيلاء العرب على مصر . ويقال ان الخطاب الآتى هو الذى أرسله نبي المسلمين للمقوقس :

«بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد عبد الله ورسوله الى المقوقس عظيم القبط . سلام على من اتبع الهدى . أما بعد فانى أدعوك بدعاية الاسلام . اسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين فان توليت فعليك اثم كل القبط . يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون »
الله

رسول محمد

وهذه صورة جواب المقوقس : — «بسم الله الرحمن الرحيم . لمحمد بن عبد الله من المقوقس عظيم القبط . أما بعد فقد قرأت كتابك وفهمت ما ذكرت فيه وما تدعوا اليه وقد علمت ان نبيا قد بقى وكنت أظن انه يخرج بالشام وقد أكرمت رسولك وبعثت لك بجاريتين لهما مكان من القبط عظيم وكسوة وأهديت لك بغلة لتركبها والسلام » والكتابان مرتاب فيهما

(٥) الفتح الاسلامى :

وكان جيش العرب فى فاتحة هذا القرن حاملا لواء الظفر فى كل مكان وظل يخرق الهضاب والبطاح ويجوب الفيافي والبلاد حتى وصل الى حدود مصر تحت قيادة عمرو بن العاص فدخل مدينة العريش وذلك فى سنة ٦٣٩ م ومنها وصل الى بلبيس وفتحها بعد قتال طال أمده نحو شهر ولما استولى عليها وجد بها ارماتوسه بنت المقوقس فلم يمسها بأذى ولم يتعرض لها بشر بل أرسلها الى أبيها فى مدينة منف مكرمة الجانب معزة الخاطر فعد المقوقس هذه الفعلة جميلا ومكرمة من عمرو وحسبها حسنة له

واحتلت جيوش العرب الوجه البحرى فصاروا يرتكبون فيه الفظائع فوقف فى وجههم اثنان من الاقباط هما مينا وقزمان وترأسا جماعة مدربة فكانوا يدفعون عنهم غائلة الاعتداء الاجنبى

عربيا كان أم رومانيا . قيل أن عمرو عندما وصل الى نقيوس فتك بأهلها فتكا ذريعا ولم يبق أحدا ممن كانوا فى الشوارع أو الكنائس وصار يتقدم الى داخل البلاد حتى وصل الى بابليون ودام القتال بين عمرو وبين الروم سبعة أشهر كان يتظاهر المقوقس فى أثنائها بأنه ضد العرب وهو معهم فخبر الروم فى أمر التسليم بالتى هى أحسن فأبوا كل الالباء فانسحب من الحصن ولم يبق فيه سوى عدد قليل من القبط لم يقووا على مقاومة العرب فعمدوا الى الهرب قاصدين منف فتتبعهم العرب وكان يفصلها جسران من المراكب فرفعها القبط فبقى العرب محاطين بالماء من كل الجهات

ولما رأى المقوقس اشتداد بأس العرب تفاوض معهم فكتب اليه عمرو يقول ليس لك ولقومك سبيل للنجاة الا اذا اخترت واحدا من هذه الشروط :

١ — اما الجزية .

٢ — أو الاسلام .

٣ — أو استمرار القتال .

فجمع المقوقس رجال حكومته وتفاوض مع رسل من قبل عمرو واتفق رأيهم على ايثار الجزية ورضوا بها على صلح يكون بينهم يعرفونه . فاجتمع المقوقس وعمرو وتقرر الصلح بينهما بوثيقة مفادها أن يعطى الامان للاقباط ومن أراد البقاء بمصر من الروم على أنفسهم وأموالهم وكنائسهم وفى نظير ذلك يدفع كل قبطى دينارين ما عدا الشيخ والولد البالغ من العمر ١٣ سنة . والمرأة وأحصى من دفع الجزية فى تلك السنة من القبط فكان عددهم ستة ملايين . وكان عدد الاقباط قد نقص بعد اضطهاد ديوكليانوس ولكنه أخذ يتزايد بعد انتشار المسيحية حتى بلغ مجموعهم ابان دخول العرب أربعة وعشرين مليونا تقريرا

ولما رأى هرقل ما كان من استيلاء العرب على مصر مات محزونا مرذولا وأقسم عمرو الايمان المغلظ بتنفيذ وعده مع المصريين . وذكر المؤرخون انه بعد استتباب السلطان للعرب فى مصر وبينما كان الفاتح العربى يشغل فى تدبير مصالحه بالاسكندرية سمع رهبان وادى النطرون وبرية شيهات ان أمة جديدة ملكت البلاد فسار منهم الى عمرو وسبعون ألفا حفاة الاقدام بثياب ممزقة يحمل كل واحد منهم عكازا فخاف عمرو أن يكون هذا الجيش قوة مقاومة ولكنهم تقدموا اليه وطلبوا منه أن ينحهم حريتهم الدينية و يأمر برجوع بطريركهم من منفاد فأجاب عمرو طلبهم وأظهر ميله للاقباط فازداد هؤلاء ثقة به ومالوا اليه خصوصا لما رأوه يفتح لهم الصدور ويبيح لهم اقامة الكنائس والمعابد فى وسط الفسطاط الذى بناه بمساعدة الاقباط وجعله عاصمة الديار المصرية ومركز الامارة على حين انه لم يكن للمسلمين معبد فكانوا يصلون ويخطبون فى الخلاء

وقرب عمرو اليه كثيرين من الاقباط واعتمد في اصلاح شئون البلاد ووظفهم بوصايف عالية فكان منهم الحكام والرؤساء والكتاب وجباة الخراج فقاموا بخدمة البلاد بامانة حتى عم الرخاء وساد الامن وقسم عمرو القطر المصري الى كور أو أعمال يرأس كلا منها حاكم قبطى تأتية القضايا ينظر فيها و يصدر أحكامه . وخطب عمرو فى جيش المسلمين وكان من خطبته قوله « حدثنى عمر أمير المؤمنين (رضه) انه سمع رسول الله (صلعم) يقول ان الله سيفتح عليكم بعدى مصر فاستوصوا بقبطها خيرا فان لكم فيها صهرا وذمة فكفوا أيديكم وعفوا فروجكم وغضوا أبصاركم » أه ثم بنى عمرو جامعه المعروف بهمة مهندس قبطى يدعى بقطر

وذكر ابن القفطى وأبو الفرج الملطى وغيرهما ان عمرو لما فتح الاسكندرية كان من جملة علمائها رجل اسمه يحيى (يوحنا) الغراما طيقى فدخل على عمرو وقد عرف موضعه من العلوم فأكرمه عمرو وسمع من الفاظه الفلسفية التى لم تكن للعرب بها أنسة ما هاله ففتن به وكان عمرو عاقلا حسن الاستماع صحيح الفكر فلازمه وكان لا يفارقه . ثم قال له يحيى يوما « انك قد أحطت بمواصل الاسكندرية وختمت على كل الاصناف الموجودة بها فما لك به انتفاع فلا نعاضك فيه وما لا انتفاع لك به فنحن أولى به » فقال له عمرو « ما الذى تحتاج اليه » قال « كتب الحكمة التى فى الخزان المملوكية » فقال له عمرو « هذا ما لا يمكنى أن آمر فيه الا بعد استئذان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب » فكتب الى عمر وعرفه قول يحيى فرد عليه كتاب عمريقول فيه « وأما الكتب التى ذكرتها فان كان فيها ما يوافق كتاب الله (القران) ففى كتاب الله غنى عنها وان كان فيها ما يخالف كتاب الله فلا حاجة اليها فتقدم باعدامها » فشرع عمرو فى تفريقها على حمامات الاسكندرية واحرقها فى مواقدها فاستنفدت فى مدة ستة أشهر فاسمع ما جرى واعجب

(٦) محاولة سرقة رأس مارمرقس :

بعد استيلاء المسلمين على الاسكندرية دمروا أسوار المدينة وأشعلوا النيران فى معظم الكنائس وبينها الكنيسة القديمة لمارمرقس حيث كانت بقايا جسم القديس مدفونة . و يؤخذ من رواية الانبا ساويرس المؤرخ ان بقايا القديس خلصت بمعجزة الهية لانه بينا كانت النيران متأججة فى الكنيسة دخل اليها بحارة المراكب وفتشوا تابوت القديس ظانين ان فيه مالا ولما لم يجدوا أخذوا الثياب من على جسمه وبقيت عظامه فيه . وجاء بعد ذلك رئيس مركب شنوده أحد عظماء الاقباط فوجد رأس القديس فأخذها وخبأها فى جوف مركبه ولما أراد أن يسيره خارج الاسكندرية لم ينتقل فأخبر شنوده بذلك ففتش السفينة فوجد بها رأس القديس فضى وأعلم البابا بنيامين بالخبر وكان شنوده قد شاهد فى رؤيا القديس مرقس يطلب منه أن يبنى له كنيسة فى موضع عينه له فاعترف بان شكل الرأس كالشكل الذى شاهده فى الرؤيا وحالا اخذها من المركب فاقلعت فورا وجميع الذين شاهدوا هذه الاعجوبة كانوا يجدون الله وقيل ان عمرو بن العاص عندما قص عليا

البطريرك هذه المعجزة أعطاها ١٠٠٠ دينار لكى يبنى بها كنيسة احتراماً للرأس وسميت بالمعلقة وكانت قائمة جنوبى الاسكندرية

وعاد البابا بنيامين الى المدينة والرأس فى حضنه وصنع لها تابوتا من الابنوس وبنى عليها بيعة ومن ذلك الوقت صار كل البطارقة الذين يرسمون يضعون الرأس أمامهم وقت التكريس مغطاة ببرقع جديد و يقدمونها للشعب لتقبيلها وفيما بعد جدد هذه البيعة البابا يوحنا السمنودى البطريرك ال ٤٠ وفى مدة البابا زكريا البطريرك ال ٦٤ وجد أحد الامراء الاتراك رأس القديس مار مرقس ولما سمع بأن المسيحيين يعلقون عليها أهمية كبرى عزم على حملها الى القاهرة وتمكن الشماس بقيرة أحد مستخدمي الحكومة أن يشتريها منه بمبلغ ٣٠٠ دينار وقدمها للبطريرك حيث كان فى دير أبى مقار. وفى أيام البابا خر يستودلو البطريرك ال ٦٦ كانت الرأس المقدسة محفوظة فى منزل أبى يحيى بن زكريا وقد مرض مرضا شديدا فخشى المؤمنون ان تحتم الحكومة بيته بعد موته لحفظ ما فيه فأخذوا تابوت الرأس وحملوه الى بيت مجاور واذا رأوا المحل غير آمن أرادوا نقله الى بيت الآب مانهوب راوى هذا الخبر ولكن هذا الرجل الذى كان مقربا للسلطان ابى حفظ التابوت عنده فعهد به الى القس سمعان . الا أن رجلا افريقيا اسمه على ابن بكير من أهالى برقة وقف على سبر المسألة ورفعها الى الحاكم فى رسالة فألقى القبض على كل المهتمين بالامر ولما سئلوا أمام حاكم الاسكندرية كوكب الدولة طلب منهم أن يردوا رأس القديس أو يدفعوا مبلغ عشرة آلاف دينار التى كان يظن بحسب فكره أن اليونانيين كانوا مستعدين لدفعها ثمنا لباقي الاعضاء وبعد أن لبثوا مكسبلين بالحديد ٣٧ يوما دفع أحدهم أبو الفتح ٦٠٠ دينار فاطلق سراحه بعد ثلاثة أيام وأعيدت رأس القديس الى المسيحيين فكانت موضوع احترامهم فى مدة حكم الملك الكامل . ووجدت رأس القديس فى منزل ابن السكرى حيث كانت قد اكتشفت من عدة سنين مضت

وقيل ان رجلا روميا اشترى الرأس فى عهد البابا خروستوذولوبار بعمائة دينار وبنى عليها حائطا خشية من وصول الايدى اليها وان البابا مرقس ال ٧٣ جاء هذه الدار وبات هناك الى ثانى يوم وكيرلس ابن لقلق ال ٧٥ لما وضعت عليه اليد خرج الى دار ابن السكرى التى فيها الرأس . وقيل انها كانت رأس البابا بطرس خاتم الشهداء لان رأس مار مرقس كانت معه على جسده لما نقله الروم الى البندقية والله أعلم

وكنيستنا القبطية تخبر ان رأس الرسول مرقس نقلت من دار ابن السكرى الى ضريح البطارقة بالكنيسة المرقسية بالاسكندرية ولم تزل باقية به وذلك انه لما جلس البابا بطرس ال ١٠٤ واحتضن الرأس علم أن هناك من يحاولون سرقة الرأس فأمر بحفظها بكل عناية فى ضريح البطارقة بالاسكندرية

(٧) فتح السودان والخمس المدن الغربية :

وكانت البلاد السودانية والخمس المدن الغربية قد صارت قبيل الفتح الاسلامى العربى كلها مسيحية تعترف بسيادة بطريك الاقباط عليها . وكان السودان عبارة عن ممالك مسيحية عديدة مستقلة ومنظمة . فسير اليها عمرو قوة عسكرية تحت قيادة عبد الله بن سعد فلزم قتالهم مدة وفى أثناء محاصرته لمدينة دنقلة دمر كنيسها الكبرى فجزع النوبيون وسلموا للعرب فاشتراط عليهم هؤلاء أن يسمحوا للمسلمين بالاقامة معهم وأن يبنوا لهم جامعا يقومون هم بانارته ونظافته ثم حكموا عليهم بدفع ضريبة سنوية من العبيد الاقوياء وكان هذا مبدأ تجارة الرقيق . أما الخمس المدن فلم يستطع عمرو اخضاعها واكتفى بما أخذه منها من الغنائم والاسرى الذين جعلهم عبيدا

(٨) الاقباط فى صدر الحكم الاسلامى :

وكانت مدة ولاية عمرو بن العاص فى مصر وخلافة عمر بن الخطاب أحسن أوقات الراحة التى ذاقها الاقباط وقيل ان قبطيا فقيرا اتى عمر الخليفة وشكا اليه ان بن العاص لطمه فاستدعى عمرو وقال له « ولد الناس احرارا فلماذا تستعبدوهم » وأمر القبطى ان يلطم الامير . ولكن لما تولى الخلافة عثمان بن عفان سنة ٦٤٤ م فصل عمرو وعين بدله عبد الله بن سعد فاشتد على الاهالى وجمع منهم ضرائب باهظة فجبا فى أول سنة اربعة عشر مليوناً من الدنانير بزيادة مليونين عما كان يجبوه عمرو فسر الخليفة بهذه الزيادة وقال لعمرو « يا أبا عبد الله درت اللقحة بأكثر من درها الاول » فاجابه عمرو « لقد أضرتكم بولدها ان لم يمت الفصيل » أى ان هذه الزيادة لابد ان تضرا اهل البلاد اذ لم يزد عددهم عن الاول

وفى اثناء ذلك انفذ الروم حملة من جنودهم لاسترجاع مصر من المسلمين وفى اثناء قتالهم بالاسكندرية كانوا يعبثون فسادا فى القرى وينهبون ما بها ويقتلون سكانها فخشى القبط استيلائهم على البلاد مرة ثانية فناصروا العرب وباء الروم بالخيبة والخذلان

وبعد انتهاء دولة الخلفاء الراشدين بموت على ابن أبى طالب الذى خلف عثمان بن عفان إبتدأت الدولة الاموية التى كان أول خلفائها معاوية بن أبى سفيان سنة ٦٦١ م . وفى مبدأ الدولة الاموية كان الاقباط ملازمين الهدوء والسكينة لاستقامة الحال معهم وظلوا محافظين على شروط معاهدتهم مع عمرو فلم يطلبوا الاستقلال وكان حينئذ فى استطاعتهم نواله اذا طلبوه . ولما زادت شرور عبد الله ابن سعد طلبوا استبداله بصديقهم عمرو فأعيد اليهم فصار فرحهم عظيما ولما مات حزنوا عليه وكان لهم الحق فى ذلك الحزن لأنه لم يتول مصر واحد أحسن اليهم مثله كما سترى . واستخلف الخليفة معاوية على مصر بعد عمرو سعيد بن يزيد فاضطهد بطريك الاقباط اضطهادا شديدا

(٩) خلافة مروان بن الحكم سنة ٦٨٤ م :

ولى على مصر ابنه عبد العزيز وكان فى مبدأ امره محاسنا الاقباط ولما بنى مدينة حلوان نقل اليها بيت المال وكان الأمين عليه رجل قبضى يسمى انتناس وابتنى بها القصور الشاهقة ولعلمه بان الاقباط هم اصحاب البلاد وذوو الثروة والاقتدار كلف اغنياءهم ان يبنى كل منهم له دارا بمدينة الجديدة ولكى يحب اليهم سكنهاها أمر البطريك ببناء بيعتين فيها لكى يزيد فى حسن رونقها بالنسبة لجمال الكنائس فى تلك الايام وقد سبق معنا انه وكل بعمارة البيعتين الانطاغريغور يوس اسقف القيس (١) وكان بين عبد العزيز والبابا اسحق ال ٤١ ائتلاف فكان البطريك يكثر التردد على حلوان لزيارة الأمير

وبعد ذلك داخل عبد العزيز فكري بعد أن أخضع البلاد كلها له بانه لا يوجد فيها من له السلطان مثله الا البطريك فتغير عليه وامر الاقباط بان لا ينتخبوا بطريكهم بعيدا عنه أى فى الاسكندرية كما جرت العادة بل فى بابليون وأعلى الضرائب عليهم وكان الاكليروس الى ذلك الحين معافين من الجزية فالزم كل واحد منهم بدفع دينار فى السنة والبطريك بثلاثة آلاف دينار. ولما انتهى اليه خبر الانحطاط للزائد الذى وصلت اليه المملكة الرومانية لم يعد يعبا بمهادنة الاقباط فد اليهم يد الاذى وشرع فى نهب اموالهم وسلب مقتنياتهم وأمر بكسر الصليبان التى فى كورة مصر حتى صليبان الذهب والفضة ثم كتب عدة رقاع وجعلها على أبواب البيع بمصر والريف يقول فيها « محمد عظم رسل الله وعيبي أيضا رسول الله والله لم يلد ولم يولد »

القسم الرابع
البدع

(٢) بدعة الطلاق

(١) مشروع هرقل

(١) مشروع هرقل :

وقد مربنا الكلام عنه فى الحوادث « المملكة والكنيسة » وهوان فى المسيح طبيعتين ومشيئة واحدة ولقب بمذهب المونوثليته . ومع ان بطريك الروم الارثوذكس بالقسطنطينية قبله حينئذ الا ان راهبا يونانيا اسكندريا يدعى صفرونيوس قاوم هذا المذهب واذاع فى اماكن كثيرة تعليم المشيئتين وفيما بعد اقيم بطريك لاورشليم فجمع مجمعا ايد فيه رأيه الا ان القيصر اثبت التعليم

(١) بمديرية المنيا كانت مدينة عظيمة اشتهرت بصناعة المنسوجات الصوفية التى كانت تسمى بالمرعز وقد تخربت الآن ولم تبق

الا أطلالها

بمشيئة واحدة فى مجمع عقده بالقسطنطينية تحت رئاسة سرجيوس بطريركها وتبعه فى الرأى خلفاؤه بيمرس وبولس وبطرس وتوما وثيودورس ويوحنا . ودعا سرجيوس انور يوس اسقف رومية لقبول مذهبه الجديد فقبله ونادى به الا ان خلفاءه شجبوه وكذلك قسطنطين اللحيانى حرم تعليم المشيئة الواحدة وبطاركة القسطنطينية وانور يوس فى مجمع عقده سنة ٦٨٠ م ونقض اليونان حرم هذا المجمع بقرار فى مجمع آخر سنة ٧١٢ م ثم ايدها مجمع آخر وهكذا استمر الشقاق سائدا بينهم الى اذ بطل التعليم بالمشيئة الواحدة من كنائس الخلكيدونية ولم تستمر تعلم به الا كنيسة الموارنه التى اسسها يوحنا مارون فان هذا قضى حياته يدافع عن ذلك التعليم وسارت طائفته على مبدئه الى ان انضمت للكنيسة البابوية سنة ١١٨٢ م

(٢) بدعة الطلاق :

وجرى فى ايام البابا سيمون الـ ٤٢ ان قوما من الاقباط تركوا نساءهم واخذوا غيرهن فجعل الاساقفة يردعونهم عن هذا العمل فاغتاضوا منهم ومضوا الى الوالى وقالوا له ان الاساقفة منعونا عن الزواج واضطرونا الى ارتكاب فعل الزنا فغضب وجمع الاساقفة من كراسيم الى مدينة الاسكندرية فاجتمع منهم ٦٤ اسقفا ولم يعلموا سبب حضورهم ولما علموا السبب اطلعوا الوالى على الحقيقة وبعد مناقشة فيما بينهم حكموا بقطع اولئك القوم ان لم يتركوا النساء الغريبات

القرن الثامن القسم الاول تاريخ البطاركة

- (١) الاكسندروس^٢ (٢) قزمان^١
(٣) ثيودوروس (٤) خائيل^١
(٥) مينا^١ (٦) يوحنا^٤

(أ) الاكسندروس^٢ بطريرك الثالث والاربعون :

وبعد وفاة البابا سيمون لم يتمكن الاساقفة من اقامة خلف له فخلا الكرسي بعده ثلاث سنين وبعد ذلك طلب اثناسيوس احد موظفى الاقباط فى الديوان من الوالى ان يسمح للأنبا غريغوريوس اسقف القيس ان يتولى ادارة اعمال الكنيسة فكتب له أمرا بذلك واستمر الانبا غريغوريوس اربع سنوات يدير الحركة حتى سنة ٧٠٣ م فقد انتخب باجماع الآراء القس الاكسندروس من نياموسير وكان راهبا وديعا عالما بالكتب المقدسة وبعد الاستئذان من الوالى أقيم بطريركا فى يوم عيد مار مرقس الذى هو آخر برمودة سنة ٤٠٤ ش و ٧٠٣ م فى عهد خلافة عبد الملك بن مروان وكانت ايامه الاولى كلها صفاء وهناء وشمل الجميع سرور عظيم وساد السلام على البيعة المقدسة

غير ان الشيطان الذى لا يدع كنيسة الله فى راحة اثار ضيقا تألم هذا البابا بسببه كثيرا وذلك انه بعد عبد العزيز ولى الخليفة ابنه عبد الله على مصر فسار فى طريق الجور حتى ان البطريرك لما مضى للسلام عليه كعادة البطاركة سأل عنه فقيل له انه بطريرك النصارى فقبض عليه وسلمه لاحد حجابيه وقال له انزل ما تريد به من الهوان حتى يدفع ثلاثة آلاف دينار فاخذه واقام مدة ثلاثة ايام والمسيحيون يتوقعون ان يتنازل عن شىء من القيمة فلم يمكن ولهذا وقع خوف عظيم على جميع المؤمنين بالنسبة لذلك المبلغ الباهظ الذى لم يكن فى طاقتهم دفعه ثم تقدم الشماس جرجس الى الحاجب وقال له « هل تطلب نفس البطريرك أم المال » فاجابه المال فقال له اذا سلمته لى مدة شهرين انا أطوف به على أولاده المؤمنين فاجع له هذا المال فجال به الشماس فى الوجه البحرى حتى حصل على المال وسلمه للوالى .

ثم تولى بعد عبد الله الامير قرة سنة ٧٠١ م وكان متولى ديوان الاسكندرية من الاقباط رجل يدعى تاودروس كانت بينه وبين البطريرك عداوة فلما وصل قرة الى مصر توجه اليه البطريرك ليؤدى واجب السلام عليه فنسج على منوال سلفه وقبض عليه وألزمه ان يدفع من المال

مقدار ما دفع لعبد الله فقال له البطريرك انى لا أملك هذا المبلغ لان مخلصنا أمر جميع تابعيه بان لا يقتنوا ذهباً ولا فضة وما اتاه عبد الله معى كان من قبيل الظلم الفاحش وقد استعطيت كل المبلغ الذى ارغمنى على دفعه فطلب منه الوالى ان يبرر كلامه هذا بقسم فابى البطريرك ان يحلف فقال له الوالى لا بد من دفع هذا المبلغ ولو بعث لحمك فالتمس منه البطريرك ان يسمح له بزيارة الوجه القبلى ووعد به بان يرسل له كل ما يتحصل عليه ففرح أهل الصعيد بالبطريرك فرحا عظيما لعدم مشاهدتهم بطاركة بعد البتائنا بنيامين الذى كان مختفيا عندهم . وحدث ان سائحا يدعى فيلسطس وهو مقيم على صخرة وكان معه ولداه الراهبان . فأمرهما بان يهيئا له مكانا خلف الصخرة . فبينما هما ينظفان الارض وجدا كنزا عظيما فى خمسة أوان فأخفيا عنه واحدا واطهرا له الاربعة فشكر الله وقال هذا نصيب البابا الاكسندروس الذى رأى الرب ضيقته . ثم استدعى كاتب البطريرك والراهب جرجس وكيله واعطاهما الاربعة أوان ليسلماها للبطريرك . فجرهما الشيطان فدفناها اما الراهبان فقسما ما اختلساه وتركا عيشة الرهبنة ولبسا الملابس الفاخرة وظهرتا بمظهر سىء حتى ارتاب فى امرهما الوالى فقبض عليهما فاعترف احدهما بكل ما جرى وان الاربعة أوان الباقية طرف وكيل البطريرك فامر حالا بغلق الابسقوبيون (الدار البطريكية) واخذ كل ما فيها من الأوانى والذهب والفضة والكتب والمقتنيات واستحضر البطريرك وهم بقتله بسبب قوله انه ليس معه ذهب وكبله بالحديد وطرحه فى السجن سبعة أيام ثم أخرجه ليقوم بدفع الـ ٣٠٠٠ دينار فرجع يستعطى من المسيحيين حتى تحصل على المبلغ ودفعه

ولم يكذ يستريح من هذه المشقات حتى سعى به أناس أشرار لدى الوالى بان لديه قوما يضربون الدنانير وبنينا كان جالسا فى الساعة التاسعة من النهار لتناول طعام الافطار رأى ان البطريركية قد أحيطت من كل جانب بالجنود فقبضوا عليه وعلى أصحابه وطرحوه على الارض وضربوا أصحابه وعوقبوا حتى سالت دماؤهم وكادوا يموتون . وما زالوا يوسعونهم اهانات وضربات حتى اليوم الثانى من امشير سنة ٣٤٠ ش اذ تحقق لهم كذب التهمة التى وجهت اليهم

ولم تكف هذا البطريرك البائس هذه البلايا الخارجية ولم تقف و يلاته عند هذا الحد حتى قامت عليه زوابع داخلية من نصارى الاسكندرية وكهننتها طالبن منه أن يؤدى لكنائسها ما كان مقررا على البطريركية دفعه لها وكانت هذه العوائد قد انقطعت من مدة سنين بسبب الغرامات الفادحة التى اضطر البابا الاكسندروس أن يقوم بدفعها للحكومة . فأخذ البطريرك يترضاهم ويطيب خاطرهم بالكلام اللين معتذرا عن عدم الدفع بما شاهدوه من نهب جميع مال البيعة حتى صارت الكاسات التى كانت ترفع فيها الاسرار المقدسة من زجاج عوضا عن الذهب والفضة ولكنهم لم يراعوا وأخذوا يوجهون اليه شديد التوبيخ فعرفهم ان كنائس الاسكندرية لا حق لها فى ما تطلب لان تلك المرتبات كانت انعاما من الحكومة وأول من رتبها قسطنطين الكبير للمساعدة ولكنها انقطعت فيما بعد . فصارت البطريكية تجرى صرفها باختيارها . فحالما سمعوا هذا الكلام ضجوا

وطلبوا منه بالحاح أن يدفع ما لهم فلما رأهم لا يرتدعون بالكلام اللين انتهرهم وطردهم من عنده فخرجوا يشنعون عليه ولم يكفوا عن المقاومة الا بعد مدة

وكان فى أيام هذا البابا على كرسى انطاكية البطريرك يوليانوس الذى اقام على الكرسى من ايام البابا يوحنا بطريرك الاسكندرية الى ايام البابا الاكسندروس ثم توفى وحاول اساقفة المشرق اقامة آخر عوضه فنعهم الوليد الوالى بدعوى انه لا يمكن اقامة اسقف فى حياته . ولكنهم عمدوا الى انسان حائف الله يدعى ايليا واجلسوه على الكرسى وحال جلوسه كتب سنوديقا الى البابا الاكسندروس صحبة اسقف يدعى استفانوس فجاء الى البابا بينما كان يتفقد ديارات وادى هبيب فقبله بفرح وكتب للبطريرك الانطاكى جوابا لرسالته

وكان ارخن مدينة الاسكندرية يدعى تادرس فاستعان به لدى الامير طيب يدعى انوبيس من اهل الاسكندرية لكى يقدمه بطريركا وكان روميا خلکیدونيا وذلك ايضا بمساعدة كاتب اسمه انسطاسيوس من الاسكندرية دفع للوالى الف دينار ليوافق على رسامته بطريركا فقبل الوالى هذا الطلب وأقيم هذا الهرطوقى بطريركا وكان يهزأ بالبابا الاكسندروس لاسيا اذا لحقته تجربة حتى ظهرت افعاله الرديئة فقام عليه الشعب طالبا قطعه فاحتفى بالبابا الاكسندروس والتمس منه أن يغفر له ما بدأ منه ورغب أن يقبله فى الامانة الارثوذكسية فصفح عنه . ثم حدث حينئذ وفاة ايليا بطريرك انطاكية فقام عوضه أسقف تقى يدعى اثناسيوس فكتب هذا سنوديقا للبابا الاكسندروس فجأوبه عليها جوابا مملوا بعبارات المحبة .

ولما تولى حنظله بن صفوان سنة ٧١٣ م أراد ان يرسم على أيدى كل من النصارى صورة الأسد . ثم قبض على البطريرك ليسمه فامتنع فلم يدعه الوالى فالتمس منه أن يسمح له بمهلة ثلاثة أيام فدخل البطريرك الى مخدعه وسأل الرب ان لا يتركه يوسم بل ينقله من هذا العالم بسرعة فنظر الله لضيقته وافتقده بمرض فى اليوم الثالث وكان يتزايد عليه كل يوم وقبل وفاته أرسل قوما من قبله للوالى يستعطفونه لكى يسمح له بالانطلاق الى كرسيه لاشتداد المرض عليه فابى الوالى ظانا انه يكذب ولما اشتد عليه المرض استدعى تلاميذه وطلب منهم أن ينزلوه فى مركب الى الاسكندرية فبعث الوالى قوما وراءه ليمسكوه ويحضره امامه فوجدوه قد توفى فقبضوا على تلاميذه وعذبوهم عذابا شديدا وكانت مدة اقامة هذا البابا على الكرسى ٣٤ سنة ونصفا وكانت وفاته فى ٢ امشير سنة ٤٣١ ش و ٧٢٦ م

(٢) قزمان^١ — البطريرك الرابع والاربعون :

كان راهبا قديسا من برية ابى مقار وكان من أهل بناموسير فاجلسوه على الكرسى البطريركى بغير اختياره فى شهر برمهاث سنة ٤٣١ ش و ٧٢٦ م فى عهد خلافة هشام بن عبد

الملك وكان ميالا الى الانفراد والعبادة ولما رأى رتبة البطريركية ثقلا عظيما عليه وواجبا خطيرا غير قادر على القيام باعبائه اخذ يتوسل الى السيد المسيح بجراره ليلاً ونهاراً ان ينقله من هذا العالم فلما كان تمام خمسة عشر شهرا تنيخ بمجد وكرامة فى آخر يوم من بؤونه سنة ٤٣٢ ش و ٧٢٧ م وكان بظاهر مريوط دير يعرف بطمنوه تحت رئاسة رجل اسمه يحنس أعطى نعمة جزيلة وكان الرب يشرفه بصنع العجائب على يديه وكان له تلميذ يخدمه اسمه ثيودوروس فاق من فى الدير بافعاله الصالحة وفى حياة البابا الاكسندروس قال له معلمه يحنس . اعلم يا ابنى انه فى السنة التى يتنيخ فيها الاكسندروس أتنىخ انا معه وانت تجلس على كرسى الرسول الجليل مار مرقس وليس بعد البابا الاكسندروس ولكن بعد الذى يأتى بعده

(٣) ثيودوروس — البطريرك الخامس والاربعون :

فتم قول هذا الشيخ الجليلى اذ ان الاراخنة والاكليروس حالما سمعوا نبأ وفاة البابا قزمان اهتموا بانتخاب من يصلح للبطريركية فذكر لهم بمشيئة الرب الآب ثيودوروس من دير أبى يحنس فمضوا الى الدير وأخذوه وأحضره الى الاسكندرية وكرسوه فى شهر ابيب سنة ٤٣٢ ش و ٧٢٧ م فى عهد خلافة هشام بن عبد الملك ونالت الكنيسة فى أيامه اكمل قسط من الراحة بفضل عدالة الخليفة هشام . الا ان البطريرك صادف متاعب جمة لدى مشاهدته الفظائع التى أتاها الولاة واستمر صابرا على ما رأى حتى أفتقده الرب واخذه اليه بشيخوخة حسنة وبنعمة السيد المسيح كانت البيعة تنمو بلا مقاوم لها ولا شقاق فيها فى جميع أيامه وأقام على الكرسى الرسولى ١١ سنة ونصفا وتنيخ فى سابع يوم من أمشير سنة ٤٤٤ ش و ٧٣٨ م وبعد وفاة هذا البابا استمرت الاضطهادات قائمة على قدم وساق فلم يتمكن المصريون من اقامة خلف له وزادت الصعوبة حينما بدأ الانشقاق بين كنائس الاسكندرية وباقي الكهنة فى القطر المصرى . فانتهر الخلكيدونيون هذه الفرصة وعقدوا مجمعا بمصر وأحضرهوا ثلاثة أشخاص ليختاروا منهم واحدا ليجعلوه بطريركا .

ولما بلغت فظائع القاسم الوالى الى الخليفة أمر بطرده من مصر فذهب بعض الاساقفة وقابلوه وهو منطلق وطلبوا منهم السماح لهم باقامة بطريرك فطلب منهم رشوة فأبوا ان يعطوه وتنبأوا عنه بانه لا يرجع الى مصر مرة أخرى فرجع الاساقفة فوجدوا الخلكيدونيين قد سبقوا وأخذوا واحدا منهم كان خياطاً يدعى قزمان وجمعوا مالا طالا وقدموه للقاسم قبل سفره ليأمر باقامته بطريركا ووسموه مفتخرين على الارثوذكسيين

وتولى مصر بعد القاسم جعفر بن الوليد فاجتمع مجمع الاساقفة فى ٢٨ مسرى سنة ٤٤٤ ش وكان معهم كهنة الاسكندرية والاراخنة . وكان بين هؤلاء الاساقفة الذين اجتمعوا لتقديم البطريرك الانبا موسى اسقف اوسيم فضوا الى الوالى وسألوه ان يأذن لهم باقامة بطريرك فقال لهم اذا استقرر رأيكم على واحد أرونى اياه فانطلقوا الى بيعة أبى شنوده فى مصر وشرعوا يصلون

ويطلبون من الله ان يوفق لهم من يصلح للبطريركية فذكر لهم ابرام اسقف الفيوم الانبا بطرس اسقف مريوط وكان هذا قد أقام جميع ايامه فى برية أبى مقار ولكنه كان ضعيفا لكبر سنه فلم يقر الرأى عليه فاجتمعوا فى اليوم الثانى فقدم احد الشعب اسم اجد الاساقفة فقال اسقف مصر اذا رضى به الجميع فهو أصلح من سواه فقال المقدم انتخاب البطريرك من حق الشعب والرسامة من حق الاساقفة فقال اسقف الفيوم لكم الحق فى ان تنتخبون أى انسان ولكن اذا لم يكن صالحا فى نظرنا فلا نرسمه واستمروا فى مباحثة ومناقشة مدة عشرة أيام فكان كهنة الاسكندرية وبعض الاساقفة متفقين على رسامة واحد ويقولون لا نرسم سواه وكان اساقفة الصعيد غير موافقين على رسامته فلما كان يوم ١٤ توت وقع بينهم انشقاق عظيم لحقهم بسببه حزن وبكاء فاستحضروا بينهم الانبا موسى أسقف أوسيم والانبا بطرس اسقف ترنوط وكان الاول مريضا والثانى معه مقيمين بجبل اوسيم بدير نيا الذى فى بر الجزيرة غربى مصر فاستدعيا الى المجمع فجاءوا بالانبا موسى محمولا على قطعة خشب نظراً لضعفه وعدم اقتداره على ركوب الحيوانات وأتى الانبا بطرس راكبا دابة وحضرا الى المجمع ورأيا المناقشات الحادة التى كانت تجرى فيه وكل حزب بتشبث بتزكية من وقع اختياره عليه وكان الانبا موسى ملقيا وسط المجمع من شدة الوجد فغضب من هذا الانشقاق وأمسك بيده جريدة وطرد كهنة الاسكندرية وأتباعهم الذين كانوا اكثر تعصبا وانقضى النهار ولم تنف الاراء على أحد .

فلما كان نصف الليل استيقظ شماس مع الانبا موسى وقال له أعرف أنسانا يستحق الانتخاب دون غيره فسأله عنه فأجابه هو القس خائيل ببيعة أبى مقار وهو انسان فيه روح الله ومشهور بالتقوى والعلم فصرخ الانبا بطرس وقال هذا الشماس تكلم بروح المسيح وفى الغد عندما ذكر اسم هذا القس اجعت الاراء على انتخابه وقاموا بسرعة وتوجهوا للوالى واخبروه بما جرى وسألوه أن يكتب لشيخ وكهنة وادى هبيب ليسلموا لهم الاب خائيل المذكور فكتب لهم وبينما كانوا ذاهبين اليه قابلوه فى الطريق مع زمرة من الرهبان قاموا من الدير وقصدوا المضى الى الوالى ليلتمسوا منه رفع الحيف عن الكهنة لاسيما الغرامة الباهظة التى كانت تدفع عند انتخاب البطارقة فشكروا السيد المسيح على هذا التدبير الحسن ورجعوا به الى قصر الوالى فوافق عليه ففضوا واقاموه بطريركا باحتفال عظيم فى ١٧ توت سنة ٤٤٥ ش سنة ٧٣٩ م وحدث بعد رسامته مطر استمر ثلاثة ايام فتفاءل الشعب خيرا وذلك لانقطاع المطر عنهم مدة سنتين .

(٤) خائيل ١ — البطريرك السادس والاربعون :

جلس على كرسى البطريركية فى ١٧ توت سنة ٤٤٥ ش سنة ٧٣٩ م فى عهد خلافة هشام بن عبد الملك وسمى نفسه خائيل أى الاخير ولم يرض ان يدعى ميخائيل تواضعا منه حتى لا يكون اسمه كاسم رئيس الملائكة ونال حظوة لدى الوالى حوثره الذى كان يحضره ويتحدث معه فى أمور شتى ولما آلت الخلافة الى مروان تقدم اليه قوم من الخلكيدونيين برئاسة بطريركهم قزمان

برشوة قائلين كان لنا كنائس كثيرة بمصر اخذها منا الاقباط وليس لنا الان بيعة واحدة ونرجوان تكتب للوالى ان يسلمنا بيعة ابى مينا بمر يوط فأعطاهم الخليفة اوامر الى الوالى عبد الملك ليكشف الحال بين الارثوذكسيين والخلكيديونيين ليعرف من بنى هذه البيعة ليسلمها اليه . فاستدعى الوالى بطريركى الاقباط والروم وكان الصوم قد قرب ورافق البابا خائيل موسى اسقف اوسيم وتادرس اسقف مصر وطالبت المناقشة بين الطرفين مدة اربعين يوما حتى مل الوالى وطلب من وكيل له اسمه عيسى ان يستكتب كلا الطرفين حقيقة مستندة فتقدم اليه الخلكيدونيون بالهدايا وجمع البابا خائيل اساقفته وكتب كتابا مملوا بالدلة الكافية لاقتناع الوالى بان كنيسة مارمينا ملك الارثوذكسيين غير ان الرشوة أعمت عينى الذى كلف بالبحث فى القضية ومال الى جانب الخلكيدونيين مع ظهور الحق فى جانب الارثوذكسيين غير ان الله لم يدعه يقرر شيئا فعزل قبل ابداء الحكم وولى آخر عادل فلما سمع أقوال الطرفين حكم باثبات ملكية الكنيسة للارثوذكسيين ولما رأى الخلكيدونيون حبوط مؤامراتهم الشيطانية حاولوا الاتحاد مع الارثوذكسيين ولكن بعد استجوابهم اتضح لهم سوء نيتهم فأبوا قبولهم

وحدث بعد ذلك أنه كان فى دنقله من بلاد النوبة ملك شر يريدعى أبراهيم وقعت بينه وبين اسقفها كرياكوس خصومة بسبب اجتهاد الاسقف فى ردع الملك عن خلاله الرديئة فاغتاز الملك منه وكتب للبطريرك طالبا قطعه والا يحمل رعاياه على السجود للاصنام فبعث البطريرك اليه يسترضيه ولكنه أصر على عناده فحضر كرياكوس الاسقف الى مصر وانعقد مجمع بسببه رأى ان يبقى كرياكوس باحد اديرة الاسكندرية ويرسل اسقف آخر للنوبة خلافة فلم يرض كرياكوس قبول هذا الحكم لانه مظلوم فحكم المجمع بتوقيفه عن الخدم بالكنيسة وكرسوا اسقفا آخر يدعى يوانس وارسلوه ليأخذ مركزه ومضى كرياكوس الى دير من اديرة النوبة ومضى فيه بقية حياته منفردا عن العالم .

وجرى بعد ذلك ان تولى حفص بن الوليد فاضطهد المسيحيين اضطهادا مريعا للغاية واعتنق كثيرون الاسلامية وفر الاساقفة الى الاديرة خوفا من خطر السقوط فجمع البطريرك والاساقفة مجعاً حكم فيه بضرورة استمرار الاساقفة فى كراسيهم وحرّم من يتجاوز هذا الحكم .

ثم آل الحكم بعد حفص الى عبد الملك بن مروان فاستفرغ جهده فى مضايقة الاقباط وقضى على البابا خائيل وطلب منه مبلغا جسيما لا يقوى على القيام بدفعه فأمر ان يقتل البطريرك وتوضع رجلاه فى خشبة عظيمة وتطوق رقبتة بطوق حديد ثقيل وكان معه انبا موسى اسقف اوسيم وتادرس أسقف مصر وغيرهما فوضعوهم فى خزانة مظلمة نقرت فى صخر لا تصل اليها أشعة الشمس واستمروا فى هذا الضيق من ١١ توت الى ١٢ بابه وكان معهم ايضا ٣٠٠ من الرجال والنساء وكان المرضى والمعتلون يأتون الى البطريرك فى السجن لكى يصلى عليهم ويشفيهم وكان

بعضهم محكوم عليه بالسجن لذنوب جناها فانتهر البابا خائيل تلك الفرصة وجعل ينصحهم ليعتصروا آثامهم ويتوبوا الى الله فرجع منهم كثيرون .

وكان على مائدة الخليفة رجل مؤمن فكان مرارا يفتقد البطريرك ويعزيه ويطيب خياطه . فلما تمت سبعة عشر يوما من الشهر المذكور أمر الوالى باحضار البطريرك ومن معه وطلبه بدفع المبلغ فالتمس منه البطريرك ان يترك له فرصة يمضى فيها الى الصعيد وما يتمكن من الحصول عليه من المسيحيين يدفعه له . فسار الى الصعيد وناله تعب جسيم وكان المصريون قد اصابهم العسر المالى بسبب كثرة المغارم الفادحة . لكن البابا خائيل كان يربينهم كملاك سلام يشفى المرضى بقوة الرب ويرد الذين هجروا الايمان الارثوذكسى وأتى الوالى بما جمعه فلم يرتض به وألقاه فى السجن فشرع بذلك كريا كوس ملك النوبة فغضب وقدم بجيوشه الى مصر وقتل من كان فى طريقه من المسلمين حتى جاء الفسطاط فعسكر فيه وهدد عبد الملك الوالى فأطلق البطريرك ورجاه ان يتوسط بينه وبين ملك النوبة فأجرى بينها صلحا . ومن ثم صار البطريرك موضوع احترام الوالى لاسيما لانه شفى له ابنته التى كانت مصابة بروح نجس .

وبعد اطلاق سراح البطريرك رفع الاسرار المقدسة فى بيعة الشهداء سرجيوس وواخس وتناول من يده جمهور غفير من الشعب وقد منع أحدهم لانه أكل قبل مجيئه الى الكنيسة وعلم ان قوما من المسيحيين كانوا يأكلون قبل تناول ولا يعتبرون ذلك خطيئة فحرر منشورا قضى فيه بمنع جميع الذين يتقدمون للتناول وهم غير صائمين . ثم ابتدا بتعمير الكنائس التى كانت فى زمان البابا الاكسندروس قد سلب منها رخامها وخشبها فأعادها الى رونقها الاصلى

غير ان الزمان على ما يظهر لم يدع الكنيسة المصرية تذوق طعم الراحة وقتا الا ليزيقها الشقاء أوقاتا فقد حضر مروان الى مصر ونكث هو وعبد الملك عهدهما للاقباط وأخذوا فى اضطهادهم بقساوة بربرية حتى هاج هياج الاقباط وقاموا يدافعون عن انفسهم ببسالة وتمكنوا من ان يهزموا جيش مروان ولكنه فيما بعد استجمع قواه وقاتلهم بشدة وكانت الكنيسة القبطية والرومية بجانب بعضهما فى الدفاع ضد مروان فهزم الاقباط اخيرا وقبض على البطريرك كين القبطى والرومى . وقد افتدى قزمان بطريرك الاروام نفسه بدفع ألف قطعه ذهب أما البابا خائيل فارسل اليه الوالى يقول ادفع مقدار ما دفع قزمان وانا اطلقك فاجابه ليس فى بيعتى شىء وانا اجعل نفسى عوضا عن المال . فثقل رجله بقطعه حديد وألقاه فى السجن وابتدأ يعذبه مدة تسعة أيام ثم أحضره لدينه وأمسك بيده وجذبه على وجهه وطرحه على ركبتيه وكان فى يده قضيب فضربه به مائتى دفعة على رأسه بكل قوته ولكن عناية المسيح لم تسمح بان يناله ضرر وبعد ذلك أمر الوالى بضرب عنقه وأنزل قلنسوته على وجهه حتى تؤخذ رأسه فقدم رقبته بسرعه وشرع السيف فى الضرب وكان يصيح أنه سيأخذ رأسه ثلاث دفعات كما جرت العادة وفى ثانى دفعة عدل الوالى عن قتله لما سمع أنه كان ينصح البشامة الثائرين من الاقباط بالعدول عن مقاتلته وارتأى ان يرسله الى رشيد

وكلفه بأن يكتب للثائر ين يأمرهم بالكف عن العصيان مخبرا اياهم بان كل ما ناله من الاذى حدث بسبب عصيانهم

فلما بلغ الخبر البشامرة الثائر ين تهيجوا اكثر وقاوموا مقاومة عنيفة حتى أكرهوهم على الهرب بعد ان أصيبوا بخسائر فادحة . فعزز مروان قوة جيشه وسمح لهم ان يذيقوا الاقباط العذاب اشكالا وألوانا فوقعوا بهم من الولايات ما تصطك لسماع أخبارها الركب وتشيب لها نواصي الولدان . ومما زاد الخطب هولا ان فى سنة ٧٥١ م دخل أبو العباس مصر بجيش زاخر وهو يقصد أخذها من يدمروان . وكان الاقباط فى ضيق شديد فأنحازوا اليه وطلبوا مساعدته وعندما وصل السفاح الى مصر عسكر بجيشه على شاطئ النيل تجاه مروان الذى كان لا يزال قابضا على البابا خائيل وموسى اسقف اوسيم وبعض الاساقفة .

ولما علم مروان ان بعض الاقباط عقدوا صلحا مع ابى العباس اشتد به الغضب واستدعى اليه البطريرك وأوقفه امام الاقباط الذين كانوا مع خصمه فى الجهة المقابلة وأمر جنوده باهانتهم فهدوا اليه ايديهم بسرعة وشرعوا ينتفون شعر لحيتهم من عارضيه ورموا شعره فى البحر . وكان المصريون وجيش ابى العباس يشاهدون ذلك بغضب شديد وكانوا يتمنون لو يجدون مراكب يعبرون بها النهر ليقتصوا من مروان على هذا الظلم الفظيع . ثم عادوا الى الانبا موسى واذاقوه العذاب مما لا يطيق احتمال الاقوياء فضلا عن شيخ ضعيف مثله

ثم رحل مروان وأمر أن يقف البطريرك ومن معه فى الشمس على الشاطئ واستمر بقية اليوم وليلته وفى الغد جاء مروان ومعه الجلاذ وجلس على شاطئ البحر وأمر باحضار البطريرك اليه فأبى الاساقفة الذين معه الا مرافقته فجاءوا جميعهم الى مروان وأوقف البطريرك بين يديه عشر ساعات ووجه اليه وحوله عدة سيوف مسلولة وآلات الحرب . واما الذين رافقوا البطريرك من الاكليروس والشعب وعدتهم عشرة فاقفهم على يساره فى ناحية وسلمهم الى قوم قساة وجعل مع كل واحد ثلاثة من الجنود وجعلوا يضربونهم باعصاب البقر ولما أشتدت حرارة الشمس أعد مروان آلات العذاب المختلفة لانهم لم يتفقوا على طريقة يقتلونهم بها . وكان البابا خائيل فى تلك الاثناء يبسط يديه ويصلب على وجهه ويبارك من معه . وكان الاقباط وجيش ابى العباس يشاهدونهم من البر الشرقى وجماعة من المسلمين يبكون عليهم . ثم أمر مروان يزيد أقسى جنوده ان يأخذ البطريرك الى بحرى المتنزهات فاقتيد ومن معه بفظاظة متناهية والبطريرك يصلى للرب ان يثبت ايمانهم . وقد بلغت القساوة على اولئك البائسين مبلغا استدعى اشفاق عبد الله بن مروان الكبير فبكى عليهم وتقدم وهو يسكب الدموع الغزيرة الى ابيه طالبا ان يطلق سراحهم ثم قال له . انت تعرف اننا لا نقدر على مقاومة جيش الخراسانيين فنضطر الى الذهاب للسودان واهله كما نعلم من اولاد هذا الشيخ البطريرك فان قتلته لا يقبلونا .

فبتطلع مروان الى جيوش الخراسانيين فرآهم فى كثرة ازعجته وايقن أنه لا يقوى على محاربتهم فاعاد البطريك ومن معه الى الاعتقال وكان ذلك المكان بالجيزة وكان فيه أربعة سجون فأدخلوهم فيها موثقين وربطوا فى قدم كل واحد منهم قطعة حديد ثقيلة وجعلوهم خلف ثلاثة ابواب من الخشب دون ان يشاهدوا ضوءاً أو ينفذ اليهم هواء وكان واحد منهم ينظر الى الشرق وآخر للغرب . واستمروا فى ضيق شديد حتى أشرفوا على الموت غير أنهم تعزوا باقوال البطريك الممزوجة بالمواعيد الالهية التى كانت تخفف عنهم آلامهم وتنبأ لهم الانبا موسى أنهم يخرجون من السجن ومروان فى قيد الحياة ولم يجبر احد بالسؤال عنهم والا عرض نفسه للموت . واستمروا عشرة ايام والكنيسة تصلى من أجلهم .

وقد تمت نبوة الانبا موسى عندما قام الخراسانيون وعدوا البحر الى الجهة الغربية وضيقوا الخناق على مروان وجيشه فانهمز امامهم وترك جيشه وهرب وجاء ابنه الصغير ليحرق السجن الذى كان فيه البطريك بالنار وما كادت النار تشتعل حتى اكرهه اعداؤه على الهروب وجاء بعض ذوى الشفقة واطفأوا النار واطلقوا المسجونين وحلوا قيودهم وجاءوا بهم الى كنيسة مارمرقس بالجيزة وكانت ليلة الاحد الاول من مسرى (١) .

ولما أستولى أبو العباس على مصر أحسن الى المسيحيين ورثى لحالهم وسامح البشارة الثائر ين بالخراج ودفع لهم خراجاً وطلب منه البطريك ان يعطيه مؤونة للبيع فى كل البلاد فأجابه الى ما التمس . غير ان هذه الراحة لم تدم سوى اربع سنين كانت كاحلام النائم وتغيرت بعد سفر السفاح من مصر وتركه الولاية لسواه فأساء الولاة التصرف واعادوا الكرة على النصارى فهم البطريك يدافع عنهم محتجاً بما اظهره ابو العباس من الامان لهم ولكنه لم يفلح فى دفاعه عنهم واستمر المسيحيون فى ضنك حتى شوهدت مياه النيل ناقصة عن منسوبها المعتاد ذراعين وذلك لظهار قوة الله . وكان الاساقفة حينئذ قد أخذوا يتوافدون على البطريك فى عيد الصليب كما جرت العادة ان يعقدوا مجمعين فى السنة .

ولما كان اليوم السابع عشر من شهر توت وهو يوم عيد الصليب فكر الاساقفة ان يقيموا صلوات خصوصية فيها يرفعون تضرعاتهم لله حتى يرحمهم ويزيد فى مياه النيل وتقدموا يصحبهم جميع كهنة الجيزة واكثر اهل الفسطاط وحلوا الاناجيل والمباخر ودخلوا البيعة الكبيرة التى كانت للقديس مرقس وكان اساسها فى البحر ولم تكن البيعة تسع الناس لكثرتهم حتى ان باقيهم أقام بالحقول والحدائق .

(١) اما اسماء الذين كانوا معتقلين مع البطريك فهى : — البطريك وموسى أسقف أوسيم ومحنس كاتب سيرة البطريك وأسقف طنبداء ومنا كاتبه وزكريا أسقف اتريب وبطرس أسقف بوسير وجرجس تلميذه واثناسيوس ارشى بيعة ابنى مقارو يعقوب أسقف سنجار وتلميذه وبطرس من سمند .

فتقدم البطريرك ورفع الصليب وكان معه انبا مينا اسقف منف يحمل الانجيل المقدس وباقي الكهنة يتبعونها وهم يحملون الصليبان والانجيل المقدسة ووقفوا على شاطئ البحر قبل طلوع الشمس وصلى البطريرك وانبا مينا والشعب يرد عليهم « كير ياليصون » (يارب ارحم) الى تمام ثلاث ساعات من النهار حتى بهت جميع الموجودين من يهود ومسلمين وغيرهم من صراخهم الذى سمعه الله تعالى اسمه وزاد النيل ذراعا فبلغ الخبر مسامع الوالى وجميع الناس فغار علماء المسلمين والتمسوا منه ان يرافقهم فى الغد لاقامة الصلاة حتى يرفعوا مياه النيل كالنصارى فالتزم من ثم الوالى أن يدعوا ارباب الاديان ليصلوا الى الله بشأن ذلك فدعا علماء الاسلام فصلوا وجاء بعدهم حاخامات اليهود فصلوا والمياه لم ترتفع بل أخبرهم احد قياسي النيل ان ما زاده امس نقصه اليوم

فاغتاز الوالى والمصلون وامر بالكف عن اقامة الصلاة بالمرة خوفا من أن يزيد النيل مرة ثانية بصلاة الاقباط فيعتريهم الخجل الا أنه لما رأى الخطر يهدد البلاد من قلة المياه اضطر ان يدعو النصارى للصلاة فحضر البطريرك وحاشيته واحتفل برفع الاسرار الربية واستمروا الى الساعة السادسة من النهار ولما القوا مياه غسل الاوانى المقدسة فى البحر فحلت على مائه البركة الالهية واخذ يرتفع حتى زاد ثلاثة اذرع

فأحب ابوعون الوالى النصارى وواساهم وعمل الخير فى كنائسهم واستمر البابا خائيل بعد ذلك يجاهد فى خدمة الله فكان يطوف على رعيته مفتقدا اياها شافيا المرضى رادا الضال . ثم كاتب البقية الباقية من حزبي ميليتس و يوليانوس الهرطوقيين ليردهم عن ضلالهم فلم يردوا عليه فسار اليهم بنفسه واخذ يقنعهم فلم يسمعوا قوله فتركهم ساخطا عليهم فحل عليهم غضب الله واصابهم وباء شديد فافنى جلهم

أما كنيسة انطاكية فى عهد البابا خائيل فكان قد توفى بطريركها اثناسيوس وأقيم بعده يوحنا الذى اقام ثلاث سنين ثم لحق بسلفه واستمر كرسيه بعده شاغرا . وحدث بسبب البطريركية نزاع شديد بين بعض اساقفة سوريا وبين البابا خائيل وذلك ان امرأة المنصور ابى جعفر كانت عاقرا فسمعت عن تقوى اسحق اسقف حاران وعمله العجائب فاستدعته فحضر لديها وصلى لاجلها فتم لها ما ارادت ورزقت ولدا فصار الاسقف اسحق عندها موضوع الاكرام والتبجيل . وحدث بعد وفاة يوحنا بطريركا انطاكية ان اسحق سأل الوالى أن يخلفه فأجيب سؤاله حالا وتهدد بالموت كل من يتعرض له . وقيل أنه تسبب فى قتل مطرانين قالوا له أنك بصفتك أسقف حاران لا يلزمك ان تتقوى بالسلطان وتغتصب الكرسي .

وبعد ذلك كلف الخليفة بان يكتب الى والى مصر يأمره بان يتمم كافة رغائب اسحق لدى بطريرك مصر . ثم كتب كتابا الى البابا خائيل وارسله صحبه مطرانى دمشق وحمص وكاتبين

له أحدهما قس والاخر شماس . فلما أطلع البابا خائيل على الكتاب لم يقدم رأيا قبل مشورة الاساقفة فاستدعاهم اليه ولبث مجتمعاً بهم مدة شهر وقرر أخيراً انه لا يشترك مع بطريرك أخذ رتبته بقوة السلطان . وكان الامر للوالى من قبل الخليفة أنه اذا رفض بطريرك مصر اجابة طلب اسحق يرسل اليه فخير البطريرك بين المصادقة على بطريركية اسحق وبين السفر للسلطان فقبل السفر لولا شفقة الوالى عليه لشيخوخته ومشقة الطريق وحاول ان يقنعه بالمصادقة فأبى واخذ يتأهب للسفر ولم يؤخره عنه الا بلوغه خبر وفاة اسحق سبب النزاع وقيام آخر مقامه يدعى اثناسيوس وهذا أيضاً توفى فى اليوم الثالث لرسامته وقام بعده رجل كان خلکیدونيا واعتنق الامانة الارثوذكسية يدعى جرجس فلم يمر عليه الا القليل حتى قبض عليه وأودع السجن بسعاية اسقف من اساقفته يدعى داود يرغب ان يأخذ مكانه وكانت أمه خادمة لابی جعفر المنصور . ومن ذلك الحين انقطعت العلاقات بين الكنيستين الانطاكية والاسكندرية مدة ما . وكانت البيعة فى أيام البابا خائيل الاخيرة فى سلام . ثم تنيح ومضى الى الرب فى ١٦ برمهاة سنة ٤٦٨ ش و ٧٦٧ م بعد أن اقام على الكرسي ثلاثة وعشرين عاماً

(٥) مينا' — البطريرك السابع والاربعون :

وبعد نياحة البابا خائيل اجتمع الشعب والاساقفة لانتخاب خلف له فذكر القس مينا الراهب من سمنود ببيعة ابي مقار وكان قيا من شوبيته وتلميذا للبابا خائيل . وما جلس على الكرسي فى شهر برمودة سنة ٤٦٨ ش و ٧٦٧ م فى عهد خلافة المنصور بن محمد حتى أخذ يصلح ما أفسدته يد الاضطهاد وذاقت الكنيسة طعم السلام بعد ان حرمت منه مدة طويلة . غير ان الشيطان عدو السلام اثار الشر على البابا مينا بواسطة راهب يدعى بطرس من قرية تسمى دسيمه طمع فى نوال الاسقفية ولم ينلها لعدم استحقاقه فأخذ يشيع المذمات على البطريرك حتى استدعاه اليه وجعل ينصحه لكى يعدل عن شره فلم يرعوبل سافر الى سورية وزور مكاتيب باسم البابا مينا الى بطريرك أنطاكية ومطارنته يقول فيها ان كنيسة مصر وقعت فى شدة وأصيبت باضطهاد عظيم فاعتنى به البطريرك وجمع له مالا وزوده بتوصيات الى العظماء لينال منهم خيراً واستمر مستعملاً غشه حتى وصل الى مدينة دمشق التى يقيم بها الخليفة فبدأ يذيع الاخبار بان بيت مال الخليفة خال من المال و بطريرك نصارى مصر له دراية بعمل كيميا الذهب ولاجل هذا ملأ كنائسه من الاوانى المصنوعة من الذهب والفضة وعزز كلامه هذا بدفع رشوة لموظفى بلاط الخليفة حتى يقدموه له

وكان ابن الخليفة قد مات فلما وقع نظره على بطرس رآه يشبه فى صورته صورة ولده الميت فدخل به الى زوجته النائحة لكى تتعزى فسرت به رآه وأقام عندهم عدة شهور ونال حظوة فى عينى الخليفة حتى صرح له باستعداده لقضاء جميع مآربه فطلب منه ان يقيمه بطريركا عوض مينا بطريرك مصر فكتب الخليفة الى الوالى عبد الرحمن وكلفه بان يجهز لبطرس ثيابا فاخرة ويرقم عليها

بالخط العربى «بطرس بطريرك مصر» وكتب اسم الملك فكتب بطرس من جهله بعد اسمه لفظة «عبد الملك»

ولما وصل الخبر للوالى ارسل يستدعى البطريرك القديس فتوسل الى الرب ان يخلصه من هذه التجربة وسار للوالى الى مصر منشراحا لاستحقاقه ان يتألم من أجل المسيح . فاعلمه الوالى بجلية الخبر فشخص الى بطرس وشجبه بشجاعة فأراد الوالى ان يقنعه بالحسنى باطاعة امر الخليفة فاجابه «لا ينبغي ان أطيع الخليفة وأقاوم الله» فسأل الوالى بطرس عما يريد أن يفعله فاجابه أنه يروم ان يستحضر لديه كل الاساقفة ويلزمهم بطاعته ويشخص الى الاسكندرية ليستلم كنائسها فاعتقل البطريرك وتادرس اسقف مصر حتى يدعوا البطريرك ببقية الاساقفة فكتب اليهم يستدعيهم الى الفسطاط فاسرعوا فى الحضور وقام بطرس يوم الاحد بينا كانوا يقيمون الصلاة فى الكنيسة وتقدم بجسارة وصعد الى الهيكل ليقول صلاة الشكر كالبطريرك والقلنسوة المكتوب عليها أسم الملك على رأسه فلما شاهد الآباء الاساقفة هذا التصرف الشنيع اسرع انبا مينا اسقف صنبو وأنبا موسى اسقف أوسيم وأمسكا بالقلنسوة ورميا به من على الهيكل وقال له بقيه الاساقفة «لا تقف أمام الهيكل لثلاث تنجسه» فأمر بان توضع فى رقابهم وأرجلهم السلاسل الحديدية وطرحوا فى السجن فاستمروا فيه أياما قلائل وطلب بطرس من الوالى ان يأتى بهم من السجن و يوقفهم بين يديه ففعل فأمر بطرس ان يستحضر الاوانى المصنوعة من الذهب والفضة لتحمل الى بيت الملك فاجاب البطريرك بان الكنيسة لتوالى الاضطهادات عليها عدمت كل اثاثها «وقال له بطرس «انا أعرف ان لديك كتابا تستطيع ان تصنع به ذهبا وفضة» فاجابه البطريرك «أنى لا أعرف شيئا من ذلك» فحلف بطرس برأس الخليفة ان يلزم البطريرك ومن معه أن يشتغلوا فى طلى المراكب بالزفت فلزم البطريرك والاساقفة هذا العمل مدة سنة ووجوههم تكاد تصهرها الشمس حتى كان يبكى عليهم كل من شاهدهم ثم أعيدوا الى السجن ومازال بطرس يطالبهم بتسليم أوانى الكنائس

وكان الوالى غير راض على تصرف بطرس القبيح ولكنه لم يشأ مقاومته خوفا من الخليفة . غير أنه لما رآه تجاوز الحد فى شره عنفه على ما يأتیه ضد كبير النصارى . فهدده بطرس قائلا «ا تريد أن أطيع البطريرك وأخالف الملك» فخشى الوالى ان ينم فيه لدى الخليفة فقبض عليه وكبل يديه ورجليه بالحديد وطرحه فى السجن والقاء فى مطبق ضيق وأفرج عن البطريرك ومن معه ففضوا الى الاسكندرية ودخلوا البيعة بفرح عظيم وواصلوا جهادهم فى خدمة الكنيسة

ولما تمت ثلاث سنين و بطرس فى السجن تغير الوالى الذى كان يمقته وعين عوضه فاطلق جميع المسجونين ومنهم بطرس فانطلق الى الخليفة وأعلن اسلامه وروى من الاخبار الكاذبة ضد البطريرك والوالى المعزول ما شاءت له نياته السيئة وطلب من الخليفة ان يعطيه قوة كبيرة لكى ينتقم من البطريرك أشر أنتقام لكن الرب لم يسمح فقبل وصوله الى مصر مات الخليفة فخزى

بطرس ومضى الى بلده فعرفه كل من التقاه وأبى جميع معارفه الاختلاط به حتى اضطّر أن يستغفر الاساقفة ليرضى عنه الناس ولكنهم ردّوه وظل مرذولا حتى مات أشر الميتات .

وبعد ذلك تنيح البابا مينا بسلام بعد ان مضى مدة ثمان سنين على الكرسي المرقسى وكانت وفاته فى آخريوم من طوبة سنة ٤٧٨ ش و ٧٧٦ م

وبعد وفاة البابا مينا بقيت البيعة بدون بطريك حتى أجمع الاساقفة وفكروا فى إقامة خلف له وذكروا عدة أسماء وأقاموا عدة أيام حتى ينتخب الرب من دعاه لهذه الخدمة . وكان آباؤنا اذا اجتمعوا للاتفاق على إقامة بطريك يكتبون أسماء كثيرة فى رقاع صغيرة و يضعونها على الهيكل و يصلى الاساقفة والكهنة والشعب الارثوذكسى الى الرب بنية خالصة و يصيحون (كير ياليصون) ثم يجعلون غلاما صغيرا يمد يده ليأخذ رقعة من جملة الرقاع فالذى يخرج اسمه يقدمونه بطريكا

فلما فعلوا ذلك كان بيعة القديس أبى مينا قس اسمه يوحنا تلميذ للبابا نخائيل وهو مولود فى نبا وأبى صير وترهب فى وادى هبيب ولم يكن اسمه بين المكتوبين فذكره لهم شيخ شماس معددا فضائله فكتبوا اسمه وصلوا وفعلوا كما تقدم ذكره ثلاث دفعات فخرج اسمه فى الثلاث المرات والجميع يتعجبون و يقولون « حقا مستحق » فقدموه وجلس على الكرسي

(٦) يوحنا - البطريرك الثامن والاربعون :

وبعد جلوس البابا يوحنا على الكرسي المرقسى فى شهر أُمشير سنة ٤٧٨ ش و ٧٧٦ م فى عهد خلافة محمد المهدي كتب سنوديقا ممثلة حكمة الى الاب المغبوط جرجس بطريك أنطاكية يجدد له فيها أتحاده معه فى الامانة . وكان الآب جرجس قد القى فى السجن كما ذكر وجلس عوضه ابن خادمة الخليفة الذى لم يخاطب الكرسي الاسكندرى بته حتى مات وعاد الآب جرجس بعد عشر سنين وجلس على كرسيه ثانية فلما وقف على رسالة البابا يوحنا سر منها للغاية ورد عليها بمثلها

وكان البابا يوحنا حسن الخلق ونال حظوة عند الملوك والولاة مداوما لعمل الخير فاهتم ببناء بيعة ومسكن بطريكى فشيدهما باتم زينة وزين كل بيع الاسكندرية بمساعدة الولاة والشعب . وفى أيامه كان علم السلام يحقق على الكنيسة بأسرها حتى عمل تذكارا له بهذه المدينة وانتشرت سيرته الصالحة على كل لسان حتى ان المخالفين كما هى عادتهم أخذهم الحسد وكان رئيس الهراقة حينئذ رجل يسمى يوليانوس وكان طبيبا ماهرا مشهورا ومحترما لدى الملوك المسلمين لاجل صناعته فحاول كثيرا ان يستولى على بعض الكنائس القبطية غير أنه لم يستطع لهماج الشعب ونخاب مسعاه فضلا عن ان تهمة لم تلق من يصغى اليها لثقة الجميع باستقامة البطريرك الاسكندرى

فواصل البابا يوحنا جهاده فى بناء البيع حتى ان الشعب الارثوذكسى لما شاهد شغفه بتشيد الكنائس كان الكثيرون منهم يسلمون له أموالهم ليبنى بها البيع تذكارا لهم . وكان فى بيعة ابى ميناquia يدعى مرقس من الاسكندرية اشتهر بتقواه وعلمه اجادة القراءة والترتيل فى الكنيسة حتى كان الكثيرون يبكرون الى البيعة لثلا تفوتهم قراءته فاتخذه البطريرك له تلميذا وقدمه فى الرتب الكهنوتية ولكنه كان يزداد تواضعا وطلب منه معلمه أن يلبسه اسكيم الرهبنة فأخذه الى دير ابى مقار وكرسه فيه وتنبا عنه احد الشيوخ قائلا « أنه سيكون خليفة مرقس الرسول »

ولما رجع البطريرك من الدير طلب منه رجلان صالحان يدعى احدهما كوريا والاخر برنابا أن يستأنف اهتمامه ويشيد كنيسة باسم الملاك ميخائيل فكلف شماسه مرقس بالاشراف على عمارتها فكان نشيطا ناجحا فى عمله فوسوس الشيطان الى يوليانوس الهرطوقى أن يذكر أمام الخليفة ان البابا يوحنا أخذ أملاك الحكومة وبنى فوقها كنائس غير انه بعد الفحص ظهر كذب ذلك المخالف وجعل الرب فى قلب الخليفة ان يأمر البطريرك باتمام البيعة فتم بناؤها فى مدة خمس سنين وكانت تدعى بيعة التوبة . وكان مساعدا للبطريرك شماس كاتب اسمه يوحنا صار فيما بعد اسقفا لكرسى سخا بعد وفاة البطريرك .

وبعد ذلك نزل غلاء عظيم على مدينة الاسكندرية فحل البلاء بكثيرين من الناس حتى حزن قلب البابا عليهم وصلى طالبا رفع هذا الويل عنهم وكلف تلميذه مرقس أن يمد يده لاغاثة كل محتاج وكانت مخازن البيعة وحسابها تحت يده واستمر يحض الاغنياء على مساعدة الفقراء حتى شفق الرب ورفع الغلاء

وحينئذ تنيح الاب جرجس بطريرك انطاكية وأقيم عوضه أنسان قديس يدعى كرياكوس فلما اتصلت به اعمال البابا يوحنا كتب اليه يجدد معه علاقة الاتحاد التى كانت قد انقطعت مدة بسبب الاضطهاد الذى كان واقعا على الكنيستين فرد عليه البابا يوحنا برسالة كلها اخلاص ومحبة

وحدث ايضا ان انبا جرجس اسقف مصر تنيح فكتبت رعيته الى البطريرك تلتمس منه اقامة شماسه مرقس عوضه فأجاب طلبهم واستدعى الشماس لقيمة اسقفا فأبى بته فشدد عليه وأرغمه على قبول القسوسية ليصير اسقفا بعدها ولكنه التمس منه ان يعفيه من هذه الخدمة الشاقة فلم يقبل البطريرك طلبه فلاذ مرقس بالهروب واضطر البطريرك ان يكرس لشعب مصر قسا يدعى ميخائيل اسقفا لهم .

فحقق البطريرك على مرقس بسبب هروبه منه وكتب لشيخ قديس بالبرلس يسمى جرجس يخبره فيه أنه وجد على مرقس لعصيانه عليه وعدم قبوله للاسقفية فأرسل اليه الشيخ

جرجس يقول له ان عدم قبول الاسقفية من الله الذى سيجعله بطريركا بعدك فتعجب البطريرك وطلب الشماس مرقس اليه ورفع شأنه ووضعه عنده موضع الاحترام والتبجيل

وتوجه البطريرك الى فسطاط مصر ليجمع خراج الكنائس فحرك الشيطان واليا مبغضا للمسيح على ان يهدم بيع مصر ولكن الرب أماته قبل ان يبدأ بعمله المذموم وعين مكانه انسان محب للنصارى فساعدهم على ترميم البيع التى كان سلفه قد شرع فى هدمها . وكان البطريرك قد قضى اشغاله بمصر وعول على العودة للاسكندرية وكان عيد الميلاد قد قرب فطلب منه شعب مصر ان يبقى عندهم ليرفع لهم الاسرار المقدسة ويناوهم . فلما دخل البيعة رآها بغير سقف فتنهد وطلب من الرب ان يقويه ليكمل بناء كافة البيع غير ان الرب ابقى هذا العمل الجليل لخليفته . فلما اكمل الخدمة شعر بضعف اصابه ولحقه وجع برأسه فطلب من الاساقفة ان يمشوا به الى الاسكندرية يموت فيها فحملوه فى مركب وكان معه ميخائيل اسقف مصر وجرجس اسقف منفيس فلما وصل الى الاسكندرية ثقل عليه المرض ولحق بأبائه بعد ان اوصى بمرقس ليكون بعده فى اليوم السادس عشر من شهر طوبه سنة ٥٠٢ ش و ٧٩٩ م قيل أن يوم موته هو يوم ميلاده و يوم تعيينه بطريركا . واقام على الكرسي اربع وعشرين سنة

القسم الثانى مشاهير الكنيسة

(١) انبا صموئيل أسقف اوسيم (٢) انبا موسى اسقف اوسيم

(١) انبا صموئيل اسقف اوسيم :

عاش عيشة الزهد فلم يقتن لنفسه شيئا من مقتنيات العالم فلم يكن له سوى ثوب واحد وكان بهى الطلعة حسن السيرة يعظ الخطاة والمتردين عن الايمان فيسمعون له ويطيعون قوله . وكان مع البابا الاكسندروس الثانى وقت ان دعاه جابى الخراج وهو ينوى به شرا ففرا كلاهما معا فتبعهما الجابى فوجد البطريرك قد مات والقى القبض على هذا الآب وأتى به الى عبد الله الوالى الذى اتهمه بانه حرّض البطريرك على الهروب وطلب منه ان يدفع عوضه ألف دينار . وكان الانبا صموئيل فقيرا لا يملك قوت يومه فاعتذر للوالى بعدم قدرته على دفع المبلغ فلم يقبل منه وسلمه الى شرطيين لتغذيته فاخذاه وقدماه الى قوم من البرابرة لهم طباع الوحوش فجذبوه وصاروا يجرونه فى شوارع مصر حتى أتوا به الى باب بيعة مار جرجس وجمع كثير يجرى خلفه .

وبعد هذا العذاب عادوا يطالبونه بدفع المبلغ ولما رأوه عاجزا عن تقديمه نزعوا عنه ثوبه وألبسوه مسح شعروعلقوه بذراعيه وهو عريان وجميع الشعب ينظرونه وهم يضربونه بسياط من جلود البقر حتى جرى دمه على الارض واستمروا معه على هذا الحال اسبوعا وكبار الموظفين يتوسطون له عند الامير وأفهموه بان لا يد له فى هروب البطريرك حتى اطلقوه بعد ان تجرع كؤوس الآلام اشكالا ولا ريب ان ذلك العذاب قضى عليه فلحق بآبائه

(٢) انبا موسى اسقف اوسيم :

من اعلام آباء الكنيسة فى هذا الجيل نشأ على حب الطهارة والبتولية من صغره وتعلم علوم البيعة وصار شماسا ثم قصد برية شيهات وترهب عند رجل قديس فكث فى خدمته مدة ثمان عشرة سنة سالكا طريق الفضيلة والنسك الزائد . ولما اشتهر أمره أختير أسقفا لاوسيم فرعى رعيته أحسن رعاية ولم يقتن شيئا فى كل زمانه وعرف بالتقوى والشجاعة وكان يقضى جل أوقاته فى الاصوام والصلوات حتى لم يكن يتيسر للناس مقابلاته الا فى يومى السبت والاحد وكان غيورا على الايمان المستقيم ففى أول رسامته كان فى مدينة اوسيم اديرة كثيرة لاصحاب ميليتس المنشق فوعظهم بكلام كثير وكان جلهم قد لبسوا الاسكيم من يده فلما لم يطيعوه نفاهم جميعا

واعطاه الرب موهبة صنع الايات والعجائب فشفى كثيرين من امراض مختلفة وتنبا كثيرا عن حوادث قبل وقوعها فكان كما قال . وقبل انتخاب البابا خائيل الاول كان والى مصر يضايق الاقباط فتنبأ الانبا موسى عن آخرته السيئة وتم قوله وتولى بعده حفص بن الوليد فطلب منه الانبا موسى ان يسمح لهم بانتخاب بطريرك فسمح لهم

ولما جرى الاضطهاد على البيعة هرب كل الاساقفة الى كراسيم الا ان أبروشية الانبا موسى تعلقت به لكى لا يتركها فريسة للذئاب فكان يطوف الجيزة وأعمال مصر مفتقدا المؤمنين ومثبتا اياها . واتاه يوما بعض اراخنة مصر وطلبوا اليه ان يصلى الى الله ليرفع الكرب عنهم وعن شعبه لانهم كانوا قد أحصوا الذين اعتنقوا الاسلام فوجدوهم أربعة وعشرين الفا فقال لهم آمنوا يا أولادى « ان الوالى الذى يضطهدكم يهلك فى بحر هذا الشهر » فكان كما قال ولما بلغ أمره حوثة الوالى الذى خلف ذلك قرب اليه القديس وكان يستشيريه فى الامور المهمة

وحدث بعد ذلك خلاف بين الارثوذكسين والخلكيديونيين على البيع فخاف الشماسة ان يدفع الخلكيدونيون رشوة للوالى فيسلم لهم فى بيع الارثوذكسين ولذلك طلبوا من الانبا موسى ان يرشى الوالى مثلهم فأجابهم « يا أولادى لا يليق بالبطاركة والاساقفة ان يدفعوا رشوة لاحد كما لا يليق بهم ان يأخذوا من احد فان الله لا يتخلى عنا حسب وعده » وقد حقق الرب قوله فحكم بالكنيسة للارثوذكسين

وفي أثناء ثورة البشامرة ضد الحكومة سأل تلميذ له عن النتيجة فأجابه لا يترك الله بيعته الى التمام بل يخلصها وهذه المملكة تبعد وتحل أخرى محلها وبعد مدة وجيزة ضيق ابن مروان الوالى على البابا خائيل فاتى هذا صباح يوم احد الى اوسيم والجنود تقوده فعندما ابصرهم الانبا موسى قال هذا هو اليوم الذى أتوقعه ومن اراد ان يبذل نفسه فليتبعننى لاننى اشتهى من زمان ان اسفك دمي الدنس عوضا عن الدم الزكى المسفوك عنا . ولكن عظيم هو حزنى لان جيل القديسين قد اضمحل وافتقرنا جدا اذ لا نجد انسانا يشاركنا فى هذه التضحية .

ولبس القديس ثوبا وترك جميع ما فى بيعته وتبع البطريك ولما مثلوا امام الوالى طرح الانبا موسى على ركبتيه ورفعت رجلاه الى فوق وضرب بدبابيس نحاس على جنبيه ورقبته وكان الجنود المكلفون بضربه يقولون له اعطنا مالا ونحن نتركك فلم يكن يجاوب بكلمة واحدة

وأمر الوالى بقطع رقبة البطريك وساقه السياف الى موضع القتلى فجرى الانبا موسى خلفه ولم يشأ ان يتركه فنعه السياف وهولا يمتنع حتى غضب منه ورفع عليه دبوس نحاس ليضربه به فد القديس راسه الا ان بعض الموظفين منعوا الجلاد من ان يضربه . وكان الجنود يشهدون عنه قائلين بلغتهم العربية « نعم هذا الخادم لربه » ثم وضع فى السجن مع البطريك وقيدت رجلاه مع كثيرين من الاساقفة فتنبأ لهم الانبا موسى بانهم يخرجون بالسلامة وتم قوله لان مروان مضطهدهم انهزم فخرجوا من السجن سالمين الى كراسيهم .

واستمر القديس موسى مرافقا للبابا خائيل طول ايام تجاربه ولما أكمل ايام جهاده مرض وعرف ان وفاته قد دنت فاستدعى اليه رعيته واوصاهم ثم باركهم وتنيح بسلام

القسم الثالث المملكة والكنيسة

- (١) عصبه بن عبد العزيز
- (٢) خلافة الوليد بن عبد الملك وولاية عبد الله ابن اخيه
- (٣) ولاية قره بن شريك
- (٤) خلافة سليمان بن عبد الملك وولاية اسامة بن يزيد
- (٥) خلافة عمر بن عبد العزيز
- (٦) خلافة يزيد بن عبد الملك
- (٧) خلافة هشام بن عبد الملك
- (٨) ولاية حنظلة بن صفوان

(٩) خلافة الوليد بن يزيد (١٠) ولاية عبد الملك بن مروان

(١١) مصر فى عهد الدولة العباسية

(١٢) خلافة ابى جعفر المنصور (١٣) خلافة هرون الرشيد

(١) عصبه بن عبد العزيز :

وولى بعد عبد العزيز على مصر ابنه عصبه (ويسميه الانبا ساويرس الاصم) فبذل جهده فى اضطهاد الاقباط وساعده على ذلك شرير يدعى بنيامين كان شماسا فى الكنيسة ولكنه اعتنق الديانة الاسلامية وتصادق مع عصبه وصار يوغر صدره على الاقباط حتى فسر له الانجيل باللغة العربية وكان يقرأ كتب النصارى عله يجد فيها طعنا بالمسلمين وتمكن من ان يجعل عصبه يستخدم ضدهم كل طريقة جائرة ليقفل عددهم و يذل من شأنهم فألزمهم بدفع مغارم باهظة ولما رأى الاقباط ان المسلمين معافون من دفع الجزية التى أصبحت وقرا ثقيل على عاتقهم بسبب الزيادات التى كان يضعها عليهم الولاة خلفا للعهد وما كان يصيبهم من متولى الخراج من الجور والعسف فى تحصيلها آثر بعضهم الاسلام تخلصا من المغارم الفادحة ومن هؤلاء بطرس والى الصعيد وتادرس اخوه وثاوفانس ابن عمدة مريوط وكهنة وعلمانيون لا يحصى عددهم

وتسبب عن اقبال الاقباط لاعتناق الاسلام نقص فى الايراد فوشى اليه بنيامين بان الرهبان قوم اغنياء ينفقون من أموالهم الوافرة على طيب المأكول ولذيذ المشروب فاراد عصبه ان يعرض بما يفرضه عليهم ما خسر من الذين اسلموا . فانفذ صاحبا له يدعى يزيد ومعه آخر فأحصى جميع الرهبان فى سائر الاماكن ولاسيا فى وادى هبيب حيث وجد اكثر من ستة آلاف راهب وفرض على كل واحد منهم دينارا وامرهم ان لا يرهبوا احدا بدون اذنه ثم الزم الاساقفة بدفع الفى دينار كل سنة خلاف الجزية المقررة عليهم

غير ان الله لم يسمح لعصبه ان يستمر فى طغيانه فأدبه تأديبا قاسيا وذلك انه لما كان يوم سبت النور دخل الى كنيسة حلوان ووقع بصره على صورة السيدة العذراء وابنها السيد المسيح فى حضنها فسأل الاساقفة عنها فافهموه مغزاها فلأفه بصاقا وتفل عليها وأخذ يجدف قائلا من هو المسيح حتى تعبدوه واقسم انه اذا طال به الزمن سينمحق كل النصارى . ولكنه فى تلك الليلة أنزل الله به انتقاما مر يعا وفى صباح عيد القيامة توجه الى ابيه وهو جالس مع اعيان الامة وقص عليه حلما هائلا شاهده وهو انه أبصر انسانا بهيا جالسا على عرش وحوله ألوف وربوات يحملون السلاح فسأل من هذا الذى أخذ الملك من أبى فقيل له انه يسوع المسيح ملك الملوك ورب الارباب الذى بصقت فى وجهه ثم تقدم احد الجنود وطعنى بحربة فى جنبى . ولم يكذ ينتهى من قصته حتى ضربه الله بحمى قتاله لم تمهله سوى ساعات قليلة تجرع فيها مر العذاب فحزن عليه ابوه حزنا مفرطا ولحقه بعد اربعين يوما

وكان الموظفون المسلمون اقل علما بشؤون وظائفهم من الموظفين الاقباط وقد فكروا مرارا فى الاستغناء عنهم ولكنهم رأوا ان الاحوال لا تستقيم بدون وجودهم فكان بقاء الاقباط فى وظائفهم سببا من الاسباب التى كانت تخفف من وطأة الاضطهاد عليهم ولو أن الموظفين لم يكونوا يستطيعون المجاهرة بالدفاع عن اخوتهم . ومع ان الحكومة كانت تدرك شدة الحاجة اليهم فى أعمالهم الهندسية والطبية والحساب وفى كل شغل يحتاج الى الذكاء والانتباه الا انها لم تعفهم من اضطهادها وجورها مرارا حتى اضطر كثيرون منهم الى السير تبعا لرغبة رؤسائهم فاهملوا فى اتمام واجبات دينهم التى كانت توجب السخط عليهم

(٢) خلافة الوليد بن عبد الملك سنة ٧٠٥ وولاية عبد الله ابن أخيه :

تولى عبد الله هذا مصر وكان كرها للنصارى فاشتد عليهم وبلغ ظلمه عنان السماء حتى أنه كان فى أكثر اوقاته اذا جلس على المائدة يأمر بذيخ بعض الاقباط أمامه ليتلذذ برؤية دمهم يسيل على الارض أو يطير على مائدته . فاحتمل الاقباط من الاهوال ما يشيب لهولها الولدان وحكم بالموت على كثيرين منهم وقضوا شهداء ولكن الحكومة لم تسمح بدفن جثثهم الا اذا دفع أهلهم مبلغا من المال فاضطر كثيرون الى اعتناق الدين الاسلامى . وغيرهم هاجروا القطر المصرى هربا من الضيق الذى استحكمت حلقاته عليهم . وآخرون ماتوا من شدة الجوع وهدمت كنائس كثيرة وتعطلت شعائر العبادة فى كثير من الانحاء حتى عزل عبد الله فتنفس المضطهدون الصعداء

وفى اول هذا الجيل امر عبد الله ان تجعل الكتابة فى دواوين الحكومة بمصر باللغة العربية وكانت الى ذلك الحين بالقبطية وكان القائم بها وبسائر الاعمال الادارية الاقباط تحت رئاسة انتناس الذى كان امينا على بيت المال كما تقدم فعزله وولى مكانه ابن يربوع الفزارى من اهل حمص . ولما رأى القبطان هذا التغيير يعود عليهم وبالا وياؤل الى رفقتهم من وظائفهم جدوا فى تعلم اللغة العربية فاتقنوا فننى الكتابة والحساب بها وفى وقت قصير بل تفننوا فيها وجعلوا لحساباتهم قواعد وروابط مخصوصة . ونقلت أيضا اسماء البلاد الى العربية فتحرفت عن اصلها كما نرى

(٣) ولاية قره بن شريك سنة ٧٠٩ م :

وقد سار قره على منوال سلفه فى اضطهاد الاقباط وعامل بطريقتهم بقساوة بربرية وثقل الجزية على الرهبان وامر بضم تركة كل قبطى غنى يموت الى حوزته . وكان قد مات كاتب فى ديوان الاسكندرية وغيره كثيرون فاخذ ما لهم ثم نفذ امره على الاساقفة وزاد عليهم مائة ألف دينار غير المقرر عليهم . وأشدت قره فى جوره فكان يحترق عبادة الاقباط ويدخل احيانا الى كنائسهم ومعه رجال حاشيته ويوقفهم عن صلاتهم . ولما عمت الويلات ظهر ان الاقباط يهجرون بلادهم بكثرة متناهية فكلف رجلا من سخا يدعى عبد العزيز بالوقوف فى وجه كل الهاربين وتقييد كل من يراه هاربا وارجاعه الى مكانه

وكأنه لم يكف البلاد ما أصابها من الوالى فحل بها وباء عظيم حصد الالوف من الارواح ولكنه أحسن اذ دخل قصر قرة فنهب نساءه وكان هو يهرب منه الى كل مكان ولكنه اصابه وأودى بحياته

والذى جاء بعد قرة لم يلبث سوى ثلاثة اشهر خربت فيها أكثر كنائس الاسكندرية وأخذت اعمدتها الرخام والمرمر وباقي انواع الزينة والزخرفة ووضعت فى الجوامع التى لم تكن تزيد الا بقلة الكنائس

(٤) خلافة سليمان بن عبد الملك سنة ٧١٤ م وولاية أسامة بن يزيد :

وعين الخليفة سليمان أسامة جابيا لخراج مصر فلم ير الا قباط حاكما اشد منه قساوة واعظم شراسة فكانت مدة ولايته عليهم من أبلغ أيامهم هولاً . ولما رأى انه يوجد فى برية شيهات وحدها عدد عظيم من الرهبان خشى قيامهم ضد الحكومة الظالمة فأمر بمنع الترهيب وبالغ فى التنكيل بهم ليفل جموعهم فزاد الضريرة الموضوعة عليهم ورتب طريقة جديدة بها يتأكد من دفعهم اياها فأمر بان يلبس كل راهب خاتماً من حديد فى أصبعه مكتوباً عليه اسمه واسم ديريه يسلمه اليه جابى الخراج عندما يدفع ما هو مقرر عليه من الجزية واذا وجد واحد منهم غير لابس له تقطع يده واذا أصر على المخالفة يقتل .

وتكرر الهجوم على الديره وهدمها وقتل من بها من الرهبان غير الحاملين هذا الموسم ولم يكن يحصى عدد من قطعت ايديهم لهذا السبب ومن حلقت لحاهم وقعلت عيونهم وجلدوا بالسياط وكثيرون ذاقوا باقى أنواع العذاب التى أودت بحياتهم وكانت تضم ممتلكاتهم الى مال أسامة الخاص . وكان من محبته للمال يأمر الولاة بان يتهموا الاقباط بما هم براء منهم حتى يتمكنوا من اعدامهم واحضار ما لهم اليه بل أمرهم قائلاً « سلمت اليكم أنفس الناس فتحصلوا ما تقدرون عليه من اساقفة أو رهبان أو كنائس أو كل الناس واحلوا الى القماش والمال والبهايم وكلما تجدونه ولا تراعوا احداً وفى أى موضع نزلتموه فاخر به » فكانوا يخربون البيوت والكنائس و يقلعون الاعمدة والاشباب و يبيعون ما يساوى عشرة دنانير بدينار فارغم الاقباط على اخفاء كل ما عندهم وتظاهر اغنياؤهم بالفقر وكثيرون منهم صاروا يحملون امتعتهم ويفرون بها من البلاد فلكى يتلافى أسامة هذا الخطر أصدر امراً يحتم على كل من يمر فى النيل صاعداً أو نازلاً أو من يبرح مصر يأخذ جواز للسفر حتى اذا انتقل من مكان الى مكان داخلها وان يدفع مقابل ذلك عشرة دنانير أو ستمائة قرش صاغ ومن يخالف هذا الامر فنهى من يقتله ومن يصلبه ومن يقطع يديه ورجليه حتى خلت الطرق من المارين فيها وانقطع السفر وكف البيع والشراء لقيام الناس حول دار أسامة شهرين أو أكثر لاستخراج جواز المرور . واذا اتلفت العوارض جواز انسان وبقي معه قطعة منه أو تغير رسمه يلزمه ان يستخرج عوضه . ومما يحكى ان ارملة سافرت فى النيل مع ابن لها بعد دفع المفروض ونيل تذكرة المرور بكل مشقة نظرا لضيق ذات يدها . فحدث وهى فى اثناء المسير ان ابنها هذا تناول الى النيل

مستقيا فاختطفة تمساح وابتلعه وثيابه والناس ينظرون وكانت تذكرة المرور في جيبه . فلما وصلت المرأة المكان المقصود أعترضها صاحب التذاكر وأبى الا ان تبرز تذكرتها فاخبرته ما كان من امر ضياع ابنها على مشهد من الناس فاغلق أذنيه عن صراخها ولم يفرج عنها حتى باعت كل ما في يديها ودفعت الفلس الاخير

ثم انفذ اسامة رسلا للرهبان ليفحصوهم فوجدوا بعضهم بغير الخاتم الذي أمر ان يوضع في يد كل راهب فاحضروهم اليه فمنهم من ضربت رقبته ومنهم من مات تحت السياط ثم انه سمر باب أحدى الكنائس بالحديد وطلب منهم الف دينار وجمع مقدمى الرهبان وعذبهم وخيرهم بين ان يدفع كل واحد منهم دينارا او يهدم البيع ويخرجها ويهلك جميع الاساقفة . فقلقت الكنيسة كلها وارتفعت الاصوات الى العزة الالهية لتدفع عنهم هذا البلاء فسمع الله صوتهم

(٥) خلافة عمر بن عبد العزيز سنة ٧١٧ م :

وتولى الخلافة عمر بن عبد العزيز فرفع اليه المصريون شكواهم على اسامه فارسل خلفا له أيوب بن شرحبيل وأمره ان يقبض على أسامه ويكبله بالحديد ويسمريديه ورجليه باطواق من الخشب ويرسله اليه ففعل فمات اسامة في الطريق . أما أيوب بن شرحبيل فكان عادلا نزيها فأجرى الحق محراه وأنسى المصريين ما كان من استبداد اسامة وغلاظته فالغى الضرائب عن الرهبان وخفف الخراج عن اهالى البلاد فاحبوه وزادوا في اعتباره

وكان على الجيش في مصر حيان بن شريح فبلغ عمر أنه يطالب الاقباط الذين أسلموا بالجزية فعظم عليه ذلك فكتب له « أرى يا حيان ان تضع الجزية عمن أسلم من أهل الذمة فان الله تعالى قال « فان تابوا وأقاموا الصلاة والزكاة فحلوا سبيلهم ان الله غفور رحيم » وقال « قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون بدین الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون » فاجابه حيان « أما بعد فان الاسلام قد أضر بالجزية حتى سلفت من الحارث بن ثابتة عشرين الف دينار تمنت بها عطاء اهل الديوان فان رأى أمير المؤمنين أن يأمر بقضائها فعل » فكتب اليه عمر « أما بعد فقد بلغنى كتابك وقد وليتك جند مصر وأنا عارف بضعفك وقد أمرت رسولى بضربك على رأسك عشرين سوطا فضع الجزية عمن أسلم قبح الله رأيك فان الله بعث محمدا (صلعم) هاديا ولم يبعثه جابيا ولعمري لعمري أشقى من أن يدخل الناس كلهم الاسلام على يده » فرفعت الجزية عمن أسلم من النصارى ووزعت على اخوانهم الباقين على دينهم وكذلك كانت توزع جزية من يموت منهم على الاحياء ويلزمون بادائها طوعا أو كرها

(٦) خلافة يزيد بن عبد الملك سنة ٧٢٠ م :

ولى على مصر بشر بن صفوان ومع انه انتهج منهجا حسنا الا أن يزيد ألزمه بأن يضع على

الكنائس والاساقفة الخراج الذى رفعه عنهم عمر سنة واحدة وزاد فى الضرائب فأصبحت الإقامة فى البلاد وبالا على أهلها فتركها منهم كثيرون لا سيما عندما أتى أمر من يزيد يشدد على الوالى بأن يحتم على كل من يقيم فى البلاد أن يكون على دين محمد مثله ومن لا يريد فليخرج منها تاركا كل ما يملك . فاعتبر الاقباط السماح لهم بالخروج من البلاد رحمة منه فهجرها كثيرون حتى اقفرت مديريات بحملتها وترك الموظفون منهم وظائفهم ووضعت على الذين لم يتمكنوا من الفرار جزية باهظة واعتنق كثيرون الدين الاسلامى فرارا من المغارم . وانتهر المتعصبون هذه الفرصة وهدموا كنائس كثيرة

ثم تولى حنظلة بن صفوان فشرع يتمم أمر الخليفة بكسر جميع الصلبان التى فى سائر الاماكن ومحو الصور التى فى الكنائس وتحويلها الى جوامع . وتولى بعد حنظلة جملة ولاية لم يكن شغلهم سوى التفنن فى تعذيب الاقباط وسلب مالهم

(٧) خلافة هشام بن عبد الملك سنة ٧٢٤ م :

كان عادلا محبا فى اجراء الانصاف بين أفراد رعيته فشكا اليه الاقباط من ظلم عمال الخراج فأصدر أمره للوالى بوجوب معاملتهم بمقتضى العهد الذى بيدهم ولكن لم يجد هذا نفعا ولا فائدة بل كان سببا فى مشاركة الوالى مع عمال الخراج على التضييق والتشديد عليهم . ولما لم ير الاقباط من الولاية الا الاصرار على عدم تغيير خطتهم وشاهدوا سيل الظلم قد طفح . نزعوا فى ولاية الحسن بن يوسف وجباية رجل ظالم اسمه عبد الله الى التوقف والمقاومة وعزموا على القيام بثورة يدافعون فيها عن حرياتهم وحياتهم

وقد بدأت هذه الثورة سنة ٧٢٥ م فاعتصب أهل تنويمي وقربيط وعامة أهل الخوف الشرقى (الشرقية) بالوجه البحرى وتوقفوا عن دفع الاموال فأرسل اليهم الوالى جندا فحاربوهم وقتل فى هذه الواقعة من الفريقين خلق كثير وهزم الاقباط أخيرا لندرة تدرهم على القتال غير أنهم لم يهربوا بل استمروا واقفين أمام جيوش أعدائهم حتى ذبحوهم عن آخرهم .

ولما بلغ الخليفة خبر هذه الحادثة وعرف سببها خشى سوء العاقبة بانتفاض جميع الاقباط فى الوجهين القبلى والبحرى فعزل الوالى المذكور وولى مكانه حفص بن الوليد وأمره أن يحصى أهل البلاد و يوزع عليهم الخراج بطريقة عادلة والا يخرج فى ربط الجزية عن حد ما صولحوا عليه مع عمرو بن العاص بمقتضى العهد الذى بيدهم . ففعل كما أمر وبلغ عدد القبط فى هذا الاحصاء أكثر من خمسة ملايين من الذين يدفعون الجزية عدا النساء والشيوخ والصبيان فاستراح الاقباط من الاضطهاد مدة سبع سنوات بل تمكنوا فى زمن ولاية الوليد بن رفاعه من الحصول على اذن ببناء كنيسة بمصر القديمة على اسم مارينا فاغتاظ وهيب اليحصبي وتجمهر كثيرون من المتعصبين

وحاولوا احباط عمل الكنيسة ولكن الله أوقف اعتداءهم بارسال ضربتين على سكان مصر وهما الجوع والوباء فافنيا منهم الالوف

(٨) ولاية حنظلة بن صفوان :

هذه ثانى مرة تولى فيها مصر وكانت سنة ٧٣٦ م وكان هذا الرجل ظالما عاتيا غشوما رغم رغبة الخليفة اليه أن يعامل الناس بالرفق واللين والمعروف وكان عمله كأسمه فلم يكتف بالضرائب المفروضة على الانسان من ابن عشر سنين الى ابن مائة ففرضها على الحيوانات وحكم بقطع يد كل مسيحي لا يكون معه وصل بالبراءة أو لا توجد على يده صورة الاسد . ولم يقف حنظله عند هذا الحد بل لما أراد أن يبنى له دورا بالفسطاط فاستخدم فيه الاقباط وضغط عليهم ضغطا شديدا لم يطيقوه فهاجوا فى مدن بناوصا وسمنود وما يجاورها وفى بلاد الصعيد وقاموا على عمال الخراج وأخرجوهم من بلادهم وحصلت بينهم وبين جنود والى واقعة عظيمة قتل فيها كثيرون

كل هذا وحنظلة لا يزيد الا جورا وعسفا فشكوه الى الخليفة فعزله وولى مكانه حفص بن الوليد ثانية فلم يسر هذه المرة فى خطة مولاه فزاد الضرائب واشتد على المسيحيين وطفق ينهب أموالهم ويحرق عليهم فعم البلاء الذى حمل الناس على أكل الجيف وصار يموت من أهل القاهرة كل يوم ١٥٠٠ نفر

وبلغ الاقباط خبر موت الخليفة هشام فتأسفوا وحزنوا لانه لم يكن يميز فى أحكامه بين أحد مهما كان دينه . وفى أيامه حارب المسلمون الروم وأسروا منهم خلقا كثيرا فكان الاقباط يشترون منهم عددا وافرا و يطلقون سراحهم فنالوا أكمل فخر وأجل ثناء .

(٩) خلافة الوليد بن يزيد سنة ٧٤٣ م :

ولى على مصر حسان بن عتاهية الذى زاد الضرائب وضايق الاهالى واضطهد الاقباط فأبدل بحفص ثالثة فلم يسر الا على خطة اضطهاد المسيحيين واثقال كاهلهم بمضاعفة الخراج وأمرهم أن يعتنقوا الاسلام كرها فسقط منهم عدد ليس بقليل قيل انهم ٢٤ ألفا عدا من ثبت على ايمانه ونال اكليل الشهادة

وخشى كثيرون من الاساقفة نتيجة هذه القساوة وخافوا على أنفسهم من السقوط ففروا من ابروشياتهم وكمنوا فى الاديرة تاركين رعيتهم فريسة للذئاب وكانت تلك فرصة أخرى كثرفها الذين اعتنقوا الاسلام اما تخلصا من اضطهاد شنيع أو باغراء الولاة الذين وعدوهم بالعفو اذا نطقوا بالشهادة فقط و يلبثون مسيحيين فعلا ومسلمين اسما ولكن النتيجة كانت سيئة فى الحالتين لاني أولاد هؤلاء المساكين صاروا مسلمين فعلا لا اسما

وفى ذلك الوقت قام مروان بن محمد سنة ٧٤٤ م واغتصب الخلافة من ابراهيم بن الوليد

وولى مصر حوثره بن سهيل فراح الاقباط قليلا من ذلك الظلم الهائل الذى كان واقعا على رؤسهم ولذلك صرف بطريك الاقباط حينئذ وهو البابا خائيل الاول أكثر أوقاته فى قبول توبة الذين أنكروا الديانة المسيحية

(١٠) ولاية عبد الملك بن مروان سنة ٧٥٠ م :

تولى مصر بعد حوثره فانتهاز انشغال مروان فى القتال وشن الغارة على الاقباط واضطهدهم اضطهادا فظيعا . وفى أثناء ذلك أتى مروان فارا من وجه ابى العباس الملقب بالسفاح الذى نزع منه جميع الولايات ولم تبق له سوى مصر فأراد أن يحتفظ بها ولكنه وجدها فى اضطراب بسبب سوء ادارة الولاة وعمال الخراج

وكان قبط الوجه البحرى فى الجهة المعروفة بالبشمور وهى مديرية الدقهلية والمنزلة وذمياط وفى جهة شبرا بسنبوط قد قاموا على عمال الخراج وقتلوه فجرد الوالى عساكره فحاربهم الاقباط وانتصروا عليهم دفعتين وكان القائد للبشموريين رجل قبطى منهم يسمى مينا بن بقيقة . وبعد أن تمتع الاقباط مدة بالراحة استجمع مروان قوته وحاربهم فهزمهم هذه المرة وتركوا ميدان القتال وتحصنوا فى بلادهم فلم يتمكن مروان من متابعتهم بسبب الوحل الذى كان فى طريقهم فضرب العساكر حولهم يحرسونهم فكان البشموريون يخرجون اليهم ليلا من طريق يعرفونه و يقتلون من قدروا على قتله ولما طال عليهم الامر رحلوا عنهم

وجاء أبو العباس الى مصر فلم يقوم مروان على الوقوف أمامه فهرب الى الوجه القبلى وسمح لعساكره أن ينهبوا البلاد فصاروا يقتلون الاراخنة و يسبون نساءهم وأولادهم و يسلبون أموالهم وهدمون الكنائس . وفيما هو هناك اعتصب أهل طحا (بمديرية المنيا) وتوقفوا عن دفع الخراج فأرسل اليهم أميرا من أمرائه فقتل ونفى كثيرين منهم واستباح كل ما لهم وكان عدد سكان هذه المدينة أكثر من ٢٠٠٠٠ نفس كلهم نصارى فهدم كنائسهم ولم يبق فيها غير واحدة كانوا التزموا بثلاثة آلاف دينار فى نظير بقائها فاعطوا الفين وعجزوا عن الباقي فجعل ثلثها جامعا

ثم ولج عساكر مروان الاديرة ونهبوها واغتصبوا الراهبات لهتك أعراضهن واكراههن على البغاء وظلوا يقتلون و ينهبون البلاد وأخربوها من منف الى مدينة تاوصنا . وامعنوا فى أثناء سيرهم فى الافساد حتى وصلوا الى الشرق بجهة أخيم وكان هناك دير راهبات تسكنه ثلاثون عذراء فنهبوه ووجدوا بين العذارى صبية ترهبت وهى ابنة ثلاث سنين وكانت ذات جمال بارع فراقت فى نظرهم وأرادوا أن يقتلعوا عليها ولكنهم استحسنوا أن يأخذوها هدية للسلطان . فلما سمعت قولهم تقدمت الى قائدهم وقالت له أنا أعبد الله بطهارتى منذ سنين ولا يجمل بكم ان تفسدوا عبادتى واذا أوليتمونى هذا المعروف أنا أكافئكم عوضه بدواء أصفه لكم يحمى أعناقكم من فعل السيوف فتعجبوا من كلامها فقالت لهم ان آبائى كانوا قوما مقاتلين ومن الشجعان وقد دفعوا لى دواء كانوا

يتدهنون به اذا خرجوا للقتال فكانت السيوف الحادة تكل ولا تضر أجسادهم وان كنتم لا تصدقون
فها أنا أدهن رقبتى به وليستحضر أشجعكم أحد سيف و يضربنى به فلا بد أن يرجع مفلولا
وقصدت بذلك أن تدبر طريقة للموت دون أن تنجس جسدها الطاهر

ثم دخلت قلعتها وأخرجت قنينة فيها زيت قد صلى عليه القديسون وكانت محتفظة به
فدهنت به رقبتها ووجهها وجميع جسدها ثم جثت وبدأت تصلى وهى تمد عنقها للسياف فظن
الجهال أن الامر صحيح ولم يعلموا ما فى قلبها ثم قالت لهم « من كان فيكم قويا وسيفه ماض قاطع
فليتقدم » فوثب شاب شجاع بسيف يفتخر به فسترت وجهها بردائها وأحنت رأسها وقالت له
أضرب بكل قوتك ولا تبال فضرب القديسة فطارت رأسها فعلموا حينئذ انها خدعتهم فندموا وحزنوا
حزنا عظيما ووقع عليهم خوف شديد ولم يلتفتوا بعدها لراهبة أخرى بل تركوهن ومضوا يمجدون الله

ثم رجع مروان من الصعيد فوجد جيوش أبى العباس قد حلت قرب الفسطاط فأطلق فيها
النار. وفى هذه الاثناء كانت البيعة معرضة للسقوط فى كل مكان ولم يكن فيها أمن لاحد من بنينا
الا للذين لجأوا الى بركة النظرون أو الاماكن المنفردة فى الجبال . ولم يأتهم الفرج الا بعد انتصار
أبى العباس على مروان وقتله اياه وبموته انقرضت الدولة الاموية وقامت مكانها الدولة العباسية
واستولت على مصر

وأما حالة الاقباط فى ذلك الوقت فكانت سيئة للغاية فالاضطهادات والابوثة والمجاعات
كل هذه فتكت بهم فتكا ذريعا وتسبب عن ذلك نقص عظيم فى عدد هذه الامة التيجسية الحظ
السيئة البخت . وباختلاط القبط بالعرب أخذت لغتهم تنحط شيئا فشيئا حتى لم يبق منها بتوالى
الايام الا رسمها واقتصروا على استعمالها فى الطقوس الكنسية ولولا ذلك لا محى أثرها بالكلية .
وما الفضل الا لرؤساء الدين الذين كانوا يعلمون الناس ان المحافظة على لغتهم الاصلية ولو بغير
المعاملة بها فى الاحوال المعيشية من الواجبات الدينية

(١١) مصر فى عهد الدولة العباسية سنة ٧٥١ م :

ولما كان الاقباط قد ظاهروا ابا العباس على مروان نادى العباسيون بعد استتباب الملك
لهم بالامان على المسيحيين وكانت نواياهم لاقباط مصر حسنة الا أن بعد البلاد عن مركز الخلافة
وعدم بقاء الولاة فى مناصبهم جعلهم يستبدون و يعملون فى الناس كيفما شاءوا كما كان يفعل
الولاة أيام الدولة الاموية وبعضهم لعلمه ان منصبه غير باق له لم يكن يهتم الا بمصلحته الشخصية

(١٢) خلافة أبى جعفر المنصور سنة ٧٥٤ م :

ولى عنه بمصر يزيد بن حاتم فأوقع ببطريق الاقباط البابا مينا الاول اضطهادا عظيما فساء
الاقباط ما لحق برئيسهم من الاهانة وانعكست الحال . ثانية فتمرد قبط رشيد وسخا وغيرهما

وجاهدوا بالعصيان وطردها المستخدمين من بلادهم وصاروا يديرون أعمالهم بأنفسهم وأرسل والى مصر جيشا قويا ليحاربهم ويخضعهم ولكن الاقباط استطاعوا أن يفوزوا بذلك الجيش كله ولو كان مسموحا لهم أن يتدربوا على القتال ويحملوا الاسلحة لانتصروا على الجيش الثانى الذى حاصرهم ولكنهم انكسروا بعد أن ثبتوا أمام أعدائهم مدة ثبوت الرواسى حتى اضطروا الى أكل جثث الموتى

(١٣) خلافة هارون الرشيد سنة ٨٧٦ م :

ولى مصر على بن سليمان فاشتد غضبه على النصارى وعمد الى ما كان يلجأ اليه غيره من الولاة السالفين وهو هدم كنائسهم فعزم على هدم كنائس الفسطاط فعرض عليه النصارى خمسين ألف دينار لكى يتجاوز لهم عن كنيسة كانت قائمة فى حصن قسطنطين فأبى وهدم جميع الكنائس ولم يبق منها سوى كنيسة أنبا شنوده الواقعة بين الفسطاط و بابليون

وتولى بعد على موسى بن عيسى فراح الاقباط وأذن لهم ببناء الكنائس التى تهدمت وكان ذلك بمساعدة الليث بن سعد وعبد الله بن لهيعة القاضيين ومشورتها بحجة أن بناءها من عمار البلاد فشدداهم على ذلك . وخلف موسى بعض ولاة لم يعرفوا لهم عملا سوى اضطهاد الاقباط . وكأن المصائب أبت الا أن تكون وقفا على هؤلاء المساكين فتوالت المجاعات التى فتكت بثروتهم وصار الفقراء يموتون جوعا أو تقتلهم الحكومة تخلصا من اعالتهم . ومن الغريب أن أحد ولاة مصر تنبه الى أن المجاعات تتوالى بسبب اهمال تطهير الترع وتنظيم أحوال الرى فساق اليها عددا عظيما من الاقباط ليس لديهم قوت يوم فماتوا من الجوع وبقيت جثثهم مكومة فى الاماكن التى ماتوا فيها ونشأ عن عفونتها طاعون زاد فى شقاء البلاد

وكان من رأى هارون الرشيد أن لا يبقى والى مصر حاكما لها أكثر من سنة وكان يشدد عليهم باجراء قواعد العدل والانصاف فاستراح الاقباط فى مدة خلافته من الاضطهاد غير انه كان ينظر اليهم والى بطريركهم بعين الريب خوفا من انتفاضهم عليه فبذل جهده فى التضييق عليهم . ولما تولى مصر أخوه عبيد الله ابن المهدي اهدى الخليفة فتاة مصرية آية فى الجمال فطاب بها قلبه وحدث انها مرضت فحزن كثيرا وبحث عن أمهر الاطباء ليعالجوها فانتدب له عبيد الله يوليانوس بطريرك الاروام فى مصر وكان طبيبا بارعا فداوى مخطيه الخليفة ولما برئت رغب اليه هارون أن يطلب منه أجرا فسأله بعض الكنائس القبطية فأجيب سؤاله ونال مناه . وشيد البابا يوحنا ال ٤ كنيسة عظيمة للملاك ميخائيل فاغتاظ منه الاروام وشكوه للخليفة ووجدتها والى فرصة مناسبة لفرض غرامة باهظة على البطريرك فدفعها هذا راضيا دون أن يوقف بناء الكنيسة يوما واحدا

وبلغ الولاة الذين تقلبوا على مصر فى مدة سبع سنوات سبعة آخرهم يسمى اسحق بن سليمان الذى لما وصل الى مصر زاد فى خراج المزارعين زيادة أجحفت بهم فخرج عليه أهل الحوف فحاربهم فقتل كثير من أصحابه فكتب الى الرشيد بذلك فعقد لهرثمة بن أعين فى جيش

عظيم وبعث به فنزل الحوف فتلقيه أهله بالطاعة وأذعنوا فقبل منهم واستخرج الخراج كله . وفى سنة ٧٩٨ م ولى الليث ابن الفضل فبعث بمساح يسحون الاراضى ومن جملةهم أراضى أهل الحوف فانتقص لهم من القصبة أصابع فتظلموا الى الليث فلم يسمع لهم فتجهزوا وساروا الى الفسطاط فخرج اليهم الليث فى أربعة آلاف من جنده والتقى بهم فانهزم عنه الجند وبقي فى نحو المائتين فحمل بمن معه على أهل الحوف فهزمهم حتى بلغ بهم غيفة وبعث الليث الى الفسطاط بثمانين رأسا من رؤوس الثائرين

القسم الرابع البدع التعليم بانبثاق الروح القدس من الآب والابن

علمت الكنيسة منذ البدء بأن الروح القدس منبثق من الآب فقط كما نص الانجيل المقدس بالحرف الواحد (يو ١٥ : ٢٦) وفى المجمع القسطنطينى المسكونى الثانى المنعقد برئاسة البابا تيموثاوس البطريرك الاسكندرى ال ٢٢ حرم من يقول أو يعلم بغير ذلك . وسارت الكنيسة على هذا المبدأ الى نهاية الجيل الثامن حتى ظهر لوكيوس المبتدع فى عهد لاون الثالث أسقف رومية سنة ٨٠٨ م وعلم فى فلسطين أولا بأن الروح القدس منبثق من الآب والابن فشجبه الاساقفة وطرده من بلادهم فلجأ الى رومية فلم يتفق له النجاح فتوجه الى فرنسا وفيها تمكن من أن ينفث سمومه بين الاكليروس بمساعدة كرلوس الاكبر ومن ثم رجع الى رومية ببعض اتباعه فقاومهم لاون الثالث الذى جلس على الكرسي الرومانى سنة ٧٩٥ م . ولما رأى هذه البدعة تمتد فى رومية ولم يكن فى كنيسته رجال متضلعون فى العلوم اللاهوتية ليدفعوها طلب من توما بطريرك اورشليم أن يرسل اليه رجالا حكماء أتقياء ينقذون كنيسة رومية من الضلال ولكن القيصر اضطهد رسل بطريرك اورشليم ولم يدعهم يصلون الى رومية وعقد مجمعا سنة ٨٠٩ م قرر فيه الزيادة وحاول اقناع أسقف رومية بها فلم يفلح بل أجابه لاون « انى لا أعلم ما اذا كان الآباء القدماء عملوا عملا أفضل بتركهم هذه الكلمة ولا أقدر أن أوكد انهم لم يعلموا جيدا هذا الامر كما نعلمه نحن لانى لا أتجاسر أن أشبه نفسى بهم فضلا عن أن أفضل نفسى عنهم ومهما كانت غايتنا حسنة فيجب علينا أن نخشى لئلا نضر نحن ما هو فى ذاته حسن ببعدنا عن النهج القديم فى التعليم لان الآباء لما منعوا كل زيادة فى الدستور لم يقسموا النيات الى نية رديئة بل منعوا الزيادة منعاً مطلقاً حتى انهم لم يسمحوا ولا بأن يفتكر أحد لماذا عملوا هكذا » أهـ

ولكى يمنع لاون كل تغيير فى دستور الايمان عقد مجمعا سنة ٨١٠ م ونقش الدستور على لوحين من فضة باليونانية واللاتينية صحيحا سالما بدون الزيادة ونصبها أمام الباب المقابل قبرى بطرس وبولس وكتب عليها هذا العنوان «أنا لاون قد نصبت هذين اللوحين حبا بالايمان الارثوذكسى وحفظا له» (١) وكان لكرلوس قيصر فى ايجاد هذه الزيادة مصلحة خاصة أولا لى يثبت سلطته على أسبانيا التى نشأت عندها هذه الزيادة ثانيا لى يفصل الغرب عن الشرق فى العقيدة ويحفظ استقلالته فتأمل

ولما أقيم بناديكتيوس الثالث على الكرسي الرومانى قام عليه قوم وعزلوه وأهانوه ونزعوا عنه حلة الكهنوت وحبسوه وانتخبوا بدلا منه قسا مقطوعا يدعى انسطاسيوس فقام الشعب ضدهم وطرد انسطاسيوس وأعاد بناديكتوس فسيم من مجمع الاساقفة (١) ولما كانت بدعة الانبثاق آخذة فى الامتداد بين الشعوب الغربية كتب دستور الايمان بحروف لاتينية خاليا من الزيادة وسن قانونا بوجوب تعليمه لكل واحد من الشعب الايطالى منعا لدخول الهرطقة وكتب رسائل الى بطاركة الشرق بأن رؤساء كهنة رومية لا يقبلون الشركة مع أحد ما لم يكن محافظا على دستور الايمان سالما كما سلمت المجامع المسكونية السبعة وحددت المحافظة عليه بأن الروح القدس ينبثق من الآب فقط لا من الابن كما علم أبناء الفساد . وقد حافظ أكثر خلفاء هذا الاسقف على سلامة دستور الايمان الى ايام استفانوس الخامس نحو سنة ٨٩٥ م (٢)

(١) ملاتيوس ٨ : ١٤ : ٦

(١) نقل المؤرخون أن بين البابا لاون الرابع والبابا بناديكتوس الثالث قام فى سنة ٨٥٣ بابا اسمه يوحنا الثامن وهو معروف بالبابا حنه لأنه كان انشى جرمانية وقصتها كما رواها موسيم المؤرخ فى كتابه ص ٣١٤ هى كما يأتى : — « كانت أبة مرسل انكليزى ترك انكلترا ليشر الصكصونيين المهتدين حديثا فولدت فى أنكلهم وحسب قول المؤلفين المتنوعين دعيت حنه واغنس وأغربت وايزيلا وماركرت ودوروثى وجدت فاشتهرت منذ حدايتها بكاء العقل وحب العلم واذا لحظت من راهب شاب من فولد الغرام بها انسرفت من والديها وهى مغرومة به ايضا وتزيت بزى الذكور ودخلت دير فولدا واذا لم ترتض بالحجز هنا انسرفت ايضا مع محبوبها ومضيا الى انكلترا ثم الى فرنسا وايطاليا واخيرا الى اثينا فى بلاد اليونان حيث انصبا على طلب العلم . وحين مات الراهب كانت حنه عذبة التعزية فتركت اثينا واتت الى رومية حيث فتحت مدرسة وحصلت على شهرة عظيمة بالعلم والقداسة الكاذبة وحين مات ليون الرابع سنة ٨٥٥ م انتخبت بابا وجلست على الكرسي الباباوى نحو سنتين ممدوحة السيرة بدون ان يشك احد فى جنسيتها ولكنها أخذت واحدا من اهل بيتها يمكنها أن تثق به الى فراشها فحبلت منه . واخيرا اذ كان رمانها لتضع أقرب مما كانت تظن تجرأت فى اسبوع الالام ان تشترك مع كل اكليروسها فى الطقس السنوى وفيما كانت مارة فى الشوارع بين كنيسة مار اكلميندس والمرسح اتى عليها آلام شديدة ووقعت الى الارض بين المزدحمين وفيما كان الواقفون عليها يجتهدون فى أن يعالجوها ولدت ابنا فمات الولد والبعض يقولون ماتت ايضا حالا والاخرون يقولون عاشت وارسلت الى السجن حالا هادفا للعن العموم (انظر بورو بلا تينا)

(٢) ملاتيوس ٩ : ٧ : ٤

ولكن نيقولاوس خليفة بناديكتوس سنة ٨٥٨ م حاول أن يدخل الزيادة فى بلاد البلغ فقاومه فوتيوس بطريرك القسطنطينية فى مجمع عقد بهذه العاصمة وقع عليه نواب الاسقف الرومانى بهذه العبارة « انه يجب أن لايسن قانون جديد بل أن يصدق على دستور الايمان النيقاوى » أما خلف نيقولاوس يوحنا الثامن سنة ٨٧٢ م فانه قرر حرم كل من يعترف بالزيادة وكتب لفوتيوس يدافع عن كنيسته بقوله « اننا نحن فضلا عن كوننا لا نقول ذلك (يعنى « المنبثق من الآب والابن ») نحكم بأن الذين تجاسروا من الاصل أن يعلموه هم مخالفون للوصايا الالهية ومغيرون للاقوال اللاهوتية أقوال السيد المسيح والرسل وسائر الآباء الذين التأموا مجمعا وسلموا الدستور المقدس ونحسبهم مع يهوذا لانهم ارتكبوا ارتكابه لا بأنهم دفعوا جسد الرب للموت بل بأنهم شقوا وفصلوا المؤمنين أعضاء جسده بعضهم عن بعض ودفعوهم بذلك للموت الابدى أو بالحرى خنقوا أنفسهم كما فعل التلميذ الملتوى المذكور »

ولكن فرمودوزس سنة ٨٩١ م قبل الزيادة فشجبه خلفه استفانوس السادس سنة ٨٩٧ م وأخرج جثته وحاكمها وقطع أصابع يده التى كان يقدر بها القرايين و يبارك الشعب وألقى تلك الجثة فى نهر تير فعثربها صياد ودفنها الا أن سرجيوس الذى جلس على كرسى رومية سنة ٩٠٥ م أخرجها و بعد أن فصل الهامة عنها طرحها فى النهر ثانية وأعاد رسامة كل الذين رسمهم بدعوى انه لم يكن أسقفا شرعيا ولبثت الزيادة تنتقل بين أيدي أساقفة رومية فواحد يقبلها وآخر يشجبها حتى قام بناديكتوس الثامن سنة ١٠١٢ م فقرر قبولها رسميا سنة ١٠١٤ م فتم بذلك انشقاق الروم عنهم كما قرروا قبلا الاعتقاد بطبيعتين ومشيتين فى السيد المسيح فكان الانشقاق بينهم وبين الكنيسة المصرية

واليك شهادات الآباء المعترف بقداستهم من كل الكنائس والتى تبرهن على أن أعتقاد الكنيسة منذ عصورها الاولى هو أن الروح القدس ينبثق من الآب فقط : —

قال القديس اثناسيوس الرسولى « ان لنا الها واحدا وهو الآب الذى لا بداءة له وهو مبدأ الاشياء كلها لان منه الكلمة يولد والروح ينبثق »

وذكر القديس كيرلس الاسكندرى فى الحرم التاسع « ان الروح خاص بالابن » فجاوبه ثاوذور يتوس عما يعنى بقوله فأجابه « أن الروح القدس ينبثق من الله الآب حسب قول المخلص لكنه ليس غريبا من الابن » وقد شرح قوله « ليس غريبا من الابن » بقوله فى رسالة الى نسطور « انه ليس غريبا من الابن بحسب الجوهر . يعنى مساويا له فى الجوهر للابد »

وقال الاسقف الرومانى داماسوس سنة ٣٦٦ م فى اعتراف ايمانه الذى كتبه للاسقف باولينوس « انه يقبل قبولا كاملا اعتقاد المجمع الثانى المسكونى فى انبثاق الروح القدس ويلعن

كل من يتجاسر ان يقول « ان الروح القدس كان بواسطة الابن والذين لا ينادون بكل حرية ان للروح القدس جوهرًا واحدًا أو سلطة واحدة مع الآب والابن » (١)

وقال القديس باسيليوس الكبير « في مقالته المشهورة بالرد على انوميوس « كما أن الروح القدس ليس له الولادة بحالة ما هكذا والابن ليس له الانبثاق وكما أن الابن ليس هو من الروح القدس هكذا والروح القدس ليس هو من الابن وكما أن الابن مولود من الاب وحده هكذا والروح القدس ينبثق من الاب وحده »

وقال القديس غريغوريوس اسقف نصيص في ميمره المختص بالافادة والتفهم عن اللاهوت « ان الخاصة الابثاقية هي موجودة في الآب فقط »

وقال القديس يوحنا فم الذهب في ميمره الذى على البنديكستى « أن الآب علة واحدة للابن والروح القدس »

وقال أوغسطينوس فى رده على هرطقة اريوس فصل ٢٣ « لا يظن ان الروح بواسطة الترتيب هو منه (أى الابن) كما انه هو ذاته (الابن) من الآب بل كلاهما من الآب . الابن يولد والروح ينبثق »

وقال ايرونييموس فى مخاطبته داماسوس « اننا لمؤمنون بالروح القدس أيضا الذى من الاب خاصة ينبثق » (٢)

ونختم بأن ننقل ما وجد من الشهادات فى كتب الاقباط التابع المطبوعة برومية التى تصرح بانبثاق الروح من الآب واليك هى :

ورد فى ص ٢٥٧ و ٢٥٨ من كتاب الخولا جى المطبوع برومية سنة ١٤٥٢ ش و ١٧٣٦ م ما يأتى « الروح القدس الغير المستحيل المتسلط المحيى المنبثق من الآب الذى نطق فى الانبياء حل على آياتنا كوعد المسيح وتكلموا بكل لغة »

وورد فى كتاب اللقان والسجدة المطبوع برومية سنة ١٤٧٨ ش و ١٧٦٢ م فى صحيفة ٣٦٤ و ٣٦٥ و ٣٩٩ و ٤٠٠ و ٤١٦ و ٤١٧ قول صريح بأن الروح منبثق من الآب فقط فليراجع فى محله ولعلمهم بعد ذلك يرفعون

(١) تاريخ الانشقاق ١: ١٥٩ و ٢١٥

(٢) مجلة صهيون سنة ٢٩: ٧ ص ٢١٣

القرن التاسع
القسم الاول
تاريخ البطاركة

(١) مرقس ^٢	(٢) يعقوب	(٣) سيمون ^٢
(٤) يوساب	(٥) خائيل ^١	(٦) قزمان ^٢
(٧) شنوده ^١	(٨) ميخائيل ^١	

(١) مرقس^٢ :

البطريكر التاسع والاربعون . بعد وفاة البابا يوحنا ٤ اجتمع الاساقفة والشعب الارثوذكسى بالاسكندرية وتشاوروا فى من يقيمونه بطريركا فاتفقت كلمتهم على القس مرقس وكتبوا الى انبا ميخائيل أسقف مصر بشأنه فضى الى الوالى يطلب منه الترخيص للمسيحيين بتكريس بطريركهم فأذن له

ولما بلغ القس مرقس خبر اختيار الشعب له وهو من عائلة مشهورة فى الاسكندرية بالشرف والتقوى عول على الهروب فأرسل الانبا ميخائيل يفتش عليه حتى وجده وبعثه الى الاسكندرية وقدم فى اليوم الثانى من أمشير سنة ٥٠٢ ش و٧٩٩ م فى عهد حلافة هارون الرشيد . وحال جلوسه على الكرسي قرأ على الشعب حقيقة اعتقاد الارثوذكسين وأظهر ضلال المجمع الخلكيدونى

وبعد تكريسه باسبوع كانت جمعة الرفاع فضى الى دير الزجاج ليقضى فيه أيام الصوم بالصلوات ومن هناك أرسل الى انبا ميخائيل أسقف مصر يخبره فيه بعزمه على الذهاب الى الوالى بعد عيد الفصح ليسلم عليه و يطلب منه الترخيص ببناء الكنائس المتهمة . فلما جاء عيد الفصح قصد البطريرك فسطاط مصر ليسلم على الوالى فتلقيه الانبا ميخائيل باحتفال عظيم ثم استأذن فى الدخول على الوالى فسر منه جدا وأعجب بحسن كلامه ووعدته بقضاء جميع مآربه وخرج من عنده يستشير أولاده فى الامر الذى يلتمسون من الوالى أن يجيهم اليه فأقروا على طلب بناء البيع فزاروه فى اليوم التال والتمسوا منه ذلك فأعطاهم أمرا ببناء كافة البيع فاهتم البابا مرقس بالكنائس وعمر ما خرب منها

ثم سعى فى تجديد العلاقات بين الكنيستين الاسكندرية والانطاكية وكتب سنوديقا الى كيرياكوس بطريرك انطاكية فتلقى منه جوابا حسنا . وعمل بعد ذلك على رد الضالين وكان حينئذ منهم قوم يعرفون باتباع بارسنوفة الذين لا رأس لهم السابق ذكرهم واستمروا لغاية البابا مرقس مصرين على انفصالهم فحزن عليهم وصلى الى الرب لكى يساعده على ردهم فسمع الله له وجاءه رئيسا تلك الشيعة مستغفرين عن ذنوبها فأراد أن يختبر توبتها فأفهمها ان ما نالاه من الرتب الكهنوتية بأيدي الهرطقة باطل فقبلا أن يقبلها بدون رتب كهنوتية ومن ثم أتى بها ورسمها أسقفين ببيعة مارمينا بمر يوط فى ١٥ هاتور أحدهما لمدينة طنطا والثانى لا تريب (بجواربها)

فلما نظر البرسنوفيون ما كان من انضمام رئيسيها للكنيسة الارثوذكسية كتبوا للبابا مرقس أيضا لكى يقبلهم و يأتى اليهم ليكرس بيعتهم فلبى نداءهم وانطلق اليهم وأظهر رضاه عنهم وأقام لهم قداسا وناولهم من الاسرار المقدسة وكان فرح عظيم حتى أنه بعد أيام رأى ان البيعة التى كرسها للبرسنوفيين ضيقة فدعا الصناع وأنفق عليها حتى اتسعت ودعيت « بيعة البطريرك » ولما رجع الى الاسكندرية طلب منه وجهاء الشعب أن يبنى بيعة السيد المخلص و يوسعها لانها فى وسط المدينة فاعتذر لهم خوفا من أن يتهيج عليه الاشرار ويسعوا ضده بالوشاية لدى السلطان ولكنهم الحوا عليه فأجاب طلبهم وبدا فى تشييد الكنيسة حتى أتمها بكل زينة فكانت موضوع فرح الارثوذكسيين وكدر للخلكيديونيين واجتمع الاساقفة وكرسوها فى عيد الصليب فى ١٧ توت

وأعطى الله هذا البابا موهبة اجراء الآيات والعجائب فكان يدهن الكثيرين من المرضى بزيت باسم السيد المسيح و يصلى عليهم فيبرأون عاجلا وكثيرون تم لهم الشفاء بصلواته . وفى تلك الايام أقام البابا رجلا على الخدمة البطريركية كان مملوءا حسدا لكل انسان وخصوصا لكاتب البطريرك فكان يشيع عنه كل قبيح حتى وصل الخبر للبابا مرقس فطفق ينصحه بأن لا يعود فيما بعد يذيع مذماته ولكنه لم يسمع النصيحة بل استمر فى شره حتى كان يوم عيد نياحة البابا يوحنا فحضر ذلك الشرير وابتدأ يتكلم فى حق الكاتب . فضجر منه البطريرك ولعنه ان كان ما يتكلم به زورا فأقسم انه يتكلم حقا ولانه حلف كذبا أصيب سرىعا بالفالج الى يوم وفاته

وظهر فى ذلك الحين جراد كثير فى البحيرة والاسكندرية فأكل جميع أثمار الارض والكروم فحزن البطريرك وأمر جميع الشعب الارثوذكسى أن يخرجوا بالمباخر والصلبان والاناجيل ليسألوا الله أن يرفع عنهم هذا الغضب فما كادوا يصلون الى المكان الذى انتشر فيه الجراد وارتفع صوت صلاتهم حتى رأوه يتعالى الى الجو ويسقط فى البحر

وبينا كان البطريرك راجعا الى مصر وهو يفتقد رعيته اجتاز ببلدة تسمى اغروة فخرج الكهنة والشعب يستقبلونه بالاكرام كالعادة وكان بين المحتفلين به انسان به روح نجس فصصره بين الناس فطلب البابا مرقس أن يقدم اليه ثم رسم على وجهه علامة الصليب وهو يصلى فخرج منه

الشيطان وقام سالما . ومع انه شفى كثيرين من مرضاهم كان هو نفسه مصابا بمرض عضال استمر به اثنتى عشرة سنة دون أن يطلب الشفاء منه بل كان يشكر الله على الدوام الذى جربه نظير باقى أصفياه

أما الشيطان فلم يطق أن يرى كنيسة الله ناجحة فأخذ يكيد لها وذلك انه فى ذلك الحين هجم مسلمو الاندلس على مصر وبدأوا ينيهون كل ما تصل اليه أيديهم و يقبضون على النصارى ويبيعونهم كالعبيد لا فرق بين رومانى وقبطى . وقد أظهر البابا مرقس فى هذه الازمة شجاعة نادرة المثال فكان يشتري كثيرين من القسوس والشمامسة والعدارى والنساء والاولاد وبلغ عدد ما اشتراه منهم ست آلاف نفس . وكان عندما يشتريهم يسلمهم كتب اعتاقهم حالا ويقول لهم من أراد منكم البقاء عندى أسلمه للمعلمين يعلمونه علوم البيعة ومن أراد الرحيل الى بلده ادفع له ما يوصله اليها . واستمر مثابرا على هذا الجهاد الحسن حتى شاع ذكر فضائله واقترن اسمه بكل مدح وثناء

وسلط الشيطان قوما اشرار على بيعة المخلص فاطلقوا يدهم فيها فنيهوا كل ما بها ولم يلقوا شيئا وذلك لانهم كانوا قد رأوا جثث بعض موتاهم ملقاة على بابها فظنوا ان النصارى قتلوهم وأخذوا يضطهدونهم بشدة حتى لبس البابا مرقس فى تلك المدة ثياب الحداد على ما لحق كنيسة من الويل . ومع ما كان محيطا به من الاخطار لم يتأخر لحظة واحدة عن اتمام واجباته وكان أولاده يأتون اليه معزين أياه ويسألونه الذهاب الى بيوتهم وهوى أبى حتى قام الارخن مقار النبراوى من كرسى سمنود ومضى الى عبد العزيز المتولى على المشرق واوقفه على ما أتاه الاشرار ضدهم ظلما وكيف أن بطريركهم اضطر فرارا من سىء الاضطهاد ان يختبئ مع اساقفته فى أحد الاديرة المقفرة فأعطاه الوالى كتابا ليأوى البطريرك اليه حتى يزول الخطر فاقام البطريرك بنبروه مدة

ومع ذلك لم يكن هذا البابا يتخلى عن الاهتمام بالبيع المقدسة واعادة الاعضاء التى أفتقرت من كنيسة انطاكية بواسطة ابراهيم المطران . وجرى حينئذ على برية الرهبان بوادى هبيب بلايا عظيمة ولما وصل خبرها مسامع البابا مرقس زاد حزنه فنظر الرب لكثرة همومه واراد ان يريحه من تعب هذا العالم فظهر له مرقس الرسول فى رؤيا يقول له «أفرح يا مرقس خليفتى لانك ستعتق من هذا الجسد» ولما استيقظ من النوم كلف الاساقفة بعمل قداس وتناول الاسرار المقدسة ثم أسلم الروح فكفنه الالباء والاساقفة ودفنوه ببيعة نبروه بعد ان اقام على الكرسى مدة عشرين سنة وقيل اكثر وكانت نياحته فى الثانى والعشرين من برمودة سنة ٥٢٥ ش و ٨١٩ م وكتب فى أيامه رسائل كثيرة

(٢) يعقوب — البطريرك الخمسون :

كان قسا بدير أبى مقار ترك وادى هبيب على أثر خراب الاديرة ومضى الى دير فى طيبة وهناك تجلت له رؤيا علم منها ان الرب يدعوه للذهاب الى البرية المقدسة فعاد اليها مسرعا

أما الارثوذكسيون فبعد موت البابا مرقس لحقهم حزن عظيم لاسيما لوفاته بعيدا عنهم وكان الخطر قد زال فاجتمع الاساقفة والشعب وطلبوا من الرب أن يرشدتهم الى الراعى الامين فذكر عدد غير قليل وبينهم القس يعقوب فاجمعوا على انتخابه واستدعوه من دير أبى مقار وهو لا يعلم وساروا به الى الاسكندرية وكرسوه بطريركا وهويبكى فى شهر بؤونه سنة ٥٢٥ ش ٨١٩ م فى عهد خلافة عبد الله المأمون

وحال جلوسه على الكرسي قاوم أصحاب البدع ولاسيما اتباع المجمع الفاسد الخلكيدونى واتباع اوطاخى الذين ينكرون آلام المسيح بالجسد وفى بعض الايام قدم الاسرار المقدسة ليناول الشعب . وكان بعض الهراطقة قد حضروا للصلاة على سبيل التفرج واختلطوا بالارثوذكسيين فلما علم البابا بذلك رفع صوته بشجاعة قائلا « أية خلطة لاولادى الله مع أولاد بليعال » فخزى المخالفون وخرجوا جميعهم متسرلين بثياب الخجل وكان فيهم رجل موسر موظف بجباية خراج الاسكندرية وكانت له دالة عند الاندلسيين فمضى مسرعا اليهم متكلما بحق البطريرك حتى غير قلب الوالى عليه وارسل الهراطقى يهدد البطريرك قائلا له « سأفقدك السلام وأشتت شعبك حتى اذا رفعت صوتك فى الكنيسة قائلا « السلام لكم » لا تجد من الشعب من يرد عليك « ومع روحك » غير أن البابا تنبأ قائلا لذ « الشر الذى تتوقعه لغيرك لا بد يحل بك » وقد تم قوله له بعد قليل تشاجر الرجل المخالف مع آخر فقتله وسلب جميع ماله ووقع الرعب فى قلوب باقى المخالفين وصار بطريركهم يوقر البابا يعقوب ويحله

وكانت أعمال هذا البابا تتقدم وتنجح الا ان الاخطار الاخيرة التى وقعت بالبيعة أورثتها فقرا عظيما فساعد البطريرك بعض المساعدة رجل قريب له من وجهاء نبروه ارسل اليه ما تحتاجه البيع . وقد زاده شعورا بالفاقه مطالبة بعض الكنائس له بالخراج الذى كان مقررا لها على البطريركية فلم يقو على اجابة طلبها وكان شماس اسمه جرجس بكنيسة الاسكندرية أخذ يتكلم معه بجسارة وطلب منه ان يعود الى ديريه اذا لم يقوم بتأدية خراج البيع فتألم منه البطريرك حتى لم يكذ الشماس يصل الى بيته وقد أصابته حمى عظيمة قضت عليه عاجلا فاندعر المطالبون بالخراج وهدأوا

ولما جاء الصوم المقدس قصد دير أبى مقار ليقضيه فيه كما جرت عادة الالباء البطارقة واخذ معه للرهبان كل ما يحتاجون اليه من الخيرات . وكان فى ايام رهبنته قد بدا بعمارة هيكل

على اسم القديس شنوده قبل هيككل القديس أبى مقار فكله وجدد البيع ليأوى اليها الرهبان عوض
البيع المتهدمة

فاغتاز الشيطان من مجاح عمله وكان له شماس يعتنى به ليقدمه فى درجة الكهنوت
مفسولت له نفسه ان يتصرف تصرفا سيئا فكان يعمل ما يشاء بدون استئذان رئيسه ومن ذلك أنه
ضرب احد التلاميذ حتى مات فلما شاهد ذلك خفراء الدير شددوا على البطريرك ليعطيهم القاتل
ليقتلوه فاجتهد البابا ان يخلصه فلم يفلح ولما علم الخفراء انه يعتنى به طلبوا منه مالا جزيلا ولما لم
يكن معه ساعده الاساقفة والشعب حتى وفى ما طلبوه وخلص الشاب من أيديهم

ثم قصد البابا يعقوب الصعيد ليفتقد الشعب والاديرة فقبول مقابلة عظيمة وبعد ذلك جاء
اليه رجل كان رئيسا على بعض البلاد يدعى عبد العزيز وطلب منه ان يرسمه أسقفا فلم يرض ان
يخرج على قوانين البيعة فاغتاز عبد العزيز وطاف بلادا كثيرة يضطهد اهلها ويذلهم حتى أوقع
بلايا شتى بأناس كثيرين ولذلك طلب الارخن مقار النبراوى من البطريرك ان يرسمه وكان عبد
العزيز قد تواعد أمام مقار قائلا « ان لم يجتمع بى البطريرك اهدم البيع واقتل الاساقفة » فسار اليه
البابا يعقوب يصحبه القس يوساب الذى صار فيما بعد بطريركا ولما كان القس يوساب خائفا من
مواجهة عبد العزيز هدا البطريرك اضطرابه وقال له « لا تخف فاننا لا نشاهده حيا » وفعلنا فقد
جاء الخبر بانه بينما كان شارعا فى هدم أحد الحصون وقع عليه حجر قضى على حياته الشقية

ثم تولى بعده ولده المدعو على فنع الظلم واستراح الكثيرون ورجع الرهبان الى وادى
هبيب بعد هروهم منه ورأى البابا يعقوب ان هيككل القديس شنوده لا يسع الرهبان فبنى بيعة باسم
أبى مقار وكرزها فى أول يوم من برمودة وكان يوم تذكرا للبطريرك

وكان مقار النبراوى يشتهى ان يرى البطريرك فدعاه الى منزله ليبارك عائلته فجاء اليه
البطريرك وعمل له وليمة عظيمة وقدم صدقات كثيرة وبينما كان السرور شاملا مرض ابن الارخن
ومات فجزع الجميع أما البطريرك فأظهر السكون التام وطلب الغلام ورسم على وجهه علامة
الصليب وصلى لاجله فرد الرب اليه الحياة ومجد الله وزاد الارخن فى عمل الخير نحو المحتاجين ودفع
ثلث ماله للارامل والايتام وبنى فى مدينة اورشليم بيعة لاستراحة الارثوذكسين وهى تعرف ببيعة
المجدلانية وتعهد بان لا يرد لاحد سؤالا ولا يغلق بابه فى وجه أحد .

ولما أنتشر ذكر البابا يعقوب واشتهرت اعماله الصالحة سمع به الآب ديونيسيوس بطريرك
انطاكية واشتهى ان يراه وجها لوجه ولم يمنعه سوى كثرة الحروب التى استمرت قائمة فى ارض مصر
اربعة عشرة سنة . واتفق له فيما بعد المجيء الى مصر مرتين الاولى ليحتج امام عبد الله بن طاهر والى
مصر على تصرفات أخيه فى اديسا حيث بلغ من الظلم والغشم مبلغا عظيما وقد تحصل ديونيسيوس

على جواب من عبد الله لآخيه يحذره فيه من اتيان أى تعد على الكنائس فى أنطاكية . ونزل بطريرك أنطاكية فى مدينة صان (شرقية) فخرج سكانها وعددهم نحو ثلاثين ألف قبلى يتقدمهم البابا يعقوب والاساقفة واستقبلوا الآب ديونيسيوس استقبالا عظيما حتى كتب هذا البطريرك بعد رجوعه لكرسيه عن الاقباط يقول « وجدت بطريركهم واساقفتهم اتقياء ورعين متواضعين يحبون الله ويخافونه من كل قلوبهم وقد اكرموا مثوانا وأظهروا لنا كل بشاشة ولطف مدة وجودنا فى مصر مى نشكرهم عليه شكرا مستفيضا »

وكان البابا يعقوب يعلم ان تلميذه يأتى أعمالا بغير ارادته فدعاه اليه ونصحه بعدم الاستمرار فى طغيانه خوفا من وقوع بلايا على الكنيسة فلم يطع قوله واصيبت الكنيسة بنكبة فشدد الوالى على البطريرك فى طلب الخراج ولم يكن معه فاضطر ان يقدم له أو انى البيعة . غير أنه بينما كان الصائغ يكسر كأسا مقدسة جرحته يده وسال منها دم كثير فخاف الوالى ومن معه وامر ان لا يكسر منها شيئا وأعادها الى البطريرك وشدد عليه فى دفع الخراج فنالتة صعوبة شديدة حتى وفاه . وبعد ذلك عزل الوالى وأصيب بمرض عياء فكلف أولاده ان يردوا المال للبطريرك ففعلوا كما اوصاهم

وتولى على جباية الخراج رجل يدعى ايليا بن يزيد وفى أيامه تنيح أسقف بالصعيد على كرسى قاو فاوفد اهل المدينة انسانا للبطريرك ليقيمه عوضه فخشى الرجل ان يمتنع البطريرك عن رسامته فضى الى الجابى وقدم له مالا ليأمر البطريرك برسامته فأبى البطريرك مخالفة القوانين الكنسية ولكن الاساقفة خوفا من حدوث ضيق على البيعة بسبب ذلك ألزموه بان يرسمه ولكن هذا الأسقف لم يكد يصل الى ابروشيته حتى مرض ومات

وبعد ذلك توجه البابا يعقوب لافتقاد الكنائس والشعب ولما وصل الى ضيعة تسمى تسمت أحضروا له شابا به شيطان قد أخرسه وأصمه وسألوه أن يضع يده عليه فصلى ودهنه بزيت فخرج منه الشيطان فورا وتكلم وسمع . ثم انتهى البطريرك أن يقيم بمدينة تنتدا أياما قليلة لدى مروره عليها وهو يطلب من الله أن يريه من سيكون خليفة له فعلم انه تلميذه سيمون

وكانت عادة هذا البابا اذا اراد أن يقيم اسقفا ان يسهر و يصوم حتى يظهر له الله أعماله وكان يحفظ ايام نياحة الآباء البطارقة من مرقس الرسول الى مرقس ابيه بالروح و يعيد لهم . ثم اراد السيد المسيح ان يخلصه من مشقات الحياة فاعتل وضعفت قوته وتنيح فى ١٤ أمشير سنة ٥٤٤ ش ٨٣٦ م وليلة موته سمع يقول فى الساعة الرابعة من الليل « يا أبوى ديوسقوروس وساويرس ها أنذا أجى اليكما » وكانت مدة جلوسه على الكرسي ١٨ سنة و ١٨ شهرا ودفن حيث توفى بتنتدا

(٣) سيمون^٢ — البطريرك الحادى والخمسون :

ولما تنيح البابا يعقوب قدم بعد مدة يسيرة عوضه الآب سيمون وهو من مدينة الاسكندرية من اصل شريف وكان مقيا بقلاية البطريرك وتربى منذ صباه مع البابا مرقس ولكن البابا سيمون لم يقيم على الكرسي المرقسى سوى خمسة شهور و١٦ يوما وتنيح فى ٣ بابه سنة ٨٣٧ م على قول من روى أنه عاش ثلاث سنين وسبعة أشهر وقضى مدة رئاسته كلها وهو مصاب بداء المفاصل يتوجع منه وجعا شديدا الى ان اسكنه الرب الراحة الابدية .

وبعد نياحة البابا سيمون اجتمع الاساقفة وأعيان الطائفة ليقيموا عوضه فاختلفت كلمتهم وذلك لان اهل الاسكندرية أفتركوا ميلا منهم للمجد العالمى ان يقيموا رجلا علمانيا (متزوجا) لانه كان غنيا وذا اعتبار يدعى اسحق وكان على رأس هذا الحزب زكريا أسقف أوسيم وتادرس أسقف مصر وكلفاه أن يكتب كتابا لكهنة الاسكندرية يعدهم فيه بالخير الجزيل

وكان فى ذلك الزمان أساقفة قديسون يغارون على بيعة الله منهم انبا ميخائيل أسقف بلبيس وأنبا ميخائيل أسقف صا وأنبا يوحنا أسقف بنا وغيرهم فلما بلغهم ما نوى عليه الاسقفان واهل الاسكندرية اجتمعوا وتوجهوا الى الاسكندرية ووبخوا الذين فكروا بانتخاب رجل متزوج مخالفة للشرية . ووفقت النعمة الالهية حينئذ ان يذكر قس فاضل يدعى يوساب كان مقيا ببيعة ابى مقارفاتفت عليه كلمتهم وارسلوا وفدا يستدعيه وقالوا اذا كان الرب قد اختاره نجد باب قلايته مفتوحا ولما وصلوا اليه الفوه قائما يغلق باب قلايته خلف تلاميذه وقد خرجوا ليملاؤا الماء وقالوا له انك تدعى للبطريركية فبكى بكاء مرا وامتنع فأخذوه عنوة فى اليوم الثانى عشر من هاتور عيد الملاك ميخائيل وودعه آباء الدير بجزن عميق وساروا به حتى أتوا الى الاسكندرية واعلموا الولى وكان أسمه عبد الله بن يزيد باختيارهم لهذا الآب وطلبوا أخذ رأيهم قبل تكريسه فامتنع لان اسحق المذكور كان قد وعده بألف دينار اذا جلس على الكرسي ثم قال لهم اذا اردتم أن يرسم هذا بطريركا فاعطونى ما وعدنى به اسحق .

فلبث الآباء الاساقفة فى منزل الوالى متوسلين حتى يصادق لهم على الانتخاب وهو أبى طالبا منهم المال حتى أغضبهم فافهموه انهم ليسوا تحت سلطانه بل تحت سلطان والى مصر وعرفوه انه اذا لم يقرهم على رأيهم ينطلقون الى فسطاط مصر و يطلبون من واليها ترخيصا فلما رأى ثباتهم اذن لهم فاجتمعوا فى بيعة مار مرقس وتمموا الرسامة فى ٢١ هاتور سنة ٥٤٨ ش و٨٣٧ م فى عهد خلافة المأمون وخلافة محمد المعتصم

(٤) يوساب — البطريرك الثانى والخمسون :

كان من ابوين فاضلين بمدينة منوف العليا معروفين لدى الحكام وبعد موتها تركا له ثروة طائلة وبقي يوساب يتما حتى نظر اليه ارخن تقى كان متوليا بإدارة مصر اسمه تادرس من نيقىوس

فأخذه اليه ليصيره له ولدا فاقام عنده مدة حتى رأى فى نفسه شوقا للعيشة النسكية فأخبر الارخن بعزمه ولما لم يقدر أن يحوله عن غرضه أرسله الى مدينة الاسكندرية الى البابا مرقس وكتب له كتابا يذكر له فيه تاريخ حياته . وقبل قيام يوساب الى البطريك وزع كل أمواله على الفقراء والمساكين

ففرح به البابا مرقس وسلمه الى شماسه ليعلمه الكتابة باللغة اليونانية فكان ذكيا غير أنه لم ينثن عن عزمه فلما اقام عند البطريك مدة التمس منه أن يسمح له بالذهاب الى البرية فسر من ميله الصالح وأرسله سريعا الى دير أبى مقار ووضع تحت ارشاد ايغومانوس يدعى بولس وفى سنة ٧٩١م استحضره البطريك فاقام عنده مدة ولما اراد الرجوع الى البرية رسمه قسا وأرسله فكث هناك مدة من السنين . ولما اعتل الشيخ بولس معلم يوساب وقف على خدمته بدون انقطاع ليلا ونهارا وتحصل على بركته وقبل وفاته تنبأ عنه بأنه سيكون رئيسا للكرسى و ينال تعباً جزيلاً

وحال رسامة هذا البابا كانت البيعة تنوء تحت عبء فقر مدقع فشرع يفرس كروما وينشئ طواحين ومعاصر ولكن بعد قليل أخذت نبوة الشيخ تتم اذ أنتشر وباء عظيم فى شرقى مصر وغربها وحدث غلاء فأحش فأصيب من اهوالها الكثيرون من رعية البابا يوساب وناله حزن عظيم على ما جرى لهم وهويدعو الله ان يرفع هذه الويلات عنهم . ولشدة التجارب التى أكتفتها لم يتمكن من مكاتبة بطريك أنطاكية مع انه كان يشتهى ان يجدد العلاقة بين الكنيستين ولكنه لم يجد يوما واحدا يستريح فيه و يتمم هذه الامنية المقدسة

وحدث ان اسقفا على كرسى تنيس يدعى اسحق سعى به بعض شعبه بكلام ردىء لدى البطريك وطلبوا منه خلعه والا هجروا الارثوذكسية ويمثل ذلك تصرف اهل مصر مع اسقفهم وتوعدوا برجمه ان لم يرفعه البطريك من ابروشيتهم . فكان ذلك سببا فى زيادة احزان هذا البطريك التعيس فصلى الى الرب ان يثبت شعبه وكهنته وطلب جميع الاساقفة من كل الاماكن ان يوقفهم على ما جرى فأروا حفظا لسلام الكنيسة ان يرفعوا الاسقفين من كرسيهما وكان البطريك يهد على ما جرى

وجرى ان اهل البشموور خرجوا على الحكومة وجأهروا بعصيانهم فكتب الوالى الى الخليفة المأمون يأخذ رأيه فى ذلك وكان الخليفة محبا للنصارى بسبب معاشرته لعلمائهم فحضر الى مصر ومعه ديونيسيوس بطريك انطاكية فلما علم البابا يوساب بخبر مجيئها سار الى القسطنطينية ليسلم عليها ففرح به كلاهما ثم كلفه الخليفة أن يقوم بديونيسيوس بطريك انطاكية الى أهل البشموور ليقنعاهم بالخضوع له بالحسنى والا يسلط عليهم سيف انتقامه

فقام البطريك كان وسار الى البشموورين وأخذوا ينصحانهم و يوبخانهم على أفعالهم ولما لم يسمعوا لقولها ويخضعوا لمشورتها رجعا الى المأمون واخبراه باصرارهم على العناد فأرسل اليهم أفشين

الوالى ليقنعهم بالقوة . ثم سأل الآب ديونيسيوس عما دعاهم الى العصيان فتأسف وحدث الخليفة بما سمع من ظلم الولاة فقال له المأمون لا تفه بمثل هذا الكلام لان متولى الخراج كانوا من قبل أخى المعتصم ولوسمع ما قلت لما ابقاك بمصر ساعة واحدة . فاسرع الآب ديونيسيوس ليودع البابا يوساب وعيناه تفيض بالدموع وسافر عاجلا . وبعد رحيله بلغ المعتصم الخبر فارسل وراءه من يقتله ولما لم يتمكن من العثور عليه غضب جدا . وبعد ان توفى المأمون وملك المعتصم عوضه هرب الآب ديونيسيوس ولم يبق بانطاكية حتى عاهده الخليفة على ان لا يقتله فرجع اليها

ولما كان البابا يوساب بمصر رأى ان اسحق الذى كان مرشحا نفسه للبطريركية محتقرا من جميع الطبقات فاحب ان يواسيه فدعاه اليه وطيب خاطره بالكلام الحسن وقلده وكالة البطريركية فانشرح صدره واعلن خضوعه له ولما حضروا فى بيعة السيدة العذراء بقصر الشمع يوم عيد الشعانين رسم الارخن اسحق شماسا امام عدد كبير من الشعب

ولما كان المأمون بمصر اعطى البابا يوساب فرمانا بخط يده باقراره رئيسا عاما روحانيا على الامة القبطية وجميع كنائس مصر وخدامها غير انه لم تكذ تنهى هذه الحوادث حتى دخل الشيطان فى نفسى اسقفى مصر وتئيس المقطوعين فضيا الى افشين الوالى بعد ان قع ثورة البشمورين ودسا اليه بان البطريرك هو الذى حرّض البشمورين على العصيان واخبراه انه مجتمع فى البيعة مع ما لا يحصى من الشعب وكلهم طوع أمره . وكان الافشين حينئذ سكرانا فغضب ووجه أخاه الى البيعة بجند كثير ليحضر البطريرك ليقتله فسار أمامهم اسحق اسقف تئيس حتى دخلوا البيعة وأشار الى البطريرك وكان فى الهيكل فدخل اليه اخو الافشين ليأخذ رأسه امام المذبح فسقط السيف من يده على عامود رخام وانكسر فاشتد غيظه واستل مديّة كانت معه وطعنه بها . فاضطرب جميع المصلين وصاحوا بصوت عظيم متوهمين أنه مات ولكنهم عند ما اقتربوا اليه وجدوا السكين قد مزقت ثيابه وقطعت منطقته ولكنها لم تضر جسده

فلما نظر اخو الافشين هذه الاعجوبة اخذه ليمضى به الى اخيه كما أمره وفيما هم يجذبونه تعلق به الشعب وهم يبكون فهدأهم وخرج وهم يتبعونه فغضب أخو الوالى ورفع يده وضربه بسوط على رأسه فانجرحت عيناه ودخل الى الافشين وحدثه بخبره مع الاسقفين وكيف أنه قطعها ولكي ينتقما منه دبّرا له هذه المكيدة . فلما تحقق الافشين برأة البطريرك استشاط غيظا على الاسقفين وعول على الانتقام منها فتقدم اليه البطريرك حينئذ وطلب منه العفو عنهما كما تأمر ديانتهم فتعجب الوالى من هذه المبادئ السامية وأطلق الاسقفين ولما بلغ الخليفة خبر هذه الحادثة ارتفعت قيمة البابا يوساب فى عينيه وأمر باكرامه .

وبعد ذلك اراد البطريرك ان يرسم اسقفين لبروشيتى مصر وتئيس عوض المقطوعين فوسم

اسحق الارخن الذى صيره شماسا ونائبا عنه اسقفا على اوسيم ووسم آخر اسمه ديمتر يوس على تنيس وبقي فسطاط مصر تحت تدبير اسقف اوسيم الذى استمر مشرفا على الكرسي الى نهاية حياته

ثم وجه البطريرك نظره نحو الحبشة والنوبة وافتقدهما برسائل بعثها يستفسر فيها عن حال الكنائس فيها ولم يتمكن من انجاز مشروعات مهمة بسبب الخلاف الذى كان قائما بين ملوك الحبشة وولاة مصر وهو يطلب من الله ان يحل السلام ليبلغ غرضه . ولبثت الحرب قائمة بين الفريقين اربع عشرة سنة وبعد ارسل الخليفة المعتصم فجعل حراسا على الطريق التى بين مصر وبين النوبة والحبشة وكان ملك النوبة حينئذ يدعى زكريا فكتب اليه المعتصم يطلب منه ان يدفع خراج اربع عشرة سنة والا أشهر عليه السيف . وكان لوالى مصر كاتب بالصعيد يسمى جرجس فكتب للبطريرك يعرفه بما جرى فانتز هذه الفرصة وارسل كتابا لملوك الحبشة يعرفهم فيه أنه انقطع عن الكتابة اليهم بسبب ما حل به من الاضطهاد ونصحهم بتجنب الخلاف مع المسلمين وهذه الرسالة بلغها لزكريا بواسطة والى اسوان

فلما وصل كتاب الخليفة الى ملك النوبة أرسل ابنه الى مصر بهدايا جزيلة وابتعد عن التحزب اكراما لخاطر البطريرك . فاستقبل البابا يوساب جرجس بن ملك النوبة بفرح عظيم ثم ودعه ليقوم الى الخليفة ببغداد فتلقيه المعتصم باحترام زائد وانتهى الخلاف على ما يرام

وكان فى بلاد الحبشة حينئذ اسقف يدعى يوحنا وسم بيد البابا يعقوب وحدث ان ملك الحبشة أنهمك فى حرب فعمد أهل البلاد الى طرد الاسقف من البلاد بايعاز الملكة واقاموا آجر عوضه . فأتى يوحنا الى مصر ونزل فى دير البرموس الذى ترهب فيه بوادى هبيب . وبعد قيامه من الحبشة أصيبت بنكبات مختلفة ورجع الملك وهولا يدرى ما جرى فلما وقف على الخبر ارسل حالا الى البابا يوساب معلنا خضوعه له ومعتذرا عن ضلال القوم ومخبرا اياه بما أصاب البلاد من الاوبئة وتأخير المطر بعد ترك الاسقف يوحنا لها واتمس السماح بعودة الاسقف على جناح السرعة . فاستدعى البطريرك يوحنا وعزاه وثبته ودفع له نفقة السفر وسيره الى الحبشة ففرح به الملك فرحا عظيما وعمل الشيطان فى قلوب بعض الاشرار فتقدموا الى ملك الحبشة طالبين منه أن يأمر الاسقف بالاختتان اسوة بهم والا طردوه ثانيا فخشى الاسقف من تعب الطريق اذا رجع لمصر ثانية ووافقهم على ما طلبوا

ثم اهتم البابا يوساب برسامة أساقفة كثيرين أوفدهم الى كل موضع من كرسي مارمرقس الرسول الى افريقية والخمس المدن ومصر والحبشة والنوبة . ولم يكذب يشعر بالسرور حتى بلغه خبر من الخليفة يأمر به والى مصر أن يجرد الكنائس من زيناتها ويأخذ منها الاعمدة الرخام . وكان وصول ذلك الامر وتدبيره بواسطة رجل نسطورى يدعى لعازر . ولما وصل مصر اجتمع عليه امثاله من الهرطقة الخلكيدونيين المقيمين بالاسكندرية ولم يكفوا عن السعى ليلا ونهارا يحسنون له هدم

البيع و يرشدونه الى ما فيها من الاعمدة حتى أتوا الى بيعة الشهيد مارمينا مريوط ووقفوه على جمال رونقها فتعجب و بهت من حسن زينتها وقال هذا ما يحتاج اليه الخليفة

فلما بلغ الخبر البطريرك تقدم اليه وقال له هوذا كل الكنائس أمامك فافعل بها كما أمرك الخليفة فقط ارجو منك ان تحفظ هذه الكنيسة ومهما طلبته منى أعطيك فأبى المخالف سماع كلامه وشرع فى أخذ الرخام الملون والبلاط النادر من تلك البيعة . ولما وصل الرخام الى مدينة الاسكندرية لحق البطريرك والشعب حزن عظيم واهتم البابا يوساب باصلاح ما عبثت به أيدي الاشرار من كنيسة مريوط وساعده الرب حتى أعاد اليها بهاءها الاصلى

وقد انتقم الرب من لعازر المذكور انتقاما مريعا فأصيب بداء عضال القاه طريقا فى الفراش لا يقوى على الجلوس أو القيام مدة طويلة ناله فيها فقر مدقع وضنك شديد حتى اضطر ان يلتجئ الى البابا يوساب و يلتمس منه الصلاة لاجله فقابل البطريرك شره بالخير وعداوته بالمحبة وأواه عنده ولكن كلمة الرب كانت قد نفذت فيه فراح ضحية قساوة قلبه واهانته مقادس العلى

ومن المخالفين الذين كانوا بمدينة الاسكندرية رجل خلکیدونى من ذوى اليسار خرج يوما ليتنزه فى كرومه فوجد احدى سواقيه مكسورة فطلب لها نجارا فقبل له عن نجار شيخ وكان يوم الجمعة العظيمة فأبى النجار أن ينتقل فى ذلك اليوم الذى صلب فيه مخلص العالم فأخذ الهرطوقى يجدف بكلام ردىء على كلمة الله فوبخه الشيخ ومضى الى البطريرك بوادى هيبب وروى له الخبر فتنبأ البابا يوساب قائلا « تخرس الشفاه المتكلمة بالاحاد » وبعد وقت وجيز أصيب ذلك الخلکیدونى بالفالج وانقطع لسانه عن الكلام الى يوم وفاته حتى اضطر بطريرك الملكيين المدعو صفرون ان يوقر البابا يوساب ويحضر عنده ليسلم عليه .

وحدث بعد ذلك ان توفى الانبا اسحق اسقف اوسيم فاقم مكانه الشماس يوحنا بسؤال وجهاء مصر وقدم على كرسى اوسيم الشماس بغيرة ولكنه تنيح بعد مدة وجيزة وكان للانبا اسحق تلميذ يدعى تادرس كان يلتمس كرسى اوسيم بدون رضاء الشعب فامتنع البطريرك عن رسامته فترك تادرس خوف الله وأستعان بعلى بن يحيى الارمنى الوالى وتوسل اليه '؛ بلزم البطريرك برسامته فأبى البابا يوساب مطلقا ان يثلم قوانين الكنيسة فحنق عليه الوالى حنقا عظيما وشرع فى هدم بيع فسطاط مصر وبدأ بهدم بيعة « المعلقة » القائمة بقصر الشمع فهدم أعلاها والبابا يوساب يبكى بكاء مرا ، وأخيرا تقدم اليه قوم وطلبوا منه أن يعدل عن رأيه خوفا من ضياع البيع و يرسم ذلك الانسان وهو مستول عن نفسه . فلم يكف الوالى عن الغضب بل طلب ثلاثة آلاف دينار مقابل عدم هدم البيع . فقلق الشعب والاساقفة وقسطوا المال عليهم حفظا للبيع فهدا غضب الوالى وأمر برسامة الاسقف فرسم غير ان الله انتقم من الوالى شر انتقام فقتل فى الحرب بعد قليل

ودخل الشيطان قلب يوحنا أسقف مصر فكان يطلب من البطريرك ان يرفع رتبته وكان حينئذ بمصر قاض يدعى محمد بن عبد الله رجل شرير قاس وكان يمقت المسيحيين ويهدف على عبادتهم فصاحبه اسقف مصر ليتمكن به من الحصول على أمانيه وملأ قلبه بالغيط على البابا يوساب ففكر القاضى فى أى سبيل يسلكه ليسىء الى البطريرك

وذات يوم دعاه اليه وكان خبر اتفاق أسقف مصر معه قد بلغ مسامعه فاستند على ذراع القدير وأتى اليه فوجد معه جملة أساقفة انحازوا لاسقف مصر فلما مثل البطريرك أمام القاضى سأله بحده قائلا « من الذى جعلك رئيسا على كافة النصارى » فاجابه البطريرك عاجلا « الله » فالتفت القاضى الى الاساقفة وقال لهم عليكم من الان أن تنكروا رئاسة هذا عليكم مكتفين برئاسة أسقف مصر » فأظهروا الطاعة ومن ثم وبخهم البابا يوساب باللغة القبطية على ضلالهم وكان أحد علماء المسلمين الجالسين يفهم تلك اللغة فابلق القاضى ما قال البطريرك فغضب منه وقال له « هل لك أن تقاوم سلطانى » فاجابه البابا بشجاعة « اذا استطعت أن تحجب ضوء الشمس بكفيك أمكنك ان تفعل ما أمرت به لان بيدى اعتمادا من الخليفة وهؤلاء الاساقفة تحت سلطانى ولى الخيار فى عزلهم اذا انحرفوا عن جادة الصواب » فهدأ القاضى وطلب منه أن يطلعه على الاعتماد وكان بيد البابا يوساب اعتمادات منحت له من الخلفاء المأمون والمعتصم والواثق فلما وقف عليها القاضى أطلقه بكرامة فخرج البطريرك وهو يطلب من الله لاجل الاساقفة قائلا « يارب لا تقم لهم هذه الخطيئة »

ولم يكذ يسلم من هذه التجربة حتى أثار عليه الشيطان غيرها وذلك أنه كان من عادة البطارقة أن يبعثوا ارساليات الى بلاد الحبشة وغيرها من أفرىقية وكانت تلك الارساليات تؤلف من شبان من افرىقية كان ملوك الحبشة والنوبة يهدونهم الى البطارقة رجاء تعليمهم قواعد الدين المسيحى وارسالهم ليكرزوا بين المسيحيين وغيرهم فى بلاد أفرىقيا . فكان البابا يوساب يعتبر بتعليم هؤلاء الشبان ففتح لهم مدرسة فى البطريركية واهتم بان يقدم لهم جميع حاجاتهم فبسعيا أسقف مصر المقطوع علم القاضى بأمرهم فأرسل من أتى بهم اليه من البطريركية رغما واستدعى البطريرك وعنفه قائلا « لا ينبغى لك ان تختطف أبناء المسلمين لتنصرهم » فأجابه البابا « هؤلاء نصارى أولاد نصارى أرسلوا الى من ملكى النوبة والحبشة » فأثنى القاضى بالاولاد أمام البطريرك ولعظم التهديد أعترفوا بالاسلام أمامه وهويذرف الدموع السخينة . فقال له القاضى « هاهم قد أصبحوا مسلمين فخذ ثمنهم واتركهم » فاجابه « لا يصح لى أن أعمل على استعباد الاحرار أما انت فسيطالك الرب ويقاضيك على ذلك » فأمر القاضى باقتسام الاولاد بين اعيان المسلمين فأتخذوهم عبيدا وخداما

البابا الاسكندري كالعادة وارسلها مع مطراني أو فيمية وحصص فتلقاها بسرور وقرأها على مسمع الشعب وكان لذلك القاضي المذكور نائب بالاسكندرية يفوقه ظلماً وشراً يدعى محمد بن بشير فاشار عليه بعض الاشرار ان يهين البطريرك أمام المطرانين السوريين فاطاع مشورتهم واستدعاه اليه مع المطرانين وسأله عن الغلمان الذين أمره قاضي مصر بعدم قبولهم فاجابه لم أرهم منذ أخذوا مني فأمر بضربه فضربه الجنود على رقبتة بغير رحمة ولكموه لكما موجعا مدة طويلة ولبثوا يضربونه وهو مطرق برأسه لا يرفعها ولم يسمع منه سوى قوله « اشكرك يا سيدى يسوع المسيح » فبكى جميع المشاهدين وتعجب المطرانان من ثباته وبعد خروجه من حضرة القاضي كتب رسالة لبطريرك أنطاكية وودع أسولييه وهما يطوبانه على حسن جهاده

وفى السنة الثامنة عشرة من بطريركيته ولى على مدينة الاسكندرية هرثمة بن نصر وكان ظالماً عاتياً فأتى هو وسراريه الى البطريركية وأكل وشرب معهن ثم قام وطاف جميع مساكن البطريركية حتى انتهى الى المخدع الذى يضطجع فيه البابا فطرده منه وادخل سراريه اليه فظلم معهن فيه . فانتقم منه الله بمرض أصابه فى أحشائه ووقفه على حافة الموت . وبعد وشى اليه بئس ملوك الروم يعطون البطريرك مالا وهويكاتهم ويحثهم على المجيء لمصر فأمر باعتقاله فى موضع ضيق وعول على معاقبته الى ان يدفع له ألف دينار ومازال يعذبه وهو صابر حتى استقر الحال على أربع مئة دينار

وفى اثناء ذلك كانت ضربة القاضي تزداد كل يوم والدم يتدفق من جسمه دون ان ستريح ليلاً ونهاراً وضاعت فيه حيلة الاطباء واستمر يتهدد البطريرك حتى دفع المبلغ ولم يكده ستلمه حتى أذيع خبر موته وخرج البابا من السجن محفواً بالاكرام واستمر مجاهداً ومحتماً التعب حتى اراد الرب ان يريحه من هذا العالم فنقله اليه فى اليوم السابع من مرضه وتنيح فى ٢٣ بابه سنة ٥٦١ ش و ٨٤٩ م وكان يوم احد وقت تناول الاسرار . وكانت مدة قيامه على الكرسي ١٢ سنة . فل ١٨ و ١١ شهرا

وفيل موته كان قد تنبأ بان الله سيعاقب قاضي مصر على ظلمه فتم قوله وارسل الخليفة رسولا من قبله ليكشف احوال مصر فوقف على مظالم القاضي فأخذه وحلق لحيته ورأسه وأشهره فى شوارع مصر ونهب كل ما جمعه ظلماً ثم نفاه ببغداد وظل منفياً حتى موته . ولما سمع قاضي الاسكندرية بذلك هرب سراً ولم يعد يسمع عنه خبر .

(٥) خائيل ٢ — البطريرك الثالث والخمسون : وبعد ان تنيح البابا يوساب أقرت جميع أصوات الكهنة وابناء الامة على الاختيار الاب خائيل من دير ابى يحنس خلفاً له وسيم بطريركاً فى ٢٤ كيهك فى نفس السنة التى توفى فيها سلفه فى عهد خلافة المتوكل بن المعتصم ولم يكده

يُجلّس على الكرسي حتى تعرض له الولاة الظالمون طالبين منه مبالغ طائلة على سبيل رشوة أو يمنونه من الجلوس على الكرسي فاضطروا أن يبيع ذخائر الكنيسة و يوفى المطلوب . ولم تطل مدة هذا البابا سوى سنة واحدة وخمسة أشهر لم يحدث في خلالها ما يستحق الذكر سوى ما جرى على طائفته من الاضطهاد ثم توفي في ٢٢ برمودة سنة ٥٦٨ ش و ٨٥١ م

(٦) قزمان ٢ — البطريرك الرابع والخمسون : وبعد وفاة البابا خائيل اجتمع مجمع الكهنة والاعيان وانتخبوا بالاجماع لكرسي البطريركية الاب قزمان من رهبان دير ابي مقار وتمت رسامته في ٢٤ ابيب في نفس السنة التي توفي فيها سلفه في عهد خلافة المتوكل وهو من سمنود وجرت في ايامه اضطهادات عنيفة وسنت قوانين صارمة ضد المسيحيين

وفى ايام هذا البابا امر قيصر الروم بمحو الصور من الكنائس فبعث اليه هذا البابا وناظره حتى اقنعه ورجع به الى حسن الاعتقاد فرسم باعادة الصور الى ما كانت عليه . ولبث البابا قزمان على كرسي البطريركية سبع سنوات وسبعة أشهر و ١٣ يوما ثم توفي في خلال تلك القلائل التي كانت تهدد سلام طائفته وكانت نياحته في ٢١ هاتور سنة ٥٧٦ ش و ٨٥٩ م

(٧) شنوده ١ — البطريرك الخامس والخمسون : وبعد نياحة البابا قزمان حدث اختلاف بين الاساقفة في من يخلفه ولكنهم عادوا واتفقوا على تقديم الاب شنوده من رهبان دير ابي مقار وأصله من البتتون واتفق انه دخل الكنيسة فجأة في وقت تلاوة القداس وكان الكاهن يقول « مستحق وعادل » فسر الشعب لهذا الاتفاق واعتبروه صوتا سماويا يزكى الاب شنوده فاجروا تكريسه في ١٣ طوبه في السنة التي توفي فيها سلفه في عهد خلافة المتوكل في كنيسة القديس ابي سرجه

وكان هذا البابا عالما تقيا فحالما استلم عصا الرعاية سعى جهده في ملاحاة البدع وابادة الهرطقات من بين المؤمنين . وكان اهالى قرية في مريوط لا يزالون متمسكين ببدعتى ابوليناريوس واوطاخى فسار اليهم وأرشدهم الى الاعتقاد الصحيح حتى أتى بهم الى رأى الصواب ثم قصد الوجه القبلى ليفتقد رعيته فوجد نصارى البلىنا قد خرجوا على اسقفىها واعتنقوا بدعتى سابلوريوس وفوتىوس اللذين كان يعتقدان بالآلام لاهوت المسيح وقت الصلب فأخذ يقنعهم من أقوال الالباء القديسين بخطأ اعتقادهم وطلب منهم الانقياد لاسقفىهم اللذين حادوا عن تعليمها ولبث يرشدهم حتى عادوا الى حضن الكنيسة

غير أنه في عهد الخليفة المنتصر تولى مصر يزيد بن عبد الله سنة ٨٦١ م وكان هذا الوالى ظالما قاسيا فأتى بالبابا شنوده اليه وأمره أن يدفع له خمسة آلاف دينار وقرر عليه أن يقوم بدفع مثل هذا المبلغ سنويا . ولما أدرك البابا شنوده أنه ليس في طائفته القيام بدفع مثل هذه الضريبة الفاحشة

لاذ بالهروب واختفى فى أحد الاديرة البعيدة . ولما لم يعرف الوالى مقره شرع ينهب الكنائس ويسلب الكهنة ويهين الرعية فلما سمع البطريرك بان أولاده يعذبون مضى الى الوالى وسلم نفسه له فداء لراحتهم فأمسكه الوالى وشدد عليه ليدفع سبعة آلاف دينار منها أربعة آلاف خراج الكنائس مدة سنتين وثلاثة آلاف خراج الرهبان سنة واحدة فأخذ الاساقفة والقسوس يجدون فى جمع هذا المبلغ من الشعب ليقوموا بدفعه ولكنهم لم يتمكنوا الا من جمع اربعة آلاف دينار قدموها للبطريرك فسلمها للوالى وتعهده له بدفع مثلها سنويا اذا عفى عنه فقبل وأطلقه .

وبعد ذلك بقليل أستولى على كرسى الخلافة المعتز بالله سنة ٨٦٦ م فانتخب البطريرك رجلين من كبار الاقباط المعتبرين من الشعب وهما الارخن ساو يرس والارخن ابراهيم وأوفدهما الى الخليفة ليبسطا له ما ذاقته مصر من المر والعلقم لجور ولائها وظلم حكامها ويرجوا بان يرحم بلادهما و يقيم فيها نصاب العدل والشفقة ودعا لهما البطريرك بالتوفيق فلما مثلا بين يدى الخليفة أحسن أستقبالهما وأجاب مطلبهما وأعطى لهما أمرا يقضى بان جميع الاراضى والكنائس والاديرة وأوانى المذبح التى سلبت منهم أيام التعدى والاعتساف ينبغى أن ترجع اليهم ثانية فجاء الرسولان الى البابا شنوده بذلك القرار فكتب منه عدة صور أرسل لكل أسقف فى القطر المصرى صورة منها طالبا منهم أن يشكروا الله على هذه المنحة العظيمة و يقدموا الشاء الواجب للخليفة .

وقد أنجز هذا البطريرك أصلاحات عديدة فى القطر كانت البلاد فى حاجة شديدة اليها ومن أعماله المبرورة أنه انتزع عهد الراحة فى ولاية مزاحم فاشتغل بتوصيل المياه الى مدينة الاسكندرية فى قناة بنى لها صهريجا مرتفعا فى المدينة ومد منه المواسير والمجارى الى المنازل والمساكن فصار سكان الاسكندرية يشربون ماء زلالا أفضل من مياه الوقت الحاضر وعمت بواسطة هذا الخليج المياه لسقى الاراضى فكانت سببا فى زيادة الخصب والنماء

وقد ميز الرب هذا البابا بأن أجرى على يديه آيات وعجائب ومنها أنه حدث فى أيامه شرق عظيم بسبب عدم نزول الامطار فجاء اليه الكثيرون فى ليلة أحد الاعياد وهم يشتكون من قلة المياه التى كادت تدفعهم هم ومواشيهم الى الخطر وطلبوا منه أن يطلب من الله لكى يمنع عنهم هذا البلاء فلما بدأ الصباح احتفل بالعيد وفى حال تقديم الاسرار الربية توسل الى القدير ان يفرج كرب شعبه فلم يكادوا يخرجون من الكنيسة حتى فتحت السماء طاقاتها وهطلت الامطار والجميع بفرح يجدون الله

وحدث فيما بعد لما استتب الملك فى مصر لاهم بن طولون انه أخذ ينظر الى البطريرك القبطى نظر النفور والكراهة لتوهمه بانه فى أمكانه أن يقاومه ولذلك كان يتحين الفرص المناسبة لاضطهاد الاقباط الى ان رأى ما يبرر تداخله فى شئونهم عندما قام شماس قبطى خائن وطلب من البطريرك ان يرسمه اسقفا .

وقدم له رشوة مقابل ذلك فوبخه البابا شنوده على تصرفه الرديء رافضا رشوته متوعدا اياه بتجريدته من رتبة الشموسية اذا لم يكف من عمله السيء

فأراد الراهب ان ينتقم لنفسه فاغرى راهبا سوريا بقليل من المال اعطاه اياه لكي يعترف بانه البطريرك امام ثلاثة شهود من المسلمين لا يعرفون البطريرك ذاتيا وكتب له امامهم صكاً بانه أقترض منه مبلغا جسيما جدا يدفعه له بعد مدة . وبعد ذلك عزم الشماس على تقديم السند للقاضي ليخلص له حقه من رئيسه غير أنه قبل ان يتم عمله شعر به كبار المستخدمين الاقباط فاخطرُوا البطريرك بالامروفي الحال استدعى لديه أحد اعيان المسلمين المعروفين بالشرف والصدق وطلب منه أن يحضر أمامه الثلاثة الشهود من المسلمين حتى يميزوه من بين الجالسين ان كانوا يعرفونه فلما حضروا لم يستطيعوا تمييزه واعترفوا انه ليس هو الشخص الذي شهدوا عليه ومن ثم علمت الحقيقة وكيف دبر ذلك الشماس المكيدة ليوقع ببطريركه . ولما رفع الشماس دعواه وطلب البابا شنوده امام القاضي طلب الشهود ليقرروا الحقيقة فما وقع نظرهم على الشماس حتى اخذوا يوبخونه على وقاحته المتناهية فاتشح بالخرى وندم على ما فعل مستغفرا رئيسه

وقد نسج كثيرون من المسيحيين بالاسم على منوال ذلك الشماس فكانوا يتهمون اخوانهم تهما باطلة حتى ينالوا حظوة لدى الولاة المسلمين الذين كانوا يتذرعون بتلك الوشايا الكاذبة الى اضطهاد الاقباط فادعى راهب على البطريرك أنه يعرف علم الكيمياء وعنده من الذهب والفضة ما لا يحصى ومن ذلك ان راهبا من اعمال البشمور قدم لابن طولون شكوى كاذبة يدعى فيها ان بطريرك النصارى يجمع الاموال بطريق الاختلاس وبيذرها . فقبض الوالى عليه مع رهط من اساقفته وغللهم بالقيود وساقهم الى بابليون مصر حيث خلع عنهم ملابسهم الكهنوتية وألبسهم ثيابا قذرة واركبهم على دواب بدون براذع وامر ان يطاف بهم فى الشوارع ليكونوا موضوع سخريه وهزاء الناظرين . بعد نهاية هذا التحقير وضع البطريرك فى سجن لبث فيه شهرا كاملا وهو يتعذب من مرض المفاصل ثم أتى به امام الوالى فلم يستطع المبلغ الكاذب ان يثبت تهمة واشتد غيظ الاقباط عليه وقصدوا ان يفتكوا به فاسرع وطرح نفسه تحت قدمى البطريرك ملتصقا منه العفوعما نزل به فعاملة البطريرك معاملة المسيحي الحقيقي وصرح له بصفحه عنه وبرهن على ذلك بان أعطى له مبلغا من المال واركبه جملا يصل به الى بلدته ووهب له ثلاث حلل ثياب واطهر له منتهى اللطف حتى عنفه وكيه على هذا اللين المتناهى الغير المحمود لشخص لا يستحق سوى القصاص الشديد . وقد صدق ظن هذا الوكيل فان ذلك الراهب رجع الى شره وعمل على اضطهاد المسيحيين وذهب الى الاسكندرية وشرع يضطهد التجار والمسافرين فرفعوا أمره الى الحاكم وثبت له صدق شكواهم فأمر بضربه باعصاب البقر حتى تمزق لحمه وقضى عليه من تأثير الضرب

وادعى راهب آخر بما هو أعظم من جميعه بقوله أن البطريرك أغتصب بعضا من المسلمين وردهم عن الاسلام جبرا وحدهم نصارى ثم صيرهم رهبانا ولكي يؤكد للوالى صدق قوله طلب منه

أن يسير معه جندا الى إحدى الاديرة ليحضر منها من كان مسلما ثم اكرهه البطريرك على النصرانية والرهبنة ولما وصل الى الدير أخذ يملق بعض الرهبان ليجذبهم اليه فلم يوافقوه فأمر الجند بالقبض عليهم واتوا بهم الى الوالى فاقام الرهبان الادلة القاطعة على انهم مسيحيون اولاد مسيحيين وكان هذا الراهب يكره راهبا آخر من دير ابي يحنس فأكد للوالى انه كان مسلما فاستحضره وجلده بالسياط ليعترف بذلك ولما رأى اصراره ارسل الراهب الشرير مع بعض الجنود الى البطريرك ليأتوا به اليه حتى يدافع عن هذه التهمة فبينما كان الراهب بقلاية البطريرك وقع بصره على بعض صناديق فتوهم انها مملوءة مالا فاحضرها لدى الوالى ولكنها لما فتحت وجدت مملوءة بنسخ قديمة بخط اليد ذات اهمية كان البطريرك مولعا بجمعها فلحق الراهب الخجل ولذلك اتهم تلاميذ البطريرك بانهم سرقوا الاموال التى أحضرها فبدأ الوالى يحقق هذه التهمة الجديدة ولكن البطريرك أثبت براءة تلاميذه و بين فساد التهمة الموجهة ضده موضحا بان دخله لا يكاد يكفى نفقاته التى ينفقها دوما على الكنائس دون ان يدخر شيئا له .

فصدق الوالى واشتد غيظه على ذلك الراهب النمام وصرف الرهبان الذين اتهموا بانهم كانوا مسلمين الى اديرتهم وافرج عن البطريرك وحاشيته وضرب على ذلك الراهب الكاذب غرامة جسيمة الزمه بدفعها

وهكذا استمر اشرار الرهبان الذين كانوا يسعون لبث الفتن لعدم موافقة الالباء على تقليدهم الوظائف الدينية العالية لعدم لياقتهم رغما عن المبالغ التى كانوا يعدونهم بنقدها وآخر تلك الحوادث ان راهبا طاعنا فى السن اتفق مع بعض اليهود على تجديد اضطهاد النصارى فاخذوا يطوفون ليهيجوا المسلمين عليهم فى كل مكان متذرعين بالتهمة المقدمة وهى انهم يسعون لرد المسلمين الى المسيحية فقام عليهم المسلمون يقتلون الكثيرين منهم و ينهبون اموالهم ثم أوقعوا بالبطريرك واساقفته واجبروا الحاكم على اضطهادهم

وكان البابا شنوده قد اعتاد هو وبعض الاكليروس والشعب ان يتوجهوا سنويا الى دير أبى مقار فى برية شيهات قبيل عيد الفصح . وحدث فى إحدى السنين ان العربان الذين كانوا يملأون تلك البرية تعدوا على المسيحيين ونهبوا متاعهم ولم يقفوا عند هذا الحد بل هجموا فى يوم الخميس الكبير على الدير حال ازدهامه بالمسيحيين لكى ينهبوهم ويخربوا الدير فاستولى الخوف الشديد على الرهبان والشعب وانزعجوا جدا عندما رأوا خطر الموت يفد اليهم فرفعوا أصواتهم بالبكاء والنحيب و بينا هم كذلك تقدم الياشا شنوده بشجاعة وخرج بعكازه الى العربان الهائجين دون أن يمنعه استعطاف أبنائه كى لا يخرج وتقدم الى الاشرار وطلب منهم أن يأتوا اليه ليقتلوه فلما رأوا منه هذه البسالة وتطلعوا الى هيئته الموقرة رجعوا الى الوراء تاركين الدير ولما أظهر الرهبان خوفا من قيام العربان عليهم مرة أخرى ابتنى لهم فى كل دير حصنا منيعا

وبالجملة كانت حياة البابا شنودة مملوءة بجلال الأعمال واستمر مجاهدا على كرسى البطريرك ١١ سنة و ٣ شهور و ١٨ يوما ورقد بالرب فى ١٤ برمهات سنة ٥٩٧ ش و ٨٦٩ م

(٨) ميخائيل ١ - البطريرك السادس والخمسون : أقرت اراء جميع أبناء الطائفة والاساقفة بعد نياحة البابا شنودة على اختيار الاب ميخائيل خلفا له وكانت رسامته فى شهر برمودة فى نفس السنة التى توفى فيها سلفه فى عهد خلافة المعتمد بن المتوكل ولم يتعرض لرسامته أحمد بن طولون لانشغاله فى الحرب مع ابنه . فقد كانت عادة الولاة التعرض للشعب فى تنصيب بطاركة عليهم رغبة فى سلب أموالهم . ولما رأى البابا ميخائيل الجوصافيا أمامه نهض الى تعمير الكنائس التى تهدمت فى ابان الاضطهاد وتشيد بعضها مما أزيلت معالمه . وكانت فاتحة أعماله عقب رسامته بقليل قبوله دعوى تلقاها من مسيحيين دنوشر من أعمال سخا يطلبون منه الحضور مع الاساقفة لتدشين كنيسة بنيت باسم مار بطلومايس الشهيد . وفى صباح اليوم الذى عين لتكريس هذه الكنيسة سار البطريرك مع الاساقفة وكثير من الشعب الى الكنيسة للقيام بالفروض الدينية ولكنهم لم يجدوا أسقف الكنيسة فأخذ البطريرك فى اتمام الخدمة الدينية مع اساقفته حتى انتهى الى رفع القرايين بدون ان ينتظر قدوم ذلك الاسقف وبعد تقديم الحمل وحال تلاوة صلاة الشكر دخل اسقف سخا المشار اليه وهو ممتلىء غيظا لان البطريرك تعدى على حقوقه ورفع القرايين فى ابروشيته وكنيسته بدون اذن منه . ثم سار نحو المذبح وامسك القربانة وطرحها فى الارض وخرج غاضبا ولم تكن تلك القربانة قد تقدست بعد فاستبدلها البطريرك بغيرها وتمم القداس واعطى البركة للشعب

وفى اليوم التالى عقد البطريرك مجمعا من الاساقفة الذين شاهدوا تلك الحادثة وأجمعت الآراء على قطع ذلك الاسقف الشرير واقامة آخر بدله فكان ذلك مدعاة لزيادة التهاب حرارة الغيظ فى نفس الاسقف وأراد أن يكيد لرئيسه فتوجه الى أحمد بن طولون وكان حينئذ على أهبة القيام الى سوريا للحرب وفى احتياج للاموال للصرف منها على الجيش فلما علم بذلك الاسقف المعزول ذهب اليه وأخذ يهون الامر عليه قائلا ان بطريرك الاقباط عنده من الاموال والثروة ما يكفى لهذه النفقات وما هو أكثر منها وان مثله لا يحتاج لغير القوت واللباس وانه لا يتأخر عن المساعدة ببعض ما عنده لو طلب منه ذلك فشكره ابن طولون واستدعى اليه البطريرك حالا وقال له « أنت تعلم ان مساعدتنا للخليفة بالرجال والاموال أمر واجب ولا يخفى عليك الحروب القائمة علينا بسوريا واستعدادنا للقيام بها واحتياجنا للنفقات وقد علمت أنك ذو ثروة وافرة ومثلك لا يحتاج لغير الطعام واللباس وقد استدعيتك بالاكرام لتدفع لى بطيب خاطر ما لديك لمساعدتنا فتحظى من الخليفة بالرضا ومنى بالمنة الجزيلة » فعلم البطريرك ان هذه مكيدة محبوكة فأخذ يحتج ويدافع عن نفسه مبرهنا للوالى كذب التهمة التى وجهت اليه من ذلك الاسقف الخائن . ولكن ابن طولون لم يقبل منه اعتذارا وطلب منه أن يسلمه جميع الأواني الذهبية والفضية الموجودة فى الكنائس القبطية فى القطر المصرى وكل معدن يمكن تحويله الى نقود فرفض البطريرك هذا الطلب

بتاتا معتذرا بأن هذه ملك لله لا له ففي الحال قبض عليه وزجه في السجن مع شماس له يدعى ابن المنذرو قد بقي هذا البطريرك المسكين سنة كاملة في السجن .

وكان في معية ابن طولون اثنان من كتبة المسيحيين مقربين اليه احدهما يدعى يوحنا والآخر موسى فاجتهدا في انقاذ البطريرك بالاتحاد مع وزير الوالي احمد بن المارديني . وكان لهذا الوزير كاتبان في ديوانه وهما يوحنا ومقار ابنه فوقعا عليه وطلبا منه أن يكشف للحاكم حقيقة الامر ويسعى في اطلاق سراح البطريرك تلقاء مبلغ يقدمونه له فداء له وللكنائس . ولما علم ابن طولون أن السجن والموت لا يرعبان البطريرك ولا يحملانه على تسليم أواني الكنائس قبل وساطة وزيره بشرط أن يضمن كاتبان البطريرك ليدفع عشرين ألف دينار فاضطر البطريرك البائس حبا في خلاص أبنائه من شقاء يحيط بهم واضطهاد يقع فوق رؤوسهم أن يكتب صكا على نفسه متعهدا بدفع المبلغ على قسطنطين ريثما يتمكن من جمعه من أبنائه وكان عليه أن يدفع النصف بعد شهر والنصف الآخر بعد أربعة شهور .

ولما حان ميعاد القسط الاول دفع أولئك الكتاب الفى دينار وتبرع الوزير بألف واقترض البطريرك من التجار المسلمين سبعة آلاف فصارت الجملة عشرة آلاف سددها لابن طولون وأخذ بعد ذلك يجتهد في الجمع ليفى دين التجار من جهة و يسدد القسط الثانى من جهة أخرى فقرر على كل أسقف مبلغا وافرا ولكن كل ذلك لم يكف فجعل يزيد من الضرائب على أبناء الكنيسة وفرض على كل راهب دينارا فلم يف ذلك أيضا بالمطلوب . ولما ضاق به الامر بدأ يبيع بيوتا موقوفة للكنائس وأراضى خارج الفسطاط كان يسكنها جماعة من الاحباش وأضاف ثمنها الى المال الاصلى فظهر ان كل هذه المبالغ زهيدة بجانب المطلوب فضلا على أن الاربعة الاشهر المضروبة لدفع نصف الغرامة الثانى كانت قد مرت مر السحاب فوقع البطريرك فى يأس وقنوط ورأى الموت المريع أمام عينيه ولكن كل خوفه كان فى حياة يوحنا الكاتب وابنه اللذين ضمناه على تسديد الغرامة .

فاضطرتته الحالة القصوى الى رسم عشرة أساقفة على عشرة ابروشيات كانت خالية حينئذ مقابل مبلغ دفعه كل واحد منهم . وقد تألم البابا ميخائيل اشد الالم غير أن عذره واضح حيث انه لم يأخذ لنفسه شيئا مما جمع بل دفع تلك النقود لرفع ضيم واضطهاد كان وقوعهما محتما على أمته كما أنه لم يقل أحد من المؤرخين ان البابا ميخائيل كرس أسقفا غير كفؤ لانه قدم ذهباً وفضة (١)

(١) قالت المؤرخة الانكليزية مدام بوتشر : — « ولا يغرب عن ذهن اللبيب ان اساقفة الاقباط قديما دفعوا تلك المبالغ فدية لكنيستهم ولكن اساقفة الكنيسة الانكليزية الذين يتمتعون بالسلام والامن فى ظل حكومة ملك مسيحي لا يزالون يدفعون الى يومنا هذا مبلغا لا يقل عن ٣٠٠ جنيه يؤدونها ضريبة للحكومة ولرئيس الاساقفة يوم رسامتهم » أهـ (٢ : ٢٧٤)

وقد انتهز اليهود هذه الفرصة وأخذوا يسامون البطريرك على كنيسة للاقباط كانت قد خربت وتهدمت ولم تكن تؤدي فيها خدمة فاضطر البطريرك أن يبيعها إياهم ولم تزل تحت يدهم الى يومنا هذا (٢) وباعهم أيضا أرضا بالبساتين لدفن موتاهم بها . ثم عمد الى طريقة أخرى يجمع بها بعض المال وهي تأجير مقاعد خاصة بالكنائس للاغنياء . ولما لم يكن كل ذلك كافيا للسداد رأى ان يسأل المشرفين على ادارة كنائس الاسكندرية لكي يبيعوا النقوش والزخارف الموجودة في كنائسهم ويرسلوا له ثمنها ليدرأ به آلام الاضطهاد . فقاومه اكليروس الاسكندرية مقاومة شديدة ولكنهم لما رأوا ضيقته رضوا بشرط أن يؤدي هو وخلفاؤه ألف دينار كل سنة لكنائس الثغر الاسكندري

وبعد ذلك كله وجد البابا ميخائيل أن جميع ما تحصل عليه أقل من المطلوب فانطلق الى تانيش وهو في حيرة كبرى وبينما هو كذلك وافى راهب الى تلاميذه بثياب بالية وقال لهم قولوا لمعلمكم ان الرب يمزق عنه صك الغرامة بعد أربعين يوما . قال هذا واختفى عنهم وحاولوا بعد أن أخبروا البطريرك أن يجدوه فلم يقفوا له على أثر . ولم تمض الاربعون يوما حتى مات ابن طولون وخلفه ابنه خاروية فطبيب خاطر البطريرك ومزق صك الغرامة وأطلقه مكرما معززا

وقد استمر البابا ميخائيل على الكرسي البطريركي مدة ٢٥ سنة وشهر واحد و٩ أيام وتوفي في ٢٠ برمهات سنة ٦٢٠ ش و ٨٩٤ م

(٢) كان ببابليون كنيس لليهود بنى قبل خراب اورشليم للمرة الثانية بنحو ٤٥ سنة ولما ظهرت المسيحية بمصر اعتنقها اغلب اليهود وتحول الكنيس الى الكنيسة . ولما حدث الانشقاق بين الكنيسة القبطية واليونانية استولى الملكيون على تلك الكنيسة وبقيت في حوزتهم حتى أنقضوا في الجيل التاسع فاستولى عليها القبط ولما رأى اليهود ضيقة البابا ميخائيل وحاجته الى المال ليسدد غرامة ابن طولون استأجروا منه هذه الكنيسة لمائة سنة وقيل أنهم اشتروها وعلى كل حال فهى في يدهم الى الان ويعتبرونها من اقدس الاماكن اذ يزعمون ان فيها قبر ارميا النبي

القسم الثانى المملكة والكنيسة

- (١) سرقة أهالى البندقية لجسد القديس مرقس
(٢) خلافة المأمون
(٣) المتوكل وابنه المنتصر
(٤) المستعين وغيره
(٥) المعتز
(٦) أحمد بن طولون

(١) سرقة أهالى البندقية لجسد القديس مرقس :

لبث خلفاء مار مرقس ينتخبون على قبره وكذلك ظلوا مدة الثلاثة قرون الاولى يدفنون بجانبه . وشهد السنكسار (٤ أبيب) أن كنيسة القديس مرقس ببوكاليا لا تزال تضم جسده فى القرن الخامس وشهد أيضا بأنه كانت هناك كنيسة أخرى جنوبى الاسكندرية باسم القديس مرقص أيضا . وقد ظلت كنيسة بوكاليا قائمة للقرن السابع ثم خربت على يد العرب . ثم صغرت تلك الكنيسة وأطلق عليها اسم « الكنيسة التى تحت الارض »

قال أبو المكارم المؤرخ « لما حصل الخلاف فى الايمان الارثوذكسى بمدينة خليكدون سنة ٤٥١ م طلب الملكيون ان تقسم كنائس بينهم وبين القبط فاختص الملكيون بالكنيسة التى تحت الارض والتى ابقى بها جسد الرسول واختص القبط بالكنيسة الاخرى الجنوبية التى نقل اليها رأس الرسول فما كان من الافرنج الا أن سرقوا هذا الجسد بوضعه فى عمود مجوف من الرخام ولما وصلوا بغنيمتهم الى البندقية قابلهم أهاليها بفرح عظيم وجعلوا جمهور يتهم الحديثة تحت حماية الاسد المرقسى لما كان لمرقس الانجيلى من المآثر بايطاليا » أهـ

ووجدت قطعة فى أحدث الكتب التاريخية البولندية وهى تخبرنا عن كيفية سرقة أهالى البندقية لجسد الرسول مرقس وهالك ملخصها :

« الامبراطور ليون الارمنى الذى حكم من ٨١٣ الى ٨٢٠ منع رعيته من معاملة مدينة الاسكندرية تجاريا نظرا لامتلائها وقتئذ بالمسلمين أعداء اليونانيين واللاتينيين . ومع ذلك فبعض التجار البندقيين كانوا ملزومين بحكم العواصف والرياح أن يلتجئوا الى ميناء الاسكندرية ليمضوا فيها بعض الزمن الى أن يتمكنوا من استئناف المسير وفى ذلك الحين عزم سلطان مصر على تشييد قصر فخيم له فى قاعدة ملكه فأمر برفع العمدان والواح الرخام المزينة بها الكنائس وباقى الآثار ليقيمها فى قصره وقد هدمت كنيسة مار مرقس الموجودة ببوكالى القريبة من شاطئ البحر كغيرها

وأخذت أعمدتها وأحجار الرخام الموضوعة بها حول قبر الرسول وأرسلت الى مصر رغما من معارضات وتوسلات البطريرك واكليروس المدينة وفي هذه الاثناء فكر التجار البندقيون في مشروع خطير وهو أخذ بقايا القديس الذى هو عندهم موضع احترام وتبجيل كى يذهبوا كل يوم للسجود أمام قبره ولما رأوا أن فى استعمال القبوة هياج الشعب المسيحى ضدهم عزموا على ارشاء حراس قبر القديس بقولهم ان بقاياہ ستحفظ فى بلد مسيحية وتكون موضع احترام وتعظيم ساكنيها بدلا من تركها فى بلدة قد لا تمكث بها طويلا بل تلعب بها أيدي الكفرة وأما عندهم فيمكنهم أن يحرصوا فى المحافظة على بقايا القديس حيث تكون فى مأمن من كل طارئ وقد اقتنع الحراس بهذه الوعود والاقوال وسلموا بقاياہ الى هؤلاء التجار ووضعوا جثة أحد القديسين مكانها فأقلع البندقيون بالجثة الى ايطاليا ولكى يخلصوها من العمال المسلمين وضعوا فوق الصندوق قطعة من لحم الخنزير الذى تحرمه الشريعة الاسلامية . ولما وصلوا الى البندقية عرضوا الجثة على حاكم المدينة الذى وضعها فى كنيسة قصره ريثا يتمكن من تشييد معبد يليق بهذا القديس العظيم . ومن ثم أستعدت تلك المدينة بامتلاك تلك البقايا المقدسة و يتخذ أهالى البندقية مارمرقس نصيرا لهم و يعتقدون انه سبب سعادة جمهوريتهم ويحيون ذكرى ذلك النقل فى أول فبراير» أهـ (١)

ولقد يوجد بالبندقية نسخة أصلية يونانية من أنجيل القديس مرقس يقال انهم أخذوها بين سنة ١٤٥٢ م و ١٤٧٢ م ووجود هذه النسخة الاصلية باللغة اليونانية مما يكذب ادعاء الغربيين أن مرقس الرسول كتب انجيله برومية باللغة اللاتينية و يثبت انه كتب فى مصر باللغة اليونانية ومنها نقل الى القبطية.

(٢) خلافة المأمون سنة ٨١٣ م

وبعد موت هارون الرشيد وقع خلاف بين ابنيه وقام كل منهما يطالب بالخلافة فانتهر مسلمو الاندلس هذه الفرصة وهجموا على مصر . وكثيرون من الاقباط الذين اخناهم الذل ساعدوا الاندلسيين على أخذ الاسكندرية ولكن مسلمى الاسكندرية قاوموا الاندلسيين واشتبكت الحرب بين الفريقين مدة أطلق فيها البغاة أيديهم لسلب ونهب الاقباط فهجموا على البيوت والمنازل فنهبوا ثم دمروا الكنائس ومنها كنيسة المخلص واغتصبوا ما فيها من الامتعة وسلبوا الاوانى المقدسة وأثموا بالمقادس . وغارت قبائل العرب على وادى النطرون فأخربوا أديرتة ونهبوها وفتكوا برهبانها وطردهم فلم يبق منهم الا القليل . وآلت ولاية مصر بعد ذلك لرجل اسمه عبد الله بن طاهر فأباح لجنوده نهب الاديرة واحراق الكنائس والتمثيل بعابديها

(١) الناشر : وقد نقلت رفاة الى مصر فى عهد البابا كيرلس السادس فى ٢٤ يونيه سنة ١٩٦٨ م

واستقل المأمون بن الرشيد فيما بعد الخلافة وولى مصر اخاه المعتصم فوكل عنه عمر بن الوليد فغار وجار فقام الاقباط بثورة تعتبر آخر ثوراتهم قاصدين بها التخلص من النير الاجنبى الثقيل . فامتنع أهل الوجه البحرى عن دفع الخراج فكان بينهم وبين عساكر الوالى حروب هائلة قتل فيها من الفريقين خلق كثير وقتل عمر فاستخلف مكانه الجلودى واقتدى اقباط الصعيد بأهل الوجه البحرى فأصبحت البلاد جميعها فى حالة فوضى فقدم اليها المعتصم بأربعة آلاف جندى وقتل أهل الحوف . واستمر الاقباط ثائرين وأخرجوا العمال لسوء سيرتهم والولاة يوقعون بهم و يقتلون ويأسرون حتى بلغ خبر الثورة للخليفة المأمون فقدم الى مصر وشاهد ظلم الولاة فسخط على عيسى وحل لواءه وأخذ بلباس البياض عقوبة له وقال له « لم يكن هذا الحدث الا من فعلك وفعل عمالك حلمت الناس ما لا يطيقون وكتمت الخبر حتى تفاقم الامر واضطربت البلاد »

ثم حمل المأمون على البشموين بعساكره فشنت شملهم وفرق جمعهم ودخل بلادهم وقتل رجالهم وسبى نساءهم وأطفالهم وسلب أموالهم وهدم كنائسهم وبالجملة لم يبرح تلك الجهة حتى خرب منازلهم وجعل بلادهم العامرة اطلالا بالية ومن ثم ذلك القبط ولم يتجرأوا فيها بعد على المقاومة . وكان المسلمون فى اثناء قيام المأمون باخضاع الثائرين الاقباط يطوفون فى البلاد لينتقموا منهم فقتلوا كثيرين ونهبوهم وأخذوا عدد كبيرا منهم وباعوهم كالحیوانات حتى اضطرت الطبقة السفلى الى اعتناق الدين الاسلامى هروبا من تلك الفواحش التى كانت ملمة بهم . فأخذ عدد الاقباط يقل حتى صار أقل من عدد المسلمين . وقبل هذا الزمن كان المسلمون لا يوجدون الا فى الجيش أو فى المدن الكبرى فامتلاّت بهم حتى القرى الصغيرة لاعتناق ربع سكان القطر المصرى الديانة الاسلامية وهؤلاء صاروا يفلحون أراضى اخوانهم الاقباط الباقين على دينهم و يغتصبونها منهم وبذا زاد عددهم وقويت شوكتهم

وحدث فى أثناء وجود المأمون بمصر ان مربية طأ النمل ولم يشأ أن يعرج عليها لصغرها فخرجت خلفه عجوز قبطية وطلبت منه أن يشرف قريتها فلبى دعوتها وقامت العجوز وولداها بتقديم طعام فاخر له وجنوده حتى استعظم ذلك ولما أصبح الصباح وعزم المأمون على الرحيل حضرت اليه العجوز ومعها عشر وصايف فى يد كل وصيفة طبق عليه كيس من ذهب مطبوع فى عام واحد فاندesh المأمون وطلب منها أن تعيد ذهبها فأبت وقالت له لا تكسر قلوبنا ولا تحتقرنا . ولما سأها من أين لك كل ذلك تناولت قطعة طين وقالت له « ان هذا الذهب من هذا الطين . ولا تنس عدلك يا أمير المؤمنين » فأعجب بها وبسعة حالها وقبل هديتها وأقطعها عدة ضياع ووضع عنها خراج مائتى فدان

ومكث المأمون بمصر مدة شهرين حتى نظم أحوالها ومن ثم برحها الى بغداد فبلغه أن الدواوين صارت على خطة لا يرضاها من حيث قبول الزيادات فى الاراضى ونزعها من يد من

كابد مشقات وتحمل نفقات جسيمة فى اصلاحها وتسليمها لمن يدفع الزيادة من غير كلفة ولا تعب فأصدر أمره بعدم قبول هذه الزيادات مادام يكون الناس قائمين يدفع ما عليهم من الاموال

(٣) خلافة المتوكل سنة ٨٤٧ م وابنه المنتصر سنة ٨٦١ م

ولى الخليفة المتوكل على مصر ابنه المنتصر وكانا كلاهما يبغضان الاقباط ومع انها كانا يشعران بشدة الحاجة اليهم فى انجاز الاعمال الهندسية والحسابية والطبية وغيرها الا انها عاملاها بالقوة والجور قاصدين أن يغيرا هيئة مملكتها بحوهم فاضطر الاقباط الى الاهمال فى واجبات دينهم وتراخوا فى خدمة الحكومة

و بلغت الاستهانة بالاقباط الدرجة التى لم يكتفوا فيها بأن يهبوا حجارة الرخام والمرمر الموجودة فى كنائسهم ونقلها الى بغداد لتوضع فى قصور الخليفة بل قاموا الى مدافنهم فى القطر ونبشوا قبورهم التى كانوا يعنون بتشبيدها وأزالوها ولم يبقوا فيها حجر على حجر

واستمر الخليفة المتوكل يصدر أوامر ضد جميع المسيحيين المقيمين فى مملكته خصوصا فى مصر راغبا ازعاج خاطرهم وتكدير صفوفهم . ومنطوق تلك الاوامر يفيد على انه قصد بها اذلال شأ المسيحيين و اضعاف حميتهم . فالنساء فى ذلك الحين كن يلبسن المناطق والاحزمة والحبيصات حبا فى الحشمة والتواضع فصدر أمر المتوكل بمنعهن عن لبس ما تعودنه والزام الرجال بلبس الطيالس العسلية وشد الزنانير وأن يخطط كل رجل على ثيابه قطعتين طول الواحدة أربعة قراريط ولون كل واحدة تختلف عن الاخرى ولون الاثنتين يخالف لون الثياب . أما النساء فاذا أردن الخروج يتنقبن ببرقع عسلى اللون وهو ما كان خاصا بالبغيات . وحظر على النصارى أيضا أن يركبوا سوى البغال والحمير الحقيمة ببراذع قذرة عليها علامة خاصة و يعملوا كرتين فى مؤخرة البرذعة والركابات تكون من خشب واللجام قطعة من حبل

وأمر الاقباط أيضا بأن يجعلوا على أبواب دورهم صور شياطين وقرود من خشب ومنعوا من اشعال النور فى احتفالاتهم أو أعراسهم وأن لا يطبخوا طعاما على مرأى من الناس كما جرت عادة الفقراء فى كل بلاد المشرق وأن يساوا قبورهم بالارض وحجر عليهم استعمال الصليب المقدس فى أحد الشعانين وأمر بهدم كنائسهم المحدثه وأخذ العشر عن منازلهم

ثم بعد ذلك بأربع سنين أمروا أن يلبسوا دراعيتين على الدرازيع والاقبية ونشر الخليفة أوامره هذه فى كل الاماكن فذل الاقباط ذلا عظيما ولم يعودوا يرفعون رؤوسهم وأسلم منهم عدد لا يحصى والذين لم يسلموا كان كثيرون منهم لا يقوون على التظاهر بالمسيحية وكانوا اذا اجتمعوا للصلاة لا يستطيعون رفع أصواتهم بل يصلون بأصوات ضعيفة حتى لا يسمعها المسلمون فيهمجون عليهم و يندسون مقادسهم و يطردون من فيها و يهبونها ويخرّبونها

وفد صجر الاقباط من كثرة توالى تلك الاوامر الصارمة ولا سيما لبس الرجال المنطقة التي كانت خاصة بالنساء فكان الاساقفة يبذلون جهدهم ليحملوهم على الخضوع لهذه الاوامر حقنا للدماء وأفهموهم ان لبس المنطقة حتى فى اوقات الصلاة من دلائل الحشمة ولكى لا يجعلوهم يزددون بزكوب الحمير قالوا لهم بأن السيد المسيح نفسه ركب جحشا وأن الخيول للمتكبرين ولا تستعمل الا فى الحروب

وبعد ذلك صدر أمرا أكثر قساوة وهو عدم الاستعانة بالاقباط فى أعمال الحكومة فرفت منهم كثيرون وانحط بذلك شأن عائلات كثيرة أصابها الفقر المدقع . ولم يقف الامر عند هذا الحد فصدر أمر يراد به القضاء على المسيحية فى مصر وهو ابطال الصلاة على كل ميت واغلاق جميع الكنائس فلا تؤدى فيها خدمة واستئصال جميع الكروم ومنع بيع النبيذ حتى لا يجد الاقباط خرا لا تمام سر الافخارستيا . ويقول المؤرخون « وقد نفذ هذا القرار الاخير بالدقة حتى صار من المستحيل ايجاد عنب أو نبيذ فى جميع أنحاء القطر المصرى . الا أن الكهنة الذين كانوا لا يهابون الموت لم يكفوا عن تأدية هذا السر المقدس وكانوا يبذلون قصارى جهدهم ليحصلوا على الخمر من خارج القطر المصرى . ولكن هذا العنب كان ينشف حين وصوله لمصر و يصير زيبيا فيضعه الكاهن فى الماء برهة ثم يعصره قبل أن يختمر لعدم وجود وقت كاف . ومن ذلك الحين صار الاقباط يستعملون على الدوام نبيذا غير الخمر للمناولة » أهـ

وفى نحو سنة ٨٥٢ عزم الرومانيون على استرداد مصر من يد العرب فسارت جيوشهم واحتلت دمياط وكان عملهم هذا آيلا الى ضرر مسيحيى مصر والاقباط منهم بنوع خاص فضايقهم الوالى خوفا من أن يقوموا بمساعدة للرومانيين اخوتهم فى الدين . ولكى يزيد من ضيقه الاقباط طلب منهم مبلغا طائلا واذ لم يتمكنوا من تأديته نهب القسوس وقفل جميع الكنائس فى الفسقاط و بابيليون الا واحدة

(٤) خلافة المستعين سنة ٨٦٢ م :

وقد قتل المتوكل بيد ابنه المنتصر وجلس بعده على كرسى الخلافة ولكن لم تطل مدته أكثر من سنة فلك بعده المستعين الذى أراح الاقباط ورد لهم ما سلب منهم من الكنائس فأصلح المتخرب منها من الاسكندرية شمالا الى أسوان جنوبا وصارت تمارس فيها الخدمات الكنسية كالعادة

(٥) خلافة المعز وغيره سنة ٨٦٦ م :

عين لمصر رجلا تركيا يدعى مزاحم بن خاقان وكان الاتراك يحتقرون العرب فوجد فى ولايته نوع من العدل والتساوى بين الاقباط والمسلمين ، وبعد مزاحم تولى رجل تركى اسمه بىك سنة ٨٦٨ م ولكنه لم يحضر الى مصر بل أوفد مندوبين من قبله أحدهما أحمد بن المدبر لجمع الضرائب والآخر أحمد بن طولون لقيادة الجيش فتجبر أولهما على الاهالى وضاعف الضرائب على المسيحيين

والمسلمين سواء ولكن وطأته كانت أشد على المسيحيين فأحصى الرهبان والقسوس وعين عليهم ضريبة بعد أن كانت رفعت عنهم والزم البطريرك بدفع ما فرض عليهم وهو يحصلها منهم بمعرفته وبلغ مقدار ما فرض عليهم أكثر من ستة آلاف دينار في السنة فاضطر البطريرك أن يفرض عوائد على الاساقفة وأفراد الناس ليتمكن من دفع هذه الغرامات فحصلت لهم مضايقات شديدة فأثر كثير منهم الاسلام تخلصا من الشدائد . وفي هذه الاثناء هجم العرب على بعض بلاد الصنعيد وأضرروا بالبلاد والعباد وأخربوا عدة أديرة منها دير أنبا شنوده ودير القلمون بالفيوم ودير أنبا باخوم بناحية طحا

ولما اشتد الضيق بالاقباط عرضوا أمرهم على الخليفة فكتب لوالى مصر يأمره بصرف الكرب عنهم فاستراحوا قليلا . وجاء بعد المعتز المهتدى سنة ٨٦٩ م فتحصل الاقباط منه بواسطة مقدمهم ابراهيم على تأييد امر المعتز ولما تولى الخليفة المعتمد بن المتوكل سنة ٨٧٠ م قام فى عهده قائد جيش مصر أحمد بن طولون ونادى بنفسه ملكا على مصر ولكى يجذب قلوب المصريين اليه خفف عنهم الضرائب فتساوى الاقباط بالمسلمين . الا ان ابن طولون كان يفضل الاتراك على العرب والاروام على الاقباط

(٦) خلافة أحمد بن طولون سنة ٨٧٠ م :

لما علم أن الاقباط هم أرباب الفنون والصنائع فى مصر طلب اليه مهندسا قبطيا ماهرا فلباه ابن كاتب الفرغانى وطلب منه أن يوصل المياه الى المدينة التى بناها بمصر القديمة . فعمل المهندس القبطى قناة عجيبة أدهشت جميع الذير رأوها من عظم اتقانها ولكن لسوء الحظ بينما كان ابن طولون يتفرج عليها عثر حصانه بكومة تراب أهل العمال فى نقلها فغضب على المهندس وألقاه فى السجن . وفيما بعد ظن ابن طولون أن الاقباط أغنياء فزاد عليهم الضرائب وعول على نهب أموالهم

وفكر ابن طولون بعد ذلك فى بناء جامع يكون أعظم ما بنى من الجوامع فى مصر الى ذلك الحين يقيمه على ٣٠٠ عمود من الرخام فقبل له ان مثل هذا العدد من الاعمدة لا يمكن الحصول عليه الا اذا هدمت كنائس ومعابد النصارى واذ كان يوما يسمع القرآن علم بعدم جواز استعمال أدوات مسروقة فى بناء الجوامع فشق ثيابه وصاح قائلا « انه يستحيل على تشييد الجامع بدون نهب مواده من الكنائس فانى ما سمعت من يوم وجودى أن جامعا بنى دون أن تؤخذ أعمدته من كنائس المسيحيين . وحيث انه لا يمكنى الا مخالفة هذا الامر فسوف أخالفه وأستغفر ربى عن هذا الذنب ان لم يكن بناء الجامع كافيا للغفران »

ولما سمع ابن كاتب الفرغانى وهو فى السجن ما كان من رغبة ابن طولون وتردده كتب اليه عريضة وهو مسجون يفيد انه قادر على اتمام مشروعه ومستعد لتنفيذ مرغوبه بغير احتياج لاكثر من عمودين يجعلها فى القبلة . فلما قرأ العريضة تذكره وأمر باطلاقه من السجن واستحضره أمامه

وعهد اليه فى بناء الجامع بالكيفية التى رسمها فشيّد جامعا فخيا لم يسلب له ولا عامود واحد من الكنائس . بل كان يوجد فى الكنائس قديما حوض ماء للاغتسال فى يوم الخميس العهد فكان المسلمون ينقلون هذه الاحواض الى المساجد لتكون لهم « مِيضَة » للوضوء . فصنع المهندس القبطى البارع مِيضَة جميلة للجامع ابن طولون وتم الجامع على ما يرام . وخلع ابن طولون على المهندس خلعة فاخرة وقرر له راتبا يتقاضاه مدة حياته . غير انه فيما بعد الزم هذا المهندس المسكين باعتناق الدين الاسلامى فأبى فقطعت رأسه

وقال المسعودى فى كتابه « مروج الذهب ومعادن الجوهر » ان ابن طولون سمع عن فيلسوف قبطى طاف بلادا كثيرة يسكن أعالي بلاد مصر وله من العمر ١٣٠ سنة فأمر فحمل اليه وسأله عن سبب طول عمره فأجابه الاعتدال فى المأكل والمشرب والملبس . وقيل ان ابن طولون سأل هذا الفيلسوف عن منابع النيل فأجابه « ان منابع النيل فى أعلاه فالبخيرة الواسعة الاطراف يهى عند المكان الذى يتساوى فيه الليل والنهار طول الدهر أى تحت الموضع الذى يسميه المنجمون « الفلك المستقيم » وما ذكرت فعروف وغير منكور » ومعلوم ان العلماء والمستكشفين لم يهتدوا الى منابع النيل الا فى القرن ال ١٨ ولكنها كانت معروفة لذلك العالم القبطى قبل ذلك بألف وست مائة سنة وما البخيرة التى اشار اليها سوى بخيرة البرت نيانزا التى استكشفها (سيبك) عد خط الاستواء (١)

والغريب ان ابن طولون بعد ما اضطهد الاقباط و بطريركهم اضطهادا قاسيا طلب فى مرضه الاخير من أساقفتهم وقسوسهم أن يحملوا الاناجيل ويشاركوا مع رؤساء الدين الاسلامى فى الصلاة لاجله عسى الله يمن عليه بالشفاء ولكنه مات وملك بعده ابنه خاروية سنة ٨٨٤ م وكان صديقا للانبا باخوم أسقف طحا فأحسن للاقباط ورفع عنهم الجزية وأعطاهم صكا بذلك حتى لا يعود أحد الى مطالبتهم بها . وقيل ان خاروية هذا كان ميلا للمسيحية والمسيحيين حتى انه كان يصرف ساعات من النهار واقفا أمام صورة فى كنيسة الاروام بالقصر بهيئة التعبد والخشوع . وكان هو صديقا حيا للرهبان فى القصر ونظرا لميله اليهم ومحبة فى البقاء معهم ابتنى لنفسه غرفة وسط صوامعهم لكى يتمكن من مشاهدتهم وقت العبادة والتمتع برؤية الصور المقدسة

(١) منتخبات تهذيبية للجنة التاريخ القبطى ص ٨ و ٤٨

وتوالى بعد ذلك أولاد ابن طولون على كرسى السلطنة واحدا بعد آخر الى أن تولى الحكم فى مصر رجل يدعى عيسى بن الجراح فضيق على النصارى ولاسيا الرهبان والقسوس وفرض عليهم ضرائب باهظة فسار وفد منهم الى الخليفة ببغداد ورفعوا اليه احتجاجا فالتفت اليهم الخليفة وكتب الى الوالى بمصريأمره أن يعاملهم بمقتضى العهود التى بأيديهم وألزمه أن يترفق خصوصا بالكهنة والرهبان الفقراء . فى آخر أيام الدولة الطولونية كان عدد الاقباط قد تدهور الى النقصان وصاروا الى أقل من خمسة ملايين فنازلا

القرن العاشر

القسم الأول تاريخ البطارقة

(١) غبريال ^١	(٢) قرمان ^٣	(٣) مقار ^١
(٤) ثاوفانيوس	(٥) مينا ^٢	
(٦) ابرآم ^١	(٦) فيلوثاوس	

(١) غبريال^١ :

البطريرك السابع والخمسون . لم تتمكن الكنيسة بعد وفاة البابا ميخائيل من تنصيب خلف له بالنسبة للمصائب الشديدة والكوارث القاسية التي امت بها . ولبثت الكنيسة أربع عشرة سنة بدون بطريرك قفلت في خلالها كنائس كثيرة وتعطلت حركة بعضها وأخذت عوامل النزاع مكانها بين المسيحيين حتى سخر الرب لهم الانبا باخوم أسقف طحا وكانت له مكانة سامية لدى الوالى خاروية فتوسط لديه فسمح باقامة بطريرك للكنيسة القبطية وأعطاه تصريحاً بذلك واختير باجماع آراء الشعب والكهنة الآب غبريال الراهب من دير أبى مقار واصله من الميه منوفيه فرسم فى شهر بشنس سنة ٦٢٥ ش و ٩١٠ م فى عهد خلافة المقتدر بن المعتضد

وكان هذا البابا تقياً ذا شعور رقيق ولكنه للضرورة سار على خطة البابا ميخائيل فى فرض ضريبة على كل أسقف يرسم جديداً لكى يدفع الرسم المطلوب لكنائس الاسكندرية التى تعهد بها البابا ميخائيل فى أوقات ضيقاته كما انه لم يبلغ الضريبة الشخصية التى كانت مضروبة على أعضاء الكنيسة القبطية سداً لطلبات ابن طولون بل ظل يتقاضاها ليتمكن من ترميم الكنائس المتهدمة

ولم يتضايق هذا البابا من الحروب الخارجية فقط بل تألم كثيراً من حروب داخلية انتشرت فى داخله اذ حرك فيه عدو الخير الاميال الباطلة ولما رأى ارادته اضعف من أن تطفى هذا الاضطرام هرب الى برية شيهات واعترف بحاله لا تقيا الرهبان فقدموا له النصيحة قائلين « أعلم أيها البابا ان اشتعال الشهوة ينشأ من العظمة والفخر كما ان خطية التجديف دليل الاعتداد بالذات فان كنت تروم ان تحتمى من حرب الشهوات فعليك بملازمة فضيلتى الوداعة والتواضع فانها انجح دواء وأفضل رادع لمقاومة الافكار الرديئة لاسيما اذا أضيف اليها فضيلتا النسك وصرامة العيش فانها يذلان الاميال الباطلة ويقمعان الاهواء البهيمية » فاذعن البطريرك لنصيحة الآباء وواظب على

أفعال التقشف والزهد ثلاث سنوات وكان يحمل نفسه على ممارسة أقل الاعمال التي تذللها حتى بلغ به الاتضاع بأن كان يمر على قلالي الرهبان و ينظفها بمكنسة من الاوساخ . فنظر الرب لمسكنته ودرعه بنعمته وخلصه من التجربة ومن ثم استأنف جهاده فى خدمة كرسيه حتى أتم ١١ سنة فى الرئاسة وتنيح فى ٢١ أمشير سنة ٦٣٦ ش و ٩٢١ م

(٢) قزمان ٣ :

البطريرك الثامن والخمسون . انتخب بطريركا عقب وفاة البابا غبريال مباشرة وتمت رسامته فى شهر برمهاث فى السنة التى توفى فيها سلفه فى عهد خلافة المقتدر . وكانت الاضطهادات التى وقعت على الكنيسة والنكبات التى حلت بها قد جعلت العلاقة التى بين الكنيسة القبطية وابنتها الكنيسة الحبشية تفتقر قليلا مدة قرن أو أكثر . وحال جلوس البابا قزمان على الكرسي أوفد اليه ملك الحبشة رسلا يطلبون منه تعيين مطران قبطى لكنيستهم لداعى شيخوخة الملك وقرب وفاته ورغبته فى أن يقيم المطران وصيا على ولديه الصغيرين فرسم لهم البطريرك مطرانا يدعى بطرس وسار معهم الى الحبشة حيث قوبل فيها باحتفال عظيم . وبينما كان الملك يجود بأنفاسه الاخيرة استدعى اليه المطران بطرس وكلفه بأن يتولى وصاية ولديه وعند بلوغهما سن الرشد يعين منهما ملكا من يراه أجدر من الآخر من حيث الكفاءة لا السن . وبعد مدة عمد المطران الى الابن الاصغر وتوجه ملكا اذ رآه أوفر عقلا وأسد رأيا ومع ان الابن الاكبر استاء من ذلك الا انه لم يبد أدنى معارضة

وحدث بعدئذ ان راهبين من مصر احدهما يدعى بقطر والاخر مينا من الذين تعودوا التجول للتسول سافرا الى الحبشة وطلبا من الانبا بطرس دراهم فابى ان يعطيها وازدرى بهما . فحقدا عليه وأراد ان يكيدا له فزورا ختما باسم البابا قزمان البطريرك وكتبوا رسالة الى كبار مملكة الحبشة مؤداهما ان المدعو بطرس مطران غير شرعى لم يعين من قبله وانه غير راض عن تعيين الابن الاصغر ملكا لان الاكبر أولى منه بالملك وأحق « ولذلك يطلب ان ينفوا كلا من المطران والملك الجديد ويعتبرا مينا حامل هذه الرسالة و يقيموا الابن الاكبر ملكا

ثم ذهب مينا بهذا الخطاب وسلمه للابن الاكبر فاطاع ارباب دولة الحبشة أمر البطريرك واقروا على نفى المطران والملك واجتمع حول الابن الاكبر بعض المشاغبين ودارت بينه وبين اخيه حرب اهلية انتهت بأسر الملك وسجنه ونفى المطران الى مكان بعيد ثم قام الابن الاكبر ملكا ومينا مطرانا وبقطر وكيلا له .

غير أنه بعد وقت وجيز حدث خلاف بين مينا وبقطر فانتهر هذا مرة فرصة كان فيها المطران المزور غائبا وطرده خدمة المطرانية ونهب كل ما فيها من النقود والاشياء الثمينة وحملها واتى بها الى

مصر واعتنق الديانة الاسلامية . وانتهى الخبر الى البطريك فارسل بسرعة رسلا بخطاب الى الحبشة يحرم فيه مينا ويشجب أعماله و يأمر باعادة المطران الحقيقي . فقام ملك الحبشة المعتصب على مينا وقتله شرقتله طمعا منه فى استجلاب رضاء البطريك وارسل يستدعى المطران بطرس فوجد انه قد مات لشدة ما لحقه من انواع العذاب فى منفاه . وكان له تلميذ فأخذه الملك واقامه عنده مطرانا دون ان يسمح له بالذهاب لينال الرسامة من البطريك خوفا من أن يوصيه بنزع الملك عنه واعطائه لاختيه . ولما علم البطريك بما جرى سخط على الحبشة ولم يشأ ان يرسم لها مطرانا ونسج على منواله اربعة بطاركة لم يريدوا ان يرسموا مطرانا للحبشة واستمرت مدة سبعين سنة لم يرسل اليها من الكنيسة القبطية مطران واحد

وبعد ان مضى البابا قزمان ١٢ سنة و١٢ يوما على كرسي البطريكية تنبح فى ٣ برمهات سنة ٦٤٩ ش و٩٣٣ م

(٣) مقار ١ — البطريك التاسع والخمسون :

اختير للبطريكية بعد قزمان الآب مكار يوس من قرية شبرا قبالة وكان وحيدا لاهمه العجوز ولكنه ترهب من صغره فى دير أبى مقار ولما صار بطريكا وتمت رسامته فى برمودة سنة ٦٤٩ ش و٩٣٣ م فى عهد خلافة القاهر بن المعتضد انطلق الى دير ابى مقار كعادة اسلافه وعند عودته منه تلقى دعوة من اهل بلدته يرجونه فيها المجيء اليهم ولم يكن له فى بلدته قريب سوى والدته العجوز وكان يحبها محبة زائدة لانها أحسنت تهذيبه وكانت لذلك الحين على قيد الحياة فعزم على زيارتها ليسر فؤادها بوظيفته السامية

وسار الى البلدة مع حاشيته ولما اقترب منها أسرع واحد الى والدته فوجدها فبشرها بقدوم ولدها بموكب عظيم . فلم تحفل بالبشرى ولم تلتفت لكلامه بل لبثت تشتغل والدموع تجري على خديها فاندesh ذلك الشخص من أمرها ورجع من عندها بخجل عظيم . أما البطريك فاستقر فى البلدة ريثما ينتهى الاحتفال بقدومه وبعد ذلك انطلق بمن معه نحو منزل أمه فلما وصل اليها رآها وهى تغزل لم تتحرك من مكانها فقط رفعت نظرها اليه مرة واحدة وعادت الى عملها وقد ارسلت من عينيها دمعتين حاريتين دون ان تفوه بكلمة فتقدم اليها بالسلام فردت عليه واستمرت فى شغلها . فظن انها لم تعرفه وتجهل مركزه السامى الذى وصل اليه فقام لها « اعلمى يا أماه اننى انا ولدك مقار الذى ارتقى الى اشرف رتبة فى الكنيسة وقد صرت بطريكا فابتهجى وسرى بما احرزه ابنك من المقام الرفيع » فرفعت عينيها اليه والدموع تتساقط منها بغزارة وقالت له وهى تجهش فى البكاء « كنت اتمنى ان ارى نعشك محمولا على الاعناق وخلفك النسوة يبكين حزنا من ان اراك متقلدا هذه الوظيفة الخطيرة يحيط بك الاساقفة والقسوس ذلك لانك لما كنت علمانيا كنت مسئولا عن خطاياك الشخصية فقط ولكنك لما صرت بطريكا فسوف تسأل عن خطايا كل الشعب وزلاتهم فتيقن انك

فى خطر عظيم هيات ان تنجومنه بسهولة لانه من المعلوم ان المجد العالمى يحجب عن الانسان نور الحق . فن أين ياولدى تقدر ان تكون بصيرا وقد وضع مجد الرئاسة برقعا على عينيك فها قد انذرتك بما أنت فيه من الخطر فكن محترساً واذكر والدتك التى تعبت فى تربيتك » قالت هذا واستأنفت الغزل كما كانت فلما سمع البطريك خرج من عندها وجلا كثيبا واستمرت هذه الكلمات تطن فى أذنيه طول حياته وكانت سببا فى استقامته وحرصه على اتمام واجباته بكل امانة مدة العشرين سنة التى قضاها بطريركا حتى تنيح فى ٢٤ بؤونه سنة ٦٦٩ ش و٩٥٣ م

(٤) ثاوفانيوس — البطريك الستون :

وبعد نياحة البابا مقار انتخب خلفا له ثاوفانيوس من الاسكندرية فى شهر مسرى سنة ٦٦٩ ش و٩٥٣ م فى عهد انوجور بن الاخشيد . وكان هرما وفى اوائل ايام بطريركيته شعرت الكنيسة بعسر مالى عظيم وخلت مخازن البطريكية من الاموال بسبب الضريبة التى كانت معينة لكنائس الاسكندرية كما ذكر آنفا فضلا عن النهب المتواصل الذى كان واقعا على الاقباط من الحكام والولاة . وقد رأى البطريك ان الشعب ضجر من هذه الغرامات الباهظة فطلب من كنيسة الاسكندرية التنازل عن هذه الغرامة أو تخفيفا قليلا . ولكن كنيسة الاسكندرية لم تتنازل عن هذه الغرامة وأصررت على المطالبة بحقها

وكان البطريك ثاوفانيوس حاد الطبع سريع الغضب كثير الحمق غير قادر على كبح جاح غيظه وقيل ان ذلك كان بسبب روح نجس تسلط عليه وقال بعضهم أنه نشأ عن مرض عصبى كالصرع أو خلافه كان يفاجئه فيغير اطواره فلما رأى تصميم اقباط الاسكندرية على المطالبة بالغرامة أخذ يشتمهم ويوبخهم بما خرج به عن دائرة التعقل حتى استاء منه الكهنة وظهروا غيظهم منه بكلمات قاسية وجهوها اليه فازداد هيجانه وصياحه فحمله بعضهم الى مركب الى بابليون لظنهم أنه يهدأ اذا استنشق نسيم النيل ولكنه اذ لم يكف عن هياجه تقدم اليه أحد الاساقفة بالصلاة لتوهمه بان فيه روحا نجسا فتشجعت اعصابه ووثب عليه وهنا اختلف فى سبب موته فقيل انه لما لم يقو الاساقفة على تهديته ظلوا به الى ان اخرجوه فى البحر وجعلوا على وجهه مخدة ورددوا عليها الى ان مات ورموه فى البحر و يقول واضع سير البطارقة انه مات مسموما وقتل محتقنا والله اعلم وكانت وفاته فى ٤ برمهات سنة ٦٧٤ ش و٩٥٦ م ومدة رئاسته ثلاث سنوات

وفى سنة ٩٤١ م كان بطريركا على كنيسة الاورام بمصر اوطوخيوس الطبيب وكان عالما ضلعيا واضطهدت كنيسته فى عهده من الولاة المسلمين اضطهادا عنيفا جعلها تسقط فى وهدة الانحطاط والتأخر وظلت خمسمائة سنة بعد هذا التاريخ وهى مطموسة الاثر عارية من كل خبر لا يعرف عنها شىء سوى اسماء البطارقة الذين قاموا فيها قياما اسميا بدون عمل يذكر

(٥) مينا ٢ — البطريرك الحادى والستون :

وبعد وفاة البابا ثاوفانيوس انتخب للكرسى البطريركى راهبا قسا ولكنه رفض قبول هذا المركز الخطير وذكر اسم الآب مينا احد رهبان دير ابى مقار وأصله من صندلا غربيه وقبل أن يصير هذا الآب راهبا كان أهله قد أرغموه على الزواج فتزوج بامرأة عفيفة واتفقا معا على عيشة البتولية . وحدث انه لما رسم بطريركا قاوم بعضهم رسامته بدعوى انه كان متزوجا والقانون يمنع المتزوجين من ان يكونوا بطاركة وتحزبوا مع بعض الاساقفة واتفقوا على خلعه من وظيفته ف عقدوا مجمعا واستحضروا امامهم زوجته ليقيموها دليلا على عدم شرعية بطريركيته فوقفت الزوجة فى المجمع واعترفت بانه لم يعرفها معرفة زواج البتة فعدلوا عن رأيهم واعتبروا البابا مينا مستحقا لرتبته وكانت رسامته فى شهر برمودة سنة ٦٧٤ ش و ٩٥٦ م فى عهد انوجور

وقد جلس هذا البابا على السدة البطريركية ١١ سنة وقعت فيها على طائفته بنوع خاص والامة المصرية بنوع عام كل انواع الضيق والكرب لجأ فى أثنائها الى سيدة قبطية غنية اسمها دينة من محلة دانيال (غربية) وبقي فى ضيافتها حتى أنتهت حياته فى ٣ كيهك سنة ٦٨٧ ش و ٩٧٥ م

(٦) ابرآم — البطريرك الثانى والستون :

وبعد نياحة البابا مينا انعقد مجمع الاساقفة فى كنيسة ابى سرجه بمصر القديمة لانتخاب بطريرك جديد وبينما هم يتباحثون دون أن يقر رأيهم على واحد دخل عليهم رجل كان مشهورا بالآداب ومكارم الاخلاق يدعى ابرآم السريانى فلما وقع نظرهم عليه أجمعوا آراؤهم على تركيته لهذا المنصب ووضعوا عليه الايدى فى شهر طوبه سنة ٦٨٧ ش و ٩٧٥ م فى عهد خلافة المعز لدين الله

وكان هذا البابا فى مبدأ أمره تاجرا كبيرا فى مصر معروفا لدى المعز وكانت بينهما صداقة قوية فلما عين بطريركا وزع جميع مقتنياته فى سبل الخير وأفرغ جهده للقيام بواجبات وظيفته الخطيرة . وكان فى عهده قزمان بن مينا الوزير القبطى الذى لما عين واليا على فلسطين ترك لدى البابا ابرآم مبلغ مائة الف دينار بصفة أمانة وأوصاه ان يحتفظ بها حتى يعود وان لم يرجع وأدركته المنية يفرقها على المشروعات الخيرية . وحدث أنه لما وقعت فلسطين والشام فى يد (هفتكين) صرف البابا ابرآم تلك الاموال على من يستحقها ولكن فيما بعد رجع الوزير الى مصر بعد كسره هفتكين وطلب من البطريرك الامانة فاخبره بما فعل فسر منه سرورا عظيما

وكان المعز الخليفة قد عهد ليعقوب بن يوسف جباية الخراج وكان هذا الرجل يهودى الاصل ولكنه أسلم بغية الحصول على المراتب العالية وكان يمقت المسيحيين ويشيع عليهم المذمات حتى طلب من الخليفة ان يأتى بامام النصرانى لكى يحجه ويرهن له بطلان ديانته . فاستدعى الخليفة اليه البابا ابرآم لهذا الغرض فأخذ البطريرك معه الانبا ساويرس اسقف الاشمونين والعالم

الكبير صاحب كتاب « تاريخ البطارقة » المشهور ودار بينه وبين ذلك اليهودى جدال فافحمه هذا الآب ببراهين قوية سربلته بالخجل أمام الخليفة

فاغتاظ ذلك اليهودى من المسيحيين اكثر مما كان وازدادت بغضته لهم وأخذ ينسج لهم برد مكيدة أخرى حتى وقف على الآية الواردة بالانجيل المقدس القائلة « لو كان لكم أيمان مثل حبة خردل لكنتم تقولون لهذا الجبل انتقل من هنا الى هناك فينتقل » (مت ١٧ : ٢٠) فأسرع واطلع المعز على هذه الآية وقال له اذا كان دين النصارى صحيحا فهو ذا جبل المقطم ينقلونه لنا فنعتبرهم والا فهم أهل للطرد من هذه البلاد لتخلوا مساكنهم للمسلمين .

فانخدع المعز بكلامه ورأى اذا كان كلام المسيح حقا فان جبل المقطم الذى يكتنف القاهرة اذا ابتعد عنها يكون مركز المدينة أعظم واذا لم يكن حقا فهناك فرصة مناسبة لسلب المسيحيين . ولذلك استدعى البابا ابرآم وخيره بين أمور ثلاثة اما نقل الجبل أو اعتناق الاسلام أو ترك البلاد . فوقع البابا فى حيرة ولكنه التمس منه ثلاثة ايام ثم رجع الى البطريركية واصدر منشورا عاما يأمر فيه جميع مسيحي مصر بالصوم ثلاثة ايام الى الغروب وباقامة الصلوات الحارة لسلامة الكنيسة

أما هو فانطلق الى كنيسة السيدة العذراء المعروفة بالمعلقة بمصر القديمة وانعكف فيها على الصوم والصلاة حتى شاهد فى نومه السيدة العذراء تشير اليه بان يخرج من باب الدرب الحديد الذى يقود للسوق الكبير فيجد هناك رجلا يحمل جرة ماء وهذا الرجل يعلمه ما ينبغى عمله . فلما استيقظ أطاع الرؤيا فوجد الرجل وأتى به الى الكنيسة وافضى اليه بالامر فاعتذر الرجل بضعفه ولكنه اذ رأى البطريرك يلح عليه هدا روعه وأرشده الى الخطة التى يجب السير عليها

وفى صباح اليوم الثالث أخبر البطريرك الخليفة بانه عازم على نقل الجبل فسار الوالى الى خارج المدينة هو وجميع العظماء ولحقه البطريرك وأساقفته وكبار العلمانيين والرجل الساقى بملابسه الرثة . وبعد تقديم الاسرار الربية سجد البطريرك يتبعه الشعب ثم وقفوا وهم يصرخون قائلين « كير يا ليصون » فحدثت زلزلة عظيمة ولاج الجبل للناظرين كأنه يتزحزح من مكانه وبعد ذلك ارتفع حتى ظهرت الشمس من تحته ثم عاد الى مكانه . وأخذ البطريرك فى السجود والتهتاف « كير يا ليصون » والجبل يسقط ويقوم معهم فى سجودهم وقيامهم والشمس تظهر فى اسفله حتى اكملوا ثلاث مرات . ففزع الخليفة ومن معه وعدا الى البطريرك على ظهر الجواد والتمس منه ان يكف عن عمله لئلا تنقلب المدينة

وبعد هذه الحادثة غدا البابا ابرآم محبوبا عند الخليفة وقيل ان المعز اقترح على البطريرك ان يطلب منه ما يشاء فطلب اليه البطريرك ان يعيد له موضع كنيسة القديس مركور يوس التى

تخربت واستولى عليها المسلمون مدة الاضطهاد السابق وان يسمح له بترميم كنيسة المعلقة بقصر الشمع وكان قد انهدم من سورها جزء عظيم فأمر الخليفة ان تعطى له كنيسة ابي سيفين فى الحال . وكتب أبو المكارم سعد الله بن جرجس بن مسعود صاحب كتاب « الكنائس والاديرة » عن ذلك ما يأتى « ولما شرع البطريرك فى اعادة بناء الكنيسة هاج عليه رعاع المسلمين واعترضوه بدعوى انها تخربت من زمان طويل ولم يبق منها سوى بعض جدران آيلة للسقوط قد جعلها المسلمون مخازن لقصب السكر ولكنهم كفوا عن المقاومة عندما علموا ان الذى أمر ببنائها هو الخليفة نفسه . وأمر ايضا بصرف كل نفقات البناء من خزينة الحكومة فأخذ البطريرك الدراهم وردها الى خزينة الحكومة واتمس من الخليفة أن يقبلها منه ثانية ولا يجبره على قبولها قائلا :

ان الذى نبنى له كنيسة قادر على ان يساعدنا حتى نتممها وهو غير محتاج الى مال العالم » فرضى الخليفة وبعد ذلك بمدة بدأ البطريرك فى العمل فعاد الاشرار الى المقاومة ووقفوا البناء ولما وصل الخبر الى الخليفة أنفذ اليهم قوة عسكرية اخمدت هياجهم فواصل البطريرك العمل بكل طمأنينة وقيل ان الخليفة نفسه وقف على جدار الاساس وأمر البطريرك ان يضع الحجر الاول ولما شرع فى البناء طرح شيخ مسلم نفسه فى الاساس قائلا « اما ان يمنع البناء او اموت فى سبيل الدين » فغضب الخليفة وهم برجه لولا ان البطريرك توسل اليه ان يسامحه ففعل وهو يتعجب من هذه الاخلاق السامية ثم تقدم المسيحيون الى البابا بمساعدة مالية فقبلها شاكرًا وبمعونة الرب تم له ما كان يرجوه من اتمام الكنيسة وتشييدها » أهـ

ومن مآثر البابا أبرام انه أدخل فى الكنيسة القبطية فرض صوم نينوى الذى يصومه السريان وذلك انه لما حل اول الصوم الكبير صامت الكنيسة القبطية اسبوع هرقل فجاراهم البطريرك اذ لم يره لائقا ان يكون فاطرا واولاده صائمين ولما جاء ميعاد صوم نينوى صامه فاقتدى به بنوه ومن ثم حافظت الكنيسة القبطية على هذه العادة ليومنا هذا . ثم الحق بصوم الميلاد ثلاثة ايام بعد ان كان يصام اربعين يوما فقط وهذه الثلاثة الايام هى التى صامها المسيحيون فى عهد هذا البطريرك ليرفع عنهم الويل الذى كان مزعما ان يحل بهم بسبب نقل جبل المقطم

ومن فضائل هذا البابا ايضا انه اجتهد فى مقاومة كل العوائد الذميمة التى كانت متفشية بين شعبه بسبب اختلاطهم بالغرباء . فألغى أربع الرتب الكهنوتية والمناصب الكنسية التى اضطرت للسير عليها بعض البطارقة للتخلص من الغرامات الفادحة التى فرضها عليهم الولاة وجعل رسامة القسوس وتقليد الوظائف الدينية من اعماله الخصوصية ويحصل على ذلك شيئا معلوما من الشعب . ومن اعظم اصلاحاته التى قام بها بكل غير محاربة عادة الترسى التى انتشرت بين الاقباط انتشارا هائلا شوش حالتهم الداخلية ولا سيما الموظفين منهم فى مصالح الحكومة وذلك بينما كانوا متمتعين بالراحة والرفاهية فى ظل الدولة الفاطمية متقلدين المناصب الرفيعة ولهم الكلمة النافذة فى دواوين الحكومة ناسين الاتعاب والمصائب التى كانت تتوالى عليهم فكثرت هفاتهم على

السرارى فكان الواحد منهم يجلب الى بيته عددا منهن بدون عقد شرعى مما ينافى روح الدين المسيحى . ولم يجدوا من يعارضهم أو ينكرها عليهم لاهتمام البطارقة بجمع الغرامات المضروبة عليهم

فقام البابا ابرآم وانكر عليهم هذه العادة وطلب منهم ان يقلعوا عنها واذ كانت قد تأصلت فيهم واعتادوا عليها وألفوها ومضى على اتباعهم اياها زمن طويل لم يسهل عليهم التنازل عنها مرة واحدة فلم يلق منهم سوى الالباء والمقاومة وعدم الرضوخ وكان اشد المقاومين له رجل مشهور بالغنى ونفوذ الكلمة يدعى أبا السرور وهو من الحاصلين على المناصب العالية فى الحكومة وكانت لديه عدة سرارى وحظيات فاعترض عليه البطريرك فى ذلك وعنفه كثيراً ولما لم يرتدع أصدر عليه حرمانا من الكنيسة فما كان من هذا الغشوم الا ان سعى فى موته فدرس له السم وراح البطريرك شهيد الواجب ولم يتم على الكرسي سوى ثلاث سنين وستة أيام ورقد فى الرب فى ٦ كيهك سنة ٦٩١ ش ٩٧٩م

(٧) فيلوثاؤس — البطريرك :

وخلف البابا ابرآم فى شهر طوبه من تلك السنة فى عهد عبد العزيز بن المعز الراهب فيلوثاؤس من دير أبى سيفين وقيل انه من دير أبى مقار . وهذا البطريرك مع انه لم يعارض الامة فى عادة التسرى التى كان يستقبحها سلفه الا انه كان مبغوضا . وقد ذكر التاريخ عنه أمورا مذمومة فلم يكن يهتم بغير صالح شخصه وارخى العنان للملاذ الجسدية ومحبة الاكل والشرب وتدخير المال ولذلك لم يكن أحد يرتقى الى درجة الاسقفية فى عهده الا بعد دفع جعل عظيم

وتلقى هذا البطريرك فى أيامه رسالة من بلاد الحبشة بعد الانقطاع الطويل الذى كان بين الكنيستين فيه يطلب ملكها بواسطة جرجس ملك النوبة من البطريرك ان يهتم بانقاذ الحبشة من التعاسة الدينية التى وصلت اليها بسبب عدم رسامة مطارنة لها واعترف فى خطابه ان ما جل ببلادها هو قصاص عادل لما أقترفوه ضد الكنيسة القبطية فأسرع البطريرك ورسم الراهب دانيال من دير أبى سيفين اسقفا للحبشة وسار اليها فاستقبله ملكها الشاب الشرعى الذى كانت قد اغتصبت الملك منه امرأة فأجلسه المطران على عرش أجداده وحرّم المرأة المغتصبة فأنزها الشعب عن الكرسي وحكموا بأعدامها

وطالت مدة هذا البطريرك فاستمر ٢٤ سنة على كرسي البطريركية لم يقع فيها اى ضيم على الكنيسة و بينما كان قائما مرة بخدمة القداس سقط فجأة فاقد الرشد فحل محله أحد القسوس وتمم القداس وفى النهاية حملوه للبطريركية حيث أسلم الروح فى ١٢ هاتور سنة ٧١٦ ش ١٠٠٤م

القسم الثانى مشاهير الكنيسة

(١) ابوالمكارم

(٢) الانبا ساو يرس اسقف الاشمونين

(٣) قزمان ابن مينا

(١) ابوالمكارم :

هو سعد الله بن جرجس بن مسعود كان من أفاضل القبط ومؤرخيهم وضع سنة ٩٢٥ كتابا فى تاريخ الدير والكنائس القبطية عثر على جزء منه راهب كاثوليكي يدعى فانسليوب أتى مصر فى القرن السابع عشر واشترى بثلاثة قروش وطبع بعد موته وهويباع اليوم بمائة وخمسين قرشا وينسب الى أبى صالح الارمنى خطأ لان اسمه وجد مكتوبا عليه و يظهر انه ناسخ الكتاب او مقتنيه ووجد المرحوم الايغومانوس فيلوثاؤس ابراهيم رئيس الكنيسة المرقسية بالقاهرة لقيه هذا الكتاب وادرك ذلك البحاثة جرجس أفندى فيلوثاؤس عوض ولكن ليس بين كتاب الاقباط من له همة كافية ليقوم بطبعه ونشره كاملا .

(٢) الانبا ساو يرس أسقف الاشمونين :

الاشمونين كانت مدينة زاهرة ومشهورة عند القبط القدماء ، وكان يعبد فيها أنوبيس وهرمس وغيرهما . وظلت شهرتها ممتدة الى العصر المسيحى وكانت بها الى زمن قريب تماثيل قديمة وكنائس كثيرة لانها كانت مركزا لاسقفية ومن أشهر اساقفتها الانبا ساو يرس المذكور . كان عالما فاضلا وهو اول من اعتنى بجمع تاريخ البطاركة السالفين جمعه من السجلات المكتوبة باللغتين القبطية واليونانية المحفوظة بدير أبى مقار ودير نيا ونقله الى اللغة العربية مظهرها أسفه لأنصراف بعض موظفى القبط فى ذلك العهد عن لغتهم القبطية الى اللغة العربية وأتمه وهو فى سن الثمانين وقد اضاف الانبا ميخائيل اسقف تانيس (١) على هذا الكتاب تاريخ البطاركة لغاية سنة ١٢٤٣ م .

(١) تانيس أو تانيس هي مدينة صان بمديرية الشرفية بقرب بحيرة المنزلة فى الشمال الغربى للصالحية وذكرت هذه المدينة فى التوراة باسم صوعن (عد ١٣ : ٢٢) و يقال ان موسى النبى صنع عجائبه فيها

وللاتبا ساو يرس جملة مؤلفات تدل على تمكنه من العلم والمعرفة وضعها باللغة العربية التي ترجم اليها ايضا كثيرا من المؤلفات القبطية واليونانية لفائدة ابناء جلدته الاقباط ولاسيما سكان الفسطاط والقاهرة الذين كانوا قد هجروا بالكلية لغتهم القبطية بسبب اشتغالهم بالدواوين كما ذكر. وقد عد صاحبه كتاب «الخريذة النفيسة» اثني عشر مؤلفا لهذا الحبر الفاضل جميعها باللغة العربية وهي :

- (١) التوحيد
- (٢) الاتحاد الباهر رد به على اليهود
- (٣) الشرح والتفصيل رد به على النساطرة
- (٤) مبادئ الدين كتبه للوزير قزمان بن مينا
- (٥) نظم الجواهر
- (٦) المجلس
- (٧) طب الغم وشفاء الحزن
- (٨) المجامع
- (٩) تفسير دستور الايمان
- (١٠) كتاب فند به مزاعم سعيد بن بطريق بطريك الملكيين
- (١١) الايضاح . و يظهر أن الباباوين تغلوه ببعض مدعياتهم
- (١٢) ترتيب الكهنوت

هذا غير ما لم يقف له على خبر. وقد ترجم «تاريخ البطارقة» الذي اعتمدنا عليه كثيرا في كتابنا هذا الى كثير من اللغات الاوروبية وكذا «تاريخ المجامع» وغيرهما ومما يؤسف له أن نرى أنفسنا أقل غيرة على آثار آبائنا من الغير. فالغربيون يعنون بها و يبحثون عنها بحثا دقيقا ويحفظونها في مكاتبهم و يترجمون النافع منها الى لغاتهم وأما نحن فان لم تصلنا منهم فلا نقف لها على أثر.

(٣) قزمان بن مينا :

كان من كبار رجال حكومة المعز لدين الله . وكان في الوزارة وقتئذ يعقوب بن كلس اليهودي المار ذكره فخشي أن يأول ميل الخليفة الى قزمان الى حلوله في منصبه واتفق أن خلا منصب ولاية فلسطين التي كانت تابعة لمصر وفكر الخليفة في رجل أمين يوليه هذا المنصب فأشار عليه يعقوب بأن يختار له قزمان بالنسبة لطهارة ذمته وحسن تدبيره وهكذا تمكن من أن يبعد منافسه عن مصر. وحدث بعد ذلك أن رجلا من بغداد يدعى هفتكين هجم على الشام وهزم الجيوش المصرية التي كان يقودها جوهر واستولى على قسم عظيم منها وأحس قزمان بعظم الخطر فجمع كل ما كان للولاية من المال والنفائس وخبأه في دير وبعد أن تم الصلح بين الجوهر وهفتكين أخذ يعقوب يوغر صدر الخليفة على قزمان و يصفه بالخيانة واغتيال أموال الولاية ليحمل الخليفة على قتله ولم يرض الخليفة بالصلح الذي عقده جوهر فقام بنفسه الى الشام وحارب هفتكين وفاز به وعندئذ تقدم اليه أبو اليمن ومعه أموال الولاية وسلمه اياها فشكر له حسن امانته وأقره في منصبه

القسم الثالث المملكة والكنيسة

(١) الدولة الاخشيدية

(٢) حكم الفاطميين . الخليفة المعز وقائده جوهر وابنه العزيز

(٣) تنصر الواضح بن رجا

(١) الدولة الاخشيدية

وبعد انقراض الدولة الطولونية قامت هذه الدولة مكانها فحكمت مصر باسم الدولة العباسية مدة أربع وثلاثين سنة من سنة ٩٣٤ — ٩٦٨ م ومحمد الاخشيد رأس هذه الدولة لما رأى احتياجه للمال لينفقه فى الحروب زاد الضرائب المطلوبة من الاقباط . ونشأ عن ارتباك الحكم فى البلاد مجاعة فادحة يقول المؤرخون نشأ عنها زوال ابروشيات كثيرة برمتها واضمحلالها لان أقباطها ماتوا من الجوع ولم يبق منهم واحد

(٢) حكم الفاطميين — الخليفة المعز وقائده جوهر وابنه العزيز سنة ٩٦٩ م :

وبعد انقراض الدولة الاخشيدية آل الحكم فى مصر الى الدولة الفاطمية وأول خلفائها المعز لدين الله . وفيما مضى أغار ملوك مصر مرات متوالية على الممالك المسيحية فى السودان وحاولوا اكراه أهلها على اعتناق الدين الاسلامى ولكنهم لم يفلحوا حتى ان جوهر قائد جيش المعز أرسل وفدا الى جرجس ملك النوبة يدعوه الى الاسلام فرد عليه بكتاب يقول فيه « بعد السلام والتحيات . ندعوكم الى اعتناق الدين المسيحى » وبعد ذلك انتهت المحادثات وعاشت ممالك السودان المسيحية بأمن باقى هذا الجيل

وفى الوقت الذى احتل فيه الفاطميون مصر كان المسيحيون فى مصر يسكنون مدينة بابيليون (مصر القديمة) التى كانت معتبرة أقدم مدن القطر المصرى ورغما عما حل بالاقباط من المصائب كان عددهم حينئذ كما ذكر خمسة ملايين وكانوا هم أهل البلاد والتسلطين فيها والذين بيدهم مقاليد الامور والاعمال على اختلاف أنواعها

وعزم جوهر القائد على بناء جامع يفوق كل الجوامع التى بنيت فى المدينة الجديدة التى بناها وسماها باسمه « القاهرة » فأخذ أغلب أعمدة هذا المسجد من الكنائس المسيحية . وحدث أن اسلام مدينة تانيس قد خرجوا على المعز واستقلوا بأنفسهم وساروا يعيثون فى الارض فسادا فنهبوا أغنياء النصارى وخطفوا البنات والنساء منهم وفضحوهن ولبثوا يرتكبون هذه الفظائع مدة

طويلة حتى اضطر قوم من النصارى يعرفون بأولاد قشلام أن يبعثوا برسائل سرية الى المعز يلتمسون منه أن يسعى فى انقاذهم فلبى دعواهم وأرسل جنودا أحاطوا بالعصاة وحاصروهم مدة ثلاثة أشهر والعصاة يجرون الفتك بالمسيحيين فاضطر هؤلاء الى عقد صلح معهم ودخل قائد جيش المعز ودعى العصاة اليه وأولم لهم وليمة عظيمة ولما طاب قلبهم بالخمر هجم عليهم وذبحهم عن آخرهم

(٣) تنصر الواضح بن رجا :

وقد روى المؤرخون انه فى أيام الخليفة المعز حدث أن أحد رجاله اعتنق الدين المسيحى ومن أمره انه كان يدعى الواضح بن رجا تعلم القرآن صغيرا ونشأ كارها للدين المسيحى كراهة زائدة . وفى ذات يوم كان مجتازا رأى قوما ملتفين حول شاب مسلم تنصر فسأل عن الخبر ف قيل له انه قد حكم عليه بالموت حرقا وهو يساق الى المكان الذى أعدت فيه النار وهم يحاولون اقناعه بالرجوع الى دينه فتأسف الواضح عليه وأنشأ ينصحه ليجذبه الى الاعتراف بالدين الاسلامى و يقول له « كيف تعتنق دين الثلاثة الآلهة » فأجابه المسيحى « أنا أوّمن بالله واحد وسيأتى عليك وقت فيه تؤمن مثلى وتتألم لاجل هذا الدين نظيرى »

فلما سمع الواضح قوله اغتاظ منه ورفسه برجليه وقال له « أيها الضال المختل هل أصير نصرانيا مثلك وكافرا نظيرك حاشا ثم حاشا » ثم تناوله الواقفون بأنواع الالهات والرجل ساكن هادئ وبعد ذلك ساروا به الى موضع الاعدام والواضح معهم وشاهد المسيحى وهو يقدم عنقه للسياف بهدؤ ويحتمل العذاب بصبر وبعد قطع رأسه ألقى جسده للنار ولما انطفأت جاء قوم من المسيحيين فوجدوا جسده سالما

فرجع الواضح من ساحة الاعدام وقد هاله ما رأى من ثبات المسيحى وأدهشه اقدمه على الموت بمثل تلك الشجاعة وقضى ليلته وهذه الافكار تتردد على خاطره وشعر بأسف فى قلبه على الالهانة التى أوقعها بذلك الشاب الوديع وخشى أن يقوده هذا الفكر الى اتمام نبوءة ذلك الشاب عنه فأراد التسلى بالذهاب الى الحج وفيما هو فى الطريق حلم أن أحد شيوخ الرهيان دعاه اليه ثلاث مرات وقال له « ان كنت ترغب فى خلاص نفسك فقم واتبعنى » فقص حلمه على رفاقه فأفهموه انه أضغاث أحلام

وبينا هو راجع من الحج ضل عن الطريق قبل وصوله القاهرة وتاه فى الصحراء عن القافلة وهجمت عليه جيوش الظلام وهو يرتعد خصوصا عندما سمع زئير الوحوش الضارية القريية منه فاستغاث قائلا « اذا نجوت من هذا الخطر أعتبر نجاتى برهانا على صدق الدين المسيحى وأرغم على اعتناقه » ولم ينته من قوله حتى أقبل عليه فارس وطلب اليه أن يتبعه فسار خلفه حتى أوصله الى دير القديس مركور يوس (أبوسيفين) بمصر القديمة . ورفع الواضح عينه فاذا به فى كنيسة مسيحية فلم يعد يرتاب فى أن ما جرى معه كان بتدبير العناية الالهية لخلاصه بإيمانه بالمسيح

ولما أصبح الصباح ورآه خادم الكنيسة جزع منه وخاله لصا ولكنه اذا رأى أثاث الكنيسة باقيا حسبه مجنونا ولكن الواضح طمأنه وسأله عن المكان الذى هو فيه فأخبره أنه فى كنيسة القديس مركور يوس وقص عليه خبر جهاد هذا القديس وأراه صورته فى الايقونه فاندesh الواضح عندما ألفاها تشبه تمام الشبه صورة الفارس الذى قاده الى تلك الكنيسة . فصمم على اعتناق الدين المسيحى واطلع خدام الكنيسة على سريرته فخبأه الشماس فى مكان وأرسل اليه أحد الكهنة فحفظه فى الدير مدة وعمده سرا خوفا من الشر الذى يحيق بالكنيسة اذا شعر أحد أقاربه ودعى اسمه بولس

واتفق انه . رجع ذات يوم الى خارج الكنيسة فشاهده أحد أصدقائه فاندesh وصار بين الشك واليقين لما أشيع عنه بأنه مات تائها فى طريق مكة ثم سار وأخبر أهله بذلك فتنكر اثنان من أخوته ووقفوا أمام باب الكنيسة حتى خرج ولما تحققاه قبضا عليه وأتيا به الى أبيهما فلما شاهده بكى بدموع غزيرة ولعن شيخوخته وضرب بوجهه الى الأرض فأجابه الواضح « لماذا تبكى يا أبى اذا أحزنتك الثياب الرثة فان باطنى متجدد بالنعمة وبالقوة المسيحيتين » فاستخبر منه أبوه عما اذا كان قد ضل وصار مسيحيا فأجابه « انى لم أضل ولكنى اهتديت واسمى بولس » فازداد الشيخ بكاء وعويلا وهو يقول له « هل أردت أن تلطخ حياتى بالعار وتزرى نبي أمام عارفى التمس منك أن تمنع عنى هذا الحزى اكراما لشيخوختى برجوعك الى دينك الاول » فأجابه الواضح قائلا « ينبغى أن يطاع الله أكثر من الناس من أحب أبا أو أما أو ابنا أو ابنة أكثر منى فلا يستحقنى » (مت ١٠ : ٣٧) هكذا قال السيد المسيح واعلم انى مسيحى وعلى اسم المسيح أموت » فهدده والده بالموت ان لم يرجع ولما رآه مصرا طرحه فى بالوعة ماء دون أكل وشرب مدة أسبوع كانت أمه فى أثائه تتردد عليه من كثرة شفقتها وتلقى له بعض الطعام . ولما شاهد رجا ان أمه تكاد تقتل نفسها من شدة الحزن اتفق مع أولاده على اطلاق سبيله سرا فسار الى أديرة وادى النطرون ولبس شكل الرهبنة ولكن أحد الرهبان حسن له الرجوع الى وطنه بدعوى انه لا يستطيع أن يمجّد الرب الا باعلانه ايمانه فى نفس وطنه . فأسرع الراهب بولس بالذهاب الى بلده وهناك صرح علانية بأنه مسيحى فعرفه أهله وأتوا به الى منزلهم فلم يمد اليه أحد يد الأذى نظرا لمحبتهم له ولكنهم نصحوه كثيرا أن يعود لديانته الاولى فلما رأوا منه اصرارا زائدا سجنوه فى ذلك المكان المظلم مستودع القذارة مدة ستة أيام بدون طعام . وكان للواضح زوجة جميلة له منها ولد صغير فصارت تتردد عليه تلك المدة وتستعطفه ليرجع أشفاقا على ولده وهو لا يرد جوابا فأخرجه أبوه ودعاه الى الاقرار بالاسلامية فأبى فأراد أن ينتقم منه انتقاما هائلا فأمر كبير أولاده أن يأتى بزوجة الواضح ويزنى بها أمام عينيه ففعل وعينا الواضح تريان ومع ذلك لم تكن هذه التجربة المرة لتثنى عزمه بل ظل ثابتا فهدده أبوه بانتقام آخر قائلا له « ان لم ترجع عن ضلالك لاغرقت ابنك وأنت ترى » فأجابه الواضح « لا ريب انى أحب ابنى فلذة كبدى ولكن بلا شك أحب المسيح أكثر منه » فأخذه رجا من أمه ودفعه لقوم وأمرهم أن يجروا الواضح الى البحر ويغرقوا ابنه أمامه اذا هولبث مصرا على ضلاله فساروا بها ولما وصلوا الى

البحر أخذ أحدهم الولد وغطسه حتى رقبتة ودعى أباه الى الارتداد فصاح الواضح بحرقة « أنت تعلم أيها المسيح مقدار محبة الوالد لولده ولكن لا تسمح بأن تكون هذه المحبة سببا للكفر بك ولهذا أقدم ابني باختياري ضحية لك كما قدم ابراهيم ابنه اسحق » ثم التفت نحو الرجل وقال « اني أفضّل المسيح لا على ابني فقط بل على كل ما يوجد في الارض بأسرها » فترك الرجل الولد يغوص في الماء وعاد بالواضح الى أبيه فسلمه للحاكم ليقتص منه فتوسلت زوجته الى الحاكم ليبقيه حيا فشفق عليها وأطلقه فانطلق الى أسقف الاشموين ولبث معه مدة قصيرة و بعد ذلك مضى الى أقاصى السودان جنوبا وبنى كنيسة باسم رئيس الملائكة ميخائيل . ثم رجع الى مصر ليرسم كاهنا وعرض أمره على فيلوثاؤس البطريرك وكان كما ذكر عنه محبا للسيمونية فأبى أن يرسمه الا بعد دفع مبلغ من المال فحزن لهذا الامر والبطريرك يصر على طلبه حتى دفع المبلغ أحد أغنياء الاقباط ورسم بولس كاهنا . فبلغ أباه الخبر فاستعظمه واستأجر قوما من الاعراب ليفتكوا به ولكن بعض الاقباط أخطروه بما دبر ضده فهرب الى بلدة تدعى صدفا وأقام خادما في كنيسة للقديس تادرس فلما شعر به المسلمون هاجوا عليه يريدون قتله ولكنه مات قبل أن يتمكنوا منه . وعند موته هجم المسلمون على الكنيسة وسلبوها . وكان قد أوصى وكيل البطريركية بجثته خوفا من أن تعبث بها أيدي المسلمين فاحتفظ الوكيل بها وقص خبره على ميخائيل أسقف صان المؤرخ

القرن الحادى عشر

القسم الأول تاريخ البطاركة

- | | |
|--------------------------|------------------------|
| (١) زكريا | (٢) شنوده ^٢ |
| (٣) خيروستوذولو | (٤) كيرلس ^٢ |
| (٥) ميخائيل ^٢ | |

(١) زكريا — البطريرك الرابع والستون :

فى مبدأ هذا الجيل انعقد مجمع الاساقفة والكهنة والعلمانيين لانتخاب البطريرك وفى أثناء انعقاده كان ابراهيم بن بشر أحد تجار الاسكندرية المشهورين بالغنى والمعروفين لدى كبار المملكة قد مضى الى الملك فى القاهرة والتمس منه أن يكتب للمجمع كتابا يأمره فيه بانتخابه بطريركا . فكتب اليه وسار الى الاسكندرية وقبل أن يصل اليها كان المجمع قد وسم الاب زكريا فى شهر طوبه سنة ٧١٦ ش و ١٠٠٤ م فى عهد الحاكم بأمر الله . وقيل أن ابراهيم المذكور كان معضدا من بعض أعيان الاسكندرية ولما رآه الاساقفة يحمل أمرا ملكيا خافوا لئلا يوقع بهم الحاكم وسعوا فى ترضية خاطره فرسموه قسا ثم قصا ووعدوه بالاسقفية عند خلو أية ابروشية فطابت نفسه بذلك وقيل انه رسم فيما بعد أسقفا على مدينة ممفيس

أما الآب زكريا فأصله من الاسكندرية وتأدب منذ حداثة بالآداب المسيحية ونظرا لحسن سيرته رسموه قسا بكنيسة الملاك ميخائيل بالاسكندرية ولما رسم بطريركا سار فى خطة آبائه الاطهار وجعل همه التدقيق فى رسامة الاساقفة لكرهته عادة السيمونية (أى بيع الرتب نسبة الى سيمون الساحر الذى أراد أن يشتري موهبة الروح بدرهم) فكان شديد الوطأة على أولئك الذين كان يظن انهم ارتقوا بهذه الوساطة . وقد أقام عنده مجلس أساقفة لحل المشاكل الدينية وكان جلهم من أقربائه فلم يراعوا الامانة فى خدمتهم فكانوا يقبلون الرشوة من المتقاضين لتنفيذ مآرهم وقيل أن أحد جمع أكثر من ٢٠ ألف جنيه من هذا الطريق ونشأ عن هذا التصرف ضيق شديد للبطريرك سيأتى ذكره

فمن ذلك ان رجلا يدعى القس يوحنا كان كاهنا على قرية ابى نفر « بالجيزة » بلغ به الشوق لمنصب الاسقفية لدرجة انه سار الى البطريرك وطلب منه أن يتم رسامته فقدم البطريرك طلب يوحنا الى مجمع الاساقفة فلم يره المجمع لائقا فرفض طلبه قيل لانه كان متزوجا . وكان للبطريرك ابن أخ يدعى ميخائيل أسقف سخا وهو محب للرشوة فطلب من القس يوحنا مالا يساعده

على بلوغ غرضه فاعتذر يوحنا ووعده بالوفاء بعد تعيينه فعمل ميخائيل على معاكسته الا أن البطريرك لم يقطع أمله بالمرّة بل وعده بنيل مراده بعد حين . ولكن القس ألح عليه باجراء الرسامة حالا وهدده بأن يوقع به اذا امتنع فازدري به البطريرك لوقاحته وطرده . فأضمر له القس الشر ولما كانت له كلمة فى دوائر الحكومة عزم على تقديم شكواه للخليفة . فشر الكتاب الاقباط بذلك وخافوا أن تأوول تلك الشكوى الى اضطهاد عنيف فأخذوا يلاطفون القس وكتبوا له تزكية منهم وخطابا للبطريرك يطلبون منه تعيين يوحنا أسقفا

وكان البطريرك غائبا بوادى هبيب فقادت القس يوحنا الصدف الى الوقوع بين يدي عدوه ميخائيل فلما علم بأمره خشى أن يقابل البطريرك فيرسمه وأسرع فى تسليمه لقوم من العرب وأمرهم بأن يلقوه فى بئر و يرجوه حتى يموت فأخذوه وفعلوا به كما أوصاهم ولحسن حظ يوحنا كان فى تلك البئر كهف فتوارى فيه ونجا من الخطر واذا ظن الاعراب انه مات تركوه

وبلغ الخبر بعدئذ البطريرك فغضب على ابن أخيه جدا وكانت مساوئه ومثله لقبول الرشوة قد ذاعت وانتشرت فسخط عليه وأمر قوما ممن يثق بهم أن يذهبوا ويخرجوا الرجل فوجدوه حيا . فلما مثل أمامه وعده برسامته أسقفا عند خلو أية ابروشية وفيما بعد اضطر البطريرك أن يخلف وعده ليوحنا بالنسبة لحكم مجمع الاساقفة ولما سمعه عن تصرف يوحنا المعيب فلما خلت أول ابروشية عين لها واحدا بدله وقيل ان ميخائيل ابن أخى البطريرك هو الذى مازال به حتى رسم غير يوحنا

فاغتاظ يوحنا من ذلك وعول على الانتقام من البطريرك فكتب تقريراً شائنا بحقه ورفع له الى الحاكم بأمر الله وكانت عادة البطارقة الى هذا الزمن مكاتبه ملوك الحبشة والنوبة مباشرة فوشى القس للخليفة ان البطريرك يكاتب هؤلاء الملوك و يكشف لهم كل ما يجرى فى البلاد ويعرفهم سوء معاملة النصارى خلافا للعهد . فغضب الحاكم وأمر بالقبض على البطريرك وعلى بعض الاساقفة وألقاهم فى السجن ثلاثة شهور ثم طرح البطريرك بعد ذلك للاسود هو وراهب يدعى سوسنة النوبى فلم ينلها منها ضرر بل تآنست بهما ومما ذكر أن أحد الاسود كان يأتى وينطرح تحت قدمى الراهب سوسنة و يلحسهما فعاقب الحاكم متولى أمر السباع وتوهم أن امتناعها ناشئ عن كثرة أكلها فأبقاها مدة بغير طعام ثم ذبح خروفا ولطخ بدمه أثواب البطريرك والراهب وألقاها أمامها ففعلت كالاول فأعيدا الى الحبس واستمر الحاكم مدة تسع سنين يضطهد الاقباط والبطريرك زكريا فى أعماق السجون يهدده تارة بالحرق و يعده تارة بالهبات والعطايا اذا تدين بالاسلامية وحمل الاقباط على اعتناقها

غير أن البطريرك لبث ثابتا كالصخر أمام كل هذه الزوابع حتى مل منه الحاكم وتوسل اليه أحد الامراء أن يشفق عليه فأتى بالبطريرك ونفاه فى أحد الاديرة البعيدة فى برية شيهات

وأمره أن لا يخرج منه أبدا وأن لا يكاتب البطارقة ملوك النوبة والحبشة مباشرة والا يقبلوا منهم مكاتبات الا بعد عرضها عليه ومعرفة ما فيها وكذلك طلب من هؤلاء الملوك أن تكون المكاتبات منهم واليه مباشرة وبقي الامر هكذا مدة طويلة فكان اذا أتى الخليفة أو السلطان كتاب يقتضى الرد يطلب من البطريرك أن يشرح له ما عليه نصارى مصر من الراحة والحرية فى الدين وعدم التعرض لهم فى عقائدهم ولو كانوا فى أشد عذاب و يوصيه خيرا بالمسلمين الذين تحت رعايته

وحدث ان راهبا يدعى بيمين تدين بالاسلامية وتزلف الى الحاكم ونال منه حظوة وتمكن من استصدار أمر برفع الاضطهاد عن الاقباط وعاد الى كنيسة أبى سيفين وزاره الخليفة فى تلك الكنيسة لمحبه له فسأله أن يأذن للمسيحيين فى العودة الى مدينة بابلليون فأجابه الى طلبه ورجع البطريرك وأقام فى كنيسة أبى سيفين مع بعض الاساقفة والكهنة والراهب بيمين وزار الخليفة الكنيسة مرة أخرى فعرفه بيمين بالبطريرك فاندesh من حقارة ملابسه وعدم تهيبه وسأل عن مقدار نفوذه فأجابه انه بحالته البسيطة هذه يستطيع أن يخضع الناس له برسالة يوقع عليها باسم الصليب أكثر من خضوعهم لجيوشك الجرارة

فأدار الخليفة وجهه وخرج من الكنيسة وهم لا يدرون على ما عزم أن يفعل بهم ولبثوا فى الكنيسة ينتظرون الهلاك المريع وزادهم رعبا حضور القس يوحنا كاهن أبى نفرعلة كل المحن الى الكنيسة فى ذلك الوقت وتقدم الى البطريرك وهناك برجوعه سالما وعاد يطلب منه القديم فأغتاظ الاساقفة من هذه الدناءة وعابوا على البطريرك مقابلته يوحنا بالحنو وقالوا له لسنا ندرى الى أية مهواة تريد أن تقودنا ببساطتك . وكان أشدهم مقاومة ليوحنا واطهارا الغيظ منه ميخائيل ابن أخى البطريرك فخاف منه يوحنا واحتتمى ببعض الواقفين فأقنعوا ميخائيل بضرورة الصفح عنه فصفتح ورفعوا يوحنا الى رتبة الايغومانوسية وهى أعلى درجة يستحقها بصفة كونه متزوجا

وبعد بضع ساعات ضجت الكنيسة كلها لسماعها نبأ رجوع الخليفة اليهم وارتفعت جميع الاصوات بالبكاء والعيول حتى شاهدوا الخليفة بالعيان يدخل الكنيسة بحاشيته فكادت البابهم تطير واذا بالحاكم يسلم البطريرك فرمانا باباحة الحرية للاقباط ورد جميع ما سلب منهم فتغيرت لهجة حزنهم بلهجة الشكر لله على هذه النعمة الجزيلة ثم تفرغ البابا زكريا لترميم ما تهدم من كنائس بدون كلل مدة ١٢ سنة فجدد منها الكثير وساعده على ذلك فرمان الحاكم بأمر الله

والتاريخ يمدح البابا زكريا ويصفه بالتقوى الزائدة حتى استحق أن تجرى على يديه آيات وعجائب بقوة الله ومن ذلك أن شماسا اختلف مع امرأته وتركها فجر به الشيطان بارتكاب خطية الزنا مع خنثى ولانه أحد خدام بيعة الله انتقم منه عاجلا بأن ضربه بالبرص . ولما مضى الى بيته رآته امرأته على تلك الحال فقدمت عليه شكوى للبطريرك فاستحضره لديه وفرض عليه قانونا بأن

يصوم أربعين يوما الى المساء و يأكل و يشرب فقط ما يسد الرمق والسغب و بعد انقضاء هذه المدة
منحه الحل والغفران ومسحه بزيت فنال الشفاء العاجل

واستمر البابا زكريا بطريركا مدة ٢٧ سنة قضى منها منفيا مدة تسع سنين ببرية شيهات
وبنى فى عهده دير شهران (١) المعروف الآن بدير العريان بناد الراهب بيمين بأمر الحاكم .
وكانت نياحة البابا زكريا فى ١٣ هاتور سنة ٧٤٥ ش و ١٠٣٢ م

(٢) شنوده ٢ — البطريرك الخامس والستون :

وبعد وفاة البابا زكريا انتخب مجمع الاساقفة والشعب راهبا يسمى شنوده من دير أبى
مقار وأصله من طنان وقيل تلبانه وكانت العادة أن الخليفة لا يصرح بتقليد البطريرك الا اذا أورد
مبلغا مقداره ٦٠٠٠ دينار نقدا أو يكتب به صكا ليدفعه فى ميعاد معين وكان بين الاقباط رجل
مسموع الكلمة يسمى ابن بكر فسعى لدى الخليفة فأصدر أمرا برفع هذه الغرامة وأذن برسامة الاب
شنوده بطريركا فرسم فى شهر كيهك سنة ٧٤٥ ش و ١٠٣٢ م فى عهد خلافة الظاهر بن الحاكم

وفى وقت ترشيح شنوده اشترط عليه اكليروس الاسكندرية أن ينفق على كنائسهم كل
سنة ٥٠٠ دينار واشترط عليه أعيان الطائفة أن يرفض قبول أية رشوة لاسيا ممن يروم أن ينال درجة
كهنوتية . ولكن هذا البطريرك لم يكذب يستقر به المنصب حتى أظهر من محبته للمال ما أوجب
اعتراض أهم أبناء أمته عنه لاسيا ابن بكر الذى نصحه بالسير فى طريق الاعتدال فأهانته وتجاوز
عهده ولم يكن يسمح برتبة الاسقفية أو القسوسية الا لمن يجزل له الرشوة . ويقال ان الايغومانوس
يوحنا الذى طالب بالاسقفية فى عهد البابا زكريا ولم ينلها رأى الفرصة مناسبة للحصول عليها فقدم
للبطريرك ما جعله أهلا للاسقفية على ابروشية العريش وصار يدفع ستين دينارا سنويا لحصوله
على أمنيته . وباع البطريرك أسقفية بانفيوس للاسقف روفائيل بألف ومائتى دينار وأسقفية
ليكو بوليس « أسيوط » بمبلغ فادح . غير أن شعب ليكو بوليس رفض قبول هذا الايغومانوس أسقفا
عليه لعلمه بنواله الرتبة بالسيمونية فطلب من البطريرك اما أن يقنع الشعب أو يعطيه ما دفعه فرفض
اجابة الطلبين

وأصدر هذا البطريرك قرارا يقضى بأن تكون جميع مقتنيات الاساقفة ملكا للبطريركية بعد
وفاتهم وكان أول من نفذ فيه هذا القرار أسقف شنان فأمر أخاه أن يسلم كل ما كان لآخيه الى
البطريركية فالتمس منه أن يترك له ولوشيئا يسيرا يعيش منه فلم يقبل فاعتنق الرجل الديانة
الاسلامية ورفع دعواه للمحاكم الشرعية التى حكمت له بأحقية امتلاك جميع مقتنيات أخيه . غير

(١) اسم البلدة التى كان بها الدير وكانت عامرة أهلة وقد خربت وتلاشت كغيرها وفى موقعها الآن قرية تسمى المعصرة .

ان هذا القرار أى تحويل مقتنيات الاساقفة الى البطريركية بعد وفاتهم صار نافذ المفعول وعمل به لغاية يومنا هذا

وفى السنة الثانية من رئاسة هذا البطريرك أظهر رفضه لدفع الاعانة التى قررهما للاسكندرين واعتذر بعدم كفاية ايراد البطريركية لمصروفاته فرفع عليه اكليروس الاسكندرية دعوى فى مجمع انعقد بالقاهرة حضره ابن بكر ولما طال الجدل بين البطريرك والاسكندرين تعهد ابن بكر هو ووجهاء الطائفة بدفع هذه الاعانة اذا أُلغى البطريرك والاساقفة عن بيع الرتب الكهنوتية فقبل التوقيع على صورة قرار بهذا الشكل . وكان بعض الاساقفة قد أخذوا أموالا من بعض العلمانيين ليكرسوهم كهنة فرفضوا التوقيع معتبرين عملهم شريفا . فتقدم اليهم ابن بكر ونصحهم بالعدول عن هذا التصرف الوخيم فأظهر البطريرك ارتياحه لكلامه وطلب منه القرار ليعيد قراءته على مسمع الاساقفة فأعطاه اياه ابن بكر مطمئنا ولكنه اندهش اذ رآه ممزقا بين يديه وانتهى المجمع على هذه الحالة المحزنة

غير ان الاساقفة الذين أثار فيهم كلام ابن بكر اجتمعوا فى كنيسة أبى سيفين وأظهروا رضاءهم على قراره واتفقوا على السير بموجبه . فتحزب البطريرك ولبث فى كنيسة الملاك ميخائيل ثم توجه فى اليوم التالى الى كنيسة أبى سيفين وتقابل مع الاساقفة وابن بكر وأخذ فى مناقشتهم حتى قبل أخيرا أن يمضى ذلك القرار ولكنه اذ رأى ابن بكر يتدخل فى شؤنه المالية رجع الى عناده وعمل على اهانتة وقضى بقية حياته مبغوضا حتى أدركته المنية فى ١٢ هاتور سنة ٧٦١ ش و١٠٤٧ م بعد أن قضى بطريركا ١٤ سنة و٧ أشهر و١٥ يوما

(٣) خير وستوذولو - البطريرك السادس والستون :

كان راهبا بصومعة سنجارو يلقب بالحبيس وأصله من بلدة بورا وتمت رسامته فى شهر كيهك سنة ٧٦١ ش و١٠٤٧ م فى عهد خلافة المستنصر بن الحاكم فلما استقر به المنصب قام من مدينة الاسكندرية الى مصر واتخذ كنيسة المعلقة بظاهر الفسطاط مقرا له ولم يكتف بكنيسة المعلقة بل جدد كنيسة القديس مركوريوس وجعلها كاتدرائية كبرى ومركزا لكرسيه وجعل كنيسة العذرا فى حى الاروام مقرا له يأوى اليه عند اللزوم ورضى أسقف بابليون بذلك . والذى دعاه الى ذلك انتقال عظمة مدينة الاسكندرية الى مدينة القاهرة وكثرة ما فى هذه من المسيحيين وعلاقة وظيفته بالحكومة ومن ذلك الحين صار يعين أسقف للاسكندرية بلقب وكيل الكرازة المرقسية

وكان أول من سعى فى ايصال الاذى لهذا البابا رجل كان بين كتاب الدولة يسمى يوحنا بن الظالم أحب الاسقفية وسعى لدى البطريرك ومازال به حتى أجاب طلبه وولاه أسقفية سخا . ويظهر ان مطامعه لم تقف عند هذا الحد وكان هذا سبب نزاع حدث بينه وبين البطريرك عقب

انتقاله لمصر فضم اليه بعض الاساقفة منهم خائيل أسقف قطور وإيليا أسقف طمويه وجرجس أسقف الخندق ومرقس أسقف البلينا وميخائيل أسقف تنيس وتحالفوا مع جمهور من الشعب على عزل البطريرك وادعوا بأن رسامته غير قانونية لان الفصول المختصة بسيامة البطارقة لم تقرأ عليه . ولكن كان فى بلاط الخليفة رجل يسمى أبا زكريا يحيى بن مقاره وهو شيخ فاضل مسموع الكلمة فتلافى الامر وتداخل بينهم وصالح البطريرك مع أسقف سخا وطيب خاطر الباقيين وصرفهم الى مراكزهم وهذا انتهت على أحسن حال . وبعد ذلك حدث انقسام بين مجمع الاساقفة بسبب اثنين منها تشاحنا على حدود ابروشيتيهما ولم ينته الخلاف ويحل السلام إلا بعد تعب شديد

ومن أعمال هذا البابا انه اهتم باصلاح ما تخرب من الكنائس وحدث انه فى يوم واحد دشّن خمس كنائس قام بتشيدھا أعيان الطائفة بأسماء القديسين يوحنا الانجيلي ومركور يوس ومينا وجرجس وروفاثيل . ورسم فى ذلك اليوم كاهنا وستين شماسا وكان الفرع شاملا والسرور عاما

ثم وجه نظره نحو الخلل الذى ساد على الكنيسة فى أيام سلفه الذى لم يكن يهتم باتمام طقوس الكنيسة كما هي وكان ذوو النفوذ يتدخلون فى قلب نظامها حتى فترت الغيرة الدينية وأقبل الكثيرون على اعتناق الديانة الاسلامية فجاء البابا خير وستودولوفى جميع أنحاء القطر المصرى يتفقد أحوال الكنائس ويتبين شئونها فبنى كنائس كثيرة حتى وصل الى دمنهور فشيد بها بيعة فخمة واتخذها مقرا لكرسیه فزادت قيمتها ووفد عليها الكثيرون من الاقباط وذلك لان بعدها عن مركز الحكومة منع وصول الاضطهاد اليها

وأول تهمة وجهت اليه من المسلمين انه استعمل سلطانه على جرجس ملك النوبة للضرر بمصالح المسلمين وألزمه بان يقطع العلاقات التجارية معهم ويمتنع عن ارسال الجزية المعتادة من الرقيق . وكان البطريرك قد أوفد أسقفا من قبله الى ملك النوبة ليدشن كنيسة بنيت فى عهده ولما أحضر البابا ليحيى عن هذه التهمة أخذ يقنع يازورى وزير الخليفة فى مصر بأن مصالحه ببلاد الحبشة لا تتعلق مطلقا بالمسائل السياسية بل بمسائل خاصة بالديانة فسلم الوزير بصحة كلامه ولبت البطريرك هو وقومه مدة متمتعين بالراحة الكاملة

وفى بعد قام لمقاومته عبد الوهاب أبو الحسين أحد قضاة القاهرة الذى انتقل الى دمنهور وهناك واجه البطريرك وكان يتوهم ان البطريرك سيبه شيئا فلما خاب أمله استخدم كراهة الوزير للبطريرك للانتقام منه فوشى به انه سلب أموال كثيرين ظلما وبنى بها عشرين كنيسة وفى دمنهور شيد كنيسة عظيمة وقصرا شاهقا نقش عليه البسملة المسيحية واتهمه بأنه يحتقر الاسلام واذ كان الوزير يتوقع فرصة لاضطهاد النصارى استعظم هذه التهمة وأرسل بعجلة من يهدم تلك الكنائس التى بتلك الجهة وناصره على اتمام هذا الامر أبو الفرع البابلى من كبار المملكة وكان حينئذ

وكيلا على الوجه البحرى وألزم البطريرك أن يحو البسملة المنقوشة على باب قصره فلم يمانع فى ذلك لكنه قال « ان محوها من على السور لا يحوها عن صفحات قلبى »

ثم قبض على البطريرك وبعض أساقفة الوجه البحرى واعتقلوا وأرسلوا الى القاهرة مدعين عليهم بدعاو باطلة لا أصل لها . أما الخليفة فانه رغبا عن تمويهات الوزير لم يجد عليهم ما يوجب هذه الاهانة فأخلى سبيلهم وطيب خاطرهم وصرفهم الى أماكنهم فشق هذا على الوزير ولشدة غيظه أمر بقفل جميع الكنائس المسيحية فى القطر المصرى فثار الشعب القبطى وبلغ الخبر للخليفة الذى تلافى الامر بالقبض على هذا الوزير المستبد ونفاه الى جهة تنيس بأقصى الوجه البحرى وبعد ذلك قتله لما رآه يسعى فى تهيج المسلمين على النصارى

ولم يكد البطريرك يستريح قليلا حتى جرى عليه اضطهاد آخر عندما حاول أن يفتح الكنائس فتعينت ضريبة باهظة على أقباط الاسكندرية دفعوها مقابل تسليم البطريرك مفاتيح كنيسة واحدة لاقامة العبادة فيها وتركوا له بيت انيانوس البطريرك الثانى وذكر كاترمير المؤرخ نقلا عن كتاب مخطوط ان رأس يوحنا المعمدان التى كانت محفوظة الى ذلك الوقت بالاسكندرية خبأها الاقباط خوفا من وقوعها فى يد المسلمين

وعاد المسلمون ثانية وألقوا القبض على البطريرك ووجدوا فى خزينته تسعة آلاف دينار نهبوها واقتسموها ثم أطلقوا سراحه بتوسط ذوى النفوذ من موظفى الاقباط وكانت العادة أن يزور البطارقة أديرة وادى النطرون فى أحد السنين بينما كان البابا خير وستوذولو بوادى النطرون هجم اتباع ناصر الدولة زعيم الترك على الاديرة واضطهدوا الرهبان وذبحوا كثيرين منهم وأخذوا البطريرك أسيرا معهم وأوسعوه اهانة وتعذيبا ولكن الله نجاه بواسطة رجل قبطى يدعى أبا الطيب كان رئيس كتبة ناصر الدولة فتوسل الى مولاه أن يطلقه ففعل اكراما لخاطره ودفع أبو الطيب فدية له مبلغ ثلاثة آلاف دينار

وأصيبت البلاد فيما بعد بجوع شديد مات بسببه ميخائيل أسقف تنيس وكان جرجس ملك النوبة قد ارسل رجلا يقال له بامون ليرسمه البطريرك مطرانا لبلاد فرسمه واوصاه ان يخبر الملك بالحالة السيئة التى بات فيها الاقباط فشفق عليهم ملك النوبة وارسل لهم زادا وافرا غير ان جنود ناصر الدولة اعترضوا رسل ملك النوبة عند وصولهم الى حدود مصر وارجعهم بالمؤونة خائبين الى ملكهم

وفيا بعد قبض على زمام الولاية فى مصر بدر الدين الجمالى فوشى له أحد المسلمين بأن فكتور مطران النوبة أمر بهدم جامع للمسلمين هناك فغضب لذلك وأمر بالقاء القبض على البطريرك وألقى عليه تبعة ذلك العمل ولكن البطريرك برهن له على فساد التهمة فاطلقه وأخلى

سبيله . وهرب احد العصاة من وجه بدر الجمالى الى بلاد النوبة فكلف البطريرك بان يبعث اسقفا من قبله الى ملك النوبة يطلب منه تسليم ذلك الثائر فأجاب البطريرك طلبه وعين لذلك اسقفا يدعى مركور يوس سارمع مندوبين من قبل بدرو بلغوا الطلب لملك النوبة فقبض على ذلك الرجل وسلمه اليهم فجاءوا به الى القاهرة .

ووشى مرة أخرى الى بدر بان كيرلس مطران الحبشة الذى كان يدعى قبلا ايننا عبدون يغرر بمسلمى الحبشة الضعيفى الايمان و يدعوهم الى شرب الخمر عند تناول الطعام فقبض بدر على البابا خيروستوذولو بصفته رئيسا لذلك المطران ليعاقبه عوضا عنه ولحسن الحظ لم يكن كيرلس المذكور قد سيم مطرانا بعد فدفع المطران عنه هذه التهمة وصرح بانه لم يرسم بعد وانه سيرسل له الانبا مركور يوس لتتيم رسامته و ينصحه بان يكف عما يعمل ان كان ما شاع حقا فاقتنع بدر الدين واطلقه ولكن غيظ ولاية المسلمين من البطريرك كان يزداد يوما فيوما خصوصا لما رأوه من نفوذه على بلاد الحبشة فكانوا يفضون المراسلات المتبادلة بين الفريقين و يردونها الى جهاتها مفضوضة أو يمزقونها حسبا يترأى لهم

أما البابا خيروستوذولو فصرف باقى حياته فى وضع قوانين كنسية نافعة لشفاء داء الخلل الذى كان عاما وقتئذ وجعل هذه القوانين سارية المفعول فى كل كنائس القطر المصرى وكان عددها ٢١ قانونا حرم فى بعضها على الارثوذكس من رجال ونساء التزوج بالاجانب وغير الارثوذكس . وكانت العادة ان يصنع القربان المقدس خاليا من الزيوت والادهان ولكن اهالى سوريا كانوا يضعون الزيوت فى قرايينهم فانكر عليهم البابا خيروستوذولو ذلك واتفق انه كان يقدس مرة فى كنيسة ابى سيفين بحضور طبيب سوري له اتصال بالخليفة فاحضر قربانا مما يصنع فى بلاده وطلب من البطريرك ان يصلى عليه فافهمه ان ذلك مغاير لقوانين الكنيسة فأصر الطبيب على طلبه حتى أمر البطريرك رجال الكنيسة أن يخرجوه رغما فعمل هذا الطبيب على القاء بذور العداء بين البطريرك والخليفة

وبعد ان قضى هذا البطريرك مدة تسع وعشرين سنة وثمانية شهور و١٩ يوما على الكرسي البطريركى رقد فى الرب فى ٢٤ كيهك سنة ٧٩٢ ش و١٠٧٨ م ودفن بكنيسة المعلقة ببابليون ثم نقلوا رفاتة الى وادى النطرون

(٤) كيرلس ٢ — البطريرك السابع والستون :

كان حبيسا بصومعة سنجار واسمه جرجس وهو من اهل اقلاقه بجيره انتخب للبطريركية فى ٢٢ برمهات سنة ٧٩٢ ش و١٠٧٨ م فى عهد خلافة المستنصر بقرار مجمع انعقد فى الدار البطريركية مؤلف من الاساقفة وكبار الشعب . وقوبل انتخابه بالارتياح فى جميع دوائر الحكومة

حتى ان عقلاء المسلمين طلبوا اليه ان يبارك قصر الخليفة فباركه باحتفال عظيم وتفاءل الاقباط به خيرا

وعقب رسامته بقليل تنازل سلمون ملك النوبة عن الملك لابن أخته المدعوجرجس وأثر العزلة والانفراد فى دير نفر يوس الواقع فى البرية بين حدود مصر والنوبة ملازما الصلاة والعبادة فحاصره أهل أسوان طمعا فى ضم الدير الى مصر وأخذوه أسيرا وأتوا به الى أمير الجيوش بدر الجمالى فقابله البطريرك وكبار الاقباط باحتفال عظيم ولقى من أمير الجيوش اكراما زائدا وخصص له قصرا لاقامته فيه وبقي به فى مصر حتى توفى بعد ذلك بقليل ودفن بالاكرام بدير الخندق المعروف الآن بدير انبا رويس خارج القاهرة

وفى أثناء اقامة سلمون بمصر تحقق بالعيان ما كان بين القبط والنوبيين من الرابطة الدينية وتبادل البطريرك معه الزيارات واحتفى به وجهاء الطائفة وكان وجوده بينهم هذه المدة سببا فى رفع شأنهم عند أكابر الدولة وعظمائها لاسيما عند أمير الجيوش الذى لما شاهد علامات الاخاء بين الاقباط والنوبيين والحبش رغب فى عقد معاهدة مع ملوك هاتين الامتين لتسهيل طرق التجارة وامتدادها بين الديار المصرية وتلك البلاد فكاشف عظماء الامة القبطية وعقلاءهم بما يكتنه فى صدره وطلب منهم بذل الجهد فى مساعدته فلبوا طلبه وشرعوا فى فتح باب المخبرات مع ملوك الحبشة والنوبة بواسطة البطريرك وهكذا تم الاتفاق على ما يروم امير الجيوش الذى أنعم على البطريرك بما يستعين به على اصلاح الاديرة والكنائس المتخربة

وجرى بعد ذلك ان شخصا اسمه كيرلس انطلق الى بلاد الحبشة وادعى انه مطرانها وتسلبط على كنائسها ولما بلغ أمره الى البابا كيرلس حزن وقصد ان يقيم غيره اسقفا شرعيا يدعى ساو يرس و يرسله اليها فقاومه أمير الجيوش وأبى ان يرخص له بسفر المطران الا اذا وعده بان يبنى فى الحبشة خمسة مساجد وان يرسل له المطران كل سنة هدية فلم يسع البطريرك الا الرضوخ وسار ساو يرس الى الحبشة فهرب من وجهه كيرلس الى بلدة (دهلك) من بلاد الحكومة المصرية وبلغ أمره أمير الجيوش فاستقدمه اليه وأخذ كل ثروته وقتله ولاقى المطران ساو يرس متاعب جمة لاسيما عندما شرع يبذل مجهوده فى اصلاح الكنيسة الحبشية ومقاومة العادات الفاسدة الشائعة بينها وكان جل الامراء يأخذون جملة من الجاريات فوق الزوجة الشرعية فقصد المطران ان يستأصل شأفة هذه العادة ولكن مساعيه لم تأت بفائدة تذكر لانهم كانوا يدعون انهم باقون على شريعة موسى فى أمر تعدد الزوجات واعتقدوا ان ذلك ليس محرماً الا على القسوس والشمامسة فقط مع اعترافهم بان ذلك مخالف لروح المسيح

وحدث فيما بعد ان ساو يرس أرسل اخاه الى امير الجيوش بهدية لم تصادف منه قبولا لحقارتها فاشتد غيظه وأتى بالبطريرك مع عشرة اساقفة وأخذ يعنفه بشدة على تقصيره فى القيام بما

وعد به فشرع البطريرك يدافع عن نفسه فقاطعه وتوعده واساقفته ان لم يكلفوا اثنين منهم بالسفر الى الحبشة ليلزما مطرانها بوفاء وعده وان يرسل ضريبة ٥٠ سنة سلفا وان يحذر الحبش من التربص لتجار الاسلام في الدروب وأمر ان يبقى البطريرك والاساقفة تحت تصرفه وان يدفع كل منهم اربعة دنانير يوميا نفقة اعالة حتى يرجع المطرانان اللذان يرسلان الى الحبشة ولكنه فيما بعد عدل عن هذا الرأي واكتفى بتدوين أسمائهم وجعلهم تحت مراقبة الجنود وأطلق سراحهم فاقاموا في كنيسة المعلقة واتفقوا على أن يرسلوا الانبا مرقس اسقف أوسيم والانبا تادرس اسقف سنجار واحاطوا امير الجيوش بما دبروه

ولكن هذا الامر لم ينفذ بتدبير الهى وذلك ان باسيل ملك النوبة ارسل ابن الملك المتوفى الى أمير الجيوش بهدايا فاخرة طالبا منه أن يكلف البطريرك بتكريسه مطرانا على النوبة وخشى امير الجيوش ان يظهر سخطه على البطريرك امام ابن ملك النوبة فسمح له ان يمثل امامه هو واخو ساو يرس المطران فدفع البطريرك عن نفسه وأخبره أخو المطران ان أخاه بنى سبعة جوامع بدل اربعة ولكن الحبش هاجوا عليه واتهموه بالتحيز للمسلمين وقاموا على الجوامع وهدموها وقصدوا الفتك بالمطران حتى اضطر الى الهروب ولم يخلصه من ايديهم الا الملك الذى امر بسجنه حينئذ

ولما شعر ابن ملك النوبة بخرج حالة البطريرك والاساقفة طلب من أمير الجيوش اطلاق سراحهم فقبل وامر البطريرك بارسال الاسقفين الى الحبشة لاعادة بناء الجوامع المتهدمة فسافر الاسقفان واخبرا ملك الحبشة بالامر وأخبراه أن جميع كنائس القطر المصرى تحت خطر الانهدام ان لم تسرع ببناء الجوامع فاستشاط الملك غيظا وارسل يقول لبدر « ان تجاسرت ومددت يدك بسوء الى كنيسة واحدة فاعلم انى اقلب مكة رأسا على عقب ولا ارضى باعادة بناء حجر واحد الا اذا اخذت وزنه ذهباً »

غير ان بدر الجمالى هذا على رأى اكثر المؤرخين لم يكن مسلما بل مسيحيا وانما اظهر التحيز للاسلامية حبا في بقاء سلطانه مرفوع الشأن . وقد تجلت أخلاقه الطيبة فى الحادثة التى نذكرها وهى ان الاسقف يوحنا الظالم الذى سبق واضطهد البابا خير وستودولوفى مصر على تشويش راحة الامة فصارت قرب فرصة لاطهار ما كان يخفيه فى صدره فلما تقلد البابا كيرلس الرئاسة اتحد مع اربعة أساقفة وهم أخوه مرقس أسقف سمنود و يوحنا أسقف دميرة وخائيل أسقف أبى صير ومقارة أسقف القيس ومعهم الشماس أبو غالب أحد أعيان مصر المشهورين وتواطأوا على عزل البطريرك فكتبوا تقريراً بالطعن فى حقه مدعين عليه بدعاو توجب عزله وقدموها لبدر الدين الجمالى بواسطة يسىب رئيس بستانه وكان قبطيا . وكان البطريرك متغيبا حينئذ فى الاقاليم يزور الكنائس ويفتقد الرعاية و يدشن البيع التى بنيت حديثا

فلما اطلع أمير الجيوش على التقرير رأى انه ليس من شأنه أن يحكم فى أمر مثل هذا من

تلقاء نفسه بمجرد أقوالهم فأمر البطريرك بعقد مجمع من أساقفة الوجهين القبلى والبحرى وكبار الامة يرأسه أمير الجيوش ليجثوا فى الامور المنسوبة اليه على البطريرك ليعرف عما اذا كانت صحيحة أو غير صحيحة فحرر البطريرك كشفاً بأسماء الاساقفة الذين يطلبون الحضور الاجتماع فحضر فى مدة قصيرة ٢٧ أسقفاً من الوجه البحرى و ٢٢ من الوجه القبلى و ٣ أساقفة بابليون والخذق والجيزة

ولما تكامل عدد الحضور انعقد المجمع تحت رئاسة أمير الجيوش فى قطعة أرض له خارج القاهرة . ثم وضع الكتاب المقدس فى الوسط وجلس أساقفة الوجه البحرى على الكراسى فى صف وأساقفة الوجه القبلى على الكراسى فى صف وأساقفة مصر وضواحيها فى وصف وجلس المشتكون وأصحاب الدعوى معا . وبعد الصلاة قدم ابن الظالم تقريره الذى يتهم فيه البطريرك بتهمة شنيعة فقام البابا كيرلس وفند كل تهمة تفنيدها لا يدع مجالاً لمدع فافتنع الجميع وعلى رأسهم أمير الجيوش ببراءة البطريرك ولذلك وقف أمير الجيوش فى وسط المجمع ووبخ الاساقفة على هذا التنازق قائلاً لهم « كان يجدر بكم أن تكونوا أنتم المثال فى المسامحة حتى يقتدى بكم الشعب الذى ترشدونه ثم حث الاساقفة على الخضوع لرئيسهم والاحلاص له وطلب منهم أن يطلبوا منه العفو فتصافح الجميع أمامه وكلف أحد رجاله بأن يسلمهم أوراق العفو . ثم أمر بقطع رأس عامل بستانه الذى سعى بالشر ضد بطريركه فخجل الاساقفة من تأنيب الجمالى لهم ورجعوا الى كنيسة ابى سيفين وأخذوا يتضرعون الى الله ليغفر لهم خطاياهم وبعد أسبوع كلفوا البطريرك بأن يقيم لهم صلاة القداس وتناولوا من بين يديه القربان المقدس

ولما كان بدر الدين الجمالى أمير الجيوش أرمنى الاصل تكاثر عدد الارمن المهاجرين الى القطر المصرى حتى انتخبوا لهم بطريركاً يدعى غريغورى ولما كان الارمن تابعين للكنيسة القبطية فى اعتقادها بالطبيعة الواحدة فقام البابا كيرلس برسامة غريغورى بطريرك الارمن وحرر منشوراً لكافة الكنائس يخبرها فيه أن كنائس مصر والحبشة وانطاكية وارمينية متحدة فى الايمان الارثوذكسى المستقيم

وبعد ذلك اشتغل البابا كيرلس بوضع قوانين جديدة للكنيسة سارت عليها الى ما بعد وفاته بزمان . واهتم أيضاً باصلاح الكنائس وافتقاد الفقراء . وكانت اللغة القبطية تتضاءل شيئاً فشيئاً وتحل محلها اللغة العربية حتى رأى البطريرك نفسه مضطراً الى تعلمها . ويقول المؤرخون ان البابا كيرلس هو أول من عمل الكسوة البطريركية من ديباج أزرق وبلارية من ديباج أحمر مزدانة بصور من ذهب . وبعد أن قضى ١٤ سنة و ٦ شهور و ١٦ يوماً قد رقد بالرب فى ١٢ بؤونة سنة ٨٠٦ ش ١٠٩٢ م

(٥) ميخائيل ٢ — البطريرك الثامن والستون :

رسم بعد وفاة البابا كيرلس الثانى بأربعة شهور وأربعة أيام وأصله من بلدة سخا وكان حبيسا بصومعة سنجار وقبل رسامته اشترط عليه الاساقفة :

(١) أن يحرم السيمونية

(٢) أن يتعهد بدفع مرتب وكيل الكرازة المرقسية بالاسكندرية

(٣) أن يتنازل عن الكنائس التى أخذها لنفسه البابا خيروستوذولو من كرسى مصر وهى كنائس المعلقة وأبى سيفين والعذرا بحارة الروم ومن كرسى أوسيم والجيزة كنيسة الملاك ميخائيل ومن كرسى طمويه دير الشمع ودير الفخار . وكتبت هذه الشروط فى أربع نسخ أمضاها البطريرك وحفظت واحدة عنده والثانية عند شنوده أسقف مصر والثالثة عند يوحنا أسقف سخا والرابعة عند أسقف الاسكندرية وقيل ان البطريرك عندما أمضى الشروط وعدهم بالنظر فى سائر مطالبهم لاسيا راتب أسقف الاسكندرية الذى يتعذر عليه القيام به

وهذه الكلمات قالها البطريرك كمقدمة لعزمه على نكث هذه الشروط ولهذا لما جاءه أسقف مصر وطلب منه أن يتنازل له عن الكنائس التى ذكرت فى الشروط أنكر عليه ذلك وقال انه رفض هذه الشروط عند توليته . وكان البطريرك قد تحصل على نسختين من الشروط المأخوذة عليه وهما نسختا أسقفى الاسكندرية وسخا . وكانت نسخة أسقف مصر معه فأشهرها أمام البطريرك وقال له « أنا بيدى الحجة عليك » فحاول أن يأخذها منه فأبى أن يعطيها له فغضب عليه ومنعه من مباشرة خدمة الكهنوت وأمر كهنة مصر أن لا يذكروا اسمه فى أثناء الصلاة فاضطر الاسقف للهروب واختفى فى دير القلمون بالفيوم . فقامت قيامة الشعب فى مصر واعتصبوا ضد البطريرك وقصدوا خلعه بالقوة ان لم يرد أسقفهم لمركزه لرغبتهم واستدعى الاسقف ولاطفه ورده الى مقره

ولم يلبثا متسالمين مدة حتى قام بينهما النفور مرة أخرى فأراد البطريرك أن يتخلص منه فدعا أساقفة مصر وعقد مجمعا وادعى عليه أمامه انه قدس فى أيام البابا كيرلس مرتين فى يوم واحد مخالفة للقوانين فأقر المجمع على وجوب قطعه ودعاه لسمع صوت الحكم فأبى الحضور وهرب وأختبأ فى منزل مختف ببابليون وبعد انصراف المجمع وضع البطريرك يديه على كنيسة شنوده ببابليون اللتين قام عليهما النزاع

وقام البابا ميخائيل بعد ذلك بخدمة جليلة للقطر المصرى وذلك انه لما تولى المستنصر بالله لم يرتفع النيل أعواما متوالية فتعطل الزرع وقلت المحصولات وكثر الغلاء حتى بلغ ثمن الاردب الواحد من القمح مبلغا عظيما واذا علم المستنصر بأن مصدر زيادة النيل من بلاد الحبش دعا اليه البطريرك وبعثه اليها بهدية سنوية برسم النجاشى ولدى وصوله قابله باحتفال عظيم وسأله عن سبب قدومه

فأعلمه بما حل بمصر وأهلها من الضنك والجوع بسبب نقص زيادة النيل وانه أتى ليستعين به على إيجاد طريقة لمنع هذه الغوائل عن البلاد وأهلها . وقدم له هدية الخليفة فأمر الملك بفتح سد فى إحدى الجهات التابعة له فجرت المياه منه الى أن وصلت مصر وزاد النيل فى ليلة واحدة ثلاثة أذرع واستمرت الزيادة حتى رويت البلاد وزرعت الاراضى فزال الغلا وفى أثناء اقامة البطريرك بتلك الاصقاع بذل جهده فى تمكين عرى الود بين الخليفة وملك الاحباش فكانت هذه خدمة أخرى قام بتأديتها للمستنصر ونال بذلك رضاه وممنونيته فأحسن اليه و بالغ فى اكرامة والبابا ميخائيل هو أول بطريرك مصرى زار بلاد الحبش بعد خضوعها دينيا للكنيسة القبطية

وفى سنة ١١٠٢ م توفى مطران الحبشة فأرسل ملكها وفدا للبطريرك يطلب منه أن يرسم لهم آخر عوضه فرسم البطريرك راهبا يدعى جرجس مطرانا وسافر مع الوفد الى بلاد الحبشة ولكنه بوصوله فيها واستلامه دار المطرانية أظهر الميل لجمع الاموال فغضب عليه الاحباش والزمه الملك برد كل ما جمعه ثم أعيد الى مصر وطرح بأمر الوزير الافضل فى أعماق السجون

وقصد البابا ميخائيل أن يقيم أسقفا لمصر خلافا لاسقفها المقطوع فحالت دون قصده المنية وذلك ان الوزير الافضل رجع من الحرب الى مصر فخرج البطريرك لتنهئته فلم يكد يعود الى الدار البطريركية حتى أصيب بظاعون وتوفى فى ثانى يوم فى ٣٠ بشنس سنة ٨١٦ ش و ١١٠٢ م وبعد أن استمر على الكرسي الحبرية تسع سنين و ٧ شهور و ١٩ يوما

القسم الثانى مشاهير الكنيسة

- | | |
|------------------------|----------------------|
| (١) المعلم سرور جلال | (٢) أبو اليمى يوسف |
| (٣) أبوسعد منصور | (٤) أبو الملىح |
| (٥) بقيرة الرشيدى | |

(١) المعلم سرور جلال :

كان ضامنا ملتزما فى أيام الخليفة المستنصر فتمكن من أن يحصل على ثروة طائلة واشتهر بالعقل والفطنة وحسن التدبير وأحبه الخليفة وقر به اليه ونال ثقته فكان يجيبه الى كل ما يطلب وكان الخليفة يكلفه سنويا باعداد كل ما يلزمه لراحته فم الخلىح لحضور مهرجان كسر السد (فتح الخلىح) فكان يقوم بما يحتاجه وجوشه من الطعام الفاخر فيسر منه الخليفة ويخلىح عليه . ومع ذلك كان المعلم سرور وديعا متواضعا يعمل الخير لجميع الناس بدون تمييز بين مسلم ومسيحى فقصدته كل من له حاجة عند الخليفة فكان يسأله فى أمرهم فلا يرد له طلبا حتى أجمع الكل على محبته . وقيل ان الخليفة أرسله فى مهمة فمات فجأة فى الطريق و يقال انه مات بدون أن يخلف نسلا

(٢) أبو اليمى يوسف بن مكرواه بن زبور الشهير بأمنى الامناء :

وكان أمينا على خزائن الخليفة ثم تولى نظارة الريف بالوجه البحرى وقد أحسن كثيرا الى أبناء جنسه فابتنى ديرا عظيما فى أحسن مكان وهو الدير الشهير بدير أبى سيفين بطمويه ببر الجيزة وغرس حوله بساتين واسعة كانت فى أيامه من أبهج المتنزهات حتى ان الافضل الوزير ابن بدر الجمالى كان يقضى فيها أغلب أوقاته متنزها . وأبو اليمى أصل عائلة كبيرة عظم أمرها واشتهرت بالغنى وسعة الحال وآخر أعضائها ابن القيس ابن زبور الذى أسلم فى أيام دولة المماليك وسمى بعلم الدين

(٣) أبوسعد منصور :

هو ابن أبى اليمى المذكور كان كاتباً بليغا وبطلا شجاعا تولى الوزارة فى أيام المستنصر ولكنه تولى عنها عندما طالبهم الجند الا تراك بمرتباتهم ولم يكن فى الخزينة ما يسد مطالبهم ولما اعتصب كبيرهم ناصر الدولة على الخليفة قام لردعه أبوسعد على رأس العساكر المواليه فقاتله وهزمه

(٤) أبو المليح الشهير بمماتى :

كان فى خلافة المستنصر ووزارة بدر الجمالى أمير الجيوش واشتهر بالغنى وسعة الحال وعمل الخير والاحسان وسبب تسميته مماتى انه لما اشتد الغلاء بمصر كان يجود بما عنده على المحتاجين وكان أولاد المسلمين اذا رأوه صاحوا خلفه قائلين « مماتى » فكان يشفق عليهم ويهبهم غلالا لدفع جوعهم . وهو جد أسعد بن مهذب بن زكريا الذى اسلم فى وزارة شيركويه فى ايام العاضد

(٥) بقيرة الرشيدى . الشهير بابن بقر :

كان من العاملين فى الامة وحدثت فى أيامه مجاعة أظهر فيه عطفًا زائدا على المنكوبين فكان يطوف الاحياء التى يقطنها العمال والفقراء مفتقدا أحوالهم محسنا اليهم وكان يقضى لياليه فى زيارة المرضى ومواساة المحبوسين

القسم الثالث

المملكة والكنيسة

(١) الحاكم بأمر الله (٢) المستنصر (٣) الحروب الصليبية

(١) الحاكم بأمر الله سنة ٩٩٦ م :

ظهر فى أيامه مسلم متمذهب يدعى ضرار سن شرائع كثيرة منها تعظيم يوم الجمعة والاحتفال بالاعیاد والتعويض عن الحج بمكة بزيارة مقام طالب باليمن وأباح الزیجة بين الاخ وأخته والآب وبناته والام وأبنائها فارتاح الحاكم لهذه الديانة الجديدة . و يظن انه كان معتوها اذ كان يصعد كل صباح منفردا الى جبل المقطم حيث ادعى انه يناجى الله كما كان يفعل موسى . وبعد أن كان أشد نصير للديانة الاسلامية نادى جهارا بمقاومتها واقامة ديانته الجديدة مكانها فاحتقرته الرعية ولم تعد تعباً بمدعياته فعاد الى نصره الاسلام واضطهاد النصارى

قيل ان السبب الذى هيجه على المسيحيين هو انه فى اثناء ادعائه الالهية وضع دفاتر فى مراكز الحكومة الاربعة وهى القاهرة ومصر القديمة والفسطاط و بابلليون لتسجيل أسماء الذين يعتنقون آراءه الباطلة ستة عشر الف نفس لم يكن بينهم مسيحي واحد فنقم على النصارى وأمر بحرق مدينتهم بابلليون فحرقت وسلبت أمتعتها ونهى عن بيع الزبيب حتى لا ييسر للاقباط اتمام

السر المقدس وهجم على بيوت التجار وجمع ما كان موجودا منه وأحرقه بالنار وكان فى الجيزة كروم كثيرة فأرسل اليها أعوانه فقطعوها وخربوها عن آخرها.

وكان النصارى فى عهد الحاكم قد تقدموا حتى صاروا كالوزراء وتعاضموا لا تساع أحوالهم وكثرة أموالهم فتزايد غيظ المسلمين منهم . وكان من رجال حكومة الخليفة المعز لدين الله نصرانى يسمى عيسى بن بسطوروس لبث فى خدمة الحكومة الى ان مات العزيز وتولى الخلافة بعده ابنه الحاكم فعزله ثم قبض عليه وقتله وكان لبرجوان وزير الحاكم نصرانى آخر يسمى فهد بن ابراهيم يعرفه الحاكم حق المعرفة لانه كان يدخل اليه مع سيده برجوان و يقف بحضرة الخليفة ويعرض عليه الرقاع و يشرح له المسائل و يتلقى أوامره عن كل واحدة منها و يكتب ما يأمر به فيوقع عليه . ولما قتل برجوان دعى الحاكم فهد بن ابراهيم وسكن روعه وأمنه على حياته ومنحه لقب رئيس ودعى أبا العلاء وصار يترقى فى الوظائف والرتب العالية حتى أحرز لقب وزير ولكنه فيما بعد كان فهد أول من جار عليه الحاكم من النصارى وذلك ان مناظرا له وشى به اليه بأنه يقوى نفوذ النصارى و يساعدهم على سلب مال الدواوين بتفويض أمر الاموال والدواوين اليهم فحمى غضب الحاكم على فهد ولم تمض أيام حتى قبض عليه وضرب عنقه بعد أن استمر فى الرئاسة خمس سنوات وتسعة اشهر واثنى عشر يوما

وقبض الحاكم أيضا على قبطى آخر يدعى المعلم غبريال بن نجاح ووعدته بمنصب الوزارة اذا هو أسلم فاستمهله يوما واحدا وذهب الى أهله وودعهم وحثهم على الثبات واحتمال الشدائد والاضطهادات المقبلة ومضى الى الخليفة وجاهر أمامه بأنه لا يترك دينه اكراما لمنصب ديناوى فأمر بضربه ألف سوط فمات قبل الضربة الثمانمائة ولكنهم استمروا يضربونه وهو ماتت حتى أتموا الالف . وبعد ذلك قبض على ثمانية آخرين وهددوا فثبت منهم أربعة وأسلم الآخرون فرارا من العذاب . ومات أحد الاربعة الذين ثبتوا وأرسل الثلاثة الباقون الى السجن حتى يغيروا رأيهم واستمروا فى السجن حتى انتهى الاضطهاد

وقال المقريرزى يصف قساوة الحاكم وتجيده «وتشدد على النصارى والزهم بلبس ثياب الغيار وشد الزنار فى أوساطهم ومنعهم من عمل الشعانين وعيد الصليب والتظاهر بما كانت عاداتهم فعله فى أعيادهم من الاجتماع واللهو وقبض على جميع ما هو محبس على الكنائس والديارات وأدخله فى الديوان وكتب الى اعماله كلها بذلك وأحرق عدة صلبان كثيرة ومنع النصارى من شراء العبيد والاماء وهدم الكنائس التى بخط راشدة ظاهر مدينة مصر وأخرب كنائس المقس خارج القاهرة وأباح ما فيها للناس فانتهبوا منها ما يحل وصفه وهدم دير القصير وأنهب العامة ما فيه ومنع النصارى من عمل الغطاس على شاطئ النيل بمصر وأبطل ما كان يعمل فيه من الاجتماع للهو وألزم رجال النصارى بتعليق الصلبان الخشب التى زنة كل صليب منها خمسة أرباط فى اعناقهم ومنعهم من ركوب الخيل وجعل لهم أن يركبوا البغال والحمير بسروج ولجم غير محلاة

بالذهب والفضة بل تكون من جلود سود وضرب بالحرس فى القاهرة ومصر وأمر أن لا يركب أحد من المكارية ذميا ولا يحمل نوتى منهم أحدا من أهل الذمة وأن تكون ثياب النصارى وعمائمهم شديدة السواد وركب سروجهم من خشب الجميز وأن يعلق اليهود فى أعناقهم خشبا مدورا زنة الخشبة منها خمسة أرتال وهى ظاهرة فوق ثيابهم وأخذ فى هدم الكنائس كلها وأباح ما فيها وما هو محبس عليها للناس نهبا واقبطاعا فهدمت بأسرها ونهب جميع امتعتها وأقطع أحباسها وبنى فى مواضعها المساجد وأذن بالصلاة فى كنيسة شنوده بمصر وأحيط بكنيسة المعلقة فى قصر الشمع وأكثر الناس فى رفع القصص بطلب كنائس أعمال مصر ودياراتها فلم يرد قصة منها الا وقد وقع عليها باجابة رافعها لما سأل فأخذوا أمتعة الكنائس والديارات وباعوا بأسواق مصر ما وجدوا من أواني الذهب والفضة وغير ذلك وتصرفوا فى أحباسها ووجد بكنيسة شنوده مال جليل ووجد فى المعلقة من المصاغ وثياب الديباج أمر كثير جدا الى الغاية وكتب الى ولاية الاعمال بتمكين المسلمين من هدم الكنائس والديارات فعم الهدم فيها من سنة ثلاث واربعمئة حتى ذكر من يوثق به فى ذلك ان الذى هدم الى آخر سنة خمس واربعمئة بمصر والشام وأعمالها من الهياكل التى بناها الروم نيف وثلاثون الف بيعة ونهب ما فيها من آلات الذهب والفضة وقبض على أوقافها وكانت أوقافا جليلة على مبان عجيبة والزم النصارى أن تكون الصلبان فى أعناقهم اذا دخلوا الحمام وألزم اليهود أن يكون فى أعناقهم الاجراس ثم الزم اليهود والنصارى بخروجهم كلهم من أرض مصر الى بلاد الروم فاجتمعوا بأسرهم تحت القصر من القاهرة واستغاثوا ولاذوا بعفو أمير المؤمنين حتى أعفوا من النفي وفى هذه الحوادث اسلم كثير من النصارى « أه

واستمر اضطهاد الحاكم ٩ سنين كانت الثلاث الاخيرة منها أشد هولا اذ أمر بإبطال العبادة فى جميع الكنائس الا فى الاديرة الكائنة بالجبال فكان الشعب يرشون حكام الاقاليم ليسمحوا لهم بممارسة شعائر العبادة فى البيوت سرا ومن ثم صار الاقباط يقدسون ويتناولون الافخارستيا سرا . فهال الحاكم عدم تنفيذ أمره بالدقة فأصدر قرارا بمحو الديانة المسيحية من كل مملكته . وضيق على القسوس وقتل منهم عددا عظيما وهرب كثير منهم الى الاديرة البعيدة فتبعهم وقتلهم . وأكره كثيرين من النصارى على الاسلام فأسلم منهم عدد عظيم ولكن كثيرين جاهدوا بالايان ولم يخشوا بطش الخليفة منهم الشماس بقيرة أحد رؤساء كتاب الديوان فهذا استعفى من خدمته وحمل الانجيل على صدره وسار به الى السراى واعترف قدام الخليفة بالمسيح فقيده وطرحه مع جماعة فى السجن ثم عفا عنهم وأناهم الحرية فجالوا يثبتون اخوتهم على الايمان

واستمر الحاكم يفتك بالاقباط فتكا ذريعا حتى أتاح لهم الحظ براهب يدعى بيمين كان قد أسلم فلما رأى ان كثيرين صرح لهم بالرجوع الى دينهم وقف فى طريق الحاكم هو وجماعة ممن أسلموا معه ولما مر بهم صرخوا قائلين « أيها الملك مرنا أن نعود الى ديننا أو اذبحنا فاننا لا نطيع أن نبقى مسلمين » فسمح لهم بذلك وكتب لهم مرسوما وأمر أن لا يتعرض لهم أحد بمكروه . ثم قرب

اليه الراهب المذكور وأعطاه اذنا ببناء دير خارج مصر على اسم الشهيد مركور يوس وهو المعروف بدير شهران ودير العريان الآن فسكنه مع بعض الرهبان ومن محبة الحاكم لييمين صار يتردد على هذا الدير ويأكل ويشرب مع الرهبان ويظهر استعداداه لاجابة طلباتهم فطلبوا منه ارجاع بطريركهم المنفى فأرجعه وسلمه أمرا بفتح الكنائس المغلقة التي أمر بهدمها واعادة ما نهب منها ورد أوقافها اليها كما كانت . وبعد قليل مات الحاكم وتولى الخلافة بعده ابنه الظاهر سنة ١٠٢١ م فأقر الاقباط فى وظائفهم ومنحهم حرية العبادة بغير معارضة وأباح لهم الاحتفاء بعوائدهم والاحتفال بأعيادهم ومواسمهم

(٢) المنتصرا لله :

بويح الخلافة سنة ١٠٣٦ م . بعد الظاهر بن الحاكم وفى أيامه اعتنق بعض الاقباط الدين الاسلامى وحدث أن أحد كبار موظفى الاقباط كان له ولد عاص فطرده من بيته لخروجه عن طاعته فاعتنق الدين الاسلامى وكان خاله جرجس أسقف ميساره فوعظه كثيرا لكى يرجع الى دينه فلم يرجع فحرمه من ميراث أبيه ولكنه بعد مدة ندم وعاد الى ديانته وترهب فى دير القديس ميخائيل باسم نيقام (أى التائب) وتراى له فيما بعد أن يكفر عن حجوده للمسيح باعلان ايمانه أمام الذين كانوا يعرفونه وقت اسلامه فانطلق الى القاهرة واجتمع بهم وهو بلباس الرهبنة فاغتاظوا منه وانهالوا عليه ضربا وألقوه فى السجن . فسعى والده لدى القاضى ودفع له رشوة ليفتى باخراجه فأفتى القضى بإمكانية خروجه اذا تظاهر بالجنون و يقر الاطباء عنه انه مجنون أمام شهود فأقنعه ابوه بضرورة اتباع تلك الطريقة للتخلص من السجن فأطاعه وخرج أبوه ليدعو الاطباء

الا ان أحد الرهبان تمكن من الوصول اليه فى السجن و وخبه على ما عزم عليه من اتباع الطريقة المشينة لشرف المسيحية فعدل عما نواه ولما تقدم الاطباء ليفحصوه اعترف بايمانه بالثلاثة الاقانيم فاغتاظ منه الشهود وقدموا عنه تقريرا للقاضى فأمر بقطع رأسه فسيق الى مكان يدعى رأس الجسر والجماهير تتبعه بكثرة من مسلمين ومسيحيين وقبل اعدامه عرض عليه الضابط المكلف بذلك الاعتراف بالاسلام ووعده بأن يهبه مقابل ذلك الحصان الذى كان راكبا اياه ويرفعه الخلفية الى أسمى الرتب فأجابه الشاب « لا تتعب نفسك مع من يتأكد ان كل مجد العالم لا يساوى شيئا يسيرا من ملكوت السموات الذى يرغب الحصول عليه » فتقدم اليه الجلاد وسيفه يلمع فى يده وهدده قائلا ان لم تنثن فهذا السيف الحاد يقطع حبل حياتك بعد ثوان فأجابه ان أية حديدة تنهى حياتى . وأراد أحد المؤمنين أن يغطى عينيه كى لا يجزع من رهبة الموت ولكن لم يتمكن من ذلك لان الجند منعه فناداه باللغة القبطية قائلا « تشجع يا جندى المسيح فان ملاكا أراه فوق رأسك وبيده اكليل جهادك » . ثم تحول الشاب الى ناحية الشرق وجثا على ركبتيه وصلى ومد عنقه للجلاد فأطاح عنه رأسه وسلم جسده لاهله بناء على أمر الخليفة ودفن بجوار كنيسة الملاك ميخائيل وبعد ذلك حضر البابا خيروستوذولو البطريرك ودفنه فى الكنيسة بكل احترام

وكان للمستنصر وزير ضعيف الرأى سىء التدبير يسمى محمد اليازورى كان شديد الكراهة للمسيحيين عموما والاقباط خصوصا ليل الخليفة اليهم فكان يترقب فرصة للايقاع بهم فاتيحت له عندما أبلغه عدوهم انهم شيدوا كنائس جديدة فأمر بهدمها وبقفل جميع الكنائس المسيحية فى القطر المصرى فثار المسيحيون وكادت تقع الفتنة لولا أن الخليفة قبض على ذلك الوزير ونفاه الى جهة تانىس بأقصى الوجه البحرى وبعد ذلك قتله لانه كان يهيج المسلمين عليه باشاعته عنه انه يمكن الاقباط من التراؤس على المسلمين . وذلك لان الخليفة كان يعرف جيدا أمانة الاقباط ونشاطهم فى عملهم فثبتهم فى وظائفهم رغم قيام المسلمين عليهم وطلبهم منه أن يخلعهم من وظائفهم . وحدث انه ارضاء لحاظهم خلع مئات وعشرات من الاقباط ولكن الاعمال أرتبكت فالتمسوا منه أن يعيدهم الى وظائفهم فعادوا مبجلين

وأصدر المستنصر بعد ذلك أمرا قصد به ارضاء خواطر المسلمين يقضى بهدم كنائس الوجهين القبلى والبحرى وأنيط ذلك برجلين مسلمين أبو الفرج البابلى للوجه القبلى وكان المكلف بهدم الكنائس بالوجه البحرى يدعى ناصر الدولة وكان أكثر قساوة فتخربت كنائس دمنهور وأقفلت سائر كنائس الدلتا وفرض على الاقباط ضريبة سبعة آلاف دينار فى نظير صبره على اىصاد الكنائس ولكنه بينما كان جادا فى ذلك وقع عن جواده بغته فقتل لساعته وبموته كف الاضطهاد من الاقباط

أما أقباط الاسكندرية فكانوا فى حال أسعد لحسن أخلاق واليهم فانه لم يكذب يتلقى أمر الخليفة بضرورة دفع الاقباط ستة آلاف دينار حتى اخطر الاكليروس به وطلب منهم أن يخفوا كل ما يوجد فى الكنائس من الامتعة الثينة ولما جاءت جنود الوالى فى الصباح لسلب الكنيسة لم يجدوا فيها غير الحصر والستائر . وكتب للخليفة يعتذر عنهم بأنهم فقراء لا يقوون على دفع المبلغ واقترح عليه انقصه الى ألف دينار فقط فقبل فجمع النصف من الاقباط والنصف الآخر من الاروام . وأخذ رجال الخليفة مفاتيح جميع الكنائس ولم يعط للبطريرك الا مفاتيح كنيسة واحدة . وقيل ان رأس يوحنا المعمدان كانت محفوظة عند الاقباط فخبأوها حينئذ خشية من أن تصل اليها أيدي الناهبين

وقرب نصف هذا الجليل جاء الى مصر عرب بنى هلال من بلاد نجد وكان عددهم عظيما جدا وبموجب أمر أميرهم حسن بن سرحان وقائديهم دياب بن غانم وسلامة بن رزق المشهور بأبى زيد عبروا النيل وأخربوا أكثر الاديرة وقتلوا رهبانا كثيرين . وأصيبت البلاد بجوع شديد وعقبه وباء مهلك فتضافرا على جلب الشقاء على السكان حتى ان أهالى مدينة تانىس هلكوا جميعا من الجوع بما فيهم ميخائيل أسقفهم ولم يبق منهم سوى مائة نفس .-

ولما اشتد الحال طلب الاقباط من جرجس ملك النوبة أن يمدهم بما يفرج كرههم فأمدهم بمؤونة أرسلها مع رسل من قبله ولكن ناصر الدولة الوزير أرغمهم على العودة بما معهم من المؤونة .

وحدث أن امرأة قبطية كانت تملك عقدا يبلغ ثمنه ألف دينار فاستبدلته بكيس دقيق . وخوفا من ان لا تصل به الى منزلها استأجرت قوما يحمونها بالسيوف حتى بيتها ولما صارت قريبة منه رآه الجائعون فهجموا عليها واختطفوا الكيس بين أيديهم وأخذ كل منهم ما تمكن من اختطافه ولم تحصل المرأة الا على ما يكفى رغيف واحد فصعدت به على سور المدينة وصاحت بأن هذا الرغيف كلفنى ألف دينار. فوصل الخبر مسمع الخليفة فألزم التجار بصرف ما عندهم للجائعين فانصرف الكرب

واستوزر الخليفة المستنصر بدر الدين الجمالى الارمنى ليرد عنه غارات الاعداء وقيل ان بدر الدين هذا كان مسيحيا ومع انه كان يميل للمسيحيين الا انه لم يظهر ذلك الميل اليهم وروى أبو المكارم المؤرخ أنه مات مسيحيا لكونه دفن فى البساتين بجلوان بجوار الكنيسة الارمنية . ولما هدأت الاحوال كلف الاقباط بتنظيم الدواوين وتشكيلها على هيئة جديدة وعهد اليهم ضبط الحسابات وتحصيل الاموال فتحسنت الايرادات وبلغ مقدار ما جبى حينئذ ضعفى ما كان يجبى قبلا . ولما عاد المستنصر الى قوته اضطهد الاقباط كما اضطهدهم الحاكم وأمرهم بلبس الزنار الاسود وفرض الضرائب على أفرادهم وكاد يستمر فى طغيانه لولا خوفه من أن يغتاز منه ملك الحبشة

(٣) الحروب الصليبية من سنة ١٠٩٧ م :

سميت كذلك بالنسبة للصلبان التى كان يعلقها عساكر الافرنج فى أعناقهم وعلى ثيابهم وكانوا يرومون بها انقاذ الاراضى المقدسة من يد المسلمين وسببها ان راهبا فرنسيا يدعى بطرس قصد الى مدينة القدس ليزورها كعادة المسيحيين فرأى فيها ما هاله وهو ان المدينة المقدسة استولى عليها الترك الذين كانوا قد نزعوا سوريا من يد الدولة الفاطمية واستقلوا بها وحكموها حكما جائرا وأخذوا فى اذلال ساكنيها من المسيحيين ومعاملة الزائرين منهم كل سنة أسوأ معاملة فعظم عليه الامر ورجع الى أوروبا وأوقف أسقف رومية على ما شاهد فحرك الاسقف ملوك الافرنج على محاربة المسلمين وانتزاع الاراضى المقدسة من أيديهم فاصغوا اليه ولبوا دعوته وقاموا من بلادهم يقودون الجيوش الجرارة وجرت بينهم وبين المسلمين معارك عظيمة أريقت فيها الدماء هدرًا وبلا جدوى واستولى الافرنج على بلاد كثيرة من ضمنها القدس واستمرت معهم أكثر من تسعين سنة الى أن خلصها منهم صلاح الدين الايوبى سلطان مصر

القرن الثانى عشر

القسم الاول

تاريخ البطارقة

(١) مقار ٢	(٢) غبريال ٢	(٣) ميخائيل ٣
(٤) يوحنا ٥	(٥) مرقس ٣	(٦) يوحنا ٦

(١) مقار ٢ — البطريك التاسع والستون :

بعد وفاة البابا ميخائيل ترشح اثنان للبطريركية من رهبان دير أبى مقار ولم يتمكن الاساقفة من انتخاب أحدهما وذلك لان أحد المرشحين كان عمره أقل من الخمسين والقانون يحذر انتخاب بطريك ممن لم يبلغوا هذا السن و بعد مرور ستة أشهر على خلو البطريركية قرر الاساقفة فى المجمع الاكليريكي الذى انعقد بالقاهرة انتخاب أحدهما المدعو مقار وتمت رسامته فى ١٣ هاتور سنة ٨١٧ ش و ١١٠٢ م فى عهد خلافة الأمر بن المستعلى

غير أنه اعترض على انتخابه لانه كان من ثمرة ثانى زواج وشروط انتخاب البطارقة تقضى أن لا ينتخب البطريك الا إن كان ابن أمه من أول زوج وبعد التحقيق ظهر للاساقفة ان اباه تزوج مرتين لا أمه فوافقوا على تكريسه

وقد حاول اكليروس الاسكندرية أن يلزموه قبل رسامته بالتوقيع على تعهد بدفع مرتبات باهظة سنوية . واذ كان هذا الالب غير راغب فى منصب البطريركية امتنع بته أن يقيد نفسه بأى شرط . ولما صمموا عليه وضايقوه فر منهم وانزوى فى أحد الاديرة ولكنهم اذ لم يجدوا من يصلح غيره أحضروه رغما وتنازل اكليروس الاسكندرية عن غلوائهم وقبلوا أن يدفع لهم ٢٠٠ دينار كل سنة فقط

وعلى اثر رسامته دعاه الاساقفة الى رفع القربان فى كنيسة المعلقة فهاج رهبان دير أبى مقار لمخالفة ذلك لعادة سلفائه الذين كانوا يرفعون أول قربانهم فى ديرهم . وتنازعوا مع الاساقفة والاراحنة وألحوا طالبين عدم انقطاع عادة ديرهم فأجابوا طلبهم وأخذوا البطريك وانطلقوا به الى دير أبى مقار واحتفلوا به احتفالا عظيما

وفى عهد هذا البابا توفى الانبا شنوده أسقف مصر فطلب منه وجهاء الاقباط فى مصر

وفى مقدمتهم الشماس يوحنا بن صاعد أن يوسم لابروشيتهم أسقفا عوضه وكان البطريرك غير مبال لوجود أسقف خاص فى ابروشية مصر خوفا من مزاحته اياه لان أسقف مصر كان يعادل البطريرك فى المنزلة ويزاحمه على مراكزه ودخله فلم يجيبهم اجابة تامة بل كان يعدهم من يوم لآخر حتى ادركوا أغراضه فتعصبوا ضده وأصروا على طلبهم حتى التزم رغما عنه أن يكمل مرغوبهم

واستمر هذا البابا على الكرسي المرقسى ٢٦ سنة و ٧ اشهر كانت كلها سلام وفرح ثم تنيح فى ٤ توت سنة ٨٤٤ ش ١٢٢٩ م

(٢) غبريال ٢ — البطريرك السبعون :

فى آخر حياة البابا مقار كان فى ديوان الخليفة كاتبان أحدهما مسلم يسمى ابن أبى قيراط والآخر سامرى يدعى ابراهيم فوشيا للخليفة بأن الاقباط يأخذون أموال الكنائس ويمدون بها الافرنج سرا فغضب عليهم وأمر بأخذها الى بيت المال وبعد وفاة البابا مقار لم يجسر الاقباط على الاستئذان فى انتخاب غيره بسبب هذه التهمة التى غيرت خاطر الخليفة . وظلوا بدون بطريرك الى أن قام الجند على هذين الكاتبين وقتلوهما شرقلة فقام بعدهما رجل مسيحي من الملكيين يسمى أبا البركات يوحنا بن أبى الليث فطلب منه الكتاب الاقباط أن يستأذن لهم بأقامة بطريرك من الوزير الافضل بن بدر الجمالى فأجاب طلبهم وصرح لهم أن يقدموا من يختارونه وكان بين الكتاب رجل بتول من مصر يسمى أبا العلاء بن تريك فوقع اختيارهم عليه وكان سليل عائلة قبطية قديمة ثم اعتزل الخدمة فيما بعد وصار شماسا فى كنيسة أبى سيفين وكان الوزير قد طلب منه أن يستمر فى وظيفته ولم يرد ان يتركه لاستقامته ونزاهته فلما عرضوا اسمه عليه سمح واذن وكرس بالاسكندرية وقدس بأديرة وادى هبيب فى ٩ أمشير سنة ٨٤٧ ش ١١٣١ م فى عهد خلافة الحافظ بن محمد ودعى غبريال ٢

وحدث أنه لما تلا الاعتراف زاد عليه عبارة لم تكن فيه قبلا وهى قوله (وصيره واحدا مع لاهوته) فاضطرب الرهبان لهذه الزيادة واحتجوا عليها فقال لهم البطريرك بأن مجمع الاساقفة قد أمره بتلاوتها فرضوا بها بشرط أن يضاف اليها « بدون اختلاط ولا امتزاج ولا استحالة » خشية من الانسياق لهراطقة أوطاخى فعمل برأيهم وأصدر منشورا لعموم الكنائس يعلمها بذلك

وتوفى فى عهده بطريرك الارمن فطلبوا اليه أن يرسم لهم أسقف اطفيح بطريركا وتاج الدولة أسقفا فامتنع فى بادىء الامر ولكنه لما رأى اصرارهم لبى طلبهم ورسمها ثم رسم ٣٥ أسقفا للابروشيات القبطية وقد حاول بعضهم أن يعطيه مالا فأبى كلية رغبة منه فى القضاء على السيمونية

وأثناء فيما بعد وفد من قبل ملك الحبشة يحمل خطابين أحدهما للخليفة والاخر له . وفيها

يعترض على قصر عدد أساقفة الحبشة على سبعة و يطلب أسقفا علاوة على الموجودين . وكانت القوانين تمنع زيادة أساقفة الكنيسة الحبشية عن سبعة خشية استقلالها عن أمها الكنيسة القبطية لانه اذا تكامل عددهم الى اثني عشر جاز لهم انتخاب بطريرك . وكان ملك الحبشة باتفاق مع مطرانها ميخائيل يقصد من وراء هذا الطلب الوصول لهذا الغرض . فرفض البطريرك هذا الطلب واعتبره جسارة من المطران . فعاد ملك الحبشة وأرسل هدية للخليفة وخطابا يرجوه فيه أن ينفذ طلبه فاستدعى الخليفة البطريرك وطلب منه أن يتساهل مع الملك في طلبه فاعتذر له قائلا ان قبوله ذلك يؤول الى خروج الحبشة من تحت سلطته فاقتنع الخليفة وقبل عذره

وقد ذكرت مجلة المقتطف نقلا عن كتاب « لباب الاداب » لوضعه اسامة ابن منقذ الكنانى ما يأتى « ولقد أذكرنى قول الحكيم « انما سلطان الملك على الاجساد دون القلوب » أمرا شهدته بمصر فى سنة ٥٤٧ هـ وهو ان رسول ملك الحبشة وكتابه وصل الى الملك العادل ابى الحسن على بن السلار رضى الله عنه فسأله أن يأمر البطريرك بمصر أن يعزل بطرك الحبشة وتلك البلاد كلها مردودة الى نظر بطرك مصر فأمر الملك العادل باحضار البطريرك فحضر وأنا عنده فرأيت شيخاً نحيفا مصفرا فأدناه حتى وقف عند بابا المجلس فسلم ثم انحرف وجلس على دكل فى الدار وأنفذ اليه يقول له ملك الحبشة قد شكنا من البطريرك الذى يتولى بلاده وسألنى فى التقدم اليك بعزله فقال يا مولاي ما وليته حتى اختبرته ورأيت يصالح للناموس الذى هو فيه وما ظهر لى من أمره ما يوجب عزله ولا يسعنى فى دينى أن اعمل فيه بغير الواجب ولا يجوز لى أن أعزله فاغتاظ الملك العادل رحمه الله من قوله وأمر باعتقاله فاعتقل يومين ثم أنفذ اليه وأنا حاضر أيضا يقول له لابد من عزل هذا البطريرك من أجل سؤال ملك الحبشة فى ذلك فقال يا مولاي ما عندى جواب غير ما قلته لك وحكمك وقدرتك انما هى على الجسم الضعيف الذى بين يديك وأما دينى فما لك عليه سبيل والله ما أعزله ولونالنى كل مكروه فأمر الملك العادل رحمه الله باطلاقه واعتذر الى ملك الحبشة « أهـ

و بعد ذلك اعتنى البطريرك بوضع ثلاثين قانونا حظرفى بعضها ما يؤتى فى الاعراس من أمور الخلاعة المغايرة لروح الدين ولبث على كرسى البطريركية ١٤ سنة و٣ شهور ثم تنيح فى ١٠ برمودة سنة ٨٦١ ش و ١١٤٥ م

(٣) ميخائيل ٣ — البطريرك الحادى والسبعون :

بعد وفاة البابا غبريال أهتم الاساقفة بانتخاب خلفه فلم تتفق كلمتهم على واحد وذلك بسبب مقاومة راهب من عائلة معروفة يقال له يؤنس بن كوران كان يريد أن يكون بطريركا وكان من حزبه لقائه من أعمال البحيرة وخيروستوذولو أسقف فوه وميخائيل أسقف طنطا . غير ان أساقفة الاسكندرية والصعيد أبوا بالاجماع قبوله واتحد رأى الكل أخيرا على اختيار ثلاثة رهبان ينتخبون أحدهم بالقرعة بطريركا وهم يؤنس بن أبى الفتح وميخائيل من دير أبى يحنس وسليمان بن الدخياري من دير برموس ف وقعت القرعة على ميخائيل الملقب بابن الدقادوسى

ومع ان هذا الراهب كان معروفا بشدة التقوى والنسك الا انه كان لا يدري شيئا من العلم ولم يكن يعرف القراءة ولا الكتابة سواء بالقبطية أو العربية ولم يمنع ذلك من انتخابه لشدة لياقته لذلك المنصب الخطير فكرسوه باحتفال عظيم فى إحدى كنائس بابليون فى اليوم الحادى عشر من أبيب سنة ٨٦١ ش و ١١٤٥ م فى عهد خلافة الحافظ بن محمد

وحال جلوسه على الكرسي فتح الله ذهنه ووهبه قسطا وافرا من الحكمة . ولكن لم تطل مدته سوى تسعة شهور و ١٦ يوما وتوفى فى ٣ برمودة سنة ٨٦٢ ش و ١١٤٦ م وقيل انه مات مسموما والذي أقدم على سمه أحد الرهبان المحبين للعيشة الرخوة وكان البطريرك يوبخه فلم يطق توبيخه

(٤) يوحنا ٥ — البطريرك الثانى والسبعون :

هو يوثس بن أبى الفتح من دير أبى يحنس أحد الرهبان اللذين كانا مرشحين للبطريركية عند انتخاب البابا ميخائيل فانتخب بطريركا وأدى فروض رسامته فى ١٥ بؤونه سنة ٨٦٢ ش و ١١٤٦ م فى عهد خلافة الحافظ . وكانت الكنيسة القبطية فى عهده تكثر من الاحتفالات الدينية فحدث ان رهبان سمند زادوا على الاعتراف لفظة (المحيى) بعد كلمة (ان هذا الجسد) فاعترض على هذه الزيادة الانبا مكار يوس اسقفهم وأمرهم بتركها ولما أبوا رفع الامر الى البابا يوحنا فعقد مجمعا من سائر اساقفة مصر وطرح المسألة أمامهم وبعد البحث أقر المجمع على هذه الزيادة واصر البطريرك منشورا لجميع الكنائس بقبولها ولكن رهبان دير أبى مقار احتجوا على المجمع وطعنوا فى حكمه واثاروا غبارا عظيما وبلغ بهم الغيظ الى رفع دعواهم أمام الوالى فلما مثل الفريقان امامه على سر الخلاف سخر بهما وطردهما . غير ان الرهبان لبثوا يقاومون البطريرك طالين حذف الزيادة ولكنهم خضعوا اخيرا .

وحدث فى زمان هذا البابا ان مملكة الحبشة اعتصبها رجل من غير العائلة الملوكية وقتل ملكها الشرعى وجلس مكانه فوبخه مطران الحبشة بشدة على هذا الظلم فنفاه وأرسل الى البطريرك يطلب منه تعيين واحد خلفه مدعيا عليه بأنه كبر وساخ فامتنع البطريرك عن اجابة طلبه فعمد ملك الحبشة المغتصب الى والى مصر وأرسل له هدية ورجاه ان يلزم البطريرك بايفاد مطران من طرفه للحبشة فلما تكلم الوالى مع البطريرك قال له ان مطران الحبشة لا يزال حيا فاقنع

وبعد ان مضى البابا يوحنا على كرسي البطريركية ١٨ سنة و ١٠ شهور و ١١ يوما تنيح فى ١٤ بشنس ٨٢٢ ش و ١١٦٦ م

(٥) مرقس ٣ — البطريرك الثالث والسبعون :

وبعد وفاة البابا يوحنا اجتمع مجمع الاساقفة والشعب بالدارالبطريركية لانتخاب من يليق للبطريركة فوقع اختيارهم على الارخن مرقس أبى الفرج أبى سعد التاجر الشهير والبتول

الناسك وهو معروف بابن زرعه سرياني الجنس قبطنى المذهب فأقيم بطريركا فى ١٨ بؤونة سنة ٨٢٢ ش و ١١٦٦ م فى عهد خلافة العاضد بن يوسف

ولما استقر به المنصب قام بواجباته خير قيام وانتشبت فى عهده الحروب الصليبية واشتد الخلاف بينه وبين مرقس بن قنبر المبتدع كما يأتى . واستمر على الكرسي ٢٢ سنة و ٦ شهور و ٢٥ يوما وتنيح فى ٦ طوبه سنة ٩٠٤ ش و ١١٨٩ م

(٦) يوحنا ٦ — البطريرك الرابع والسبعون :

كان قبل رسامته بطريركا يدعى ابا المجد وكان فى الاصل علمانيا يتعاطى التجارة و يتردد على بلاد اليمن فى البحر حتى كثر ماله وذاع صيته وكان شريكا لقوم يدعون باولاد الخباب فحدث مرة بينا كانوا راجعين من بلاد اليمن ان انكسرت بهم السفينة وفقد كل ما بها عدا ماله فانه كان محتفظا به فى خنادق المركب فلم رأى اولاد الخباب ان ماله قد ضاع حزنوا جدا ولكن ابا المجد أعلمهم بما كان فسروا منه للغاية وارتفعت قيمته فى أعينهم وأرادوا أن يكافئوه على فعله احسن فرشحوه لكرسى البطريركية وكانت فضائله قد اشتهرت للخاص والعام فوافق الكل على انتخابه وكان له من النقود سبعة آلاف دينار فوزعها جميعها على الفقراء والكنائس

وقيل انه كان متزوجا ولما ماتت زوجته لم يشأ ان يتخذ له زوجة غيرها وأثر العزلة . ومع ان القانون يحتم ان الذى ينتخب بطريركا لا بد ان يكون اعزب من بدء حياته الا أن علم أبى المجد الواسع وفضيلته الزائدة أكسباه الافضلية على جميع المرشحين لذلك المركز السامى . ولم تكن له رغبة فى نيل هذا المركز بل لما توفى البابا مرقس كان يسعى لدى الحكام فى تعيين آخر مكانه فاشار بعض أصحاب الكلمة من المسلمين على كبار الاقباط باختياره لهذه الوظيفة لاهليته فقبلوا هذه المشورة وانتخبوه فى ٤ امشير سنة ٩٠٥ ش و ١١٨٩ م فى عهد سلطنة صلاح الدين الايوبى ولم يعارض فى انتخابه أحد ودعى يوحنا السادس

وبعد ذلك وصله خبر وفاة مطران الحبشة فعين بدله كيلوس اسقف فوه التى كان شعبها جميعه قد قتل بسبب الحروب الصليبية ورقاه لدرجة المطرانية وسافر للحبشة فقبل باحتفال عظيم ترأسه الملك نفسه ولكنه عاش فى بلاد الحبشة عيشة الترف وكان له عشرة قسوس بصفة تلاميذ وحدث مرة أنه فقد من كنيسة اكسيوم عاصمة المملكة آنية من الذهب عظيمة القيمة فحصر المطران الشبهة فى امين خزائن الكنيسة وهو أحد تلاميذه فأمر بضربه حتى أسلم الروح فثار عليه أهله وأرادوا ان يفتكوا به ولكنه لاذ بالفرار وأتى الى مصر فاندesh البطريرك وسأله عن سبب مجيئه فاجابه ان اخا الملكة اغتصب الرئاسة منه لعدم موافقته له فى بعض أمور تحل بالدين فلم يقبل البطريرك منه هذا القول قضية مسلمة بل أنفذ على الفور مندوبا من قبله بكتاب منه لملك الحبشة يشف عن اهتمامه بصالح التابعين لرئاسته وان كانوا بعيدين عن واناط المندوب بتحقيق المسألة

بكل دقة وحجز الاسقف عنده حتى يعود المندوب . و بعد سنة عاد المندوب وعرض على البطريرك نتيجة التحقيق وارسل ملك الحبشة مع المندوب بعض كبار مملكته وقسيسه الخاص ليشهدوا امام البطريرك فى وجه المطران بالذنب العظيم الذى اقترفه وطلب من البطريرك ان يرسل مطرانا غيره وصحبهم بكتاب وهدية سنوية لملك مصر وهو اذ ذاك الملك العادل وطلب اليه ان يأذن للبطريرك فى تعيين مطران آخر واذ كان الملك غائبا فى سوريه منهمكا فى مقاتلة الافرنج والقائم باعباء المملكة ولده الكامل فقبل منهم الهدية واذن البطريرك ان يجيب طلب الملك

ولكن لشدة محافظة البطريرك على واجباته وحرصه على القوانين امتنع عن اجابة الطلب فى الحال فجمع مجمعا حافلا من رؤساء الكهنة وكبار الامة واحضر المطران و بعد تلاوة القضية بحضوره سألته اذا كان لديه ما يدفع به التهمة عن نفسه واذ لم يقو على ذلك حكم المجمع بتجريدده من رتبته ومن كل درجة كهنوتية قبل الشروع فى انتخاب وتعين آخر عوضه . ولما كان اليوم المعين لتجريدده هرع الناس من كل جهة من اقباط ومسلمين الى المكان الذى اعد للاحتفال لمشاهدة هذا المنظر الغريب وتقاطر الناس أفواجا حتى بلغت اجرة الحمار فى ذلك اليوم ثلاثة دراهم . ولما كانت الساعة المعينة اتى به امام المجمع بملابسه الرسمية و بعد تلاوة الحكم نودى عليه بالتجرد فزقت ملابسه من على جسمه . فكان يوما مشهودا لم يسبق له نظير وصار الناس يتحدثون بهوله اياما

وقد انتخب البطريرك اسقفا غير هذا للحبشة من دير انطونيوس يدعى اسحق فقام بخدمتها بحزم زائد ونال فيها مركزا ساميا وحسب فى عداد القديسين ومن مآثره انه استحضر من بلاده المصرية رهطا من بنى قومه الاقباط نقشوا حجارة زين بها كنائس الحبشة وجعلها ذات رونق بهيج اعجب به الناظرون وعاش اربعين سنة بين الاحباش فى صفاء وهناء

وحدث ايضا فى ايام هذا البابا ان قسا من البشموترمل فتزوج مرة ثانية فطرده من كانوا تحت رئاسته فضى الى الاسكندرية وصار يودى الخدمة الدينية فى كنائسها فلما وصل خبره الى البابا يوحنا استاء استياء عظيما ووبخ اكليروس الاسكندرية وسن قانونا يقضى بانه لا يجوز لاية كنيسة ان تقبل كاهنا غير معروف بدون ان يكون معه تصريح رسمى من رئيسه

و بعد ذلك بقليل توفى البابا يوحنا فى ١١ طوبه سنة ٩٣٢ ش و ١٢١٦ م بعد ان قضى على الكرسي ٢٧ سنة وكان لموته رنة حزن لانه كان محبوبا من الجميع من اقباط ومسلمين وكان اشد الناس حزنا عليه بطريرك الروم الارثوذكس فقد شوهه يبكى عند تشييع جنازته بكاء مرا . غير انهم دفنوه بغير ان يحتفلوا به احتفالا عظيما لان من عادة المصريين ان يعجلوا بدفن موتاهم ولما كان موته بغتة لم يتمكن احد من اساقفة الابروشيات من حضور جنازته

وقد شهد احد المؤرخين المسلمين عن البابا يوحنا بانه عاش حياته زاهدا فى المال فالغنى

السيمونية وكان مثيرا فلم يشأ أن يثقل على الأمة في شيء بل عاش كل أيام رئاسته يصرف على نفسه ومن معه و يتصدق على الفقراء من ماله الخاص وأبى اجابة مطالب الاسكندريين الباهظة حفظا لمال الوقف ولهذا توفرت الاموال بالبطريركية فكانت سببا في طمع داود بن لقلق والسعى للاستيلاء عليها

وفي أيام هذا البابا بطل ارسال الاساقفة الى الخمس المدن الغربية وذلك ان تلك البلاد التي كانت تابعة للكرسى المرقسى والتي استمرت الكنيسة المصرية ترسل اليها الاساقفة بانتظام من القرن الاول للقرن الخامس الذى حدث فيه الانشقاق المحزن وقام الامبراطرة الرومان يقاومون البطارقة المصريين وعقبهم ملوك المسلمين بعد الفتح العربى فشددوا عليهم النكير حتى اقبل اهل الخمس المدن على الدخول فى الديانة الاسلامية افواجا وبطل ارسال الاساقفة اليها من عهد هذا البابا الى الآن

القسم الثانى

مشاهير الكنيسة

- (١) الاسعد ابو الخير (٢) السيدة ترفه
(٣) ابو البركات (٤) الانبا ميخائيل اسقف دمياط

(١) الاسعد ابو الخير

هو جرجة بن ابنى وهب الشهير بابن الميقاط اشتهر بين عظماء الاقباط فى عهد خلافة العاضد.. تعرض له الوزير شاور الذى أحرق مصر القديمة وادعى عليه بان له علاقة بعساكر الصليبيين وانه يخبرهم سرا وبناء على ذلك قبض عليه ووضع تحت العذاب حتى مات . وهو رأس لعائلة اشتهر أمرها فيما بعد منها ابو الفتوح بن الميقاط الذى ترأس ديوان الجيوش فى أيام الملك العادل

(٢) السيدة ترفة :

من مصر القديمة عرفت بالغنى واشتهرت بالتقوى والزائدة والغيرة فى عمل الخير ومن مآثرها انها انفقت من مالها الخاص على تشييد كنيسة على اسم ابنى نفر وأعدت باعلاها مكانا واسعا ليكون ديرا للعذارى الراغبات فى البتولية وانفقت ايضا على نسخ جملة كتب ووهبتها للدير ونقشت اسمها على لوح خشب ووضعت فوق الباب الذى تدخل منه النساء الى الكنيسة

(٣) ابو البركات :

هو ابن ابنى الليث كان رئيس ديوان المجلس وشى به بعض الحاسدين الى الخليفة بان له مرتبات باهظة وانه يحتل اموال الحكومة و يستخدم اقاربه و يفضلهم على غيرهم فلم يسمع لهم الخليفة واقره فى منصبه الا انه قتل فى سنة ٥١٨ هـ

(٤) الانبا ميخائيل اسقف دمياط :

كان من علماء ذلك العصر وجمع قوانين الكنيسة الى مجموع واحد والى كتاب البغية لمن طلب لنفسه الخلاص والنجاة من يوم القصاص

القسم الثالث

المملكة والكنيسة

- (١) الحروب الصليبية وتأثيرها على الاقباط فى عهد الخليفة الأمر بن المستعلى
(٢) الحافظ (٣) الظافر (٤) شاور وشيركويه
(٥) الدولة الايوبية . صلاح الدين يوسف ووزير بهاء الدين

(١) الحروب الصليبية وتأثيرها على الاقباط فى عهد الخليفة الأمر بن المستعلى
سنة ١١٠١ م : .

وحاول الصليبيون أخذ مصر ولكنهم فشلوا ولشدة غيظهم من عدم مساعدة الاقباط لهم اصدروا قانونا يمنع اقباط مصر والسودان من زيارة القبر المقدس وحملهم على ذلك ايضا اعتبارهم ان الاقباط هراطقة مع ان هؤلاء كانوا يتمنون لهم الفوز فى مبدأ الامر ولكنهم علموا فيما بعد أنهم لا يستريحون مع اللاتين المتغطرسين باكثر مما يستريحون مع المسلمين وقد ادركوا ذلك من ان أسقف رومية اصدر أمر الى الصليبيين بضم البلاد التى فتحوها الى بطريركية اللاتين فى اورشليم وكانوا ينوون لاقباط مصر ما نووه لغيرهم ولكنهم ارتدوا بالخيبة فى هجمتهم عليها مرة ثانية

واطمأن بال الافضل بن بدر الجمالى وزير الأمر باحكام الله على مصر وتحصل الاقباط فى ايامه على خير جزيل ولكنه لما رأى كثرة توالى هجوم الصليبيين على مصر وارتكابهم الفظائع فى كل بلد يدخلونها نفر قلبه وقلوب المسلمين من كل نصرانى مهما كان مذهبه وجنسيته ووقع الاقباط من جراء هذه الحروب تحت سخط مواطنيهم مع ان الاقباط كانوا فى نظر الافرنج هراطقة كالمسلمين ولم يسلموا من شرهم حتى انهم لما وصلوا الى مصر أول مرة نزلوا بمدينة تسمى الفرما وقتلوا جميع من فيها بدون تمييز بين مسلم أو نصرانى

ونال الاقباط من جراء الحروب الصليبية شر آخر وذلك انه لما طالت مدة الحرب احتاجت الحكومة المصرية الى نفقات جسيمة ففرضوا جزءا عظيما منها على الاقباط فتضايق منهم كثيرون حتى ان بعضهم اضطر الى بيع املاكه لدفع المطلوب منه واصبح الكثيرون فقراء وهكذا اتخذ المغرضون الحرب وسيلة لاضطهاد النصارى . وكان فى ديوان الخليفة كاتبان احدهما مسلم يسمى ابن ابى قيراط والآخر سامرى يدعى ابراهيم فوشيا للخليفة بان الاقباط ينفذون سرا الى الافرنج

اموالا يأخذونها من الكنائس فغضب عليهم وأمر بضم اموال الكنائس لبيت المال اما الواشيان فقام عليها الجنود وقتلوهما شر قتلة

ومع ذلك كان الأمر يكثر من التردد على دير نيا بالجيزة و يقيم به أياما للنزهة . وكان فى كل مرة يأتى اليه ينعم على رهبانه بالف درهم حتى بلغ ما نالوه منه اكثر من ثلاثين الف درهم . وفى أول مرة نزل به انعم عليه بثلاثين فدان بلا مال بناحية طهرمس بالجيزة . وهذا الدير هو الذى قال فيه ابن البصرى الشاعر فى قصيدة له

يا دير نيا ما ذكرتك ساعة الا تذكرت السواد بمفرقى
يا دير نيا ان ذكرت فاننى أسعى اليك على الخيول سبق

(٢) خلافة الحافظ سنة ١١٣٠ م :

وفى ايام الخليفة الحافظ لدين الله تولى منصب الوزارة رجل ارمنى شقيق بطريرك الأرمن فهدأت احوال الأقباط وتعزز مركز المسيحيين . غير ان المسلمين ثاروا على الوزير بحجة انه أوجد للمسيحيين نفوذا قد يمكنهم من استعادة السلطة الى قبضتهم . وكان زعيم هذه الثورة رجل يدعى رضوان فقدم برجاله على مصر القديمة وبابليون والقاهرة حيث كان يسكن المسيحيون وأمر من معه بسلبهم ونهب امتعتهم وجعل همه الضغط على الاقباط ومصادرتهم وألزمهم بركوب الحمير والبغال دون الخيل وشد الزنار ولبس الغيار كما ادعى عليهم بانهم غير اكفاء للوظائف وضاعف الضرائب المقررة عليهم . غير ان المسلمين الذين كانوا يعلمون شدة احتياجهم لكفاءة الاقباط العلمية نقموا على رضوان ولم يمكنوه من ذبحهم

وفيا بعد غرس الافضل الوزير بستانا بالروضة بجوار كنيسة الملاك ميخائيل المختارة واحاطه ببناء بلغ اسوار البيعة فطلب المهندس من الاقباط رشوة لكى لا يقرب من الاسوار فوعده و لكن لفقرهم لم يوفوا الوعد فانتهر ذلك المهندس حدوث زلزلة دمرت بعض المنازل وعقبتها ظلمة دامسة واسرع برجاله الى البيعة ودمرها

وكان الآب ميخائيل اسقف صهرجت قد اعتنى بتجديد كنيسة منية زفتى ورممها فوثب عليه المسلمون واغتصبوها وحولوها الى مسجد فرفع الاسقف شكواه الى رضوان المذكور فادعى الذين اغتصبوها انها بنيت حديثا ولما اثبت انها قديمة أعيدت اليه

(٣) خلافة الظافر سنة ١١٤٩ م :

وفى أيامه اشتد طابع بن زريك الارمنى فارتقى الى منصب الوزير الاول فى مصر ولم يكتف بذلك بل نادى بنفسه ملكا ودعا نفسه الملك الصالح فتجبر على الاقباط وضايقهم مضايقة شديدة ووقع بهم شرا عظيما ومن ذلك ان مدينة المطرية التى كانت ولا تزال معتبرة عند الاقباط مقدسة لتشريف المسيح اياها حتى سكن بها كثيرون منهم وبنوا فيها جملة كنائس فاغتصب الملك الصالح احدى تلك الكنائس وحولها جامعا

(٤) خلافة العاضد ووزارة شاور وشيركوية :

وفى مدة خلافة العاضد بن يوسف الذى تولى سنة ١١٥٠ م استوزر رجلا يسمى شاور الذى لما تضايق من الصليبيين أحرق الفسطاط (مصر القديمة) حتى لا يعسكر فيه الا فرنج فكانت هذه مصيبة أخرى لان معظم سكانها كانوا اقباط فهلك منهم كثير ومن نجا من النار خرج هائما لا يدرى الى اين يذهب واستمرت النار متقدة أياما وذهب فى ذلك الحريق امتعة الاقباط المساكين واصبحت منازلهم آثار بالية ولم يظهر من البناء سوى قباب الكنائس ولم يكن فى وسع الاقباط حينئذ ان يبنوا كنائسهم الا فى مكان أو اثنين بما التقطوه من الحجارة المتفرقة التى أوقعها النار من البيوت والكنائس . ولبت الكهنة الذين لم يهربوا من النار يحرسون تلك الانقاض وبعد حين وجد الاقباط ست كنائس باقية داخل حصن الرومانيين ففرحوا بها فرحا عظيما . ومن أشهر الكنائس التى احترقت حينئذ كنيسة دير أبى سيفين

وبعد مدة قتل شاور واستوزر بعده شيركويه ولكى يرضى هذا الوزير الجديد خواطر المسلمين الذين اشتدت كراهم للنصارى بسبب الفظائع التى كان يرتكبها الصليبيون تعدى على الاقباط وسامهم عذابا اليما فنهب منازلهم وفضح نساءهم واغتصب بعضهم الى الاسلام . ومن ذلك ان راهبا من دير أبى مقار نزل الى القاهرة لبيتاع شيئا فدعوه الى الاسلام فأبى فقتلوه وأشعلوا النار فى جثته فلم تحترق فأخذها النصارى ودفنوها فى كنيسة أبى سرجه . ثم هجم شيركويه ورجاله على الكنائس التى بضواحي القاهرة فهدموها وهدموا كنيسة الحمري بجارة الروم والزهرى فى بر الخليج غربى باب اللوق ونهبوا ما وجدوا بها من الامتعة ثم الزم شيركويه النصارى بشد الزناير على أوساطهم ومنعهم من ارخاء الذؤابة المعروفة بالعذبة وقرر عليهم مغارم باهظة وحرّمهم من التوظيف فى الوظائف الرئيسية فى الدواوين . أما نصارى الصعيد فباعوا أنفسهم للعربان وتراموا عليهم فادخلوها فى حمايتهم وهذه الطريقة نجا كثيرون منهم من الموت لكنهم صاروا بذلك عبيد للعرب

وكان بين الكتاب النصارى رجل يسمى زكريا بن ابى المليح مماتى فكتب رقعة رفعها
الى أسد الدين شيركويه يلتمس منه ان لا يمنع النصارى من ارخاء العذبة وقد صدرها بالبيتين
الآتين

يا أسد الدين ومن عدله يحفظ فينا سنة المصطفى
كفى عيارا شد أوساطنا فما الذى أوجب كشف القفا

فلم يجب طلبه . وكان زكريا هذا من نصارى اسيوط ولما أسلم دعى الاسعد ابن شرف
الدين وولى ناظرا على الدواوين وكن شاعرا مجيدا وكاتباً بليغا ومن شعره

تعاتبني وتنهى عن أمور سبيل الناس ان يهوك عنها
اتقدر أن تكون كمثلي عيني وحقق ما على أضر منها

وبموت الملك العاضد انتهت الدولة الفاطمية وكان الاقباط فى آخر عهدها رغم ما حل بهم
متقلدين زمام الوظائف الحسابية التى وضعوا لها قواعد دقيقة لا يتمكن سواهم من ضبطها وكانوا قد
اتقنوا اللغة العربية ووضعوا فيها مؤلفات تشهد لهم بالمقدرة التامة ونقلوا اليها مؤلفات كثيرة من
القبطية واليونانية وقد عرفت الحكومة قدرهم فصارت تلقبهم بالقاب التفخيم (كالرئيس وهبه الله .
والامجد . والاسعد . والشيخ . ونجيب الدولة . وتاج الدولة . وفخر الدولة)

وكانت معظم الصنائع والفنون بأيديهم وكان اتقانهم لها بالغاً منتهاه ولا تزال بقايا
صناعاتهم موجودة لئلا فى الاديعة والكنائس القديمة بحارة زويلة وحارة الروم ومصر القديمة
وكنيسة المعلقة كما أنهم لم يهملوا علم الطب فاشتغلوا به ونالوا منه حظاً وافراً واهتموا بعلم المواقيت
والفوا فيه مؤلفات واسعة وصل إلينا بعضها

(٥) الدولة الايوبية : صلاح الدين يوسف ووزيره بهاء الدين :

تولى صلاح الدين كرسى الوزارة سنة ١١٦١ م فحكم على الاقباط ان يعلقوا أجراساً فى
أعناقهم وأمر ان تنزع الصلبان الخشب من فوق كل كنيسة وتطلى كل قبة كنيسة بيضاء بالطين
الاسود وبعد دق النواقيس فى سائر الكنائس . وكان من عادة النصارى ان يزفوا فى عيد

لشعائين الصليب فى الشوارع فى كل بلدة وكل مدينة فمنعهم من ذلك وأمرهم ان لا يصلوا فى الكنائس الا باصوات منخفضة فكانت هذه الاوامر عاملا على تهيج المسلمين و بغضهم لهم اكثر فاضطهدوا الاقباط فى كل مكان واغتصبوا كنائس كثيرة وحولوها الى جوامع والزموا عدد من المسيحيين باعتناق الاسلام

وحدث أيضا ان ظهر رجل بمدينة قفط التى كان معظم سكانها أقباطا وادعى انه ابن العاضد آخر الخلفاء الفاطميين فتبعه كثيرون وجأهروا بالعصيان على صلاح الدين فارسل لهم جيشا تحت قيادة أخيه فاحاط بالمدينة وخرها ونهبها وقبض على ثلاثة آلاف رجل من سكانها وعلقهم فى عنائهم على الاشجار التى كانت حول المدينة ومن ثم لم تقم لقفط قائمة وهى الان قرية حقيرة و بعد ذلك وضع صلاح الدين يده على ممتلكات الدير والكنائس وانعم بها على أعوانه واتباعه

جلس صلاح الدين على كرسى السلطنة سنة ١١٧١ م وفى اثناء انشغاله بالحروب فى سوريا لاح لملك النوبة ان ينتهز تلك الفرصة ويستولى على مصر فوصل الى اسوان وأسر كثيرين من المسلمين فسير اليه صلاح الدين جيشا فحاصر قلعة دير ابريم وفتحها عنوة واستخلص الاسرى المسلمين ونهب المدينة وقتل اكثر سكانها واسر اسقفها وطلب منه اموالا واذا لم يجد عنده شيئا باعه مع الاسرى وقبض ثمنه

وكان عرش مصر فى اثناء اشتباك صلاح الدين فى المعارك مسندا الى الوزير بهاء الدين احد خصيائه السود فارتأى هذا أن يرمم اسوار المدينة فساق اليها المصريين ونصارى معا ليشغلوا فيها فنقم الكل عليه وصار الاولاد يمثلون به و يلقبونه باسم « قراقوس » ولا يزال الى اليوم من يقيمون حفلات استهزاء بهذا الاسم . وتعمد مضايقة الاقباط مضايقة شديدة فاوّل عمل أّاه ضدهم أنه رقت كل الموظفين منهم فى جميع دوائر الحكومة ولم يبق منهم فيها الا من أسلم على يد شيركويه وبعده . ثم عاد فارجعهم من نفسه لما رأى استحالة قيام الاعمال المصلحية وانتظامها بدونهم . بل ان السلطان نفسه لما تحقق امانتهم اتخذ له منهم كاتب خصوصيا من عائلة قديمة شريفة يعرف بعائلة شرافى وكان ابوه من مشاهير الحكومة فى ايام العاضد يسمى بابى المعالى ومنحه صلاح الدين لقب الشرف والرئاسة فدعاه بالشيخ الرئيس صفى الدولة بن ابى المعالى وكان محبوبا وبقى فى خدمته حتى مات . وكان الارمن قد هاجروا من مصر وتركوا كنيسة بالفسطاط انعم بها السلطان على فقيه دمشقى يسمى بهاء الدين فطلبها صفى الدولة للاقباط فأعطاه صلاح الدين لهم ولما تحقق صلاح الدين من اخلاص الاقباط وهبهم اعظم مكان فى بيت المقدس وهو الدير المعروف الان بدير السلطان نسبة اليه

وتجاسر حينئذ راهب يدعى جالوش وكتب ينم فى الرهبان للوزير مدعيا عليهم بأنهم على علم تام بعلوم السحر والتنجيم والرقى ولهم دراية بكيفية صنع الذهب والفضة الامور التى يخالفون بها أوامر الانجيل فأمر الوزير بعض جنوده بفحص الشكوى فساروا الى وادى النطرون وأوقعوا بشيوخ الرهبان اهانة كبرى وأتوا بهم مقيدى الى الوزير الذى فحص أمرهم فوجدهم ابرياء فأطلق سبيلهم .

ولكن حدث ان جماعة من الاقباط ومنهم اثنان من كبارهم احدهما يدعى ابوسعيد بن أبى الفضل بن فهد النحال والآخر أبو اليمين بن أبى الفرج من عائلة زنبورة الشهيرة احتفلوا فى أحد الايام فى كنيسة الارمن التى وهبها السلطان لهم بعيد الشعانين وكان مع خدام أبى سعيد وأبى اليمين اناء فيه زيت خاص من الزيتون ليقدّموا منه لمواليهم ولما لم يجدوه اتهموا حراس المسلمين بأنهم سرقوه وأدى الحال وقوع مشاجرة بين الخدام والحراس تعدى فيها أولئك على هؤلاء بالضرب فرفعوا أمرهم الى بهاء الدين الفقيهى الدمشقى صاحب البساتين التى حول الكنيسة فقضى الخبر على السلطان وهذا أحضر صفى الدولة واستعاد منه الامر الذى أعطاه له بأخذ الكنيسة وأغلق أبوابها ولكنها أعيدت بالتماس صفى الدولة ثانية

ومما يستحق الذكر فى أثناء حصار الصليبيين لدمياط سنة ١٠٧٢ م حدث ان وزيرا قبطيا لاقى الصعوبات فى سبيل الاستئذان ببناء كنيسة على اسم الست بر بارة وناله بعد الجهد وشيد تلك الكنيسة التى لا تزال للآن بمصر القديمة . وقد دفعته الغيرة الدينية على تجديد كنيسة القديس أبى سرجة فغضب منه الخليفة اذ لم يأذن له الا ببناء كنيسة واحدة وأمر بارسال العمال بالمعاول والفؤوس لهدم احدى الكنيستين كما يختار الوزير فحزن الوزير حزنا عظيما حتى مات فى الحال فأسف عليه الخليفة ولم يشاء هدم احدى الكنيستين

القسم الرابع البدع والانشقاق

(١) انشقاق مرقس بن قنبر :

(٢) مبادئ ابن ياسر القسطل

(١) انشقاق مرقس بن قنبر :

رسمه أسقف دمياط كاهنا لاحدى بلاد الصعيد وكان حائزا على قسط من العلوم والمعرفة فضلا عن معرفة اللغتين العربية والقبطية وكان يحسن اللغة اليونانية فترجم منها بعض الكتب ونقلها الى العربية وألف أيضا جملة كتب نادى فيها بمبادئ مخالفة لمبادئ الكنيسة المرومية فجاءه بعدم فائدة البخور وطلب الاساقفة والعلمانيون من البابا يوحنا الخامس أن يحرمه فتمهل عليه لعله يرجع عن غيه ولكنه سمع عنه فيما بعد انه ترك زوجته وصار راهبا طمعا فى الحصول على رتبة الاسقفية فتأكد البطريرك من سوء تصرفه وحرمه وقطعه من شركة الكنيسة فلم يبال بذلك بل دأب على القيام بالوعظ والتبشير ولما كان يتبعه كثيرون قاوم أيضا عادة الختان بحجة انها خاصة باليهود لا المسحوقين.

وبدأ ببوا الكرسى البطريركى باب مرقس بن زعرة كتب اليه اساقفه وعلماء الصعيد يرجو منه أن يتلافى الخطر المحدق بالكنيسة من جراء الفتن التى يجتهد مرقس فى ايقاظها فاستقدم بطريرك اليه ونصحه فقبل النصيحة واعترف بخطئه فحل من حرمة ورجع الى بلده ولكنه عاد الى سيرته الاولى فلما رأى البطريرك ذلك عقد مجمعا من ٦٠ أسقفا وافق فيه على حرمة وتجريده من رتبته الكهنوتية.

فطلب مرقس من الحكومة المصرية ان تنظر فى دعواه فرغب الحكام ان يتداحوا فى امره. ولكن البطريرك والاساقفة أبوا بالكلية قبول طرح المسألة أمام الحكام وارتضوا بتحكيم الاب ميخائيل بطريرك انطاكية فسعى هذا جهده لايجاد الصلح ولكنه لم يفلح . وبعد ذلك رأى مرقس بن قنبر أن يرتضى فى أحضان الكنيسة الملكية وكانت حينئذ ضعيفة النفوذ فرجع مرقس منها بعد قليل نادما طالبا من البطريرك أن يقبل توبته ولكن الاقباط ازدروا به لكثرة تلونه وكان أتباعه قد رجعوا الى كنيستهم الاصلية فعاد ثانية الى الكنيسة الملكية ولكنها لم تقبله لعدم ثباته فبقى مدد حياته مطرودا

(٢) مبادئ ابن ياسر القسطل :

كان قسا عالما فاضلا أراد اصلاح بعض الطقوس والعادات الاجتماعية فرأى منعا للمشاكل الزوجية أن يرى الخطيبان أحدهما الآخر. وأثبت أن الختان ليس فريضة دينية . وأشار بتربية الشعر ووجوب كشف الرأس حال الصلاة . ومع أن كثيرين قبلوا آراءه بارتياح الا أنه اضطهد من أجلها ولكنه لم ينثن بل ألف رسالة أثبت فيها مبادئه فقطعوه وأخرجوه من ديرهم الموجود للآن بالعدوية وكان من الاديرة الفخيمة التي يفد اليها كبار الامة لقضاء أيام فيها ترويحاً للنفس

وكان بجوار هذا الدير بستان واسع أنشأه هذا القس من ماله الخاص فأخرج منه وراق فيما بعد فى نظر ابن الحافظ أحد خلفاء الدولة الفاطمية فاتخذة لنفسه وصار ملكا للفاطميين حتى ملكت فى مصر الدولة الايوبية فآل أمره أخيرا الى طففتكين أخى الملك صلاح الدين الكروى فضم اليه كل البساتين المجاورة له وكانت للاقباط وجعلها بستانا واحدا وكان بتلك الجهة كنيسة تسمى كنيسة السودان فاستولى عليها أيضا وهدمها

وكان لابن ياسر صديق يهودى فتباحثا معا كثيرا ارادة أن يقنع أحدهما الآخر ويجذبه الى ديانتهم فتمكن ابن ياسر من اقناع اليهودى فأمن بالمسيح وصار عضوا بالكنيسة القبطية وتعلم لغتها ورسم شماسا فى كنيسة حارة زويله

القرن الثالث عشر

القسم الأول تاريخ البطارقة

- (١) كيرلس^٣ (٢) اثناسيوس^٣
(٣) يوحنا ٧ وغبريال^٣ (٤) ثيودوسيوس^٢

(١) كيرلس^٣ — البطريرك الخامس والسبعون :

ولم تمر مدة وجيزة على انتقال البابا يوحنا السادس حتى اشتد الخلاف بين المسيحيين بسبب انتخاب من يخلفه وبقي الكرسي البطريركي خاليا ممن يتبوأ لعدم اقرار الاساقفة على واحد من المرشحين . وكان المرشحين اثنان أحدهما يدعى بولس والثاني رئيس شمامسة المعلقة . وغير هذين الرجلين كان آخر يدعى داود بن يوحنا بن لقلق من الفيوم سعى في الحصول على هذا المنصب الجليل . وكان هذا الرجل في عهد البابا يوحنا السادس قد رشح نفسه مطرانا للحبشة فرفض البطريرك قبوله وانتهره

وكان داود هذا كلفا بالحصول على إحدى رتب الكهنوت الرئيسية فانتهاز فرصة انعقاد مجمع الاساقفة والشعب لانتخاب بطريرك جديد وبذل كل جهده ليستميلهم اليه فلم يفلح فاستعان بالارخن أبي الفتوح كاتب جيش الملك العادل فحاول هذا الرجل أن يقنع الاساقفة بقبوله ولكن بما له من النفوذ في الحكومة والدالة على الملك استطاع أن يحصل على أمر بتوليته بطريركا وتمكن أبو الفتوح من أن يستميل اليه بعض الأساقفة أما بالحيلة أو بالارهاب فوافقوه على الرضى به وعينوا صباح يوم الاحد التالي للاحتفال بتوليته في كنيسة المعلقة وحجز أبو الفتوح هؤلاء الاساقفة ليلة الاحد ليبيتوا عنده ليضمن قيامهم برسامة داود

ولما تضايق الاساقفة أنفذوا رسولا سرى الى كبار المسيحيين يعلمونهم بالخبر فشق عليهم الامر وهاجوا وماجوا وهبوا الى المقاومة وكادت تجرى الدماء لولا ان شخصا يدعى أسعد بن صدقة

الكاتب خشى سوء النتيجة وتلافى الامر بحكمته وأوصى القوم بالهدوء والسكينة ليتدبروا الامر فى جو خال من الاضطراب والشغب . ثم اصطفى بعضهم ورافقهم ليلا وهم يحملون الشموع والانوار الى حيث يقيم الملك الكامل ابن السلطان ولما شعر بازدهام تحت قصره انزعج وأنفذ يستقصى عما جرى فطلب منه أن يسمح لبعضهم بشرح مسألتهم فسمح لهم فلما مثلوا أمامه أوقفوه على الحقيقة واتمسوا منه أن يتوسط لهم لدى أبيه لينجى عنهم هذه النازلة ويقاوم رسامة هذا الرجل لعدم استحقاقه لمركز خطير كهذا تحتم القوانين بعدم انتخاب أحد له الا اذا اجتمعت عليه الكلمة وقر عليه الرأى فهدأ روعهم ووعدهم خيرا

ولما انصرف القوم على هذا الوعد توجه الملك الكامل فى الحال الى أبيه الملك العادل وكشف له الامر وأحاطه بعدم رضى الاكليروس والشعب على تولية ذلك الرجل لاسباب قانونية وأخبره بالاساقفة الذين حجزهم أبو الفتوح ببيته ليقوموا بالرسامة رغما عنهم اعتمادا على الامر الذى أخذه من الملك . فلما وقف الملك على سر المسألة أخذ يشك فى أبى الفتوح اذ قال له ان الامة ورؤساءها راضون به وكاد أبو الفتوح يجنى ثمرة زرعه لولا ان الملك تأنى فى الامر وأرسل جنودا يستحضرون الاساقفة الذين حجزهم بمصر القديمة ليوقف منهم على الخبر

وفى الوقت الذى كان ابن صدقه يدبر الامر هكذا كان أبو الفتوح مهتما بتنفيذ الامر بعجلة فبادر بأخذ ابن لقلق من القاهرة الى مصر القديمة فى فجر يوم الاحد و بينا هم سائرون به التقى بهم الجند وكان قد انضم اليهم جمع غفير من الناس فهجموا عليهم وضربوهم ضربا مبرحا وفرقوا شملهم وكادوا يفتكون بداود ولكنه هرب واختفى

أما الجند فاضطروا أن يهملوا الامر الذى أرسلوا لاجله واهتموا بتفريق الجمع ولم يتم لهم ذلك الا بعد عناء عظيم وكان أبو الفتوح وداود يرومان أن تتم الرسامة سرا بواسطة الاساقفة ولكن الجند أسرعوا الى كنيسة المعلقة وأمروا الاساقفة بالخروج حالا من الكنيسة والذهاب الى القاهرة كأمر الملك العادل فسروا جدا اذ سمعوا هذه الدعوة التى كانوا يرجونها بفارغ الصبر نظرا لمضايقة داود وأبى الفتوح لهم والالحاح عليهم برسامته بطريركا

فلما قام الاساقفة مع رجال الحكومة الى القاهرة خابت آمال داود من رسامته سرا ولما وقف الملك العادل على جليلة الخبر من الاساقفة وانهم غير متفقين على كلمة واحدة فبعضهم كان يرفض قبوله رفضا باتا وبعضهم خاف بأس أبى الفتوح فأظهر الرضاء . غير أن أغلب الاساقفة أبوا الموافقة على الرسامة وبعد ذلك اجتمع أربعة منهم وحرموه وتعاهدوا على أن لا يحضروا سيامته ولو أرغموا على ذلك

أما أبو الفتوح وداود فقد حاولا مرة أخرى أن يتمما الرسامة فلم ينجحا فى مسعاها وذلك

ان أبا الفتوح عاد الى الملك العادل وأثر على فهمه بأن داود أليق من غيره للبطريركية وان الدين تظاهروا ضده هم من رعاع القوم وصعاليكهم ثم كتب عريضة و بذل جهده حتى تحصل بالتهديد على أمضاء ١٣ أسقفيا وأربعين راهبا وبعض العامة وقدمها للعادل فلم يسعه الا الموافقة غير أن المؤمنين كانوا متيقظين فقاموا قومتهم مستنجدين بطبيب الملك وكان قبطيا وبواسطته تمكنوا من افساد تدبير أبى الفتوح وأمر الملك أن لا ينصب بطريركا الا من تتفق الكلمة عليه

ثم توفى الملك العادل وخلفه ابنه الكامل فوقع فى أزمة مالية فحضر الاقباط على انتخاب داود بطريركا طمعا فى أن ينال أولا رسوم البطريركية التى كانت تدفع لخزينة الحكومة وثانيا لياخذ المال اللازم من داود نفسه فى نظير مساعدته للحصول على مأربه وما كاد يشيع هذا الخبر حتى هرع كثير من أساقفة جميع جهات القطر للاحتجاج على تعيين داود وكان يومئذ قد احتفل فى ديوان الحكومة بشكر الذين رشحوه ولكنه لما رأى معارضة السواد الاعظم من الرؤساء والمرؤسين فى انتخابه شعر بخيبة آماله مرة أخرى

ولكن لم تضعف هذه الخيبة عزمه بل عمد الى الاستيلاء على الكرسي البطريركى بالقوة فلم يبال باحتفال أو رسامة بل لبس اللباس البطريركى وسار الى كنيسة القديس سرجيوس مخفوا بأعوانه وبينما كان يؤدى الفروض كان جمهور كبير من الاقباط يوجهون اليه أقسى كلمات الهجاء حتى ان اعوانه لم يتمكنوا من سماع صلاته . وكان هياج المؤمنين عاما فى جميع الانحاء فاستخدم داود نفوذه وجعل الحكام يضطهدونهم ولاسيما الرهبان والاكليروس

وبينا كان الملك الكامل يزور أديرة وادى النطرون ودير القديس مكارى يوس طلب منه الرهبان أن يسمح لهم بتعيين بطريرك تتفق على انتخابه كلمتهم وأخبروه انه تخرج من دير أبى مقار ثمانون راهبا رسمهم البابا يوحنا السادس كهنة على عدة ابروشيات فلم يبق منهم على قيد الحياة سوى أربعة فقط وأعلموه انهم يخدمون جميع الابروشيات مع انهم لم يزالوا رهبانا ولا يمكنهم أن ينالوا رتبة الاسقفية الا بيد البطريرك

وكان الاساقفة يموتون واحدا بعد آخر وتخلوا ابروشياتهم ممن يحل فيها نظرا لعدم وجود بطريرك يقيم عوض المتوفين . فأجابهم الملك الكامل بلطفه المعهود انه لا يتأخر عن اجابة طلبهم اذا توافقوا الى بطريرك يجمعون على انتخابه ووعدهم بالتنازل عن الرسوم التى اعتادت البطريركية دفعها للحكومة عند تنصيب كل بطريرك جديد

كل ذلك وداود لم يفتأ يسعى بدون انقطاع ليلا ونهارا ليفوز ببغيته مستعملا تارة الحيلة وأخرى التوسل بكبار الحكومة وأحيانا الرشاوى والهدايا حتى فرغ كل ما لديه من المال دون أن يتم له رضاء الشعب عنه وهكذا استمر الكرسي خاليا بسبب هذا الخلاف مدة عشرين سنة مات فى

خلالها معظم الاساقفة وغيرهم من الذين كانوا من أقوى المعارضين لداود الذى كان كلما يسمع بموت أحدهم يفرح ويسرو يعتقد أن أجل التوقف له كاد ينقضى

ولما اشتدت حاجة الملك الكامل للمال أقدم على أمر أقسم بأن لا يفعله فحدث فى يمينه . وكان يوجد راهب يسمى عماد المرشال وصفه بعضهم بالخُبث والعناد ومعاكسة عظماء الامة وأئمة الطائفة والقائهم فى ورطات لا يمكنهم التخلص منها الا بدفع غرامات طائلة حتى انكشف أمره أخيرا للسلطان فقبض عليه وعاقبه بما يستحق وقيل انه طلب أن يسلم فلم يقبل الملك اسلامه فاجتمع هذا الراهب بداود واتفق معه على أن يسعى له بشرط أن يدفع ثلاثة آلاف دينار لخزينة الحكومة وكان بين رجال حاشية الملك الكامل أمير يعرفه عماد يسمى فخر الدولة له كلمة نافذة لدى الملك فضى اليه وكشف له الامر فوعده خيرا ومن ثم صدر أمر الملك برسامة داود على الشرط المذكور فرسم على أيدي الاساقفة القليلين الذين كانوا باقين وقتئذ وهددوا بالموت أن لم يرسموه . فتولى داود البطريركية وسمى كيرلس الثالث فى ٢٢ بؤونه سنة ٩٥١ ش ١٢٣٥ م

واحتفل كيرلس برسامته احتفالا بهيجا أساء المسلمين واجتهد فى مبدأ الامر أن يرضى رأى العام فرسم بعض الكهنة والشمامسة بدون أن يحصل منهم شيئا ولكنه فيما بعد استبد وأساء التدبير وأظهر شرايته فى محبة المال وتحصيله اياه بطرق غير جائزة . وكانت أكثر من أربعين ابروشية قد خلت من الاساقفة فصار لا يولى أسقفا الا من ينقده مبلغا أكثر من سواء بغير مراعاة الاهلية والاستحقاق

فلما بلغت أخبار قبائحه المسامع نفرت منه قلوب الناس وتكدرت خواطر الشعب ونصحه بعضهم على انفراد فلم ينتصح بل كان يقول لهم انه مضطر الى جمع النقود لسداد المطلوب للحكومة جزاء تنصيبه بطريركا . فاشتد مقت الجميع له وأكثر الكل من التشنيع عليه ومن هؤلاء الراهب عماد فانه نازعه كثيرا وشدده عليه النكير واجتهد أن يقيم عليه رقبا خوفا على أموال الوقف

ولسبب لا نعلمه قبض عليه الملك والزمه بدفع ألف وخمسمائة دينار فأتخذ هذه الغرامة ذريعة للتوغل فى فظائعه فأصدر أمرا اداريا باتباع جميع الاديرة له مباشرة وفرض عليها مبالغ سنوية ونزع أيضا بعض البلاد من ابروشياتها واتبعها له وربط عليها عوائد تدفع ليده خاصة فكدر بذلك خواطر الاساقفة فنقموا عليه هم ورؤساء الاديرة وصاروا يترددون عليه ويكلمونه فى أمرهم فتركهم وانطلق الى الاسكندرية ولما رأى أن احتجاج الشعب شديد ضد السيمونية دعا اليه كبار الامة والاكليروس وأخبرهم أن ما جمعه كان لايفاء الاموال الاميرية ووعدهم انه بعد سداد المطلوب يكف عن بيع الرتب الكهنوتية اذا لم يكن داع لجمع الاموال بهذه الطريقة

غير انه لم يفتأ يظهر شروره وقاده سوء تصرفه الى التعدى على حقوق زميله بطريرك انطاكية السريانى فعين مطرانا قبطيا سماه مطران سوريا وأرسله الى مدينة القدس ليقم بها بحجة

انه يوجد فى سوريا كثير من الاقباط لا يعرفون اللغة السريانية التى يصلى بها السريان فى كنائسهم وقبل هذا العهد كانت مصالح الاقباط فى الاراضى المقدسة موكولة الى الكنيسة السريانية و يظن انها لم تقم بها كما ينبغى وعلى كل حال فقد أدى تدبير كيرلس هذا الى افساد العلاقات الوهية القديمة وفصم عرى الاتحاد الذى كان بين السريان والاقباط.

ومع ان الاساقفة فى مصر عارضوه فى هذا التعيين الا انه لم يسمع لهم قولا غير انهم نجحوا فى حمله على ارسال مندوب الى بطريرك انطاكية الذى كان مقيا وقتئذ بأورشليم يطلب اليه الاعتراف بالمطران الذى أرسله . فأبى اغناطيوس بطريرك انطاكية أن يعترف بالمطران واضطر أن يستعين باكليروس اللاتين الذين كانوا ينتظرون مثل هذا الشقاق ليستفيدوا منه فبسطوا له حمايتهم واضطر اغناطيوس أن يعامل كيرلس كما عامله فعين مطرانا من قبله لكنيسة الحبشة وهو رجل حبشى يسمى توما مولود فى بلاد الاحباش

فكثرت سخط الناس على كيرلس ونصحه أبوالفتوح وغيره من كبار الامة ورجال الاكليروس مرة بعد أخرى أن يعدل عن خطته فلم يقبل نصيحتهم فاجتنبوه واعتزلوه بالمرّة ولم يعد أحد منهم يدنونه أو يجتمع به فاتخذ هذا الاعراض فرصة للاستبداد والتصرف فى مصالح الامة تصرفا سيئا

وكان كيرلس قد استمال اليه الملك الكامل وأغلب عظماء المسلمين بالرشاوى والهبات واستعان بهم على أبناء طائفته الذين أصبح يزدرى بهم ولا يحسب لوجودهم أو معارضتهم حسابا . ولما كان رؤساء الحكومة غير مطلعين على فظائع كيرلس قام وفد من كبار الامة القبطية وأساقفتها يرأسه عماد الراهب وقصوا أخباره على محافظ العاصمة وكان ممن استمالهم كيرلس اليه بالرشوة فلم يهتم بالامر بل حامى عن كيرلس وعضده . ولما حضر كيرلس أبدى اندهاشه قائلا « لم يعرف فى التاريخ الكنسى أن أساقفة ائتمروا على خلع بطريرك وان كانوا يشتكون من تضيقى عليهم فليبحثوا القانون لعلهم يجدون ما يستندون عليه »

وكانت طلبات الاساقفة فى تلك الشكوى خمسة أمور رئيسية :

- ١ — الاقلاع عن السيمونية والرشوة
- ٢ — احترام حقوق بطريرك السريان وان لا تتجاوز سلطة المطران الذى عينه مدينة غزة
- ٣ — عزل من قلدهم الرتب الكهنوتية بدون استحقاق
- ٤ — لا ينبغى للبطريرك أن يقلد بدع الكنيسة اليونانية
- ٥ — تعيين أحد الاساقفة الشيوخ المدربين وكيلا للبطريركية

أما كيرلس فلم يكتف بعدم اجابة هذا الطلب فقط بل سعى لدى الحاكم ورمى عماد

بكل كراهة فألقى القبض عليه وزج في السجن . وكان قد وعد بعقد مجمع تنظر فيه هذه الشكاوى فلم يبر بوعده . ولما فاض الكيل قام أربعة عشر أسقفا الى الدار البطريركية بالمعلقة بمصر القديمة وأرغموه على المجيء من مدينة الاسكندرية فجاء اليهم فألزموه أن يعقد مجمعا مؤلفا من الاكليروس وكبار الامة للنظر في ما اختل من الاحوال بسبب سوء تصرفه فاضطر أن يجيبهم خوفا منهم وكانوا قد أعدوا مشروعا يتضمن قوانين ضرورية لتقدم الكنيسة . فلما اجتمع المجمع قدموه له وطلبوا منه أن يمضى عليه و يتعهد بتنفيذه

وحاول كيرلس الامتناع عن أن يكون مقيدا بهذه القيود التي لم تتفق مع ما ينويه فهدده الاساقفة بالانفصال عنه واجتنابه وقطع العلائق معه فاضطر أن يمضى بالرغم عنه وكلفوا ابن العسال صفا الفضائل بجمع هذه القوانين فجمعت ووزعت على جميع الابروشيات

وحدث بعد ذلك موت الملك الكامل وملك عوضه الملك الصالح فجاء على النصرارى وترك رعايا المسلمين يضطهدونهم أما كيرلس فسعى كعادته حتى استمال اليه الملك الجديد ولما كان يحاول التخلص من هذا التقييد واعادة الاستقلال اليه انتهر فرصة هذا الاختلال الذى لحق النصرارى منه ضرر عظيم وأعلن رفضه لما اتفق عليه . فعقد الاساقفة مجمعا حضره وجهاء الطائفة طلبوا فيه مرة أخرى أن يلاحظ القوانين الكنسية فازدري بهم واحتقر كلامهم فقام فى وجهه فى هذه المرة راهب يسمى بطرس بن التعبان و يعرف بالشيخ السنى وكان عالما فاضلا محبوبا محترما بالنسبة لحكمته وشيخوخته واقام الادلة على ما ارتكبه مما يحل بمقامه ورتبته كمخالفته للقوانين المرعية ونكثه العهود وارتكاب الرشوة وغير ذلك من الاعمال والخصال الذميمة وقدم له قانونا يمضى عليه مؤداه أن يعين أسقفا طاهر الذمة ليراقب أموال الوقف وأن يرسم أسقفين لابروشيات خاليتين بدون رشوة وكان كيرلس قد أمتنع عن رسامة أحد لهما حتى يتحصل الضريبة المعتادة وأن يعين ناظرين لمدرستى القاهرة و بابليون وأن يترك الاديرة تحت رئاسة الاساقفة التى تكون فى دائرة ابروشياتهم

فأخذ كيرلس يماطل الى أن استاء منه أحد أصحابه وضجر من بخله عليه فخان عهده ووشى به الى أمير القاهرة وكانت شكوى الشيخ السنى قد هدمت مركزه فى عيون الحكام فعزموا على القبض عليه مرارا لمحاكمته ولكن الاساقفة لم يسمحوا بتسليمه ليد الحكومة خوفا من أن يكون ذلك اعترافا منهم بحق الحكومة فى التسلط على البطريرك والقضاء عليه . غير انه فى هذه المرة تم القبض عليه وهموا بعزله تخلصا من الاشتغال بالقضايا التى كانت تقدم عليه من وقت لآخر ونسبوا اليه معاملة البعض بالقسوة الزائدة واستعماله معهم أنواع التعذيب التى تقضى بهلاكهم . واجتهد أولو الامر أن يجعلوا الاساقفة يشهدون عليه فأبوا وتداولوا مع الامير وكان يجب الاقباط حبا جما وأتفقوا معه على أن يطلق كيرلس اذا أمضى القوانين التى سنوها له فأمضى عليها كيرلس هربا من

الشر المحقق به واطلق سراحه على شرط أن يدفع الخزينة الحكومة مبلغا فكان ذلك داعيا الى استئناف مساعيه الشريرة في جمع المال بطرق غير مشروعة

فضاق ذرع الاساقفة من ذلك السلوك الممقوت وكثر أخلافه للعهود وصبموا على خلعه وأخبروا الامير بذلك فقال لهم وهل يجوز عندكم خلع البطريرك فأجابوه يجوز اذا ارتضى هو بذلك ولم يكن من المنتظر أن يتنازل كيرلس عن مركزه حبا في سلامة رعيته فاستمر في ضلاله حتى أراح الله منه تلك الامة التعيسة بموته بعد أن مضى عليه في الرئاسة ثمان سنوات لم ترفني خلالها راحة يوما واحدا ولما مات شكر الناس الله وكانوا يهنئون بعضهم بعضا على الخلاص منه وكان موته في ١٤ برمهات سنة ٩٥٩ ش و ١٢٤٣ م

ومما يدل على سوء الحالة التي انتهت اليها الامة القبطية في عهد هذا الرجل انه لم يسمع في تاريخها أن أسقفا اعتنق الاسلام الا في عهده مع سماح الحكام للمسيحيين بالعيشة بالسلام حينئذ

(٢) اثناسيوس ٣ — البطريرك السادس والسبعون .

وبعد وفاة كيرلس خلا الكرسي سبع سنين وستة أشهر وعشرين يوما كان الاساقفة في خلالها يدبرون شؤون الكنيسة في كل ابروشية والناس في سكون غير مهتمين بانتخاب غيره بسبب الاتعاب التي لا قوها من كيرلس قبل توليته وفي مدة رئاسته و يقول المؤرخون ان الامة والاكليروس لبثوا بدون ان يفكروا في انتخاب بطريرك جديد انتظارا لوفاة اثنين من أعوان كيرلس الاردياء السيرة لكي يتمكنوا من الحصول على رجل تقى يصلح ما أفسده كيرلس . وقد توفقوا اخيرا الى الشماس ابن القس المعروف بابي المكارم بن كلهيل من مصر فأقروا على رسامته في مجمع عقدوه لهذه الغاية وتمت رسوم تكريسه في ٥ بابه سنة ٩٦٧ ش و ١٢٥١ م في عهد سلطنة ابيك الجاشنكير

وقد حقق ظن منتخبيه فلم يكد يستقر به المنصب حتى جاهد في الغاء السيمونية وشدد النكير على الكهنة الذين علم أنهم نالوا رتبة بهذه الوساطة . واستمر طول المدة التي أقامها على الكرسي البطريركي وهي ١١ سنة وشهرا واحدا يبني ما هدمه كيرلس حتى أتم جهاده وتنيح في أول كيهك سنة ٩٧٨ ش و ١٢٦٢ م

(٣) يوحنا ٧ — البطريرك السابع والسبعون * وغبريال ٣ — البطريرك الثامن والسبعون (١) .

(١) يلاحظ أنه لم يقم بطريركان على كرسي الاسكندرية في وقت واحد الا هذه المرة ويندهش المطلع على تاريخ اساقفة كرسي رومية اذ يجد انه جلس اسقفان على الكرسي في وقت واحد ٢٨ مرة و ٣ اساقفة ٦ مرات واربعة اساقفة ٤ مرات (تاريخ الانشقاق ٣ : ٤١٥ و ٤١٦) .

وكلاهما من مصر وقيل ان البابا غبريال ٣ من الشام وفي الوقت الذي توفي فيه البابا اثناسيوس كان يوجد اثنان أحدهما يدعى يوحنا بن أبى سعيد السكرى والآخر غبريال ابن اخت أسقف طنبيدى مترشحين للبطريركية وقد تساوت أصوات منتخبيهما فى المجمع المقدس . وكان يوحنا معضدا من أكابر الطائفة بمصر القديمة وغبريال من بعض أعيان القاهرة واشتد اللدد والخصام وعمل كل فريق على نصرة صاحبه وانقسم الاساقفة الى قسمين أحدهما وافق على انتخاب يوحنا والآخر ساعد على انتخاب غبريال وأخيرا اتفقوا على تحكيم الهيكلية (القرعة) فاقترح الفريقان على أيهما يولى فوقعت القرعة باسم غبريال ومع ذلك فلم يرض الحزب الآخر ونهض منازعا غبريال وكان جلده من عظماء الامة فعمدوا الى استرضاء الحكام ليعضدوهم فى أمر انتخاب يوحنا حتى تقووا وثبت قدمهم فتمكنوا من اقامته بطريركا

واستمر البابا يوحنا يحكم الكنيسة نحو ست سنوات وتسعة شهور كانت كلها منافسة ومعاكسة وخصام وفى خلالها تقوى حزب غبريال وتجارى الاساقفة على عزل البطريرك يوحنا وسجنوه باحد الاديرة ولوا غبريال مكانه وكان هو الاولى بالبطريركية نظرا لكفاءته واستحقاقه واستمر يدبر شؤون الكنيسة سنتين وشهرين كانت الفتنة فى خلالها لا تخمد نارها ولا ينطفئ اوارها حتى تنيح غبريال فاتحدت كلمة الجميع على اعادة البابا يوحنا الى منصب البطريركية فأخرجوه من معتقله وأرجعوه الى مقره فقبل فيه باكرام زائد

وكان البابا يوحنا جليل القدر واسع العلم والمعرفة فلما استقر به المنصب دبر الامور فأحسن التدبير وعمل على ازالة الوحشة بين الاحزاب وبالع فى التلطف مع الحزم ففاز ونجح ومالت اليه القلوب واتحدت على محبته الخواطر فعظمت شهرته واتسعت كلمته . وفى مدة بطريركيته أتاها كتاب من امبراطور الحبشة يشكى له فيه تهجم المطارنة السوريين على بلاده ويعترف بخضوعه للكنيسة القبطية دون غيرها و يطلب منه رسامة مطران تقى يرعى الكنيسة الحبشية فحالما وقف البطريرك على فحوى الخطاب أسرع برسامة مطران قادر للحبشة حتى يحفظها من هجمات الاجانب

ومما حدث فى أيامه ان تاجرا مصرى ارسل مبلغا من المال لشريك له فى الحبشة وتصادف ان الرجل مات قبل وصول المال اليه فرفع التاجر المصرى أمره لملك مصر وهذا حوله على البابا يوحنا فوعده بالمساعدة وأنفذ كتابا لامبراطور الحبشة مع ذلك التاجر وحالما وصل به وعلم الناس أن البطريرك ارسل اليهم خطابا أسرعوا لمقابلة حامله بكل اجلال واكرام . وفى يوم الاحد تلا الامبراطور بخشوع تام خطاب البطريرك على مسمع الجميع فى الكنيسة الكبرى وعاد التاجر الى مصر يحمل ماله وهدانا ثمنه

وطالت أيام البابا يوحنا حتى تنيح في ٢٦ برمودة سنة ١٠٠٩ ش و ١٢٩٣ م ولبت بطريركا للمرة الثانية اثنتين وعشرين سنة وستة شهور فتكون جملة سنى بطريركيته ٢٩ سنة

وقد وجد البيان الآتى مكتوبا باللغتين القبطية والعربية فى كتاب بصخة تاريخه ١٠ بشنس سنة ١٥١٠ ش

« انه لما كان القانون الرسولى يأمر بقراءة أسفار العهدين العتيق والحديث صار ذلك فرضا لازما على كل مسيحي حتى جلس الاب الموقر الانبا غبريال بن تريك أو ٧٧ فى عدد البطارقة وهذا كان كاتباً على كرسى مارمرقس الرسول بمدينة الاسكندرية سنة ٩٧٤ للشهداء الاطهار فرأى ان الناس بالنسبة لانهما كهم فى أعمالهم وخدمة السلاطين والخلفاء وبقية الاشغال الثقيلة لا يمكنهم اتمام القانون الرسولى فجمع علماء من ذوى المعرفة والفهم ورهبانا كثيرين من دير القديس ابي مقار وأخذوا من العتيقة والحديثة ما يلائم ووضعوه كتابا وسموه كتاب البصخة وصاروا يعملون الفصح كل سنة فى بيعهم حتى صار الاب المكرم بكل نوع الانبا بطرس اسقفا على كرسى البهنسا فنظر فى البصخة فرأى انهم يعملون فى ساعة نبوات وأناجيل كثيرة وفى ساعة أخرى قليلة فجمع من الكتب المقدسة ووضع لكل ساعة من الساعات ما يوافقها وبذا صار تلاوة الساعات متساوية ووضع لكل يوم من أيام الاسبوع عظمتين من أقوال الآباء واحدة للصباح وواحدة للمساء كما هو مدون بكتاب البصخة الى يومنا هذا» أهـ (١)

(٤) ثيودوسيوس ٢ — البطريرك التاسع والسبعون .

وبعد ان توفى البابا يوحنا السابع خلا الكرسى سنة واحدة وثلاثة أشهر ونصفا ثم وفد أساقفة جميع الابروشيات الى البطريركية واستدعوا وجهاء الامة وبحثوا عمن يليق للرئاسة فوقع اختيارهم على الراهب ثيودوسيوس من دير ابي فانة وكان قبلا يدعى عبد المسيح بن رويل وهو من منية بن خصيم فتمموا تكريسه فى ١٨ مسرى سنة ١٠١٠ ش و ١٢٩٤ م فى أيام الملك الناصر محمد بن المنصور بن قلاوون . وما استقر به المنصب حتى قام برعاية قطيع المسيح بكل أمانة الى ان امضى خمسة سنوات وخمسة شهور على الكرسى المرقسى ارتاح الاقباط فيها من اضطهاد المسلمين وتنحى فى ٦ طوبه سنة ١٠١٦ ش و ١٣٠٠ م وخلا الكرسى بعده أربعين يوما

وقال بعض المؤرخين « ولم تكن قلوب الجماعة مؤتلفة مع هذا البطريرك حيث كان ارتقاؤه للرئاسة من غير اختيارهم فضلا عن كونه نسب لآخذ الرشوة وحدث فى أيامه فناء وغلاء شديداً » أهـ

(١) عن النسخة المطبوعة حديثا

القسم الثانى مشاهير الكنيسة

(١) أولاد العسال (٢) بعض العلماء (٣) برسوم العريان

(١) أولاد العسال .

نبغ جماعة من الاقباط فى هذا الجيل فى العلوم الرياضية والدينية والشرعية فاهتموا بأمر أمتهم وألفوا الكتب العديدة فى الشريعة وأصول الدين والتفسير باللغة العربية لأنها كانت اللغة التى يتكلم بها الجميع حينئذ . ولكنهم خشية من أن يقضى على لغتهم الاصلية وضعوا كتباً لغوية قبطية حفظت تلك اللغة من التلاشى . ومن بين أولئك الافاضل جماعة يدعون أولاد العسال من أصل قبطى و يستدل على انهم كانوا غالباً من سدمنت بالوجه القبلى ولكنهم سكنوا مصر و بعضهم كان موظفا بالحكومة والبعض الآخر تفرغ لخدمة الله وكانت لهم منزلة رفيعة فى عهد الدولة الايوبية الحاكمة ولاسيما أبو اسحق الذى كان مصاحباً للايوبيين فى الشام . وكان لهم مركز سام فى الكنيسة فانتخب احدهم وهو الصفى أبو الفضائل فى عهد الخلاف الذى حصل فى ايام البطريرك كيرلس بن لقلق ليكون كاتم اسرار مجمع عقد لفض الخلاف فى توت سنة ٩٥٥ ش

ويقول المرحوم الايغومانوس فيلوثاؤس ان عائلة بنى العسال تتصاعد فى النسب الى رجل قبطى ارثوذكسى يدعى أبا البشر يوحنا الكاتب المصرى و يوحنا المشار اليه ولد أبا سهل جرجس وهذا ولد أبا اسحق ابراهيم الذى منه تخلف الشيخ الأجل فخر الدولة أبو الفضائل أسعد والد هؤلاء الافاضل ومما اعتاده بعض كتبة ذلك الحين ان يكنوا رجال هذه العائلة غالباً بابى الفضائل وابى الفضل وما أشبه

وكان لأولاد العسال معرفة بليغة بعلوم كثيرة واشتهروا بجودة خطهم العربى والى عائلتهم ينسب الخط الاسعدى غالباً هذا فضلاً عن الخط اليونانى القديم المستعمل الآن فى اللغة القبطية . والذين اشتهروا منهم بالفضل والمعرفة من أولاد الشيخ ابى الفضائل الاسعد المشار اليهم هم : —

(١) الشيخ الفاضل مؤتمن الدولة أبو اسحق

(٢) وشقيقة الفاضل الحكيم الاسعد أبو الفرج هبة الله

(٣) وشقيقهما الشيخ الفاضل الصفى أبو الفضائل الأجد . أما مؤلفاتهم فتدل على سعة

فى الاطلاع وطول باع فى البحث الدقيق ولم يتركوا باباً من ابواب العلوم الا وطرقوه فكتبوا يدافعون الدين و يضعون قواعد للغات وبالاخص لغتهم القبطية و يسنون القوانين والشرائع وعدا ذلك

كان لهم المام بفنون أخرى كالتصوير والتركيبات الكيماوية وانشاؤهم العربى يضارع افضل شعراء وكتاب العرب الجاهليين . وهذا ما عثر عليه من مصنفاتهم : —

أولا — للمؤمن أبى اسحق :

- (١) مجموع اصول الدين ومسموع محصول اليقين وهو من أوسع الكتب اللاهوتية
- (٢) التبصرة المختصرة فى اللغة القبطية
- (٣) آداب الكنيسة
- (٤) خطب الاعياد السيدية وغيرها
- (٥) السلم المقفى والذهب المصفى وهو قاموس قبطى عربى
- (٦) مقدمة فى رسائل بولس

ثانيا — لاسعد أبى الفرج هبة الله :

- (١) مقدمة (أجرومية) فى اللغة القبطية
- (٢) مقابلة وتصحيح لترجمات الاناجيل الاربعة
- (٣) رسالة فى مقدمة رسائل بولس التى صنفها اخوه المؤمن
- (٤) كتاب فى حساب الابقطى وفيه بعض قواعد فلكية وتاريخية وجدول للبطاركة
- (٥) أرجوزة فى هذا الحساب شرحها البابا يوحنا البطريرك الـ ١٠٧ . وقد عبثت الايدى برسائل ومؤلفات أخرى عن النفس بعد مفارقتها لاجسادها

ثالثا — للصفى أبى الفضائل :

- (١) كتاب الصحائح فى الرد على النصائح
- (٢) كتاب فى الرد على المدعين تحريف الانجيل
- (٣) جامع اختصار القوانين المعروف بالمجموع الصفوى وهو الذى تعتمد عليه الكنيسة اليوم (١)

- (٤) الكتاب الأوسط
- (٥) فصول مختصرة فى التثليث والتوحيد
- (٦) حواشى على مناظرات الشيخ عيسى الوراق مع ابن عدى واجوبته على اعتراضات عبد الله الناشى وغيره

- (٧) أرجوزة فى المواريث . وله كتاب « كفاية المبتدئين فى علم القوانين » ولكن لا أثر

له

(١) اهتم بطبعه جرجس افندى فيلوثاؤس عوض وعن مقدمته استقيننا هذه المعلومات

(٢) بعض العلماء .

ومن اشتهروا أيضا بالعلم والمعرفة فى ذلك العصر غير أولاد العسال ودلت مؤلفاتهم على تضلعهم فى العلوم والمعارف : —

(أولا) جرجس بن العميد . و يعرف بابن المكين كاتب الجيش المنصورة ومن تأليفاته تاريخ مدنى فى جزئين وقد ترجم منه أخيرا الجزء الثانى الى الفرنسية . وكتاب الحاوى ضمنه حل اعتراضات على الدين المسيحى وفسر بعض الآيات المعضلة من الانجيل وكمل تاريخ الطبرى أيضا

(ثانيا) بطرس أبوشاكر بن الراهب . و يعرف بابى الكرم كان شماس كنيسة المعلقة سنة ١٢٦٠ م وألف كتاب « الشفا فى كشف ما استتر من لاهوت المسيح وما اختفى » ومقدمة فى التثليث والتوحيد . وكتاب أبقطى ذو مقدمة اضافية بالقبطية والعربية

(ثالثا) شمس الرئاسة ابو البركات بن كبر . كان قسا لكنيسة المعلقة وهو عالم فاضل . ألف كتاب « مصباح الظلمة وايضاح الخدمة » يتضمن جملة فوائد دينية وادبية . وله خطب تتلى فى الكنائس

(رابعا) القس بطرس السدمنتى . كان من علماء اللاهوت الضليعين ألف كتاب « التصحيح فى آلام المسيح » وله عدة رسائل قيمة

(خامسا) علم الرئاسة بن كاتب قيصر . هو الرئيس الاوحد علم الرئاسة أبو اسحق ابراهيم ابن الشيخ الرئيس ابى الثناء ابن الشيخ صفى الدولة كاتب الامير علم الدين قيصر . وضع هذا الشيخ الفاضل مقدمة فى قواعد نحو اللغة القبطية معروفة بكتاب « التبصرة » وألف كتابا فى تفسير الرؤيا .

(٣) برسوم العريان :

هو ابن كاتب الملكة شجرة الدر خلف له والده ثروة عظيمة فرغب عنها واحتقرها وآثر عيشة العبادة والزهد فأوى الى مغارة بكنيسة ابى سيفين لا تزال باقية الى اليوم عن يمين الداخل الى الكنيسة من بابها البحرى وانعكف على مباشرة الفضائل كالصوم والصلاة وبلغ خبره الآذان فتقاطر اليه كثيرون وقصده المرضى وقد أجرى الرب على يديه آيات شفاء كثيرة وحدث فى أيامه اضطهاد على المسيحيين فاغلقت الكنائس وحظر الصلاة بها أما هو فلبث يصلى فى كنيسة فاستدعاه الحاكم وامر بجلده ثم حبس ولبث فى السجن اياما حتى اطلق سراحه فاستأنف عبادته فى الكنيسة وكان يصلى الى الله ان يرفع الضيق عن شعبه فسمع صوته وزال الاضطهاد وفتحت الكنائس

وفى آخر حياته انفرد بدير شهران بالمعصرة مواظبا على اتمام الفضائل حتى تنيع فاحتفل
بدفنه البابا يوحنا الثامن ودفن بكنيسة ذلك الدير الذى دعى باسمه الى اليوم

القسم الثالث المملكة والكنيسة

- (١) الملك العادل وابنه الملك الكامل .
- (٢) دولة المماليك الاولى . أيبك وابنه نور الدين
- (٣) الظاهر بيبرس البندقدارى وابنه برکه خان
- (٤) صلاح الدين خليل

(١) الملك العادل سنة ١٢٠٠ م وابنه الملك الكامل سنة ١٢١٨ م .

وفى أيام الملك العادل مات بهاء الدين الدمشقى الفقيه المذكور آنفا وحل محله آخر واستولى على البساتين التى تحيط كنيسة الارمن المشار اليها فطلب من الاقباط مالا مقابل تغاضيه عن فتحها والصلاة فيها فلما لم يجيبوه الى طلبه هجم على الكنيسة أثناء انشغال الملك العادل بالحروب مع الفرنج فى سوريا ونهبها ونهب كنيسة أخرى كانت بجانبها وطردها من بهما واغلقها فلم يقاومه أحد من الاقباط خوفا ولكنهم رفعوا شكواهم للملك بعد رجوعه فأمر بفتح الكنيستين وعدم التعرض للاقباط فى اقامة شعائهم الدينية .

ولما كان الملك العادل فى سوريا أسند الحكم فى مصر لابنه الملك الكامل وكان يجب الاقباط حبا جما حتى ان الذين أسلموا ظاهريا فى أيام صلاح الدين طلبوا منه أن يصرح لهم بالعودة الى دينهم الذى لم يتركوه الا خوفا من الحريق وهو القصاص الذى تهدد به كل من لا يقبل الدين الاسلامى فأجاب طلبهم . وكان من جملة هؤلاء راهب من دير النطرون يدعى يوحنا عين بعد أسلامه كاتباً فى الديوان وحاز شهرة فى الاعمال الحسابية ولما توسم العدل فى الملك الكامل اشترى قاشا ومنديلا وذهب اليه وقال هذا لأجل كفى اقتلنى أو ردى الى دينى فشقق الكامل عليه ووهبه الحرية فترك وظيفته ورجع الى ديره

وقبضى آخر من مدينة طيبة لما سمع بنجاح ذلك الراهب طلب ان يقتل أو يسمح له بالرجوع الى دينه ولكن سوء الحظ ما كاد الملك الكامل يجيبه الى طلبه حتى حضر أبوه الملك العادل من الحرب فغضب عليه وسخط على القبطى وسلمه الى محافظ الاسكندرية ليتولى تعذيبه حتى

يسلم وأرسل وراء الراهب واستحضره من دير أبى مقار وأمر بقتله ان لم يسرع الى انكار دينه فلم يكذب يسمع هذا المسكين الحكم باعدامه حتى ارتعدت فرائصه وجاهر باسلامه أمام الجنود التى استحضرته من الدير بل صار يتملق الى السلطان طلبا للنجاة من الموت واخبره بانه مستعد ان يرشد جنوده على كنوز وجدها الرهبان فى بئر حفروها ووجدوا بها اوانى ذهبية وفضية ونقودا رومانية وخبأوها فى الدير. فسار به الجنود الى الدير وكان الرهبان قد تمكنوا قبل وصولهم من اخفاء اوانى الكنيسة فى بئر بلا ماء واكد رئيس الدير للجنود بانه لا يوجد عندهم شىء مما يطلبون وان البئر حفرها قيوم مسلمون لا يزالون أحياء ولكن الراهب التעים أرشد الجنود الى تلك البئر فاستخرجوا منها كأسا وصينية وبعض الاوانى التى تستعمل فى تناول سر الافخارستيا فافهمهم الرئيس ان هذه الاوانى مهداة الى الدير من بعض المؤمنين وأروهم اسماءهم مكتوبة عليها فأخذها الجنود الى الملك العادل فأمر بقراءة الكتابة المكتوبة عليها باللغة القبطية فاتضح انها جديدة وتوسط الملك الكامل فى الامر فأعيدت الى الرهبان فطافوا بها فى شوارع القاهرة مادحين عدل السلطان ومسرورين سرورا عظيما

وكانت كنيسة مارمرقس بالاسكندرية كحصن منيع جدا على البحر فخاف الملك العادل لثلا يأتى الافرنج الذين كانوا يقاتلون المسلمين فى عدة مواضع و يتغلبوا على الاسكندرية ويتحصنوا بالكنيسة المذكورة فيتعذر عليه اخراجهم منها فأمر بهدمها وكانت واسعة جدا عظيمة البناء

وبعد موت الملك العادل استقل بالملك ابنه الملك الكامل وفى أيامه قام الصليبيون بحملتهم السادسة وتقدموا الى فتح مصر وكان ذلك متيسرا لهم لولا الانشقاق الذى دب بينهم ومنشأه القاصد الرسول الذى أرسله اسقف رومية مع الحملة فلم يكفه ما حازه من السلطان الدينى فنازع قواد الجيش سلطانهم فأبى جان برين قائد الجيوش ان يسلم وظيفته لاحد الا كليروس واستمر يتشادان على الرئاسة وقتا تمكن فيه المسلمون من لم شعثهم فوقفوا فى وجه الصليبيين وانتصروا عليهم انتصارا باهرا. وجاء لغوث الصليبيين رجل يدعى القديس فرنسيس ومعه لفيف من الرهبان قاصدين الاستشهاد فى الحروب. وبعد انكسار الصليبيين سار فرنسيس مع رفيق له لزيارة معسكر المسلمين فقبض عليها وجيء بها أمام الملك الكامل فأجابه فرنسيس بانه أتى ليهدى المصريين الى الحق وقصد بذلك المسيحيين والمسلمين سواء. وكان الملك الكامل يجهل ان الغربيين يعتبرون الارثوذكسى والمسلم سواء. فأعجب الملك الكامل من شجاعته وبعد ذلك عرض الراهب على الملك ان يشعل نارا ويستحضر شيخا مسلما ليدخل اياه فيها ومن يخرج سليما يكون دينه الحق فرفض الملك لعلمه بانه لا يوجد واحد من مشايخ المسلمين يقبل ذلك فطلب ان يدخل وحده على شريطة ان يخرج صحيحا يعتنق الملك الديانة المسيحية فرفض الملك وصرفه بلطف

ولما استمر الصليبيون يضايقون الملك الكامل وفرغ المال من خزائنه استولى على نصف أموال البطريركية القبطية ولما عارضه الاقباط فى تعيين داود بن لقلق بطريركا وكان قد وعده بدفع مبلغ من المال اشتد عليهم وأخذ جنوده كثيرين منهم ومن الرهبان والشمامسة وساقوهم الى الاشغال الشاقة وسخروهم فى بناء الاستحكامات والحصون التى كانت تقام فى وجه الصليبيين . وبعد ذلك أعلنوهم انهم سيدخلونهم الجندية فاجتمع الاساقفة لدى الملك الكامل ففرض عليهم فدية معينة من المال نظير بدل عسكرى

وكان الاقباط ينتظرون النجاة من الحكم الاسلامى من وراء فتح الصليبيين ولكنهم لما علموا ان هؤلاء يعتبرونهم والمسلمين سواء سخطوا عليهم لاسيما عند ما بلغت الاخبار بانهم لما دخلوا دمياط أساءوا الى الاقباط وأنكروا عليهم حقوقهم الوطنية وعينوا مطرانا لدمياط من قبل كنيسة رومية اللاتينية . كما انهم قتلوا كثيرين وأخذوا الاطفال من أحضان أمهاتهم فأثر الاقباط الهدوء والسكينة وعدم التداخل فى الامر

وساءهم من الصليبيين أكثر منهم اياهم من دخول القدس ولم يدخلوه حتى استولى صلاح الدين عليه وفى سنة ١٢٠٤ م فى ايام الملك العادل فاجأ الافرنج مصر من جهة رشيد وتقدموا الى فوه وتحصنوا فيها وكانت خاصة بالاقباط ولها أسقف مخصوص فقتلوا كثيرين وطردها غيرهم وسبوا البعض والبعض الآخر لم يسعه الا الهرب . أما الاسقف فانه لما وجد نفسه وحيدا تركها وذهب الى مصر وأقام بها حتى ولى مطرانا على بلاد الحبشة . وفى اثناء ذلك حل بالبلاد غلاء شديد لم يسمع بمثله فأكل الناس القبط والكلاب فهجر بعض الاقباط أوطانهم وذهبوا الى بلاد الاحباش وتوطنوا بها فقبلوا من ملكها بالترحيب واذ كان معظمهم من ارباب الفنون والصنائع أشغلهم فى اقامة المباني الواسعة والكنائس الفخيمة التى كانت تدهش كل من رآها . وبين هؤلاء قبطى كبير يدعى فخر الدولة أناط به ملك الحبشة تنظيم مملكته وترتيب دواوينها على الطريقة الجارية بمصر .

ولما أنهزم الصليبيون ابتهج الاقباط اذ وجدوا المسلمين اكثر شفقة عليهم منهم ولما رأى الملك الكامل منهم ذلك ركن اليهم وقرهم ورفع مقامهم وعمل على ما فيه راحتهم يدلك على ذلك ان بعض الامراء قبض على بعض الرهبان وسلبهم مبلغا من المال بحجة أنهم تأخروا فى دفع الجزية السنوية . وكان هذا المبلغ هو كل ما يملكه الرهبان فشكوه للملك الكامل فنظر فى دعواهم وامر بارجاع المال اليهم . ومن حسنات الملك الكامل أنه رفض قبول كل رشوة لاجل ترشيح داود بن لقلق بطريركا واعفى الرهبان من الجزية الشخصية وزار بنفسه دير وادى النظرون وتفقد احوال الرهبان وزار ايضا دير القديس مكار يوس فوجد أحد موظفى الاسلام ساكنا به فأمره بالرحيل محافظة على شعور الرهبان .

وبالجملة فقد منع الملك الكامل التعرض للاقباط فى أى شأن من شئون دينهم واذن لهم ببناء كنائسهم التى خربها المسلمون وابعاح لهم فتح ما أغلق منها واقامة شعائرهم الدينية فيها جهارا بدون مانع ولذا تراهم يذكرون للان فى صلواتهم اليومية هذه العبارة « وحنن الله قلوب المتولين علينا » .

ولكنه فيما بعد قام داود بن لقلق بتمثيل دوره المشهور فسقطت محبة الملك الكامل للاقباط بسببه وندم على اعفاء الرهبان من الجزية وظن أن كثيرين منهم دخلوا الرهينة بدون حق فأمر بفرزهم من الرهبان الحقيقيين فوجد المتعصبون فرصة للايقاع بالاقباط فسلبوا الاموال من الرهبان عموما ولم يميزوا بين الحقيقي والمتصنع . ومما يذكر بالسخط لداود المشار اليه هو انه لم يستخدم عدل الملك الكامل لاصلاح شأن أمته بل أضاع بسوء تصرفه هذه الفرصة الحسنة

وكان المسلمون ايضا ينظرون الى الاقباط بغیظ لعلمهم انهم الصليبيون على دين واحد . وبلغ من عنف المسلمين وغيظهم عليهم انهم فى أثناء تقدمهم لانقاذ دمياط من يد الصليبيين صار الجنود يهدمون كل كنيسة قبطية انتقاما من النصارى عموما وقاسى الاقباط فى داخلية البلاد شدائد عظيمة .

وعلى كل حال فكانت احوال الاقباط فى ايام الدولة الايوبية رغم ما تخللها من صعوبات أفضل من غيرها وقام الاقباط بخدمة الحكومة بكل أمانة حتى ان الحكام والامراء أثمنوهم على خزائنها واموالهم فحافظوا عليها وسلموهم مصالحهم فسيروها على أحسن حال وتأكد الكل استحالة الاستغناء عنهم أو عدم إمكان تسير الاعمال بدونهم

(٢) دولة المماليك الاولى : أيبك وابنة نور الدين سنة ١٢٥٠ م :

وتولى بعد الملك الكامل جملة ملوك آخرهم المعظم الذى انتهت بموته الدولة الايوبية وقامت مكانها دولة المماليك الاولى اول ملوكها عز الدين ايبك وفى ايامه كان بين نصارى صعيد مصر الاقباط طبيب يسمى ثيودور (تادرس) اسلم فى ايام الملك الكامل وخدم عند الملك الفائز ابراهيم ابن الملك العادل فنسب اليه ودعى بالاسعد شرف الدين ابى القاسم هبة الله بن صاعد الفائز ولما آلت المملكة للملك نجم الدين الايوبى ولاد نظارة الدواوين جميعها و بعد قليل غضب عليه فسافر الى دمشق وبقى بها حتى تولى عز الدين ايبك كرسى السلطنة فعاد الى مصر وتعلق بخدمته فولاد الدواوين وتمكن من الدولة تمكنا زائدا وكان مبدأه التظاهر بحب المسلمين وبغض النصارى فأظهر حينئذ خسة متناهية وكان سببا فى وقوع المصائب على رأس اخوانه الاقباط فضغط عليهم وضاعف الضرائب وقرر على التجار وذوى اليسار منهم أموالا يدفعونها كل سنة وفرض مكوسا سنوية على كل ما يملكون من بهائم وعبيد ومؤونة ولعظم قساوته كان يقوم هو بنفسه ليحصل الاموال

منهم حتى أنتقم الله منه فوشى به الى السلطان بانه يناصر عليه أعداءه فقبض على أمواله ثم خنق ولف فى نخ ودفن .

(٣) الظاهر بيبرس البندقدارى وابنه بركة خان سنة ١٢٦٠ م :

اتفق فى أيامه حصول حريق عظيم فى القاهرة اتخذه المبعوضون وسيلة للايقاع بالنصارى فتكلموا ضدهم لدى الملك بانهم هم الذين أتوا هذا الفعل الشنيع لتكدرهم من أنكسار الافرنج أخوانهم فى الدين فحمى غضب الملك وأمر بجمعهم واخراجهم خارج المدينة والقائهم فى حفرة ليحرقوا أحياء وروى المقرئى ان التهمة كانت متوجهة للنصارى ولليهود فلما أشعلوا لهم النيران برز رجل يهودى يسمى ابن الكازرونى كان صيرافيا فى أحد الدواوين وقال للسلطان بحق الله لا تحرقنا مع هؤلاء الملاحين فضحك السلطان والامراء والمؤرخون يقررون بان فارس الدين اقطاى رثى لحالهم فتوسل الى الملك ليعفو عنهم فقبل بشرط أن يدفعوا غرامة قدرها خمسين الف دينار . فدفع الاقباط هذا المال لاجل اصلاح الاحياء المحترقة ولكنه صرف على الحروب التى كان الظاهر قائما بها

وفى أيام ابنه بركة خان سنة ١٢٧٧ م كان الاقباط يتظلمون من قساوة الاحكام والمعاملة الغير العادلة . وحدث انه رقت كل الموظفين الاقباط من ديوان الحربية واتفق أنه يوم صدور هذا الامر سقط بناء دير الخندق فى ضواحي القاهرة فخرج خلق كثير من رعاع المسلمين ليكملوا هدمه

(٤) صلاح الدين خليل سنة ١٢٩٠ م :

تولى الملك المنصور بن قلاوون سنة ١٢٧٩ م ومع أنه عدل الضرائب وساوى فى فرضها بين المسلمين والمسيحيين الا ان هؤلاء لم يسلموا من قساوته ومن قساوة المسلمين فى أثناء تغيبه فى الحروب . وكان قد تمرد عليه المماليك فانتقم منهم انتقاما فظيعا أسخط عليه كل من سمع به فذمه على فعله فبدأ يبنى تكايا للمساكين ومستشفيات للمرضى تكفيرا عن ذنبه وقد أضاف الى هذه الحسنات تشديده على النصارى وأمره اياهم بان لا يركبوا خيلا ولا بغلا وألزمهم بان يركبوا الحمير ويشدوا الزنانير وان لا يحدث نصرانى مسلما وهوراكب والا يلبسوا ثيابا مصقولة وغير ذلك من أنواع الذل والهوان .

وظلت هذه القوانين سارية عليهم حتى عقبه ابنه صلاح الدين خليل الملقب بالاشرف فبدأ يضطهدهم اضطهادا شديدا ولكنهم ثبتوا أمامه ثباتا مدهشا ولكى يعلنوا ان الاضطهاد لا يقوى على زعزعة أيمانهم صاروا يرسمون على ايديهم إشارة الصليب المقدس ومن ذلك الحين صارت هذه العادة مرعية الى الان .

وسبب اضطهاد صلاح الدين الاقباط هو ماتوهموه بعد موت قلاوون من ان ايام ذلمهم قد

انقضت فعادوا الى ركوب الخيل وتغيير الملابس لاسيما لما وجدوا ذوى الشأن من المسلمين يثقون بهم ويوكلونهم على مصالحهم فاعتمدوا على جاه مخدوميهم وغيروا مظاهرهم . واتفق ان قبطيا يسمى عين الغزال كان موظفا بوظيفة وكيل عند أحد كبار الامراء المماليك فذات يوم صادف وهو ذاهب الى دار مولاه سمسارا مسلما كان مطلوبا بمبلغ من النقود للامير ثمن غلة اشتراها من شونه فطالبه الوكيل بما عليه واذ لم يكن عنده ما يسدد ديونه ساقه الى بيت الامير فرأى المسلمون فى الشوارع الوكيل القبطى راكبا وقابضا على يد المسلم الذى كان يجرى وراءه فاندھشوا عندما رأوا المسلم أسيرا فى يد القبطى والتفوا حولهما وطلبوا من القبطى ان يخلى سبيله فلم يرض فتكاثروا عليه والقوه عن جواده واطلقوا السمسار وصاروا يصفعونه ويضربونه وكانت هذه الحادثة بقرب بيت الامير فذهب غلامه اليه ليأتيه بمن ينجده فأسرع اليه بعبيد الامير وتمكنوا من انقاذ الوكيل وهو فى حال سيئة مما ناله من الضرب والاذى بعد ان اوسعوا اولئك المعتدين ضربا بالعصى فصاح هؤلاء « هذا ليس فى شرع الاسلام » ثم اسرعوا بالسير نحو القلعة وكانوا كل ما مروا فى طريق ينضم اليهم جماعة حتى كثر عددهم ووقفوا تحت القلعة حيث كان السلطان ونادوا بأعلى صوت قائلين « نصر الله السلطان » فلما سمع صياحهم استفهم عن الخبر فعرفوه بما جرى وزادوا القول بان النصارى تعاضموا على المسلمين وتجبروا عليهم فأرسل السلطان الى الامير يقول له « كيف تسمح لرجالك بان يعاملوا المسلمين هكذا اكراما لرجل نصرانى » فاعتذر الامير بعدم علمه بما جرى

وخشى السلطان سوء العاقبة من تجمعهم المسلمين فغضب ولم يدبر حيلة لاطفاء نار هذه الفتنة سوى الامر باهلاك الكتاب النصارى فأمر بجمع كبار كتاب الامراء واحضارهم بين يديه ليقتلهم فتأثر الامير بدر الدين وأمير آخر اسمه سنجار الشجاعى واستعطفاه ومازالا به حتى عفا عنهم بشرط أن لا يستخدم الامراء احدا منهم وان يعرضوا عليهم الاسلام فن امتنع كان هو الجانى على نفسه . فطاف المنادون فى شوارع القاهرة ومصر القديمة يعلنون بان السلطان يأمر كل الامراء بان يلزموا خدمتهم الاقياط باعتناق الاسلام ومن يرفض تقطع رأسه فى الحال . وسرى هذا الامر ايضا على موظفى الحكومة

فما علم الاقياط بهذا الامر حتى لاذ منهم الوف بالهروب وانزروا فى الكهوف والمغائر فانتھز رعاع المسلمين ومن كان فى نفسه حاجة من جهة النصارى واسرعوا بالهجوم على منازلهم وقبضوا على كثيرين منهم قبل ان يتمكنوا من الفرار وساقوهم الى الهلاك بعد ان نهبوا ما فى بيوتهم ولم يبق بيت لم تمتد اليه الايدى بالسلب والنهب وسبى عدد عظيم من النساء وقتل المسلمون بايديهم كثيرين قبل وصولهم الى محل القتل أمام السلطان . ولما شاهد ذلك الامير بدرا سعى لدى السلطان حتى استصدر منه امرا يقضى بشنق كل من ينهب بيتا أمام البيت الذى ينهبه ولكن الرعاع استمروا فى طغيانهم فقبض على كثيرين منهم وجلدوا جلدا مبرحا فكانوا عبرة لسواهم وانقطع السلب

والنهب بعد أن نهبت كل البيوت ونهبت كنيسة المعلقة وقتلوا فيها جماعة وقتل عدد عظيم من الاقباط .

قال المقرئى « ثم جمع النائب كثيرا من النصارى كتاب السلطان والامراء ووقفهم بين أيدي السلطان عن بعد منه فرسم للشجاعى وامير جاندار أن يأخذا عدة معهما و ينزلا الى سوق الخيل تحت القلعة ويحفرا حفرة كبيرة و يلقيا فيها الكتاب الحاضرين و يضرما عليهم الحطب نارا . فتقدم الامير بيدرا وشفع فيهم فأبى أن يقبل شفاعته وقال ما أريد فى دولتى ديوانا نصرانيا . فلم يزل به حتى سمح بان من أسلم منهم يستقر فى خدمته ومن امتنع ضربت عنقه فأخرجهم الى دار النيابة . وقال لهم يا جماعة ما وصلت قدرتى مع السلطان فى أمركم الا على شرط وهو ان من اختار دينه قتل ومن اختار الاسلام خلع عليه و باشر خدمته فابتداه المكين بن السقاعى احد المستوفين وقال ياخوند (كلمة تركية للتعظيم) وأينا قواد يختار القتل على هذا الدين والله دين نقتل ونموت عليه يروح لا كتب الله عليه سلامة قولوا لنا الذى تختاره حتى نروح عليه » فغلب بيدرا الضحك وقال له ويلك أنحن نختار غير دين الاسلام » فقال « ياخوندا نعرف قولوا ونحن نتبعكم » فأحضر العدول واستسلمهم وكتب بذلك شهادات عليهم ودخل بها على السلطان فالبسهم تشاريف وخرجوا الى مجلس الوزير صاحب شمس الدين محمد بن السلعوس فبدأ بعض الحاضرين بالمكين بن السقاعى وناولوه ورقة ليكتب عليها وقال له متكما يامولانا القاضى أكتب على هذه الورقة (انك اسلمت) فقال له « والله يابنى ما كان لنا فى هذا القضاء خلد » فلم يزالوا فى مجلس الوزير الى العصر فجاءهم الحاجب وأخذهم الى مجلس النائب وقد جمع به القضاة فجددوا أسلامهم بخضرتهم فصار البذليل منهم باظهار الاسلام عزيزا يبدى من اذلال المسلمين والتسلط عليهم بالظلم ما كانت تمنعه نصرانيته من اظهاره وما هو الا كما كتب به بعضهم الى الاميرا بدرا النائب :

واذا ماخلوا فهم مجرمونا

فهم سالمون لا مسلمونا

اسلم الكافرون بالسيف قهرا

سلموا من رواح مال ورح

وبالجملة فلم ينته هذا القرن الا بمصائب عظيمة فعم الجوع والوباء بسبب قلة زيادة النيل فضلا عن الحروب والفتن والقلقل وكان الاقباط لكل هذه الرزايا الضحية الوحيدة فكثرت عليهم المضرائب وزادت الجزية فمنهم من مات ومنهم من أسلم اما تخلصا من المغارم أو خشية أن يصيروا الى ما صار اليه من شاهدهوهم من أخوانهم المسيحيين يقتلون و يستولى على جميع أملاكهم وربما كان البعض طمعا فى الوصول الى المراكز الرفيعة

القرن الرابع عشر

القسم الأول تاريخ البطارقة

(١) يوحنا ^٨	(٢) يوحنا ^٩
(٣) بنيامين ^٢	(٤) بطرس ^٥
(٥) مرقس ^٤	(٦) يوحنا ^{١٠}
(٧) غبريال ^٤	(٨) متاؤس ^١

(١) يوحنا ٨ — البطريرك الثمانون :

بعد وفاة البابا ثيودوسيوس فى ختام القرن الثالث عشر انعقد مجمع الاساقفة والشعب بالدار البطريركية لانتخاب غيره فأقروا على تكريس رئيس دير شهران المشهور بدير الانبا برسوم العريان وكان مولودا بالمنيا و يعرف بيوحنا بن قديس بطريركا فى ١٦ أمشير سنة ١٠١٦ ش و ١٣٠٠ م فى أيام الملك الناصر .

وفى أيامه بلغ اضطهاد المسيحيين أشده وضجر الاقباط من كثرة العوائد المكروهة التى ألزموهم بالسير عليها وارادوا ان يتخلصوا منها بالعنف فلما رأى المسلمون منهم ذلك طلبوا من محافظ القاهرة ان يسمح لهم بهدم باقى كنائسهم كى لا يعودوا الى العصيان مرة أخرى فاستدعى المحافظ اليه البابا يوحنا واخبره بالامر وطلب منه أن يوصى اولاده بالخضوع لكل ما حل بهم أو يعرضون ذواتهم لضيق عظيم فكتب فى الحال البطريرك الى جميع اساقفة الابروشيات يحضهم ويدعوهم الى التشديد على الشعب القبطى باتباع ما أمروا به وخوفا من الاضطهاد شدد عليهم وأمر أن من يخالف هذه الاوامر يحرم من الكنيسة وانه لابد من الرضوخ لارادة القوة الحاكمة .

غير ان ذلك كله لم يقنع المسلمين فطلبوا من البطريرك أن يغلق كل الكنائس الباقية بلا تخريب ولما أبى ان يطيعهم انهالوا عليها وأخذوا يهدمونها وهو يحاول بحكمته أن يدفع هذا البلاء ولكنه لم يفلح .

وهكذا قضى هذا البابا على الكرسي عشرين سنة وثلاثة شهور وعشرين يوما كانت كلها منفعمة بالاحزان وشديدة الوطأة على المسيحيين حتى أراحه الرب ونقله اليه فى ٤ بؤونه سنة ١٠٣٦ ش و ١٣٢٠ م

(٢) يوحنا ٩ — البطريرك الحادى والثمانون :

و بعد وفاة البابا يوحنا ٨ باربعة شهور اجتمع المجمع وأقر على أنتخاب واحد كان من جهة نفيسة بالمنوفية وقدموه بطريركا فى أول بابه سنة ١٠٣٧ ش و ١٣٢١ م فى عهد الملك الناصر المذكور ودعى يوحنا التاسع وعقب تنصيبه شب حريق بالقاهرة واتهم باشعال النار بعض الرهبان فثار المسلمون طالبين اهلاك المسيحيين فطلب القاضى كرم الدين أن يحضر أمامه البابا يوحنا ليذله عمن أحدث هذا الحريق فاحضره الجند فى الليل خوفا من أن تصل اليه أيدي الثائرين ولما سئل عن الحريق ذرفت عيناه الدموع وأورى انه لا يعرف شيئا فأمر القاضى باطلاقه لمقره بكل احترام فسار به الحراس الى الدار البطريركية ولكن جماعة الغوغاء والابواباش الذين كانوا يملأون الشوارع كادوا يمزقونه فى الطريق لولا حذر العساكر محافظتهم عليه حتى دخل البطريركية بسلام و يظهر أن تقوى هذا البابا حفظته من الخطر فى تلك الايام الهائلة فقضى مدة رئاسته آمنا يشاهد النكبات التى تلحق شعبه المسكين حتى انتهت حياته فى ٢ برمودة سنة ١٠٤٣ ش و ١٣٢٨ م وكانت مدة بطريركيته ستة أعوام وخمسة شهور وشهور ٢٢ يوما .

(٣) بنيامين ٢ — البطريرك الثانى والثمانون :

و بعد ثلاثة واربعين يوما لوفاة البابا يوحنا استدعى أكابر الامة الاساقفة الى الدار البطريركية لاقامة بطريرك آخر فاجمعت آراؤهم على انتخاب احد رهبان دير البغل بجبل طره واصله من اهل الديمقراطية فرسم بطريركا فى ١٥ بشنس سنة ١٠٤٣ ش و ١٣٢٨ م فى اواخر ملك الملك الناصر ودعى بنيامين الثانى .

وفى أيامه أعيد الكرب على المسيحيين ولاسميا الرهبان والاكليروس فوجه اهتمامه نحو اديرة الرهبان التى أندثر كثير منها واهمل بسبب الاضطهاد فجدد دير أنبا بيشوى الكائن ببرية النطرون واستدعى اليه بعض الرهبان ليقيموا به ويعمره ولبث مجاهدا حتى تمت ١١ سنة و ٦ شهور ويوم واحد على جلوسه على الكرسي وتنيح فى ١١ طوبه الموافق لعيد الغطاس سنة ١٠٥٥ ش و ١٣٣٩ واستمر كرسي البطريركية خاليا بعده عاما واحدا .

(٤) بطرس ٥ — البطريرك الثالث والثمانون :

وخلف البابا بنيامين البابا بطرس الذى اختاره مجمع الاساقفة والشعب الذى انعقد بالدار البطريركية واقم بطريركا فى ٦ طوبه سنة ١٠٥٦ ش و ١٣٤٠ م فى اواخر سنى ملك الملك الناصر . وكان يدعى اولاد داود وكان راهبا بدير أبى مقار .

وفى أيامه تقدمت شكوى من المسلمين على النصارى للسلطان الصالح بانهم يخالفون القواعد التى أمروهم بالسير عليها فأمر السلطان باحضار البطريرك وكلفه بان يلزم رعيته بالخضوع لاوامر الحكومة . وقد شاهد هذا البابا بعينه المصائب الفادحة التى كانت تنزل بامته التعيسة وهو

صابر طالبا منه أن يرفعها عنهم حتى سمع الله صلاته وتنيح وهي آمنة مطمئنة في ٤ أبيب سنة ١٠٦٤ ش و ١٣٤٨ م بعد أن قضى على الكرسي ثمانى سنين وستة شهور وثمانية ايام وخلا الكرسي بعده شهرين وبعض ايام

(٥) مرقس ٤ — البطريرك الرابع والثمانون :

وبعد وفاة البابا بطرس أنتخب الاساقفة والشعب فى مجمع البطريركية راهبا دعوه مرقس الرابع وتمت رسامته فى ١٠ توت سنة ١٠٦٥ ش و ١٣٤٩ م فى مدة تملك السلاطين شعبان وحاجى وحسن وصلاح الدين وكان يدعى أولا فرج الله من قلوب ترهب ورسم قسا بدير شهران

وفى ايامه اشتد الاضطهاد على المسيحيين والقى القبض عليه وعذب عذابا شديدا فعلم ملك النوبة المسيحي بذلك فالقى القبض على كل التجار المسلمين فى مملكته ورهّنهم اسرى حتى يطلق سراح البطريرك فالتزم المسلمون فى مصر أن يتركوه دون أن يضروه عند علمهم بهذا الخبر .
وحدث فى ايامه أيضا فناء عظيم خربت به القرى . وكانت نياحته فى ٦ أمشير سنة ١٠٧٩ ش و ١٣٦٣ م وخلا الكرسي بعده ٣ شهور و ٦ ايام

(٦) يوحنا ١٠ — البطريرك الخامس والثمانون :

وبعد وفاة البابا مرقس الرابع حضر الاساقفة من كل الابروشيات الى البطريركية واجتمعوا بكبار الامة و يظهر ان يلبغا والى مصر وقتئذ تساهل معهم فانتخبوا بطريركا جديدا بلا صعوبة أو معاكسة من المسلمين وسمى يوحنا العاشر ولقب بالمؤمن وتمت رسامته باحتفال عظيم فى ١٢ بشنس سنة ١٠٧٩ ش و ١٣٦٣ م فى زمن تملك الاشراف شعبان وأصله من دمشق .

ولبت على كرسي الرئاسة مدة ست سنوات وشهرين وثمانية ايام حدثت فى خلالها مجاعة عظيمة فى مصر وسوريا حملت سكان القطرين على أكل القطط والكلاب وتنيح فى ١٩ أبيب سنة ١٠٨٥ ش و ١٣٦٩ م وخلا كرسي البطريركية بعده ستة أشهر .

(٧) غبريال ٤ — البطريرك السادس والثمانون :

اختير بطريركا فى مجمع الاساقفة والشعب المنعقد بالبطريركية راهب من دير المحرق يدعى غبريال رسم فى ١١ طوبة سنة ١٠٨٦ ش و ١٣٧٠ م فى زمن تملك الاشراف شعبان وقد تم انتخابه بكل هدوء وسكينة وكانت مدة رئاسته ثمانى سنين وثلاثة شهور و ٢١ يوما وتنيح فى ٢ بشنس سنة ١٠٩٤ ش و ١٣٧٨ م وخلا الكرسي بعده ثلاثة شهور .

(٨) فتاؤس ١ — البطريرك السابع والثمانون :

جلس على الكرسي بعد البابا غبريال باجماع الاساقفة والشعب ومن أمره انه من دبر

المحرق وشغف منذ صباه بالعيشة النسكية فترهب فى سن الرابعة عشرة بدير بقرب اخيم وصار تلميذا للشيخ ابرآم مدة اربع سنين وبعدها دعاه اسقف تلك الجهة ليكون معه .

وكان جميل الوجه حسن الصورة فهامت به امرأة وبذلت جهدها لتنال منه مأربها واذا كان يوما يرعى فى الحقل مواشى الاسقف خرجت وزاءه وراودته ليرتكب معها خطية الزنا فاقشعر بدنه لدى سماعه طلبها وأخذ يحذرهما من التماذى فى هذا الشر و يذكر لها عقاب الله الشديد للخطاة فاجابته « ان جمال حاجبيك هو الذى ساقنى اليك وأشعل بفؤادى لظى غرامك » فأسرع واستل مديّة وفى ناحية بعيدة منها قطع بها حاجبيه وعاد اليها والدم يخضبهما ويسيل منها وقال « تفرسى أيتها الشقية فى الجمال الذى سباك كيف تحول الى شناعة » فحالما شاهدت منظره ارتعدت فرائضها ولاذت بالفرار. الا ان الشيطان عاد وحركها فرجعت تضايقه فطلب من الاسقف ان يطلق سراحه فأبى ورأى ان يتخلص من هذه الورطة فتظاهروا أمام الاسقف بالجنون وأخذ يمزق أثوابه حتى اضطر الاسقف أن يخلّى سبيله فأتى معلمه الشيخ ابرآم واطلعه على خبره فسر منه وشجعه على السير الى النهاية فى طريق الفضيلة وأرسل يخبر الاسقف بأمره فلما علم الاسقف ان متى أستخدام الجنون لكى يهرب من الشر استدعاه اليه ورسمه كاهنا بدون اذن الشيخ ابرآم فعاتبه الشيخ على ترقيته لراهب صغير الى رتبة الكهنوت فرد عليه الاسقف متنبأ ان متى سيصل الى رتبة رفيعة

وبعد ذلك ترك القس متى الاسقف وتوجه الى دير الانبا أنطونيوس بالجبل الشرقى واستمر يخدم بوظيفة شماس ففاحت رائحة فضيلته ونطقت الافواه بمدحه فخشى ان يؤثر المديح عليه فينتفخ فترك الدير ومضى الى القدس وهناك لبث يعبد الله بعيدا عن الناس مدة طويلة حتى أضطره الحال أن يعود الى مصر ويسكن دير انطونيوس ثانية .

وبينا كان مباشرا عبادته هجم أحد الامراء على الدير والقى القبض على الرهبان وبينهم القس متى وعذبهم عذابا شديدا وأنزلهم من الدير فاصابهم فى الطريق عطش شديد ولم يجدوا ماء الا مع الامير الذى أبى أن يعطيهم نقطة واحدة . فجمع القس متى الرهبان وطلب منهم أن يصلوا لله حتى يفرج كرمهم فلم يفرغوا من الصلاة حتى هطل الغيث وارتووا . وكان القس متى يشجع اخوته الرهبان فى الطريق ويعدهم بقرب وقت الفرج . ولما أتوا الريف طلب السلطان من الامير أن يذهب الى معسكره فترك الرهبان ولوقتها أنطلق القس متى وأقام فى الدير المحرق ولبث مواظبا فيه على العبادة حتى اختير للبطريركية فقبلها رغم ارادته ورسم فى اول مسرى سنة ١٠٩٤ ش و١٣٧٨ فى عهد تملك على بن الاشرف .

وكان اثناء بطريركيته ملازما أفعال الخير نحو الجميع فلجأ اليه الفقراء والمعوزون فكان يعمل على تنفيذ كرمهم حتى نزل به مكروه من راهبين طلبا منه ان يصيرهما اسقفين فرفض طلبهما

اذ لم يجدهما مستحقين فتكلما ضده لدى الملك بكلام سوء فلم يسمع كلامهما لانهما كه فى الحرب .
واذ لم يجدا فائدة من الشكوى هجما على البطريرك ذات يوم وتوعدها بالقتل أن لم يمنحهما مرغوبها
فوعدهما باجابة سؤالهما بعد اربعين يوما ولم تنته هذه المدة حتى أراحه منها الرب بموتها

وحدث أيضا ان راهبا سور يا اعتنق الديانة الاسلامية و بذل جهده ليوقع البطريرك فى
محنة فأتى كثيرون طالبين من البابا ان يلعن هذا الرجل فاجابهم لا أستطيع ان ألعنه لانه لابد ان
ينال اكليل الشهادة على اسم المسيح . وبعد مدة وجيزة شعر الراهب بسقطته واعترف بالمسيح
علانية فأورده المسلمون موارد الهلاك

وبعد ذلك اتفق يلبغا الوالى مع الاميرين منطاش وسودون على ايقاع الضرر بالبطريرك
والكنائس ولما شرعوا فى عملهم توجه البابا الى السلطان برقوق وشكى له الامر فألزمهم بالكف
عن عملهم . ولبث هذا البابا مدة ثلاثين سنة وخمسة شهور وتنيح فى ٥ طوبه سنة ١١٢٥ ش
و ١٤٠٩ م وخلا كرسى الرئاسة بعده أربعة أشهر وأياما

القسم الثانى
مشاهير الكنيسة
أنبا رويس

هو الشهير بابى فريج ولد فى إحدى قرى إقليم الغربية وترك موطنه فى سن العشرين وتوجه الى الصعيد وعاش عيشة النسك والزهد فاحبه الناس ونال مركزا ساميا فى عيونهم ثم هجر الوجه القبلى وأقام بالقاهرة فقبض عليه هوو بعض المؤمنين وألقوا فى السجن ونزلت بهم بلايا عديدة كان القديس فى أبائها يقوى رفقاءه على احتمالها الى أن أطلق سراحه بتدخل البطريرك فطاف انبا رويس معلما بأقواله وافعاله . وأنفرد فى آخر حياته للعبادة والصلاة وأجرى الرب على يديه آيات وعجائب حتى تنيح سنة ١٣٩٧ م وادع جسده بدير الخندق المعروف الان بدير انبا رويس

القسم الثالث المملكة والكنيسة

- (١) الملك الناصر بن قلاوون
- (٢) الملك الصالح
- (٣) الملك المنصور
- (٤) دولة المماليك الثانية . برقوق

(١) الملك الناصر بن قلاوون سنة ١٢٩٩ م وركن الدين سنة ١٣٠٨ م :

فى أول ملك الناصر بن قلاوون تفشت الامراض وفتكت بالانسان والحيوان فأفهمه قاضى الاسلام ان ذلك حدث بسبب وجود المسيحيين فى الدولة . وكان هذا القاضى ابنا لاحد المسيحيين واعتنق الاسلام فارتقى لهذا المنصب واصبح كارها لديانته الاولى ساعيا جهده فى ارغام تابعيها على تركها فكان يوقع بهم كلما أتاحت له فرصة

وكان فى هذا الجيل يجبى من كل فرد من الاقباط دينار فى كل سنة علاوة على الجزية المضروبة عليه برسم نفقة الجنود وغير ما كان يجبى منهم بالاشتراك مع المسلمين مما كانوا يسمونه زكاة الدولة ونفقات الاحتفال بوفاء النيل وغير ذلك . وكانت الاضطهادات التى وقعت على هؤلاء البائسين فى أول هذا الجيل من أهول الولايات التى حلت بهم وأنزلتهم فى قعر الهوان ونالهم منها كل ذل وفقر وقلة عدد مما لا نزال نشاهد اثره للآن وقد يميل بعض المؤرخين الى اتهام الاقباط بان ما حل بهم من الفوادم كان نتيجة تصرفهم السىء وقد ادعى المقرئ المورخ المسلم أن سبب هذه البلايا التى أبتلوا بها تكبر بعضهم وعتوهم فعوقبوا بلبس العمائم الزرقاء وشد الزناير فى أوساطهم ومنعهم من ركوب الخيل والبغال .

والحقيقة ان سبب تراكم البلايا على هؤلاء المساكين هو كثرة تدميرهم من الظلم الذى كان يقع بهم ونزوعهم الى الاعتراض على الاوامر القاسية التى كانوا يجبرون بالسير عليها حتى دفعت الحمية منهم كثيرين الى التجرد على مخالفة هذه الاوامر فلبسوا العمائم البيضاء بدل السوداء التى حكم عليهم بلبسها وتأنق بعضهم وتجميلوا بلبس الثياب المصقولة وتجاسر بعض الموظفين فظهروا فى الشوارع راكبين خيولا فساء هذا بعض المتعصبين الذين كانوا يرتاحون لاذلال النصارى فيصاروا يهزأون بهم وينظرون اليهم شذرا وغير ذلك مما جرد العامة على اهانتهم والاستخفاف بهم وصاروا يفكرون فى طريقة بها يلغون عليهم ذلا لا يقوون بعده على رفع أنوفهم فأقر كبارهم على هدم كل كنائس الاقباط وضرورة تنفيذ كل ما صدر عليهم من القوانين حرفيا

وحدث فى وزارة بيبرس الجاشنكير والامير سيلار ان قبطيا من موظفى الحكومة المتقدمين كان سائرا فى شوارع مصر راكبا جوادا ولا بسا عمامة بيضاء وأمامه الخدم وخلفه بعض المسلمين الذين لهم مآرب فى الحكومة فلاقاه وهو على هذه الحال وزير ملك المغرب وكان قاصدا الحج فأراد أن يتوسط بينه وبين الذين خلفه يسترحمونه ولما علم بأنه نصرانى هزأ بالامر وتوجه الى القلعة وخاطب الوزير بيبرس والامير سيلار وهويبكى مشفقا على حال المسلمين الذين أصبحوا تحت ذل النصارى ثم هدهما بحلول نقمة الله عليهما ان لم ينتقما من أعداء المسلمين فاستدعيا بطريركا الاقباط وأراخنتهم وكبارهم واقنعوهم بالتزام لبس الذل وركوب الحمير فاصدر البطريرك منشورا لعموم الشعب يحضهم فيه على الخضوع لكل قانون صدر ضدهم

أما الوزير المغربى فلم يرض بذلك بل حرض العامة على هدم الكنائس فقاومه تقى الدين القاضى الاعظم وجاهر بانه لا ينبغى ان تهدم الا الكنائس المستحدثة فنشأ عن ذلك قفل وهدم عدة كنائس بنيت حديثا بالقاهرة وحاول النصارى أن يفتحوا كنيسة منها ولما فتحت تهيج عليهم الرعاع واشتكوهم للامراء ووقفوا فى طريق الوزير والامير وتوسلوا اليهما أن يرحما الاسلام من تجبر النصارى الذين ينقضون اوامر الحكومة و يفتحون الكنائس بدون تصريح منها فصدر الامر ثانيا بضرورة تطبيق ما صدر من القوانين عليهم ومن خالف أمرا ينهب ماله وتقطع رأسه فطلب المسلمون من البطريرك أن يغلق ما بقى من الكنائس ولما رأوه رفض تنفيذ أمرهم قاموا بهدم وتخريب كل الكنائس

وبعد ذلك عمد الحكام المسلمون ثانيا الى رفت كل قبطى موظف بدوائر الحكومة يأبى ان يسلم وكان الغوغاء والرعاع يدأبون فى الاستهزاء بهم ورجم المارين منهم فى الشوارع بالحجارة ويتقدمون نحو من يشاهدونه راكبا حمارا صغيرا ويجذبونه الى الارض و يضربونه بالنعال على عنقه حتى يشرف على الهلاك ووقع ضيق عظيم خصوصا على اقباط مدينتى الاسكندرية والفيوم واشتد الاوباش فى اضطهادهم حتى لم يكن فى طاقة الحكومة مقاومتهم فتظاهر كثيرون من الاقباط بالاسلام كرها فى تغيير زهم وخوفا من قطع عيشهم

وقال المقرئى « وقد اكثر شعراء العصر فى ذكر تغيير زى اهل الذمة فقال علاء الدين على بن مظفر الوداعى : —

لقد ألزم الكفار شاشات ذلة	تزيدهم من لعنة الله تشويشا
فقلت لهم ما البسوكم عمائما	ولكنهم قد ألزموكم براطيشا

وقال شمس الدين الطيبي

تعجبوا للنصارى واليهود معا والسامريين لما عرموا الخرقا
كأفما بات بالاصباح منسهلا نسر السماء فاضحى فوقهم زرقا

وحدث فى سنة ١٣٠١ م ان تمرد على السلطان أكثر مسلمى الصعيد فارسل اليهم قوة
لاخضاعهم فذبحت الالوف من الاقباط والمسلمين على السواء وفى السنة التالية حدثت زلزلة دمرت
بلادا كثيرة فشرع السلطان ان ذلك كله نتيجة جوره على الاقباط المساكين

وكان عيد وفاء النيل (عيد الشهيد) قد دنا واعتاد الاقباط ان يقيموا احتفالا سنويا له
مدة ثلاثة أيام ابتداء من ٨ بشنس فى ناحية شبرا (١) وكانوا يعتقدون ان النيل لا يفي الا اذا
القوا فيه تابوتا من خشب فيه أصبع من أصابع الشهيد . وكان عند اقتراب هذا العيد يرحل
المسيحيون و يقيمون بخيامهم على شاطئ النيل . فلما علم الوزير ببيرس ان النصارى عازمون على
الاحتفال بهذا العيد أمر بأبطاله محتجا بما يحصل فيه من الامور المغايرة للاداب والنظام وكان ذلك
سنة ١٣٠٢ م

واستمر الاضطهاد على هذا الحال ثلاث سنوات حتى جاء الى مصر حينئذ وفد من ملك
بارسلونه يحمل فدية لاسير كان قد اسره السلطان فى حرب فلما شاهد رجال هذا الوفد ما يقع على
رؤوس الاقباط من البلاء أنذهلوا وجزعوا جدا ولم يطيقوا رؤية هذا الجور الفظيع ودفعتهم حميتهم ان
يطلبوا من السلطان فتح الكنائس مقابل مبلغ من المال يدفعونه له فأجابهم السلطان الى طلبهم
ففتحت كنائس كثيرة وخف الاضطهاد نوعا . وقال المقرئى ان السلطان لم يفتح الا كنيسة
فقط هما كنيسة حارة زويلة والبندقانيين ثم رجع ومثل بالوفد تمثيلا شنيعا

وخلع الملك الناصر بعد ذلك وجلس على كرسى السلطنة عوضه ببيرس الجاشنكير ولقب
بالمك المظفر ولكن الملك الناصر عاد فقتل ببيرس واسترد عرشه وكان قد تأكد أن كل ما حل به
كان من جرى ظلمه للنصارى البائسين فصار يحميم بكل قوته من نهب واستبداد المماليك وتعصب
مواطنيهم المسلمين ولكنه فيما بعد لم يقو على أيقاف سيل التعصب الذى كان يملأ قلوب المسلمين
على الاقباط فاضطر احيانا ان يقسو على المسلمين وتارة عليهم وعلى النصارى سواء وأرغم اخيرا ان
يسلم فى بيوت النصارى وقتلهم وسلب ما لهم عندما رأى نار الغضب والهياج قد أخذت من
المسلمين كل مأخذ

وقد أبتدأت ويالات الاقباط من هذه الحادثة وذلك أن الملك الناصر أراد أن يبنى ميدانا
فسيحا بالجهة المعروفة الان بالناصرية وكان فى الموضع الذى اختاره كنيسة للاقباط تسمى كنيسة

(١) و بالقبطية « شوبرى » وهى مركبة من كلمتين « شوب » مدينة و « رى » شمس .

الزهرى واسعة الاطراف محكمة البناء وكان بها كثير من النصارى وحولها ايضا عدة كنائس . فاشار عليه المتعصبون بهدمها لانه لا يصح ان تكون للنصارى كنيسة ظاهرة بهذه الكيفية أما هو فلم يرد ان يهدمها بل أمر ان يحفر ما حول جدرانها حتى تنهار من نفسها ولما كانت على جانب عظيم من المتانة استمرت واقفة ولم تسقط فاغتاظ المسلمون ونقموا على الاقباط لما رأوا السلطان يدافع عنهم

وكرثت حينئذ العمارات بالعاصمة فتواطأ المسلمون مع بعض الامراء على هدم الكنائس لينتقموا من النصارى من جهة وليستخدموا انقاضها وادواتها فى العمارات التى كلفوا ببنائها من جهة أخرى وعينوا لذلك يوم ٢١ بشنس سنة ١٣١٢ م . وفى أحد ايام الجمع تجمع بعض الغوغاء اثناء الصلاة بالجوامع ولم يشعر الاقباط الا والهدم دائر فى كنائسهم وسلب ما بها من الاواني والمقتنيات ورأوا كنيسة الزهرى قد أمتدت اليها الايدى فهدمتها وسلبت كل ما بها وقتلت كل من كان فيها من المسيحيين . ثم توجه الثائرون الى كنيسة مارمينا فى حى الحمراء التى كانت موضوع اعتبار الاقباط ولكثرة النذور التى كانوا يقدمونها صارت أغنى الكنائس حتى أقام حولها كثيرون من الرهبان والراهبات فتسلق الرعاع تلك المساكن وتمكنوا من هدم الكنيسة حالا ونهبوا منها مالا وقاشا وجرار خمر واهلكوا كل من كان فيها ثم هدموا كنيستين كانتا بجوار السبع الساقيات وكانت أحدهما ديرا للراهبات فاخرجوا منها أكثر من ستين راهبة ونزعوا ثيابهم وسلبوا كل ما وجدوه معهن وبعد ذلك أطلقوا النار فى بيوت النصارى القائمة حول كنيسة مارمينا وحرقوا الكنائس الثلاث

ولم يكفهم ذلك فقاموا الى بابليون التى كان يسكنها أكثر الاقباط وأغنيائهم قاصدين الفتك بهم ولكن هؤلاء شعروا بهم قبل وصولهم فأغلقوا أبواب الحصن القديم وكان داخل سورهم ست كنائس واستعد الاقباط للدفاع عن أنفسهم . وكانت أخبار تلك التعديات قد أنهت الى السلطان وقيل له أن لم تسرع فى أنقاذ أقباط بابليون هلكوا عن آخرهم وبلغه خبر وجود عصاة أخرى كانت تسعى الى هدم كنائس الموسيقى وحارة زويلة فسار السلطان اليهم وهددهم حتى امتنعوا ومن ثم أصدر أمره للأمير جامش أن يقوم حالا بفرقة من العساكر الخيالة لنجدة الاقباط الذين كانوا محاصرين فى قصر الشمع (اسم يطلقه العرب على بابليون) فأسرع اليهم الامير ومعه أربعة من الامراء ثم تقدم قائد الفرقة ووصل قبل الامير وحاول أن يمنهم وبيد شملهم فلم يفلح بل تناوله القوم بالحجارة وفى اثناء ذلك كان الامير وقد وصل فرأهم شارعين فى حرق البوابة الكبيرة التى لم ينتججحوا فى كسرها . فهجم عليهم هجمة شديدة ففرقت جموعهم وفروا هاربين ونادى على الباقين أن يستعدوا والا يقتلهم بالسيف فامتنعوا ثم أقسم بأعلى صوته مهددا كل من يبقى هناك بعد ساعة بالقتل فانصرف الجميع وتفرق الناس وبقي الامير هناك الى المساء خيفة من ان يعودوا الى الهجوم وقبل أن يبرح مكانه شدد على رئيس الحرس بالمحافظة على بابليون وترك له خمسين جنديا يساعدونه قال المقرئزى « وكان الامر فى هدم هذه الكنائس عجبا من العجب وهو ان الناس لما كانوا فى صلاة الجمعة فى ذلك اليوم بجامع قلعة الجبل قام رجل موله وهو يصيح اهدموا الكنيسة

التي فى القلعة فتعجب السلطان والأمراء من قوله وحسبه الكل مجنوناً ولكنهم مضوا من الجامع الى خرائب التتر من القلعة فاذا فيها كنيسة قد بنيت فهدموها » فتعجب السلطان من أمر هذا الفقير وبحث عنه فلم يجده . وحدث أيضاً بالجامع الأزهر ان قام فقير وقال اهدموا كنائس الكفرة وما خرجوا من الجامع حتى رأوا النهاية ومعهم أخشاب الكنائس وثياب النصارى وغير ذلك من النهب فاضطر السلطان عندئذ ان يرسل ايضا بعض الأمراء الى جهات أخرى فى مصر ليمنعوا الناس عن هدم الكنائس وابعادهم عنها ولكن هؤلاء لم يفعلوا كالامير الاول بل توانوا وأبطأوا حتى اذا ما وصلوا الى تلك الجهات المقصودة وجودا الكنائس قد هدمت غن آخرها ونهب الناس كل ما بها وهكذا لم ينبج من الهدم والنهب الا كنائس بابليون والبيوت التى بها . أما كنائس مصر والفسطاط فهدمت جميعها أو معظمها فشمّل الخوف جميع الاقباط الساكنين بمصر والفسطاط فلم يجسروا على الخروج من بيوتهم وبقوا مسجونين فيها أياماً وبعضهم تركها وسكن بابليون لتحصنها وعدم أماكن التغلب عليها بسهولة . وكانت الطرق فى ذلك اليوم مريّة جداً لانها كانت غاصة بالنهابين الحاملين منهوبات الكنائس وبيوت النصارى . وفى ذلك اليوم وتلك الساعة لرسل يخبر والى الاسكندرية ان الرعاع بعد صلاة الجمعة هجموا على أربع كنائس وهدموها وفعل مثلهم رعاع دمنهور فى البحيرة فهدموا كنيسة وفى قوص بالصعيد وقف فقير ودعا قائلاً « يا فقراء اهدموا الكنائس » فخرجوا من الجامع فوجدوا الهدم قد وقع فى الكنائس فهدمت منها ست وصارت ترد الى دار السلطنة كل يوم اخبار من الاقاليم تنبىء بقيام جماعة المتعصبين فى مديريات الغربية والشرقية والهنسنا واسوان ومنفلوط والمنيا وغيرها فى يوم الجمعة المشار اليه بالهتاف على الناس « ان اهدموا كنائس النصارى » فهدم منها ومن الاديرة عدد عظيم

فسخط السلطان على أمرائه وطلب منهم البحث على رؤساء العصابات وطلب الدرويش الذى دعا الى هدم الكنائس فلم يجده وقبض الأمراء على بعض محركى الثورة فقال هؤلاء ان ما فعلناه كان بأمر السلطان فلم تتمكن الحكومة من ان تثبت أية تهمة عليهم مع ان السلطان لم يكن قد أمر بذلك . ولما ادرك السلطان أن هذه الحادثة دبرت قبل حدوثها اراد ان يقاص مدبرها فخشى الأمراء اقتصاص الأمر اذا كانت لهم يد فيها فصاروا يتوقعون على السلطان وما زالوا به حتى اقنعوه ان الله سمح بخراب كنائس النصارى بالنسبة لتعظيمهم وارتكابهم الشرور التى تنهى ديانتهم عنها (١)

(١) وقال المقرئى يخبر عن الكنائس التى خربت حينئذ « وخرب من الكنائس كنيسة بخرائب التتر من قلعة الجبل وكنيسة الزهري فى الموضع الذى فيه الآن البركة الناصرية وكنيسة الحمراء وكنيسة السبع السقايات وكنيسة بحارة الروم وكنيسة سانين وكنيستين بحارة زويلة وكنيسة بخزانة البنود وكنيسة بالخذق واربع كنائس ببحر الاسكندرية وكنيستين بدمنهور والوجه واربع كنائس بالغربية وثلاث كنائس بالشرقية وست كنائس بالهنساوية وباسيوط ومنفلوط ومنية الخصب ثمان كنائس وبقيوص واسوان احدى عشرة كنيسة وبلاطيفيحه كنيسة وبوق وردان من مدينة مصر وبالمصاصة وقصر الشمع من مصر ثمان كنائس وخرب من الديارات شىء كثير وأقام دير البغل ودير شهران مدة ليس فيها أحد وكانت هذه الخطوب الجليّة فى مدة يسيرة فلما يقع مثلها فى الازمان المتطاولة هلك فيها من الانفس وتلف فيها من الاموال وخرب من الاماكن ما لا يمكن وصفه والله عاقبة الامور » .

و بعد مرور شهر على هذه الحادثة شعر اهالى القاهرة فجأة بحريق هائل فى المدينة فى يوم سبت واستمرت نيرانه أسبوعا وكان الريح شديدا فخربت منازل كثيرة وظل رجال الحكومة يعملون على اطفاء النار ولكنه كان كل يوم يظهر حريق جديد حتى اضطربت البلاد اضطربا عظيما وقام المتعصبون ينادون فى الشوارع قائلين « ان النصارى هم الذين اشعلوا النار »

وقد أفاض المقر يزى المؤرخ المسلم فى سرد خبر هذه الحادثة وعنه استقى باقى المؤرخين الا ان روح تعصبه ظاهرة فى ما كتب فهو يروى انه فى يوم جمعه من شهر يوليه من تلك السنة قبض على راهبين وجدا خارجين من مدرسة فتحقق ظن الصائحين وسلموهما الى السلطان فأمر بتعذيبهما ولم يكذب ينطق بالحكم حتى أتوه براهب آخر وجدوه فى جامع الازهر ومعه عدة اكياس فيها نفط وقطران وبتعذيبهم اعترفوا بانهم رهبان دير يعرف بدير البغل بجهة طرا وانهم أربعة عشر وقد تعاهدوا على احراق مصر والفسطاط وانتقاما من المسلمين على هدم كنائسهم وانهم اقتسموا القاهرة ومصر فجعل للقاهرة ثمانية ولمصر ستة

وفى أثناء ذلك ظهرت النار بدار القاضى كرم وهو من عائلة قبطية الاصل وأسلمت من مدة فاستدعى اليه بطريرك الاقباط واذا تأكد أنه لا يعلم شيئا عن هذه الحوادث أطلقه آمنا فسخط عليه العامة واتهموه بالكفر لانه حامى عن الذين حرقوا بيوت المؤمنين . أما القاضى فافهم السلطان ان بعض جهلاء الاقباط هم الذين أرادوا الانتقام من المسلمين على ما ارتكبوه ضدهم من الفظائع . فأمر السلطان باستمرار تعذيب الرهبان حتى يعترفوا باسماء الاغنياء الاقباط الذين حرصوهم على هذا الفعل ولكن الرهبان استمروا يحتملون العذاب بصبر . ولما لم يتحولوا عن كلامهم أرسل السلطان وهجم على دير البغل واتى بكل من فيه من الرهبان وامر بحرق اربعة منهم أمام ذلك الجمع المحتشد . وانفجر بركان غيظ المسلمين على أثر هذه الحادثة وجالوا يبحثون عن الاقباط فى كل مكان ليوردوهم موارد العذاب دون ان يراعوا اوامر الحكومة فهجموا على بيوتهم ونهبوها وقتلوا من بها بغير رحمة ومن هرب منهم قتلوه فى الطريق . وكانوا اذا عثروا بواحد منهم يسير فى الشوارع يسلبونه ماله و يذبحونه . وقد ادت بهم الجراءة الى أن أجمع منهم كثيرون تحت قصر السلطان واحتجوا عليه فى وجهه لمعاملته النصارى بالرفق . فرآهم حينما كان نازلا من القلعة الى الميدان وسمعهم يصيحون « نصر الله الاسلام » و يطلبون من السلطان ان يساعدهم على نصرته فلم يهتم بهم وسار الى الميدان وقبل وصوله أخبرا أن اثنين من الاقباط قبض عليهما وهما يحرقان منزلا فاحتدم غيظا وامر بحرقهما احياء امام الجموع وبينما هم يحرقونها اذا بكاتب ديوان الامير بكتمر الساقى قد مر يريد بيت مولاه وكان نصرانيا فعندما عاينه العامة القود عن دابته الى الارض وجردوه من جميع ما عليه من الثياب وحملوه ليلقوه فى النار فصاح بالشهادتين وظهر الاسلام واطلق واتفق حينئذ مرور القاضى كرم الدين بملابسه الرسمية فرجه الرعاع بالحجارة وقذفوه بكلمات السباب المهينة فاراد ان يتوارى عنهم فلم يتمكن وظلوا يتبعونه حتى دخلوا خلفه ميدان السلطان

الذى لما شاهد هذه الحماقة الزائدة أمر باجراء التحقيق فأخبره الاميران سيف الدين وجمال الدين بان القوم ثائرون و يلزم أن يسألوا عما يطلبونه والافق تهدئة لخواطرهم أن يأمر السلطان بطرد جميع الموظفين الاقباط من دواوين الحكومة.

فاستهنأ السلطان بكلامهما وطلب من قائد جيشه ان يأخذ قوة عسكرية يجول بها فى كل شوارع القاهرة مبددا شمل دعاة الفتنة وحلف برأسه أنه أن لم يحضر له كل من رجم القاضى كرم الدين بالحجارة يعرض رأسه للقطع وارسل مع القاضى اربعة أمراء كانوا يميلون سر الى اعمال الاوباش فاخطروهم بالامر قبل وصولهم اليهم ففترقوا جميعهم وألقى القائد القبض على بعض الشحاذين وكل من شاهده فى الشوارع فارتعب الاهالى وصاروا يطوحون بانفسهم فى نهر النيل . ولما أحضر المقبوض عليهم أمام السلطان وكان عددهم مائتى رجل أمر بالشنق على بعضهم وبالقتل على غيرهم و بقطع أيدي الباقين فبكوا بكاء مرا واقسموا أنهم لم يرجعوا القاضى فلم يلتفت السلطان اليهم واصر على مجازاتهم بما امر فشنع بعضهم فى اليوم الاول وفى اليوم الثانى قطعت أيدي وارجل ثلاثة منهم بحضرته وأمر ان يبقى المشنوقون معلقين حتى يراهم الجميع فارتعدت فرائص الامراء وأخذتهم الشفقة ولكنهم لم يجسروا على طلب العفو منه وكان القاضى غائبا فلما حضر وشاهد جثث هؤلاء المنكودى الحظ طرح نفسه امام السلطان واستعطفه ومازال به حتى عفى عن الباقين .

ولكن لم يبرح السلطان مكانه حتى وفاه خبر بان النار علقبت بجامع ابن طولون والقلعة وقبض على ثلاثة من الاقباط وقال المقريزى « انه باستنطاقهم اعترفوا جهارا انهم من العصاة التى آلت على نفسها احراق مصر والفسطاط وسواء كان هذا الخبر صحيحا أم تذرعه به المتعصبون ليشفوا غليلهم من الاقباط فان هذه الاشاعات هيجت الخواطر على اولئك المساكين . ودام الحريق سبعة أيام والناس يشنعون على السلطان لانه لم يجب طلبهم و يطرد الاقباط من الحكومة فاغتاظ السلطان وصار يقتل كل من يجده نصرانيا كان أو مسلما . واشتد الهياج على الاقباط حتى اختفى هؤلاء من الموت الاحمر الذى كان يهددهم وتحصنوا داخل بيوتهم لا يجسرون على الخروج منها لان من كانت تدعوه الحاجة الى الخروج يقبض عليه و يقدم للمحاكمة بانه شوهد يحرق بيتا أو جامعا .

وذات يوم حمل الرعاع قطعة قماش زرقاء رسم عليها صليب أبيض وجالوا يصيحون بنصرة الاسلام دون كل الاديان ورأى السلطان ان نفوسهم مازالت متعطشة لشرب دماء الاقباط فخشى معارضتهم وارسل مناديا ينادى فى الناس ان من يجد نصرانيا و يقدر عليه و يقتله فله ماله فركض الاوباش يفتشون على الاقباط و يلهول ذلك الكرب الذى لحق بهم فكنت تراهم يجرون ألوف الى المذابح والذين لم يهلكوا منهم ميزوهم بلبس خاص فأمرهم بأن لا تزيّنوا بزى المسلمين وحكموا عليهم بلبس العمائم الزرقاء و بتعليق اجراس فى اعناقهم خوفا من ان يتدنس مسلم بلمسهم وحرموهم من التوظيف بدوائر الحكومة أو الامراء وكان من الجائز ذبح كل قبضى يرى لابسا عمامة

بيضاء او راكبا فرسا او بغلا . وامروا من يريد منهم ان يركب حمارا بانه يركبه مقلوبا . واستمر القتل والنهب مدة أسلم فيها جماعة كثيرة حتى مل الفاتكون رؤية الدماء البشرية تسيل على الارض فكفوا عن تتبع أثر النصارى

ولم يطل هذا السكون بل حدث فى الليلة التالية حريق هائل انزوى بعده الاقباط فى كل غبا رأوه صالحا لاخفائهم من امام عيون مضطهدهم واستمروا مختبئين سنة ونصفا أغلقت فى أثنائها كل الكنائس . ولكن السلطان استعمل الحكمة بان اصدار امرا يمنع اضطهاد النصارى واشتغل بوضع قانون محكم يسرون بموجبه

وفى سنة ١٣٢٩ م لما بدأ الاضطهاد يخف قليلا كتب ملك الحبشة لسلطان مصر يخبره بانه علم بما حل بنصارى مصر وطلب منه ان يعيد ما هدم من الكنائس والا يهدم جميع الجوامع القائمة فى بلاده ولما كان سلطان مصر واثقا بنفسه صرف رسل ملك الحبشة بدون جواب . غير أنه لم يفته مصالحة النصارى فصرخ لهم ببناء الكنائس التى هدمت بناء على طلبهم ذلك منه على شرط ان لا يتوسعوا فيها أو يزيدوا عليها شيئا غير ان بعضها هدم قبل تمام عمارتها بدعوى انهم زادوا فى زحرفتها واعلاء بنائها ومنها كنيسة الست بربرة

ومما يدل على حطة الحال التى انتهى اليها الاقباط التعساء هو انه لما كانت الاضطهادات قد كفت عن اليهود كان القبطى اذا اراد ان يخرج من منزله يستعير عمامة صفراء من احد اليهود ليلبسها حتى يخلص من أذى العامة . وحدث ان قبطيا من موظفى الحكومة كان يداين رجلا يهوديا بمبلغ من المال فلما طرد من وظيفته واصبح محتاجا لماله توجه الى منزل اليهودى وطالبه بما له عنده فتظاهر اليهودى بان القبطى كان عازما على الفتك به فتجمع حوله كثيرون من المسلمين قصد الايقاع بالقبطى ولكن هذا دخل الدار واحتوى بزوجة اليهودى فطلبت العفو عنه بشرط ان يتنازل عن الدين فقبل ليفوز بحياته .

وعلى هذه الصورة المحزنة انتهت حادثة هدم الكنائس وحادثة احراق الجوامع اللتان كانتا شؤما على الاقباط وبعض المؤرخين ينسبها الى دسائس المماليك الذين كانوا يحسدونهم على نفوذهم فى الدواوين . ومع ان السلطان منع النصارى من مزايا كثيرة عديدة الا انه رأى تعذر الاستغناء عنهم فى أنجاز مصالحه فظل قوم منهم فى وظائفهم بالحكومة ولكى يحفظوا مركزهم تفننوا فى وضع قواعد حسابية محكمة لا يديرها سواهم حتى لا يمكن الاستغناء عنهم

(٢) الملك الصالح سنة ١٣٥٢ م . وتولى المعتضد بالله سنة ١٣٥٣ م : —

وفى عهده حدث و باء مهلك فأتى قبطى من الارياف الى القاهرة وطاف بشوارعها ينذر الناس بالويل ان لم يقلعوا عن شرورهم فقبض عليه وأتى به امام قاضى الاسلام فصرح امامه بانه

اتى ليقنع المسلمين بخطيئتهم فى ترك الديانة المسيحية وأنه مستعد ان يموت شهيدا فقضى عليه بالعذاب مدة اسبوع و بعد ذلك قطعت رأسه وحرقت جثته . وحدث ايضا فى احدى بلاد الاريا ف ان المسلمين شكوا قبطيا لقاضى البلدة بان جده كان مسلما فحكم القاضى بضرورة اعتناقه للدين الاسلامى ولما أبى ألقى فى السجن فقام الاقباط واخرجوه منه ليلا فقرر رأى المسلمين فى الصباح على اعدام كل قبطى فهرب الكثيرون منهم ولكنهم تمكنوا من القبض على عدد عظيم وعذبوهم أشد عذاب ثم هجموا على كنيستهم وسلبوها ذخائرها و بنوا جامعا أمام الكنيسة و بعد ذلك مضوا الى قبور الاقباط ونبشوا جثث موتاهم واحرقوها . ولما ارتبكت احوال البلدة قدم الحاكم تقرر الى السلطان يشكوفيه من تصرف قاضى البلدة ضد الاقباط وتبعه الاقباط بشكوى أخرى الى الامير حسام بالقاهرة يطلبون فيها اعادة بناء كنيستهم فلما أستقدم القاضى ليحاكم أمام حكام القاهرة وبخهم احدا المشائخ لمحاكمتهم لقاض مسلم من اجل اضطهاده للنصارى غير ان الحكام أصروا على ضرورة عزل القاضى فعزل .

وقد اسلم كثيرون من الاقباط أو انثذ منهم اثنان احدهما يسمى موفق الدين والاخر علم الدين وكانا يكدران الحكومة بمنازعتها المستمرة على منصب الوزارة فالغى السلطان هذا المنصب واستقل الاقباط بادارة الدواوين فصارت لهم راحة فى اواخر ملك الناصر وبعده قليلا غير ان النصارى الذين اسلموا ووصلوا الى مراكز رفيعة أساءوا معاملة المسلمين وشددوا عليهم فى الاحكام فاشتكى المسلمون منهم الى السلطان فأمر بابعادهم من ديوانه ودواوين الحكومة والامراء والا يبقوا احد ولو اسلم والا يكرهوا على الاسلام منعا للانتقام لانفسهم بواسطة اسلامهم وتحويلهم الوظائف العالية . واذا اسلم احد منهم من تلقاء نفسه فلا يبرح باب احد الجوامع بل يعيشت من احسان المسلمين اهل الخير .

و يقول المؤرخون المسلمون انه اتفق ان سكرتيرا مسيحيا مر امام جامع الازهر بالقاهرة راكبا جواده ولا بسا شرائط وعقالا ابيض على رأسه وامامه السواس يطردون الناس من امامه ويوسعون الطريق ويمنعون الزحام ومن ورائه عدد كبير من العبيد يلبسون الحلل الثمينة ويركبون الجياد المطهمة فلما رآه المسلمون على هذه الابهة اشتد غيظهم ووثبوا عليه وأنزلوه من على جواده واخذوا يضربونه حتى اشرف على الموت لولا ان تمكن بعضهم من انقاذه فتقدم جمع عظيم الى الامير طاز وشكوا له تجاسر الاقباط على الظهور بهذا المظهر فاستصدر اوامر من السلطان تقضى باذلالهم ومنع كل اتصال لهم بدوائر الحكومة والامراء وكانت نتيجة ذلك ان ابتدأ المسلمون فى التسلط على الاقباط فصاروا يهدمون مساكنهم القائمة أمام مساكن المسلمين وصاروا يتعقبونهم فى الطرقات و يتعرضون لهم فى الشوارع فيمزقون لباسهم ويضربونهم بقساوة شديدة و يلقون عليهم النار المشتعلة حتى اضطر الاقباط المساكن ان يختبئوا عن الانظار واصبحوا فى حال يرثى لها ولبثوا مدة طويلة لا يظهرون فى الطرق وكان يخال للرائى انهم انقرضوا جميعا

ولم يكتف المسلمون بذلك بل قدموا طلبا جديدا الى الحكومة ادعوا فيه ان الاقباط بدأوا ينهضون لتجديد كنائسهم وتوسيع مساحتها وطلبوا من السلطان ان يسمح لهم باضطهادهم فأمر والى القاهرة ان يكشف دعواهم ولكن العامة أبوا الانتظار وشرعوا فى هدم الكنائس فهدموا كنيسة بجوار قناطر السباع واخرى بطريق مصر للاسرى وكنيسة الفهادين بالجوانية ودير نيا بالجزيرة وكنيسة بناحية بولاق الدكرور وسلبوا كل ما كان فيها من الذخائر والامتعة ثم تقدموا الى هدم باقى الكنائس وبدأوا بكنيسة البندقيين فلحقهم والى واراد منعهم فشتموه ورفضوا سماع كلامه وهدموا كنيسة شبرا وأخذوا منها أصابع يد أحد الشهداء وارسلوها للملك الصالح فأمر بحرقها امامه والقاء رمادها فى البحر حتى لا يأخذها النصارى فبطل عيد الشهيد من ذلك العهد الى هذا اليوم

وبعد ذلك كتب الملك الصالح الاحكام التالية فأمر بعدم استخدام النصارى فى مصالح الحكومة حتى اذا اعتنقوا الاسلام ومن أسلم لا يسمح له بالعودة الى أهله أو رؤيتهم الا اذا اسلموا مثله وأن يلزم الجوامع لحضور الصلوات الخمس والجمع . واذا مات مسيحي يستولى المسلمون قسمة تركته على ورثته اذا كان له ورثة والا فهى لبيت المال والزم بطريرك الاقباط بالموافقة على هذه الاوامر

ولم يكد حكام الاقاليم يتسلمون هذه الاوامر حتى سمع ان الاقباط فى كل مكان يقبلون بكثرة على اعتنق الديانة الاسلامية وتعلم القرآن وحولت كنائسهم الى مساجد وأنه قد أسلم فى بلدة قليوب فى يوم واحد أكثر من أربع مائة وخمسين قبطيا وقدم حينئذ تقرير للسلطان الصالح ووزرائه شيخون وضر غتمش وطاز بما للكنيسة القبطية من الاملاك الموقوفة فاحيل على ديوان الاوقاف لفحصه ومعرفة ما تضمنه ففحصه الديوان ووجد مقدار الاطيان ٢٥ ألف فدان فقرّر السلطان بان ينعم بها على الامراء فاغتصبت من المسيحيين واعطيت لهم وكان ذلك داعيا لهدم عدة كنائس أخرى .

وفى سنة ١٣٥٥ م تولى الملك الناصر حسن وكان الامير يلغا الحاكم المتصرف محبا للاقباط ولكن بعض الرعايا قبضوا على قبطى فى سنة ١٣٦٩ م وعذبوه عذابا ألما حتى مات بحجة انهم اشتبهوا فيه بانه ساحر وانه تسبب فى وفاة زوجة الملك الشاب وهى ابنة الامير تاج الدين .

اما ما كان من أمر الموظفين الاقباط المطرودين فانه لم يمض زمن حتى دعت الضرورة الى اعادتهم للخدمة . وفى تلك الايام وفد على مصر سائح انجليزى كتب يقول أن ملك مصر عرض عليه أن يسلم ويزوجه بابنته فأبى وقال أن السلطان قال له مرة أن النصارى بسبب معاصيهم خسروا مصر وسوريا ولو عبدوا الله حقا لما استطاع احد ان يقهرهم وان المسلمين يعتقدون انه يجيئ زمن لما يخلص النصارى النية نحو الخالق سبحانه وتعالى يسودوا على أرض مصر كلها .

(٣) الملك المنصور سنة ١٣٨١ م :

انتشبت فى ايامه ثورات ضد الاقباط رغم منع الحكومة اضطهادهم وحدث ان قبطيا يدعى ميخائيل أعلن اسلامه فتهلل به المسلمون وألبسوه حلة فاخرة واركبوه بغلا للسلطان وطاقوا به المدينة بموكب عظيم ورقوه الى مركز سام فى الحكومة بعد ارتداده بثلاث سنوات ولقب بالجاحد شعبان . أما عدد الاقباط فنقص كثيرا بسبب مظالم الحكام والافات الربانية من جهة وأقبال الكثيرين منهم على الاسلام اما طوعا او كرها من جهة أخرى . ولما كثر الذين أسلموا منهم أبغضهم المسلمون الاصيلون لانهم كانوا يزاحمونهم فى الوظائف الادارية العالية وهكذا لم يقدرُوا ان يرضوهم سواء اسلموا أو لم يسلموا وقد أثر بعضهم الموت على هذه العيشة المرة .

الا ان الاقباط المرتدين أظهروا حينئذ ميلا عظيما للرجوع الى ديانتهم الاصلية . وفى سنة ١٣٨٩ م دخل منهم القاهرة عدد عظيم من الرجال والنساء جاءوا من الارياض قاصدين التكفير عن ارادتهم بالاستشهاد فطاقوا الشوارع يصيحون باعلى صوت قائلين « نحن نصارى نحن نصارى » ولما سئلوا عن سبب ذلك أجابوا اننا تركنا ديانة الانبياء الكذبة ورجعنا الى ديننا الحقيقى الذى لم نتركه الا خوفا من الاضطهاد . فتألب حولهم المسلمون ونصحوهم بالعودة للاسلام ولكنهم رفضوا بجسارة كلية فحاول المسلمون اربابهم ليرتدوا وساقوا كثيرين من الرجال الى ميدان امام مدرسة الملك الصالح وهناك بدأوا يحزون رؤوسهم الواحد بعد الآخر . فلم يتزعزع واحد منهم . وقبض على بعض النساء ولكنهن تمسكن بايمانهن دون ان يجزعن فجردوهن من ثيابهن وجروهن الى سفح الجبل تحت القلعة وقطعت اعناقهن بقساوة زائدة حتى ان بعض المسلمين استفظعوا هذا الحكم ونقموا على القاضى الذى حكم به . وشوهد بعد ذلك راهب يعظ ضد الدين الاسلامى وأمامه رجل وثلاث نساء يشجعونه على الاستشهاد فقبض على الخمسة وقطعت رؤوسهم وأحرقت اجسادهم

وكان باقيا من عائلة زنبورة الشهيرة التى تقدم ذكرها رجل كان أسلم وسمى بعلم الدين حصلت بينه وبين احد الامراء منافسة فكلف بعض أتباعه ان يشهدوا عليه زورا بانه يدعى الاسلام وهو لا يزال باقيا على نصرانيته وزوجته باقية على تلك الديانة ومع ذلك لم يتركها أو يكرها على الاسلام فافتى العلماء بحرقه فقبض عليه واتى بزوجته وابنه وصاروا يضربونها بالسياط حتى ماتا أمامه ثم عذبوه عذابا شديدا حتى مات فاستولى العامة على ثروته

(٤) دولة المماليك الثانية : برقوق سنة ١٣٨٢ م :

وحدث فى ايامه ان اميرا مسلما تعهد بهدم كنيسة للاقباط كانوا يشتغلون فيها خمر الاباركة . فنهب منها الف جرة من الخمر المذكور وأمر بكسرها امام باب زويلة فى الميدان الذى تحت القلعة . واقترح المجلس الاعلى على برقوق ان يضطهد الاقباط ولكنه رفض بل أمر ان يقتل رجل اعتنق الديانة الاسلامية

القرن الخامس عشر

القسم الاول

تاريخ البطارقة

(١) غبريال ٥	(٤) غبريال ٦
(٢) يوحنا ١١	(٥) ميخائيل ٤
(٣) متى ٢	(٦) يوحنا ١٢

(١) غبريال ٥ - البطريرك الثامن والثمانون :

فى أول هذا القرن أجمع الالباء والشعب بالدار البطريركية لانتخاب بطريرك جديد فاختاروا الراهب غبريال من دير القلمون بالجيزة وأقيم بطريركا فى ٢٦ برمودة سنة ١٢٢٥ ش ١٤٠٩ م فى عهد تملك السلطان الناصر فرج بن برقوق وكان هذا البابا قبل ان يترهب كاتبا فى الحكومة وفى مدة رئاسته فرغت خزينة البطريركية فكان يعتمد فى الحصول على قوته الضرورى على احسان اولاده وكانت الكنيسة الحبشية ترسل اعانة للكنيسة المصرية فقطعتها فى عهد البابا غبريال

وكان اذا أراد أن ينتقل من مكان الى آخر يسير على قدميه . وفى سنة ١٤١٨ م دعاه مجلس الحكومة فلما مثل أمامه هده بالموت اذا لم يمنع الاحباش الذين تحت سلطته من مضايقة التجار المسلمين النازلين فى بلادهم فوعدهم بالكتابة الى ملكهم ليمنعهم ولم يؤخره الاضطهاد الشديد الذى كان محيطا به عن القيام بواجباته فوضع كتابا فى الطقوس الكنيسة واشتغل بهمة فى اصلاح ما أفسدته يد الاضطهاد واستمر فى الرئاسة ثمانى عشرة سنة وثمانية أشهر واثنى عشر يوما وتنيح فى ٨ طوبه سنة ١١٤٤ ش ١٤٢٨ م وخلا كرسى الرئاسة بعده أربعة أشهر وأياما .

(٢) يوحنا ١١ - البطريرك التاسع والثمانون :

وفى المدة التى خلا فيها الكرسى بعد البابا غبريال كان يسوس فيها ادارة الكنيسة راهب من دير طره يدعى ميخائيل وكان لهذا الراهب حزب كبير يؤيده لنوال البطريركية ولكن عناية الله دبرت ان يقرب مجمع الاساقفة والشعب على انتخاب من يدعى ابا الفرغ من القاهرة وكان مشهورا بالفضيلة والعلم و يقوم بالتدريس فى مدرسة قبطية عظيمة (بالمكس)

فأقيم ابو الفرغ بطريركا ودعى يوحنا ال ١١ فى ١٦ بشنس سنة ١١٤٤ ش ١٤٢٨ م فى

عهد تملك الملك الاشرف ابى النصر برس باى واستمر قائما بوظيفته بأمانة نحو ٢٤ سنة و ١١ شهرا و ٢٨ يوما وتوفى فى ٩ بشنس سنة ١١٦٨ ش و ١٤٥٣ م وخلا كرسى الرئاسة بعده أربعة أشهر وأياما

وفى أيام هذا البابا اجتهد ملوك الافرنج وعلى رأسهم ملك القسطنطينية فى مقاومة المسلمين ورأوا ان ذلك لا يتأتى الا بزوال الخلاف الدينى وأيجاد الاتحاد بين مسيحي الشرق والغرب . فبعد تفكير طويل أستقر الرأى على عقد مجمع لهذا الغرض بمدينة فلورنسا من أعمال ايطاليا يحضره اسقف رومية بطريرك القسطنطينية وغيرهما من نواب الشعب الارثوذكسى . وكانت الكنيسة القبطية أيضا قد أرسلت نائبا من قبلها لحضور ذلك المجمع يدعى يوحنا وهو رئيس دير انطونيوس ولكنه وصل الى فلورنسا متأخرا عقب انفضاض المجمع وكانت نتيجة انعقاده عودة اتحاد كنيسة اليونان والرومان وقام رؤساء الكنائس الى بلادهم على نية الاجتماع مرة أخرى . واذا لم ير الاب يوحنا بدا من العودة الى مصر تحصل على قرار من المجمع بقبول الكنيسة القبطية ضمن ذلك الاتحاد العظيم فى جلسته القادمة ولكن ذلك الاتحاد الذى كان يسعى اليه ملوك الافرنج وملك القسطنطينية لم يتم بسبب تجاوز اسقف رومية حدود الاعتدال فى طلباته .

و يدعى المؤرخون الكاثوليك بناء على ذلك ان الكنيسة القبطية خضعت لاسقف رومية حينما من الزمن وأنه كان المقصود من ذلك المجمع اعادتها الى الخضوع لسلطانه مرة أخرى وفى ذلك قالت المؤرخة الانجليزية مدام بوتشر : « ولكنى أقول أنها لو كانت خاضعة له من قبل كما يقولون لما كان يعين بطريركا خاصا له فى ابروشية الاسكندرية ذاتها التى فيها البطريرك القبطى مما يثبت صحة الانفصال وعدم الخضوع . ومع ذلك فانه لم يكن الغرض من قبول الكنيستين اليونانية والقبطية بالدخول فى مجمع فلورنسا الخضوع للبابا بل مجرد المصالحة والمساحة بين الكنائس الشرقية والغربية ولم يحبط ذلك السعى الا لما رأى رجال الكنيسة اليونانية والكنيسة القبطية ادعاءات بابا رومية الغربية وطلبه السلطة العليا لنفسه فكان هذا سبب رفض اليونان والاقباط شروط ذلك المجمع وأنكارها لما عرضت عليهم وأدركوا سواء القصد من ذلك الاتحاد » أهـ

(٣) متاؤس ٢ — البطريرك التسعون :

بعد وفاة البابا يوحنا وافق مجمع الاساقفة والشعب على تكريس متاؤس أحد رهبان الدير المحرق واقيم بطريركا فى ١٣ توت سنة ١١٦٩ ش و ١٤٥٣ م فى عهد تملك الظاهر . واستمر فى البطريركية نحو ثلاث عشرة سنة وتوفى فى ١٣ توت سنة ١١٨٢ ش و ١٤٦٦ م وخلا الكرسى بعده أربعة أشهر وأياما

(٤) غبريال ٦ — البطريرك الحادى والتسعون :

بعد وفاة البابا متاؤس الثانى اختير للبطريركية الاب غبريال السادس وهو من الغربية

قدم بطريركا فى ١٥ أمشير سنة ١١٨٢ ش و ١٤٦٦ م فى عهد تملك الملك الظاهر خوش قدم الناصرى واستمر فى البطريركية ثمان سنوات وعشرة أشهر وبعض ايام وتوفى فى ١٩ كيهك سنة ١١٩١ ش و ١٤٧٥ م وخلا الكرسى البطريركى بعده سنتين ونحو الشهرين

(٥) ميخائيل ٤ — البطريرك الثانى والتسعون :

وقد خلف البابا غبريال السادس البابا ميخائيل الرابع وهو من سمالوط وقيل سنباط أقيم بطريركا فى ١٣ أمشير سنة ١١٩٣ ش و ١٤٧٧ م فى عهد تملك الاشرف أبى النصر فايت باى الظاهرى المحمودى وأقام فى البطريركية سنة واحدة وثلاثة أيام وتوفى فى ١٦ أمشير سنة ١١٩٤ ش و ١٤٧٨ م وخلا بعده كرسى الرئاسة سنتين وشهرين وسبعة ايام .

(٦) يوحنا ١٢ — البطريرك الثالث والتسعون :

وكرس بطريركا بعد البابا ميخائيل يوحنا الثانى عشر وهو من نقاده أقيم بطريركا فى ٢٣ برمودة سنة ١١٩٦ ش و ١٤٨٠ م فى عهد الملك الاشرف فايت باى وأقام فى البطريركية ثلاث سنوات واربعة أشهر وایاما وتوفى فى ٧ توت سنة ١٢٠٠ ش و ١٤٨٤ م وخلا كرسى الرئاسة بعده خمسة أشهر

القسم الثانى

المملكة والكنيسة

(١) الملك العادل (٢) المحمودى

(٣) الاشرف برس باى (٤) المستنجد

(١) الملك العادل سنة ١٤١٢ م :

وفى أيامه شرع المسلمون فى تدبير طريقة بها يلاشون الاقباط عن بكرة أبيهم فاهتموا بمعرفة أسمائهم وعددهم ومقدار ثروتهم وفرض السلطان ضريبة على جميع الاقباط وأنشأ لهذا مكتبا ليقيد فيه أسماء مواليدهم ووفياتهم فقسموا الى ثلاث طبقات . طبقة الاغنياء وقرروا عليهم ضريبة اربعة دنانير عن كل نفس . وطبقة المتوسطين يدفع كل واحد دينارين وطبقة الفقراء دينارا واحدا . ومع ان هذا السلطان كان يمقت الاقباط كاسلافه الا انه ميلا للسلام ضغط على المعتدين وأمر بانصاف المظلومين فسخط عليه العامة .

(٢) المحمودى سنة ١٤١٢ م :

وفى عهده صرح للمماليك باضطهاد الاقباط فاغتصب منهم قائد الحرب مبلغا عظيما من المال وفرض ضريبة باهظة على الخمر الذى كان يتاجر فيه كثيرون من الاقباط بابايليون . وأمر البقائد جنوده بالهجوم على بابايليون بحجة اطلاق ما فيها من الخمر فهجموا على الاقباط واستمروا يوقعون بهم ولم يكفوا حتى استرضاهم الاقباط بمبلغ وافر من المال .

وفى سنة ١٤١٨ م صدر أمر برفت كل الاقباط الذين تمكنوا من التوظيف فى الحكومة وبدأوا بقبطى كان سكرتيرا للوزير الاول فأمر السلطان بحبسه وتعذيبه فعروه من ثيابه وجروه فى شوارع القاهرة وامامه موظف مسلم ينادى قائلا « هكذا يفعل بكل موظف قبطى » فاسلم من الموظفين كثيرون واختفى باقيهم فى منازلهم ولكنه اسلموا فيما بعد لشدة الضيق . وقيل ان كثيرين منهم اسلموا على زعم انهم يتمكنون بعد الاسلام من الانتقام من معذبيهم

(٣) الاشرف برس باى سنة ١٤٢٢ م :

اكتشفت فى أيامه مؤامرة سرية بين ملك الحبشة والبصليبيين الغرض منها محو الديانة الاسلامية

(٤) المستنجد سنة ١٤٥٣ م :

وفى أيام المستنجد أوقد المماليك النيران فى الاحياء المسيحية فى القاهرة وباقي المدن المصرية وواصلوا النهب والسلب فارسل ملك الحبشة سفيرا من قبله فى زمن الملك المنصور يوصيه خيرا بالاقباط الذين كانوا واقعين حينئذ تحت الاضطهاد . وفى ايام خوش قدم سنة ١٤٦١ م هجم المماليك على الاقباط فى مصر القديمة ونهبوا منهم كل ما وصلت اليه أيديهم وفى أيام فايت باى سنة ١٤٦٧ لم تصدر الحكومة قرارا باضطهادهم ولكن الرعاع لم يكفوا عن التحرش بهم رجاء نهبهم وسلبهم . واستخدم كثيرون من الاقباط فى اقامة المباني التى شيدت فى أيام فايت باى

وفى سنة ١٤٨٤ م هجم عرب الوجه القبلى على دبرى انطونيوس وبولا وقتلوا جميع من فيها من الرهبان وبقيا خرابا نحو ثمانين سنة وكان فيها مكتبتان عظيمتان تحتويان على عدد عظيم من الكتب القديمة الثمينة فجمعوها وأحرقوها عن آخرها ولم يبق فيها الا ما خفى عن عيونهم

القرن السادس عشر

القسم الاول

تاريخ البطارقة

(١) يوحنا ١٣	(٢) غبريال ٧
(٣) يوحنا ١٤	(٤) غبريال ٨

(١) يوحنا ١٣ — البطريرك الرابع والتسعون :

استحق نوال هذه الوظيفة السامية لانه كان محسنا على الجميع بدون استثناء واصله من بلدة صدف بمديرية اسيوط واقم بطريركا فى ١٥ أمشير سنة ١٢٠٠ ش و ١٤٨٤ م فى عهد الملك الاشرف .

وكانت العلاقة بين الكنيسة الحبشية وأما الكنيسة القبطية فى ذلك الحين فاترة بسبب تتابع اغارات ملوك مصر على بلاد الحبش . فسعى داود ملك الحبشة وعقد محالفة مع البرتوغاليين لينتصر بهم على ملوك مصر المسلمين فنزح كثيرون من البرتوغاليين الى بلاد الحبش ولما رأوا هذه المملكة بدون رئيس دينى حرضوا ملكها على قبول مطران على الحبشة من البرتوغاليين المقيمين فى بلاده وفعلا طلبوا منه أن يطلب من اسقف رومية أن يكرس له مطرانا وكان الاختيار قد وقع على رجل برتوغالى ببلاد الحبش يدعى يواىس برمودز فسافر الى رومية فرسمه اسقفها مطرانا على الحبشة وسماه بطريرك الاسكندرية . فعند القبط والروم هذا تعديا من اسقف رومية وانكروا عليه الحق فى ذلك وأبوا معرفة الشخص الذى عينه بأية صفة . ومن تصرف أسقف رومية هذا يتضح كذب مؤرخى الكاثوليك الذين يدعون ان الكنيسة القبطية فى ذلك الوقت كانت خاضعة لكنيستهم اذ لو كان ذلك صحيحا لما كان هناك موجب لتسمية بطريرك غير بطريركها القبطى او كان يجب على اسقف رومية عزله قبل تعيين سواه

اما البابا يوحنا فاستمر على الكرسي البطريركى مجاهدا فى سبيل رفع مقام كنيسة مدة اربعين سنة الا اربعة أيام أتم فيها إصلاحات شتى ووضع مؤلفات كثيرة فى الدين المسيحى ثم توفى فى ١١ أمشير سنة ١٢٤٠ ش و ١٥٢٤ م وأستمر كرسي الرئاسة خاليا بعده سنة وثمانية أشهر .

(٢) غبريال ٧ — البطريك الخامس والتسعون :

كان يدعى أولا روفائيل وهو من منشأة الدير المحرق وترهب بدير السريان بيرية شيهات وأقيم بطريكاً في ٤ بابه سنة ١٢٤٢ ش و ١٥٢٦ م في عهد السلطان سليمان وكان له اهتمام زائد في عمارة الدير فعمّر دير القديس أنطونيوس والقديس بولا بعد دمارهما بيرية العربية بالجبل شرقى النيل باقليم بنى سويف والبهنسا وعمّر أيضاً دير المحرق بالوجه القبلى . ولما قام عرب بنى عطية ونهبوا دير القديس بولا وأخربوه وقتلوا راهبا من رهبانه وشتتوا شمل الباقين اجتهدواهم في عمارته ثانياً وعمره بالرهبان

وكان البابا غبريال مهيباً ذا نفوذ لدى أمته وفي أواخر حياته طالبه السلطان سليم بما لا يقدر عليه من الغرامة فرحل قاصداً الدير بيرية العربية وبينما هو عابر النهر من جهة الميمون أدركته المنية فتوفى في ٢٩ بابه سنة ١٢٨٥ ش و ١٥٧٠ م بعد وفاته لم يوجد شيء من المال خلفاً عنه لأنه صرف أيراداته بأسرها في منافع الامة . وكانت مدة رئاسته ٤٣ سنة وخلا كرسى البطريكية بعده خمس سنوات ونحو ستة أشهر

وفي أيام هذا البابا مات ملك الحبش وتولى مكانه ولده المسمى اقلاديوس فسار على خطة أبيه مسالماً البرتوغاليين ومحترماً لبرمودز البطريك الرومانى ولما انكرت القوات الاسلامية التى كانت تهدد بلاده رفض الاعتراف بسيادة اسقف رومية واوقف برمودز عند حده وأعلنه انه اذا اراد البقاء فى بلاد الحبش فلا يعتبر نفسه أكثر من ضيف واجب اكرامه لأنه لا يريد ان يكون خاضعاً لغير بطريك الاقباط . ثم ارسل وفداً الى البابا غبريال يلتمس منه ان يرسل له مطرانا جديداً ويعلن له انه هو رئيسه الروحى الوحيد فرسم له البطريك كاهناً يدعى يوسف وشيعة اليه فقابله الملك ورعيته باكرام زائد وانشرح خاطر وهكذا عادت العلائق بين الاقباط والحبش الى ما كانت عليه قبلاً بعد ان تعطلت نحو ثمانين سنة .

أما المطران اللاتينى فلما رأى استحالة ضم الكنيسة الحبشية الى الكنيسة الرومانية عاد الى بلاده واوقف اسقف رومية على الخبر فاستاء أغناطيوس احد رؤساء الرهبنة فى رومية من هذا الخذلان المعيب وتوسل الى اسقفه ان يرسله الى الحبشة فخشى ان يقتل وأرسل عوضه رجلاً يدعى نونوباريتو وكاهنين آخرين فسار الثلاثة الى جوا فاقام بها باريتو واستمر الكاهنان فى سفرهما حتى وصلا بلاد الحبش فقابلهما اقلاديوس بكل لطف وأفهمهما انه يرفض قطعياً الاعتراف بسلطة اسقف رومية على شعبه وانه لا يخضع الا لكرسى مارمرقس الانجيلى والرسول . ولزيادة لطفه سمح لهما بالاقامة فى بلاده وهو واثق من ثبات شعبه على ارتوذكسيتهم الى ان خلفه على العرش أخوه مينا فظهر الاستياء للكاهنين وسخط عليهما حتى اصبحا منفردين لا يكلمهما أحد . فاغتازا منه وأغريا احد كبار الجيش على اتباع مذهبهما ثم حسنا له عقد محالفة مع المسلمين ضد ملكه .

واذ شعر مينا بالامر أسرع فى تأديب هؤلاء العصاة ووصل الخبر لاسقف رومية بفشل ارساليته الثانية لبلاد الحبش فأرسل رسلا الى البابا غبريال يطلب منه انضمام الكنيسة القبط للكنيسة اللاتينية فقابلهم البطريرك بكل لطف واعلمهم بكل تأدب أنه لا ينحرف قيد شعرة عن التمسك بعقائد كنيسة المقدسة فالتمس منه رسل اسقف رومية بما له من النفوذ على بلاد الحبش ان يطلب من ملكها ان لا يمس الكاهنين الرومانيين بسوء فسمح لها الملك بالاقامة فى بلاده أكراما لخاطر البطريرك ولكنها لما لم يحسنا سيرهما واشتهرت رداءتهما سخط عليهما الاحباش وكادوا يقتلونه فقدموا تقريرا لاسقف الرومانى يقولان فيه « ان الحبشة لا ترتد عن ايمانها الا بقوة السيف » فاستدعاهما الاسقف اليه وبذا تم خذلان الاسقف الرومانى فى جذب الحبش اليه

(٣) يوحنا ١٤ - البطريرك السادس والتسعون :

أقيم خلفا للبابا غبريال فى ٢٢ برمودة سنة ١٢٩٠ ش و١٥٧٤ م فى عهد سلطنة مراد الاول . وهو من منفلوط وكان راهبا بدير العذراء المعروف بالبرموس ببرية النطرون . وكان من أمره ان الدولة كلفته بجمع الجزية من المسيحيين فطاف بلاد مصر القبلية وجمعها وأداها للحكومة . ومن المضايقات التى كان يتقصدها الوزراء رحل مرة ثانية الى الصعيد وثالثة وأخيرا الى الاسكندرية ولما سكن الاضطراب عاد منها الى السنمارية وهما ضعف وتوفى فى ٣ من نسيء سنة ١٣٠٥ ش و١٥٨٩ م بعد ان استمر فى البطريركية خمس عشرة سنة وأربعة أشهر وأياما وخلا الكرسى بعده أربعة أشهر

وحدث فى ايامه أمر يدل على ان اسقف رومية لم يكتف بالخذلان الذى أصابه فى بلاد الحبشة ولم يثنه ذلك عن عزمه فى ضم أقباط مصر اليه ولما رأى أنهم يقاسون من المسلمين العذاب أشكالا وألوانا ولاسيا منذ خضعت مصر للملك العثمانيين فان الولاة كانوا يفضلون الروم عليهم اتخذ ذلك فرصة مناسبة لاختضاعهم لرئاسته وجعلهم تحت حمايته فأرسل الاسقف الرومانى وكان حينئذ غريغوريوس ال ١٣ بعض رجاله الى مصر فاجتمعوا بالبابا يوحنا وكان شيخا متواضعا محبا للسلام فما زالوا به حتى أقنعوه أنه اذا خضع لكنيسة رومية بشروط سهلة يضمن بذلك حماية الاقباط و يأمن غائلة الاضطهادات الاسلامية أما هو فيبقى بطريركا على جميع الامة كما هو بدون نقص شىء من كرامته أو سلطته . وأشاروا عليه أن يدعو جميع الاساقفة ليقصوا عليهم الامر ويعرضوا عليهم طلباتهم أسقفهم ويشرحوا لهم الغرض منها

فدعا البابا يوحنا الاساقفة واخبرهم بما يميل اليه اسقف رومية من الاتحاد معه فإظهروا ارتياحهم الى الاتحاد بين الطوائف ولكن لما انعقد المجمع وسمع الاساقفة آراء نواب اسقف رومية هاجوا وعارضوا معارضة شديدة كما رفضوا اقتراحات اسقف رومية رفضا باتا واشتد النزاع وقويت

المعارضة وصرخ الاساقفة قائلين « ان موافقتنا على طلبات اسقف رومية تضر فى المستقبل باستقلال الامة الدينى الذى اشتراه آباؤنا بسفك دماهم »

ولكن يظهر ان البطريرك لشيخوخته وبساطته وسلامة نيته وميله لحماية اولاده من اضطهاد المسلمين أظهر ميله للاتفاق ولكن الاساقفة عارضوه بشدة ولما لم تتفق الاراء على شىء انفضت الجلسة على نية الاجتماع ثانيا . ولكن اتفق ان البطريرك توفى فى تلك الليلة فاحبط المسعى وذهبت كل الاتعاب سدى والمؤرخون الكاثوليك يقولون ان البطريرك مات مسموما والمؤرخون الافرنج ينفون ذلك . أما رسل اسقف رومية فالقى والى مصر القبض عليهم كعيون غرباء واتهمهم بالقاء دسائس الفتنة بين الرعايا والقاهم فى الحبس فرق لهم بعض كبار الاقباط ودفعوا خمسة آلاف قطعة من الذهب مقابل اطلاق سراحهم ليعودوا الى بلادهم فشكرهم اسقف رومية وهو سكستوس الخامس الذى خلفه غريغوريوس ال ١٣ على فعلهم ورد لهم المال

(٤) غبريال ٨ - البطريرك السابع والتسعون :

انتخب بطريركا خلفا للبابا يوحنا وهو من منبىر وكان يدعى أولا شنوده وهوراهب من دير القديس بيشوى وكرس بطريركا فى ١٦ بؤونة سنة ١٣٠٦ ش و ١٥٩٠ م فى عهد سلطنة مراد بن سليم وفى أيامه ذاق المسيحيون طعم الراحة لشدة حاجة المسلمين فى أشغالهم الى مهارتهم الكتابية واستقر هذا البابا على كرسى البطريركية مدة ١١ سنة وتوفى فى ٩ بشنس سنة ١٣١٨ ش : ١٦٠١ م

وفى عهده جدد اسقف رومية مساعيه ليحمل الكنيسة القبطية على الاعتراف بسيادته عليها فظهر فى مخبراته للبابا غبريال الثامن كل التساهل والتودد الا انه لم ينجح بالمره لان مساعيه لم تكن صادرة عن غيره دينية صحيحة بل عن ميل الى حب الاستثثار والادعاء بالسلطة الامر الذى فضلا عن مخالفته لاوامر السيد المسيح الصريحة فقد جر كل الويل على المسيحيين فى كل العصور . ويقول بارونىوس المؤرخ الرومانى ان البابا غبريال أظهر ميلا للخضوع لسلطة كنيسة رومية نظير سلفه البابا يوحنا وان الاتفاق والاتحاد المذكور قبلته الكنيسة القبطية فى يناير سنة ١٥٩٥ م وهذا القول بعيد عن الصحة بعد السماء عن الارض . لان أسقف رومية وهو أكليمنضس الثانى لما طلب من البابا غبريال الخضوع لسلطته رد عليه برقة اعتادها باباوات الكنيسة المصرية فخالها أسقف رومية رضى واستكانة

القسم الثانى

المملكة والكنيسة

الحالة بوجه عام فى زمن احتلال المملكة العثمانية

احتل يسلم بن بياريد سلطان الدولة العثمانية مصر فى سنة ١٥١٧ م فسار على منوال الملوك الفاتحين من الجور والظلم ولم يغب الاقباط عن ذاكرة أى فاتح لمصر ليركهم يتذوقون طعم المزاحة قليلا بل كانوا دائما فى طليعة المنكوبين واهتم بأمرهم السلطان بياريد فاضطهدهم بشدة ومع ان السنين التى سلفت كان الاقباط فيها يشعرون بالراحة نوعا الا انه بدأ هذا السلطان باضطهادهم تحرك عليهم المسلمون قاصدين اضطهادهم . غير ان اصحاب الحرف والاعمال منهم كانوا معافين من الاضطهاد لمعرفة المسلمين باحتياجهم اليهم ولهذا كانوا يحبون اليهم الاسلام لتروج صناعتهم اكثر فاعتنق فى اثناء الفتح العثمانى كثيرون من الصناع المسيحيين الديانة الاسلامية

القرن السابع عشر

القسم الاول

تاريخ البطارقة

(١) مرقس ٥	(٢) يوحنا ١٥
(٣) متاؤس ٣	(٤) مرقس ٦
(٥) متاؤس ٤	(٦) يوحنا ١٦

(١) مرقس ٥ — البطريرك الثامن والتسعون :

أقيم خلفا للبابا غبريال في أول توت سنة ١٣١٩ ش و ١٦٠٢ م في عهد سلطنة محمد بن مراد واصله من بلدة البياضية بمديرية أسيوط وكان عالما ورعا تقيا محبا للخير صبورا على المكاره واشتد العمال في ايامه على رعيته شدة عظيمة فكان يكثر من الطواف بين الناس ويحضهم على الصبر والسكون

وفي ايامه سرت بين الاقباط عادة اتخاذ زوجات غير شرعيات على طرق مختلفة لا سميابين نصارى جهة الردينية حتى قام مطران دمياط وجاهربان تعدد الزوجات غير ممنوع في الانجيل . ولما لاحظ البابا مرقس ذلك اصدر منشورا يحرم فيه تعدد الزوجات وحرم المطران الذى علم به . فاتفق المطران هو وبعض الاقباط الذين يشغلون مراكز خطيرة في الحكومة على الايقاع بالبطريرك فشكوه لجعفر باشا الحاكم المسلم فراها فرصة مناسبة لاذلال شأن الاقباط فدعا البابا مرقس وامر بضربه حتى اشرف على الموت وعزله من منصبه وحبسه فى برج الاسكندرية

أما المطران وحزبه فخدعوا راهبا من البياضية واقاموه بطريركاً فصرح لهم بالطلاق وبتعدد الزوجات وبعد وقت قصير احتاج مسيحيو القاهرة والصعيد وقام رهط منهم الى الوالى واقنعوه برد البطريرك المسجون الى مرتبته فردده وخضع كل حزب لبطريركه الى ان ضعف حزب الراهب وانحلت عراه فمضى الى بستان وجعل يعمل فيه حتى وافه القدر المحتوم واستقل البابا مرقس حتى تنيح فى سنة ١٣٣٠ ش و ١٦١٣ م وكانت مدة رئاسته ١١ سنة

واستأنف اسقف رومية مخابراته مع هذا البطريرك بشأن انضمام الكنيسة القبطية له والكاثوليك ينسبون عزله الى دسياسة من بعض كبار الاقباط لما رأوا فيه الميل الى عقد اتفاقية مع

اسقف رومية و يقولون لو لم يكن والى مصر عزل البطريرك مرقس فجأة لكانت الكنيسة القبطية قد خضعت للسلطة الرومانية . والامر واضح مما سلف ان سبب عزله خلاف ماذكر فتأمل

وفى سنة ١٦٠٤ م اهتمت الكنيسة القبطية بمقاومة الارساليات الكاثوليكية ببلاد الحبشة وقبل ذلك الوقت بأربع سنوات أوفد من قبيل اسقف رومية يسوعى يدعى بيدوفيز فلم يصل الى مصوع حتى سجنه الاحباش ولكنهم اطلقوه فيما بعد وصرحوا له بالبقاء بينهم فقضى وقتا منعزلا بمدينة فرموتا ثم عكف على درس لغتهم حتى اتقنها وانتشر اسمه حتى وصل الامبراطور فاستدعاه اليه ولما مثل أمامه أخذ يظهر براعته فى معرفة اللغة الحبشية وجادل كهنة الاحباش بها وفاز عليهم فسمح له الامبراطور ان يعظ الجمهور فالقى عظة اثر بها على الامبراطور حتى رغب فى اعتناق المذهب الكاثوليكي وتبعه رجال بلاطه فقامت قيامة الاحباش تحت زعامة المطران القبطى واشتبك القتال بينهم وبين الامبراطور فذبحوه وانكسر قومه وقام مكانه آخر

فحول فير اليسوعى نظره الى الامبراطور الجديد قاصدا ان يستميله ايضا للمذهب الكاثوليكي فنجح وسمع ان الحبشة سترسل وفدا الى الفتيكان تعلن خضوعها له فاشهر المطران القبطى حرم كل من ينحاز للكاثوليك واشتد هياج الشعب الحبشى ثانيا وحاول اسقاط الامبراطور ولكنه تغلب عليهم واستمر الهياج يزداد خصوصا بعد ان أعلن الامبراطور اعتناقه للمذهب الكاثوليكي ولبث النزاع قائما حتى انقطعت انفاس فيزفهدا الشقاق وبطلت حركته

(٢) يوحنا ١٥ — البطريرك التاسع والتسعون :

وبعد وفاة البابا مرقس انتخب الاقباط لهم بطريركا جديدا وهو البابا يوحنا ال ١٥ فى سنة ١٣٣٠ ش و ١٦١٣ م فى عهد سلطنة عثمان بن محمد واصله من ملوى . وكانت الضيقات لم تنزل تترى على شعبه فجال فى ابروشياته مرتين يعزى المكرويين وبينما كان يطوف بين رعيته وجد قنّى ابنوب وجيها عنده محظية فنصحته وارشده واذا لم يرعو حرمه فاغتاز الرجل منه ودس له السم فى الطعام فلما شعر بدنوا لاجل نزل فى مركب فعاجلته المنية فى البحر وتوفى سنة ١٣٤١ ش و ١٦٢٣ م وكانت مدة رئاسته عشر سنين

وفى خلال مدة البابا يوحنا مات الملك الحبشى الذى اعتنق الكاثوليكية وتولى ابنه باسيلوس فاضطهد تابعى الكاثوليك وأرسل الى البطريرك القبطى لكى يرسل له مطرانا وسمح للمرسلين الكاثوليك أن يقيموا فى بلاده على شرط ان لا يتعرضوا لمعتقد اهلها ولكن لما شعر بانهم ساعون فى استحضر جيش البورتغاليين ليؤيدوا مذهبهم بالقوة أمرهم ان يبرحوا البلاد فلم يطيعوا واتفقوا مع كبير من الاحباش كان عاصيا فى وجه ملكه ولكن بعد اتحاده معهم باعهم كالعبيد الى تجار الاتراك فاستخلصهم الملك من ايدي التجار ولكنهم لم ينجوا من ايدي الاحباش فقبضوا عليهم

وقتلوهم فهدأت البلاد بعد حروب وارتباكات دامت سنين وانتهت بقطع دابر الكاثوليك وطرد كل متمذهب بمذهبهم من بلاد الحبش ومنع دخول الغرباء اليها لغير التجارة واكتساب المعاش

واتصلت هذه الاخبار باقباط مصر وذكرتهم باوقات اضطهاد الملوك الرومانيين لهم فلم يقبلوا من اسقف رومية هناء ولا عزاء ولكنهم لم يبدوا أنفة من وجود الافرنج وجماعة الكاثوليك بينهم لما حضر بعضهم الى مصر وتوطنوا بها للتجارة بمقتضى المعاهدات الدولية التى عقدت منذ الجيل السادس عشر للميلاد بين ملوك أوروبا والمملكة العثمانية

(٣) متأوس ٣ — البطريرك المائة :

أقيم بطريركا سنة ١٣٤١ ش و ١٦٢٣ م فى عهد السلطان ابراهيم واصله من طوخ دلکه وكان اسمه تادرس رئيس دير أبى مقار وفى مدته وقع غلاء وقحط وأكلت الميتة وأرسل مطرانا الى الحبشة من أسيوط فلم يقبلوه فكرس غيره وقضى على الكرسي ١٩ سنة وتنيح فى توت سنة ١٣٦٠ ش و ١٦٤٢ م وخلا الكرسي بعده خمس سنوات

(٤) مرقس ٦ — البطريرك المائة والواحد :

كرس بطريركا فى ١٧ برمودة سنة ١٣٦٢ ش و ١٦٤٦ م فى عهد السلطان محمد وهو من بهجورة من دير أنطونيوس بالعربة وكان للمعلم بشارة من أعيان القاهرة يد فى تقدمته وفى أوائل رئاسته تنافس مع المعلم بشارة مدة طويلة ولم تكد تنتهى هذه المنافسة حتى لاقى صعوبة أخرى وذلك أنه أصدر امرا يمنع فيه الرهبان من التجول فى البلاد فتعصبوا عليه وشكوه للوالى فقبض عليه والقاء فى السجن ولم يخرج منه حتى وقع فى غرامة جسيمة ولم يسترح بعد خروجه من السجن حتى تنيح فى ٧ برمودة سنة ١٣٧٢ ش و ١٦٥٦ م بعد ان قضى على الكرسي مدة عشر سنين

(٥) متأوس ٤ — البطريرك المائة والثانى :

كان يدعى أولا جرجس وهو من ناحية مير وترهب بوادى النطرون بدير البرموس واشتهر بالتقى والعلم والورع وانتخب للبطريركية وأرسلت الجماعة تطلبه فامتنع فقام حزب من المصريين ورغبوا فى تعيين خلفه فلما لم يتم لهم أحضر المنتخب الاون بواسطة الدولة وحضر الاثنان وعملت بينهما القرعة فى الكنيسة وفى دار الولاية وفى الجهتين جاءت النتيجة باسم جرجس المنتخب أولا فاقم بطريركا فى آخر هاتور ١٣٧٧ ش و ١٦٦١ م فى عهد السلطان محمد

واستمر هذا البطريرك فى الرئاسة اربع عشرة سنة وثمانية أشهر ونصفا وقاسى شدائد مختلفة وعاش حتى رأى السلام ناشرا ألويته ووقع فى عهده سنة ١٣٨٧ ش فناء عظيم سمي الموت الحارق وارسل مطرانين للحبشة شنوده وخير وستودولوا . وكان هذا البطريرك آخر من سكن من

البطاركة فى حارة زويلة ومن بعده أنتقل مركز البطاركة الى حارة الروم وتوفى فى ١٦ مسرى سنة ١٣٩١ ش ١٦٧٥ م ودفن بدير مركور يوس وخلا الكرسي بعده سبعة أشهر

(٦) يوحنا ١٦ — البطريرك المائة والثالث :

كرس بطريركا فى ١٢ برمهات سنة ١٣٩٢ ش ١٦٧٦ م فى عهد السلطان محمد . وكان يدعى أولا ابراهيم بن المغربى وهو من طوخ دلکه وترهب بدير أنطونيوس . وفى أثناء رئاسته طاف الوجه القبلى والبحرى مفتقدا أحوال المسيحيين وزار القدس وكان فى صحبته رجل من أكابر النصارى يدعى جرجس الطوخى وقد ساعده هذا الرجل على عمارة ما دثر من الكنائس والاديرة خصوصا دير القديس بولا الذى كان قد تخرب من اعوام مديدة فعمره هذا البطريرك وأعاد اليه الرهبان بعد أن بقى خاليا منهم مائة سنة وبنى دار البطريركية فى حارة الروم وارسل المعلم لطف الله الى السلطان بهدايا لرفع جزية المال عن حارة الروم . وكرس الميرون المقدس سنة ١٤١٩ ش

وكان هذا البطريرك ممدوح الخصال محسنا للفقراء والمحتاجين فاتحا داره لاستقبال الغرباء والمنقطعين وكانت أكثر ايامه شدايد ومصائب متراكمة كادت تتعطل بسببها شعائر الدين لولا عناية الله . وبعد أن قضى بطريركا ٤٢ سنة وثلاثة أشهر توفى فى ١٠ بؤونه سنة ١٤٣٤ ش ١٧١٨ م وخلا كرسي البطريركية بعده شهرين وخمسة ايام

وفى أيام هذا البابا حضر لمصر سنة ١٦٩٢ م قنصل فرنساوى يدعى موليه وكتب كتابا عن مصر قال فيه عن الاقباط « انهم اقل جهلا وغشومة ولكنهم متشبثون بما يحسبه غيرهم هرطقة » واورد شاهدا على ذلك قوله « ان المرسلين اللاتين مع ما كانوا عليه من المهارة والجدارة لم يستطيعوا ان يجذبوا اليهم واحدا منهم رغما عن طول بقائهم بينهم وعمل كل ما فى وسعهم لاقتناعهم »

ومما قاله أيضا « انه لما لم يقو المرسلون على اجتذاب القبط اليهم بالاقناع دبروا حيلة أخرى فصاروا يوزعون صدقات نقدية على من يحضر منهم الى كنيستهم فالتجأ اليهم جم غفير من الفقراء ولما استبدل رئيس الدير بغيره الغى التصديق بهذه الكيفية ولذلك لم يعد من الفقراء من يقرب كنيسة الافرنج »

ومما رواه عن شدة تمسك الاقباط بعقيدتهم هو « ان لويس الرابع عشر ملك فرنسا طلب منه ان ينتخب ثلاثة من شبان الاقباط الاذكياء من عائلات طيبة ويرسلهم الى فرنسا ليتعلموا على نفقة الحكومة الفرنسية فلم يرض أغنياء الاقباط أو فقراؤهم ان يسلموهم أولادهم خوفا من ان يغيروا معتقدهم . وكان المرسلون اللاتين قد فتحو مدارس لتعليم الشبان فبمجرد اشاعة الخبر منع الاقباط أولادهم عنها فاصبحت خاوية خالية ولم يبق مع الكاثوليك سوى بضعة أنفار وهم الذين أخذوهم من والديهم وهم أطفال من أولاد الفقراء وربوهم منذ نشأتهم على المعتقد

الكاثوليكي غير ان هذه الطريقة التي عمدوا اليها لم تنجح أيضا فان كثيرين من أولاد الاقباط الذين علموهم في رومية عندما عادوا الى أوطانهم شق عليهم ترك معتقدتهم الاصلية فرجعوا اليه مرة ثانية . فضلا عن ذلك فانه لما أدرك الاقباط ان المرسلين الكاثوليك لا يأخذون أولادهم لتعليمهم شفقة عليهم بل ليلقنوهم المعتقد الكاثوليكي أمتنعوا عن تقديم أولادهم لهم حتى الفقراء منهم » وقال المسيو موليه ايضا « وحتى الذين كانوا يتضورون جوعا وكنا نعطيهم طعاما أمتنعوا عن المجيء الينا خوفا من أن نكتلكهم »

وكان بعض الاقباط التابعين لاسقف رومية قد غشوه بان بطريك الاقباط أظهر رضاه عن مدارس الايطاليين وأمر أبناء رعيته بتعليم أولادهم فيها فلما اطلع موليه على الحقيقة أفهمه بان البطريرك لم يكن يعترف باعمال ووجود المرسلين الايطاليين بل كان يفرض عدم وجودهم بالمرّة في البلاد

ولما رأى اللاتين عدم نجاح مساعيهم في مصر حولوا التفاتهم مرة أخرى للحبشة . فبعد ان ارسلوا ثلاث ارساليات آخر واحدة منها ارسلت في سنة ١٧٠٦ م ارسلوا بايعاز لويس التاسع عشر ملك فرنسا طبيبا للحبشة يدعى دي رول ليدير بحسن سياسته مع ملكها تمهيد الطريق لليسوعيين لقبولهم فيها وكان مع دي رول ترجمان سورى يسمى ايلياس فلما وصلا الى سنار قبض عليها الحاكم وحجز عنده الطبيب وأطلق سراح الترجمان لكي يذهب للملك و يطلب منه السماح بدخولهما الى بلاده فرد عليه ملك الحبشة بانه اذا كان قادما بصفة سائح فلا بائس من ترك الحرية له ليدخل بلاده واما اذا كان من اليسوعيين فلا بد من منع المجيء الى الحبشة . الا ان السلطان سنار بعدما أطلع على خطاب ملك الحبشة داخله ريب من جهة دي رول فبعد ان حجزه عنده ثلاثة أشهر قتله

القسم الثانى مشاهير الكنيسة

أبو ذقن

ظهر فى أواسط هذا القرن رجل قبطى من أهل الوجهة والفضل يكنى بابى ذقن المنوفى . وضع كتابا باللغة العربية شرح فيه حال الاقباط فى ذلك العصر وعوائدهم وأفرد بابا مخصوصا للدفاع عن معتقد الكنيسة القبطية ومقابلة حالتهم الدينية بحال الكاثوليك الرومانيين ملتزما فى اقواله وعباراته خطة الادب وخلو الغرض وعدم التحاشى فى تفضيل بعض الامور والعوائد الدينية الجارية بين الكاثوليك على غيرها مما هو جار بين الاقباط

ويقول العارفون ان هذا الكتاب الجليل يوجد باحدى مكتبات اكسفورد ببلاد الانجليز وقد ترجم الى اللغة العربية ونشر بتلك المدينة فى سنة ١٦٧٥ م وترجمه ايضا ونشره باللغة الانجليزية السرسادير سنة ١٦٩٣ م

ويقول ابو ذقن ان أعضاء الكنيسة القبطية مشهورون فى كل ممالك العالم بلقب ممتاز وهو (مسيحيو الحزام)

« وما جاء فى ذلك الكتاب عن الاقباط انهم اكتسبوا فى ذلك الزمان بحسن خداماتهم وصداقتهم ثقة المسلمين بهم فعززوهم وساووهم بالروم والافرنج وان معظم الصنائع كانت فى ايديهم وكانت تدرس فى مدارسهم اللغات العربية والقبطية والحساب والجغرافيا والدين . وقال ومع ان شبان الافرنج اكثر علما من شبان الاقباط الا ان هؤلاء اكثر زهدا واكل شراهة فى المأكول والمشرب من أولئك وذكر ابو ذقن انه عندما يريد احد الاقباط ان يذهب الى القدس يلتزم بدفع جزيتين للاتراك الاولى عندما ينوى السفر وقيمتها ثمانية ريالات والثانية وقيمتها اربعة يدفعها غالبا عند دخوله المدينة المقدسة

القسم الثالث المملكة والكنيسة

(١) حالة الاقباط بوجه عام

(٢) مصير اللغة القبطية

(٣) حالة المسيحيين فى النوبة والخمس المدن الغربية

(١) حالة الاقباط بوجه عام :

جار ملوك آل عثمان على المصريين وغالبا لم يميزوا ما بين قبطى ومسلم حتى كثر حدوث الثورات فكان يقع فى خلالها طبعا البلاء بكثيرون من الاقباط ولما كثر الانقسام بين الممالك كان العرب يهجمون على البلاد و ينهبون البيوت و يقتلون الرجال و يسبون النساء .. وانتهزوا هذه الفرصة مرة فهجموا على مدينة اخيم فى الوجه القبلى وكان معظم سكانها من النصارى اهل الكد والعمل ونهبوها وخربوها وقتلوا كثيرا من أهلها

الا ان الاقباط على كل حال عاشوا تلك المدة مع مواطنيهم المسلمين فى حال أفضل مما مضى واشتركوا معا فى مر العيش وحلوه غير انهم كانوا يزيدون عنهم فى دفع الجزية التى صارت تسمى بالجالية أو الجوالى وأستعملوا الجور فى تحصيلها منهم

(٢) مصير اللغة القبطية :

اما اللغة القبطية فكانت قد تلاشت بالمرّة الا ان المقر يزى يذكر ان الرهبان لبثوا يتكلمون بهال لغاية القرن الخامس عشر وان بعض النساء والاطفال فى الصعيد ورهبان الاديرة الكائنة حول اسيوط واهل درنكة من كبيرهم الى صغيرهم كانوا يتكلمون بها فى ذلك العصر . وذكر ايضا فانسليب العالم الذى زار مصر سنة ١٦٧٢ م انه وجد بين الاقباط من يتكلم بلغته الاصلية . ولما وفد نابليون امبراطور فرنسا واحتل مصر سنة ١٧٩٨ م طلب أن يسمع من يتكلم باللغة القبطية فجاء له قبطى من الصعيد يجيدها ولم ينازعه فى هذا الامتياز سوى امرأة عجوز

(٣) حالة المسيحية فى النوبة وفى الخمس المدن الغربية :

وكان ولاية مملكة النوبة حتى القرن السادس عشر مسيحيين خاضعين لسلطان مصر يدفعون له الخراج ولكنه بعد الفتح العثمانى أخذت الحكومة المسيحية تسقط فى النوبة وقامت مكانها حكومة اسلامية اجتهدت فى محو النصرانية من تلك البلاد فكثّر عدد المستشهدين واسلم كثير من

ومن خلص من الموت صار فى عبائده كالمسلم سواء وهكذا اهل امر الدين المسيحى و بطل من تلك البلاد . ولا يبعد انه فى ذلك الحين الزم مسيحيو الواحات باعتناق الاسلامية فقلبت كنائسهم مساجد

القرن الثامن عشر

القسم الاول

تاريخ البطارقة

(١) بطرس ٦	(٢) يوحنا ١٧	(٣) مرقس ٧
(٤) يوحنا ١٨	(٥) مرقس ٨	

(١) بطرس ٦ — البطريرك المائة والرابع :

أقيم بطريركا في ١٥ مسرى سنة ١٤٣٤ ش و ١٧١٨ م في عهد السلطان احمد . وكان أولا يدعى مرجان وهو من مدينة اسيوط أقيم قسيسا على دير القديس بولا وفي مدة رئاسته حاز مقاما ساميا لدى أولى الامر فتمكن من ان يطوف الوجه البحرى والقبلى لتفقد احوال قومه . وكان شديد المحافظة على شعبه مانعا لهم كل ما يحرمه الدين المسيحى من جهة الزواج أو الطلاق ونحو ذلك واجتمع بالسنجق ابن أيواز وغيره من المتكلمين بسبب ان شرذمة حاولت أن تبيح الطلاق لاية علة ولغير علة وجرت له معهم خطوب فيما يختص بحدود مذهبه فافتى له العلماء وصدر له فرمان من الوزير المتولى باقراره على قانون مذهبه ومنع التعرض له فى ذلك وصار الكهنة لا يعقدون زواجا الا على يده فى قلايته بسبب أن قس طلق امراته وتزوج غيرها وهذا البابا أخفى رأس القديس مرقس . وفى أيامه طلبت الحبشة مطرانا لها فرسم أسقف القدس مطرانا وارسله لها

واستمر فى الرئاسة سبع سنوات وستة أشهر وأياما وتوفى فى ٢٦ برمهات سنة ١٤٤٢ ش ١٧٢٦ م وخلا منصب البطريركية بعده تسعة أشهر

(٢) يوحنا ١٧ — البطريرك المائة والخامس :

أقيم بطريركا فى ٦ طوبه سنة ١٤٤٣ ش و ١٧٢٧ م فى أواخر مدة السلطان أحمد . كان يدعى أولا عبد السيد وهو من ملوى وترهب بدير القديس بولا وعند رسامته منع عادة أستلام الصليب من يد السلف ميتا لانه فزع منه . وفى أثناء بطريركته أنشاء كنيستين فى دبرى أنطونيوس وبولا بمساعدة الشهير جرجس السروجى أمير قومه بوقته

وفى سنة ١٧٤٣ م أنفذ امبراطور الحبشة من قبله وفدا للبابا يوحنا عقب وفاة خيرستوذولو

مطران الحبشة يطلب منه ان يعين بدله . وكان الوفد مؤلفا من ثلاثة اشخاص احدهم قبطى يدعى جرجس والاخران حبشيان اسم احدهما تاووضروس والثانى ليكانيوس ولما وصلوا الى مصوع قبض عليهم حاكمها وسلب نصف النقود التى كانت معهم واكرههم على الاسلام فاخفى القبطى واطاعه ليكانيوس واعتنق الاسلام أما وضروس فرشى بالمال وتمكن من الوصول للقاهرة وطلب من البطريرك رسامة مطران لبلاده فاجيب الى طلبه ورسم المطران سنة ١٧٤٥ م وعاد به ولكنها صادفا فى مصوع ما صادفه الوفد الاول فالقيا فى السجن غير ان تاووضروس تمكن بحيله من ان يسهل سبيل المطران للفرار وبقي هوحتى طلب مالا من بلاده دفعه فدية عن نفسه

وفى ايام البابا يوحنا اشتد الكرب على المسيحيين وضربت عليهم غرامة فادحة لم يعف منها أحد وبيعت بسبب هذه الغرامة الجواهر الكريمة بابخس الاثمان والزم بهذه الغرامة القسوس والرهبان والصبيان والفقراء وارغم البطريرك بدفعها عن القسوس وخدام الدين وحدثت زلزلة هائلة دمرت أماكن كثيرة وأبادت بلادا عن آخرها

وفى أيامه ايضا تمكن المرسلون الكاثوليك فى تسعة مراكز جنوب القاهرة وهى أنتينوا وأسيوط وأبوتيج وصدفا وأخيم وجرجا والاقصر وأسوان وفى دير النوبة ايضا . وفى سنة ١٧٣١ م ارسل اكليمنص الثانى عشر اسقف رومية يحض رؤساء ارسالياته على بذل آخر مجهوداتهم ليتمكنوا من ارسال بعض اولاد الاقباط ليتعلموا فى رومية فلم يتمكنوا بأية طريقة ولم يجدهم ما وجهوه الى الاقباط من التهديد والوعيد

فكتب أسقف رومية المذكور الى البابا يوحنا عن يد الكردينال بلوجا أحد المرسلين الكاثوليك يطلب منه ان يقبل هو وكنيسته الخضوع لسلطانه ولكن هذه المخابرات أنتهت نظير غيرها بلا ثمرة . ولما تولى بنديكتس الرابع عشر على الكرسي الرومانى أنكر قول كل قائل بوجود اتحاد بين الاقباط وبين كنيسته وقفل باب المخابرات الودية التى أستمريت جارية بين اساقفة رومية وبطاركة الاسكندرية ولكن بدون فائدة . وكان بمدينة القدس قس قبطى كاثوليكي يدعى اثناسيوس فرسمه مطرانا سنة ١٧٤١ م على مصر غير انه لم يحضر اليها بل بقى كل أيام حياته باورشليم . وكان النائب عنه فى مصر قس يسمى يسطس المراغلى . وكان يوجد حينئذ سباب قبطى أسمه روفائيل الطوخى من أهالى جرجا أخذه الكاثوليك بالقوة حينما كان صغيرا وارسلوه لدرس اللاهوت فى رومية وبعد اتمام دراسته عينه الاسقف الرومانى اسقفا على ارسينوثم استدعاه اليه ثانية ليساعده فى تأليف كتب باللغة القبطية وتنقيح كتب الطقوس الكنيسة .

وفى السنين الاخيرة من القرن الثامن عشر تمكن الكاثوليك من استمالة اسقف جرجا القبطى الى مذهبهم ولكن لهرطقته حرم من الكنيسة القبطية حتى نقم عليه الاسلام أيضا ففر هاربا الى رومية وعاش فيها حتى مات سنة ١٨٠٧ م

ونشأ عن انضمام بعض الافراد من الامة القبطية نشوذا بين افراد العائلات وانقسام بسبب التركات والزواج فاشتكى كبار الكتاب لمخدومهم الامراء من سوء تصرف قسوس اللاتين وتعديهم على حقوق بطريركهم . فعقد لذلك مجلس بحضورهم وحضور البطريرك وقسيس اللاتين بالمحكمة الكبرى الشرعية وبعد سماع اقوال المشتكين واحتجاج المشتكى عليهم تقرر التصريح لبطريرك الاقباط باستعمال السلطة الدينية على أبناء أمته والتصرف فيهم بما توجهه قوانينه المرعية وعدم التعرض له أو التعدي على حقوقه وتحررت بذلك حجة من المحكمة وسلمت ليد البطريرك . وقد عثر على هذه الحجة صاحب جريدة مصر ونشرها وهذه صورتها :—

صورة حجة شرعية صادرة من المحكمة الكبرى بمصر المحمية بتاريخ غرة محرم سنة ١١٥١ هـ

وهو أنه بمصر المحروسة لدى سيدنا ومولانا الاخ ابراهيم بك الدفتردار بمصر المحروسة حالا (هنا اسماء الامراء الذين بهم أنعقدت الجلسة) بعد أن رفع كل من المعلم رزق الله ولد الذمي ابراهيم بدرى النصرانى اليعقوبى بخدمة ميراللو الامير ابراهيم بك الدفتردار بمصر المحروسة حالا (وهنا أسماء الاقباط الارثوذكس الذين رفعوا الشكوى للمحكمة من جور المرسلين الكاثوليك وعددهم أربعة وعشرون شخصا) وغيرهم من النصارى اليعاقبة القبطية والقسيسين والرهبان يشتكون من أن جماعة من النصارى اليعاقبة القبطية مخالفون لملتهم و بطريركهم والقسيسين ورهبان اليعاقبة وان المخالفين المرقومين يريدون الذهاب الى الافرنج الغير قبطيين ليدخلوا فى ملتهم لعدم دفع الجزية وان المعلم يوحنا بطريرك النصارى اليعاقبة القبطية ينهى الجماعة القبطيين المرقومين عن ذلك مرارا فلم ينتهوا ولم يسمعوا لقوله وان القانون المتعارف بينهم أن كل من خالف كلام بطريركهم يكون مغضوبا عليه و يلزم الادب اللائق بحاله وان حصل التوافق والتراضى بين طائفة النصارى اليعاقبة القبطية المرقومية وكبيرهم ان كل من خالف ملتة وكان قبطى وانتقل من ملة القبطيين الى ملة الافرنج وثبت ذلك عليه بالوجه الشرعى يكون على الامراء الصناجقة وأغوات البلكات وكخدا البلكات واختيارياتهم الخروج من عهدة من ينتقل من النصارى اليعاقبة القبطية المرقومين الى ملة الافرنج الخروج من حقه وتأديبه بما يليق بحالة زجره ولا مثاله باعتراف كل من طائفة النصارى اليعاقبة القبطية المرقومين الاعتراف المرعى كما التوافق والتراضى المرعيين ولما تم الحال على هذا المنوال كتب ذلك ضبطا للواقع ليراجع به عند الاحتياج اليه والاحتجاج به وعلى ما جرى وقع التحرير

فى غرة محرم الحرام افتتاح سنة احدى وخمسين ومائة والى الف .

محمد عبد الرازق ، محمد على حنفى ، على عبد النبى ، محمد فواكه ، محمد خلاف ،

حسن على احمد

وقد وقفنا ايضا على صورة رسالة نشرها المندوب الباباوى بالقطر المصرى على جماعة

الكاثوليك الذين كانوا كلهم بالوجه القبلى وذلك تنفيذاً للمعاهدة التى تمت بينه وبين بطريرك
الاقباط سنة ١٧٩٤ م عند معتمد دولة النمسا وفيها يوصى الاقباط المتكثلكين بمدن جرجا واخيم
وفرشوط ونقادة بذلك الاتفاق الذى عقد بينه بصفته كيرلس رئيس عام رهبان المرسلين الكاثوليك
والخواجة كركور وشتى قنصل النمسا والاب أكلمنضس رئيس عام سابقا وبين البطريرك أنبا يؤنس
والمعلم ابراهيم الجوهري والمعلم جرجس أخيه رؤساء طائفة الاقباط بمصر. وكان الاتفاق على
ما يأتى

- (١) المتزوجون من الفريقين لهم حرية اختيار الصلاة بآية كنيسة أرادوا قبطية كانت أو
كاثوليكية
- (٢) من الان فصاعد لا ينبغي أن يتزوج الاقباط من الكاثوليك ولا الكاثوليك من الاقباط
- (٣) لا يدخل قسوس الكاثوليك بيوت الارثوذكس ليكرزوا لهم ولا قسوس الارثوذكس بيوت
الكاثوليك
- (٤) لا ينبغي ارغام أى أحد ليصلى بكنيسة معينة بل يترك لكل واحد حق اختيار الكنيسة
التي يحب
- (٥) لا يصح فيما بعد اذا حدث خلاف ان يرفع الامر الى رجال الحكومة بل الى الرؤساء من
الكنيستين ولهم حق مقاصة المعتدى. أهـ. تحرير فى ٣ شهر يانوارنوس سنة ١٧٩٤ م

ولما بلغ السلطان ان قدم الارساليات الكاثوليكية أخذت تثبت فى مصر خشى امتداد
سطوة الاجانب فى بلاده فكاتب بطريرك الكنيسة اليونانية وطلب منه ان يحذر جميع أفراد رعيته من
ولوج معابد الكاثوليك. وكان معظم الذين أعتنقوا المذهب الكاثوليكي من السوريين الذين أرادوا
ان يحتموا بالمذهب من تعدى المسلمين عليهم. وجعل السلطان غرامة الف كيس على الذين
يذهبون لمعابد المرسلين اليسوعيين فجمع السوريون هذا المبلغ وسلموه للسلطان وفيما بعد قبض أحد
امراء المماليك على اربعة من المرسلين اللاتين ولم يفرج عنهم الا بعد ان دفعوا غرامة فادحة

أما البابا يوحنا فاستمر فى كرسي البطريركية ثمانى عشرة سنة وبعض أشهر وتوفى فى
٢٣ برمودة سنة ١٤٦١ ش ١٧٤٥ م وخلا منصب البطريركية بعده شهرا واحدا

(٣) مرقس ٧ — البطريرك المائة والسادس :

أقيم بطريركا فى ٢٤ بشنس سنة ١٤٦١ ش ١٧٤٥ م فى عهد السلطان محمود وكان
يدعى سمعان من قلوصنا ترهب فى دير القديس بولا وكان طلق اللسان حسن الصوت محسنا
ممدوح السيرة محبوبا فى قومه حتى شهبوه بالملائكة واستمر فى البطريركية ٢٤ سنة وتوفى فى ١٢

بشنس سنة ١٤٨٥ ش و ١٧٦٩ م ومات بدير السيدة العذراء بالعدوية ودفن بجارة البطريرك بابي سيفين وخلا منصب البطريركية بعده خمسة أشهر وثلاثة أيام

(٤) يوحنا ١٨ - البطريرك المائة والسابع :

أقيم بطريركا في ١٥ بابة سنة ١٤٨٦ ش و ١٧٧٠ م في عهد السلطان مصطفى وكان أولا يدعى يوسف من الفيوم وترهب بدير القديس أنطونيوس . وفي اثناء رئاسته نالته شذائد من مأموري الاحكام لاسيا من حسن باشا القائد التركي الذي أمر بضبط خزينته واخذ أمواله واختفى من الظلم واشترك مع المعلم ابراهيم الجوهرى الشهير فى تعمير أديرة وكنائس كثيرة . وفى أيامه كرس الميرون .

وسعى الكاثوليك لاجتذاب الكنائس الشرقية وعلى الاخص كنيسة مصر فنشروا لذلك كتاب « اعمال مجمع خلکیدون » ووزعوه فى البلاد الشرقية ثم ارسلوا مندوبا من قبلهم الى البابا يوحنا يحمل رسالة من اسقف رومية يدعوه فيها الى الاتحاد معه فسلم الرسالة للانبا يوساب الابح أسقف جرجا وكله بالرد عليها وفندها (١) اما نسخ كتاب « أعمال مجمع خلکیدون » فقد وجدت مثبتة لدعوى الكنيسة القبطية فندم الاسقف الرومانى على نشر ذلك الكتاب وجمع ما تمكن من جمعه وحرقه وانفق أموالا كثيرة فى ذلك

واستمر البابا يوحنا على كرسيه ٢٦ سنة وسبعة أشهر و ١٧ يوما وتوفى فى ٢ بؤونة سنة ١٥١٢ ش و ١٧٩٦ م وخلا منصب البطريركية بعده نحو أربعة أشهر

(١) كان هذا الاب عالما متضلعا فى العلوم اللاهوتية فدافع عن كنيسته ضد تهجم الباباوين دفاعا مجيدا وله كتاب ثمين فى ذلك يدعى « سلاح المؤمنين » محفوظة منه فى الدار البطريركية نسختان تاريخ أحديهما ٢٦ برمهاة سنة ١٥٦٧ ش . وله كتاب آخر اسمه « الادراج » لأنبا يونس ال ١٧ أهتم به الانبا يوساب تاريخ كتابته ١٩ مسرى سنة ١٥٤٥ ش وهو فى الشؤون الدينية الداخلية .

(٥) مرقس ٨ — البطريرك المائة والثامن :

ولد فى بلدة طما بمديرية جرجا فى أواسط الجيل الثامن عشر ودعى يوحنا وتربى التربية المعتادة وقتئذ ونما ميالا لعيشة النسك والتعب فترهب بدير أنطونيوس وبعد ذلك أقام بالدار البطريركية مع البابا يوحنا ال ١٨ وشاهد ما حل بهذا البطريرك من الويلات . وبعد وفاة البابا يوحنا اختير بموافقة الاساقفة الى منصب البطريركية وكان بعضهم يرشحون انفسهم لهذه الوظيفة فعول الاساقفة على جعل الانتخاب بواسطة القرعة الهيكلية فوقعت القرعة على الاب يوحنا فتمموا رسامته فى كنيسة العذراء بحارة الروم فى يوم الاحد ٢٨ توت سنة ١٥١٣ ش ١٧٩٧ م فى عهد السلطان سليم الثالث . وفى أوائل مدته أتى أمير الجيوش الفرنساوية نابوليون الى الديار المصرية ومكث الفرنساويون بها ثلاث سنوات ثم رحلوا من مصر وعاد الحكم للدولة العثمانية وشاهد هذا البابا أول حكم محمد على باشا الخديوى الكبير

وفى ايام هذا البابا نكب المسيحيون بسبب دخول الفرنساويين مصر وقاسى هو ذاته مصائب عديدة بسببها نقل مركز البطريركية من حارة الروم الى الازبكية بالدرب الواسع وقد روى لنا مؤلف كتاب نوابغ الاقباط ومشاهيرهم تفصيل ذلك نقلا عن كتاب « عمل الميرون المقدس » فى ايام البابا بطرس السابع المحفوظ بالدار البطريركية قال : — « فى ايام الانبا مرقس ال ١٠٨ حرقت الكنيستان العليا والسفلى بحارة الروم وكان الميرون الذى عمله سلفه موضوعا فى موضع واحد بأعلى دهليز الكنيسة السفلى فحرق وكان باقيا من هذا الدهن المقدس فى بعض الكنائس بمصر القديمة الذى عمل من ايام البابا متاؤس الثانى ومن ايام البابا يوحنا ال ١٦ . وقبل حرق الكنيسة بثمانى سنوات فى رياسة البابا مرقس أنتقلت القلاية البطريركية من حارة الروم الى حارة الازبكية فى سنة ١٥١٥ ش والسبب فى ذلك لما دخل الفرنسيين مصر حصل للنصارى الاقباط اهانة عظيمة بسببهم وقاسى من جراء ذلك البابا مرقس كثيرا فانتقل الى الازبكية فى مواضع كان بناها المعلم ابراهيم الجوهري قبل وفاته

وسبب بناء هذه الكنائس التى اقام بها البطريرك ان المعلم ابراهيم تحصل على فرمان ببناء الكنيسة وأودعه بالقلاية فى مدة البابا يوحنا ال ١٨ وبعد ذلك اشترى محلات وهدمها وابتدأ بوضع اساساتها وبجوارها اماكن اقام فيها الانبا مرقس وكيفية حصول المعلم ابراهيم على ذلك فرمان هو انه اتفق له ان احدى قريبات السلطان المحترمت ولعلها أخت السلطان كامل قدمت من القسطنطينية الى مصر قاصدة الحج ولكونه متقدما فى الحكم تقدما مشهورا باشر بنفسه اداء الخدمات الواجبة لمثلها فى الذهاب والعودة وقدم لها الهدايا اللائقة لرفع مقامها فأرادت مكافأته على خدمته التى أبدأها وسألته عن مرغوباته فالتمس منها المساعدة فى اصدار فرمان سلطاني بالرخصة فى أنشاء كنيسة بالازبكية حيث مستقر سكنه والتمس منها أشياء أخرى لرفع الجزية عن الرهبان الى غير ذلك فقبل رجاءه بالاجابة ولكنه توفى قبل ان يتم البناء فقام به اخوه المعلم جرجس

وبعد دخول الفرنسيين بثمانية عشر شهرا حصلت حرب بينها وبين العثمانيين الذين بالقاهرة مدة ٣٤ يوما في صوم الاربعين المقدسة فعمل البابا مرقس جمعة البصخة وعيد القيامة في منظرة الحوش بجوار الكنيسة لانه لم يقدر احد على الخروج منها أو الدخول اليها وحرقت فيها محلات عظيمة وحصل نهب وكانت شدة عظيمة وقاموا بالثغر وهدموا دير مار مرقس الانجيلي الذي بظاهر الثغر وقد مكث الفرنسيين ثلاثين شهرا وبعثوا رضى الله بخروجهم ثم ببناء الكنيسة التي اهتم بها المعلم ابراهيم الجوهري وفي يوم الاحد ١٥ توت سنة ١٥١٧ ش كرسها البابا مرقس على اسم مار مرقس عوضا عن الدير الذي هدمه الفرنسيين بثر الاسكندرية وقد اضاف اليها محلات « أه وقد شيدت الكنيسة بملك المعلمين يعقوب وملطى حيث الان الكنيسة الصغرى بالبطريركية

وكانت تقوى هذا البابا مقرونة بالعلم الصحيح وقد وضع جملة مواعظ لتقرأ في الكنيسة اشبه بقوانين لاصلاح خلل النظام في أوقات الصلاة فنما عظة عن الذين يتكلمون في الكنيسة بغير أدب وأخرى عن دورة الفقراء في الكنيسة ومما قاله فيها « انا أسالكم بلى المسيح وتواضعه ان تبطل دورة الاطباق ولا يدور الفقراء فالاطباق يقفون بها في الخورس التحتاني وذلك في وقت التسريح ومثل ذلك الفقراء بجانبهم بأدب ووقار» وغير ذلك من الرسائل في مواضع دينية ومما عثر عليه من رسائله رسالة تعزية الى أنسان كان في شدة وخلص منها يقول فيها « ان الكتب الشرعية يا ابني الحبيب عزى الله قلبك بعزاء الروح القدس المعزى تدعوننا الى تعزية بعضنا بعضا والعقل والادب والمحبة والعادة مجمعة على ذلك فقد صار مستحبا وفرضا وما هذا الا لان المباشر بذاته الالم والحزن قد يعدم الرأي الصائب عند حلول المصائب أو ينسى الامر الواجب لاستيلاء الاكثاب عليه فيحتاج الى من يذكره . لذلك كتبت اليك « أه

وقد روى عن هذا البابا انه كان شديد الاهتمام بأمر الكنائس والاديرة واصلاح المتخرب منها . وكان مقدرا لمنفعة الوعظ فتأبر على القاء المواعظ بنفسه ولم ينقطع عن تعليم شعبه في وقت من الاوقات . وقد رسم جملة اساقفة ومن جملة من رسم مطرانا للحبشة وذلك على أثر مجيء بعض الرهبان والكهنة ومعهم جواب من ملك الحبشة الجديد يطلب فيه منه ان يرسم لهم مطرانا عوضا عن انبا يوساب فرسم واحدا يدعى مكار يوس وارسله مع الكهنة سنة ١٥٢١ ش وأصبحهم بكتب تعليم ومواعظ لانه سمع ان بعضهم صاروا هراطقة فبعث يهنئ الملك وعظماء الدولة و يثبتهم في الامانة المستقيمة

واشتهر هذا البابا بعمل الخير والاحسان . . وقيل في وصفه انه كان قصير القامة شديد التقشف كثير الهموم مصفرا بسيطا في أكله وملابسه . واستمر في الرئاسة ثلاث عشرة سنة وشهرين وستة عشر يوما وتوفي في ١٣ كيهك سنة ١٥٢٦ ش و ١٨١٠ م وهو أول من قبر من

الباباوات بالكنيسة البطريركية بالازبكية فى الجهة القبلىة للكنيسة الكبرى بجوار المذبح فى الكنيسة الصغرى التى كرسها هو على اسم القديس استفانوس رئيس الشمامسة وكان دفنه فى يوم ١٤ كيهك كما كتب خلفه البابا بطرس السابع

القسم الثانى مشاهير الكنيسة

- (١) المعلم رزق (٢) المعلم ابراهيم الجوهري
(٣) المعلم جرجس الجوهري
(٤) الامير يعقوب والمعلم ملطى ومهاجرة شبان الاقباط لفرنسا
(٥) المعلم ملطى (٦) المعلم انطون ابوطاكية

(١) المعلم رزق :

كان سكرتير الضربخانة المصرية فرقاها على بك الكبير عظيم الممالك الى مدير حساباتها .
وكان للمعلم رزق دراية بالعلوم ولاسيا علم الفلك وكان مسموع الكلمة عند على بك و يعول عليه
فى سائر الامور . ولما زار مصر المستربروس السائح الانجليزى سنة ١٧٦٨ م ساعده المعلم رزق على
انجاز مهمته فسر منه وقدم له هدايا نفيسة فلم يقبلها بل ردها وارسل له مثلها

وكان بدمياط تاجر مشهور يسمى الحاج عمر بن عبد الوهاب الطرابلسى فحصلت بينه
وبين احد تجار النصارى منازعة بالثغر انتهت بالسب واللعن فعول الحاج عمر على الانتقام من
النصرانى فأتى مصر وادعى انه سب دينه واستفتى المشايخ فأقروا على حرقه ولكن كبار كتاب
الاقباط سعوا حتى استصדרوا عفوا عن النصرانى واحبطوا مساعى الحاج عمر

وفى بعد قبض على بك على الحاج عمر وسلب مقتنياته ونفاه من البلاد والجبرتى المؤرخ
المسلم ينسب نفيه الى مساعى كبار كتاب النصارى الذين كانوا موضع ثقة على بك

وفى بعد قام محمد بك أبو الذهب مملوك على بك وقتله واستقل بالرياسة فعزل المعلم رزق
من وظيفته وقيل انه قتله وأمر بإبطال استعمال النقود التى ضربت على يده فى عهد على بك
ويقال قتله

(٢) المعلم ابراهيم الجوهري :

ظهر هذا الرجل العظيم فى أواسط القرن الثامن عشر ولا يعلم كيف نشأ الا انه يعلم انه
تعلم منذ حداثة صناعة الكتابة وكان قلبه مفعما بحبة الدين والتقوى وتقلد أول وظيفة له عند أحد
الممالك وكان ينفق ربع راتبه فى الاعمال الخيرية ولاسيا نساخة الكتب وايقافها على الكنائس

فكان بين حين وآخر يأتى للبطريرك بكتاب و يسلمه له فسر منه البطريرك و باركه ودعا له بالنجاح . ولا مر ما ترك الخدمة التى كان بها واخبر البطريرك بذلك فطلب من رئيس كتبه الاقباط ان يقبله كاتباً خاصاً له فقبله و بعد حين توفى الكاتب فأقر رأى الجميع على ابراهيم ليخلفه فى مكانه لما عرف عنه من الاستقامة والنزاهة

صار ابراهيم رئيساً للكتبة و بلغ اسمى رتبة كان يتطلع اليها القبطى حينئذ فبالغ فى انكار ذاته و اظهار تواضعه وعكف على صنع الخير لجميع الناس بدون تمييز بين أهل الاديان واتصل خبره بابراهيم بك، الوالى فعززه و اكرمه واختصه بثقته ولما رأى المعلم ابراهيم الفرصة سانحة امامه ليقدم خدمة لامته شرع يعمر الكنائس الخيرية و يصلح ما فيها من الخلل واشترى املاكاً كثيرة و اوقفها عليها و يوجد بدفترية البطريركية صورة ٢٣٨ حجة لتلك الاملاك التى استراها ذلك الرجل المغبوط وتنازل عنها للكنائس

وقد رزق بولد سماه يوسف وعرف اسمه من حجة وقفية أوقفها باسمه الا ان العناية الالهية شاءت انتقال ابنه الى الديار الابدية فتكدر خاطره عليه لانه كان وحيداً له و اعلق المكان الذى كان مخصصاً له وكسر السلم الموصل اليه حتى لا يشاهده قط

ولما اشتد ظلم الوالىين ابراهيم بك ومراد بك أنفذت اليهم المملكة العثمانية حسن قبطان باشا سنة ١١٩٩ هـ فقاتلها وانتصر عليها فهربا من وجهه الى الصعيد واضطر المعلم ابراهيم الى مرافقتها وامر حسن باشا باحصاء كل ممتلكات المعلم ابراهيم بما اوقفه على الكنائس وبسبب اختلال الاحوال وعدم ائتمان الناس على اموالهم وارواحهم اختفت زوجة المعلم ابراهيم فى بيت حسن كتحدا على بك أمين الحساب الذى كان لزوجها عليه مآثر فقبضوا عليها وارغموها على أن تخبرهم عن مخابىء زوجها فدلتهم عليها واخرجوا منها أوانى ذهب وفضة فأخذ منها ما أخذ و باع ما باع . ووشى بعضهم على مكان ابن المعلم المشار اليه فصعدوا اليه واخرجوا كل ما كان فيه من فرش وأمتعته واوانى ذهب وفضة وصينى واتوا بها الى حسن باشا فباعها بين يديه بالمزاد وكانت شيئاً كثيراً فاستغرق بيعها عدة أيام

ولما عادت الاحكام الى الاميرين مراد و ابراهيم رجعا من الصعيد فرجع معهم المعلم ابراهيم وكان هو الوحيد من كبار الاقباط الذى نجا من اضطهاد حسن وتمكن بحسن سياسته وذكائه من حفظ مركزه فى عيون المسلمين كالأقباط فارتقى ثانية الى درجة عظيمة واستأنف جهاده فى أفتقاد الكنائس والفقراء والمساكين حتى أنه لم يكن يعتبر ماله ملكاً خاصاً به بل كان يصرفه فى كل عمل خيرى وللان يوجد الكثير من الاديرة والكنائس التى شيدها كما كان مهتماً باحوال الرهبان الذين كان يرسل اليهم بدون انقطاع كل ما يحتاجون اليه ولا يزال الترمس باقياً

من تلك المؤونة فى أغلب الاديرة . وهذه الكنيسة الكبرى بالازبكية التى سعى فى تشييدها كما ذكر تنطق بفضله وتشهد بغيرته

وتروى عن المعلم ابراهيم حوادث كثيرة منها أن أخاه المعلم جرجس كان مرة تمتطيا جوادا ومارا فى احدى الطرق فأهاناه أحد المشايخ ولم يحترمه و ينزل عن الجواد لمقابلته فشقت الالهانة على المعلم جرجس وأخبره اخاه بها فأجابه « غدا أقطع لسانه » وفى اليوم الثانى استدل على منزل الشيخ وارسل له هدايا سمنا وجبنا الى غير ذلك بدون علم اخيه . فلما مر أخوه المعلم جرجس مرة أخرى على الرجل وقف له اجلالا مرحبا به ترحيبا شديدا داعيا له الامر الذى جعله فى حيرة واندهاش ولما عاد علم بما فعله شقيقه وأدرك حقيقة قوله سأقطع لك لسانه اذ حوله من البغضة الى المحبة والاكرام و بذلك تم قول الرسول « ان جاع عدوك فاطعمه وان عطش فاسقه فانك بذلك تجمع جمر نار على رأسه » (رو ١٢ : ٢٠)

و يروى ايضا ان امرأة جاءت ليلة عيد الى زوجة احد المشاهير المعلمين فى ذلك الحين (يقال انه المعلم فانوس الكبير) وشكت سوء حالها وضميها لان زوجها فى السجن وأولاده ييكون لعدم وجوده معهم فى هذا العيد وربما حكم عليه بالاعدام . فأرسلت هذه الزوجة الفاضلة كل ما تحتاجه العائلات فى الاعياد الى بيت ذلك الرجل وأرسلت تخبر أمراءته لكى تستعد بكل اللوازم لان زوجها سيكون فى بيته تلك الليلة

ولما جاء المعلم الى بيته ليلا بعد خروجه من الكنيسة لم يجده مضيئا كالعادة فاندesh لذلك لاسيما لما وجد زوجته حزينة فسأل ما الخطب الذى دهمنا وجعلك تجلسين هكذا مكتئبة فاجابته أيليق ان نفرح نحن ونبتهج وتلك العائلة حزينة باكية لسجن رجلها فان رمت ان تكون سعيدا بهذا العيد يلزمك أن تسعى فى اطلاق سراح ذلك الرجل الان فقال لها حى هو اسم الرب ليكن كما تريدین واسرع بالذهاب الى اولى الامر وتمكن من استصدار عفو عن الرجل الذى انطلق الى بيته وكان سرور عائلته به عظيما

ولما كان هذا الامر قد استغرق مدة من الليل لم يستيقظ المعلم حسب عادته باكرا ليتوجه الى منزل المعلم ابراهيم الجوهري الذى كان ينتظره ليتوجهها وصحبتهما وجود الامة لتقدم فروض المعايدة لقداسة البطريرك كالعادة فسأله الجوهري عن سبب ابطائه فأخبره بحادث الامس فأجابه الجوهري « كيف جاز لك ان تنفرد وحدك بهذا العمل الصالح وتستأثر بثوابه ولا تشركنى فيه » ثم انطلقا الى البطريرك ليفصل لهما فى الامر فقال للمعلم ابراهيم هو اطلقه من السجن وانت ساعده على ايجاد عمل وكان كذلك

وعلم مرة أن موظفا قبطيا مضى على رفته نصف سنة فسعى له على عمل واستدعاه اليه ليقيم فيه فجاءه الجواب من الرجل ان فلانا اولى بهذه الوظيفة لانه رقت قبلى بـ شهر وليس له ما ينفقه على عائلته اما انا فبحمد الله اجد ما يكفينى فكان من المعلم ابراهيم ان وطف الاثنين

وكان من عادته نظرا لكونه ناظرا لكنائس القاهرة ومصر القديمة وما يجاورها أن يخصص لكل دير أو كنيسة أوقاتا معلومة ليقتردى به باقى المعلمين فى مرة قصد دير بابلون الدرج فى يوم رفاع وبعد صلاة القداس توجه كل الى منزله الا واحد رآه المعلم ابراهيم يصعد الى التل فكلف خادمه ان يتتبعه فرآه يصلى وبعد الصلاة بحث حتى وجد وزه مية فشكر ربه وأراد النزول وكان الخادم قد سبق وروى الخبر للمعلم ابراهيم قبل نزول الرجل فاستدعاه اليه ووبخه لانه لم يكشف له حقيقة حاله وكان قد أرسل له كل ما يحتاج وأوصاه أن لا يخفى عنه أمره اذا تضايق ثانية

وقيل ان فقيرا أراد ان يمتحن سخاءه المفرط الذى وصل اليه خبره فتعقبه فى يوم من الايام من بيته الى محل شغله وكان يعترضه فى الطريق وكل مرة يقصد أن يريه أنه هو هو السائل بعينه ويلتمس منه على أسم المسيح وكان من عادته اذا سمع هذه الجملة لا يخيب رجاء قائلها مطلقا حتى بلغ عدد المرات التى طلب بها الصدقة منه وأعطاه اياها ثمانى عشرة وبعد ذلك قال له طوباك يا جوهرى الرب معك فقال له لا تتعجب أطلببنى لهذا المال المودع عندى وانا أتأخر عن السداد ما أنا الا الامين والامين لا ينبغى أن يخون

وكان من عادته فضلا عما يرسله للاديرة والكنائس أن يولم فى كل عيد وليه عزيمة للفقراء والمساكين فشعر مرة ان خدمه قصرُوا فى استكمال ما يجب لوليمة أقامها فى كنيسة القديسة بربارة بمصر القديمة فوبخهم شديدا قائلا لهم « ان هؤلاء الفقراء ضعفاء فيجب علينا ان نواسيهم ونطيب ونجبر خواطرهم الكسيرة ببعض ما نملك من نعم الله . ومخلصنا لم يأمرنا بالاهتمام بالاغنياء بل بالمساكين الذين ليس فى طاقة أيديهم أن يكافئونا عما نعمله معهم من الخير لكى يتولى هو مكافأتنا بالاجر السمائى فى اليوم الاخير»

وبالجملة فكان المعلم ابراهيم مثل السخاء والاحسان فلم يكن يخيب سائلا أتاه دون أن يميز بين انسان وآخر وفضلا عما كان يرسله سنويا من الزاد والمؤونة لجميع أديرة الرهبان ولكى يتمم الله معه القول « الذى يحبه الرب يؤدبه » أختطف منه أبنة الوحيد فحزن الرجل حزنا شديدا وأفرطت زوجته أيضا فى الحزن وألبست كل شىء فى بيتها ثياب الحداد . ولما جاء ميعاد ارسال مؤونة الاديرة قالت له امرأته كيف تهتم بالكنائس والفقراء والاديرة والله لا يحفظ لنا وحيدنا لنتمتع به فوافقها وامتنع عن ان يقدم شيئا

قيل ان القديس انطونيوس ابا الرهبان ترى لزوجة المعلم ابراهيم بشكل نورانى وعزاها

قائلا « ان الله أحب الولد ونقله اليه شابا واحب الوالد لان من ذا الذى يعرف مقاصد الله فرما افسد شهرته وعاب اسمه وذلك افضل جزاء فلا تفشلى فى عملك الذى كنت عليه من قبل وامرها ان تعزى زوجها وكان المعلم ابراهيم من يوم انتقال ولده ينام فى مكان وزوجته فى آخر فأصبح الصبح ورأى المعلم ابراهيم زوجته قد ابدلت ثيابها السوداء بثياب بيضاء وعلامات السرور بادية على وجهها فسألها ما الخبر؟ فقصت عليه حلمها فتعزى هو ايضا وشكر الله على اعمال عنايته العجيبة ومن ثم زاد فى عمل الخير والاحسان

وحدث انه كان يوما يصلى بكنيسة ابى سيفين بحارة زويلة فأرسل للقمص ابراهيم عصفور خادم كنيسة القلاية يقول له المعلم يطلب الاسراع فى الصلاة ليتمكن من اللحاق فى الديوان فرد عليه القمص بصوت مسموع « المعلم فى السماء والكنيسة لله وليست لاحد فان لم يعجبه فليبن كنيسة أخرى » أما المعلم ابراهيم فعوضا عن ان يغیظه هذا الكلام سر منه وأبتهج واستعجل ببناء كنيسة اخرى . فقال له القمص احمد الله الذى جعل غضبك فى بناء كنيسة اخرى فزادت مبراتك وحسناتك وكنت انا السبب »

ويضيق بنا المقام لو اتينا الكنائس التى شيدها والاديرة التى جددتها والاملاك التى اوقفها باسمه أو باسم أخيه جرجس أو باسم ابنه الوحيد المتوفى أو باسم بناته والكتب التى أهتم بنسجها وقدمها هبة للكنائس ولم تزل غرر مآثره موجوده فى كل جهة ومكان حتى فى مدينة القدس فكل ذلك يراه القارىء مفصلا بكتاب « نوابغ الاقباط ومشاهيرهم » الجزء الاول فليطالع من اراد التوسع ليعرف كيف ينبغى أن يكون البر وكيف ينبغى ان تكون الخدمة للصالح العام

ومات المعلم ابراهيم سنة ١٢٠٩ هـ وكان لموته رنة حزن واسى فى جميع انحاء القطر ورثاه الانبا يوساب اسقف جرجا فى كتابه « سلاح المؤمنين » بمرثية بليغة وحزن ابراهيم بك فشوهده يمشى فى جنازته وهو يأسف على فقدده اسفا عظيما

قيل انه كان من المتردين عليه فقير يقصده فى مواعيد معلومة فلما حضر وسأل عنه أخبروه بوفاته فحشى الرجل التراب على رأسه وسألهم أن يدلوه على مقبرته وهناك بكاه كثيرا حتى أخذته سنة من النوم فتراى له الفقيد الكريم وقال له أنا لى فى ذمة فلان الفلانى الزيات فى بولاق عشرة بنادقة فسلم عليه من قبلى واطلبها منه وهو يعطيها لك وتراى له كذلك على ثلاث مرات ومن ثم توجه الفقير للرجل فوجد كما قال له الا أنه لم يجسر أن يطالبه بالمبلغ ولما رآه الرجل متحيرا فسأله عن أمره فقص عليه الخبر فاعترف بالمبلغ وسلمه له

وروى أيضا أن بعض الاشرار وشوا فى ابنة المعلم ابراهيم المدعوة دميانه الى الوالى بانها تحفظ اموال ابيا التى اخذها من الحكومة فلما سئلت عن ذلك استمهلته حتى تحضر له ما طلبه ثم

طافت القاهرة تجمع الفقراء والمعوزين وأحضرتهم اليه وقالت له ان اموال ابى هى مودعة فى بطون هؤلاء فلما عرف الوالى الحقيقة صرفها وذكر والدها بالخير

و يقال أنه لىلان عائلة سريانية شهيرة بحلب تخصص أياما من السنة لرفع قداديس على أسم هذا الرجل الفاضل وسبب ذلك أن جد هذه العائلة كان تاجرا شهيرا وحاول الكاثوليك أن يجذبوه الى مذهبهم فأبى اطاعتهم ولما عجزوا عن اقناعه اغتاطوا منه ونهبوا امواله وطرده من حلب فأتى الى مصر وتعرف بالمعلم ابراهيم فأواه مدة حتى جدد ثروته وعاد الى بلده

(٣) المعلم جرجس الجوهري :

لما مات اخوه المعلم ابراهيم قلده ابراهيم بك زميل مراد بك منصبه وسار على خطته ونسج على منواله واقتدى باخيه فى كل شىء حتى نال ثقته عند جميع المصريين على اختلاف أجناسهم . وكان بين الكتبة النصارى الذين تحت أدارته رجل يسمى يوسف كساب من عائلة سورية الاصل سولت له نفسه الامارة بالسوء ان يسعى به عند مخدومه وهواذ ذاك اسماعيل بك واتهمه بما ليس فيه واذ كان المعلم جرجس محسوبا على ابراهيم بك خصم اسماعيل بك صدق كلام الواشى وغضب على المعلم جرجس وأنزله من منصبه وعينه بدله رئيسا على الدواوين وبعد مدة وجيزة ظهر لاسماعيل بك كذب يوسف المذكور وخيانتة فأمر بتغريقه فى نهر النيل واعاد المعلم جرجس الى منصبه .

ولما انتصر عساكر الفرنسيين على المماليك وعدوا الى بولاق كلف المعلم جرجس الجوهري رئيس المباشرين ان يعد هذا البيت لنزول نابوليون فيه ففرشه وجهزه ولما دخل القاهرة أقام به ومن ذاك الحين عرف نابوليون المعلم جرجس الجوهري واهداه جبة مزركشة بالقصب ليلبسها فى ايام التشريفات . ولما سافر نابوليون الى السويس لقطع شأفة أبراهيم بك استصحب معه بعض الاعيان والمديرين وفى مقدمتهم المعلم جرجس الجوهري الذى كان يعتمد عليه فى مهام الامور كما أنه رافق الفرنسيين هو وبعض اعيان الاقباط الى الوجه البحرى لتفريير الصلح بين المتقاتلين . وذكر الجبرتى انه لما احتفل الفرنسيون بأحد أعيادهم دعوا اعيان المصريين كان المعلم جرجس بينهم لابس ملابس الافتخار . ولما حدثت الثورة ضد الفرنسيين طلب المعلم جرجس وبعض اعيان الاقباط من مقدمى المسلمين الامان لانهم أنحصروا فى دورهم وهم فى وسطهم وخافوا على نهب بيوتهم اذا خرجوا فارين فارسلوا اليهم الامان وقابلوا الباشا والكاتخدا والامراء وأعانواهم بالمال واللوازم

وحدث فيما بعد انقلاب أنتهى بتولية محمد على باشا حكم مصر فنال المعلم جرجس فى عهده المركز الاول . غير أن الحظ خالفه وذلك أن محمد على باشا طالبه كثيرا بمبالغ طائلة وهو

يستعمله لعدم وجودها معه . ولما توقف عن تحصيل النقود التي كان محتاجا اليها قبض عليه ومعه بعض الاقباط بحجة انه متأخر عن دفع ما عليه من المال وحجزوا في بيت ككتخداة واقام في منصبه المعلم غالى الذى كان كاتباً عند الالفى عدو محمد على باشا

و بعد سبعة أيام أفرج عن المعلم جرجس ومن معه بشرط أن يدفع أربعة آلاف وثمانمائة كيس فدفع جزءا عظيما منه ووزع الباقي على الكتاب والصيارف ما عدا المعلم غالى وشخص آخر يدعى المعلم فيلوثاؤس وضاق بوجهه الحال فاضطر ان يبيع أفخر املاكه التي كانت بجهة الازبكية بقنطرة الدكة . و بعد ذلك خانه السعد فنزع محمد على باشا كل ما كان له وباعه بالمزاد

وقيل انه نفى الى الصعيد بأمر محمد على باشا وقيل انه هو الذى هرب من تلقاء نفسه . وقبل ذهابه جمع كل حجج املاكه وسلمها في البطريركية لتتفق من ريعها فوضعت اليد عليها وبقيت في حوزتها للان وصرح له بالعودة بعد أربع سنوات فعاد الى القاهرة في ١٣ شوال سنة ١٢٢٤ هـ وقابل الباشا فأكرمه ثم نزل بيته الذى بجارة الوندليك وكان قد فرشه له المعلم غالى وحضر على القوم ودونهم من مختلف الاجناس للسلام عليه وعاش الى ان تنيح في سنة ١٢٢٥ هـ ودفن بمصر العتيقة بدير مار جرجس ولا يزال قبره موجودا ولكنه تحرب وليس من يفكر في اصلاحه

(٤) الامير يعقوب ومهاجرة شبان الاقباط لفرنسا :—

يظهر انه كان منصرفا عن حرفة الكتابة الى اقتناء الاملاك والمتاجرة . وتعرف به الفرنسيون حال احتلالهم لمصر ولما تبينوا فيه من النشاط والحزم كلفوه بجمع الغرامة التي فرضوها على اهالى القاهرة ولما رأى الجيش الفرنسى لسوء تدبير الجنرال مينواخذ في التناقص اتفق مع الفرنسيين على تجنيد بعض شبان الاقباط فجمع من الصعيد نحو الالفين منهم فقبلهم الفرنسيون ودرّبوهم على حمل السلاح والقتال وتعلم يعقوب الحركات العسكرية وترأس الفرقة القبطية والحق بخدمة الجيش الفرنسى ومنح رتبة الجنرال (القائد) الا ان آباء الشبان الاقباط وذوى قرباهم لم يكونوا قد ألفوا هذه الخدمة فلجأوا الى الانبا مرقس ال ١٠١ ليتوسط لهم لدى الجنرال يعقوب حتى يطلق سراح أولادهم فلم يذعن له وبنى قلعة بجهة الجامع الاحمر بالازبكية وسماها قلعة يعقوب

ولما دبّرت مكيده لاغتيال الاقباط وجه يعقوب كل هم للدفاع عن اخوانه اقباط القاهرة وبدأ بهدم بعض البيوت التي خربت في الحوادث الاخيرة وبنى بانقاضها سورا عاليا منيعا حول الحى الذى جمع الاقباط فيه وشيد ابراجا فوقه داخل السور وعمل للسور بوابتين ورتب جنديين قبطيين يقفان على كل باب والسلاح على أكتافهما لمنع كل من يحاول الدخول فاصبح المكان حصينا وتمكن يعقوب من أن ينجى قومه من مذبحه مريعة

ولم يكن فى امكان يعقوب البقاء فى مصر بعد خروج الفرنساويين منها فخرج مع الجيش الفرنساوى هو واكثر رجال فرقته خشيه من اضطهاد المسلمين لهم لان الفرنساويين كانوا قد ولوا منهم أفرادا فى مناصب عالية وفى عدادهم المعلم ابو طاقية الذى كان يفصل بين المسلمين فى الاحكام الشرعية ولم يعد الى القطر المصرى بل استمر فى فرنسا حتى مات بعد مهاجرته اليها ببضع سنوات

قيل ولم تكن العلاقة بينه وبين البطريك كما يجب وذلك بسبب أخذه لامرأة من غير جنسه بطريقة غير شرعية ومخالفته لقومه فى الزى والحركات حتى انه لما مات سنة ١٢١٨ هـ طلبت زوجته الاستيلاء على ما يخصها فى تركته فعارضها اخوته بدعوى انها غير شرعية

ومن خرج مع الفرنساويين أيضا من جنود يعقوب بقطر واسمه الياس بقطر صاحب القاموس الفرنساوى والعربى المشهور والبعض يقول أنه ابن أخى يعقوب ولد باسيوط ١٧٨٤ م عينه نابليون مترجما لجيشه و بعد مهاجرته نال مركزا علميا ساميا بفرنسا ووضع القاموس المشار اليه ومما ينبغى الإشارة اليه أنه أول من درس من الاقباط اللغة الفرنسية

وقيل ان الاقباط الذين هاجروا الى فرنسا حينئذ أضاعوا جنسيتهم هناك ولم يبق لاسماء اسراتهم أثر يذكر ومنهم الكولونيل مكار يوس حنين والكولونيل غبريال سيداروس والكولونيل حنا هرقل والقومندان عبد الله منصور. وقد روى بعض الثقة ان الخديوى اسماعيل استحضر مرة جماعة من الممثلين والممثلات من فرنسا ومن هؤلاء الممثلات آنسة تعرف بمدام منصور نسبة الى جدها الادنى أو الاعلى المعلم منصور القبطى أحد المهاجرين من مصر الى تلك الديار

(٥) المعلم ملطى :

كان كاتباً عند أيوب بك الدفتردار من مماليك محمد بك أبو الذهب . ولما احتل الفرنسيون البلاد كونوا ديوانا للنظر فى القضايا العامة وجعلوا المعلم ملطى رئيسا عليه بموافقة اعضائه من مسلمين ونصارى وذلك لما امتاز به هذا الرجل العظيم من الخبرة وحسن التدبير

واستمر المعلم ملطى يدير الديوان بمهاراة مدة حكم الفرنساويين وبعد خروجهم القى القبض عليه وقطعت رأسه عند باب زويله

(٦) المعلم أنطون ابو طاقية :

اشتهر فى مدة حكم الفرنساويين وكان مثريا فزاره نابليون فى أواخر سنة ١٧٩٩ م وكان محتاجا للمال فنزع المعلم أنطون طاقيته من فوق رأسه وأخذ يملأ بها المال حتى أستوفى نابليون حاجته . فارتفعت قيمته فى عينيه فولاه فى وظائف كبيرة فقام بها خير قيام الا أنه رفع كثيرا من

الاموال والضرائب عن الاهالى فلم يرق عمله فى نظر الفرنسيين فقبضوا عليه وسجنوه فى القلعة حتى يدفع ما تأخر عليه من حساب البلاد فدفعه من ماله الخاص فى الحال . ولما ترك الفرنسيون مصر قبض عليه محمد باشا أبو مرق مع اثنين من كبار الاقباط هما المعلم ابراهيم زيدان والمعلم عبد الله بركات وقتلهم سنة ١٨٠٢ م وأمر ببيع مالهم فى المزاد فوجد عند المعلم أنطون كثير من ثياب وأقشة هندية نفيسة وأمتعة ومصاغ وجواهر وساعات وأوانى ذهب وفضة وكثير من العبيد والجواري واستمر سوق المزاد فى ذلك عدة ايام

وفى سنة ١٨٥٣ م سافر المعلم ابراهيم عوض حفيد المعلم انطون الى باريس ليطلب بالمال الذى دفعه جده الى نابليون امبراطور فرنسا فرد عليه نابليون الثالث يقول أن هذا المال كان قد فرض على الاقباط فدفعه عنهم أبوطاكية الا أنه دفع له أجر نفقات مبلغ ٤٥٠٠ ليرة فرنساوية

القسم الثالث

المملكة والكنيسة

(١) سلطنة محمود بن مصطفى

(٢) عبد الحميد الاول

(٣) سليم الثالث واحتلال الفرنسيين لمصر

(١) سلطنة محمود بن مصطفى فى سنة ١٧٣٤ م :

وفى أيامه كان الانكشارية الاتراك يحصلون من الاقباط ضريبة عن الانفس واشتدت ضيقتهم بواسطة تركى من الاستانة رشى السلطان حتى اشترى امتياز هذه الضريبة وجاء الى مصر وصار يحصل من هؤلاء الاقباط البؤساء اضعاف ما كان يحصل منهم الانكشارية

وفى اثناء النصف الاول من القرن الثامن عشر عاش الاقباط بسلام لان المسلمين كانوا مشغولين بمقاتلة بعضهم الا ان قدرتهم الصناعية انحطت بسبب توالى نزول المصائب عليهم فلم تكن لهم قابلية تامة للتفنن فى أتقان صناعتهم لا سيما ولم يكن فى امكان القبطى أن يبقى فى بيته شيئا يستحق السرقة ويستمر عنده يوما واحدا

وفى سنة ١٧٣٣ م أمر حاكم كل قسم بان يفرض ضريبة على الاقباط الساكنين فى دائرته وكانت تحصل منهم على ثلاث درجات الدرجة الاولى تدفع ٤٢٠ بارة عن كل نفس والثانية ٢٧٠ والثالثة ١٠٠ والزم البطريرك بدفع الضريبة عن القسوس والخدام ومع كل ذلك لم يصدر أمر

رسمى باضطادهم غير انه فى الوقت الذى كان فيه المماليك يقاتلون بعضهم كان العرب يهجمون على اليلاد و ينهبون البيوت و يقتلون الرجال و يسبون النساء . و انتهبوا هذه الفرصة مرة فهجموا على مدينة اخيم فى الوجه القبلى و كان معظم سكانها من النصارى أهل الكد والعمل فنهبوا و خربوها وقتلوا كثيرا من أهلها

وهكذا كان بين آن وآخر يحدث استبداد وضيق على الاقباط المسيحيين وعلى الذين أسلموا منهم أيضا بسبب اختلال النظام وفساد الاحوال ولما استولى العرب الهوارة على معظم بلاد الوجه القبلى انتمى القبط اليهم فادخلوهم فى ذمتهم وحماهم فصار القبطى يخاطب العربى المنتمى اليه « ببدوى » والعربى يسمى القبطى الذى تحت حمايته « نصرانيى » وهكذا كانت عيشتهم فى هذه المدة راضية نوعا

بل ان الحكومة اضطرت لاحتياجها الى أناس ذوى فطنة ان تستخدم الكثيرين من الاقباط فى أعمالها فقاموا بتنظيمها أحسن قيام فوضعهم كبار المسلمين وعظماؤهم والولاة والحكام موضع ثقتهم وسلموا اليهم ادارة المصالح والاشغال والحسابات وكثيرا ما كانوا يكون باسمائهم فيقال مثلا المعلم غبريال السادات والمعلم يوسف الالفى والمعلم منقر يوس المورلى وغير ذلك نسبة لخدمتهم الذين أعتقدوا فيهم الامانة والاخلاص فعهدوا اليهم بمسائلهم الشخصية فكانوا يدبرونها أحسن تدبير وأدى ذلك الى الاعتقاد بان الاقباط على بينة تامة بالسحر والتنجيم والعرافة

ومن ذلك قيل أنه فى شهر يونيه سنة ١٧٣٤ م ادعى رجل قبطى من أهل التخيلات الفاسدة ان العالم سيقضى يوم الجمعة المقبل فذاع الخبر فى كل مكان وحل الهلع فى القلوب ولما سئل عن حقيقة الخبر قال مؤكدا « احبسونى فى أى مكان شئتم واذا لم يتم قولى اذبحونى » فزاد خوف الناس . ولما جاء الميعاد ولم يحصل شىء لم يكذبه الناس بل قالوا ان الاولياء التمسوا من الله ان يعفى عن العالم فعفى عنه

وكان محظورا على الاقباط ومحرم عليهم زيارة القدس فى سنة ١٧٥٣ م سعوا لينالوا تصريحاً بزيارته ولو كلفهم ذلك المبالغ الطائلة ليرشوا بها الحكام . وكان لاحد كبار المماليك سكرتيرا قبطيا له نفوذ كبير عنده فتمكن بواسطته من مخابرة شيخ الجامع الازهر فقبل ان ينظر فى الامر على شرط ان يدفع له مبلغ الف دينار لكى يصدر فتوى تبيح للاقباط الذهاب الى القدس والعودة منه بسلام دون أن يصيبهم مكروه فدفع الاقباط هذا المبلغ وأصدر لهم الفتوى فكان سرورهم عظيما وتأهبوا للذهاب الى القدس وعينوا مكانا فى الصحراء الشرقية الملاصقة للقاهرة ليجتمع فيه المسافرون ومنه يسرون بطريق البر

فكان يفد الى ذلك المكان كل يوم مئات من الاقباط رجالا ونساء وجهزوا الجمال اللازمة

لحملهم وحضر لوداعهم كثيرون من أقاربهم ومعهم كثير من الهدايا الثمينة للقبر المقدس واستأجروا بعض العربان لحراستهم فى الطريق

فوصل الخبر الى مسامع المسلمين فتذمروا على عبد الله شيخ الجامع الازهر الذى أصدر تلك الفتوى خصوصا لما علموا انه أخذ رشوة قبل الافتاء وبقشيشا بعده فسخطوا عليه كثيرا . ولما رأى ان الانكار لا يجديه نفعا دعا جميع طلبة الازهر وكثيرين من الرعايا والاولاد وحثهم على اقتفاء اثر الاقباط وارجاعهم بالقوة قبل سفرهم فاسرعوا الى المكان الذى كان الاقباط يجهزون فيه أمتعتهم وانقضوا عليهم أنقضاض الصواعق والسيوف تلمع بأيديهم وبدأوا يفتكون بكل من يتمكنون من القبض عليه فترك الكل جميع أمتعتهم وفازوا من الغنيمة بالاياب فأخذ الثائرون الامتعة وعادوا بها فرحين مغتبطين وقد بذل أغنياء الاقباط مجهودا عظيما لارجاع ما فقد منهم من الامتعة فضاعت مجهوداتهم عبثا

(٢) عبد الحميد الاول سنة ١٧٨٤ م :

وفى ايامه عهد لحسن باشا بقمع المماليك فدخل القاهرة ولم يسلم الاقباط من يده فاعاد عليهم كل القوانين الجائرة التى كانت تسن ضدهم فى العصور الاولى وقعد متربصا عله يجد فرصة مناسبة لسحقهم فانزل كبارهم من وظائفهم التى وصلوا اليها فى مدة على بك الكبير ووضعهم فى وظائف حقيرة ثم جعل ينهب منازلهم ومنازل أولادهم يهدمها ويغتصب ممتلكاتهم

ولم يكتف بذلك بل أمر المنادين ان يصيحوا فى شوارع القاهرة محذرين الاقباط من ركوب دابة ومن ان يقتنوا عبدا أو جارية أو يسموا أحد ابنائهم بأسماء الانبياء أو الرسل المذكورين فى التوراة وتوصل حسن بذلك الى اغتصاب كل جوار وعبيد الاقباط وصرح لعساكره بطرد كل جارية أو عبد يجدونه فى بيت قبطى وجمع حسن باشا كل هذا الرقيق الى القلعة وهناك باعه بثمان فادح واضطر الاقباط ايضا الى الخضوع للامر الثانى فغير الموظفون عند المسلمين اسماءهم وعرف القبطى باسمين اسم ينادى به فى مركز عمله واسم ينادى به بين أهله

وبعد ذلك أمر حسن باشا باحصاء الاقباط وبيوتهم وقرر عليهم جزية ٥٠٠٠ كيس نقدية يدفعونها للحكومة وضاعف الضريبة الانفس لا سيما على الذين خرجوا مع مخدوميهم الامراء صحبة مراد بك وابراهيم بك العاصيين الذين جاء لاذلالها فقد زاد عليهم الضريبة ضعفا آخر حتى بلغت ٧٥٠٠٠ ريال ولا يخفى ما حصل للحريم من الاهانة فى تحصيلها حال غياب أزواجهن الرجال وكان بين الكتاب المباشرين رجل يدعى المعلم واصف فقبض عليه وحبسه وضربه وطالبه بالاموال وكان المعلم واصف كما روى الجبرتنى يجيد التركية ويعرف الايراد والمصاريف وعنده نسخ من الرزنامة ويحفظ الكليات والجزئيات ولا يخفى على ذهنه شئ من ذلك

والزموهم بلبس زهم الاصلى من شد الزنار والزنوط فتسلط العامة عليهم وتتبعوهم بالايذاء ومن وجدوه بغير زنار رجموه بالحجارة وحثوا التراب فى وجهه فانكمشوا وانعكفوا عن الخروج اياما وأرسل حسن باشا يطلب من قاضى القضاة احصاء ما أوقفه المعلم ابراهيم الجوهري يؤمئذ على الكنائس والاديرة ثم أحس بما وراء ذلك من الفشل وظهور الفتنة فخاف واستدعى اليه المعلم ابراهيم وكلمه فى الامر فصالحه المعلم ابراهيم على مبلغ عظيم من المال فأمر فنودى فيهم بالأمان وعدم التعرض لهم بمكروه

وعمت الشدة جميع النصارى فضاقت عليهم غرامة أخرى فضاقت الدينا بهم وباع الكثيرون منهم جميع ما عنده حتى ملابسه وملابس عياله وقرر على كل شخص منهم جزية قدرها دينار بلا فرق وذلك خلاف الجزية الديوانية المقررة على كل واحد منهم وتتبع حسن الاديرة وأخذ كل ما وجدته فيها من ودائع

وفى أوائل سنة ١٧٨٧ م مر عبدى باشا والى الدولة مع اسماعيل بك فى حى من أحياء المدينة فسأله عن أسم الحى فاجابه اسماعيل بك أن معظم سكانه من المسيحيين فأمر للحال بهدم كل ما فيه من المنازل ولم يتمكن الاقباط من تخلص منازلهم من الهدم الا بعد دفع ٣٥٠٠٠ ريال دفع السور يون منها ١٧٠٠٠ وهم دفعوا الباقي

(٣) سلطنة سليم الثالث سنة ١٧٨٩ م واحتلال الفرنسيين لمصر سنة ١٧٩٨ م :

ولما دنا الفرنسيون من مصر رجاء احتلالها اجتمع المسلمون فى ديوان الحاكم وقرأهم على قتل كل مسيحي القاهرة الا أن عقلاءهم حذروهم من عاقبة هذا العمل الوخيم فاقنعوا لكنهم استمروا يذلون الاقباط فكانوا يشتمونهم فى الطرقات مهددين اياهم بالذبح . وهجم بعض الرعاع على كنائسهم واديرتهم ومنازلهم بدعوى البحث عما فيها من الاسلحة

ولما دخل الفرنسيون البلاد تظاهر معظمهم باعتناق الاسلام استجلابا لرضاء المصريين عليهم فاحتقر الاقباط منهم هذا النفاق ولكنهم لم يستبعدوه على قوم يتلقون التعاليم المسيحية من قصر الفاتيكان . وفى يوم من الايام اجتمع شيوخ المسلمين بالجامع الازهر ونادوا فى الشوارع ان كل من يوحد الله يمسى للجامع الازهر لان هذا هو يوم محاربة الكفار فقامت ثورة ضد الفرنسيين فى ٢٢ أكتوبر سنة ١٧٩٨ م وذبحوا كل من كان يمر منهم فى الشوارع ولما كان المسلمون يعرفون ان الاقباط والفرنساويين على دين واحد ذبحوا كثيرين من الاقباط أيضا

وقد حاول الاتراك استرجاع مصر من يد الفرنسيين وفى أثناء اشتباك القتال بينهما تخلف قائد تركى يدعى ناصف باشا ودخل القاهرة ودار فيها يذبح وينهب المسيحيين وتهيج المسلمون عليهم فطافوا بالشوارع يبحثون فيها على كل مسيحي ليقعوا به فقتلوا نصارى بولاى ونهبوا

بيوتهم وقبضوا على كثيرين من الرجال وذبحوهم بلا رحمة . أما النساء فكن يجلدن عرايا وتقطع رؤوس أطفالهن أمامهن ولم يخلص الاقباط من هذا الويل سوى ضابط تركى اسمه عثمان بك قال لناصف حسن باشا علنا « ليس من العدل اراقة دماء رعايا الدولة ضد ارادة مولانا السلطان » فانقطع الاضطهاد وبعد ذلك صار القتل فى النصارى عاما فذهبت طائفة الى جاراتهم وبيوتهم التى بناحية بين الصوريين وباب الشعرية وجهة الموسيقى فصاروا يهجمون على البيوت و يقتلون من يصادفونه من الرجال والنساء و ينهبون و يأسرون

وقال الجبرتى « وحضر أيضا رجل مغربى والتف عليه طائفة من المغاربة وفعل أمورا فظيعة للغاية فكان يتجسس على البيوت التى فيها الفرنساويون والاقباط فيهجم عليهم و يقتلهم و ينهبون ما عندهم و يسجنون النساء و يسلبون ما عليهن من الحللى والثياب ومنهم من قطع رأس البنية الصغيرة طمعا فى ما على رأسها وشعرها من الذهب » أهـ ولما أنتصر الفرنساويون على الاتراك فر اليهم اكثر المسيحيين محتمين بهم

ثم أنتشب القتال مرة أخرى بين الدولتين فأعيدت الكرة على الاقباط فكان يقتل منهم كل يوم خلق كثير وكادوا يهلكون عن آخرهم لولا ان رجلا حازما منهم يدعى يعقوب دبر طريقة لنجاتهم كما ذكر فى ترجمته فابتنى لهم حصنا لحمايتهم ولكنه تهدم فيما بعد حينما تركه الاقباط فى عهد اطمئنانهم كما هجر الاقباط حيهم فى ذلك الحين وهو الموجود الان بكلوت بك ولم يبق من الاحياء القبطية القديمة غير أماكنهم فى حارة الروم وزويلة . وأخذ الاقباط الحذر من ذلك الحين فقوموا جدران بيوتهم ورفعوا أسوارها الى حد يتعذر على الهاجين الصعود اليها وبعضهم كسا أبوابها بمسامير حديد كبيرة ذات رؤوس جافية متلاصقة ببعضها حتى لا تؤثر فيها الآلات الحادة

ولما استقر الفرنساويون فى مصر ساووا بين أهل الاديان حتى انهم لما شرعوا فى ترتيب ديوان للنظر فى قضايا التجار ألفوه من اثنى عشر عضوا ستة منهم من النصارى القبط وستة من تجار المسلمين وجعلوا المعلم ملطى القبطى رئيسا له . وحدث ان نصرانيا جاهر مرة بشرب الدخان نكاية فى المسلمين فغضب عليه أحد المشايخ وضربه ولما وصل الخبر للحاكم الفرنساوى أدب القبطى والزمه بالخضوع لعوائد البلاد وقبل التاريخ أسلم رجل من عائلة قبطية ودعى محمد المهدي فعظم أمره واشتد ساعده . وقيل أن الاقباط حال دخول الفرنساويين لمصر طلبوا منهم منع الضيق الحال بهم فرد عليهم المباشر العام يعدهم بالحماية وبمعاقبة الذين يسعون فى ذبحهم ووعدهم إذا أرجع لهم حقوقهم ان يعاملوه بالامانة ثم مدح بطريقتهم على فضائله وحسن مقاصده .

وكان اذا مر أحدهم على الجامع الازهر ينزل من على حصانه ولا يمر به راكبا غير ان بعض الجهلاء ثاروا على اثر ربط الفرنساويين العوائد على الاملاك وتعصبوا ضدهم وارتكبوا فظائع فهدد

الفرنساويون بضرب المدينة ولا سيما الجامع الأزهر ولما لم يرتدعوا خربوا منازل كثيرة حول الجامع ودخل الجنود الجامع فأهانوه أهانة عظيمة

وفيما بعد قتل كليبر قائد الفرنسيين وخلفه آخريديعى مينو فلكى ينال عطف المسلمين اعتنق ديانتهم ودعا ذاته عبد الله واسلم معه ابنه وسماه سليمان ورفت كل الموظفين المسيحيين من اقباط واجانب وسلم كل الاعمال للمسلمين وجعل قانون الاحوال الشخصية المتعلقة بالميراث والزواج وفقا للشريعة الاسلامية

وعند خروج الفرنسيين من مصر كان سخط المسلمين على الاقباط شديدا بسبب المساواة التي تحصلوا عليها بهم فى زمنهم وظهورهم راكبين الخيل وحاملين السلاح فلهذا وقع الاقباط تحت ضنك شديد بعد خروج الفرنسيين فدار فيهم السلب وهدمت بيوت كثيرة لهم وكان يعرض حياته للخطر من يتجاسر منهم على بناء بيت أو كنيسة

القرن التاسع عشر

القسم الاول

تاريخ البطارقة

- (١) بطرس^٧ (٢) كيرلس^٤
(٣) ديمتر يوس^٢ (٤) كيرلس^٥

(١) بطرس ٧ — البطريرك المائة والتاسع :

ولد بقرية الجاولى بمركز منفلوط ولذا اشتهر باسم بطرس الجاولى . وكان يدعى أولا منقر يوس ورسم قسيسا بدير القديس أنطونيوس باسم مركور يوس ثم رقى الى درجة الايغمانوسية لما لاحظته فيه رئيس الدير من التقشف والاستقامة ولبث مواظبا على أفعاله النسكية حتى بلغ خبره مسامع البابا مرقس سلفه فاستدعاه اليه وكان فى حاجة شديدة الى رجل صالح يرسمه مطرانا للحبشة فانتخبه لهذه الوظيفة غير أن عناية الله أخرت تعيينه وحفظته لما هو اسمى من ذلك . الا انه رسم مطرانا على الكنيسة عموما باسم وكيل الكرازة المرقسية ودعى ثاوفيلوس فأقام مع البابا مرقس فى الدار البطريركية وشاطره فى القيام بجميع مصالح الامة الى ان توفى البابا مرقس فأجمع رأى الكل على اقامته بطريركا وقد تم تعيينه فى يوم الاحد ١٦ كيهك سنة ١٥٢٦ ش و ١٨١٠ م بعد وفاة سلفه بثلاثة ايام وذلك فى عهد خديوية محمد على باشا . وهو أول من وضعت عليه الايدى فى مركز البطريركية

كان هذا البابا تقيا ورعا زاهدا متقشفا محبا للخير قليل الكلام مع هيبة ووقار يقضى يومه منكبا على المطالعة أو مواظبا على الصلاة خصوصا لاجل سلام كنيسته ويروى ان احد اصحابه احتاج اليه فى امر فدخل عليه حجرته فالتقاء يصلى والدموع على خديه وليس عليه من الملابس الا ما يقيه من النظر فأمر بعد ذلك ان لا يدخل اليه احد وهو منفرد . ولم يكن يهتم يوما بما يأكل أو يشرب حتى أنه أشتى مرة طعاما فابقاه الى أن أتن ومن ثم أكل منه رغما عن اشمئزاز نفسه تعنيفا لها وتبكيها . ومثل ذلك يقال عن لباسه فلم يريوما لابس لابس أنيقا أو جالسا فى مكان يدل على الابهة بل كان لا يلبس الا الصوف الخشن وينتعل مركوبا مكعوبا أحمر بملعقة ولا يجلس الا على الارض أو على دكة ولا ينام الا على حصير من القش وبالجمله فكان وديعا متواضعا لم يزد ارتقاؤه الى رتبة البطريركية الا مبالغته فى أنكار الذات فلم يغير نظام رهبنته حتى قيل انه كان يجدل الخوص فى اوقات فراغه

وكان لا يتعرض الى امر من امور السياسة ولا يخرج من الدار البطريركية الا اذا دعت الحاجة واذا سار في الطريق ارخى على وجهه لثاما اسود واذا تكلم فع التآدب والحشمة ولا ينظر الى وجه سامعه ولم يكن يرغب في حضور الا كالليل في المنازل واذا طلب احد وجوده لنوال بركة فكان يطلب حضور العروسين بالكنيسة صباحا ليناولهما الاسرار المقدسة بعد الاعتراف . قيل أنه أصيب مرة بألم في ركبتيه فوصف له العارفون لبس ثلاثة جوارب من الصوف فأبى بته ان يبدل نظام معيشته النسكية معتقدا ان الله وحده هو الشافي

وكان هذا البابا فضلا عن ذلك سامي الاخلاق واسع العقل كثير الرغبة في اصلاح كنيسته وكان ميله شديدا لمطالعة الكتب الدينية والعلمية والتاريخية حتى كانت تشغله المطالعة احيانا عن الاكل والشرب ولهذا اهتم بنقل ونسخ الكتب النادرة ومن ضمنها سيرة القديس باخوميوس ابي الشركة وينسب معظم ما يوجد اليوم في مكتبة البطريركية الى ما جمعه هذا البابا . ووجد له مؤلف كتاب «نوابغ الاقباط ومشاهيرهم» في مكتبة البطريركية كتابين بخطه في الدفاع عن العقائد الارثوذكسية الاولى «مقالات في المجادلات» والثاني «في الاعتقادات رداً على المعاندين» وله ايضا مواعظ ورسائل وقصد بما كتب هداية من انسلخوا عن كنيستهم وانضموا للكنيسة الباباوية

وأضاف البابا بطرس الى هذه الصفات الحلم في الرئاسة والحكمة في التصرف فاصبح موضوع الاحترام عند الجميع وفاز بمحظوظ قلما سبقه فيها غيره فكانت الحكومة راضية عنه وكان قومه حاصلين على الامن والرفاهية والكنيسة مشهورة في القطر المصري حاصلة على اقامة شعائرها ونال حظوة لدى الوالى وبواسطته نجح الاقباط وعهدت الحكومة اليهم في الاشغال الكتابية والادارية ونالوا أوفر قسط من الحرية فكانوا يباشرون عبادتهم ويخرجون موتاهم وأمامهم الصليب بدون خوف

وكان بالنوبة ١٧ ابروشية ايام ان كان أهلها يدينون بالمسيحية فلما خضعت لمصر بعد الفتح العربى سقطت حكومتها المسيحية وأبدلت بحكومة اسلامية ولما تم لمحمد على باشا فتحها سنة ١٨٢٠م كان لا يزال بها ألوف من الاقباط وعاد الذين تظاهروا بانكار الديانة المسيحية الى الاعتراف بها وطلبوا أن يرسم لهم اساقفة فرسم البابا بطرس أسقفين على التعاقب وأرسلهما مع فيئة من الرعاة برضاء الهيئة الحاكمة

وكان افضل ما اشتهر به البابا بطرس زهده في المال وكرامته له فلم تجد السيمونية اليه سبيلا بل كان لا يسمح بوضع اليد على أى كاهن ما لم يتأكد من حسن سلوكه . وفى مدته صار تجديد كنائس بالاقليم البحرية والقبلية ورسم فى عهده ٢٥ اسقفا ومطرانين للحبشة ومن الاساقفة المشهورين فى أيامه يوساب الاخيمى واثناسيوس الغمراوى وتوماس المليجى وسرابامون المنوفى الشهير بابى طرحه وسيرد تاريخ حياته

وكان أقباط بلدة الجاولى مسقط رأسه متضايقين للغاية من قساوة العائلات الاسلامية القوية فيها فلكى يخلص البابا بطرس قومه من نيرهم استدعى اليه اكابر اقباط تلك البلدة وكلفهم بانتقاء مائتى فدان من افضل أطيانهم وقدمها هدية لشريف باشا ورام بذلك أن يعين لها الباشا متى دخلت فى حوزته مندوبا من قبله كالحاكم يكون له وحده حق الاشراف على شئون البلدة وبذلك يمتنع أستبداد المسلمين بالاقباط . وكان الرجل الذى عينه شريف باشا بايعاز البابا بطرس قبطيا . من أسيوط يدعى المعلم بشاى مليوش واعطاه شريف باشا ٣٦ فدانا من المائتين ليزرعها و يعيش من ايرادها وهذه الطريقة تمكن البابا من تحرير اقباط بلده من الذل الذى كان واقعا عليهم

ففاح حينئذ غير فضائل هذا البطريك الجليل فى كل مكان وأصبح ذكر اسمه مقرنا بكل أجلال واحترام وتقاطر الى مجلسه كبار العلماء المتدينين للمباحثة فكان يجاوبهم على أسئلتهم بكل حكمة . ووشح الله علمه وتقواه بموهبة الآيات والعجائب فجرى على يديه منها الكثير ومن ذلك قيل أنه ذات يوم اتاه رجل مخبرا اياه بانه ترك بيته مدة خمسة اشهر طلبا للمعاش ثانى يوم زواجه قبل ان يعرف زوجته ولما رجع اليها وجدها حبلى ولما سأها عن الحقيقة اذدرت به لعلمها بان اباهما أسمى منه مقاما وأعلى مركزا فاستدعى البطريك تلك المرأة فأتت مع والدها وأخذ البطريك يستخبرها عن الواقع و ينصحها ان تعترف له فأبت ان تحببه الا بقولها « ان حملى هو من زوجى » ولما ادرك البطريك أنها تكذب قال لها « ان الذى من الله يثبت والذى من الشيطان يزول » فلم تبال بهذا القول ولكنها لم تكذب تضع رجلها على آخر درجات سلم البطريكية حتى سقط الحمل . فلما علم البطريك بذلك أصدر حكم بطلاقها لعله الزنا . وقد كان ذلك الرجل الوجيه يظن ان جاهه يحمل البطريك على الحكم لمصلحته ولكن البطريك خيب قوله وقال له « ليس بينكم احد أقوى من الضعيف متى كان مع الحق ولا أضعف من القوى متى كان مع الباطل »

وفى ايامه توقف النيل عن الزيادة فضج الناس وعجوا وأمر الحاكم رؤساء الاديان برفع أصوات الابتهاال الى الله لتزيد مياه النيل فصلى أولا المسلمون وعقبه اليهود فلم يزد النيل قيراطا واحد فطلب من البطريك ان يصلى فتقدم الى ساحل البحر ومعه بعض الاساقفة والكهنة والشعب وعظماء الامة ورفع الاسرار الربية وبعد الانتهاءلقى المياه التى غسلت به الاوانى المقدسة فى البحر مع قربانة البركة فشاهد البحر يتعالى حتى اخذ حده فى الزيادة ووصل الى المكان الذى اقيمت فيه خيمة الصلاة قبل ان ترفع وكان ذلك فى ١٩ مسرى سنة ١٥٢٥ ش

وبلغت اخبار فضل البابا بطرس وتقواه مسامع محمد على باشا فأجله وأكرمه وأنزله عنده منزلة سامية وحدث لما احتل ابراهيم باشا الاراضى المقدسة وشى اليه بعض الاشرار بان ما يدعى به المسيحيون من ظهور النور على قبر المسيح هوزور وهتان فصدق ابراهيم باشا وشايتهم وزاده ريبا علمه أن النور لا يخرج الا على أيدي بطاركة الاروام بالقدس . ولما كانت ثقة ابراهيم باشا وابيه

بالبابا بطرس عظيمة استدعاه اليه من مصر فسار البطريرك الى القدس ولما علم ابراهيم باشا بقدومه خف لاستقباله بحاشيته وقواد جيشه وعند حضور البطريرك أمسك بيديه وساعده على النزول من مركبه وأعلمه بالامر الذى أستقدمه بسببه وطلب منه أن يصلى ليخرج النور على يديه فاجابه البابا بطرس والدموع تفيض من عينيه « أن النور يظهر على يديك لا على يدي أنا الخاطيء » ولعلم البابا بطرس بان ذلك تترتب عليه عدواة بين الروم والاقباط اعتذر لابراهيم باشا طالبا منه أن يكون حاضرا معه بطريرك الاروam ويكون هو معها ليزول الريب فرافقها ابراهيم باشا وكانت كنيسة القيامة قد فاضت بالجماهير وتضايق الناس من الازدحام فأمر ابراهيم باشا عساكره باخراج جميع الفقراء والزائرين الى خارج كنيسة القيامة والاحداق بهم حتى يوقعوا بهم اذا لم يظهر النور

فشعر البابا بطرس بسوء العاقبة اذا لم يظهر النور وكان قد قضى هو و بطريرك الاروam مواظبين على الصلاة والصوم مدة ثلاثة ايام كالعادة وبعد ذلك اقيمت الصلاة المعتادة فوق القبر ولم تتم حتى انبثق نور من القبر المقدس واجتاز من الاعمدة فشققها كما يرى اليوم الى ان وصل الجماهير المحتشدة خارج الكنيسة فضجوا هاتفين « النور . النور » وتلتهم اصوات الذين فى الكنيسة قائلين كذلك بطريفة اربعبت ابراهيم باشا وصيرته فى ذهول وكاد يسقط على الارض وهو يقول (امان بابا » واستند على البطريرك حتى هدأ روعه وعادت اليه قواد

ومن ثم بالغ ابراهيم باشا فى تعظيم البابا بطرس واعاده الى القاهرة بكل اجلال وقضى بقية حياته يقضى بين شعبه بكل حكمة وعلم منصفا للمظلوم من الظالم وللضعيف من القوى دون ان يراعى الا ما يمجده اسم الله القدوس . وذات يوم جاء واحد من كبار الشعب يصلى بالكنيسة صباحا كالعادة فرأى أن الكاهن قد اطال فى الصلاة فكلمه فى ذلك وأفهمه ان ميعاد أنصراف الموظفين الى دواوينهم قد أوفى فلم يلتفت اليه الكاهن بل استمر يصلى حتى انتهت العبادة فشكى الكبير الكاهن الى البطريرك فقال له « هذا بيت الله ولا يصح تقديم أو تأخير العبادة فيه تبعا لرغائب الناس »

ومما يدل على عظم فضيلته انه اتاه يوما رجل يشكو من امرأته التى تزوجها بكرا فوجدها ثيبا فقال له الباب بطرس « ذلك هو الافضل لك حتى تقوم بخدمتك كما يجب » فكرر عليه الرجل الشكوى وهو يقول له « خير لك أن تكون امرأة لتقضى لوازمك » ولما رآه الرجل لا يفهم المقصود احضر له اناء من اللبن الرائب مختوما بدون ان تمسه يد وقال له ان البكر تكون هكذا ثم غمس فيه احد أصابعه وقال له هكذا تكون الثيب فقال البطريرك « لعن الله اليوم الذى عرفت فيه البكر من الثيب » ثم قضى فى دعواه رسميا

ولما كان محمد باشا يتقدم فى فتوحاته وغزواته خشيت دولة روسيا أن يعظم أمره ويحول دون أمانها فى الشرق وفى المملكة العثمانية ففكرت أن تستعين بالامة القبطية على نيل أغراضها

ضد محمد على باشا فأرسلت أميرا روسيا يعرض على بطريرك الاقباط قبول حماية روسيا لشعبه فذهب المندوب الى الدار البطريركية وكان يفكر انه يرى رئيس أكبر أمة مسيحية فى أفريقية بحالة تدل على عظمة وتنم على أبهة وكانت قد وردت الاخبار للبطريرك بزيارته فلم يبدل شيئا من نظام بطريركيته أو يهتم بتغيير هيئته حتى أنهى اليه المندوب الروسى فالفاه والكتاب المقدس بيديه يطالع فيه وهو بزعبوطه الصوف الخشن جالسا على مقعد خشبى وحوله مقاعد مثله مبعثرة فلم يخطر ببال المندوب أن هذا هو رئيس الامة القبطية سليله مجد الفراعنة وسأله اين البطريرك ؟ فاجابه البابا بطرس ومن الذى يروم مقابلته فاجابه المندوب معرفا اياه بمركزه العظيم فقال له البابا بطرس بكل هدوء تفضل أجلس أنا البطريرك بنعمة الله فظهرت بغتة على المندوب دهشة عظيمة وكاد يكذب أنه هو ويخرج لولا انه رأى ملامح الصدق ظاهرة على وجه البطريرك ولعل دهشة المندوب نشأت من مقابلة بساطة البابا بطرس بفخفة رؤساء الاديان فى باقى الاقطار حيث يقلدون الملوك فى مجالسهم وملابسهم وأبهتهم ولكن لورفع بصره وتمثل أوامر رئيس المسيحية لرسله وكيف كان يعيش رؤساء المسيحية فى عصورها الاولى لزال عجبه واعتبر أن هذا حقا خليفة رسل المسيح فى بساطتهم ونسكهم ووقف المندوب برهة وهو يشخص الى البطريرك باهتا حتى غلبته عظمة البابا بطرس الروحية لا الخارجية فاسرع اليه وأنحنى أمامه ولثم يديه فقابله البابا بطرس بما يليق وأجلسه بجانبه

ثم أخذ المندوب يسأله لماذا يعيش بمثل هذه البساطة ولا يهتم بمركزه فى العالم المسيحى فاجابه البابا بطرس « ليس الخادم أفضل من سيده أنا عبد يسوع المسيح الذى أتى الى العالم وعاش مع الفقير ولاجله وكان يجالس الخطاة ولم يكن له دار يأوى اليها أما انا فلى مكان أقيم به وأحتمى فيه من حر الصيف وبرد الشتاء . لم يكن للمسيح ملك الارض والسماء ما يأكله مع رسله الاطهار ولا مخزن فيه مؤونة وها أنا آكل وأتمتع فهل أن أفضل من صاحب المؤونة ؟ فتحير المندوب فى كيف يجيب وتخلص بالسؤال عن حال الكنيسة القبطية فاجابه البابا أنها بنعمة مخلصها فى خير ومادام هو يرعاها فلا بد أن تجوز جميع الصعوبات

فبدأ المندوب يظهر ألمه على حالة الاقباط التعيسة وعرض على البطريرك حماية قيصر روسيا للشعب القبطى فاجابه البابا مستفها بشيء من البساطة « هل ليكنكم يحيا الى الابد » قال له لا ياسيدى الاب بل يموت كما يموت سائر البشر . فاجابه « أذن أنتم تعيشون تحت رعاية ملك يموت واما نحن نعيش تحت رعاية ملك لا يموت وهو الله »

حينئذ لم يسمع المندوب الا ان ينطرح على قدمى البابا بطرس واخذ يقبلهما وترك الدار البطريركية وقد شعر بعظمة هذا البطريرك الروحية وانطلق الى محمد على باشا فسأله عما رأى بمصر فاجابه « لم تدهشنى عظمة الاهرام ولا ارتفاع المسلات وكتابها ولم يهزنى كل ما فى هذا القطر من

العجائب بل أثر في نفسي فقط زيارتي للرجل التقى بطريك الاقباط » ثم روى له ما جرى بينها فطفح السرور على وجه محمد على باشا وقام في نفس اليوم الى الدار البطريركية وقدم الشكر الجزيل للبابا بطرس على ما أبداه من الوطنية الحقه ومن الاخلاص للبلاد قال له البابا بطرس لا يتشكر من قام بواجب عليه نحو بلاده » فقال له محمد على باشا والدموع تنهمر من عينيه « لقد رفعت اليوم شأنك وشأن بلادك فليكن لك مقام محمد على بمصر ولتكن مركبة معده لركبك كمركبته »

وبعد هذه الحوادث حصل خلاف بين الانبا سلامة مطران الحبشة وبين ملكها وسببه انه لما فتح السودان طلب النجاشي من البابا بطرس رسم الكهنة على الحدود للحبشة فلبعد المسافات كلف الانبا سلامة باختيار الكهنة فرسم الانبا سلامة من العلمانيين الاقباط العدد المطلوب على الطقس القبطي فلم يرض بهم الكهنة الاحباش الذين معه ولم يعترفوا بهم وشنعوا عليه للنجاشي ثيودوروس فكان هذا مبدأ الخلاف الذي اتسع . والسبب الحقيقي لهذا الخلاف هو تحول الاحباش عن التمسك بالامانة المستقيمة فكان الانبا سلامة ينصحهم ليرجعوا الى معتقدهم الاصلى فأبوا سماع صوته مدعين بأنهم وجدوا آباءهم على ما يسيرون عليه واذ رأى أن النصائح غير كافية لردعهم هددهم باستعمال أحكام الكنيسة فرفعوا الى البطريرك شكوى في حقه مؤداه ان قاس عليهم فكتب اليه البطريرك يطلب منه ان يستعمل معهم اللين واللطف فارسل المطران للبطريرك يشرح له حقيقة المسألة فشجعه على ثباته

ويذكر مؤلف « الكافي » سببا آخر لهذا الخلاف وهو أنه يوجد للقبط بارض بيت المقدس دير عظيم يعرف بدير السلطان وهو على مقربة من كنيسة القيامة وكانت تأوى اليه جماعة من الحبشان المستوطنين ببيت المقدس كسائر الغرباء الذين لا مأوى لهم بتلك الديار فاتفق ان وقع شقاق بين أولئك الحبشان وبين رهبان ذلك الدير الى المحاصمة ثم الى الملاكمة فلم يسع الرهبان الا اخراج أولئك الحبشان خارج الدير المذكور وسد أبوابه في وجوههم فتحزبوا وأرادوا الدخول عنوة فلم يفلحوا فشكوا أمرهم الى أصحاب الحل والعقد فلم ينالوا غرضاً وكان قد كبر مصابهم على قنصل الانجليز ببيت المقدس فتجرد للاخذ بناصرهم وبالغ في تعصيدهم لا مر لم تصل اليها معرفته فقام أولئك الحبشان يدعون ملكية الدير المذكور وقالوا ان الذي انشأه هو أحد ملوك الحبشة ولذلك يسمى بدير السلطان وأما القبط فلا ملك لهم ولا سلطان منذ دخول النصرانية بارض مصر وقال القبط غير ذلك أنه بواسطة الاسعد أحد عظماء القبط في خلافة محمد المهدي ثالث خلفاء بني العباس كان الخليفة المشار اليه احسن الى القبط بقطعة الارض الواقع عليها بناء الدير المذكور ورسم بنائه على نفقته فسماه جماعة القبط من يومئذ دير السلطان

ولما عظم الخلاف وتخرجت الحالة أو عز قنصل الانجليز للحبشة برفع ظلامتهم للدولة العثمانية فسار منهم نفر الى القسطنطينية ووردت كتب النجاشي في ذلك للبابا بطرس فكتب الى

مطران القدس ليفض هذا الخلاف بالحسنى فلم يفلح فى أقناع جماعة الاحباش ولبث الشقاق يستفحل واشتد الخلاف بين مطران الحبشة واهلها كما ذكرنا فلم ير البطريرك بدا من تسوية المسألة خوفاً من حدوث ما لا تحمد عقباه وكان فى نيته السفر لبلاد الحبشة لفض هذا النزاع بنفسه فحالت دون ذلك شيخوخته . فأسرع بارسال القس داود رئيس دير انطونيوس الذى خلفه فى البطريركية باسم كيرلس الرابع وأوفد معه راهبا بالدير أسمه برسوم الذى رقى فيما بعد مطران على المنوفية باسم انبا يونس وزود داود بالنصائح ليحل هذا الخلاف بالحكمة وسلمه ثلاثة كتب لكل من المطران والاكليروس والشعب الحبشى وقبيل سفر داود وعده البطريرك بانه اذا حل المسألة على أحسن حال يكافئه مكافأة حسنة ووعده بالمطرانية اذا أتاه ناجحاً

فسار القس داود الى عزبة بوش وتأهب للسفر سنة ١٥٦٧ ش و ١٨٥١ م ثم وصل الى الحبشة بعد متاعب جمة كم سيذكر فى تاريخه . وفى اثناء وجود القس داود ببلاد الحبشة مرض البابا بطرس وعند احتضاره سأله بعض كبار الامة عمن يخلفه فى هذا المنصب فرفع عينه الى السماء لحظة ثم اطرق وقال « داود رئيس عزبة بوش » فارسلوا يستدعونه عاجلاً وكان البابا بطرس قد كتب اليه قبل مرضه بايام كثيرة ان يحضر ولا يبطىء لشدة الحاجة اليه ولكنه لم يحضر الا بعد وفاة البطريرك بشهرين ونصف

وبلغت مدة رئاسة البابا بطرس ٤٢ سنة وثلاثة أشهر و ١٢ يوماً وتنيح منشرح الخاطر من التحسين العظيم الذى تم فى أيامه الا انه كان يظهر له من تصرفات الارساليات الكاثوليكية التى كانت فى مبدأ الامر تعمل فقط لجذب الاروام ولكنها تعدت على الكنيسة القبطية وأغرت بعض أعضائها على ترك مذهبهم وروى السنكسار بانه عمل الميرون المقدس وعمر بدير أنطونيوس عمارة جسيمة وزار الديورة بالبرارى المقدسة وزار كنيسة مارمرقس بالاسكندرية ووصف بانه كان طويل القامة ممتلئ الجسم ذا صحة معتدلة قلما يشكو ألمه ويعلمون ذلك لتقشفه وزهده واعتداله وكانت وفاته فى ليلة الاثنين أول جمعة عيد الفصح ٢٨ برمهاث سنة ١٥٦٨ ش و ١٨٥٢ م ودفن بالاكرايم بجانب سلفه وخلا منصب البطريركية بعده سنة واحدة و ١١ يوماً

(٢) كيرلس ٤ — البطريرك المائة والعاشر :

ولد هذا المصلح العظيم حوالى سنة ١٥٣٢ ش وسنة ١٨١٦ م بقرية نجع أبوزرقالى من قسم صوامعة سفلاق المعروفة بالصوامعة الشرقية باقليم اخيم من مديرية جرجا ودعى داود ومع ان والده توماس بن بشوت بن داود كان أمياً لا يعرف القراءة والكتابة ولكنه أعتنى بتعلم ابنه حتى صار ملماً بالقراءة باللغتين العربية والقبطية وشىء من الحساب ولما كبر اشتغل مع والده بالزراعة وفى هذه الاثناء أختلط بالعربان المجاورين لقريته فتعلم منهم امتطاء صهوات الخيول وركوب الهجن حتى اشتهر فيهم بالفروسية . ومنذ نشأته لم يعبأ بمهام هذه الحياة كأن العناية كانت تجهزه

لعمل أشرف ولغاية أعظم بل كان عفوا تقيا ورعا محبا للفقراء حسن النية سليم الطوية ميالا الى العزلة والانفراد شديد الرغبة فى معرفة أخبار القديسين

ولما بلغ الثانية والعشرين من عمره مال الى الرهينة وعزم على الرحيل من وطنه فنبهه أبواه ولكنه أستمريراقب الفرص حتى خرج هاربا سنة ١٥٥٤ ش فقصد الى دير أنطونيوس ولبس اسكيم الرهينة على يد رئيسه القس اثناسيوس القلوصنى الذى توسم فيه النعمة وآنس فيه الاهلية والكفاءة ولم يتم به سنة حتى اظهر فى خلالها ذكاء وورعا ودعه واصالة رأى فضلا عن ميله الى مطالعة الكتاب المقدس وكان يجمع الرهبان و يقرأ عليهم و يشرح لهم ويحببهم فى المطالعة فسر منه رئيس الدير ورسمه قسيسا وصاريعتمد عليه فى أنجاز الامور المهمة وعهد بتدبير أمر الرهبان اليه . ومع ذلك لم يكن يميل قط الى التباهى أو التفاخر بفضائله لانه لم يكن يكره شيئا كما يكره الانانية فوصل خبره الى البابا بطرس السابع فاستدعاه اليه و باركه وشاركه فى منحة البركة الانبا صرابامون الاسقف الشهير بابى طرحه وتنبأ له بمستقبل حسن ولم تمض سنتان على وجوده بالدير حتى مات رئيس ذلك الدير فاجمع الرهبان على اختياره لهذا المنصب بالرغم من حداثة عهده وكتبوا بذلك للبابا بطرس السابع البطريرك فأقرهم على اختياره ورقاه الى رئاسة الدير ومن ذلك الحين بدأ يتألق نور مواهبه حيث بادرا الى وضع نظام للدير حرم به على الرهبان مغادرته الا لضرورة قاطعة وأخذ فى اصلاح أحواله الادبية والمادية وأكب فى الوقت نفسه على توسيع دائرة معلوماته فاهتم بدرس الصرف والنحو فاكسب منها ما يكفى لضبط الفاظه وعنى بتعليم الرهبان فخصص فى العزبة بناحية بوش بمديرية بنى سويف التى كانت ولا تزال مقر دير انطونيوس مكانا جمع فيه كثيرا من الكتب على كتب الدير وجعله للمطالعة والمناقشة فى المواضيع العلمية دينية وادبية وتاريخية . ثم فتح « كتابا » فى بوش لتعليم الاولاد اللغتين العربية والقبطية ومن نوادره وهو رئيس عزبة الدير ببوش انه اراد ان يرد الزيارة لمن زارده فرعمدا من طريق يوصل للجامع فالفاد متهدما فلام المسلمين على ذلك ووعد بمساعدتهم اذا هم شرعوا فى بنائه وذلك ليساعدوه فى ما كان ينتويه من بناء العزبة . وحدث أيضا أنه كان يتفقد زراعة الدير فشاهده اعرابى وهو بلباس الرهينة فقال له انزل يانصرانى عن الدابة ليسلبها منه فاستعطفه فلم يقبل بل لطمه على خده واتفق ان زلت قدم الاعرابى فى بركة ملائنة بالطين فتركه القس داود يغسل ملابسه وأنطلق الاعرابى يشتكى لرئيس الدير الراهب الذى دفعه الى البركة فقابله هو وقال انا هو الراهب الذى لطمته ومع ذلك فانى مسامحك واعطى له نصف اردب قمحا ومثله شعيرا

ولما حدث الخلاف بين الاحباش وبين مطرانهم الانبا أندراوس ولما كان للقس داود اقبال وحسين سياسة انتدب للقيام بفض هذا النزاع . قال بعض المؤرخين ولم يفلح فى هذا الامر لسعاية قنصل الانجليز وطال مقامه على غير طائل وجاء اليه الطلب فتقدم الى النجاشى فى ذلك فلم يأذن له وعوقه اياما أخر ثم سرحه

وحدث قبل قدومه من بلاد الحبشة وبعد وفاة البابا بطرس بقليل ان اجتمع الاساقفة وكبار الامة بالدار البطريركية ليتفقوا على انتخاب بطريرك كالعادة فذكر بعضهم القس داود فعارض آخرون بحجة عدم معرفتهم ما آل اليه أمره ورغبوا في انتخاب سواه وهكذا انفضت هذه الجلسة بدون جدوى . واتفق ان وصلت رسالة عقب ذلك من القس داود لاحد الوجهاء من اصدقائه ينبئه فيها بمبارحة بلاد الحبشة ووصوله حدود مصر فابتهج الذين رشحوه واذاعوا الخبر ومن ثم طلبوا انتخابه في الجلسة الثانية فعارضهم قوم وطلبوا انتخاب الانبا يوساب أسقف أخميم وبقيت المعارضة مستمرة دون أن يصلوا الى نتيجة ولما وصل القس داود الى القاهرة تقوى محازبوه وشددوا في انتخابه ولاقاه الناس باحتفال عظيم للغاية ونزل بالدار البطريركية ضيفا ولبث بها اياما وكان وصوله في ١٧ يوليو سنة ١٨٥٢ م

بعد أن لبث ببلاد الحبشة سنة وستة أشهر وكان الامر يومئذ الى عباس باشا الاول فرفع اليه جماعة من كبار الامة التماسا باقامة داود بطريركا . قال احد كتاب الاخبار فطاو لهم وسأل اصحاب الزايرجات عما يرونه في اقامة داود بطريركا فارجفوا وهولوا وقالوا نكد ثم خصام وشده ثم موت الوالى وتمزق شمل أتباعه فاضطرب عباس باشا وشدد في السؤال فلم يروا في حسابهم غير ذلك وكان من مقدمى داواوين الدولة يومئذ ديوانى اسمه جاد أفندى عونى وهو جاد شيعه فاستدعاه كتحدا الباشا وقال له أعلم جماعة القبط بان لا سبيل الى ولاية داود منصب البطريركية فان أبوا الا هو كانت الطامة الكبرى فلما علم القوم بما قاله كتحدا الباشا اختلفت أراؤهم وتفرقت كلمتهم وانقسموا ففهم من قال لانتخاب غير داود ومنهم من طلب أسقف أخميم السابق ذكره وهؤلاء هم أنصار جاد أفندى ومنهم من احتار الانبا اثناسيوس أسقف ابى تيج ومنهم من اختار غيره واشتد الاختلاف وتفرقت الاهواء وكثر التحزب وتوالى الاجتماع فى الليل والنهار ولبثوا على هذه الحالة اياما وجاد أفندى يغدو ويروح على كتحدا الباشا ليعلمه باخبار كل يوم

ولما كاد الشقاق يستفحل استعان أنصار القس داود بالمستر ليدر أحد مرسلى جمعية التبشير الانجليزىة وطلبوا منه التوسط لدى قنصل الانجليز ليكلم عباس باشا فى أمر قبول القس داود بطريركا فكلمه فوعده ولكنه ما ظل فى وعده حتى قدم من بلاد الحبشة قسيس حبشى ومعه كثير من الهدايا الثمينة وكتاب من النجاشى لعباس باشا فقابله ومكث عنده اياما ومن ثم أشيع فى كل مكان أن القس داود سار الى بلاد الحبشة ليستعين هو وقومه بالنجاشى على الخروج من طاعة الوالى فاستدعى القس داود الى دار المحافظة واستجوب عما كان بينه وبين النجاشى وكان الباشا قد أمر أن يذهب به الى مجلس الاحكام بقلعة الجبل فكانوا يأتون به أمام المجلس كل يوم مرة ومرتين ويشددون عليه فى السؤال وكان هو مع ذلك هادئا ثابتا يتكلم برزانة وبعقل فاغتاظ عباس باشا واشتد بغضه للقبط فأمر باخراج الموظفين منهم من خدمة الحكومة ونفى مقدميهم الى سنار وأوفور وأذل من كانت الحاجة اليه شديدة فكانوا لعظم ضيقهم يشترىون المصالح الديوانية بالمناقصة

ثم استدعى كتحدا الباشا جاد أفندى يوما وأعلمه برغبة الوالى فى اختيار بطريرك غير داود وطلب منه التعجيل فى ذلك هروبا من وساطة القنصل فجمع جاد أفندى الاساقفة وأوقفهم على الامر فانتشرت عليهم آراؤهم وتمزقت وحدتهم الا أن محازبى أسقف أخيم اتفقوا على تنفيذ رغبتهم بالحيلة وذلك انهم يجتمعون ليلا ويوسمونه بطريركا فاذا أصبح الصباح وجد أنصار القس داود ان السهم قد نفذ فيرضخون مكرهين وقيل ان جاد أفندى كان قد تحصل على أمر شفاهى من عباس باشا برسمه . ثم اجتمع الاساقفة بالدار البطريركية وتبعهم الغوغاء سرا ومعهم أسقف أخيم وجاد أفندى وبعض أقاربه وأغلقوا عليهم الابواب ووضعوا عليها حراسا وبدأوا يتممون الرسامة سرا ولكن حيلتهم لم تتم فبينما هم كذلك اذ برز أعمى من عرفان المكاتب وجعل يطوف فى الشوارع والحارات والازقة وينادى ان قوموا من نومكم يا قوم ففى هذه اللحظة يتممون رسامة أسقف أخيم ولبت ينادى ويصيح حتى استيقظ الناس وانطلقوا الى الدار البطريركية فاقتحموا الابواب وكثر الهياج وكان بعض الحبشان نياما بالبطريركية فاستيقظوا وسألوه عن الخبر فحسنوا اليهم احراج الاساقفة من الكنيسة عنوة فأمسكوا العصى وكسروا أبواب الكنيسة وأخرجوا الاساقفة رغما واختلطت الاصوات وتعالى الصياح ولبت الناس يغدون ويروحون أمام دار البطريركية حتى مطلع الفجر

ولما حابت مساعى المتشيعين للاسقف طفقوا يختلقون الاقاويل على القس داود فأشاعوا انه فى مدة اقامته بالحبشة تزوج من امرأة وله منها ولدان وأصل هذه الاشاعة القسيس الحبشى المار ذكره لتغيظه منه بسبب ما ذهب الى الحبشة من أجله وكان قد أتى ليشى به للبطريرك ولما رأى البطريرك قد مات أذاعها حينئذ ليعطل رسامته ولما استقصى الناس عن حقيقة هذه الاشاعة اتضح كذب القسيس الحبشى

ورأى قنصل الانجليز ان الفتنة كادت تعم فحذر عباس باشا من سوء العاقبة . وكان الخلاف قد ظل قائما عشرة أشهر فانهى بتوسط ورتبيت الارمن بتعيين القس داود مطرانا على مصر ثم اذا اتضح انه لائق يتقلد البطريركية فسمح عباس باشا بذلك

واذ كان جماعة الحبشان لا يحبون داود ولا تسرهم رسامته اجتمعوا ببعض العامة وبأيديهم العصى ودخلوا الكنيسة قبل تمام الرسامة وصاحوا فى وجود المصلين بالسب والشتم واشتد الهياج فهرب الاساقفة وتعقب الحبشان القس داود ليغتالوه فوجدوه قد احتفى ولكن الكلمة كانت قد اتحدت على رسامته مطرانا فرسم فى اليوم التالى ودعى كيرلس وكان ذلك فى يوم ١٠ برمودة سنة ١٥٦٩ ش ١٨٥٣ م

وقال أحد المؤرخين « فقام خصومه وحالوا بينه وبين انجاز مصالح الطائفة واشتدوا عليه شدة بالغة حتى كان اذا أراد النوم لا يجد لرأسه وسادة ولا جنبه فراشا واذا جاع لا يطعم الا ما

قدموه اليه. واذا زاره أحد لا يأذنون بلقائه وهو مع ذلك ساكن البال رائق الحال لا يألوا جهدا في تاليف القلوب المتفرقة والنفوس المتنافرة حتى طرحوا الخلاف جانبا ومن ذاك الحين أخذ يباشر أعمال الطائفة وكان أول عمل باشره بناء المدرسة الكبرى الباقية الى اليوم وهي أول مدرسة أقيمت لتعليم شبان الاقباط فاشترى عدة منازل وهدمها وأقام على أنقاضها مدرسة مسيحية ويقال انه أنفق في بنائها ٦٠٠ ألف قرش فكان بنؤها موجبا لاجماع الجميع على اختياره وطلبوا من قنصل الانجليز اعانتهم على ذلك فإزال بعباس باشا حتى أخذ موافقته فسيم بطريركا بحضور جميع الاساقفة ماعدا أسقفى أخيم وابى تيج ولقب كيرلس الرابع فى ٢٨ بشنس سنة ١٥٧٠ ش ١٨٥٤ م

فلما تمت رسامته باحتفال عظيم قدمت عليه الوفود لتهنئته ولم يمض على ارتقائه لمنصب البطريركية أيام حتى مات عباس باشا فسلم الناس بصحة ما قاله أصحاب الزايرجات . أما هو فسعى فى جمع القلوب وازالة أسباب النفور حتى تم له ما أراد ثم عكف على العمل لما فيه رقى الامة فنظم ادارة البطريركية والاقواف وأتم بناء المدرسة واختار لها أساتذة ماهرين لتعليم اللغات الحية وجعل التعليم فيها والكتب والادوات مجانا . ومن شدة اهتمامه بها كان يزور غرف التدريس دائما كل يوم مرة واثنين ويستمع لالقاء الدروس ويقول للأساتذة انى قد علمت اليوم اشياء لم يكن لى علم بها ثم أنشأ بها قاعة كان يستقبل فيها الزائرين لا سيما من الاجانب الذين كان يكلفهم بفحص غرف التدريس وابداء ملاحظاتهم فى ما يثول لنجاح المدرسة

وكان يكلف نفسه بالقاء بعض عبارات تاريخية وأدبية على مسامع الطلبة مما يناسب ادراكهم وسنهم وجعل تعليم اللغة القبطية جبرا وكان يشرف عليه بنفسه . واذا رأى بعض الطلبة من جهات بعيدة يتكبدون مشقة فى الحضور الى المدرسة أنشأ لهم مدرسة بحارة السقاين كان يزورها كل أسبوعين و يسأل عنها دائما

ومع كل ذلك كان الاقبال على التعليم فى مدرسة الازبكية قليلا فلم يزد عدد طلبتها عن ١٥٠ طالبا وكان المشار اليهم فى تعليم الاطفال حينئذ جماعة العرفان فلما أحسوا بما أجراه البطريرك سعوا يلقون الفتن ضده فى البيوت وجعلوا يوهمون أهل الاولاد بأن بين البطريرك والوالى عقدا على أن يجند له من الاولاد ألوفاً وكان اذا وصل الدار البطريركية شىء من أدوات المدرسة بكوا وناحوا وقالوا هذه آلات الحرب واذا رأى البطريرك تفاقم الخطر من هذه الوسائس أسترضى العرفان بأن أناط بهم التعليم الاولى فى المدارس التى أنشأها ولم تمض مدة حتى تقدم التعليم فيها ونجحت نجاحا باهرا وأنجبت تلاميذ يجيدون التكلم باللغات المختلفة وكان يدعو سنويا كبار القوم و يوزع جوائز فاخرة على التلاميذ الذين ينبغون تشجيعا لهم وتنشيطا لسواهم وكان معظم التلاميذ من أبناء

الوجهاء ولهذا كان يعاملهم معاملة حسنة وينبه الاساتذة ليربوهم تربية سامية . ولشدة غيخته وجد مرة احد الاساتذة نائما فأمر باحضار فلقة ليضربه لولا ان شهدت تلامذته بمرضه

وكلف أحد القسوس الكنيسة الكبرى بالازبكية المدعو القمص تكللا المعروف باجادة واتقان الالحان الكنسية بأن يختار من بين تلامذة المدرسة عددا من ذوى الاصوات الحسنة وعهد اليه بتعليمهم واعد لهم ملابس خاصة وكانوا يقومون بالخدمة فى الكنيسة فكان ذلك داعيا لابتهاج الاهالى فاقبلوا بأولادهم الى المدرسة وواظبوا معهم على حضور الكنيسة

وبعد قليل تخرج من تلك المدرسة تلامذة كثيرون واتفق انشاء مصلحة السكة الحديد بالديار المصرية فانتظموا فى خدمتها وانتشروا فى محطاتها وكانوا يؤدون اعمالهم باللغة الانكليزية وبعضهم استخدم فى البنوك وعند التجار لمعرفة اللغة الطليانية . وكان اهتمامه عظيما بتعليم اللغة القبطية واحيائها بعد موتها فطبع منها عدة كتب بدار الطباعة بلندن فتعلمها ابناء المدارس وتكلموا بها فكانت الى آخر أيامه من أهم اللغات التى يتكلم بها أبناء المدارس وكان يقول أنى انتظر بفروغ صبر استعداد تلامذة مدارسنا لتلقى العلوم العقلية كالمنطق والبيان وغيرها من العلوم العالية التى يتسع بها العقل وتغزر المادة »

ثم وجه عنايته الى ترميم الكنائس واعادة ما تخرب منها فأعادها الى ما كانت عليه . ولما رأى صعوبة تحمل ساكنى حارة السقاين والجهات القريبة منها المشاق لحضور الصلاة بكنيسة الازبكية سعى لدى سعيد باشا سنة ١٥٧٢ ش ليحصل على اذن ببناء كنيسة فى تلك الجهة فصدر له فى ٥ ربيع الاول سنة ١٢٧٢ هـ فكرس مكانا بمنزل رجل شهرته القيصاوى ليكون كنيسة الى حين التمكن من بناء جديد وأقام أول صلاة فى تلك الكنيسة وبقيت الكنيسة فى ذلك المكان الى أن بنيت الكنيسة الحالية سنة ١٥٩٧ ش و١٨٨١ م

وعقب هذا التقدم والنجاح العلمى والدينى وجه نظره نحو انشاء مكتبة تجمع الكتب النفيسة فالقى بالدار البطريركية كثيرا من الكتب المطروحة بدون اعتناء والتى عبثت بها العوادي وبينها كتب ثمينة للغاية فالتفت اليها وأخذ فى اصلاح ما فسد منها ووضعها فى مكان خاص ثم جمع من خزائن الاديرة والمعابد القديمة نفائس الكتب وأشهر السجلات لوضعها فى المكتبة أيضا ورسم بتصحيح الكثير من كتب الكنيسة وقد كانت محشوة بالخلط والتخريف لاسيما وقد امتدت أيدي البابوين فى العصور المظلمة التى مرت على كنيستنا الى أهم كتب الكنيسة فشوهتها فصححوها ما فيها وضبطوا عباراتها على أحسن ما يرام

ومن ثم شعر بضرورة احضار مطبعة لطبع الكتب المحفوظة بالدار البطريركية ومما يدل على عظم توقيره للعلم انه يوم وصول أدوات المطبعة كان بدير القديس انطونيوس فأرسل يأمر باستقبال

المطبعة باحتفال رسمى يرتل فيه الشمامسة التراتيل الدينية ولما رجع من الدير عاب عليه بعضهم هذا الامر فاجابهم لو كنت حاضرا لرقصت أمامها كما رقص داود أمام تابوت العهد

ووقع فى أيامه خلاف بين الحكومتين المصرية والحبشية بسبب تعيين الحدود بين الحكومتين . وقيل ان السلطان عبد المجيد هو الذى أوعز الى سعيد باشا بأن يرسل بطريرك الاقباط الى بلاد الحبشة لعقد اتفاقية بينه وبين ثيودور ملك الحبشة الذى كان قد تعدى على بعض جهات من أقليمى هرروزيلع التابعتين حينئذ للحكومة العثمانية فجهزت له باخرة وقام البطريرك بهذه المهمة السياسية صبيحة يوم بدون أن يدري أحد الا الذين رافقوه للسفر وبعض خدامه فسافر والكآبة تعلو وجهة لتشاؤمه من ذلك السفر وكان يرافقه اثنان من الاغوات الترك فانتهاز فرصة طول السفر وتمكن من أن يتعلم منها اللغة التركية

ولما علم نجاشى الحبشة بقدومه خرج لملاقاته بموكب حافل على مسيرة ثلاثة أيام من عاصمة مملكته وطلب منه أن يمسحه ملكا بحضور جميع ملوك الحبشة . قال صاحب تاريخ الكافى « وكان فى مكدلة نفر من الانجليز مرسلين من الجمعية المعروفة بجمعية التبشير بالانجيل لبث تعاليم مارتين لوثر الدينية بين الحبشان وقد تقربوا من النجاشى بعمل المدافع وصنع الاسلحة لعسكره وتعليمهم فنون الحرب والقتال حتى مال اليهم وأعطاهم الحرية ليجولوا فى كل مكان فكادوا يعبثون بطقوس الكنيسة القبطية ولم يفلح مطران الحبشة فى مقاومتهم فانتهاز فرصة وجود البطريرك ورفع أمرهم اليه فبعد انقضاء الافراح طلب البطريرك من النجاشى أن يرد لبلاد مصر ما أخذه منها فاجابه الى طلبه بسرور زائد ثم كلمه بشأن المرسلين الانجليز وطلب منه ترحيلهم فاعتذر بكونهم يعلمون جنوده فنون الحرب فأفهمه أن الحال غير داعية الآن للحرب فأمر النجاشى باخراج المرسلين من بلاده فحققوا على البطريرك وعولوا على الانتقام منه

وكان البطريرك قد بعث يطلب من سعيد باشا أن يسير اليه ببعض الصناع والمعلمين فدىس اليه قنصل الانجليز بأن كيرلس يروم أن يسلم بلاده الى النجاشى ومازال سعيد باشا حتى قام الى الخرطوم بجيش عظيم وفى الوقت نفسه كان الانجليز يحكون مكيدة أخرى ضد البطريرك لدى النجاشى فدىسوا اليه أيضا بأن قدوم كيرلس اليك انما هو لطرده الانجليز الذين كانوا يعدون لك آلات الحرب ليتمكن والى مصر منك وقد حمل اليك من قبل سعيد باشا كساء مسموما اذا لبسته قضى عليك وكان بين الهدايا التى قدمها البطريرك للنجاشى برنس مزرکش بالجواهر الكريمة فهال النجاشى الامر لا سيما لما علم بقدوم سعيد باشا بجيشه الى الخرطوم وأمر فسجن البطريرك وضيق عليه الخناق وخشية من أن يفلت البطريرك ويمسح ملكا للحبشة آخر سواه اصططحبه معه فكان يسوقه أمامه فى كل مكان يحل به محاطا بنفر من الحراس وكان اذا جلس يوقفه أمامه و يبكته بأقصى الالفاظ

وتمكن البطريرك من ان يصل الى والده النجاشى وكانت تقية ورعة وافضى اليها بجلية

الخبر فتوسلت الى ولدها من جهته فسمح له أن يدافع عن نفسه فتمكن من اقناعه بجلبيل مقاصده ومن ثم طلب أن يلبس الثوب الذى ارتاب به فلبسه البطريرك مدة يومين دون أن يصاب بأذى ولبسه رجل محكوم عليه بالموت مدة ثلاثة أيام فلم يصبه شىء البتة . وكان النجاشى قد أمر بحرق البطريرك حيا فعفى عنه وارسل البطريرك يخبر سعيد باشا ان نجاحه متوقف على رجوعه من حيث أتى فرحل سعيد باشا ورجع الى مصر وعند ذلك تحلى للنجاشى سوء تصديقه للوشاة واعتذر للبطريرك برفع الحجر على رأسه

وكان قد مر أكثر من سنة منذ خرج البطريرك من مصر ولم يرد منه خبر أو يسمع عنه شىء فقلق الناس لذلك . وبعد سنة وأربعة أشهر وصل مكتوب منه ينبىء بأنه وصل للخرطوم ومعه اثنان من رجال حكومة الحبش أحدهما قسيس الملك والثانى وزيره فسر محبوه الذين حسبوه قد مات ووصل القاهرة فى ١٧ أمشير سنة ١٥٧٤ ش فاستقبل استقبالا عظيما

وعقب عودته واستكمال راحته من عناء السفر بثلاثة أشهر شرع فى يوم الخميس ٢٨ برمودة سنة ١٥٧٥ ش ببناء الكنيسة الكبرى بالازبكية وكان يوم تأسيسها يوما مشهودا حضر فيه جميع كبار البلاد ورؤساء الطوائف . وقد أمر بنقض الكنيسة القديمة التى أتمها المعلم جرجس الجوهري فى عهد البابا مرقس الثامن ومازال مجتهدا مسرعا فى اتمام البناء لانه كان يقول بكآبة قلب نفسى تحدثنى بأنى ساقبر فيها قبل أتمامها حتى توفى فباشر أتمامها خلفه ديمتر يوس وأكمل زخرفها سنة ١٥٩٦ ش غبطة البطريرك البابا كيرلس الخامس

ورأى بعد ذلك ان أفضل سبيل لنجاح كنيسته وطائفته ترقية وتهذيب الاكليروس فكان يجمع كل سبت جميع القسوس بالدار البطريركية ويحضر معهم و يناقشهم و يشرح لهم واجبات القسوس وآدابهم وماينيلهم حظوة فى عيون الناس ولهذا جعل رواتب شهرية لمن يعرف اللغة القبطية والوعظ فعرف كيف يحبب لهم العلم ويقاوم بهم المبشرين فى مصر والحبشة وقال المؤرخون انه كان ميالا الى تعليم البنات وتهذيبهن الى حد يكن فيه معينات لازواجهن ومربيات لاولادهن فصادف من المقاومة فى ذلك اشكالا ولكنه كان يتحين الفرص ويتبين انتفاعها فلم تطل أيامه

ويذكر البعض للبابا كيرلس عيبا وهو انه بدد نقودا كثيرة تبلغ نحو نصف مليون كانت مكممة بالدار البطريركية من مال الاوقاف وقال انه أنفق ١٧ الف بندقى لعمل كساو مخصوصة وأطقم كاملة لتلبسها الشماسة وبدرشينات وطواق مفضضة . غير انه لم ينفق شيئا فى غير محله فكل ما أنفقه عاد على الطائفة بالنجاح والفلاح

وقد وقعت لهذا البابا مأساة محزنة دبرها له دهاة ساسة الانجليز الذين كانوا ناقلين عليه لانه طرد مرسلهم من بلاد الحبشة ولم يمكنهم من أخذ دير السلطان بالقدس واشتد غيظهم عليه عندما

علموا عزمه على توحيد الكنائس الارثوذكسية فبعد رحيل وزير نجاشى الحبشة شعر البطريرك بتغير سعيد باشا عليه واتفق أنه أصطحب معه بطريركى الروم والارمن الى دير القديس أنطونيوس بالجبل الشرقى ليقتضوا فيه أياما ترويحاً للنفس فانتهازاً قنصل الانجليز جنرال مرى ودس الى سعيد باشا بأن كيرلس انما يسعى لجعل الكنائس الارثوذكسية تحت رئاسته ويضعها تحت حماية دولة روسيا وأفهمه ان هذا أعظم خطر يهدد الولاية المصرية فأرسل سعيد باشا الى مدير بنى سويف يأمره بأن يستدعى البطريرك حالا فاستمهل أياما فاشتد غيظ سعيد باشا قال صاحب تاريخ «الكافى» فلما كان فى أحد الايام جاء اليه رسول من قبل محافظ مصر يستدعيه الى الديوان لأمراً لا يتم الا بحضوره فلم يقبل الذهاب وصرف الرسول بالتى هى أحسن فعاد اليه ثانية وثالثة فلم يربداً من الذهاب وسار معه وغاب ساعة ثم عاد ووجهه يقطر منه العرق وقد نزلت به حمى فعرف العلة وأشار بالدواء فلم يأت به حتى أتاه طبيب محمد سعيد باشا بأمر منه وأخذ فى علاجه ومازال يعالجه أياما وقد اشتدت علته وعظم الداء وفقد الرشد وسقط شعر رأسه ولحيته على وسادته وانحل جسده ومات « أهـ

وقال الايغومانوس فيلوثاوس رئيس الكنيسة الكبرى انه لم يقبل السم فى القهوة لانه سمعهم يتكلمون بالتركية وهو يفهمها ورجع الى قلايته كئيباً حزينا حتى أثر عليه الاسف ومرض فاحتالوا عليه بواسطة صديقه ورتبيت الارمن والخوارجا حنا مسره الذى سيرد ذكره وأحضر له طبيباً قالاً عنه انه أمين ولكنه دس له السم فى الدواء فلما شعر به يمزق أحشاءه سلم الامر لله وهو يقول « لا تخافوا ممن يقتل الجسد بل خافوا ممن يقتل النفس » أهـ

وكانت وفاته فى ليلة الاربعاء ٢٣ طوبه سنة ١٥٧٧ ش و ١٨٦١ م ودفن بتربته التى أبتناها لنفسه بالكنيسة الكبرى وخلا الكرسي بعده سنة واحدة وثلاثة أشهر وسبعة أيام كان يدير البطريركية فى أثنائها أنبا مرقس مطران البحيرة .

وليس من ينكر ان السبع السنوات والتسعة الاشهر والثمانية عشر يوماً التى قضاهـا هذا البطريرك فى الرئاسة كانت خيراً وبركة لكنيسته وطائفته . وجاء عنه فى كتاب « الخطط التوفيقية » ج ٦ « ان حالة الادارة البطريركية من جهة سياسة الاكليروس ورعاية الامة ونحو ذلك قد امتازت فى مدته كثيراً جداً عن السابق ولقد كان هذا البطريرك حاذقاً نبهاً ذا عناية شديدة بالمنقطعين وذوى البيوت من أمته طلق اللسان عارفاً بالتاريخ مدققاً فى علوم الدين المسيحى محافظاً على جُود المذهب ماقماً للرشوة غير مكترث بالمال قائماً بأعباء وظيفته وفى الحقيقة انه كان لم تعب سيرته بشيء ما ولو لم يكن حاداً فى المشروعات سريع الاقدام على الامور التى تفتقر للتأنى والمشورات لكان يعجز القلم عن تحبير صفاته » أهـ

و يصفونه بأنه كان متوسط القامة ممتلئ الجسم قوى البنية صحيح الاعضاء أبيض اللون حاد النظر والذهن كبير الرأس عريض الجبهة كثيف اللحية اسودها . وكان كثير الامثال فى

حديثه قلما يلتقى عبارة لا يسندها الى مثل وهو غاية فى العفة والتقشف لا يشرب الخمر شديد الكره لمقابلة النساء ومحادثتهن حلیم بعيد الغضب عظیم الاحترام للرهبنة محافظا على أصولها شديد القساوة على الاكليروس كلفا بمخالطة العلماء ومجالسة الفضلاء ولم يكن يستنكف أن يجاهر بغلظة اذا بان له ومما يؤثر عنه قوله « ان انتقلنا مما نحن فيه الى ما يجعلنا فى مصاف غيرنا يحتاج الى أعمال وأتعاب كثيرة يلزم لها عمرونوح وصبرأيوب »

قيل انه لما طلب منه سعيد باشا القيام للحبشة عرض عليه أمر طائفته القبطية بصفة كونها قائمة بنصيبها فى خدمة البلاد ورجاء أن تمنح مزية المساواة فيكون منها أعضاء فى المجالس المحلية كاخوانهم المسلمين و يسمح للموجودين منهم فى الخدمة العسكرية أن يكونوا ضباطا ورؤساء وأن يقبل منهم طلبة فى المدارس العالية فوعده سعيد باشا باجابة طلبه بعد عودته من بلاد الحبشة ولكنه بعد رجوعه جدد طلبه فصار يماطله حتى قطع الرجاء . وقد ظن بعضهم انه طلب من الباشا أن يعفى أولاده من خدمة الجندية فأجاب « حاشاى أن أكون جبانا بهذا المقدار لا أعرف للوطنية قيمة فأحرم البلاد من خدمة ابنائها لها » قيل لما شعر الموسيوسباتييه قنصل فرنسا فى مصر بمطالبه عرض عليه استعداده لمساعدته فيما يختص بمساواة الاقباط بالمسلمين فى الوظائف العسكرية على شرط انه يتحصل على تصريح من ملك الحبشة بدخول رهبان اليسوعيين فى بلاده والتوطن فيها فأبى أن يجيبه الى طلبه . وكان مسالما لجميع طوائف المسيحيين و بينه وبين رؤسائهم صداقة عظيمة لاسيما الروم الارثوذكس ولما سافر بطريركهم الى الاستانة كلف البابا كيرلس بمباشرة أشغال بطريركيته الى أن يعود

وفى مدته أقام مطرانا خصوصيا لمصر ولم يكن بها من قبل مطران نظرا لوجود مركز البطريرك بها وأقام على البحيرة والاسكندرية مطرانا أنبا مرقس وعلى المنوفية مطرانا آخر أنبا يؤنس الذى رافقه فى سفره الاول للحبشة باسم الراهب برسوم وقد كان على الجهتين رئيس واحد من قبل ورسم مطرانا للقدس أنبا باسيليوس وأسقفين للوجه القبلى بعد وفاة سلفيهما

ومن القوانين السامية التى رسمها الامر بعدم تزويج فتاة الا متى بلغت الرابعة عشرة وأن تكون الخطبة بعقد صلح يمكن حله متى أريد لا عقد أملاك وذلك حفظا لسلامة العائلات وتخلصا من الطلاق الذى كان أبغض الامور لديه ولهذا شدد بضرورة اعتراف الزوجين قبل الاكليل حتى لا تحصل أية شكوى بعد

وللبابا كيرلس نواذر تستحق الذكر فن ذلك أنه كان كلفا بلبس لباس الاعراب لاسيما وهو مختلط بهم حال رئاسته لدير بوش (١) فحدث مرة انه اصطحب معه بعض الاعراب لزيارة

(١) عن كتاب نوايغ الاقباط ومشاهيرهم فى القرن التاسع عشر ج ١ ص ١٠٢ ، ١٠٣ .

الدير ففكر شيخ أولئك الاعراب فى سلب البطريرك ومن معه من قصاد الدير ولما وقف البطريرك على سوء نيته دبر طريقة للتخلص منه وذلك انه فى ليلة حالكة الظلام وقفت فيها القافلة للراحة خرج ذلك الشيخ من خبائه وتوغل فى البادية لقضاء حاجة فتعقبه البطريرك وهو مرتد برداء الاعراب وقبض على سلاحه وأمره بخلع ملابسه فأذعن الشيخ رغما عنه ولكنه عرفه بنفسه ورد له سلاحه فعذل الشيخ عما كان ينويه

ومن ذلك انه قصد المنيا مع بعض الاعراب لشراء مواش للدير ونزلوا ضيوفا بدار الانبا ياكوبوس أسقف المنيا المشهور بالكرم وحسن الضيافة وقبل انصرفهم من عنده مال اليه القس داود بلباس الاعراب وقال له « أنا القس داود بقيت لاشكرك » فذعر الاسقف واستنجد بخدمة وكان القس داود قد لحق بأصحابه وأمعنوا فى السير

وبعد رسامته بطريركا كان نازلا مرة بدار ابن عم له ببوش وهو لا بس ملابس الاعراب فأتى بعض العونة الذين يدعون انهم قسوس كنائس معينة وجلسوا بجانب البطريرك يحدثونه بأنهم أصدقاء البطريرك وانه يجلبهم ويحترمهم فتركهم ورجع بلباسه الكهنوتى وهو يقول لهم ها أنا صديقكم البطريرك جئت لكم لابرهن على صداقتى لكم بأن أكلف المدير بالقبض عليكم ليتولى اكرامكم ريثا أعود الى القاهرة

ومن نوادره بعد رسامته بطريركا (١) انه جاءه مرة رجل يطلب طلاق امرأته لانها خرساء وعمياء ومكسحة فقال له أن الانجيل يأمر أن نفعل بالناس ما نحب أن يفعلوه بنا فهب انك كنت أعمى ومكسحا وأخرس فهل كنت تود أن تطلب امرأتك طلاقك فاقنع وانصرف

وأما يوما أيضا رجل يشكو من حميه لانه حجز زوجته عنه فدعا أبو الزوجة فاعتذر بفقر الزوج وسوء تصرفه فصرفه البطريرك ليحقق دعواه ثم أرسل لبيت الزوج كل ما تحتاجه البيوت ومن ثم دعا ابا الزوجة مع بعض الاعيان ليرى بيت صهره فوجدوا البيت كامل الاثاث وأرسل البطريرك الى زوجة الرجل يأمرها بعدم مقابلة زوجها فلما توجه الى بيته لم تشأ زوجته أن تقابل كأمر البطريرك فضى اليه يطلب حله فوبخه قائلا اذا كنت لم تستطع فراق زوجتك يوما واحدا فكيف بصهرك الشاب فخجل وقبل رجوع ابنته الى زوجها اذا صرح لزوجته بمقابلته فاشترط البابا كيرلس مقابل ذلك أن يدفع ٧٥ جنيها التى أنفقها على بيت صهره وألزمه بها بداعى أنه هو الذى قبل هذا الزوج على فقره فكان له ان يرفض طلبه ليتزوج امرأة فقيرة مثله عيش معها راحة نعم

(١) عن الخريدة النفيسة فى تاريخ الكنيسة - ٢ .

ومما يؤثر عنه أنه وهو رئيس دير بوش زار الدير المحرق فطلب منه راهب غضب عليه رئيسه أن يتوسط في الصفح عنه فأبى الرئيس قبول وساطته ولما جاء المساء واجتمعوا للصلاة طلب منه أن يتقدمهم في العبادة فبدأ بتلاوة الصلاة الربانية بصوت عال حتى انتهى الى قوله « وأغفر لنا ذنوبنا كما نغفر نحن أيضا للمذنبين الينا » فقال هكذا « ولا تغفر لنا ذنوبنا كما نحن أيضا لانغفر للمذنبين الينا » فنبه رئيس الدير ظانا أنه أخطأ فأعاد الصلاة ثانية وكررها هكذا فكرر له الرئيس التنبيه . فعند ذلك أجابه هل نكذب على الله وهل أنت غفرت خطية أخيك حتى يغفرك الله ؟ فخجل الرئيس واسرع بمساحة الراهب من كل اثم جناه وحدث أنه زار العزيز مع بعض علماء المسلمين فقال له أحدهم أنكم زغما من كونكم أصحاب كتاب فأنتم مشركون لانكم تجعلون لله أبنا مساويا له بالجواهر فقال له البطريك ورد في صورة الشورى « وليس كمثله شيء » فقال له العالم الكافر زائدة فقال نحذفها اجابه لا يمكن قال البطريك نعمل بحكمها فقال العالم لا فاجاب البطريك من اين أنت الحيرة فتقدم واحد وقال « لا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتى هى أحسن »

وقيل أن سعيد باشا أعترض أمامه على المسيحية لانها تساوى بين الرجل والمرأة فاجابه البابا كيرلس اذا أتت المرأة أمرا مشكورا فهل لا يكافئها الله باقل مما يكافىء به الرجل فقال البابا حاشا لله من الظلم فاجابه « اذا كانت أحكام السماء تقضى بذلك فبالاولى أحكام الارض » .

وروى انه بينما كان فى زيارة رجل كاثوليكي طلب هذا مناقشته فى الطبيعة والطبيعتين فلم يشأ البطريك ان يرد عليه وبينما كان خارجا قال للبواب « كم واحدا تعبد يا حمد ؟ » فاجابه « أستغفر الله لا أعبد سوى واحد أحد » فقال له قل لسيدك لماذا يشرك مع الواحد آخر وأنصرف

وحكى أيضا أنه زاره القاصد الرسولى يصحبه الخواجا يوحنا مسرة طالبا منه أن ينضم للبابا وكان حينئذ مشغولا فى بناء الكنيسة فجلس معهم واطهر أنه مهتم بفحص كتاب كان معه ولما طال زمن أنشغاله بالكتاب قال له الخواجا مسرة علام تفتش ؟ فاجابه لقد أصبحت فى حاجة الى المال بسبب العمارات القائمة وعرض على أحدهم أن أستعين ببيع الغفرانات فاخذت أفحص الكتاب المقدس لعلى أهتدى فيه الى ما يبرر هذا العمل ومع ذلك ضاع تعبى عبثا فاذا كان لحضرة القاصد معرفة بشاهد يؤيد الغفرانات فليدلى على ففهم القاصد المراد وانصرف خجلا

ومما يدل على مقدار تواضعه وتسامحه انه عاقب كاهنا بدون ان يتحقق عما اذا كان مذنبا أو غير مذنب ولما ظهرت له براءته تعلق به وطلب منه ان يصفح له فخجل الكاهن ولكنه لبث يلح عليه حتى قال له « الله يحلك » و يروى عنه أيضا أنه لما سافر الى الحبشة وكل الى المعلم برسوم واصف الاشراف على جميع أعمال الدار البطريكية أثناء غيبته وعند عودته سعى واش بالمعلم برسوم لدى البطريرك سعاية أدت الى نفور بينهما ولم يمض الا القليل حتى ظهرت الحقيقة وثبت للبطريك ان

الزنجيل برىء مما نسب اليه فندم على ما فرط منه ضد المعلم برسوم واسرع فحسب اليه يعوب : بعد
تحرير المسألة فوجدتها كلاما لا أصل له فأرجوك المسامحة لانى بشرى غير معصوم من الخطأ» ثم
وقع هكذا : الحقير كيرلس

(٣) ديمتريوس ٢ - البطريرك المائة والحادى عشر :

كان أولا يدعى ميخائيل رئيس دير القديس مغاريوس ببرية النطرون أنتخب
للبطريركية ثم قرر فى ٩ بؤنة سنة ١٥٧٨ ش و ١٨٦٢ م فى أواخر خديوية سعيد باشا وبعد تقليده
زار الجناح الخديوى وذوات الحكومة فقال له سعيد باشا عند أول مقابلة له « لا تفعل مثل سلفك
كلما يلزم لك قل لى عليه وانا مستعد لتأديته لك » .

ثم شرع البابا ديمتريوس فى تكميل الكنيسة الكبرى بالازبكية التى أسسها سلفه حتى
تمت على نظامها الحالى واستمر يدير حركات المدارس التى أنشأها سلفه أيضا وقد توفر له الحظ
عند تولى الخديوى اسماعيل باشا سنة ١٨٦٣ م اذ انعم عليه بجملة كثيرة من الاراضى الزراعية
للقيام بلوازم بطريركيته ومدارسه ولم يبرح مرادفا له بصلاته مسعفا له باصدار أوامره الكريمة باجراء
أمتحان مدارس بعد أمتحان المدارس الاميرية كالرسوم الجارية بها وذلك بان يصير الامتحان
باحتراف يحضره كل عام كرام القوم والعلماء والامراء الامر الذى أضحت المدارس القبطية تفتخر به
فى كل زمان ثم رقى اسماعيل باشا جملة من قومه الاقباط الاصليين للرتب والوظائف الاميرية
ولما قدم السلطان عبد العزيز الى مصر فى سنة ١٨٦٣ م دعا اسماعيل باشا العلماء
والوزراء والاباء الروحانيين والوجوه ليحفظوا بمقابله . وعين لهم يوما قال المعاصرون انه وافق يوم
الجمعة العظيمة للارثوذكسين وكانت العادة فى ذلك العهد أن من يدع للمثول بين يدي السلطان
يقبل طرف ثيابه فلما جاء دور البابا ديمتريوس تقدم توا ولثم صدر السلطان فانزعج السلطان ودهش
الحاضرون وعدوا ذلك من البطريرك جسارة كبيرة . ولما سئل عن معنى التقبيل الغريب الذى لم
يسبقه اليه غيره أجاب « أنما أنا أقبل يد الله ملك الملوك وسلطان السلاطين لانه ورد فى الكتاب
المقدس « أن قلب الملك فى يد الرب » (أم ٢١ : ١) وكان مع البطريرك قس يقال له القمص
سلامة يعرف التركية فترجم كلام البطريرك فلما سمع السلطان ترجمة هذه العبارة أبتسم سرورا
وأنعم بالف فدان من املاك الحكومة للمدارس القبطية ثم زادها الخديوى اسماعيل خمسمائة فدان
أخرى فى مديرية الشرقية .

وبعد ذلك بلغ البابا ديمتريوس أن بعضا من قومه بالجهات القبلية نبذوا عنهم بعض
عقائدهم الارثوذكسية وأتبعوا آراء أجنبية طارئة فقام بنفسه فى برمهات سنة ١٥٨٣ ش لتفقد تلك
الجهات يصحبه العلامة الشهير الايغومانوس فيلوثاوس رئيس الكنيسة الكبرى وعينت له الحكومة
مركب بخار من طرف الحكومة السنية حسب القامة وزار مدن وبلاد وكنائس الوجه القبلى الى

ان بلغ أسنا وأستمر فى هذا السفر ثلاثة أشهر وبعد حصوله على اقناع وارتداد أولئك الاشخاص
وضمهم للكنيسة عاد الى مركزه

واستمر فى الرئاسة سبع سنين وسبعة شهور وسبعة أيام وتوفى ليلة عيد الغطاس أعنى ليلة
١١ طوبة سنة ١٥٨٦ ش و ١٨٧٠ م (١)

(٤) كيرلس ٥ — البطريرك المائة والثانى عشر:

وهو البطريرك الحالى ولد فى قرية تدعى ترمنت من مديرية بنى سويف سنة ١٨٢٤ م
ودعى باسم يوحنا وبعد ميلاده بزمان يسير هجر أبواه مسقط رأسيهما واستوطنا بكفر سليمان
الصعيدى بمديرية الشرقية ومازالت عشيرته بذلك الكفر الى يومنا هذا .

ولما بلغ سن الرشد رسم شماسا من مطران القدس أنبا أبرآم المتوفى وبعد قليل توفى والداه
فاعتنى بتربيته المعلم بطرس أخوه البكر وكانت تلوح عليه من حدائته دلائل التقوى والميل
للانقطاع عن العالم ومحبة الكتب والمطالعة فكان يتجنب أترابه من الشبان ويخشى على طباعه ان
تؤثر عليها طباعهم وكان يحترم أب أعترافه أحتراما فائقا

ولبثت بذور الفضيلة تنمو فى قلبه حتى بلغ العشرين من عمره أعنى سنة ١٨٤٤ م فصار
يتردد بين أمرين أما ان ينذر نفسه لله ويعيش بتولا بين الرهبان أو يتزوج و يصير رب عائلة فتغلب
عليه أمياله وعواطفه وقصد دير السريان بالجبل الغربى فلم يلبث به بضعة أيام حتى أسترجه أهله
واخذوا يلاطفونه كى لا يتركهم ولكن كان يتحين الفرص لترك العالم وملأذه وآثر العيشة التى
كانوا يخيفونه منها وتمكن من الهرب وترهب بدير السيدة العذراء بالبراموس

وكان هذا الدير فى غاية الفقر والفاقة اذ كانت أيراداته فى أيدي الغير يستغلونها لانفسهم
حتى لم يكن يقتات رهبانه الا بالترمس الذى كان مدخرا بالاديرة من عهد المرحوم المعلم ابراهيم
الجوهري ومن ثم تناقص عدد رهبانه الى أربعة وكان البابا كيرلس بينهم سالكا مسلك الفضيلة
متما قوانين الرهبنة كما يجب فاتفقت الكلمة على ترقيته لدرجة الكهنوت فكتبت له تزكية وفى
سنة ١٨٤٥ م رسم قسيسا من اسقف المنوفية المتوفى أنبا صرابامون على كنيسة حارة زويلة .

وبعد قليل طلبه الرهبان ليتولى ادارة شؤونهم فسلم له تدبير أمور مجمع الرهبان بنفس الدير
فظهر ناجحا فى المعرفة والسيرة واحتقاره لذاته حتى كان يوزع على الرهبان مما يكسبه من نسخ
الكتب واشتهر حينئذ « بيوحنا الناسخ » فتحسنت أحوال الدير وزاد عدد رهبانه الذين ساروا على
منواله فى احتقار العالم ومجده الباطل

وطالما رغب سلفه وكثير من الامة فى احضاره للقاهرة وتعيينه فى رتبة أعلى مما كان عليه فلم يقبل ولم تسمح كبار الرهبنة بتركه أيهم الى أن استدعاه البابا ديمتريوس سنة ١٨٥٥ م ورسمه أيغومانوسا وأقامه مساعدا فى الكنيسة الكاتدرائية بالازبكية . فشق الامر على رهبانه ولم يطيقوا احتمال فراقه فكتبوا يستعطفون البطريرك ليعيده اليهم فلبى طلبهم وارجعه الى مكانه فقام باعباء وظيفته خير قيام

ولما توفى سلفه أقامت الامة باستئذان الحكومة السنية نيافة الانبا مرقس مطران البحيرة ووكيل الاسكندرية وكيلا لاجل عدم توقيف حركة ادارة الدار البطريركية فجعلت الحافظ الجميع تتوجه نحو الايغومانوس يوحنا واصوات الانتخاب تترادف عليه ولولا ما حصل من الاسباب الاعتيادية والاغراض الشخصية التى نشأ عنها خلو المنصب البطريركى من الرئيس اربع سنوات وتسعة أشهر لاحضر وقلد حالا

وكانت الامة قد رتبت لها مجلسا مليا يتعاطى تدبير أمورها الخصوصية وتأييد مجلسها هذا بامر عال كريم فبعد بسنة التمسست الامة بواسطة مجلسها من مقام الخديوية السنية أحضاره بمساعدة الحكومة لرسمه بطريركا فتم ذلك وكلفت الحكومة مدير البحيرة باحضاره فحضر للقاهرة وانتخبه البطارقة والاساقفة واعيان الطائفة القبطية بطريركا للكراسة المرقسية فى ٢٣ بابه سنة ١٥٩١ ش و ١ نوفمبر سنة ١٨٧٤ م باحتفال حافل حضره كبار الامة والامراء والرؤساء الروحانيين فى الكنيسة الكبرى بالازبكية وفى ثانى يوم من بطريركيته زار الجناح العالى الخديوى اسماعيل باشا وبعد ذلك لبث ثلاثة أيام فى مركزه البطريركى يقبل تهنئى الامة

واذا أردنا أن نعد فضائله ومآثره بعد رسامته بطريركا يضيق بنا المقام نظرا لكثرتها وبلوغها الحد الاسمى فن صلاح متناه الى محبة للفقراء ومساعدته للمنكوبين ناهيك عن الاصلاحات التى قام بها لطائفته وأمتة فشاد جملة قصور فى كل دير من أديرة القاهرة ومصر القديمة وشيد ثلاث عشرة كنيسة بمصر والخرطوم والجيزة وزين الكنيسة الكبرى بابدع أنواع الزينة وأنشأ تسع مدارس بالقاهرة والجيزة منها المدرسة الاكليريكية ومدرسة البنات بالازبكية والصنائع ببولاق واشترى لخدمة البطريركية أكثر من خمسمائة فدان واشترى السراى الكائنة بمهمشة حيث المدرسة الاكليريكية حتى زاد ايراد البطريركية ستة أضعاف عما كان أولا وجل نفقة هذه المشروعات النافعة كان يقدمه من أيراده الخاص وتبلغ الاموال التى أنفقها من ماله خاصة أكثر من سبعين الفا من الجنيهات

وعلا نجم الامة القبطية فى عهده فانتشرت الحرية واتسع نطاق العمل وعم العلم وتقدم أبناؤه فى البلاد فاصبح منهم السراة المعروفين والاغنياء المشهورين والذين تعلموا منهم نالوا الرتب

العالية فى الحكومة فعظم شأنهم وارتفعت كلمتهم وارتقى العلم الدينى فصار صوت الوعظ يسمع فى أغلب كنائس القطر وأنشئت مدارس للرهبان بحيث يحكم البصير لاول وهلة أن التقدم السريع الذى حازته الامة القبطية فى هذا الوقت القصير لم يكن يؤتبه الا الله القادر على كل شىء بواسطة خليفه رسله البابا كيرلس الخامس وبالجمله فلم يتوفر للامة القبطية حظ ولم تتح لها سعادة كما فى عهد البابا كيرلس

أما حوادث الخلاف التى وقعت بين غبطته وبين بعض رجال أمتة فنذكرها ملخصة عن كتاب «القول اليقين فى مسألة الاقباط الارثوذكسين» للمرحوم يوسف بك منقر يوس : —

بعد وفاة البابا ديمترىوس الثانى تولى ادارة شئون الكنيسة الانبا مرقس مطران الاسكندرية ووكيل الكرازة المرقسية سنة ١٨٦٢ م ولما كثرت عليه الاعمال استعان ببعض المتقدمين من الطائفة على أنجازها فشكل منهم مجلسا شورى لبحث يدير معه أمور الطائفة ثم طلب منه الاعضاء أن يطلب من الحكومة اعتماد مجلسهم ففعل وأجابت الحكومة طلبه فى ١٥ ذى الحجة سنة ١٢٩٠ هـ

ولما ارتقى غبطة البطريرك الحالى كرسى البطريركية وضع مع أعضاء المجلس حسب روايتهم لائحة تقضى بوجوب نظر المجلس فى مصالح الكنائس وأحوالها وفى المدارس والاقواف والفقراء والاحوال الشخصية ورسمية القسوس وغير ذلك واتمس البابا البطريرك من الحكومة التصديق على اللائحة فصدقت عليها فى ١٤ مايو سنة ١٨٨٣ م الا ان هذه اللائحة كانت حبرا على ورق لان أعضاء المجلس لم يهتموا بشىء ولم يوجهوا نظرهم للاهتمام بما يستدعى جهادهم وتعبهم ولبت مجلسهم ينحل شيئا فشيئا حتى فارق الحياة

وبعد مدة تحرك بعض ابناء الامة فطلبوا من غبطة البطريرك تشكيل المجلس فأبى أن يجيبهم بدون تعديل اللائحة وحذف ما فيها مما يحل بسلطته فلم يقبلوا بل رفعوا أمرهم الى الخديوى وكان وقتئذ توفيق باشا وعزموا على عقد اجتماع لاعادة الانتخاب فكتب البابا كيرلس يحيط مجلس النظار علما بالمسألة وطلب منع ذلك الاجتماع فنع

ومن ثم أستدعى البابا كيرلس المطارنة والاساقفة وكبار القسوس من كل الجهات وعقد بهم مجمعا اكليريكيا أصدروا فيه قرارا يقضى بضرورة عدم تدخل أحد من الشعب فى تدبير أمور الكنيسة ومتعلقاتها

وحمل البابا كيرلس ونيافة الانبا يونس مطران الاسكندرية هذا القرار الى توفيق باشا ورفعاه اليه فوعده بالمساعدة وقضى البابا بالاسكندرية مدة شهرين ما فتىء فيها أعضاء المجلس

يسعون ليحققوا أغراضهم غير أنهم لما قابلوا توفيق باشا أدركوا استحالة عمل شيء بدون رضا البابا كيرلس فاكروها على ما طفته ومحاسنته ولما رجع من الاسكندرية أستقبلوه استقبالا فحيا .

وكان المرحوم بطرس باشا غالى باوروبا فى أثناء هذه الحوادث وحضر بعد ذلك فالقى اليه توفيق باشا مقاليد المسألة وكلفه بحسم هذه المشاكل فوبخ أبناء الطائفة وأرغمهم على طلب الصفح من غبطة البطريرك وأنتهت المسألة على ما يرام واهتم البابا بعد ذلك من تلقاء نفسه بتعليم الرهبان ونشر المعارف وتشبيد المدارس فى البلاد حتى أصيب بمرض فانطلق الى دير العريان ترويحاً للنفس مدة

وعقب ذلك تأسست جمعية التوفيق وحررت نشرة تطلب فيها ضرورة الانفاق من ريع الاوقاف على ترقية المدارس وتسهيل وسائط التربية العالية لآبناء الامة فتعرض لهذه النشرة بعضهم يفندوها ويكشف أغلاضها وأعقبت الجمعية نشرتها بأخرى طلبت فيه تعيين مرتب للاكليروس القبطى أسوةً باكليروس باقى الطوائف فأظهر الجميع موافقتهم على هذا الرأى لتأكدهم بانه سر نجاح وتقدم اكليروسنا . ثم كتبت نشرة أخرى بضرورة إعادة تشكيل المجلس الملى فردت عليها الجمعية الارثوذكسية واحتدم الجدل بين الفريقين مدة ما

وفى خلال تلك المناظرات استدعى بطرس باشا غالى نيافة الانبا يونس مطران الاسكندرية الى القاهرة وكلفه أن يبلغ غبطة البطريرك بان الامة ترغب فى إنشاء مجلس ملى فرد البابا برضاه عن تشكيل مجلس اذا عدلت اللائحة القديمة فأبى بطرس باشا تغيير اللائحة وأصر البابا على طلبه . ولما كانت جمعية التوفيق قد تحدت غبطة البابا بكلام لم توقرفيه مركزه الدينى كتب للديوان الخديوى يطلب منعها فلم يرد عليه . وكان بطرس باشا عازما على السفر الى أوروبا وتقابل مع الخديوى ليأخذ منه اذنا بالسفر فذكر أمامه النزاع الطائفى الحاصل فأجابه بطرس باشا بانه لا يمكن أن يهدأ ما لم يشكل المجلس فصدر الامر لبطرس باشا بتأخير سفره ليسعى فى تشكيل المجلس

وأبلغ البابا كيرلس هذا القرار وهو مقيم بدير العدوية الكائن بجنوب القاهرة واستدعى الى قائمقام رئيس مجلس النظار فتوجه اليه وصحبته القمص تادرس مينا أحد قسوس البطريركية فوجدا معه بطرس باشا غالى وطالت المناقشة بين الطرفين فى أمر المجلس وغبطة البطريرك يبدى أصرارا زائدا فابلغه الوزير القائم بالامر الذى صدر النطق العالى به بضرورة تشكيل المجلس ولا بد من تنفيذه بالقوة

فانطلق البابا كيرلس للدار البطريركية وكتب للديوان الخديوى يطلب تعديل الامر وكتب أيضا كذلك لمختار باشا المندوب العالى العثمانى وغيرهما من أولى الشأن وكان ذلك فى ٢٨ يونية

سنة ١٨٩٢ م وفى مساء ذلك اليوم استدعى نحو خمسمائة نفس من رجال الطائفة بدعوة موقع عليها من بطرس باشا غالى بصفته نائب مجلس الامة لاجراء انتخاب المجلس

وفى الغد قصد بطرس باشا الدار البطريركية تتبعه عساكر البوليس ومنع الدخول الى البطريركية وصرف تلاميذ المدرسة وأساتذتها وطرده الخدم وضبطت أبواب البطريركية فارسل غبطة البطريرك يستنجد بالمعية السنية فلم ترد عليه والناس حيارى لا يعرفون ما يتم وبعد الظهر جاءت جنود أخرى وأقبل محافظ القاهرة وطلب من غبطة البطريرك أن يقبل الرئاسة على الانتخاب فأبى فقام المحافظ الى المجلس المعد للانتخاب بالمدرسة الكبرى وأفتتح الحفلة باسم الحضرة الفخيمة الخديوية وبدى بالانتخاب فاسفر عن النتيجة الآتية وهى :

بطرس باشا غالى . حنا بك نصر الله . بطرس بك يوسف . مقاربك عبد الشهد . قلىنى بك فهمى . خليل أفندى أبراهيم . يوسف بك وهبه . يوسف أفندى سليمان . حنا بك باخوم . نخلة بك الباراتى . حبشى أفندى مفتاح . يعقوب أفندى نخلة روفيلة . وهؤلاء بصفة أعضاء . وانتخب باسيلى بك تادرس . عبد المسيح بك حبشى . أبراهيم أفندى منصور . وهبه أفندى يوسف عبده . روفيلة أفندى جرجس . مرقس أفندى سميكة . أبراهيم بك روفائيل الطوخى . فرج أفندى ابراهيم . بطرس أفندى أبادير . يعقوب أفندى نخلة يوسف . عوض بك سعد الله بصفة نواب أعضاء .

وبعد الانتخاب أعلن غبطة البطريرك الديوان الخديوى والامة بالجرائد أن ما تم كان بغير أذنه وبدون رضاه وأنه لا يوافق مطلقا عليه . وكان عيد الاضحى قد قدم فتوجه غبطته مع بعض الالباء المطارنة والقسوس لمقابلة الجناب العالى فأبى أن يقابلهم وتكدرت الخواطر لهذا السبب وأراد بطرس باشا أن يستجلب رضاه سمو الخديوى على الالباء الروحانيين فكلف البابا كيرلس أن يحرر للمعية السنية خطابا يعلن فيه قبوله لانتخاب المجلس و يلتمس رضى الخديوى المعظم ويرجو التشرف بمقابلته فرفض غبطته أن يحرر خطابا هذه صورته وكتب خطابا آخر طلب فيه المقابلة فلم ترد عليه المعية السنية بل كتبت لبطرس باشا تطلب منه أن يبلغ البطريرك بان المعية لا تسمح له فيما بعد بمخاطبتها وان كان له على أحد شىء فليرفع أمره لجهات الاختصاص

هذا فضلا عن احتجاجات غبطة البطريرك المتعددة وافقت الحكومة على تقرير الانتخاب وأعلن غبطة البطريرك بذلك فكتب لمجلس النظاربانه باق على رأيه لم يتغير وكان بعض انصار جمعية التوفيق يجولون فى البلاد لاختذ توقيعات ابناء الطائفة على قرار انتخابهم فكتب غبطة البطريرك يحذر الامة من الانقياد لهم

وانعقد المجلس ورأى أنه من المستحيل اكتساب رضاء البطريرك وموافقته فاصدر قرارا مؤداه رفع البابا كيرلس الخامس من رئاسة المجلس ومن ادارة كل ما يتعلق بشئون الطائفة وان

المجلس ينتخب من يلزم ليكون وكيلًا للبطريركية ورئيسًا للمجلس . وعرض هذا القرار على مجلس النظار فوافق عليه وصدر به قرار في ٢٨ يولية سنة ١٨٩٢ ولما أطلع عليه غبطة البطريرك كتب الى مجلس النظار يحتج على رفع يده من ادارة شئون هو وحده المدبر لها

وكان مقارنًا بك عبد الشهيد في أثناء هذه المدة يسعى في استمالة أحد الآباء المطارنة أو الاساقفة لقبول رئاسة المجلس وادارة البطريركية . فكلم في ذلك أسقفى الفيوم والخرطوم فوبخاه بشدة ولكن أعلن بالجرائد ان اثنين من أساقفة الاقباط قبلا التفاوض على المجلس فاعلن غبطة البطريرك حرم من يتجارى على ذلك الا أن مقاربك تمكن من ان يستميل الى المجلس الانبا أثناسيوس أسقف صنبو وأتى به الى القاهرة متنكرًا ولما أظهر خوفه من شجب البطريرك أقنعه الايغومانوس فيلوثاوس الذى أنضم لتلك الحركة حينئذ بانه فى أمكانه اذا صدر الحرم ان يفنده من الكتاب المقدس ومن قوانين الكنيسة . ووصلت هذه الاخبار مسامع غبطة البطريرك فانذرا أسقف صنبو فارسل هذا اليه يعلن خضوعه التام ويكذب كل ما أشيع عنه

ولما ضاق الامر بغبطة البطريرك ورأى أبواب الحكومة المصرية مغلقة أمامه أستعان ببعض قناصل الدول فخاطب قنصل إنجلترا فأبى التوسط بينه وبين الخديوى وقابل قنصل روسيا وقص عليه كل ما حصل فوعد بالتوسط بينه وبين بطرس باشا فظهر بطرس باشا ميله للصالح وفعلا توجه للدار البطريركية وتقابل مع غبطة البطريرك واتفقا على نسيان ما مضى وعلى تعديل لائحة المجلس وبحسب ذلك التعديل يحفظ البطريرك حق حفظ أوقاف الاديرة لها وادارة ديوان البطريركية ورئاسة المجلس وغير ذلك . وما ذاع خبر هذا الاتفاق حتى كادت تطير له القلوب من شدة الفرح وأخذت رسائل التهاني تترى على الدار البطريركية وبطرس باشا

وكاد الخلاف يزول أثره والوئام يشتد أزره لولا أن ذلك الاتفاق لم يكن ملائمًا لاغراض أعضاء المجلس فارسلوا مندوبين بعد كتابة الاتفاق بايام الى غبطة البطريرك لتقديم أقترحات جديدة لهم وطلبوا الرد عليها فى مدة يوم واحد وهددوه فى حالة عدم الرد بعمل كل ما يمكنهم عمله . فلم يشأ غبطته أن يرد عليهم بل كتب لبطرس باشا بقبوله فقط للاتفاق الذى ابرماه معا وتشبث رجال المجلس بطلباتهم وهكذا أنصرم حبل الوفاق ثانيا فأسفت الامة وعادت الى حزنها واكتئابها وقام غبطة البطريرك حينئذ ليقم بالاسكندرية

وفى ٢٦ أغسطس سنة ١٨٩٢ م أعلن المجلس الغاء ذلك الاتفاق وقرر تعيين أسقف صنبو وكيلًا للبطريركية ورئيسًا للمجلس وصدرت الارادة السنية بالموافقة وتوجه مقاربك الى صنبو لتهنئه أسقفها بمركزه الجديد واحضاره معه فأبى مرافقته الى القاهرة الا بطلب رسمى من وزارة الداخلية فجاءه الطلب بعد ساعات وكتب هو يعلن غبطة البطريرك بذلك

فأرسل غبطة البطريرك التي نيافة أسقف بني سويف لينتظر أسقف صنبو على المحطة أثناء قيامه للقاهرة و يعلنه بالحرم اذا خالف قوانين الكنيسة فانتظره حسب الامر وأعلن له الحكم البطريركى فلم يعبأ به وقوبل بمحطة القاهرة مقابلة رسمية وكان الاعضاء يهتفون له قائلين «نعيش الانبا اثناسيوس». أما غبطة البطريرك فأمر اسقف الخرطوم وأحد قسوس البطريركية بمنع أسقف صنبو من دخول البطريركية فاجتمع بعض الرهبان وفقراء الاحباش والخدم داخل البطريركية وأغلقوا الابواب الخارجية ولكن أسقف الخرطوم أبى الاشتراك معهم فى هذه المقاومة وظل مقيما بمصر القديمة

قيل أن القسوس الذين رافقوا اسقف صنبو توجهوا الى البطريركية فوجدوا أبوابها مغلقة فرجعوا على الاعقاب والاولاد يصرخون وراءهم قائلين «يا محرومون يا محرومون» أما الاسقف فتوجه الى دار عوض بك سعد الله ونزل به ضيفا حتى تفتح له أبواب البطريركية

وعلى أثر ذلك أجمع بالدار البطريركية بالاسكندرية حضرات الاساقفة والكهنة الموجودين بها وقرروا قطع اثناسيوس من كامل الوظائف الكهنوتية ثم كتب غبطة البطريرك حاشية على هذا القرار باعتماده وكان غبطته قد كتب للمطلوب الذكر الانبا باسيليوس اسقف كرسى اورشليم يعلمه بما حصل من اسقف صنبو فجاء من نيافته تلغراف بوجوب معاملة هذا الاسقف بحسب القوانين الكنسية

ولما رأى اعضاء المجلس أن أبواب البطريركية مغلقة فى وجوههم وان وجود غبطة البطريرك ونيافة مطران اسكندرية دعا الى تأخير اجراءاتهم اجتمعوا فى ٢٦ مسرى سنة ١٦٠٨ ش ٣١ أغسطس سنة ١٨٩٢ م وشكلوا مجلسا روحيا من القسوس الذين أنضموا اليهم وهم القس بشاى خادم كنيسة حارة زويلة والقمص جرجس بشاى خادم كنيسة الدمشيرية والقمص بولس جرجس وكيل قضايا البطريركية والايجومانوس فيلوثاوس رئيس الكنيسة الكبرى وباتفاق المجلسين تقرر أبعاد غبطة البطريرك الى دير البرموس ونيافة مطران الاسكندرية الى دير أنبا بولا وارسل القرار الى رئاسة مجلس النظار فأقرته سريعا وبناء على ذلك توجه محافظ الاسكندرية فى يوم الخميس أول سبتمبر سنة ١٨٩٢ م الى غبطة البطريرك وأعلمه بهذا الامر فقبله بسرور و وعد بالسفر غدا واحيطت البطريركية بالاسكندرية بالعساكر وفى صباح الجمعة سافر غبطته تاركا لارباب المجلس بالاسكندرية الف ومائتى فنتوا واوصى ان لا تصرف بل تكون وقفا وترك لهم بالقاهرة ثمانمائة فنتو وبعض قطع ذهب وساعة ذهبية أهديت له من أسماعيل باشا وغير ذلك من الاثاث الخاصة به والتي لم يهتم بأخذ شىء منها حتى ولا سجادته الخصوصية . أما ملابسه فقد فرق بعضها فى الطريق وفرق الباقي على الرهبان حال وصوله للدير

ولما وصل الى محطة الطرانة شاهد حمزه بك عمدة الطرانة أنهم أعدوا له جملا ليحمله الى

الدير الذى كان يبعد عن المحطة نحو ٢٤ ساعة وعلم أن غبطته على ما هو عليه من الوهن لم يكن يمكنه أن يقطع المسافة راكبا جملا فاستحضر له جواده الخاص وسار معه الى نصف المسافة مودعا ولم يرجع الا بالحاح غبطة البابا الشديد وبعد أن أستراح غبطته بالدير قليلا خلع ثيابه ولبس ثياب الرهبان وساوى نفسه بأقلهم وأشترك معهم فى كافة الاعمال . وكان بالدير حديقة جعلها موضوع عنايته فكان يمضى جل وقته عاملا فى غرسها وتنقيتها وريها وعزقها حتى أينعت وصارت روضة زاهرة . أما نيافة مطران الاسكندرية فأخذ الى القاهرة ومنها الى بنى سويف ومنها الى دير أنبا بولا

هذا وبعد ذلك قام أعضاء المجلس تصحبهم قوة عسكرية لفتح أبواب البطريركية ففتحت ودخلها أسقف صنبو والايغومانوس فيلوثاؤس وأقاما بها . قيل أنه فى يوم الاحد ٤ سبتمبر سنة ١٨٩٢ م وهو أول أحد أقام به الاسقف الصلاة بالكنيسة الكبرى أعطى الانجيل ليقرأ منه الفصل المعين لذلك اليوم فتلا خطأ فصلا فحواه خيانة يهوذا للسيد المسيح وتسليمه أياه فنبهه الايغومانوس فيلوثاؤس فارتعد وجزع لاسيا لما تمثل نفسه أسوة يهوذا الاسخريوطى الا أنه لم ينكف عن تلاوة ذلك حتى أنتهى منه وهو غائب عن الشعور لا يدري أين هو بالقاهرة أم بصنبو . ومن هذا القبيل جرى ان الايغومانوس فيلوثاؤس بينما كان يرفع الاسرار الربية سقطت الصينية من بين يديه فتشأم الكثيرون ومن غرائب الصدف أنه فى نفس هذا اليوم وقع الكأس من يد الكاهن الذى كان يخدم بالكنيسة المرقسية بالاسكندرية وبعد أسبوع وقعت مبخرة البخور من يد الايغومانوس الموما اليه فكادت تحرق السجادة . فاستخلص الناس من كل هذه الحوادث ان الله غير راض عن أعمال المجلس وانصاره

وما بلغت هذه الحوادث الجمعية الارثوذكسية حتى عملت على استثمارها فكتبت منشورا تدعوفيه الشعب الارثوذكسى أن يمتنع عن الصلاة مع ذلك الاسقف وكهنته المحرومين وان يتوجهوا للصلاة بكنيسة الاروام الارثوذكس بالحماوى فلبى هذا النداء كثيرون فكانوا يتوجهون الى كنيسة الاروام واظهر هؤلاء عظيم سرورهم وجعلوا الصلاة باللغة العربية وقيل أن بعضهم تبرع ببناء كنيسة ومدرسة بالشماشرجى للذين ينفصلون عن الكنيسة القبطية و ينضمون لكنيسة الاروام

فخشى أعضاء المجلس عاقبة هذا الامر وعولوا على استدعاء الاساقفة من كل الجهات ليحلوا المحرومين وكان جل الاساقفة قد تركوا مراكزهم وأنطلقوا الى الاديرة وهم اساقفة بنى سويف واسنا ومنفلوط ولم يجب دعوتهم سوى اساقفة المنيا واخيم وجرجا واسيوط الا أنهم عوضا عن ان يجيبوا المجلس الى طلبه اعلنوا موافقتهم لاحكام رئيسهم غبطة البطريرك وجددوا شجب المشجوبين بل أمتنعوا عن المرور من الدرب الواسع الكائنة به البطريركية ونزلوا بعزبة انبا بولا بدرب الجنينة بالقبيلة وبعد أن اقاموا بالقاهرة مدة لم ينل منهم فى أثنائها أعضاء المجلس طائلا

عادوا الى مراكزهم وتعطلت الشعائر الدينية بالقاهرة اذ لم يقبل احد ان يستدعى احد الكهنة المحرومين لاجراء فروض التكليل والتعميد والصلاة على الموتى وغير ذلك

ومن ثم توالى رفع عرائض الاسترحام العديدة من ابناء الطائفة الى سمو الخديوى بطلب استرجاع بطريركهم وفى يوم السبت ١٩ بابه سنة ١٦٠٩ ش تقدم وفد من أعيان الامة الى مصطفى باشا فهمى رئيس الوزارة مكررا هذا الطلب فوعده خيرا وبعد ذلك تمكن الوفد من مقابلة سمو الخديوى واعاد على سمعه رغبة الامة فى رجوع بطريركها . وبالجمله فقد بذل الشعب مع الاساقفة كل مجهود لديهم فى سبيل عودة رئيسهم حتى صدر أمر خديوى كريم فى ٢٠ يناير سنة ١٨٩٣ م بالسماح بعودة غبطة البطريرك ونيافة المطران فما ذاع هذا الخبر حتى أقيمت معالم الافراح وبدا السرور والبشر على كل الوجوه وانطلق كل لسان يشكر الله

ووصل الامر الكريم مسامع غبطة البطريرك وتوجه اليه مائتا نفس من أبناء الامة فى يوم الخميس ٢٦ طوبه سنة ١٦٠٩ ش وطلبوا منه أن ينزل من الدير يوم الاثنين ليعدوا له مكانا خاصا يوم الثلاثاء ولكن الظروف قضت أن يبرحوا الدير الجمعة ٢٧ طوبه وكان العربان طول الطريق ينشدون الاناشيد و يطلقون البنادق و يركضون على صهوات خيولهم حتى وصل الراكب الى محطة كفر داود فأقبل الناس يلثمون يدى غبطته وهو يدعو لهم و يباركهم

وكان الذين أتوا لاستحضار غبطة البطريرك قد صمموا على السفر فى قطار خاص فقال لهم غبطته أننا لا نسافر الا فى قطار الركاب فالحوا عليه كثيرا فلم يقبل وبينما هم كذلك اذا بتلغراف يفيد عدم إمكان قيام قطار خاص فأمرهم غبطته أن يقطعوا التذاكر حتى يذهب لزيارة بعض أهالى تلك البلدة التى كانت تبعد عن المحطة مقدار ثلث ساعة فالتمسوا منه أن يبقى لثلا يبرحهم القطار فقال لهم لا تخافوا فسكتوا وهم فى غاية الحيرة وقالوا لا بد من ارجاء السفر للغد وبعد قليل وصل اليهم ان بعض آلات القطار قد تعطلت وان القطار سيتأخر عن ميعاده ساعتين فتعجبوا ومجدوا الله وهكذا تمكن غبطة البابا ومن معه من السفر صباح السبت ٢٨ طوبه

وكانت البطريركية مزدحمة بالوف المبهجين بعودة رئيسهم والاجراس تدق مبشرة بقدومه . واستقبل غبطة البطريرك فى كل المحطات التى مر عليها القطار أستقبالا عظيما بالكهنة والشمامسة والتراتيل أما الاحتفال بقدومه فى القاهرة فحدث عنه ولا حرج حيث كانت الجماهير تموج كالبحر الزاخر وأصوات الدعاء لسمو الخديوى ودولتور ياض باشا وغبطته تشق عنان السماء . ولما نزل من المحطة كان الناس يقبلون أهذاب ثيابه ورجليه و يديه وكادوا يرفعونه على رؤوسهم وبالكاد أستطاع أن يعتلى العربة المعدة له ووصل البطريركية فى مسافة طويلة لشدة الازدحام حتى أنهدهش محافظ القاهرة الذى حضر بالجنود لاستقبال غبطته رسميا لجلال ذلك الاحتفال

وحسن رونقة وكان القسوس والشمامسة أمام الكنيسة بملابسهم الرسمية وسعف النخل بأيديهم يرغون ترنيمات التهاني والنساء يزغردن والجميع فى أبتهاج ما عليه من مزيد

وكان قد قام وفد آخر من كبار الطائفة وتوجه الى دير أنبا بولا فى يوم الاربعاء ٢٥ طوبه لاستدعاء نياقة مطران الاسكندرية فقام معهم الى بنى سويف وهناك تقابل مع سمو الخديوى فى بنى سويف حيث اتفق تشريفه لها حينئذ وأظهر سمو الخديوى سروره مما تم ودعا له نياقة المطران بالعز والتأييد . ومن ثم سافر نيافته الى القاهرة فقبل باحتفال عظيم فى المحطة وفى البطريركية

وبعد عشرة أيام من عودة غبطة البطريرك جاء بطرس باشا لزيارته وصحبته جميع المحرومين فاعترفوا بكل ما صدر منهم وطلبوا الصفح عنهم والرضاء عليهم فسامحهم غبطته وحلهم لما جبل عليه من مكارم الاخلاق ولكى يتم وصية سيده المسيح رسم أسقف صنبو مطرانا وحذرهم جميعا من العودة الى مثل ما أتوه لئلا يقعوا تحت طائلة الحرم ثانيا

وبعد منافسة طويلة بين غبطة البطريرك وأعضاء المجلس من جهة وبينه وبين جمعية التوفيق من جهة أخرى صدر الامر العالى بارجاع الادارة الى غبطة البطريرك واتفق على أنتدب أربعة من أعضاء المجلس لمساعدة غبطته فى ادارة شئون الطائفة وكان أول عمل أقرته اللجنة المالية تحت رئاسة غبطته هو وجوب فتح المدرسة الاكليريكية وجمع الاوقاف بديوان البطريركية . ثم عينت المجلس الروحى للنظر فى الامور الدينية وقرر منع تجول القسوس وعدم رسامة أحد منهم الا اذا أستوفيت فيه الشروط المطلوبة الا أن هذا القرار الاخير لا يزال حبرا على ورق فالقسوس سواء كانوا من الحقيقيين أو الذين يتزيفون بزهم يجولون فى كل مكان ويجلبون عارا على الامة والطائفة . وعدم التدقيق فى رسامتهم لا يزال ساريا مع أنه العبء الوحيد الثقيل الذى يمنع نهوض هذه الامة وتقديمها

وكان غبطة البطريرك بعد هذه الحوادث لا يفتأ ينشر المنشورات يحض فى بعضها أبناء الامة على الاهتمام بالامور الدينية وبتعليم أولادهم على المبادئ الارثوذكسية وفى البعض الاخر حرم عادة النذب والحزن المفرط على الميت . ثم أنشأ مدارس اكليريكية بالاديرة وسعى فى تعميم التعليم لانه عنوان رقى الامم وسر نجاحها

وفكر غبطته أن يقوم بزيارة رعيته وافتقادها فبارح القاهرة فى ٢٦ طوبه سنة ١٦٢٠ ش ٢٥ يناير سنة ١٩٠٤ م لزيارة الوجه القبلى والاقطار السودانية فقبل مقابلة عظيمة وعاد من رحلته فى ٢ أبريل سنة ١٩٠٤ م وبعد ذلك أنحلت اللجنة المالية لسبب فساد النظام الذى انتهت اليه ومن ثم تقرر باتفاق غبطته مع بطرس باشا أنتخاب المجلس الملى الرابع وصدقت عليه الارادة السنوية فى أول مارس سنة ١٩٠٦ م وقد حدث خلاف بين المجلس وغبطته انتهى بتعيين الاب القمص بطرس عبد الملك لرئاسة جلسات المجلس سنة ١٩٠٩ م

ثم شرع غبطته فى رحلة ثانية من ٢٥ يناير سنة ١٩٠٩ م للوجه القبلى أيضا ورجع منها فى ١١ أبريل من تلك السنة وقد حدث فى أسيوط ما نذكره وهو أن حزب من يسمون أنفسهم بالمصلحين باسيوط وزع نشرات بالكنيسة مؤداها الطعن فى الهيئة الاكليريكية وكان غبطة البطريرك قائما بالصلاة فقدمت له من الحزب مطالب فزقها والقها على الارض فهاج أعضاء الحزب وخرج غبطته من الكنيسة غاضبا الا أن المسألة أنهت بسلام وخرج غبطته من أسيوط مودعا بالاكرام اللائق بمقامه السامى .

وعقب رجوع غبطته أنذره المجلس بتسليم أوقاف الرهبان وعظم الخلاف واشتد وقد حاول أنصار المجلس أن يستغلوا شكوى بعض الرهبان من رئيسهم ضد البطريركية وقاموا بمظاهرة عدائية أمام الكنيسة الكبرى وانتهى كل سعى من هذا القبيل بالفشل التام

وأنعقد فى عهد غبطته المؤتمر القبطى باسيوط فى ٦ مارس سنة ١٩١١ م ليطلب من الحكومة مساواة الاقباط بالمسلمين فى كافة الحقوق المدنية والدينية فطلبت الحكومة من غبطة البطريرك ان يمنع هذا الاجتماع خشية من حدوث ما لا تحمد عقباه فنشر منشورا يحض فيه على أستعمال الحكمة والروية فى المطالبة بهذه الحقوق فرد عليه الانبا مكارىوس مطران اسيوط متعهدا بعدم حدوث أى مكروه وعقد المؤتمر فى ميعاده والقيت الخطب ورفعت الاحتجاجات وذهبت جميعها صرخة فى واد

ومن ذلك الحين والامة القبطية آخذة فى النهوض والتقدم بفضل حكمة رئيسها العام غبطة البابا كيرلس وقد حمل حسن تصرفه وعظيم حكمته أبناء الامة المصرية من مسلمين واقباط على أن يأخذوا يناصر بعضهم البعض ويزيلوا من قلوبهم كل شقاق وبغضة موقنين ان الدين لله والوطن للجميع

أما علاقة هذا البابا بالكنائس التابعة له فهى على أحسن ما يرام . وكانت العادة الجارية ببلاذ الحبشة أن لا يرسل اليها الا أسقف واحد فاذا مات أرسل غيره ولكن فى سنة ١٨٨١ م طلب النجاشى يوحنا تعيين مطران وثلاثة اساقفة ولما كان هذا الطلب مغايرا للعادة فقد ترددت الكنيسة أولا فى أجابته ثم فى يولية سنة ١٨٨١ م تم الاتفاق بين الاحباش والرئاسة الدينية بعقد مكتوب على أجابة ما طلبوه . ورسم لهم مطران وثلاثة أساقفة بشروط مخصوصة . والان ليس بالحبشة غير مطران واحد هو الانبا متاؤس الذى زار القطر المصرى مرتين وبلغ عدد من أرسل الى الحبشة من الاساقفة ١٠٥ حتى أوائل القرن التاسع عشر يضاف اليهم الاربعون الذين رسموا فى خلال القرن المشار اليه .

أما بلاد النوبة فقد كان بها ١٧ أبروشيه الا أنها أخذت تضمحل لجور الحكام المسلمين حتى سنة ١٨٨٠ فلم يبق بتلك البلاد من المسيحيين أكثر من ١٦ ألفا . ولما أعيد فتح السودان فى ٢ سبتمبر سنة ١٨٩٨ م رسم لهم البابا كيرلس الحالى أسقفا رقى فيما بعد الى رتبة مطران وبنيت كنيسة كبرى فى الخرطوم وسبع كنائس أخرى فى الاقاليم ومنظور بناء غيرها فى باقى جهات السودان التى بها مسيحيون

وفى ٢٣ بابه سنة ١٦٤٠ ش أتم البابا كيرلس خمسين سنة على الكرسي المرقسى وهو أطول مدة أقامها بطريرك على هذا الكرسي واحتفلت الطائفة بعيد يوبيله الذهبى احتفالا عظيما شهدته كبار القوم ومنندوبو الحكومة من وطنيين واجانب . وقيل أن غبطته لم يقبل فى مبدأ الامر هذا الاحتفال زهدا منه فى مجد العالم لكنه قبل حضور الصلاة بالكنيسة وسماع الخطب

القسم الثانى مشاهير الكنيسة

(١) الانبا سرابامون أسقف المنوفية

(٢) الانبا باسيليوس مطران القدس

(٣) الانبا ابرآم اسقف الفيوم

(٤) الايغومانوس فيلوثاؤس

(١) الانبا سرابامون أسقف المنوفية (١) :

نشأ هذا الاب الفاضل بمديرية الشرقية باسم صليب ولما أدرك رشده أقام بالقاهرة واحترف مهنة بيع الزيت وكان يطوف الشوارع والحارات مناديا على زيته ورووا ان سبب طلوعه للدير هو أنه ذات يوم توفى ولد لحدى النساء الشريرات باسباب فعلية فقيل لها ان تنتظر الرجل النصرانى الذى يطوف لبيع الزيت وتلقى الولد تحت أرجل حماره وتهمه بقتله ففعلت ذلك وسيق بحماره الى الحاكم يتبعه جمهور غفير يشهد عليه بانه هو القاتل وعبثا حاول أن يبرىء نفسه وينادى أنا مظلوم قيل أنه لما تضايق توسل الى الله ان يخلصه من هذه البلية فاجاب سؤله وخلصه بمعجزة مذهشة أما القديس فحالما رأى ذلك ترك حماره بما عليه وفر هاربا الى الدير خشية من الفخر العالمى ولبت بالدير حتى أنتخبه اسقفا للمنوفية الباب بطرس ال ١٠٩

وبعد رسامة هذا الاب أسقفا أشهر بامر ين أولها التقشف والنسك والبساطة وثانيها صنع العجائب والمعجزات . فعن الامر الاول يقولون أنه لم يكن يعبأ بزخرف المعيشة ولا ما تشتهى النفس فكأن يقضى طول الليل قائما يصلى وبعد الصلاة يأتى على الارض و يضع مركوبه تحت راسه وينام عليه وكان أغلب أكله الدشيشة فى أناء من خشب وقيل أنه مرة دخل بيتا فشم فيه رائحة ملوخية وفراخ أشتهت نفسه أن تأكل منها وكان ذلك فى أحد ايام الخماسين فارسل اليه أهل البيت شيئا من الطعام حيث يقيم بالبطريركية ولما قدم له أمر بتأخيرده وأبقاه ثلاثة أيام حتى أنتن ومن ثم طلب من تلميذه أبراهيم برغوت أن يستحضره ووضع لقمة منه فى فمه فعافته نفسه فابتدأ يوبخها قائلا ها هى شهوتك لماذا لم تأكلها يا ملعونة ثم أعطى الطعام للتلميذ فاراقه خارجا

وروى عن ميله للاحسان الخفى أنه كان فى إحدى الليالى شخص يسير متنكرا فى بعض ازقة القاهرة وعلى كتفه سلة ثقيلة الحمل فصادفه وهو بهذه الحالة رجل من خدمة الدار البطريركية

يدعى حنا النجار فاستغرب زيه وتلثمه اذ رآه يكاد لا يظهر من وجهه غير عينيه وهويلهث تعباً من حملة فرا به أمره وظنه لصاً فجاء وراءه حتى أدركه ثم رآه وقف بباب وقرعه فانفتح الباب فسلم السلة للفتاح دون ان ينطق بكلمة وعاد من حيث أتى وعندئذ تقدم اليه حنا وأمسك به فما تبينه حتى علم أنه الانبا سرابامون أسقف المنوفية وكان يأتي بالدقيق والقمح ويحمله بنفسه الى الاسر التي لا تتمد يدها للسؤال حياء عاملاً في ذلك بقول السيد المسيح «واما أنت فتبني صديقة فلا تعرف شمالك ما تفعل يمينك» .

واتفق مرة أنه كان لدى الانبا سرابامون ستمائة ريال فرأى أن يشتري بها داراً للاوقاف وقد وضعها في كيس وسلم الكيس الى تلميذه ابراهيم ليحفظه الى أن تتم المساومة . وحدث أن زار ابراهيم احد أقاربه وعلم بأمر الكيس فدفعه الطمع الى سرقة فلما أفتقد التلميذ ابراهيم النقود ولم يجدها ذهب الى الاسقف باكياً فخفف الاسقف حزنه وقال له ثق يا أبنى بالله فهو قادر أن يرد إلينا المال . وفي هذه الاثناء كان السارق قد شر بتأنيب ضميره فلم يستطع أن يضع قرشاً من الكيس الذي سرقه ثم أشد به الندم فقام مسرعاً وجاء الى الاسقف بنفسه ومعه الكيس وأنطرح أمامه طالباً السماح والعفو فسأحه الاسقف وبعد أن بين له شر السرقة ووخامة عواقبها نصحه بالاستقامة وقال له اذا وقعت في ضيق فتعال الى . ثم تحن عليه وأعطاه بعض درهمات فتأثر الشاب من هذه المعاملة وبكى وعزم من ذلك الحين أن يعيش أميناً مجداً في عمله

قيل وكانت درايتته بالقراءة ضعيفة حتى أنه كان عندما يقع نظره على أنجيل القديس ويجده مطولاً يقول «يا أبوى يا أم النور دا طويل يا بوى» وذلك لانه كان طاعناً في السن : وكان من عادته على الدوام أنه عندما كان يستغيث من أى شىء يقول يا أم النور

أما عن الامر الثانى الذى أشتهر به وهو صنع العجائب والمعجزات فحدث عنه ولا حرج فقد رويت عنه حوادث يعارضها العقل لولا قول الكتاب «كل شىء مستطاع للمؤمن» (مر ٩ : ٢٣) وكانت شهرته الزائدة باخراج الشياطين بقراءة المزمور الرابع والثلاثين ورش المياه على وجوه المصابين باسم (أيسوس بخرس طوس) قيل أنه خطر له مرة أن يسأل شيطاناً عن اسمه فاجابه «أسمى سرابامون الاسقف» فقال «وى يا بوى هى الشياطين فيها أساقفة ياما بقيت معوجة يا صليب» وهو اسمه الاصلى وكان اذا تألم يقول دائماً «يا خطيتك يا صليب»

وحدث أن مريضاً بروح نجس أتى به الى البابا بطرس البطريرك ليصلى عليه فطلب أن يبقى حتى يستدعى الانبا سرابامون ليصلى عليه فقال له الانبا ابرآم اسقف القدس «منك أيها البابا نأخذ نحن الاساقفة المواهب فصل ولا تنتظر مجيء الاسقف» فاجابه البطريرك بتواضع زائد «أعلم يا أخى أن لكل واحد منا موهبة» ولكن الاسقف لم يقتنع فقال له البطريرك «أنت أسقف مثله فقم صل» فقام وصلى على المريض ولكن بلا منفعة لان الروح الشرير كان يستهزئ

به و يذكر له تأخره فى أتمام واجباته حتى أترف بتقصيره . ولما حضر الانبا سرابامون تأخر مقدما البطريرك وبعد الاحاح عليه قبل بشرط أن يصلى بصليب فصلى ونال المريض الشفاء بخروج الروح النجس منه

واليك ما وجد عن إحدى معجزاته فى كتاب « سير البطارقة » نقلا عن كتاب « نوابغ الاقباط » ج ٢ : —

. « وما يستحق الذكر العجائب التى حدثت على يديه وفى زمانه منها أن ابنة محمد على باشا (زهرى باشا) زوجة أحد بك الدفتردار كان اعترها روح نجس فعانى الاطباء أتعابا شاقة فى معالجتها ولم يستطيعوا أن يشفوها اذ لم يكن ذلك مرضا طبيعيا . وكان صيت أنبا سرابامون أسقف المنوفية بما أعطى من قوة اخراج الارواح الشريرة ماثا القطر المصرى فذكر لمحمد على باشا عن أمكان أئمة النصارى فى شفاء ابنته ما جعله أن يدعو الاب بطرس البطريرك الى مباشرة ذلك فالاب اذ كان يعلم أن ابنته معترة من روح نجس أستدعى الاب سرابامون وامره ان يتوجه الى السراى حيث سكن زهرى باشا فلبى دعوته وتوجه فكانت السراى غاصة بالجنود والجماهير رجالا ونساء فلما أبتدأ ان يصلى على الاميرة تحرك الشيطان فيها والقاها صرعى على الارض فاز بدت وشرعت تصرخ باصوات أرتجت لها السراى فارتعب الاب لذلك وخاف من سوء العاقبة وصار يستغيث بقوة المسيح صارخا بصوت محزن زارفا العبرات قائلا « عظيمة خطيئتك يا صليب يا يسوع مجد يمينك وانصر كنيسةك » حينئذ أكمل الصلاة ورسم علامة الصليب على ماء وضرب به وجه الاميرة فصرخ الشيطان بصوت مزعج وخرج منها وقامت الاميرة صحيحة وضربت الموسيقى فرحا وبشر محمد على باشا بذلك وجاء الى ابنته فوجدها متعافية فرغب أن يكافىء الاب سرابامون فصرصة من النقود (قيل بها مبلغ أربعة آلاف جنيه) وقدمها للاب فأبى أن يقبلها وأعتذر له قائلا « ليس من شئون وظيفتى أن أربح بمواهب الرب مالا يحوجنى اليه فلباسى كما ترى فرجية صوف أحمر وطعامى الخبز وطبيخ العدس فعوض ذلك أسأل دولتكم أن تميلوا بتعطفاتكم نحو أبناء الطائفة القبطية وتخدموا بنيتها المرفوتين فأجابه الى ذلك والى ذلك عليه أن يقبل تلك العطية فأخذ منها شيئا قليلا وفرقه أثناء مروره على العساكر » أه ومن ذلك الحين صار لهذا الاسقف ولبطريركه البابا بطرس منزلة سامية فى عيون الحكام بسبب هذه الحادثة واسندت وظائف كثيرة فى الحكومة لكثيرين من الاقباط على أثرها

قيل وكان الشيطان يحاربه بروح الفخر والاعجاب فيصور له أنه أفضل من غيره قداسة حتى سمع مرة يقول « بقا يا صليب . عطيت مواهب الشفا يا صليب أنت يا عفش أنت يانتن . أنت يا وحش تخرج الشياطين يا صليب . تشفى المرضى يا صليب . ثم يجاوب نفسه بحدة وغضب شديدين ويقول يا أخى دى قوة الله يا صليب . دى قوة الله » .

وروى انه لما تنيح أنبا مكار يوس أسقف اسيوط دخل الانبا سرابامون ليلا منزعجا على البطريك يخبره أنه شاهد روحه صاعدة وتحقق الخبر تماما وجلس مرة مع البطريك ومعه تادرس أفندى عريان والد باسيلى باشا تادرس واذا بالانبا سرابامون صرخ فلما سئل لماذا أجاب أنى سأهدت روح الانبا يوساب أسقف الفيوم مرتفعة الى السماء فتركه البطريك ودخل مخدعة دون أن يبقى لمقابلة الزائر ين فسئل عن سبب ذلك قال حزنا على الانبا سرابامون لئلا يكون الازدهاء قد أستولى عليه للموهبة التى أعطاهها له الله فيفسدها عوضا عن كونه يستخدمها للخير فتقدم الاسقف وضرب له مطانة وأفهمه أنه لم ينل درهما واحدا تلقاء أى عمل أتاه

وعقب ذلك أصدر عباس باشا الاول أمره بإعدام جميع السحرة والمنجمين فوش بالقديس أنه منهم وأنه شفى زهرى باشا فطلبه الخديوى عازما على قتله فانطلق اليه وكان يوم الجمعة العظيمة فقابلته الخديوى باحتقار وقال له هل أنت ساحر فاجابه أنا رجل مسكين فقال له أنت شفيت زهرى باشا فصرخ القديس بقوة فى وجهه قائلا « هذه قوة الله » فارتعب عباس باشا وجزع وقال له أمان يا بابا ثم صرفه بسلام

وكان الانبا سرابامون يكره الطلاق كراهة زائدة حتى أنه لم يطلق فى مدة رئاسته أحدا ولما كان يستعصى عليه أرضاء الزوج أو الزوجة إذا تحقق أن أحدهما مظلوم يقول له أن شاء الله أزوجك فى العام المقبل فلا يأتى الميعاد الا و يتوفى الظالم و يتزوج بطبيعة الحال

ودخل عليه يوما زوج بحالة غضب شديد وأفهمه أن امراته وجدت فى أماكن البغاء فطيب خاطره وصرفه للغد ثم أنطلق الى البيت الذى وصف له ولتعود النساء على رؤيته تقدمن اليه يطلبن ببركة فسلمهن عن المرأة فلم يخفين عليه أمرها وأفهمنه أنها أتت اليوم فقط فطلب الانفراد بها فى غرفة مظلمة ولبث يوبخها حتى عزمت على السير بالاستقامة ثم تركها تلك الليلة بمنزل أحد القسوس وطلب منه أن يأتية صباحا متشكيا من اعالتها وكان ذلك أمام الزوج فقال الاسقف للقس « يخطيتك يا صليب أخطيت يابوى حلنى قم احضرها » فوجد الزوج أنها امراته وانها كانت فى بيت القس لا فى بيوت البغاء فقبلها وعاشا فيما بعد بكل سلام

واذا أردنا أن نذكر معجزاته واحدة فواحدة يطول بنا المجال فنكتفى بذكر اليسير منها . قيل أنه لما حل مرض الهواء الاصفر بمصر نجت منه جميع البيوت التى كان متعودا ان يزورها وحدث مرة أنه كان مارا من موقع حديقة الازبكية الحالى فوجد امرأة تبكى على بغل لها سقط من العربة من شدة الحمل وكان قد أشار اليها ان تنتظر مرور الاسقف ليشفيه و يقيمه فاجاب سؤلها وصلى واستجاب الله له

وذات يوم كان ذاهبا الى كنيسة حارة زويلة من شارع درب مصطفى ولم يكن يوصل اليها

غيره فتعلقت به إحدى الباغيات وكانت قد تعاهدت مع مثيلاتها ان تهيئه في الطريق فطلب منها بلطف أن تتركه فلم تفعل فدعا قائلاً « اليد التي أمسكتني تشل » فصرخت المرأة حالاً من الألم الذي لحق يدها وطلبت اليه أن يشفيها فشفق عليها وشفاهها

وجرى في مروره بالسرحة السنوية أن طلع عليه عبد أسود رئيس عصابة ووقف بغلته وطلب منه ما معه من النقود فلما فتش جيبه ولم يجد بها شيئاً طلب أن ينزل عن البغلة ويخلع ملابسه فقال له القديس أتركني وانطلق فأبى ورفع يده بنبوته ليضربه فقال له القديس « أنت رفعتها دعها مرفوعة واتركني » ثم تركه وسار في طريقه ولما رجع ثانی يوم وجد يده مرفوعة كما هي فشفاه بعد أن أخذ تعهداً منه بعدم العودة للسرقة مرة أخرى

وغير ذلك كثير لا يحصيه العد . وطالت أيام هذا القديس حتى أدرك البابا كيرلس الرابع والانبا سرابامون هو الذي رسم الراهب يوحنا الناسخ « البابا كيرلس الخامس » سنة ١٨٤٥ م قسا بديره بالبراموس في كنيسة حارة زويلة بأمر بطريركه الذي أستصغر الراهب في عينه لانه كان شاباً فقال له الانبا سرابامون « يظهر أنه مبروك وان شاء الله يخدم أمة الرب »

وتنيح الانبا سرابامون ودفن مع بطريركه البابا بطرس ال ١٠٩ والبابا مرقس ١٠٨ ولا رابع لهما في الجهة الشرقية القبلية من الكنيسة الكاتدرائية الكبرى .

(٢) الانبا باسيليوس مطران القدس :

ولد في سنة ١٥٣٤ ش في قرية يدعى الدابة من مديرية قنا بمركز فرشوط من والدين فاضلين . وفي ليلة ميلاده رأى والده حلماً كأن صوتاً يهتف به « أن قم وارفع الشكر لله على هذه المنحة الجزيلة التي وهبها لك » ففي الصباح حمل أبنه على ذراعيه وتوجه نحو الشرق وبارك الله شاكرًا له فضله

وكان والده يصطحب أبنه معه الكنيسة كل يوم أحد فيتعجب منه عند ما يجده واقفاً على قدميه طالما كان الكاهن يتلو صلاة القديس دون ان يتحرك أو يفوه بكلمة صغيرة ولا يترك الكنيسة الى ان تنصرف تماماً . فسر منه والده لاسياً اذ رآه مطيعاً له أطاعة كلية وراغباً في تقليده هو وأمه حينما يقومان للصلاة فكان يقف مثلها وعند حلول الصيام كان يصوم نظيرهما (١)

(١) نقلناه ملخصاً عن كتاب « غذاء النفوس في تاريخ حياة انبا باسيليوس » ٢

ولم تكن أسباب التعليم متوفرة حينئذ فاعتنى والداه بتثقيفه فعلماه القراءة والكتابة ومنبأدىء الدين وطقوس الكنيسة فاتقن جميعها وبرع براعة تامة أدهشت عارفيه . وكان كلفا بنوع خاص بمطالعة الكتاب المقدس فكان يقضى ليله مكبا على قراءته وكان غرامه الزائد بامثال سليمان الحكيم ورسائل بولس الرسول وخشية من أن يمل مطالعة الكتاب كتب آية ٢٩ من ص ٥ من أنجيل يوحنا بحروف كبيرة وعلقها فى صحن داره حتى اذا ما رجع من عند معلمه وجلس للاكل أو النوم ووقع نظره على هذه الآية نهض حالا وامسك بيده الكتاب المقدس وبدأ يطالع فيه أتماما للآية « فتشوا الكتب لانكم تظنون أن لكم فيها حياة ابدية وهى التى تشهد لى »

ومن كثرة المطالعة أصيب برمد فى عينيه ومع ذلك لم ينفك يطالع الكتاب فعاب عليه ذلك أحد أقربائه بقوله « أتظن أن الاجتهاد ينيل المراد ألم تسمع القول « قيراط سعد ولا فدان شطاره » فرد عليه فورا بقول سليمان الحكيم « يد المجتهدين تسود أما الرخوة فتكون تحت الجزية (أم ١٢ : ٢٤)

وشاهده معلمه مرة يماشى غلاما ذا طباع رديئة فدون أمامه هذا البيت

واحذر معاشرة اللئيم فانها تعدى كما يعدى السليم الاجرب

فرد عليه قائلا « أنى آليت على نفسى معا هذا الله أن أسعى جهدى لارد الضالين الى سبيل الصواب حتى أكون مع غير المؤمن كأنى غير مؤمن لاربح الغير المؤمن » (١ كو ٩ : ٢١)

فكتب اليه معلمه

ستبدى لك الايام ما كنت جاهلا ويأتىك بالاخبار من لم تزود

فأجابه كف عن تعنيفى وسترى بنعمة الله نتيجة عملى . ومازال بالغلام الردىء السيرة حتى قاده الى حظيرة المسيح وخلصه وانتهى الخبر الى معلمه فشكره شكرا جزىلا

وحدث أن والده أولم وليمة لبعض كبار القوم ففكر فى ان يعمل عملا يجد به الله فحمل الطعام المعد للاغنياء وذهب به الى بيوت الفقراء وقدمه لهم ولما حان ميعاد الاكل لم يجد المدعون طعاما وخرجوا غاضبين بعد ان أعتذر لهم بكلمات رقيقة فسأله والده عن جلية الخبر فاجابه ان من دعوتهم لا يحتاجون الى طعامك لانهم يأكلونه فى بيوتهم دائما أما الذين أكلوه فهم محرومون منه وقل ان يتمتعوا به وكتابتنا يقول « من يرحم الفقير يقرض الرب وعن معروفه يجازيه » (أم ١٩ : ١٧)

فقبله والده بين عينية وقال له لقد نهبتنا من غفلتنا ونسياننا واجباتنا من نحو الله فبكى عند ذلك ابنه بكاء شديدا وقال لوالده « ويل لى لانى لم آت عملا يستحق ثناء فضلا عن ان ما عملته لم يعد لى أجر عليه لان الكتاب يقول « لا تعرف شمالك ما تعمل يمينك (مت ٦ : ٣) وهو ما لم أقصده قط »

قيل أنه بينما كان ذاهبا الى الكنيسة يوما وجد اثنين يتشاجران فتدخل بينهما ليصلحهما فضربه الظالم على وجهه لتدخله فيما لا يعنيه فبدأ المظلوم يعنف الضارب على قساوته فقال له الطوباوى « لا تلمه فانى لا اريد أن أقابل الشر بمثله » ثم خاطب الضارب قائلا « ساعنى اذا كنت قد أسأت اليك اذ لا يخلو انسان من عيب مطلقا » ثم التفت نحو الشرق وصلى صلاة طويلة وانصرف ولم تمض مدة حتى أتى اليه الضارب وقدم له الدراهم التى كان مطالبها بها والتمس منه أن يعطيها لصاحبها وطلب منه أن يصفح له عما أساء به اليه

ولا يسع من يطالع مقدمة هذه السيرة الا الحكم بان صاحبها تشربت روحه منذ الحداثة بروح الفضيلة ونما فيه الميل لترك العالم وملاذه وبينما كانت هذه الافكار تتردد على خاطره فتح الكتاب المقدس فوق نظره على قول الرسول بولس « حسن للرجل أن لا يمس امرأة .. لان هيئة هذا العالم تنزول .. غير المتزوج يهتم فيما للرب كيف يرضى الرب واما المتزوج فيهتم فيما للعالم كيف يرضى أمراته » (١ كو ٧ : ١ و ٣١ — ٣٣) فرسخ فى ذهنه هذا الاعتقاد ثم توجه للصلاة بالكنيسة فأعطى له كتاب « السنكسار » ليتلو منه سيرة فكانت بالصدفة سيرة القديس أنطونيوس مؤسس الرهبنة فعجب لهذا الاتفاق ومن ثم انطلق الى دير القديس انطونيوس ولبس شكل الرهبنة سنة ١٥٥٩ ش

ومن ذلك الحين أشرقت منه شمس الفضيلة وبانت عليه أدلة الكمال فكان لا يذوق طعاما فى الصوم المقدس الا مرة واحدة يوميا قبيل المساء وفى باقى الاصوام يصوم للعصر . وفى الايام يصوم حتى الظهر ولا يتناول الا ما يسد رمقه . وروى أحد رفقاءه الرهبان أنه عندما كانوا يجتمعون فى منتصف الليل ولا يحضر معهم يجدونه ساجدا بقلايته أو واقفا يعبد وكان اذا قام أحد الرهبان فجرا يجده مستيقظا ملازما الصلاة . وفى الصباح كان يسرع لخدمة المرضى والشيخ من الرهبان بكل غيرة ونشاط . وذات ليلة أصيب راهب شيخ بحمى شديدة فاسرع اليه بكل فراشه واعطاه أياها ليستدفىء و بات هو يقاسى شديد البرد طول الليل

فلما انتهت أخبار فضيلته الى مجمع الرهبان رقى الى درجة الكهنوت فرسم قسا سنة ١٥٦٥ ش فزاد فى التمسك بفضائله وتفانى فى قمع جسده . وكان أبغض اليه النيمة والاعتياب ولذلك كتب على جوانب حجرته قول السيد المسيح « يا مرائى أخرج أولا الخشبة من عينك وحينئذ تنظر جيدا أن تخرج البقذى من عين أخيك » (مت ٧ : ٣ — ٥) واعقبها بنهى من يغتاب الغير

وحدث أن واحدا تكلم فى حق آخر أمامه فرفع يده الى تلك الاية وقال للمغتتاب « انقش هذه الاية على لوح قلبك وابتعد عن النعمة والا توقع عقاب الله الشديد » وكان فى جل مواعظه يبتدىء بقول الرسول « اسلكوا بالروح فلا تكمّلوا شهوة الجسد (غلا ٥ : ١٦) فاعترضه واحد مرة بقوله « لقد مللنا من تكرار هذه الاية فأت لنا بغيرها والا فأترك الوعظ لمن هو أقدر عليه منك » فاجابه « أمامنا اليتوبون الحى فهل نستقى منه جميعا » (مشيرا الى الكتاب المقدس) وكان من عادته اذا استعصى عليه فهم آية من الكتاب يستفهم عنها من أحد الرهبان فان أفهمه شكر له فضله والا جثا أمام الله طالبا منه الارشاد وقد عمم هذا المبدأ بين جميع عارفيه

وفى سنة ١٥٦٨ ش رسم أيغامانوسا وسلم ادارة الدير ورئاسته فعمل على كل ما فيه نجاحه وترقيته فنمت الايرادات التى كان ينفقها فى المنافع العمومية ولم يكن يتأخر فى أن يوقف أى أنسان على ما يرد وما يصرف . وقد دخل عليه مرة احد الرهبان فوجده يبكى بحرقه ولدى السؤال أجابه كيف لا أبكى وقد مر أكثر من سنة لم أجدد فيها للدير شبر أرض الا استحق عقاب ذلك العبد الذى اخذ الوزنة وخبأها فى الارض دون أن يتجر بها ويربح (مت ٢٥ : ٢٤ — ٣٠) ولهذا عزم على الاستعفاء من رئاسة الدير لولا توسل الرهبان فبقى يمارس الاعمال بهمة فائقة حتى تمكن من أن يجدد للوقف أملاكا ويجرى إصلاحات عديدة .

وقيل أنه سافر مرة للقاهرة لقضاء ما يحتاجه اخوانه الرهبان وكان بعض اللصوص قد سمعوا أنه سيأتى من القاهرة ومعه مال فكمنوا له فى الطريق ولكن الرب أضله السبيل فتاه ولبث يكابد مشقة زائدة حتى وصل الدير والرب قد نجاه من خطر اللصوص

وكانت معاملته للرهبان الذين كانوا تحت رئاسته معاملة بالغة حد اللطف والشفقة فكان يفصل فى كل خلاف يرفع اليه بروح المحبة والسلام . ولم يكن يعتبر نفسه أفضل منهم ولم يميز ذاته بشئ عنهم بل كان يمسك المكنسة بيده و ينظف قلايته بنفسه و يباشر أيضا تنظيف قلالى الشيوخ والمرضى من الرهبان

وروى أن السكر كان أشد الامور كراهة لديه واتفق أنه زار كاهنا بالقاهرة فالفاه يتعاطى خمرا فلما سأله عن سبب ذلك أجابه « كل عطايا الله صالحة اذا أخذت بشكر » فاحتمد القديس غيظا و بدأ يفند رأيه بشدة مستدلا بآيات الكتاب المقدس الواردة بسفر الامثال ٢٣ : ٢٩ — ٣٢ و ٢٠ : ١ و ٢٣ : ٢٠ و ٢١ و بقول الرسول بولس (أف ٥ : ١٨) ووصيته للقسوس (١ تي ٣ : ١ — ٣) ثم قال له كيف يتمكن الكاهن من ان يكون متحليا بالفضائل وهو يترنج تحت تأثير السكر كالمجانين ألم يبلغك خبر ذلك الرجل الذى دفعه السكر الى ارتكاب خطيئتين شنيعتين الاولى الزنا بابنته البكر والثانية قتل ولده فلذة كبده . وهكذا تمكن من أن يقنع الكاهن بخطأ رأيه حتى قام وكسر زجاجة الخمر وتعهد بعدم العودة اليها مرة ثانية

وكانت سيرة القديس قد عقيبت رائحتها فى كل مكان وترنم بحسنها كل لسان فاختر مطرانا على كرسى القدس الشريف فى ابتداء سنة ١٥٧٢ ش على يد البابا كيرلس الرابع وقد حاول أن يتخلص من هذا الحمل الثقيل ولكن البطريرك وأعيان الامة الزمود بالقبول فقبل وسار الى الارض المقدسة . وما كان أشد حزنه عندما رأى مصالح الامة القبطية هناك فى غاية التأخر فبذل جهده حتى جدد لها من الاملاك والعقارات ما قيمته ١٥٠ الف جنيه

ولما وجد زوار القدس ان الاقباط يكابدون المشقات فى يافا لعدم وجود أماكن يحلون بها جد حتى اشترى بستانا واسعا تبلغ مساحته نحو العشرين فدانا فى شهر بؤونه سنة ١٥٨١ ش فابنتى به كنيسة ودارا للمطرانية فاخرتين واشترى بجوارهما أيضا قطعتين أرض جميلتى الموقع سنة ١٦١١ ش وجهز بهما كل ما يلزم لراحة الزائرين .

أما الاصلاحات التى أنشأها بالقدس الشريف فلترك كاتب سيرته صاحب كتاب «غذاء النفوس فى تاريخ حياة أنبا باسيليوس» الذى نقلنا عنه السيرة يتكلم عنها قال : — «لم يكن للاقباط غير بضعة أماكن غير معتنى بها فاذا رأى ذلك المطوب الذكر صاحب الترجمة عمل بما تقتضيه واجبات الراعى الحقيقى فعمر دير القديس أنطونيوس الملاصق لكنيسة القيامة الشريفة حتى أضحى يشتمل على كنيسة جليلة ودار للبطريركية جميلة ونيف وأربعين أودة بعد أن كان خربا تنعق فوق جدران البوم والغربان . وعمر كذلك دير وكنيسة مار جرجس باذلا همة علياء على الاخص فى عمل حجاب هيكلها البديع حتى أضحى نادر المثل فى الاتقان والزخرفة والكمال . ثم وجه همته الشفاء فى تعمير باب دير الملاك المعروف بدير السلطان وذلك بعد أن استغرق وقتا ليس بقليل فى رفع الشكوى والدعوى الى الباب العالى ضد جماعة الاحباش والطوائف التى كانت تأخذ بناصرهم . وجليه الامر أنه لما لم يكن لاخواننا فى المذهب الاحباش أملاك فى القدس الشريف يقيمون بها تعطف صاحب الترجمة وأباح لهم أستيطان هذا الدير موقتا ريثما يتوفق لهم بناء مكان خاص بهم . غير ان النفس الامارة بالسوء سولت لهم مقابلة الاحسان بالنكران والجود بالجحود فقاموا على ساق وقدم طالبين أغتصاب هذا الاثر المأثور قهرا . وهكذا تجاروا على أختطاف مفاتيح الدير المومأ اليه فى سنة ١٢٨٠ هـ باغراء ومساعدة قناصل وسقراء دولتى أنجلترا وفرنسا وغيرهما من بقية الدول فاذا رأى الانبا باسيليوس هذا الاعتداء وقف كالبطل الصنديد يكافحهم و يعارضهم بقلب كالحديد واخيرا رفع الامر الى الصدارة العظمى فصدرت الارادة السنية بتاريخ ١٢ جمادى الاخرى سنة ١٢٨٠ نمرة ١٩٢ باعمال مفاتيح جديدة للدير وتسليمها للمترجم به . وهذا الامر قيد بالديوان الهمايونى السلطانى كما هو واضح به

ولم تكن هذه المساعى المترادفه لتوقف الاحباش عند حدهم اذ عادوا فى سنة ١٦٠٩ ش الى طنبورهم الاول يضربون عليه مدعين أن دير السلطان المومأ اليه ملك حلال لهم وساعدهم على

هذه الافتترات سفير الحكومة الايطالية فسير روسيا بالاستانة العلية فقام الانبا باسيليوس تلقاء ذلك واستفرغ قواه ومعظم جهوده فى ردعهم عن غيهم ورفع شكواه تلغرافيا لجلالة مولانا السلطان عبد الحميد خان (الخليفة حينئذ) ولجانب الصدارة العظمى ولنظارة العدلية الجليلة وللسعادة متصرف القدس الشريف وأنا ب عنه رسميا حضرة الفاضل أرمانىوس بك حنا الذى كان وكيلا لدائرة الخديوى الاسبق بالاستانة فى رفع معضلات المسألة للمقامات العالية .

ثم عزز هذه المساعى بارسال خطاب لسعادة الحازم بطرس باشا غالى ناظر الخارجية المصرية يشير عليه بتوسط سمو خديوينا الحالى (عباس باشا يومئذ) فى مخابرة الباب العالى بصد تيار المطامع الاجنبية عن حقوق الطائفة القبطية ولما أشتهر به سعادة الوزير المشار اليه من الغيرة التامة على صالح الامة لم يدخر وسعا فى القيام بهذه المهمة وفق المرام فتخابر سمو خديوينا المعظم مع مولانا السلطان العظيم الشأن فى ١٠ جمادى الاخرى سنة ١٣١١ هـ نمرة ١٠ بطلب حفظ حقوق الاقباط الظاهرة للعيان من قديم الزمان والوقوف فى طريق من يريد أغتصاب شىء منها

وفى هذه الاثناء أقلقته أفكاره (المترجم) وتراكت عليه الهواجس حتى اعتراه الارق خوفا من عدم نواله أمنيته وحبوط مساعيه فعول على ارسال جناب القمص ميخائيل الشبلنجى وكييل وقف القيامة وقتئذ (الذى تنصب فيما بعد مطرانا للكرسى خلف السعيد الذكر) الى الاستانة وناهيك عما أودعه له من التوصيات اللازمة بوجوب بذل الجهد بالنفس والنفيس لصد هجمات ومطامع الاجانب وقد كان وتوجه وعند وصوله اجتمع بسعادة الفاضل ارمانىوس بك حنا وكييل دوائر اسماعيل باشا الخديوى واخبره عن الغاية من مجيئه فاتحدا كلاهما وشمرا عن ساعد الاجتهاد بغية نوال المراد فقدم عرائض الاسترحام للحضرة الشاهانية فصدر الامر السامى من جانب الصدارة العظمى الى متصرفية لواء القدس الشريف بتاريخ ٦ كانون الثانى سنة ١٣٠٩ هـ مالية نمرة ٣٠ (١١ طوبه سنة ١٦١٠ ش) مؤيدا ومثبتا أحقيه تصرف الاقباط بدير السلطان المذكور . وقد بنى الامر المشار اليه على المضبطة المقدمة من مجلس إدارة لواء القدس الشريف . وذلك بعد ان أقام جناب القمص الموما اليه بالاستانة العلية أربعة شهور واصل فيها الليل بالنهار سعيًا واجتهادًا فى تنفيذ وصية معلمه ولم يغادرها الا بعد الحصول على الامر المذكور آنفا . وبالاجمال فان صاحب الترجمة بذل من الهمة أقصاها ومن الغيرة منتهاها فى حفظ حقوق الطائفة الى ان توصل لتحقيق كل أو بعض آماله ولم يبق الا ان سوى أنتهاز فرصة مناسبة للاستيلاء التام على الدير الذى أكتسب شهرة عظيمة لالتصاقه بكنيسة القيامة المجيدة وأقامته على سطح المغارة التى أخرجت منها الملكة هيلانه عود الصليب الذى صلب عليه رب المجد

وقد كان للاقباط مكان بجوار دير السلطان أتصل اليهم بحسن مساعى المرحوم ابراهيم الجوهري فاستول . عليه الروسىون بطرق غاية فى الغش والخداع ابتدعها جبران غرغور ترجمان نصلا تو الروسيا - قدس وادخلها على المرحوم القمص جرجس وكييل الوقف آنئذ . ونظرا لاهمية

هذا المكان وقربه لكنيسة القيامة أخذ المطلوب الذكر أنبا باسيليوس يكثر من التحرير لجلالة قيصر الروس بالتماس رده الى ذويه فلم تقابل و باللاسف هذه الطلبات العادلة بما تستحقه من الاهتمام ولامرء فالحق فى جانب القوة . وقد قام الروسيون من نحو الروسيون من نحو العشر سنوات وشيدوا فى هذه المكان كنيسة هى وأيم الصدق آية فى الاتقان

كل ذلك لم يثن عزم الفقيد ولم يقلل من همته فبذل أقصى مجهوده حتى تمكن من أحاطة هيكلا القائم على قبر المخلص له المجد بسياج من حديد وزخرفة بجميل الاوانى وأنفس المنقوشات . ثم أخذ بعضا من الاثار الى أقامتها الملكة هيلانة وضمها الى بوايك دير القديس أنطونيوس . كل ذلك قام به رغما عن أرادة أبناء الطوائف الاخرى الذين طالما وقفوا فى طريقه حجرة عشرة محاولين اغتصاب هذه الاثار المقدسة فى ضمها الى املاكهم

ثم أشتري محلا يسمى « المصبنة » بالقدس الشريف وأعدده لسكنى أبناء الطائفة المقيمين بتلك الجهة أهـ

ولم تحرم كنائس أبروشيته بالقطر المصرى من ثمرة همته فأصلح الكثير منها وجدد عدة بيع ولبث مواصلا جهاده وعمله حتى أقعده مرض عضال أصابه قبل وفاته ببضع سنوات فعين له الاب القمص ميخائيل الشبلنجى (الانبا تيموثاوس مطران القدس الان) ليكون أسقفا ووكيلا للكرسى الاورشليمى مدة حياته وخليفة له بعد مماته

ومع اشتداد المرض على الانبا باسيليوس لم يكن يهمل السؤال عن رعيته وما يتعلق بها حتى يوم ١٥ برمهات سنة ١٦١٥ ش اذ شعر بألم فى جنبه الايسر فصار يخاطب الله بما فى مز ١١٨ : ٢٥ « آه يارب خلص آه يارب أنقذ » ولم ينقطع عن اللهج بآيات كتاب الله الى يوم الاحد ١٨ برمهات من تلك السنة حيث أسلم روحه فى يد مخلصه وانضم الى آباءه . وما وصل نبأ نياحته الى امته حتى ناحت و بكث عليه جميعها وأقيمت له حفلات تأبين فى أشهر مدن القطر

(٣) الانبا ابرآم اسقف الفيوم :

ولد هذا الحبر الكامل سنة ١٥٢٥ ش و ١٨٢٩ م بقرية دلجا بمركز ملوى بمديرية أسيوط من أبوين فاضلين تعلم منها محبة الفضيلة وشهد له بها أمام الانبا يوساب اسقف صنبو فرسمه شماسا ولما بلغ التاسعة عشرة أنطلق الى دير العذراء بالحرق ولبث مدة تحت الاختبار حتى أقر عليه جميع الرهبان فرسم راهبا باسم بولس غبريال المحرقاوى .

وكان رئيس ذلك الدير حينئذ رجلا فاضلا يدعى القمص عبد الملك الهورى فأعجب باخلاق الراهب بولس السامية ومدحه على وداعته وتواضعه وطهارة سيرته واقتداره على ضبط نفسه

ومواظبته على الصلاة منفردا الامور التي التي جعلت له مركزا عاليا في نفوس الرهبان فأحبوه حبا جما

وسمع أسقف المنيا اذ ذاك وهو الانبا ياكوبوس بتقوى هذا الاب وفضيلته فاستدعاه اليه وسلمه ادارة الاسقفية وكلفه بملاحظة الغرباء والمساكين الذين يلجأون الى القلاية فقام بخدمتهم خير قيام ومن ثم رسم قسا . وبعد زمن تآقت نفسه الى الرجوع للدير فرجع وكان الرهبان قد طلبوا عزل رئيسهم لانه لم يكن يدخر من ايراد الدير شيئا واتفقت كلمتهم على اختيار القس بولس رئيسا لهم فتقدم الدير في مدة رئاسته اذ سعى جهده في تحسين أحواله الداخلية والخارجية فغرس به كروما ورسم ما تهدم منه واشترى له أطيانا وأنتظمت أحواله حتى أقبل الكثيرون على اعتناق طقس الرهبنة تحت رئاسته الى ان رسم مرة في دفعة واحدة اربعين راهبا منهم الانبا بطرس مطران تغريا بالحبشة والانبا متاؤس مطران الحبشة والانبا مرقس مطران اسنا والانبا باخوميوس اسقف الدير المحرق .

واتصل خبر شهرته بالاحسان وعمل الخير الى آذان الفقراء والمساكين فلبجأوا الى الدير أفرادا وجماعات وهو يعتنى بهم أعتناء زائدا و يظهر ان سروره وراحته في خدمتهم . ولبت خمس سنوات في خدمة الدير وهو يقوم بهذه الخدمة فاعترض عليه الرهبان وحذروه لئلا يأول ذلك الى خراب الدير ولكنه استمر يعتنى بكل اللاجئين اليه حتى زاد عددهم عن الرهبان . فقام هؤلاء طالبين عزله . وكان الانبا مرقس مطران البحيرة في وكالة كرسى البطريركية فاضطر ان يوافق الرهبان و يعزل القس بولس ويخرجه من الدير فتركه مشيعا بدموع البائسين ورافقه الى البطريركية بعض تلاميذه المخلصين منهم الانبا متاؤس مطران الحبشة وقابل المطران فارسله الى دير الانبا بشوى مع أولاده الرهبان فلم يقيم به طويلا وذهب الى دير البرموس حيث كان رئيسه القس يوحنا الناسخ (وهو غبطة البابا كيرلس الخامس) فقبله مرحبا به فانقطع في قلايته الى العبادة ومطالعة الكتاب المقدس حتى حفظ أغلب نصوصه غيبا وقال بعض الرهبان أنه كان يطالع الكتاب كل اربعين يوما مرة ولم يكن يتحصل على قليل من المال حتى يتصدق به على المحتاجين

وفى سنة ١٥٩٧ هـ و ١٨٨٨ م أختير اسقفا للفيوم بدون علمه وذلك ان ملك الحبشة أرسل يطلب من غبطة البطريرك أن يقيم للحبشة ثلاثة أساقفة و يوفدهم اليه فرسم له القمص أقلاديوس الخالدي (الانبا متاؤس) والانبا لوكاس والانبا بطرس وكان هؤلاء قد لازموا معلمهم القس بولس ولما رأوا ان كرسى الفيوم قد خلا بعد نياحة أسقفها الانبا أيساك أبوا أن يتركوا الدير ما لم يقيم معلمهم اسقفا على الفيوم فاجاب غبطة البابا طلبهم ورسم القس بولس باسم الانبا أبرام وسار لاستلام مركزه الجديد وبعد أستلامه بقليل فاح عبر فضله وانتشر صيت قداسته في كل مكان . فأم دار اسقفية كثيرون من كل طبقة فكانوا يجدونها ملأى بالفقراء الذين كانوا يلجأون

اليها بالمئات والالوف فكان يهبهم كل ما يكون لديه من المال . وقد جعل بدار الاسقفية مأوى لكثيرين منهم وطالما كان يقدم ثيابه للعرايا وطعامه للجياع ولما رأى منه ذلك الزائرون رتب كثيرون منهم على أنفسهم عوائد يقدمونها لهذا الاب لينفقها على أولئك المساكين .

ولم يكن يسمح قط هذا القديس بان يقدم له طعام أفخر مما يقدم للفقراء و يدل على ذلك ان راهبة تدعى بسيمة رئيسة راهبات دير مار جرجس بحارة زويلة كانت ممن وقعوا على عزل غبطة البابا الانبا كيرلس الخامس ولما رفعت من وظيفتها لاذت بالانبا ابرآم فشفق عليها واقامها لتدير مائدة المساكين واشترط عليها ان لا تميز بين أكلهم وأكله واتفق مرة أنه نزل ليتفقد جماعاتهم وهم يتناولون طعامهم فادهشه أن لاحظ أن الطعام الذى قدم اليه فى ذلك اليوم كان أكثر تأنقا مما وجده أمامهم فساوره الحزن واقال الراهبة الموكلة بخدمة الفقراء من عملها فى الحال فأصيبت بالشلل بعد ذلك بقليل

و ذات يوم طلبت منه امرأة فقيرة أحسانا ولما لم يجد مالا أعطاها شالا حريريا أهدي اليه لتبيعه وتنفقه على حاجتها واتفق أن صاحب الشال شاهد المرأة وهى تبعه فاشتراد منها واعاده اليه ورجعت المرأة متعة تشكى من قلة المبلغ فطلب الاب من المحسن أن يعطى المرأة عشرة جنيهات لتسد اعوازها فأطاع وأعطاه .

ومرة أخرى جاءت اليه امرأة تستنديه ولم يكن معه سوى جنيه واحد فأعطاه لها واذا علم وكيل الدير بالامر اسرع خلف المرأة واخذ منها واعطاها رايالا فرجعت المرأة الى الاب وقصت عليه الخبر فوبخ الوكيل لاسيما لما أخبره أنه ليس بالاسقفية شىء ولا مه على عدم أيمانه وطلب منه أن يعطى المرأة ما أخذه منها ولم يمض القليل حتى وردت بالبوسنة نقود وغللال

وجاء يوما الفقراء يشكون من أن الطباخ أستعاض لهم مرتبهم من اللحم بقطع العظم فاراد أن يتحقق الامر بنفسه . فنزل ليلا وقت العشاء متخفيا واندس بين الفقراء كأنه منهم وتناول معهم نصيبه من اللحم واذا به قطعة عظم فقام فى وجه الطباخ وأشهر العظمة بيده وعنفه تعنيفا شديدا وعزله من وظيفته وقيل أنه فقد بصره بعد خروجه من عنده

ومما يدل على اقتران تقواه بعلمه أنه جاء يوما بعض أشخاص طلبوا للعسكرية يلتمسون منه أن يدعوهم باطلاق سراحهم فدعا لهم وأطلق سراحهم وجاء بعدهم آخرون وطلبوا منه نفس الطلب فاجابهم اذا كان الجميع يريدون الاستعفاء من خدمة الحكومة فن الذى يوكل بحراسة الامن وصرفهم

وكان من عاداته ان يلقي على زائريه دائما نصائح وتعاليم وعظات تنبىء باتساع مداركه فى معرفة أسفار الكتاب كما أنه كان يقضى وقته كله اثناء زيارته لبلاد أبروشيته فى القيام

بالوعظ وتوحيد القلوب ونزع الضغائن . وكان اذا طلب منه أن يرسم كاهنا يبحث عن سلوكه وآدابه و يدقق طويلا فى اختبار أحواله

ومع أمتداد شهرته ووصول صيته الى كل سمع لبثت فضيلة التواضع تزينه طول حياته حتى أنه لما أستدعاه اليه غبطه البطريرك ليرفعه الى درجة المطرانية جزاء فضله أمتنع عن القبول ورد عليه يقول « أنى أحب أن أكون دائما حقيرا فى ملكوت الله »

ومن صفاته أيضا أنه كان صريحا الى أقصى حدود الصراحة فى أبداء رأيه ولا ينظر فى ما يقول الا الى الحق لذاته فتتضاءل عنده هيبة العظماء ومقامات الكبراء أمام هيبة الحق وجلاله حتى كان الالباء المطارنة والاساقفة يتقون غضبه و يتمنون رضاه . ومن ذلك أنه حدث مرة أن عاب رئيس كنيسة قبطية أحد المطارنة فانعقد مجلس كنسى لمحاكمته وطلب من المطران أن يصفح عن الكاهن فأبى فالتفت الانبا ابرآم الى المطران وقال له اظنك تعرف الصلاة الربانية فأرجوك تلاوتها فأخذ يتلوها حتى وصل الى القول « وأغفر لنا ذنوبنا كما نغفر للمذنبين الينا » فقاطعه القديس وقال له اذا كنت تعتقد بصحة ما تصلى به فقم وصافح أخاك وقبل رأسه والا فأنت تكذب على الله عندما تتلو صلاتك فلم يجد المطران مناصا من مسامحة من أساء اليه

وحدث أيضا أن قسا قبل فى كنيسة أسقفا جرد من رتبته الكهنوتية فعقد مجمع لمحاكمته وأقر الجميع على ادانته ولما طلب من الانبا ابرآم ابداء رأيه أجاب « أن القس لم يعمل الا ما أمر به السيد المسيح من اضافة الغرباء ومحبة الاعداء » وكان أحد الباشوات حاضرا فقال له « ولكن هيئة المجمع ترى ادانة القس » فاجابه « ولماذا اذا دعوتمونى اذا لم تكن لى الحرية فى ابداء رأى » فنبهه الحاضرون الى أنه يكلم فلانا العظيم فاجابهم « أهو أعظم من الله الذى سمح لعبد من عبيده كموسى أن يكلمه » ثم أخذ يدافع عن القس حتى أقنع الجميع ببراءته

وفوق هذه الصفات جميعها التى تحلى بها هذا القديس فان الله قد وشحه بنعمة أعظم وهى صلاة الايمان الامر الذى أشتهر به وبواسطته جرت على يديه آيات شفاء عديدة حتى ذاع اسمه فى جميع أنحاء القطر وبلغ بعض مدن اوروبا أيضا فكان يقصده المرضى أفواجا على تباين اديانهم

وتتداول الالسنه من تلك العجائب التى اجراها الشىء الكثير فنما أنه شفى امرأة مسلمة من بلوط (بمديرية اسيوط) من مرض الشلل الذى عطل بجسمها ولسانها وبعد ثلاثة أيام لزيارته وصلاته عليها شعرت بالقوة تدب فى جسمها وقامت بكل صحة . وحدث أن امرأة لرجل بروتستانتى لم تكن ترزق بنسل نذرت ان أعطاها الله ولدا تعمده بيد الانبا ابرآم فلما أعطيت نسيت العهد فشاهدت ليلة رؤيا بهيئة قسيس بلباس أبيض وبيده صليب فخافت على ولدها وتممت النذر.

وغير هذه الحوادث كثير. أما عجائبه فى اخراج الشياطين فلا يحصيها العد وبالجملة فقد شرفه الله بهذه الموهبة الخارقة للعادة فوجد اسمه ورفع شأن ديانتة .

وظل الانبا ابرآم قائما باعباء وظيفته حتى لحقه مرض فى بشنس سنة ١٦٣٠ ش وكان يشتد عليه فى كل يوم وهو يتحمله بصبر وشكر حتى وهو فى عنف المرض لم يكن يسمح لنفسه بشيء مما تشتهى وقيل أنه حينئذ تاق الى أكل الحمام وطلب منه شيئا فاحضر اليه ولكنه أبقاه عنده ثلاثة أيام حتى أنتن وتصاعدت رائحته الكريهة ومن ثم وضعه أمامه وقال مخاطبا نفسه « ها قد أجبت لك سؤلك يانفسى فكلى مما ستصيرين أنتن منه » وبعد ذلك طرحه

وأنقل الانبا ابرآم الى السماء فى شهر بؤونه سنة ١٦٣٠ ش وفى ١٠ يونيو سنة ١٩١٤ م فشيعة الى القبر عشرة آلاف نفس من المسيحيين والمسلمين ودفن فى منامة أعدها لنفسه بكنيسة أبى سيفين

(٤) الايغومانوس فيلوثاؤس ابراهيم :

ولد بطنطا سنة ١٨٣٧ م وبعد أن درس العلوم فى المدارس واتقن اللغات القبطية والعربية والايطالية عين قسيسا لطنطا سنة ١٨٦٢ م فانكب على كتب اللاهوت يطالعها حتى برع فى الوعظ فانتشر اسمه فى كل جهات القطر وبعد ما رفع الى رتبة أيغومانوس سنة ١٨٦٥ م طلبه البابا ديمتريوس ٢ ليرافقه فى رحلته بالوجه القبلى سنة ١٨٦٧ م فظهر مقدرة فائقة فى الخطابة حتى رد كثيرين للكنيسة ممن تمذهبوا بالمذاهب الحديثة .

وفى أكتوبر سنة ١٨٧٤ م أنتخبه المجلس الملى راعيا وواعظا للكنيسة الكبرى ورئيسا لمدرسة أنشئت خصيصا للرهبان فابدى ما دل على أقتداره وما رفع مركزه فى عيون الامة ولبت يخدم الى ان توفاه الله فى ١٠ مارس سنة ١٩٠٤ . وله المؤلفات البليغة الاتية التى دافع فى بعضها دفاعا مجيدا عن عقائد كنيسته ضد المتهمجين عليها من الباباوين وهى (١) نفح العبير فى الرد على البشير (٢) الحجة الارثوذكسية ضد اللهجة الرومانية (٣) تنوير المبتدئين فى تعليم الدين (٤) كتاب خطب ومواعظ (٥) الخلاصة القانونية فى الاحوال الشخصية ..

القسم الثالث المملكة والكنيسة

(١) يوسف باشا الصدر الاعظم

(٢) محمد على باشا

(٣) سعيد باشا

(٤) الاحتلال الانجليزى

(٥) الحالة الحاضرة

(١) يوسف باشا الصدر الاعظم :

وقع المسيحيون وعلى الخصوص الاقباط منهم فى آلام مرعبة فى زمن ولاية يوسف باشا الصدر الاعظم سنة ١٨٠١ م فكانت الجنود التركية تجول فى احيائهم وتدخل بيوتهم مواصلة السلب والنهب والفتك بين آن وآخر. وقتل يوسف باشا ثلاثة من اعيان الاقباط بدعوى أنهم كانوا من أنصار الفرنسيين وأخذت أموالهم وممتلكاتهم ففر كثيرون من الاقباط من أمام وجه الاتراك ووضع هؤلاء غرامة بصفة فدية عن أنفسهم .

(٢) محمد على باشا :

وقد تولى محمد على باشا زمام الاحكام فى مصر سنة ١٨٠٥ م وقد اخذ يعتدل ميزان الزمان بالاقباط فصاروا يتدرجون فى الحصول على السلام والطمأنينة ولم تقع بهم الا اضطهادات خفيفة فن ذلك أنه فرض عليهم غرامة تقدر بمائتى الف ريال ليصرف منها محمد على باشا مرتبات جنوده وأمر اثنين من كبار الاقباط الكاثوليك وهم المعلم غالى وورثة فيكتور وكيل دائرة عثمان بك البرديسى الذى مات وقتئذ بان يدفعوا من المبلغ ثمانين الفا والباقي يدفعه الاقباط الارثوذكس

ولما كان محمد على رجلا بعيد النظر رأى احتياجه شديدا لمساعدة المسيحيين نظرا لامانتهم أكثر من المسلمين فاستخدم منهم كثيرين من الارمن والكاثوليك ولم يرغب فى استخدام الاقباط خوفا من ان يزداد نفوذهم وتتقوى شوكتهم فيقاومونه باعتبارهم أصحاب البلاد منذ القديم . الا أنه أمر بإبطال الاضطهادات ومنع كل تعد بل كان يعاقب عقابا شديدا من كان يعرف عنهم أنهم يدعون الى الفتنة الدينية ثم كتب العلامة السيد اسماعيل الوهبى رسائل مؤيدة بآيات قرآنية مضمونها لزوم الكف عن اضطهاد النصارى والاعتذار عنهم بان الحامل لهم على تداخلهم مع الفرنسيين حماية أعراضهم وأموالهم

وشعر محمد على أنه من المستحيل الاستغناء عن الاقباط وكانت ثقته بهم قد تزايدت نظرا لميلهم الى الهدوء والسكينة فوزع خدمة الوطن على أهله كل بما له من الاهلية وخص القبط بما امتازوا به من الاعمال الحسابية وضبط الايرادات والمصروفات حتى قال أحد الانجليز الذى حضر الى مصر فى أيامه سائحا فى تقرير رفعه الى رئيس مجلس وزراء إنجلترا وعرض على البرلمان « ان الاقباط للقلم بمثابة المحراث للفلاح »

ولا تساع مصالح البلاد على يد محمد على كثر عدد الموظفين الاقباط فأخذ نفوذهم فى الامتداد وأصبح بينهم وجهاء كثيرون . قيل وكان تعداد الاقباط قليلا جدا فى ذاك الوقت حتى أنه لما أراد محمد على أن يحصر تعدادهم وجددهم ١٥٠٠٠٠ نفس فقط ولكن عمال التعداد نسوا حارة من القاهرة وهذا أقل عدد وصل اليه الاقباط بعد أن كانوا يعدون بعشرات الملايين فى مصر والسودان الا أنه فى سنة ١٨٥٥ م قد أحصاهم البطريك فوجد عددهم لا يقل ولا يزيد عن ٢١٧٠٠٠ نفس بينما كان كل تعداد سكان القطر المصرى فى ذلك الحين خمسة ملايين من النفوس

وفى يوم ١٧ برمهات سنة ١٥٦٠ ش و ١٨٤٥ م قضى على قبطى بدمياط يدعى سيدهم بشاى كان موظفا بالاسكندرية فى وظيفة كتابية فادعى عليه بعضهم زورا أنه سب الدين الاسلامى وشهد عليه اثنان احدهما بربرى والاخر حمار و بناء على ذلك حكم القاضى الشرعى بجلده فضرب بشدة عظيمة ثم أركبوه جاموسة مقلوبا وطافوا به البلد وهم ينخسونه بالابروالاسياخ الحديدية ولطمونه بالزفت المغلى حتى وقفوا به أمام دار المحافظة وهو على حافة الموت

وبعد ذلك حملوه الى منزله فانكفأ أمامه وأخذ أهله فوات بعد خمسة ايام اما المسيحيون على اختلاف مللهم ونحلهم فقد اعتبروا موته استشهادا واجتمعوا واحتفلوا بتشيع رفاة احتفالا لم يسبقه نظير . ولبيت الناس مدة يتحدثون بفضاعة هذا الامر وقرر المسيحيون رفع مظلمتهم لقناصل الدول ليعرضوا أمرهم على محمد على باشا وكان أحدهم الخوجا ميخائيل سرور معتمدا لسبع دول فرفع تقريراً وافيا بما حصل للخديوى الذى بعد ان وقف على الحقيقة أمر باعادة التحقيق بالدقة المتناهية فاسفر عن ادانة القاضى والمحافظ فخلعهما من وظيفتهما ونفاهما ثم خاطب ميخائيل سرور بما تم فطلب منه ترصية للخواطر أن يسمح للمسيحيين برفع الصليب جهارا أمام جنازاتهم فسمح الخديوى بذلك فى الاسكندرية . أما فى مصر وغيرها من البلاد فلم يسمح لهم برفع الصليب أمام الموتى الا فى عهد البابا كيرلس الرابع

(٣) سعيد باشا :

ولما تولى مصر عباس باشا الاول سنة ١٨٤٩ م عزم على تقليل نفوذ الاقباط من الدواوين فاختر أربعة من طلبة المدارس الاميرية وسلم كل رئيس ديوان واحدا منهم ليعلموهم مسك الدفاتر ويمرنوهم على الاعمال الحسابية . ثم صمم على طرد الاقباط من البلاد اذا ابوا الاسلام فساد بينهم

الخوف والذعر غير ان المنية عاجلته بالقتل و بهذا تخلص الموظفون الاقباط من هذه الورطة التى كانوا يحسبون لها حسابا عظيما حتى أن بعضهم لما مضى عليه شهر أو شهران وتحقق فى تلميذه عدم الميل للتعليم قال أنه لم يبق من عمره سوى عشرة أشهر وهكذا كل ما مضى عليه شهر آخر فكان يتوقع الموت على الدوام و يستعد له وتولى مكانه سعيد باشا سنة ١٨٥٤ م وكان الاقباط قد أنتهوا الى حالة يتمكنون معها على المعيشة مع مواطنيهم المسلمين الا انه حظر عليهم استعمال السلاح منذ قاموا بالدفاع عن أنفسهم تحت قيادة الجنرال يعقوب . وكانوا ممنوعين من التجنيد خوفا من خيانتهم للجيش الاسلامى الا ان سعيد باشا أصدر أمرا بضرورة تجنيدهم فاتخذ ذلك بعض المسلمين آلة لاضطهادهم فقبضوا فى أسبوط على كل الذكور فى أغلب البيوت القبطية وساقوهم للعسكرية ولم يتركوا ولا واحد منهم لاعالة النساء والاولاد

وكان قواد الجيش المسلمين يستبدون بالعساكر الاقباط و يعاملونهم بقساوة ليعتنقوا الاسلام . فلما رأى البابا كيرلس الرابع شكى أمرهم الى ذوى النفوذ من موظفى الانجليز فى مصر فأرغم سعيد باشا على أعفاء الاقباط من الخدمة العسكرية . قيل وكان ذلك سبب غيظه من البطريرك وسمه اياه . وقد عرض الفرنسيون على البطريرك استخدام نفوذهم فى مساعدته بشرط ان يصدر امرا لملك الحبشة ليصرح بدخول اليسوعيين الى بلاده فرفض مساعدتهم وبعد موت البطريرك صارت الحكومة تطرد مئات من موظفى الاقباط .

وكان سعيد باشا قد الغى فى أيامه دواوين الحكومة ومصالحها واعطى لمستخدميها المستغنى عنهم اطيانا ليزرعوها و يعيشوا منها غير انه لما تولى أسماعيل باشا سنة ١٨٦٣ م وأعاد الدواوين والمصالح واستخدمهم فيها أخذ منهم الاطيان

(٤) الاحتلال الانجليزى :

وفى أيام توفيق باشا الذى خلف أسماعيل باشا سنة ١٨٧٩ م حضر وفد من قبل ملك الحبشة يحمل هدايا نفيسة للخديوى وللبطريرك و يطلب من توفيق باشا استمرار العلاقات الودية بينه وبين حكومة مصر . وفى سنة ١٨٨٢ م حدثت ثورة عرابى باشا وقام رعاى الاسكندرية بمذبحة عظيمة قاسى فيها المسيحيون كل أنواع العذاب فلجأ الاجانب منهم والوطنيون الى بطريركية الاسكندرية وهاجر كثيرون منهم الى داخل البلاد

وفى اثناء ذلك حدثت ثورة المهدي بالسودان وقبل استيلائه عليه تركه النصارى وأووا الى القطر المصرى وأسقف الخرطوم وبعض الكهنة الذين لم يتمكنوا من الهرب أرغموا على اعتناق الاسلام

وروت مدام بوتشر ان الجنرال غوردون سنة ١٨٨٥ وجد باقيا بالسودان اسقف قبطى من

الكنيسة المصرية وكان فى ابروشيته سبع كنائس ودير للراهبات وبعث الجنرال غوردون الاسقف بامان الى القاهرة قبل سقوط مدينة الخرطوم فى ايدى الدراويش وبعد ذلك أعتزل الاسقف الخدمة الدينية ولا ريب ان رعيته وكنائسه ذاقوا الويل فى عهد الممدى وتوفى الاسقف سنة ١٨٩٧ م

(٥) الحالة ا لحاضرة :

الاقباط الان فى رغد ونعيم وهم فى راحة لم يفوزوا بمثلها فى عصر من العصور وكثيرون منهم من ذوى الحيشيات والمقامات الرفيعة فى البلاد . ولما قامت الحركة الوطنية سنة ١٩١٩ م أنضموا لمواطنيهم المسلمين طالبين أستقلال البلاد فقدر لهم مواطنوهم هذه الوطنية العالية واصبح العنصران فى حالة تأخ لم تتم فى وقت غير هذا . أما عددهم فيبلغ مليوناً وأحدا يقيم الان ثلاثة أرباعه بالوجه القبلى وباقية فى الوجه البحرى . والاقباط الارثوذكس فقط يبلغون ٧٥٤٧٧٨ نفسا . المتعلمون منهم ١٤٦٧١٦ وعدد عائلاتهم ١٢٦٥٠ عائلة

القسم الرابع البدع والانشقاق

(١) الارساليات الكاثوليكية

(٢) الارساليات البروتستانتية

(١) الارساليات الكاثوليكية :

فصلنا آنفا المساعى المتواصلة التى بذلها اساقفة الكنيسة الرومانية لاختضاع الكنيسة القبطية لهم وكيف فشلوا فى كل ما سعوا . ولما احتل فرنساويون مصر من سنة ١٧٩٨ — ١٨٠١ م دخل بدخولهم كثير من الافرنج ولم يتركوها بعد خروج فرنساويين بل لبثوا يتمتعون بحماية فرنسا . ولما تولى محمد على باشا مصر سنة ١٨٠٥ — ١٨٤٨ م استخدم من هؤلاء كثيرين فى مصالح عديدة وتتابعت الارساليات اللاتينية من فرنسيسكان وفرير وجزويت لبث المذهب الرومانى ولكنهم لم ينجحوا

وذكر فى كتاب «نوابغ الاقباط ومشاهيرهم» ج ١ : ١١٧ ما يأتى :-

«قد سعى فى أيام محمد على باشا بضم كنيسة مصر الى كنيسة رومية لان التنظيمات الجديدة التى صارت فى مصر كانت بواسطة رجال فرنسا وعلمائهم فلما رأى محمد على باشا نفسه مغمورة بجزيل معروفهم رام ان يقابلهم بمثله واذا احتار فيما يقوم به نظير ذلك نصحه أحد قواد الجيش وكان بابويا أن يسعى فى ضم نصارى مصر الى كنيسة رومية فيجد بذلك الافرنج فعلا جميلا ومعروفا يوازي معروفهم فاستدعى المعلم غالى الذى كان كبير الكتاب آنئذ وامره ان يفعل ذلك فوقع فى حيص بيص وخاف من وقوع الفتن بين الطائفة فجاب الباشا قائلا «أن استمالة الطائفة جميعها الى مذهب كنيسة رومية دفعه واحدة لا تنهى بدون قلاقل وسفك دماء كثيرين فنرى الاحسن ان يكون ذلك بسياسة وتدريب اننا نعتنق نحن اولا المذهب الباباوى بشرط ان لا نكره على تغيير طقوسنا وعائدنا الشرقية وبذلك أن تميل أفراد الطائفة رويدا رويدا فقبل الباشا هذا الرأى الاخير واخبر الافرنج ففرحوا وشكروا فعلة فأقبل من ثم المعلم غالى وابنه باسيلوس بك ورهط قليل من اشياغها فى مصر واخيم باباوين بالظاهر وهم يضمرون انهم بعد حين يعودون الى حوض كنيستهم ومع ذلك قتلوا يعتبرون كهنة الارثوذكسيين حق الاعتبار ويعمدون اولادهم عندهم» أهـ

غير ان كثلكة المعلم غالى لم تأت بنتيجة فنبد وأهله من الارثوذكسيين ولم يتبعه أحد منهم . وأرسل المعلم غالى قبطيا من قبله الى اسقف رومية ليعينه بطريركا على مصريكون هو واتباعه

خاضعين له كل ذلك ارضاء للفرنساويين وتقرباً منهم ليحفظوا له مركزه في الحكومة المصرية ويخلصوه من المغارم بيد ان محمد علي باشا ادرك خطورة هذا الامر في ما بعد وعده تثبيتاً لقدم الافرنج في مصر وعلم ان كثلثة المعلم غالى كانت للغرض المؤمناً اليه فكان ذلك من جملة الاسباب التي دعت الى قتل المعلم غالى بزفتى في اوائل مايو سنة ١٨٢٢ م

ويعرف أتباع المعلم غالى التابعون الان للمذهب الرومانى «بالاقباط التبع» واطلقوا على انفسهم أسم «الاقباط الكاثوليك» والحقيقة ان لفظة كاثوليكية ومعناها «جماعة» هي إحدى علامات الكنيسة الارثوذكسية الاربع التي هي «واحدة . مقدسة . جامعة رسولية» وسميت الكنيسة «جامعة» لانها تضم في حضاها جميع الامم بدون استثناء كقول السيد المسيح «أذهبوا وتلمذوا جميع الامم» (مت ٢٨ : ١٩) اما الكثلثة اصطلاحاً فهي التبع للمذهب اللاتينى ومن ثم فالقبطى الكاثوليكى هو التابع لكنيسة اللاتين الرومانية الفاقد لاستقلاله الدينى (١)

واول بطريرك اقيم على الاقباط التبع هو كيرلس مقارسنة ١٨٩٩ م حال رسامته بدأ ينشر المنشورات متطاولاً فيها على المقام البطريركى الجليل داعياً أبناء الكنيسة القبطية الى الانضمام لاسقف رومية ثم طاف فى الوجه القبلى يبيث أفكاره ويزعج الخواطر بتعاليمه فاضطر البابا كيرلس الخامس الى مقاومته وردعه فحرر منشورا يحذر فيه ابناءه من الانقياد لهؤلاء القوم مذكراً اياهم بجهاد آبائهم فى حفظ ايمانهم ودفاعهم عنه الدفاع الجليل الذى رفع شأنهم وخلد ذكرهم .

فباء كيرلس مقارب الخيبة اذ لاقاه ابناء الكنيسة بالاستياء وعنفه بعضهم فى قافعا الى القاهرة يجرح خلفه أذيال الخزي والعار . وقد عز عليه ذلك فسافر برسالة من رئيسه ساكن قصر الفاتيكان الى نجاشى الاحباش منليك الثانى فى مهمة ظاهرها سياسية يطلب إطلاق سراح الايطاليين وباطنها السعى لدى منليك لادراك بعض المزايا الدينية فتخوف بعض كبار الاقباط من هذا الامر ولبثوا فى قلق حتى قدم كبير حبشى من بلادته الى الدار البطريركية فسئل عن الحقيقة فاجاب «لا تخافوا لاننا نفضل أن نرى الموت الاحمر من أن نغير عقيدتنا الارثوذكسية» ثم قال «حدث فى عهد مليكنا السابق يوحنا أن شذت فيئة واعتنقت المذهب الكاثوليكى وشيدت لها كنيسة فلما علم بهم أمر بقتلهم وهدم كنيستهم وهدد كل حبشى يعتنق المذهب بالموت ومن ذلك الحين وبلادنا نظيفة من ذلك المذهب»

وقد تحقق هذا القول فلم يفلح كيرلس مقار في مهمته مع ما تجشمه من الصعاب والاهوال فكان ذلك عظة وعبرة وادرك انه أخطأ في ترك عقيدة آباءه الارثوذكسية وجاهر بذلك أمام كثيرين من أصدقائه الاخصاء الذين أسر لهم نيته في العودة الى الكنيسة الاصلية فشاعت هذه الاخبار وبلغت مسامع اسقف رومية فعزله وعين آخر مكانه ومن ثم عزم على وضع كتاب في صحة العقيدة الارثوذكسية وموافقتها لاحكام المجامع المسكونية الثلاثة كل الموافقة بدون أقل انحراف فتوسط لديه كثيرون من قبل اسقف رومية لكي يمنع نشره أو يؤخره ولكنه نشره بالفرنساوية ودعا « الوضع الالهى في تأسيس الكنيسة » نفى فيه عصمة البابا ورئاسته واثبت فضل الكنيسة الارثوذكسية واتى هذا الكتاب بنتيجة حسنة فانضم عقب ظهوره عدة عائلات من الاقباط الكاثوليك الى كنيستهم الاصلية نخص منهم بالذكر عائلة القمص بطرس العتر وعائلة الاشقر وعائلة نصر الله عريف وهذه العائلات الثلاث وحدها تشمل نحو مائة وخمسين نسمة

والغريب انه بعد ظهور هذا الكتاب أقام الاقباط التابع لكيرلس مقار بعد وفاته جنازا عاما في كل الكنائس ومدحوه مدحا زائدا ناسين أنه بكتابه أستنكر قيام كنيسة خاصة منهم منفصلة عن كنيستهم الارثوذكسية

(٢) الارساليا البروتستانتية :

دخل الذهب البروتستانتى الى مصر في منتصف القرن التاسع عشر عندما جاء مرسل أميريكانى يدعى الدكتور لانسن واقام بالاسكندرية وجاء بعده مرسل أسكوتلندى هو الدكتور يوحنا هوج وبعدهما لبثا بالاسكندرية مدة أخذوا يطوفان البلاد راكبين النيل يدعوان الى مذهبهما . وفى سنة ١٨٦٢ م جعلوا موضع تبشيرهما القاهرة . وبعد ذلك انطلق الدكتور هوج الى أسيوط سنة ١٨٦٥ م واتخذها مقر عمله واستطاع أن يؤسس بها كنيسة بروتستانتية سنة ١٨٦٧ م

وذكر فى كتاب « الخريدة النفيسة فى تاريخ الكنيسة » أن بعض البروتستانت تجرأوا فى أسيوط على الهجوم على كنيستها ليلا وكسروا أيقوناتها فشكاهم البابا ديمتر يوس الثانى للخديو فاصدر أمرا بنفيهم الى البحر الابيض فالتجأوا الى قناصل الدول طالبين حمايتهم فلبت طلبهم ودفعت عنهم قصاص النفى فكان ذلك داعيا الى زيادة البروتستانت فى أسيوط » وانشق من المذهب البروتستانتى مذاهب أخرى كالبلموسى والاصلاحى والسبتى والرسولى والحافى وغيرها

خاتمة

بين الماضى والحاضر

(١) الابروشيات (٢) الكنائس

(٣) الاديرة (٤) اللغة القبطية

(٥) الوعظ والمدرسة الاكليريكية

(١) الابروشيات :

كثرت الابروشيات فى القطر المصرى بكثرة عدد المؤمنين حتى بلغت ١٦٨ أبروشية فى القرن الثامن ثم أخذت تتناقص الى ان صارت ١١٠ فى القرن العاشر حسب جدول جرجس بن مسعود الشهير بابى المكارم ثم الى ٥٢ فى القرن الحادى عشر والثانى عشر واليك أسماؤها :

أولا — فى الوجه البحرى :

١ — سخا ، ٢ — تنيس ، ٣ — تلبانة ، ٤ — أبوصير ، ٥ — منوف ، ٦ — نوسا ، ٧ —
نسروده ، ٨ — بنا ، ٩ — دمنهور ، ١٠ — سرسنا ، ١١ — أتريب ، ١٢ — سمند ، ١٣ — دمياط ،
١٤ — دميرة ، ١٥ — سهرجت ، ١٦ — طنطا ، ١٧ — البرلس ، ١٨ — صا ، ١٩ — خربتا ، ٢٠ —
مصيل ، ٢١ — رشيد ، ٢٢ — بلبيس ، ٢٣ — قطور ، ٢٤ — دقيرة ، ٢٥ — و ، ٢٦ —
الواحات ، ٢٧ — سنجار .

ثانيا — فى الوجه القبلى :

٢٨ — أطفيح ، ٢٩ — أهناس ، ٣٠ — القيس ، ٣١ — طحا ، ٣٢ — أنصا ، ٣٣ —
أسيوط ، ٣٤ — قاو ، ٣٥ — البلينا ، ٣٦ — القصير ، ٣٧ — طموية ، ٣٨ — الفيوم ، ٣٩ — البهنسا ،
٤٠ — الاشمونين ، ٤١ — قسقام ، ٤٢ — شطب ، ٤٣ — أخيم ، ٤٤ — هو ، ٤٥ — أرمنت ، ٤٦ —
أسنا ، ٤٧ — دندار ، ٤٨ — أسوان ، ٤٩ — قوص

وكان فى مصر ثلاث أبروشيات — ٥٠ — مصر ، ٥١ — الجيزة ، ٥٢ — الخندق

وما يأتى ننقله عن كتاب « خلاصة تاريخ المسيحية فى مصر » « وأستمرت الابروشيات
فى التناقص الى أن باتت ١٧ أبروشية فقط فى القرن السابع وهى الان ١٤ أبرشية كما يؤخذ من
الجدولين الاتيين :—

فى القرن السابع عشر

(١) الاسكندرية — ٢

البحيرة — ٣ منوف

٤ — دمياط والمنصورة

٥ — بلبس ٦ — أطفيح

٧ — الفيوم

٨ — البهنسا

٩ — الاشمونين ١٠ — ملوى

١١ — قسقام

١٢ — منفلوط

١٣ — أسيوط

١٤ — أبوتيج

١٥ — طما

١٦ — جرجا

١٧ — نقاده

فى القرن العشرين

- ١ — صارت الان هذه الابروشيات الثلاث يرأسها مطران
مقره الاسكندرية وهى أبروشية الاسكندرية والبحيرة والمنوفية
وبعض مدن فى مديرية الغربية والاديرة البحرية
- ٢ — صارت أبروشية واحدة يرأسها مطران مقره المنصورة
وهى أبروشية القليوبية والدقهلية والغربية والشرقية والقنال
والاراضى المقدسة وتدعى أبروشية والاراضى المقدسة وتدعى
أبروشية الكرسى الاورشليمى
- ٣ — صارت اسقفية الفيوم والجيزة يرأسها أسقف مقره الفيوم
- ٤ — الان أبروشية بنى سويف والبهنسا يرأسها مطران
مقره بنى سويف
- ٥ — الان أبروشية المنيا والاشمونين يرأسها مطران مقره المنيا
- ٦ — الان أبروشية صنبو وقسقام يرأسها مطران مقره صنبو
- ٧ — الان أبروشية منفلوط وابنوب يرأسها أسقف مقره منفلوط
- ٨ — الان أبروشية أسيوط يرأسها مطران مقره اسيوط
- ٩ — الان أبروشية أبوتيج يرأسها مطران مقره أبوتيج
- ١٠ — الان أبروشية مركز جرجا وبندر بهجوره وفرشوط
يرأسها مطران مقره جرجا
- ١١ — أبروشية أخيم وتشمل مركزى أخيم وسوهاج يرأسها
مطران مقره أخيم
- ١٢ — أبروشية البلينا وتشمل مركز البلينا يرأسها مطران
مقره البلينا
- ١٣ — أبروشية قنا يرأسها قنا يرأسها مطران مقره قنا
- ١٤ — أبروشية أسنا يرأسها مطران مقره أسنا

(٢) الكنائس :

كانت الكنائس القبطية عقب دخول المسيحية مصر رغما عن اضطهاد الوثنيين لمعتنقى تلك
الديانة حتى بلغ عددها عند دخول الاسلام مصر زهاء ال ١٥ الف كنيسة . غير أنها لبثت تتضاءل
تحت عنفوان التخريب والتدمير وتحويلها الى مساجد حتى أنهى عدها الان الى ٥٤٦ كنيسة
بالقطر المصرى و ١٠ كنائس بكرسى النوبة . ويجدر بنا ان نذكر هنا ما قاله المستر بتلر المؤرخ
الانجليزى عن الكنائس القبطية فى مؤلفه عنها : —

« واذا أنت طفت الكنائس المصرية ودخلت أصغر واحقر كنيسة من الكنائس رأيت
علامات الرجاء والامل تبدو على جدرانها وقلما شاهدت فيها صورة تشير الى جهنم أو الى عذاب

مقبل بل قلما تجد فيها تمثال جمجمة باهتة ولا هيكل عظام عار ما يشير الى آلام وسقام ولكن ترى شهداءها تبتسم تماثيلهم المرسومة على الجدران كأن ما قاسوه من العذاب والاضطهاد لم يكن شيئاً يذكر بل أصبح نسياً منسياً . وهناك نشاهد القديسين الابطال مصورين بشكل يدل على أنهم قتلوا شعباناً أو أحد رؤساء هذا العالم الشرير دون أن يجدوا في قتله عناء يذكر اما آلامهم واوجاعهم فليس لها اثر في ذلك الرسم كما لا تجد صورة تمثل الخاطيء بعد موته مما تسمثر منه النفس وتكشش لمراه الروح» أهـ

(٣) الاديرة :

وقد بلغت في العصور الاولى بضع مئات ولكن جلها قد أندثر ولم يبق منها غير سبعة اديرة منها أربعة بوادى النطرون وهى دير العذراء بالبرموس ودير العذراء المعروف بدير السريان ، ودير انبا بشوى ، ودير أنبا مقار ، وثلاثة بالوجه القبلى وهى : دير أنبا انطونيوس ، دير أنبا بولا ، ودير العذراء بالحرق ، وتوجد بالقاهرة خمسة اديرة للراهبات هى ، دير مارى جرجس ، ودير أبى سيفين بمصر القديمة ، ودير الامير تادرس بحارة الروم ، ودير مار جرجس ، ودير العذراء بحارة زويلة

(٤) اللغة القبطية :

أما عن اللغة القبطية فقد ذكر أبو المكارم فى تاريخه عادة وهى لا تزال جارية فى أسنا وهى ان المسيحيين يحضرون فى اعراس المسلمين ويرأسون زفاف العريس فى الشوارع و يتلون نصوصاً وحكماً باللغة القبطية الصعيدية كان أهالى منقباد منذ ١٣٠ سنة يتكلمون بالقبطية وروى ان سيدة قبطية غطست طفلاً لها فى نهر النيل وقالت بالقبطية ما معناه « هذا هو أبنى الحبيب الذى به سررت » فسمعها أحد الحكام وظن أنها تسبه فاستصدر أمراً بعدم جواز استعمال هذه اللغة . وكانت عدد القبانية بالمديريات منذ نحو ثلاثين سنة مرسوماً عليها الارقام القبطية .

الا ان هذه اللغة نهضت بعد كبوتها فى منتصف الجليل التاسع عشر فنبغ فيها كثيرون منهم عريان أفندى جرجس مفتاح المتوفى سنة ١٨٨٨ م والايجومانوس فيلوثاؤس رئيس الكنيسة الكبرى والقمص تكللا والمعلم قزمان وبرسوم أفندى الراهب فى زمن رئاسة البابا كيرلس الرابع فوضعوا فيها كتباً نافعة ونبغ فيها أيضاً القمص عبد المسيح المسعودى واقلوديوس بك لبيب والدكتور ابراهيم حلمى ونجيب أفندى سمعان ولا يزال نهوضها بطيئاً لضعف الروح القومية فى نفوس الاقباط

(٥) الوعظ والمدرسة الاكليركية :

بعد انقطاع صوت الوعظ من كنيسةنا مدة ١٤٠٠ سنة لداعى تعطيل المدرسة اللاهوتية الاولى التى أنشأها مارمرقص الرسول رأى غبطة البابا كيرلس الخامس حاجة الكنيسة والامة لهذه المدرسة فأنشأها للمرة الاولى سنة ١٨٧٥ م وكان طلابها من رهبان الاديرة فلم يقبل عليها منهم الا النذر اليسير ولم تعش أكثر من بضعة شهور ثم أعيد أفتتاحها من جديد فى سنة ١٨٩٣ م واختير لها اثنا

عشر طالبا من طلبة المدرسة الكبرى وقتئذ واسندت رئاستها للطبيب الذكر المرحوم يوسف بك منقر يوس وتقرر أن تدرس فيها اللغات القبطية والعربية والانجليزية والرياضة . وكان مركز المدرسة سنة أفتتاحها بالفجالة (مكان مدرسة البنات الان) وبعد سنة أنتقلت الى الدار البطريركية ثم الى دار فى سوق القبيلة واعيدت الى الدار البطريركية . وبعد ذلك اشترت لها سراى مهمشة فى سنة ١٩٠٢ م وانتقلت المدرسة اليها فى سنة ١٩٠٤ م ثم أعيدت ثالثة الى الدار البطريركية واخيرا نقلت نهائيا الى مهمشة فى سنة ١٩١٢ م ولا تزال بها الى الان وقد أندمج ضمن طلابها فى خلال هذه المدة نحو ٤٠٠ طالب والذين تخرجوا منها هم الذين يرون الان فى الكنائس والجمعيات والمدارس قسوسا وشمامسة ووعاظا ومعلمين للدين الذين لولاهم لبقيت الكنيسة كما كانت قبل أنشاء المدرسة الاكليريكية خالية من الوعظ والتعليم والمؤلفات الدينية

وفى سنة ١٩١٨ م توفى يوسف بك منقر يوس فاسند غبطة البابا رئاستها لحضرة اللاهوتى البارع الشماس حبيب أفندى جرجس أول خريجي المدرسة فنجحت فى عهده نجاحا باهرا وتقدمت تقدما محسوسا بنبىء بانها تسعى بخطى واسعة لاعادة مجدها السالف ولصاحب هذا الكتاب الفخر بأنه أحد الذين تخرجوا فى أول سنة من عهد رئاسة هذا الشماس الفاضل سنة ١٩٢٠ م

(انتهى)

الانبا توماس : مطران المنيا والاشمونين

هو الرجل العظيم الذى قام باعمال جليلة جعلت لكنيسته مقاما عاليا . تغنينا عن اذاعة فضله تلك الكنائس والمدارس العديدة التى شيدها والتى تشهد له بأنه ممن يهتمون بالباقي لا بالفانى . هذا فضلا عن تشجيعه للعلم واهتمامه بنشر الوعظ فى دائرة ابروشيته حتى يصح ان يقال أنه ما من مشروع علمى نافع للكنيسة الا وله اليد الطولى فى أنجازه أمد الله فى حياته وجعله قدوة للاخرين فى خدمة الصالح العام .

هو أول من رفع صوت الوعظ عاليا فى كنيستنا بعد انقطاعه مدة أجيال طويلة وقد أنجب تلامذة كثيرين يعلو صوتهم بالوعظ فى أغلب مدن القطر . وهويبذل فى كل يوم من جهده وقوته ليرفع شأن أمته بمواهبه العلمية . وتغنينا مجلة الكرامة الذائعة الصيت ومجهوداته العظيمة فى إصلاح المدرسة الاكليريكية عن الاطناب والمدح . أبقاه الله لخير كنيسته وأعانه على أتمام ما يحمل للكنيسة فى صدوره من الامانى المقدسة .

ملحق

كان الأب لويس شيخو اليسوعى قد نشر بمجلته «المشرق» بعض انتقادات على كتاب «تاريخ الكنيسة القبطية» وقد رد عليه المتنيج القس منسى يوحنا فى نبذة طبعها سنة ١٩٢٥ م ونورد هنا هذه النبذة للفائدة

رد على انتقاد
الأب لويس شيخو اليسوعى

لكتاب «تاريخ الكنيسة القبطية»

بقلم
القس منسى يوحنا

راعى الكنيسة القبطية الأرثوذكسية بملوى (سابقا)
ومؤلف كتاب «تاريخ الكنيسة القبطية»

تمهيد

أطلعنى بعضهم على انتقاد حرره الاب لويس شيخو اليسوعى بمجلته « المشرق » لكتابى « تاريخ الكنيسة القبطية » وطلب الى الرد عليه فأحجمت أولاً لأن الانتقاد لم يحوشيثا يستحق الرد الا أننى لبيت دعوة الداعى خوفاً من أن يظن الاب أن انتقاده قضى لبانته من حيث هدم الحجج القوية التى أقناها على بطلان ادعاءات كنيسته . وها أنا أقدم ردى وجيزاً وأترك الحكم لفطنة القارىء . ينحصر انتقاد الأب لويس على كتاب « تاريخ الكنيسة القبطية » فى الامور الآتية :

- ١ — انى تعرضت لما لا علاقة له مع الاقباط من التاريخ الكنسى العام
- ٢ — انى كنت مدفوعاً بعامل التعصب القومى
- ٣ — ان ما كتبته بشأن تأسيس القديس مرقس الرسول للكرسى الاسكندرى لا سند له الا فى مخيلتى
- ٤ — ان قولى بسقوط ليباريوس أسقف رومية فى الهرطقة محض افتراء
- ٥ — ان تقاد قولنا نقلاً عن استاذ يسوعى « بأن تقدم الباباوات منة منحت لهم من المجامع والقياصرة لا من الله »
- ٦ — اعتبار قصة البابا حنه حديث خرافة

الرد

هذا فحوى انتقاد الاب لويس ونجيب عليه :

أولاً — انى لم أتعرض للتاريخ الكنسى العام الا انه يرتبط ارتباطا قويا بتاريخ الكنيسة القبطية . وهل يستطيع الاب لويس أن يكتب لنا تاريخ كنيسة رومية فى القرون الخمسة الاولى دون أن يتعرض لتاريخ الكنيسة القبطية ؟

وهل يمكنه أن يقول ان أبطال الكنيسة الذين مثلوا دورا مهما مجدوا به اسم مخلصهم لم يكن جلهم ان لم نقل كلهم من أبناء الكنيسة ؟ وهل ينكر أن المسيحية فى عصورها الاولى لم يكن مديروها ومرشدوها من باباوات الكرسي المرقسى ؟ ليتصفح التاريخ الكنسى العام ملقيا الغرض جانبا ليرى ان كنيسته التى يدعى بأنها أم الكنائس احتاجت فى أوقات ارتبكت فيها أمورها الى من يصلح شأنها من رجال الكنيسة القبطية كالبابا ديونيسيوس الذى أعاد بحسن سعيه الكرسي الاسقفى الرومانى الى كرنيليوس (٢٤٥ م) بعد أن كان قد اختطفه منه نوفاسيانوس المبتدع . وكالقديس اثناسيوس الرسولى الذى نظم أحوال كنيسة رومية أثناء اقامته بها . وكالبابا بطرس الثانى الذى توجه الى رومية سنة ٢٧٤ م وحرك أسقفها داماسوس على أن يعقد مجمعا مكانيا يحرم فيه بدع ابوليناريوس ومارسيل ومكدونيوس لينفى عن كنيسة رومية شبهة موالاتها للهراطقة . فكيف يعيب علينا حضرة الاب تعرضنا للتاريخ الكنسى العام ولم يكن التاريخ الكنسى العام فى الاربعة العصور الاولى سوى تاريخ الكنيسة القبطية اذ لم يظهر على مسرح جهاده و يقوم بالدفاع ضد الهراطقة والمبتدعين سوى باباوات ورجال الكنيسة المرقسية

ثانياً — ولقد أتهمنا الاب بأننا كتبنا مدفوعين بعامل التعصب القومى . فليسأل نفسه وليحكم ضميره . ألا يؤخذ من انتقاده ان كل حرف خطه بنانه تتجلى فيه روح التعصب الذى اشتهر به الباباويون فى كل زمان ومكان وهل الذى يدافع عن كنيسته و يرد عنها الافتراء المعيب هو الذى تغشى أبصاره النعرة القومية أم الذى يهجم على شرف الكنائس النقية وحبا فى تأييد سلطان يزعمه لنفسه يحاول أن يلطخه و يلصق به كل شين وعار زورا وهتانا ؟ ولا يكفيه ذلك بل يفتات على تلك الكنائس وبجراً ينكر كل ما اشتهرت به من الفضائل . وهل لم يكن الباباويون مدفوعين بروح التعصب الذمى وهم يريدون أن ينسبوا كل فضل على كنيسة المسيح لانفسهم ويحاولون أن يغتصبوا كل ما تعب فيه غيرهم و ينسبوه لذواتهم . فحق فيهم قول القديس باسيليوس الكبير الذى استاء من داماسوس أسقف رومية نظرا لاستخفافه بقوانين الكنيسة ومقاومة آباء الكنيسة الانطاكية فكتب للبابا اثناسيوس الرسولى يقول « ان نشر الوية السلام فوق ربوع كنيسة انطاكية منوط بك وحدك . لأن ما أصاب هذه الكنيسة يفتقر الى شفقتك الانجيلية وحكمتك

الرسولية . ان كنيسة انطاكية أيها القديس لم تمزقها أيدي الهراطقة بل أيدي أولئك الذين يدعون انهم ارثوذكسيون (يريد أساقفة رومية) وهم شر من الاريسيين » أهـ (راجع رسالة الـ ٦٦) ثم ارسل ثانية يقول له « ان الهراطقة يحتمون بالاساقفة الرومانيين الذين يغرسون بذور الشقاق أينما حلوا » (رسالة ٦٩ و ٨٠)

ثالثا — وقد كان الاب قاسيا على الحقيقة في انتقاده حين قال « وكل ما كتبه عن القديس مرقس والقديس بطرس في كتابه (ص ٧-١٢) لا سند له الا في مخيلته » أهـ مع اننا لم نترك حقيقة ذكرناها دون أن نسندھا الى شاهد انجيلي أو تاريخي . فقد قلنا ان علاقة مرقس الرسول ببولس الرسول كانت أشد اتصالا من علاقته ببطرس . وأتينا بشهادة بولس نفسه حيث ذكر لاهل كولوسي سنة ٦٣ م ان مرقس مرسل اليهم من قبله (كو ٤ : ١٠) ويتضح من رسالة بولس الى فليمون (عد ٢٤) ان مرقس كان حينئذ معه في رومية . وفي سنة ٦٧ أو ٦١ م يذكر بولس أن مرقس كان في أفسس وطلب من تيموثاوس أن يحضره اليه برومية (٢ تي ٤ : ١١)

فواضح من كل هذا ان مرقس خدم مع بولس لا مع بطرس اذ لم يذكره بطرس سوى مرة واحدة حيث يقول في رسالته الاولى ٥ : ١٣ « تسلم عليكم التي في بابل المختارة معكم ومرقس ابني » وقد حاول الباباويون كعادتهم في تحريف الكلام عن مواضع الحاجة في نفوسهم ان يبرهنوا على ان بطرس يعنى ببابل « مدينة رومية » واستدلوا على ذلك ببرهان أو هي من بيوت العنكبوت وهو اطلاق صاحب سفر الرؤيا (١٤ : ٨) لقب « بابل » على رومية مع ان سفر الرؤيا كتب بعد موت بطرس الرسول بثلاثين سنة كما شهد بذلك القس يوسف الحلبي الماروني في مقدمة كتابه « العنوان العجيب في تفسير رؤيا يوحنا الحبيب » الذي طبعه المطران يوسف الدبس وكما يشهد الدومينيكان في كتابهم العهد الجديد ص ٥٢٥ . قلنا في كتابنا « تاريخ الكنيسة القبطية » ان بطرس قصد ببابل « بابليون مصر » التي كانت حينئذ آهلة باليهود وكانت مهمة بطرس تبشير أهل الختان لاسيما الذين في الشتات كما يصرح بذلك بطرس نفسه في رسالته الاولى ص ١ : ١ وأثبتنا قولنا بذكره لمرقس عقب ذكره لبابل لان مصر كانت موضع خدمة مرقس كما هو معلوم وهذا هو ميتا فرست الكاثوليكي يقول « ان بطرس بعد المجمع الاورشليمي (٥٢ م) رجع الى رومية (كذا) واجتاز في طريقه مصر وافريقية » (راجع سير القديسين للرهبان الدومينيكان ج ١ ص ٧٩٥) ولكن الباباوين لا يزالون يكابرون ويدعون ان مرقس الرسول كتب انجيله برومية . وهل في وسعهم أن يكذبوا القديس يوحنا فم الذهب الذي قال في ميمره على انجيل متى ١ : ٣ « ان انجيل القديس مرقس قد كتب في مصر » أهـ وكنا نود لو انهم أقاموا الادلة على صدق دعواهم بدل أن يكذبونا من غير دليل . واني لهم ذلك والحق يشهد انهم عاجزون عن ايراد دليل تاريخي واحد غير مرتاب فيه لان تلاعبهم بالشهادات التاريخية امر مشهور ومعلوم وقد سجله عليهم بطريرك الاقباط الكاثوليك كيرلس مقار في كتابه « الوضع الالهى في تأسيس الكنيسة »

نسألکم فأجیبونا فی أية سنة کان مرقس متتلماً لبطرس فی رومية ؟ انه یعوزکم دلیل وأنجیذ فی کتاب الله علی اثبات ذهاب بطرس الی رومية فضلاً عن اثبات اقامة مرقس بها لیكون تلمیذا لمعلم لم تطأ قدماہ أرض مدينة رومية الا فی آخر أيام حیاته

بعد استشهاد استفانوس رئیس الشمامسة خرج بطرس ینادی بالانجیل فی أطراف اليهودية (أع ٩ — ١٢) وبعد رجوع بولس من دمشق نجده معه فی اورشليم (غل ١ : ١٨) ثم نجده سجيناً بأورشليم سنة ٤٤ م (أع ٢١ : ٢٤) ثم نجده فی المجمع الرسولي الذی انعقد فی اورشليم سنة ٥٠ م (غل ٢ : ٩ وأع ١٥ : ٧) ثم نقرأ أنه کان فی انطاكية بعد ذلك بسنتين تقریباً (غل ٢ : ١١) ومع ان بولس بعث بالرسالة الی أهل رومية من مدينة كورنثوس سنة ٥٨ م لم یأت علی اسم بطرس فی عدد الذین أرسل الیهم سلاماً وذكر أسماءهم ولو کان بطرس فی رومية وقتئذ لما ألغی اسمه مع كونه عموداً فی الكنيسة (غل ٢ : ٩) وقال الرسول بولس فی رسالته لاهل رومية «فهكذا ما هو لی مستعد لتبشیرکم أنتم الذین فی رومية أيضاً» (رو ١ : ١٥) فكیف ذلك لو کان بطرس قد سبقه وبشر فی رومية وهو یصرح بأنه یحترس دائماً من أن یبنی علی أساس غیره (رو ١٥ : ٢٠) وقال القديس لوقا كاتب سفر الاعمال (٢٨ : ١٤ - ١٧) عن وصول بولس ورفقائه الی رومية «ومن هناك لما سمع الاخوة بخبرنا خرجوا لاستقبالنا . فلما رأهم بولس شكر الله وتشجع» فليس من ثم ذكر لبطرس هنا فهل أهمل الكاتب ذكر استقبال بطرس لبولس مع الاخوة لو کان معهم وهو رأس الكنيسة المنظورة أم اعتبر بطرس قیامه لمقابلة بولس أمراً غیر لائق بمقامة العظیم . أظن انه لم تكن روح الكبرياء السائدة علی قلوب باباوات رومية قد سادت بعد علی قلب بطرس الذی دوی فی أذنيه قول سيده «أكبرکم یكون خادماً لکم» وقال الرسول بولس فی رسالته لاهل كولوسى التى أرسلت من رومية سنة ٦٣ م «یسلم علیکم ارسترخس المأسور معی ومرقس ابن أخت برنابا . ویسوع المدعوی سبطس الذین هم من الختان . هؤلاء هم وحدهم العاملون معی للملكوت الله» (كو ٤ : ١٠ و ١١) فلو کان بطرس قد سبق بولس فی تأسيس كنيسة رومية أو علی الاقل کان شريكاً له أما کان الواجب علی رسول الامم أن یقدمه علی أولئك الثلاثة المختونين ؟ وكيف جاز لبولس أن یسقط «رسول الختان» من بین أهل الختان الذین عاونوه فی تأسيس كنيسة رومية ؟ وماذا یقول الباباویون فی لوقا الانجیلی الذی قال «وبعد ثلاثة أيام (من وصول بولس الی رومية) استدعى بولس الذین كانوا وجوه اليهود .. (فقلوا له) نستحسن أن نسمع منك ماذا ترى لانه معلوم عندنا من جهة هذا المذهب انه یقاوم فی كل مكان فعینوا له یوما فجاء الیه كثیرون الی المنزل فطفق یشرح لهم شاهداً للملكوت الله ومقنعا إياهم من ناموس موسى والانبياء بأمریسوع من الصباح الی المساء . فافتنع بعضهم بما قیل و بعضهم لم یؤمنوا» (أع ٢٨ : ١٧ — الخ) فهل یصح أن یقال ذلك عن أهل مدينة قضی بطرس فیها مدة طويلة یبشرهم بالمسیح ؟ لیسمع أصحاب الحجبی وینصفوا . وأخيراً بولس كتب الی تیموثاؤس من رومية قبل استشهادہ بقليل (٢ تی ٤ : ١٠ و

(١١) وتشكى من ترك المسيحيين له ما عدا لوقا فقال بصريح العبارة (لوقا وحده معي) دون أن يلمع الى بطرس فليقل لنا الباباويون من نكذب أكتاب الله أم اياهم ؟

يدعى الكاردينال بارونيوس فى جدولته للازمنة عن سنتى ٤٢ و ٤٣ بأن بطرس توجه الى رومية فى أواخر سنة ٤٢ م ومع ان هذه دعوى فاسدة بلا دليل الا انه لا يعقل أن بطرس الذى بحسب شهادة بارونيوس نفسه قد أقام بانطاكية سبع سنين يؤسس كنيسة من سنة ٣٦ م لا يقضى برومية غير وقت قصير ومن ثم يبرحها الى اورشليم لان الكتاب المقدس يخبرنا انه فى سنة ٤٤ كان فى سجن اورشليم (أع ١٢ : ٤) والحقيقة ان الرسل لم يبرحوا اورشليم قبل سنة ٤٥ م وها هم الفرنسيسكان يقولون فى ص ٣٣ من تاريخهم الكنسى المطبوع بأورشليم سنة ١٨٧٢ م «ان الرسل بعد تبشيرهم اليهودية تفرقوا لتبشير العالم سنة ٤٥ م» أه وها هو أبولونيوس من أئمة القرن الثانى يقول «انى تسلمت من الاقدمين ان المسيح قبل صعوده الى السماء كان قد أوصى رسله بألا يبتعدوا كثيرا عن اورشليم مدة اثنى عشرة سنة» أه (أوسابيوس ك ٥ : ف ١٨)

ويدعى المطران يوسف الدبس فى كتابه «تحفة الجليل فى تفسير الاناجيل» ص ٣٧٣ «ان بطرس ومرقس قصدا رومية سنة ٤٥ م أى بعد خروج الاول من سجنه بأورشليم» أه فكيف نوفق بين هذا القول وبين ما يثبته سفر أعمال الرسل حيث يشهد بأن مرقس كان فى نفس هذه السنة وما بعدها مشاركا بولس وبرنابا فى الكرازة (أع ١٣ : ٢٥ و ١٣ : ١٣ و ١٥ : ٣٧ — ٣٩) بل كيف نوفق بين رواية الدبس هذه وبين ما قرره الخورى يوسف العلم فى كتابه «تيسير الوسائل فى تفسير الرسائل» ص ٧٦٩ حيث قال «انه فى سنة ٤٥ م أمر القيصر كلوديوس بنفى المسيحيين واليهود من رومية» أه فكيف يتفق ان يتوجه بطرس ومرقس الى رومية مع الامر بنفى اليهود والمسيحيين منها؟ والصواب ما يرويه العلامة لاكتنس . الذى ائتمنه القيصر قسطنطين على تهذيب ابنه كرسبينوس والذى لفصاحته سمى شيشيرون المسيحي حيث يقول فى كتابه «الاضطهادات» ص ٣ «انما سافر بطرس الى رومية فى حكم القيصر نيرون» أه ومعلوم ان نيرون ملك من سنة ٥٤ — ٦٨ م

فلعل الاب شيخويعلم بعد هذا ان ما كتبناه بشأن القديسين بطرس ومرقس له سند صحيح لا فى مخيلتنا بل فى الكتاب المقدس وكتب الآباء المعبرين وكتب الباباويين أنفسهم . أما قوله بذهاب بطرس الى رومية فلا يستطيع أن يسنده بشاهد كتابى واحد حتى قال بعضهم «ان كاتب سفر الاعمال أتى بذكر أمر طفيف كحلاقه رأس بولس (أع ١٨ : ١٨) ولم يأت على لفظ واحد ولو مجازى يؤخذ منه دخول بطرس الى رومية» فبماذا يجيب الاب شيخو؟

أما دعواهم بأن بطرس أقام مرقس أسقفا على الاسكندرية وهو فى رومية فهى التى يقال عنها صواب القول لا سند لها صحيح الا فى مخيلتهم ففضلا عما أثبتناه من عدم ذهاب بطرس الى

رومية نذكر ما جاء به كتاب « مختصر تاريخ الامة القبطية » ص ٣١٨ « لان الرسل لم يكونوا ليقوموا الاساقفة على الكنائس الا بعد تأسيسها بايجاد الرعية لئلا يقام الراعى على الجدران و يكون بلا كرسى Inpartibus . وفضلا عن ذلك فان كتاب الله والتقليد الرسولى وتاريخ الكنيسة تنبئنا صراحة بأن رسل الرب كانوا يؤسسون الكنائس ولم يكونوا ليبرحوها لتأسيس غيرها الا بعد ان يقيموا عليها الاساقفة الخاصة بها والمزمين برعايتها والسهر عليها كما أتى ذلك بولس فى انطاكية ورومية و بطرس فى اليهودية . ومرقس فى الاسكندرية الخ ولم تنبئنا تلك الكتب المقدسة بأنهم كانوا يقيم بعضهم بعضا أساقفة تلك الكنائس التى يؤسسونها . ولو أتوا ذلك لنقضوا أمر مرسلها الذى ائتمنهم على تبشير العالم بأسره حيث قال لهم « اذهبوا الى العالم أجمع وأكرزوا بالانجيل للخليقة كلها (مر ٢٦ : ١٥) والخلاصة ان الرسل والتلاميذ هم أساقفة مسكونين لا مكانيون ما عدا يعقوب أخا الرب فانه فضلا عن كونه أسقفا مسكونيا فقد أقيم أسقفا مكانيا على أو شليم وذلك بصفة استثنائية . وذلك من يد المسيح نفسه بشهادة الذهبى الفم (مقالة ٢٨ على ١ كو ١٥) ومن يد الرسل بشهادة ايرونييموس (سلسلة المؤلفين الكنسيين ف ٣)

رابعا — نسب الى الاب شيخو الافتراء لانى قلت بسقوط ليباريوس أسقف رومية فى الهرطقة لان هذا يهدم دعواهم بعصمة البابا ولكن الاب لم ينصف فى ذلك بل كان عليه أن يقيم الحجة ضد مؤرخ كاثوليكي مثله نقلنا شهادته وسجلناها بكتابنا و يظهر أنه (خجل) أن يذكرها فوجه الينا سهام لومه وأعرض عن ذكر « المعلم الفاضل لومند اليسوعى » مؤلف كتاب « خلاصة تاريخ الكنيسة » المطبوع بمطبعة الآباء المرسلين اليسوعيين فى بيروت سنة ١٨٧٤ م الذى قال بكتابه ج ١ ص ١٩٢ ما نصه : « أما البابا ليباريوس فكان أولا أبدى عزمًا شديدا الا انه فشل فيما بعد لما قاساه من زعج المنفى فأمضى على شجب اثناسيوس » أه وما معنى الموافقة على شجب اثناسيوس الا شجب الوهية المسيح المبدأ الذى كان يدافع عنه اثناسيوس ولاجله اضطهد لان اثناسيوس لم يأت وزرا يستحق عليه الشجب بشهادة الباباوين أنفسهم ؟

ولننقل هنا بعض الشهادات التى تؤيد قولنا عن كتاب « مختصر تاريخ الامة القبطية » فليفندها الاب شيخو وأرجو أن لا يحيلنا الى مجلة « المشرق » وانا لجوابه لمنتظرون :

قال القديس اثناسيوس فى كتابة « تاريخ الاريوسيين » ف ٤١ و ٤٦ « ان ليباريوس سقط فى الهرطقة الاريوسية بعد أن قضى فى المنفى سنتين » أه وقال فى احتجاجه الثانى ضد الاريوسيين ف ٨٩ « انه لم يستطع أن يحتمل آلام المنفى فكبا » أه وذكر أورنييموس فى كتابه « مشاهير الرجال » ف ٩٧ وفى « جدولته للازمنة » عن سنة ٣٥٤ م « ان ليباريوس سئم المنفى وضجر من الوحدة . فأمضى الكفر الاريوسى . ودخل رومية بعد ذلك الجحود ظافرا منتصرا » أه وقال هيلاريوس أسقف بوايتيه فى الرسالة التى بعث بها الى القيصر قسطنس « لقد كنت بافراجك

عن ليباريوس أشد كفرا وأكثر الحادا مما كنت عليه عند أمرك بنفيه» أهـ وقال أيضا ذلك الاسقف الارثوذكسى الغربى فى رسالته الى ليباريوس ف ١١ «الويل لك أيها المجرم الخبيث . الويل للمقطوع من شركة الكنيسة الجامعة . الويل لك يا مثلث اللعنة» أهـ

وفوق ذلك فقد ظهر فى القرن الخامس ثلاثة كتب لاتينية تسجل على ليباريوس سقوطه فى هرطقة أريوس . ولم تزل هذه الكتب موجودة حتى اليوم وهى «تراجم الباباوات الرومانيين» و «أعمال استشهاد القديس فيلكس الثانى» و «أعمال استشهاد القديس أوسابيوس أسقف فرسيل الذى قتله ليباريوس» ولقد قال القس أوكسيلوس (أحد رجال القرن العاشر) فى كتابه «الدفاع عن البابا فرموز ضد البابا سرجيوس الثالث (وكلاهما رومانى)» «من ذا الذى يجهل أن ليباريوس أنغمس فى الهرطقة الارىوسية . وانه أصبح ركنا من أركان الهرطقة الفظيعة . ومن لا يدري ان سلوك ذلك الاسقف الضال بات سببا فى المصائب التى حلت برومية بعد عودته اليها» وقد أشار الكردينال بارونيوس الى تلك المصائب بأن قال (لما استرد ليباريوس كرسيه أجبر الشعب على اتباعه فى ضلاله . واضطره الى قبول الاسرار الالهية من يده غير أن الرومانيين قد رفضوا هذه الشركة الاثيمة وانفصلوا عن أسقفهم الجانى الذى أثار عليهم حربا عوانا سفكت فيها دماء الابرياء حتى فى صحن الكنائس وأمام الهياكل» راجع بوسيه فى كتابه (الدفاع عن اقرار الاكليروس الفرنسى) ك ٩ ف ٣٣ وبيوس التاسع أسقف رومية صدق على قاموس بولييه القائل فى ص ١٠٤١ (ان النفسى قد زعزع ايمان ليباريوس فوقع على صورة الارىوسيين) أهـ . وقال الاسقف الفرنسى بوستيل فى ص ١١٠ من كتابه (تاريخ الكنيسة المطبوع سنة ١٨٤٢ فى مطبعة الآباء الاغسطيين فى (ليل) (بفرنسا) «ان ليباريوس قد جبن لدرجة أدت به الى أن يوقع الحرم على القديس اثناسيوس الاسكندرى» أهـ وجاء فى كتاب «الدلالة اللامعة» المطبوع بعناية مجمع انتشار الايمان برومية ص ١٤٧ وفى كتاب «تاريخ الكنيسة» ج ١ ص ١٩٢ و ١٩٣ للومند الجزويت ما يؤيد سقوط ليباريوس فى الهرطقة . وقال غريغوريوس جرجس شاهين (رئيس أساقفة السريان الكاثوليك بدمشق) فى كتابه «نهج وسيم» ص ١٣٥ «يعلم التاريخ اليقيني ان ليباريوس الحبر الرومانى كان قد صدق على صورة ايمان الارىوسيين الناكرى لاهوت المسيح» أهـ وليفونسسوس ماردىادى ليكورى أحد قديسى الكنيسة الكاثوليكية يقول فى كتابه «دحض الهرطقات» ص ٨٣ عن ليباريوس نقلا عن أورسى م ٦ ك ١٤ عد ٧١ «انه أمضى احدى الصور الارىوسية حارما القديس اثناسيوس» وكتب فى ص ٨٦ نقلا عن الكردينال بارونيوس فى جدولته للازمنة عن سنة ٣٥٧ ف ٥٧ عن فيلكس الذى سبق وذمه لانه أخذ مكان ليباريوس «انه لما سمع بخطأ ليباريوس أتحد مع الكاثوليكين وحرم الملك ومن ذلك الوقت ابتداء أن يعتبر بابا شرعيا كما ابتداء أن يحسب ليباريوس معزولا من الباباوية» أهـ والغريب أن ليكورى فى سلسلة باباوات رومية يعتبر كل من ليباريوس وفيلكس بابا ويصدر اسمه بلفظة «قديس»

قال الاب كيرلس مقاربطيرك الاقباط الكاثوليك في كتابه «الوضع الالهى فى تأسيس الكنيسة» أضيف الى هذا الاتحاد الذى ارتكبه مجموع الاسقفية الغربية الاتحاد البابا ليارىوس نفسه بصفته أسقف الكنيسة الرسولية الوحيدة فى الغرب كله فان ليارىوس هذا بعد أن ستم آلام النفى مدة سنتين وتاقت نفسه الى أن يعود الى التربع على كرسى رومية الكبير.. جحد ايمان نيقية وقطع القديس اثناسيوس من شركة الكنيسة واعتنق الارىوسية» أهـ ليفحص الاب شيخوجيدا كتاب «سيرة القديسين» المطبوع بالموصل سنة ١٨٧٠ م بمعرفة الرهبان الدومنيكان فيجد انهم قد غفلوا اسم ليارىوس اغفالا ولم يرضوا أن يحسبوه قديسا . أما احتجاج الاب علينا بأن سنكسار كنيسة القبطية يذكر عيد ليارىوس فلا يزيغ قولنا لاننا نعتقد أن ليارىوس بعد أن سقط فى الهرطقة تاب وندم ونحن نجادلكم فى امكان سقوط البابا (المعصوم) فى الخطأ لا فى هل مات ليارىوس قديسا أو هرطوقيا

خامسا — انتقد الاب شيخو قولنا نقلا عن أستاذ يسوعى « بأن تقدم الباباوات منة منحت لهم من المجامع والقياصرة لا من الله » لقد أنكر أولا وجود يسوعى يدعى « ارهاديوس بيليوس » فمع اننا نعترف له بسعة الاطلاع الا اننا ننكر عليه أنه لم تعد تخفى عليه خافية أو لم يعد يجهل كتابا مطبوعا وأظنه يوافقنا على ذلك بعد أن تهدأ ثائرة غضبه من كتابنا ونحمد جذوة غيظه ورغبته فى تكذيبنا ولوبالتمويه اذ « العصمة لله وحده » أو « لله وللبابا فقط » كما يعتقد حضرته

أما استغرابه القول « ان تقدم الباباوات منة منحت لهم من المجامع والقياصرة » لا من الله « فليس فى محله » لان الله لم يمنح رسله سلطانا على البقية . وانى على يقين ان الاب لا يجهل ذلك الخلاف الذى شجربين الرسل فى من منهم هو أعظم فى ملكوت السموات وقد اتفقوا أخيرا على أن يرجعوا فى الامر لسيدهم . وقد كان المخلص له المجد عوضا عن أن يكلف الاب شيخوبذل الجهد فى استخراج الادلة لا ثبات رياسة بطرس يستطيع أن يقول له بصريح العبارة « أنت هو الاول والاعظم » ولكن يسوع دعا ولدا وأقامه فى وسطهم وقال « الحق الحق أقول لكم ان لم ترجعوا وتصيروا مثل الاولاد فلن تدخلوا ملكوت السموات . فمن وضع نفسه مثل هذا الولد فهو الاعظم فى ملكوت السموات » (مت ١٨ : ١ — ٣)

قال الاب شيخو « فنسى الشماس قول الرب لبطرس « أنت الصخرة » والرب لم يقل لبطرس « أنت الصخرة » بل قال له « أنت بطرس وعلى هذه الصخرة سأبنى كنيسة » وهذه هى الترجمة الحقيقية اليونانية وتطابقها الترجمة القبطية وهاك لفظها بلغتنا :

وانا اقول لك أنت بطرس وسأبنى كنيسة على هذه الصخرة

فالصخرة اذن التى بنيت عليها كنيسة المسيح هى حسن الاعتراف بالسيد المسيح بل ان السيد المسيح ذاته هو صخرة الحق لا شخص بطرس بل أعترفه الحقيقى بسيدى انه ابن الله الحى فالشماس لم ينس قول المخلص لبطرس « أنت الصخرة » اذ لم يقل له ذلك ولكن الاب شيخونسى قول كتاب الله « الرب صخرتى وحصنى ومنقذى » (٢ صم ٢٢ : ٣) وقوله أيضا « ليس صخرة مثل الهنا » بل نسى قول بطرس نفسه « هذا هو الحجر الذى احتقرتموه أيها البناؤون الذى يهضار رأس الزاوية » (أع ٤ : ١١) وقوله أيضا « لذلك يتضمن أيضا فى الكتاب هذا أضع فى صهيون حجر زاوية مختارا كريما والذى يؤمن به لن يخزى . وحجر صدمة وصخرة عثرة » (١ بط ٢ : ٦ - ٨) وقول بولس « لانهم كانوا يشربون من صخرة روحية تابعتهم والصخرة كانت المسيح » (١ كو ١٠ : ٤)

قال الخورى يوسف العلم فى « تفسير الرسائل » ص ١٤ فى شرح قول الرسول بولس « لا يستطيع أحد أن يضع أساسا آخر غير الذى وضعه يسوع » (١ كو ٣ : ١١) « قال القديس انسلموس وغريغوريوس فى هذه الآية أن أساس الكنيسة وأساس كل مؤمن فيها انما هو يسوع المسيح أى الايمان بالمسيح المخلص » وعلى هذا المعنى يكون المسيح وحده أساس الكنيسة القائم بنفسه المسند كل البناء . وأما تسمية الرسل بأساسات الكنيسة كما ورد فى سفر الرؤيا ص ٢١ فليست من هذا القليل بل من حيث تبشيرهم وتعليمهم فى الاول » أهـ

استدل الاب ثانيا على رياسة بطرس وخلفائه بقول المخلص له ليلة آلامه « لقد صليت لاجلك لكى لا ينقص ايمانك » (لو ٢٢ : ٣١ و ٣٢) ولو تأمل جيدا فى هذا القول بعد أن يرفع حجاب التعصب الذمى الذى يتهم به غيره لرأى فيه انذار لبطرس لا تثبिता لرياسته لان المخلص قال له هذا بعد قوله « سمعان سمعان هوذا الشيطان طلبكم لكى يغربلكم كالحنطة » فهذا التخصيص فى المخاطبة لا يستدل منه على تولية بطرس الزعامة بل يفهم منه انه تنبيه وإيقاظ حتى يكف عن الاتكال على نفسه والاعتماد على ذاته خشية السقوط . وقوله « صليت لاجلك » لا يقصد به انه يمنحه بركة خاصة وامتياز بل انه سينكره ولكنه له المجد لا يسمح بهلاكه . وقد سبق الرب وصلى لاجل كل الرسل (يو ١٧ : ٩ و ١١ و ١٥ و ١٧ و ١٩) أما قوله « لئلا ينقص ايمانك » فلا يراد به أنه يعينه حتى لا ينقص ايمانه شيئا بل لكى لا يفنى كلية والدليل على ذلك من وجهين :

١ — ان النص القبطى كاليونانى معناه « لئلا ينفذ (أو يفرغ) ايمانك »

٢ — ولو كان المعنى ان ايمانه لا يشوبه نقص لما رأى يجاهر بجحود سيده أمام أمة . ففاد

قول المخلص أنه سيسقط ولكنه سيقوم بالتوبة

استدل الاب ثالثا بقول المخلص لبطرس بعد قوله « لقد صليت لاجلك لكى لا يفنى ايمانك » « وأنت متى رجعت فثبت اخوتك » و يفهم مما مر بنا ان المخلص يعلم بطرس ان سقوطه وقيامه سيكون نموذجا للآخرين حتى لا ييأس أحد من الخلاص ومما يؤيد ذلك ان بطرس لما سمع خطاب سيده لحد قوله « وأنت متى رجعت فثبت اخوتك » وتجراً على اجابته قائلاً « يارب انى مستعد أن أمضى معك حتى الى السجن والى الموت » فالمخلص كرر الانذار اليه قائلاً « أقول لك يا بطرس لا يصيح الديك اليوم قبل أن تنكر ثلاث مرات أنك تعرفنى » (لو ٢٢ : ٣٣ و ٣٤) فكأنه يقول له أيها الضعيف الذى تدعى بأنك ستثبت معى فى آلامى دون باقى الرسل ستكون وحدك منكراً لى عكس ما تدعيه الآن .

استدل رابعاً بقول المخلص لبطرس بعد القيامة « أرفع خرافى ونعاجى » و واضح لمن يتأمل قليلاً فى تنبيه السيد لبطرس ليلة الآلام أنه سينكره ثلاث مرات وأصرار بطرس على عدم التسليم بذلك وفى سؤال السيد لبطرس بعد القيامة بقوله « أتجنبنى » أنه يذكره بما فرط منه حتى يتعلم أن لا يعتمد على ذاته أبداً . والدليل على ذلك أنه حينما سئل بطرس من المخلص ثالثاً « أتجنبنى » وقال له « يارب أنت تعلم كل شىء أنت تعلم أنى أحبك وكأنه فهم أن السيد يريد أن يذكره بما بدا منه ليلة الآلام من الادعاءات المتكررة التى لم يف منها بشىء فتأثر وشمله الحزن . فهنا تكرر السؤال ليس معناه تولية بطرس الرياسة بل تأنيبه وتهذيبه والا لفرح بطرس وتهلل عوض الحزن الذى ملأ قلبه .

ومعنى قوله (أرفع) تثبيت بطرس حتى لا ييأس كلما تذكر سقوطه فالمخلص بقوله (أرفع) أعاد لبطرس صفة الرعوية كباقى الرسل اخوته التى فقدوها بنجوده . على أن السيد له المجد لم يخضر تفويض الرعاية فى شخص بطرس بل فوضها لكل من رسله قبل صعوده الى السموات (راجع مت ٢٨ : ١٨) ... الخ ومر ١٦ : ١٥ ولو ٢٤ : ٢٧ و ٤٨ و ٥٠ و يو ٢٠ : ١١) و بولس الرسول سمي قسوس أفسس رعاة (١ ع ٢٠ : ٢٨) و بطرس نفسه أطلق لقب راعى على كل عامل فى كرم الرب (١ بط ٥ : ٤ — ٤) قال القديس كيرلس (أن باعتراف بطرس المثلث محيت خطيئة الجحيدات الثلاث . وبأقوال يسوع المسيح لبطرس ثلاثاً ارفع غنمى قد عينه جديداً فى رتبة الرسولية كى لا يتبين بأنه قد عديمها بسبب الجحد الذى حصل بسبب ضعف البشرية) .

« كتاب الفاحص والمؤمن ص ٩١ »

سادساً — اعتبر الأب شيخوقصة البابا حنة حديث خرافة مع انا أشرنا بكتابنا ص ٤٤٢ الى المصدر الذى نقلنا عنه روايتها وهو موسيهم الذى نقلها عن مؤرخين غربيين . كذا ذكرها الأب جراسيموس مسره فى كتابه (تاريخ الانشقاق ج ١ ص ٣٥٧) وهل يستطيع الأب أن يحوقصة هذا البابا من كل كتب التاريخ التى تملأ الأرض حينئذ نرى من التعصب الذمى أن نذكرها أما وهى قصة مشهورة ومعروفة فليس له حق أن يتهمنا بالتعصب لأننا أشرنا اليها .

وهل يعتبر الأب أن قصة البابا حنة وصمة عار في جبين الباباوية . وهل نسي أو تناسى تاريخ الباباوية في القرن العاشر أو لم يقرأ شيئاً عن الباباوات الذين اتخذهم الروائيون أبطالاً لقصص مخزية تمثل على المسارح كالبابا اسكندر السادس (بورجيا) لعلك ترى بعد ذلك أيها الأب أن الشماس لا يستحق لقب (المتعصب الذميم) الذي لقبته به والا كنت تتهم به كل مؤرخ كان نزيهاً وخالياً من الغرض كم من حوادث مستنكرة تشوه بها تاريخ الباباوية نمسك القلم عن الخوض فيها حتى لا يندى منها وجه الأديب حياء .

أما باقى ما ورد في انتقاد الأب من شتائم ومذام فنجل أنفسنا عن الرد عليها فقط كنا نتوقع أن يترفع الأب وهو رجل عالم وله صفة أكليريكية عن توجيه قوارص الكلام لمن يرغب في مناظرته . وكان أجدر به أولى أن يصرف همه الى اظهار الحقيقة مجردة عن الألفاظ القاسية التي نسأخه عليها ونتمنى الا يلوث بها قلمه مرة أخرى .

هذا وقد أخذ الأب يرمينا بل ورمى الشرقيين عامة بقلّة العلم وأنشأ يفخر بالغربيين وبتفوقهم واستدل على ذلك بكلمه دوناهها بكتابتنا أسفنا فيها على قلة عنايتنا بحفظ آثار آبائنا فمعنى ذلك أيها الأب أنا نعلم تمام العلم فضل مجهودات آبائنا عليكم ونلوم أنفسنا على تركها غنيمة باردة لكم تثقفون بها عقولكم ثم يكون الجزاء أن تجحدوا وتكفروا النعمة وتدعوا أن المعارف منكم نشأت واليكم تعود .

تلك حقيقة نربأ بالأب ان ينكرها ولا يعترف بها وهو المستشرق المعروف الذي لم يجد في كتب الغربيين ما يروى ظمأه وتعطشه للعمل ووجد ذلك في المكاتب الشرقية التي علمته كيف يمسك القلم ليجرى بسب أهلها وتحقيرهم بأنهم أقل منه كفاية ودراية سأل الله ..

لقد تذرّع الأب بخطأ ورد سهواً وهو الإشارة الى القديس اغناطيوس أسقف أنطاكية بأنه أسقف رومية وعهدنا بالعلماء التواضع ولكن الأب تنكب طريقهم وراح يملأ ما ضغيه فخراً . غفر الله له هذا التباهى الذي لم يكن يليق برجل علم ودين مثله .

خطاب بطريركى

أرسل غبطة البابا المعظم الأنبا كيرلس الخامس بطريرك الكرازة المرقسية خطابا لمؤلف كتاب «تاريخ الكنيسة القبطية» بتاريخ ١٦ أبيب سنة ١٦٤٠ ش عقب تقديم نسخة منه لغبطته هذه صورته: —

ختم
كيرلس
بطريرك الكرازة المرقسية

حضرة الابن المبارك الشماس منسى القمص واعظ أقباط ملوى باركه الرب ونرغب منحكم
البركات وامدادكم بصالح الدعوات بمنه وكرمه تعالى تكونون حائزين تمام المسرات . استلمنا
هديتكم كتاب تاريخ الكنيسة تأليفكم

فتصفحناه ووجدناه كتابا مفيدا مستوفيا الايضاح نافعا لعموم اولادنا الأقباط لكى يعرفوا تاريخ
آبائهم ويقتدوا بسيرتهم الصالحة وجهادهم الحسن ولذا ترونا مسرورين من عملكم المفيد وندعو
لكم بالنجاح والصلاح كى تستمروا فى مثل هذه الأعمال الصالحة ونسأل الله القدير أن يبارككم
بيده العالية ويجعل دائما كل اعمالكم مباركة لمجد اسمه القدوس . وسلام الرب يشمل جميعكم
ولعزته الشكر دائما ،

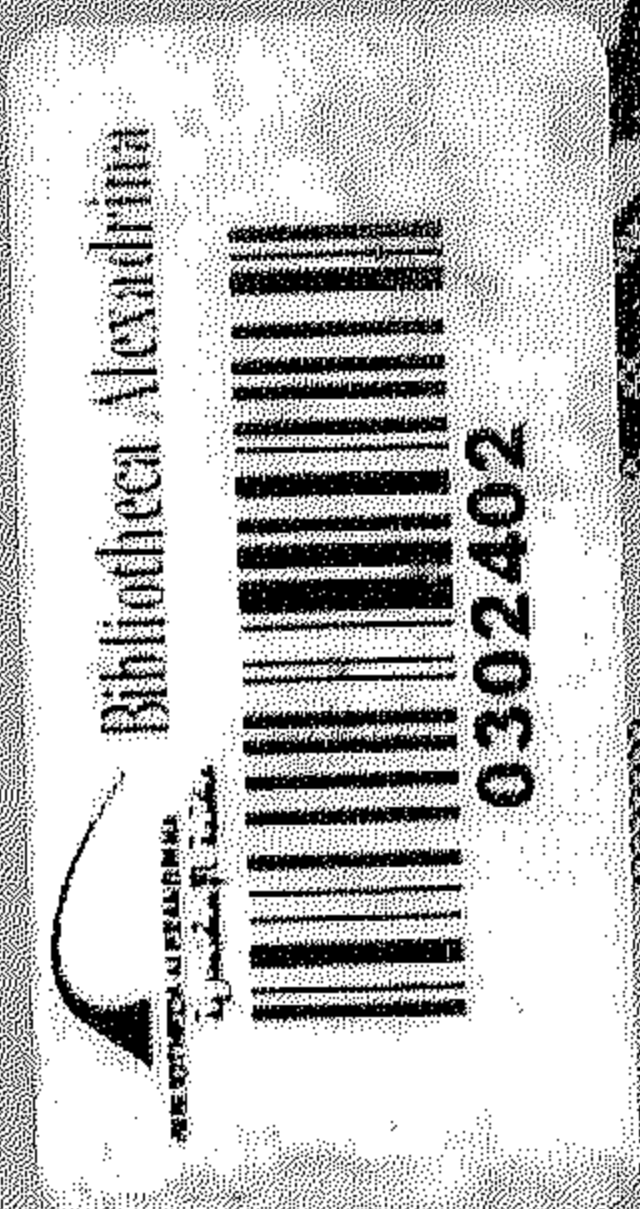
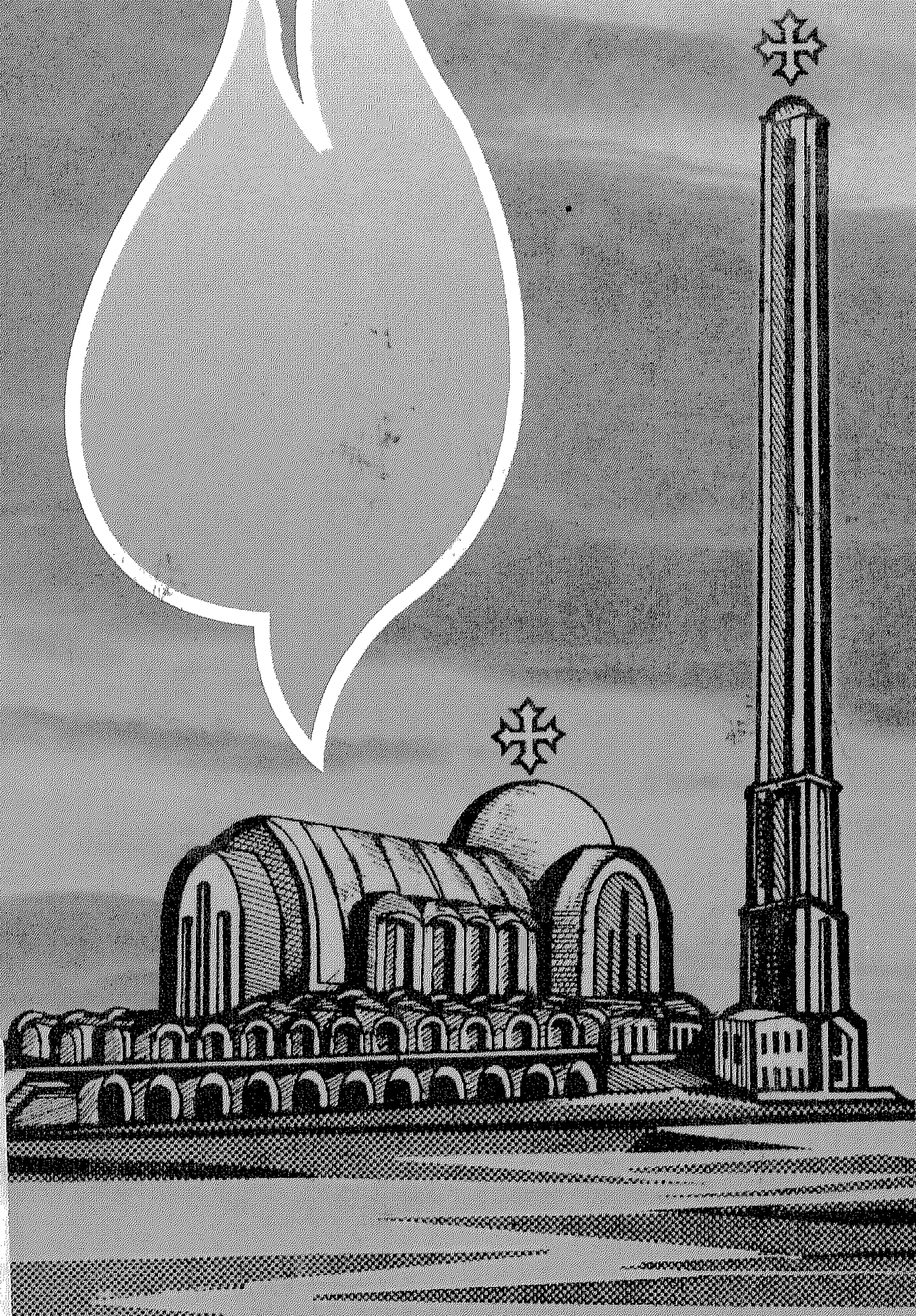
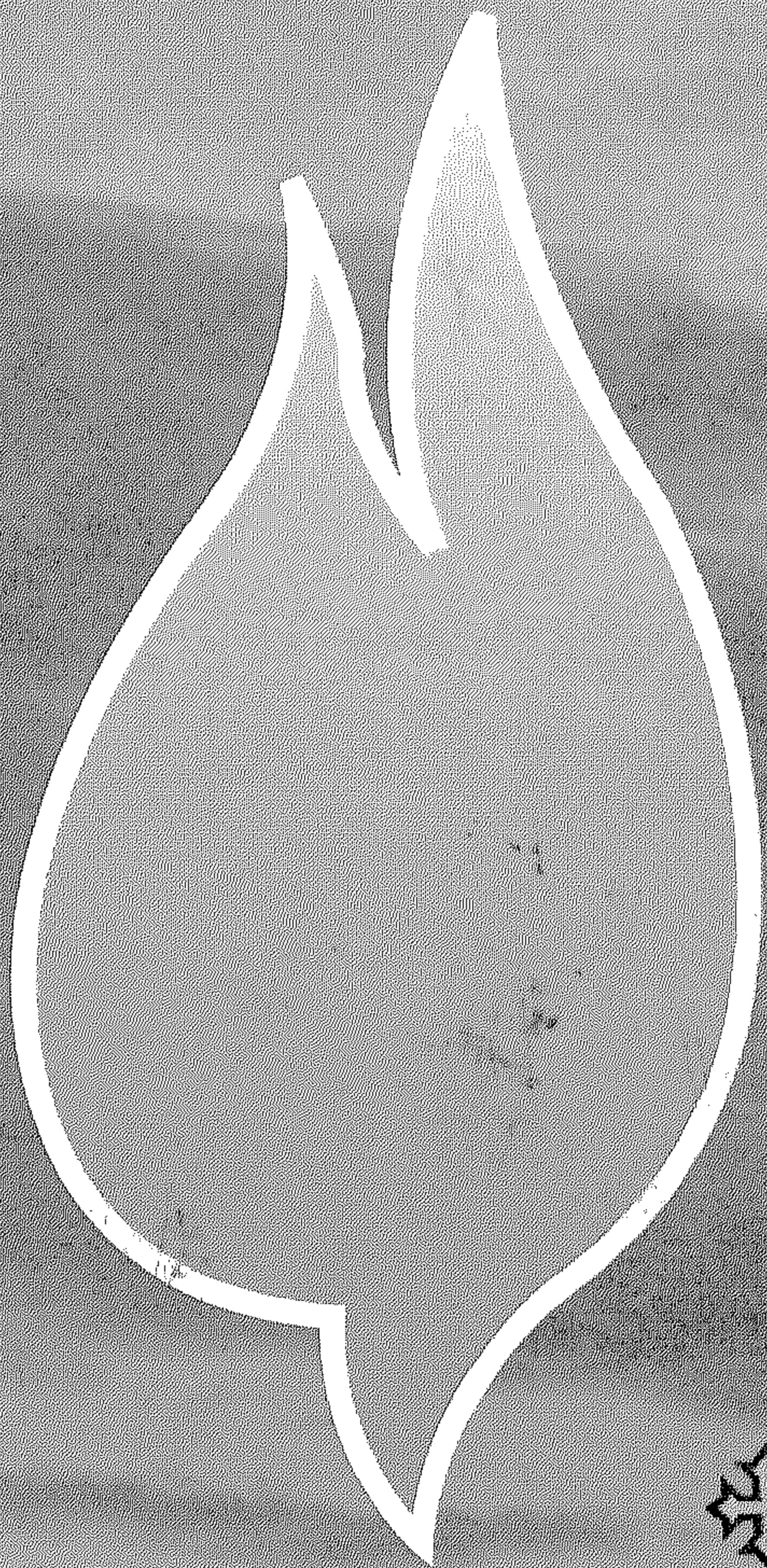
تصويب

رقم الصفحة	الخطأ	الصواب
٢٥٨	اعتقاد القائلين	اعتقاد بقرب القائلين
٢٧٠	فرفضى	فرفض
٢٧٢	به به	به من
٢٨٣	موسيم	موسهم
٣٤١	بيهم	بينهم
٤٢٣	دفعها	دفعها
٥٠٨	تيكلم	يتكلم
٥١٩	ماطفته	ملاطفته
٥٣٨	من نحو الروسيون	لاغيه
٥٤٩	الارساليا	الارساليات
٥٥٠	دندار	دندرا

رقم الإيداع بدار الكتب ٢٠٣٦ / ٨٣

الترقيم الدولي X - ١٩ - ١٨٧ - ٩٧٧

طبع على مطابع شركة تريكرومي للطباعة



مكتبة
مكتبة
٣ ش شبوا ت / ٥٧٥٩٢٤٤ - فاكس / ٧٧٧٤٤٨